

الأخطار في أخبار غزواتنا

لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب

حقق نصه ووضع، قلمته وحواشيه

محمد عبد الله عياني

المجلد الرابع

الناشر: مكتبة الحاجي بالقاهرة

الطبعة الأولى

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

الحقوق كلها محفوظة

Copyright, Cairo, 1977

القاهرة

الشركة المصرية للطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا هو المجلد الرابع والأخير من كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة»، نختتم به بحمد الله، هذه الموسوعة الأندلسية الكبرى.

ويضم هذا المجلد بقية السفر العاشر من «الإحاطة» إبتداء من ترجمة (عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم بن محمد الحضرمي)، الواردة في اللوحة 276 إسكوريال. وينتهي هذا السفر في اللوحة 337 إسكوريال بترجمة (علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصاري). محتويًا على أربع وخمسين ترجمة. ويتلوه السفر الحادي عشر في اللوحة 338 إسكوريال مبتدئًا بترجمة (عمر بن علي ابن غفرون الكلبي)، ومنهياً في اللوحة 415 إسكوريال بترجمة (يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري) المعروف بابن الصيرفي، ومحتويًا على خمس وستين ترجمة. ثم يتلوه السفر الثاني عشر والأخير في اللوحة 420 إسكوريال، مبتدئًا بترجمة (يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التطيلي الهذلي) ومنهياً في اللوحة 424 بترجمة (يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطي)، ومحتويًا على ثمان تراجم فقط، وهو بذلك يعتبر أصغر أسفار «الإحاطة». وبه يختتم كتابه الإحاطة بعبارة: «كل كتاب الإحاطة» في بداية اللوحة 425 إسكوريال، محتويًا في مجلداته الأربعة على أربعمائة وثلاث وتسعين ترجمة، وعلى عشرات الوثائق التاريخية، والرسائل والظواهر السلطانية. الأندلسية والمغربية، ومئات القطع من مختار المنظوم والمنثور.

ثم تبدأ بعد ذلك ترجمة ابن الخطيب لنفسه. في قسم مستقل، مبتدئًا باللوحة 425 إسكوريال، ويمتدحه ابن الخطيب بقوله «يقول مؤلف هذا الديوان، تعمد الله خطله في ساعات أضعافها. وشهوة من شهوات اللسان أطاعها، وأوقات للاشتغال بما لا يعنيه، استبدلها للهو لما باعها» ومتيها باللوحة 500، تتبعها لوحة أخرى 501، وبها فصيحة أوردناها أتمة لختم المخطوط.

وقدر جمعنا في تحقيق هذا المجلد الأخير من « الإحاطة » إلى المخطوطات الآتية :
 أولاً - مخطوط « المكتبة الزيدانية » المحفوظ بمكتبة دير سان لورنزو
 بالإسكوريال برقم ١٦٨٨ الغزيري ، ورقم ١٦٧٣ ديرنبور .
 ثانياً - مخطوط جامع الزيتونة بـ نس ، المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية
 التونسية . الجزء الثالث ؛ ويحمل رقم 8136 .

ثالثاً - مخطوط السفر الثالث من كتاب « نفاضة الجراب في علالة الاغتراب »
 المحفوظة بمخزاة الرباط العامة برقم 256 ك (المكتبة الكتانية) .
 رابعاً - مخطوط كتاب « ريحانة الكتاب » المحفوظ بمكتبة الإسكوريال
 برقم 1825 الغزيري ، وكذلك مخطوط « الريحانة » المحفوظ بالمخزاة الملكية
 بالرباط برقم 2195 .

واعتمدنا في المراجعة والتحقيق ، إلى جانب هذه الأصول المخطوطة ، على
 عدة من المراجع الجامعة ، مثل « نفع الطيب » و « أزهار الرياض » للمقرئ ،
 و « الذيل والتكملة » للقاضي ابن عبد الملك المراكشي ، و « جذوة الاقتباس »
 لابن القاضي ، و « التعريف بابن خلدون » ، و « صبح الأعشى » لأبي العباس
 القلقشندي وغيرها .

ويمتاز هذا المجلد الرابع والأخير من « الإحاطة » بأمرين ، الأول بالاستيعاب
 والتبسط في التراجم الواردة به ، حيث تشغل تراجمه المائة سبع وعشرون ،
 مائة وخمسين لوحة مزدوجة من المخطوط ، أعني ثلاثمائة صفحة حاشدة منه ،
 وهو ما لم يتوفر في المجلد الثالث حسبما سبق أن شرحناه في مقدمته . والثاني باحتوائه
 على عدد كبير من التراجم الهامة سواء ، من رجال التفكير والأدب ، أو من
 رجال التاريخ .

ويمكننا أن نذكر من رجال الصنف الأول ، عبد المهيمن الحضرمي ،
 وعبد الحق بن سبعين العكي ، وابن الباذش الأنصاري ، والإمام ابن حزم
 القرطبي (علي بن أحمد بن سعيد) ، وابن الجياب (علي بن محمد بن سليمان
 الأنصاري) ، والقاضي عياض بن موسى اليحصبي ، وأبو الربيع بن سالم
 (سليمان بن موسى) ويحيى بن هذيل التجيبي .

ومن رجال الصنف الثاني . عمر بن حفصون ، وعلى بن حمود الحسني ، وعلى بن يوسف بن تاشفين ، وسوار بن حمدون بن عبده ، وسليمان بن الحكم ابن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، وسليمان بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ، ويحيى بن علي بن غانية الصحراوي ، ويوسف بن تاشفين ، ويوسف بن عبد المؤمن بن علي ، ويوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، وعدة من أمراء بني نصر ملوك غرناطة ، منهم السلطان يوسف أبو الحجاج ، وولده محمد الغني بالله . وقد خص ابن الخطيب هذه المجموعة من رجال التاريخ الأندلسي والمغربي بترجم قوية ، تغلب عليها الصبغة التاريخية النقدية . وضمنها كثيراً من الوقائع والوثائق ، التي يجد فيها المؤرخ مادة غزيرة نفيسة .

وأما عن الترجمة التي خص بها ابن الخطيب نفسه . والتي تلت السفر الثاني عشر من «الإحاطة» ، فهي في الواقع ترجمة موجزة . ولكن بليغة قوية ، تتناول نسبه ، ونشأته ، وحياته العامة ، وتقلده الوزارة لسلطان يوسف أبي الحجاج ثم لولده الغني بالله ، ونكبته حينما وقعت الثورة وفقد الغني بالله عرشه ، وهجرته إلى المغرب ، وانضواءه تحت حماية سلاطينه . ثم عوده إلى تولى الوزارة بعودة الغني بالله إلى ملكه في سنة ٧٦٣ هـ ، وسيرته في الوزارة بمنتهى الإيجاز ، ثم مشيخته ، ومؤلفاته ، وإيراده لمجموعة من عيون قصائده . ومنها عدة في الأمداح النبوية ، وعدة كبيرة من المقطوعات الشعرية . في مختلف الأغراض . وعدد من الرسائل والمراسيم (الظواهر) التي صدرت إليه ، ورسائل عن بعض فتوح مليكه ، وبعض رسائل خاصة . ويختتم ابن الخطيب ذلك كله بإيراد المقامة التي وضعها في «السياسة» وبها يختتم مخطوط الإسكوريال .

بيد أنه قد فات ابن الخطيب ، أن يحدثنا في ترجمته عن جهوده السياسية ، وقد تولى تدبير شؤون مملكة غرناطة ، وتوجيه سياستها زهاء ثمانية أعوام متواصلة . وقد كان بوسع أن يقدم إلينا أوصياء كثيرة عن علائق مملكة غرناطة ، بجاراتها الكبيرة مملكة قشتالة النصرانية ، وقد كان السلام بسود بين المملكتين طوال اصنلاعه بأعماء الوراة . وما من شك في أن ذلك كان راجعاً إلى جهوده السياسية في هدمنة مملكة النصرانية . وحط ودها . أما عن سياسة مملكة غرناطة

إزاء المغرب وسلاطين بني مرين ، فقد تناولها ابن الخطيب في العديد من رسائله السلطانية ، وشرح لنا الكثير من جوانب اعتمادها على نصره المغرب ، ونزعة سلاطينه في احتضان قضية الأندلس ، واعتبارها نوعاً من الجهاد . وقد ألفت الرسائل التي تضمنها كتابه «نفاضة الحراب» ، وكتابه «كناسة الدكان» الكثير من الضوء على هذه العلاقات الأندلسية المغربية .

هذا وقد جرينا في هذا المجلد الختامى لكتاب «الإحاطة» على نفس الأسلوب الذى اتبعناه في المجلدات السابقة ، من التعريف بالأعلام الجغرافية والتاريخية الواردة به ، أو الإحالة على ما تم التعريف به منها في المجلدات السابقة ، وذلك نظراً لسبق التعريف بالكثير منها ، وتحاشى التكرار في ذلك .

وإننا لرفع إلى المولى القدير أكف الضراعة والحمد ، إذ وفقنا إلى إخراج هذه الموسوعة الأندلسية الكبرى ، بعد أن بذلنا فى إعدادها وتحقيقها جهوداً شاقة ، استمرت أعواماً طويلة فى مدريد والإسكوريال والرباط وفاس وتونس والقاهرة ، ورجين أن تكون ذخيرة جليلة بين أيدي طلاب البحوث الأندلسية والمغربية .

القاهرة فى ١٦ شوال سنة ١٣٩٦

الموافق ١٠ أكتوبر سنة ١٩٧٦

محمد عبد العنان

رموز المخطوطات

نشير إلى المخطوطات التي رجعنا إليها في تحقيق هذا المجاد الرابع من «الإحاطة»
في حواشي الكتاب على النحو الآتي :

- ١ - مخطوط مكتبة دير الإسكوريال المحفوظ برقم ١٦٨٨ الغزيرى ،
ورقم ١٦٧٣ ديرنبور ، ونرمز له بكلمة «الإسكوريال» .
- ٢ - مخطوط جامع الزيتونة بتونس المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية ،
برقم 8١36 (الجزء الثالث) ونرمز له بكلمة «الزيتونة» .
- ٣ - مخطوط كتاب «ريحانة الكتاب ونجمة المتاب» ، المحفوظ بمكتبة دير
الإسكوريال برقم ١825 الغزيرى . وكذلك مخطوط نفس الكتاب ، المحفوظ
بالخزانة الملكية بالرباط برقم 2١95 ، ونرمز له بكلمة «الريحانة» .
- ٤ - مخطوط السفر الثالث من كتاب «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب»
المحفوظ بخزانة الرباط العامة برقم 256 ك ، ونرمز له بكلمة «النفاضة» .

الإحاطة
في أخبار غرناطة

—
المجلد الرابع

ومن الذرياء

عبد المهيمر بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن علي بن محمد بن
عبد الله بن محمد الحضرمي

يكنى أبا محمد ، شيخنا الرئيس صاحب القلم الأعلى بالمغرب .

حاله

من «عائد الصلة» : كان رحمه الله خاتمة الصدور، ذاتاً وسلماً وتربية وجمالة . له القِدْحُ المغلّي في علم العربية، والمشاركة الحسنة في الأصلين ، والإمامة في الحديث ، والتبّير في الأدب والتاريخ واللغة ، والعروض والمُماصة في غير ذلك . نشأ فارس الحلبية ، وعروس البوليمة ، وصدر المجلس ، وبيت القصيد ، إلى طيب الأبوة . وقَدَم الأصاله ، وفضل الطُعمه ، ووفور^(١) الجاه ، والإغراق في النعمة . كثير الاجتهاد والملازمة ، والتفنن والمطالعة ، مقصور الأوقات على الإفادة والاستفادة ، إلى أن دعتة الدولة المرينية بالمغرب ، إلى كتابة الإنشاء ، فاشتملت عليه اشتمالا ، لم يفضل عنه من أوقاته ، ما يلتبس فيه ما لديه . واستمرت حاله ، موصوفا بالنزاهة والصدق ، رفيع الرتبة ، مَشِيد الحُظوة ، مشاركاً للضيف فاضلا . مُختَصِر الطُعمه والحليّة ، يغلب عليه ضَجْر يكاد يُخلُّ به ، متصل الاجتهاد والتقييد ، لا يفتّر له قلم . إلى أن مضى بسبيله .

وجرى ذكره في «الإكليل الزاهر» من تأليفنا بما نصه : تاج المَفْرِقِ
وفخر المغرب على المشرق . أطلع منه نور أضاعت الآفاق . وأثرى منه

(١) وردت في الإسكوريال (ووفوه) وهو تحريف اقتضى التصويب

بذخيرة حَمَلت أحاديثها الرفاق . ما شئت من مجد سأمى المصاعد والمراقب ،
عزيز عن لحاق المجد الثاقب ، وسَلَفِ زُيْنَت سماؤه بنجوم المناقب . نشأ
بسببته بين علم يُفِيدُه ، وفخر يُشِيدُه ، وطهارة يَلْتَحِفُ مَطَارِفَهَا ، ورياسة
يتفياً وارِفَهَا ، وأبوه رحمه الله قُطِبَ مدارها ، ومُقام حَجَّها واعْتِمَارها ،
فسلك الوُعوث من المعارف والسُّهول ، وبدَّ على حدائث سنه الكهول ،
فلما تحلَّى من الفوائد العلمية بما تحلَّى ، واشتهر اشتهاً الصباح إذا تجلَّى ،
تنافست فيه همم الملوك الأخير ، واستأثرت به الدول على عاداتها في
الاستيثار بالدخاير ، فاستقلت بالسياسة ذراعه ، وأخدم الذوابل والسيوف
يراعه ، وكان عَيْنَ المَلِكِ التي بها يُبصر ، ولسانه الذي به يُسهب أو
يختصر . وقد تقدمت له إلى هذه البلاد الوفادة ، وجلَّت به عليها الإفادة ،
وكتب عن بعض ملوكها ، وانتظم في عقودها الرِّفِعة وسلوكها ، وله
في الأدب الرأية الخافقة ، والعقود المتناسقة .

مشيخته

قرأ بببلده [سبتة] على الأستاذ الإمام أبي إسحق الغافقي المديوني ،
وعلى الأستاذ المقرئ أبي القاسم محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن
الطيب ، والأستاذ النحوي أبي بكر بن عبيدة الإشبيلي ، وعلى الأستاذ
العارف أبي عبد الله محمد بن عمر بن الدراج التلمساني ، وعلى ابن خال
أبيه الأمير الصالح أبي حاتم العزقي ، والعدل الرضا أبي فارس عبد الرحمن
ابن إبراهيم الجزيري .

وقرأ بقرناطة على الشيخ العلامة أبي جعفر بن الزبير ، وروى عن
الوزير الراوية أبي محمد عبد الله المرادي ابن المؤدس وعلى الأستاذ أبي بكر
القللوسي . وأخذ عن الشيخ الورير أبي الوليد الحضرمي القرطبي . وعالمقة

عن الإمام الولي أبي عبد الله الطنَّجاني ؛ وبيلش عن الخطيب الصالح
أبي جعفر بن الزيات ، وعن الخطيب أبي عبد الله بن شعيب المروي ،
والعلامة أبي الحسين بن أبي الربيع ، وأبي الحكم بن منظور ، وابن الشَّاطِ
وابن رُشيد ، وابن خميس ، وابن بُرطال ، وابن ربيع ، وابن البتَّا ،
وسميِّه ابن البتَّا الملقى ، وابن خميس النحوى ، وأبي أمية بن سعد
السُّعود بن عُفير الأمدى . هؤلاء كلهم لقيهم وسمع منهم ، وأجازوا له
ما عندهم . ومن أجاز له مشافهة أو مكاتبة من أهل المغرب ، الأستاذ
أبو عبد الله محمد بن عمر الأنصارى التلمساني ابن الدراج ، والكاتب
أبو علي الحسين بن عتيق ، وتناول تواليفه ، والأديب الشهير أبو الحكم
مالك بن المُرَّحَل ، والشريف أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي الشرف
الحسيني ، وأبو بكر بن خليل السُّكوني ، وأبو العباس المطري ، والجزَّاري ،
وشرف الدين بن معطى ، وابن الغمَّاز ، وابن عبد الرفيح القاضي ،
وأبو الشمل جماعة بن مهيب ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد التُّجاني
وأبناء عمه عمر وعلى ، وابن عَجَلان ، ومحمد بن إبراهيم القيسي السلولى
ومحمد بن حماد اللبيدي ، وابن سيد الناس ، وابنه أبو الفتح ، وابن
عبد النور ، والمومنانى ، والخطيب ابن صالح الكتَّاني ، وابن عياش الملقى ،
والمِشدالي ، وابن هرون ، والخلاسى ، والدبَّاغ ، وابن سِماك ، وابن
أبي السُّداد ، وابن رُزين ، وابن مَسْتَقور ، وأبو الحسن بن فضيلة ،
وأبو بكر بن مُحزَز . وكتب له من أهل المشرق جماعة منهم : الأبرقيشى
وابن أبي الفتح الشيباني ، وابن حمادة ، وابن الطاهري ، وابن الصابوني ،
وابن تيمية ، وابن عبد المنعم المفسر ، وابن شَيْبان ، وابن عساكر ،
والرضي الطبري ، وابن المخزومي ، وابن النحاس . قلت من أراد استيفاءهم

ينظر الأصل . فقد طال على استيحاء ما ذكره الشيخ رحمه الله وقد ذكر جماعة من النساء ، ثم قال بعد تمام ذلك ، ولو قصدنا الاستقصاء لضاق عن مجاله المتبع .

شعره

وشعره مُتخَلٌّ عن محلّه من العلم والشهرة ، وإن كان داخلاً تحت طور الإجابة .

فمن ذلك قوله (١) :

تراعى سُحيراً والنسيم عليل	وللنجم طَرْفٌ بالصباح كليل
وللفجر بحر خاضه الليل فاعْتَلت	شَوَى أدهم الظلماء منه خجول
بُرَيْقٌ بأَعْلَى الرَقْمَتَيْنِ كَأَنَّهُ	طلائع شهبٍ في السواد تجول
فمزقٌ ساجى الليل منه شرارة	وخرقٌ سِترَ الغَيمِ منه نُصول
تبسمُ ثغرُ الروض عند ابتسامه	وفاضت عيون للغمام هُمُول
ومالت غصون البان نشوى كأنها	يُدار عليها من صباه (٢) شمول
وغنّت على تلك الغصون حمايمٌ	لهن حفيف فوقها (٣) وهدييل
إذا سَجعت في لحنها ثم قرقرت	يطيح خفيفٌ دوها وثقيل
سقى الله ربعا لا تزال تشوقني	إليه رسوم دوه وطلول
وجاد رياه كلما ذر شارق	من الودق هتان أجشٌ هطول
ومالى استسقى الغمام ومدمعى	سفوحٌ على تلك البراص هُمُول
وعاذِلَةٌ ظَلت (٤) تلوم على السرى	وتكثر من تَعْدالها وتطيل

(١) واضح من خلال القصيدة أنها مديح من الشاعر للوزير لكتاب والشاعر الكبير ، ابن الحكيم

الرندي .

(٢) وردت في نيسابور (ح) ، غصون من سحج

(٣) هكذا وردت في الإسكوريان والنهي ، وفي بعض آخر (دوها)

(٤) هكذا وردت في الإسكوريان وفي النسخ (يانت)

ونأى على ما خيلت ورحيل
 سناء وتبقى الذكر وهو جميل
 نحيلاً فحد المشرف نحيل
 تزين وفي قد القناة ذبول
 ولا بات منه للسعود نزيل
 لما كان نحو المجد منه وصول
 لأصبح ربيع المجد وهو محيل
 وليس له إلا النجوم قبيل
 هضاب وأما في الندى فسيول
 وطابت فروع منهم وأصول
 مرتها شمال مرجف وقبول
 من البرق عنها للعيون كلول
 شقاشقها عند الهياج فحول
 إذا ما توالى للسنين محول
 يتم عليها إذخِر وجليس
 تعطر منها للنسيم ذبول
 ترددها أجفانها وتحيل
 تفاقم خطب للزمان يهول
 تفوت يداً من رامها وتطول
 ونائل يُمنالك الكريمة نيسل

تقول إلى كم ذا فراق وغبية
 ذريني أسعى لنتي تكسب العلا
 فلما تريني من ممارسة الهوى
 وفوق أنابيب البراعة صفرة^(١)
 ولولا السرى لم يُجتل البدر كاملاً
 ولولا اغتراب المرء في طلب العلا
 ولولا نوال ابن الحكيم محمد
 وزير سما فوق السماك جلاله
 من القوم أما في الندى فإنهم
 حووا شرف العلياء إرثاً ومكسباً
 وماجونة هطالة ذات هيدب
 لها زجل من رعد لها ولوامع
 كما هدرت وسط القلاص وأرسلت
 بأجود من كف الوزير محمد
 ولولا روضة بالحسن^(٢) طيبة الشذا
 وقد أذكيت للزهر فيها مجامر
 وفي مقل النوار للظل عبيرة
 بأطيب من أخلاقه الغر كلما
 حويت أبا عبد الآه مناقبها
 فغرناطة مصر وأنت خصيبتها

(١) هكذا والإسكوريال وفي النسخ (صموة).

(٢) وردت في الإسكوريال (بالحزن) والتصويب من النسخ وهو أنسب للسياق.

فذاك رجالٌ حاولوا دَرَكُ العِلا
تخِيرُكَ المولى وزيراً وناصحاً
وَألقى مقاليد الأمور مُفوضاً
وقام بحفظ المُلْكِ منك مؤيدٌ
وساس الرعايا منك أروع^(١) باسل
وأبْلَجُ وقَّاد الجبين كأنما
تَهيم به العلياء حتى كأنها
له عَزَمَات لو أُعير مضاءها
سَرَى ذكرُهُ في الخافقين فأصبحت
وأعدى قريضي جوده وثناؤه
إليك أيا فخر الوزارة أَرَقَلْت
فَلَيْتُ إلى لقياك ناصية الفلا
تسدُّدُنِي سهماً لكل نسيئة
وقد لَفَطْتُنِي الأَرْضَ حتى رَمَتْ إلى
فَقِيدْت أفراسي به وركائبي
وقد كنت ذا نفس عزوف وهمة
ويَهْوَى^(٤) العَلا حَظِّي وَيُغْرَى^(٤) بضدِّ
وتأبى لي الأيام إلا إدالة

بُبْخِلِي وهل نال العلاء ببخيل
فكان له مما أراد حصول
إليك فلم يَعمد يمينك سُول
نَهوضُ بما أعياء سواك كفيل
مُبِيد العدا للمعتفين مُنِيل
على وجنتيه للنُّضار مَسِيل
بُشَيْنته في الحبِّ وهو جميل
حُسامٌ لما نالت طُباه فُلُول
إليه قلوب العالمين^(٢) تميل
فأصبح في أقصى البلاد يجول
بِرَحْلِي هوجاء النجاء ذلول
بأيدي ركاب سيرهنَّ ذَمِيل
ضوامرُ أشباه القسيِّ نحول
ذراك برَجْلِي هوجلُّ وهَجُول
ولذَّ مقامٌ لي به وحُلُول
عليها لأحداث الزمان ذحول^(٣)
لذاك اعترته رقةٌ ونحول
فصونك^(٥) لي إن الزمان مُدِيل

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (أشوس) .

(٢) وردت في الإسكوريال (العلمين) . والتصويب من النسخ .

(٣) وردت في الإسكوريال (دخول) وفي النسخ (دخول) . والتصويب أنسب للسياق .

والذحول الحقد والمدارة .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في النسخ (هوى . وتقرى) .

(٥) وردت في الإسكوريال (بصونك) والتصويب من النسخ .

فكل خضوع في حمالك عرة^(١) وكل اعتزاز قد عد الكخمول

وهي طويلة . ومن شعره [في الحنين إلى وطنه سبتة]^(٢) .

سقى ثرى سبتة بين البلاد وعهدَها المحبوب صوبُ العهد
وجاد منهل الحيا رُبْعها بوَيْلَه تلك الربى والوهاد
وكم لنا في طور سينائها من رائح الأُنس في إثر غاد
وعينها البيضاء كم ليلةٍ وبالمنارة التي نورها
نروح منها مثلما نغتندي للأنس والأفراح ذات ازدياد
في فتيّة مثل نجوم الدجى ما منهم إلا كريم جواد
ارتشفوا كأس الصنا بينهم وارترضوا أخلاف محض الوداد
وياأيام بنيولش^(٣) لقد عدت عنها صروف العواد
أدركت من لُبتي بها كلما لبانة وساعدتني سُعاد
ونلت من لذات دهرى الذى قد شيبته وللأماني انقياد
منازل ما إن على مُبديل هاء مكان اللام فيها انتقاد
سلوتها مذ ضمنى بعدها نادى الوزير ابن الحكيم الجواد

ومن المقطوعات قوله :

أبت همتي أن يرانى امرؤ على الدهر يوما له ذا خضوع
وما ذاك إلا لأنى اتقيت بعز القناعة ذل القنوع^(٤)

ومن ذلك في المشط والشفة من آلات الحمام :

(١) و د د و لا لا ع ر (ع ر ه) والتصويب من التمج

(٢) أصف هده بعدد من مد

(٣) سوس . سد حه حملة من صواحي سته

(٤) هكذا وردت في الإنسكوريا . وفي بعض آخر (الخشوع)

إني حسدت المشط والنشف الذي لهما مزايا القرب دوني مُخلصه
فأناملُ من ذا تباشر صدغه ومراشفُ من ذا تقبّلُ أخصمه

نثره

وقع هنا بياض مقدار وَجْهَة في أصل الشيخ .

مولده

ولد ببليده سَبْتَة في عام ستة وسبعين وستماية .
وتوفي بتونس في الثاني عشر لشوال من عام تسعة وأربعين وسبعماية
في وقية الطاعون العام ، بعد أن أصابته نوبة من مخدومه السلطان
أبي الحسن^(١) . ثم استعّبه وتلطف له . وكانت جنازته مشهورة ، ودفن
بالزلاج من جبانات خارج تونس رحمه الله .

عبد المهيم بن محمد الأشجى البلذوى

نزىل مرا كس .

حاله

من كتاب « المؤتمن »^(٢) ، قال ، كان شاعراً مُكثراً ، سهل الشعر ،
سريعه ، كثيراً ما يَسْتَجِدِي به ، وكان يتقلد مذهب أبي محمد علي بن حزم
الفقيه الظاهري ، ويصول بلسانه على من نأفره . دخل الأندلس ، وجال

(١) الإشارة هنا إلى السلطان الكبير أبي الحسن المريني ، على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق .
تولى عرش المغرب سنة ٧٣١ هـ وتوفي سنة ٧٥٢ هـ . وكان من أعظم ملوك بني مرين همة وعزماً وصيتاً
وجهاداً في الأندلس . وقد أشار المقرئ في نفع الطيب إلى ذلك الحادث الذي أساء فيه السلطان أبو الحسن
مخاطبة كاتبه عبد المهيم الحضرمي (ج ٣ ص ٢٤٣)

(٢) هو من تأليف أبي البركات بن الحاج . وقد سبق التعريف به (أنظر المجلد الأول من
الإحاطة ص ٣٧٢ حاشية) .

في بلادها . بعد دخوله مراکش . وكان أصله من بلنوذ . ورد مالقة أيام
قضاء أبي جعفر بن مسعدة ، وأطال بها لسانه ، فحمل عليه هنالك حملاً
أذاه ، إلى أن كان مآل أمره ما أخبرني به شيوخ مالقة ، وأنسيته الآن ،
فتوصل إلى مآل أمره من جهة من بقى بها الآن من الشيوخ ، نقلت اسمه
ونسبه من خطّه .

شعره

أما على ذى شرك	في صيدنا من درك
تصيدنا لواحظ	وما لها من حرك
والبدر إن غاب فمَنُ	يجلو ظلام الحلك
قد تاب القلب فما	يدرى إن لم تدرك
عدا السقام أو عدا	وعَد الذي لم يَأفك
أو لن يكن جِلُّ دَمِي	فلتُبْطِي أو أترك
حاربتُ من لا قدرة	لديه في المُعْتَرِك
يفلُّ غزْبَ سيفه	سيفُ لِحَاظِ فتك
يا لفتى يا قبلى	يا حَجَّتِي يا نَسك
إن عَظُم الحزن فما	أرجل حسن فلك
أو أهليت الحى	فلا بن عبد الملك
خطيب ومُران للذى	سَلَك على سلك
رُكن التُّقَا محمد	ذو النبل والطبع الزُّك
منهردُ في جوده	بماله المشترك
يا فوق هذا بابُه	فهو أَجَلُ مَبْرِك
وَأنتِ يا حادية	تَرُبِّتِ ما أسعدك

فبِرْكِي وكبْرِي وابسركي وبِرْك
 فقد أتَيْنَا بَشْرَا له صفات الملك
 كَفُك يَهْمِي مَلَكْت كأنها لم تملك
 قصيدتي لو لم تنل منك حُلِّي لم تُسَبِك
 أبكيت ديمة النداء فزهرها ذو ضحك
 لكنني يا سيدي من فاقتي في شَرِك

وشعره على هذه الوتيرة . حدثني أبي ، قال رأيت رجلاً طوالاً ، شديد الأذمة ، حليق الرأس ، دمينه ، عاربه ، كثير الاستجداء ، والتهاثر مع المحابين من أدباء وقته ، يناضل عن مذهب الظاهرية بجهد .

وفاته

من خط الشيخ أبي بكر بن شيرين ، وفي عام سبعة وتسعين وسبعمائة توفي بفاس الأديب عبد المهيمن المكناسي ، المكنى بأبي الجيوش البلنودي ، وكان ذا هدر وخرق ، طوفاً على البلاد ، ينظم شعراً ضعيفاً ، يستمنح به الناس ، وآلت حاله إلى أن سعى به لأبي فارس عزوز الملزوزي^(١) الشاعر ، شاعر السلطان أبي يعقوب وخديمه ، وذكر له أنه هجاه ، فألقى إلى السلطان ما أوجب سجنه ، ثم ضربت عنقه صبراً ، نفعه الله^(٢)

(٣) عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملزوزي

من أهل العُدوة الغربية ، يكنى أبا فارس . ويعرف بعزور .

(١) وردت في الإسكوريال (الملزوزي) وهو تحريف اقتضى التصويب حينما يتبين بعد

في ترجمته التالية

(٢) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة

(٣) وردت هذه النسبة في مخطوط الإسكوريال كالأب (عبد لعزير بن عبد الرحمن بن محمد =

حاله

كان شاعراً مكثراً سيال القريحة ، مُنحطُ الطبقة ، مُتَجَنِّداً ، عظيم الكفاية والجرأة ، جسوراً على الأُمرا ، عَلِقَ بخدمة الملوك من آل عبد الحق وأبنايهم ، وَوَقَفَ أشعاره عليهم ، وأكثر النظم في وقايِعهم وحروبهم ، وخطب المُعَرَّبَ باللسان الزناتي في مخاطباتهم ، فَعُرِفَ بهم ، ونال عريضاً من دُنْيَاهم ، وجماً من تقريبيهم . واحتلَّ بظاهر غرناطة في جُملة السلطان ، أمير المسلمين أبي يعقوب ، وأمير المسلمين أبيه ، واستحق الذكر بذلك .

شعره

من ذلك أرجوزة نظمها بالخضراء في شوال سنة أربع وثمانين وسبعمائة ، ورفعها إلى السلطان أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق ، سماها : « بنظم السلوك ، في الأنبياء والخلفاء والملوك » لم يقصر فيها عن إجادة . ومن شعره . قال مخبراً عن الأمير أبي مالك عبد الواحد ابن أمير المسلمين أبي يوسف :

دعاني يوماً والسماقدارتدت بالسحاب والغيث يبكي بالدموع السواكب
كأنه عاشقٌ صُدُّ عنه حبيبُه ففاضت دموعه عليه وكثر نحيبُه
ولم يُرَقْ لسه مدمع كأنه لم يبق له فيه مطمع
فكان الوعدُ حَسْرَتَه والبرق لَوَعَتَه وزَفْرَتَه
فقال لي ما أحسن هذا اليوم لو كان في غير شهر الصوم
فاقتَرَحَ غاية الاقتراح عليَّ وقال قلْ فيه شعرا بين يديَّ

== (المزوى) وهو تحريف الصواب ما أثبتناه نقلاً عن أقدم مخطوط لأرجوزة الشاعر المسماة (نظم السلوك) وقد نشرت محققة بمناية العلامة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور ، ووردت في صدره صيغة المخطوط التي تحمل الاسم الصحيح للشاعر (الرباط سنة ١٩٦٢) والمزوى نسبة إلى قسلة ملو طر من بطون رتبة الكرم .

فأنشدته هذه الأبيات :

اليوم يوم نزهة وعُفار	وتقربُ الآمال والأوطار
أوما ترى شمسَ النهار قد اختفت	وتسترت عن أعين النظار
والغيث سَحَّ غمامه فكأنه	دَنِفٌ بكى من شدة التذكار
والبرق لاح من السماء كأنه	سيف تالَّق في سماءِ غبار
لا شيء أحسن فيه من نيل المنا	بمُدَامته تبدو كشعلة نار
لولا صيام عاقبي عن شربها	لخلعتُ في هذا النهار عذار
لو كان يمكن أن يُعَارَ أعرته	وأصوم شهراً في مكان نهار
لكن تركت سروره ومُدَامه حتى	أكون لديه ذا أفكار
ونديرها في الكأس بين نواهد	تجلو الهُموم بنغمة الأوتار
فجفونها تغنيك عن أكواسها	وخدودها تغنيك عن أزهار

فشكره لما سمعه غاية الشكر ، وقال أسكرتنا بشعرك من غير سُكر .

قال ، وأتيته بهذه الأبيات :

أعلمت بعدك زفرتي وأنييني	وصبابتي يوم النوى وشجون
أودعتُ إذودعتُ وجدأقي الحشا	ما إن تزال سهامه تُصمِين
ورقيبُ شوقك حاضرٌ مترقبٌ	إن رمتُ صبراً بالأسى يُغرين
من بعد بُعدك ما ركنت لراحة	يوما ولا غاضتُ عليك شؤون
قد كنت أبكي الدمع أبيض ناصعا	فاليوم تبكى بالدماءِ جفون
قل للذين قد ادعوا فرط الهوى	إن شيتم علم الهوى فسلون
إني أخذتُ كثيره عن عروة	ورويتُ سايره عن المجنون
هذي روايتنا عن أشياخ الهوى	فإن ادعيتم غيرها فأرون
يا ساكني أكناف رملة عالج	ظفرتُ بدلببكم الغرير يمين

كم بات في جَنح المظلام مُعانق
في روضة نَمّ النسيم بعرفها
والورق من فوق الغصون ترنمت
تصغى الغصون لما تقول فتثنى
والأرض قد لبست غلايل سندس
تاقت على زهر السماء بزهرها
قال أبو فارس ، وكان أمير المسلمين أبو يوسف سار إلى مدينة
سلا ، فبويج بها ولده أبو يعقوب ، وذلك في اليوم الثاني عشر من
شهر ربيع الأول عام أحد وسبعين وستماية ، يوم مولد النبي صلى الله
عليه وسلم ، فأنشدته يوم بيعته هذه القصيدة ورفعتها إليه :

يا ظبية الوعساء قد برح الخفا
كم قد عصيت على هواك عواذلي
حَمَلْتِنِي مَا لَا أَطِيقُ مِنَ الْهَوَى
وكسوتني ثوب النحول فمَنْظري
هذا قتيلكِ فارحميه فإنه
لهفى على زمن تقضى بالجمما
أترى يعود الشمل كيف عهدته
لله دَرَكِ يَا سَلا من بلدة
قد حُزتِ برأ ثم بحرأ طاميا
فإذا رأيت بها القطائع خلقتها
إني صبرت على غرامك^(١) ماكني
وأتاب بالتبعيد منك وبالجمفا
وسقيتيني من غنج لحظك فرقفا
لِلناظرين عن البيان قد اختفا
قد صار من فرط النحول على شفا
وعلى محل بالأجبرع قد عفا
ويصير بعد فراقه مُتَأَلِّقا
من لم يُعَين مثل حُسْنِكَ ما اشتفا
وبذاك زدت ملاحه وتزخرُفا
طيراً يحوم على الوزود مرفرفا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي نسخة الرباط من نظم السلوك (فراقك)

والجاذفين على الرّكيم كأنهم
 جعل الصّلاة لهم ركوعاً كلّها
 والموج^(١) يأتي كالجبال عبابه
 حتى إذا ما الموج أبصر حده
 فكأنه جيش تعاضم كثرة
 ملك به ترضى الخلافة والعلا
 من لم يزل ينسب الفوارس في الوغى
 ألفت محبته القلوب لأنه
 ألقى إليه الأمر والده الذي
 يعقوب الملك الهمام المجتبى
 يهواه من دون البنين كأنما
 طوبى لمن في الناس قبل كفه
 أعطاك ربك وارتضاك لخلقه
 وامتد يمينك للوفود فكلمهم
 فاليوم لا تخشى النعاج ذيابها
 صلح الزمان فلا عدو يتقى
 لم لا وعدك للبرية شامل
 يا من سررت بملكه وعلايه
 فإذا ملكت فكن وفيا حازما
 وأفض بذلك للوجود وكن لهم
 فالجود يصلح ما تعلم في العلا
 إن البرية في يدك رمامها

قوم قد اتخذوا إماماً مُسرفاً
 وأتى ليشرع في السجود مُخففاً
 فتظنه فوق المنازل مُسرفاً
 غصّ العنان عن السرى وتوقفاً
 قد جاء مزدحماً يُبايع يُوسفاً
 وبه تجدد في الرياسة ما عفا
 إن سلّ في يوم الكريهة مرهفاً
 ملك لنا بالجد أضحى متحفاً
 عن كل خطب في الورى ما استنكفاً
 الماجد الأوفى الرحيم الأرفا
 يعقوب يعقوب ويوسف يوسف
 والويل منه لمن غدا متوقفاً
 فاقتل بسيفك من أبا وتخلفاً
 لليوم عاد مؤملاً متشوقفاً
 ويعود من يسطو بها متعطفاً
 لم يخش خلق في علاك تخوقفاً
 طبعاً وغيرك لا يزال تكلفاً
 اليوم أعلم أن دهرى أنصفاً
 واعلم بأن الملك يصلح بالوفا
 كهفاً وكن ببعيدهم مستعطفاً
 وسواه يُفسد في الخلافة ما صفاً
 فاحذر فدنتك إن تكون معنفاً

(٢) وردت في الإسكوريال (والموت) والتصويب من « نغله السلو - »

ما زال حاسدكم يزيد تأسفا
في نظم فخرك كيف شا تصرفا
ما شاء بصنع ناظما ومؤلفا
ما زارت الحجاج مروة والصففا

من في البرية من رجاء يُجار
فالدار لا يبقى بها ديسار
يبلى الزمان وتذهب الأعمار
إن الزمان بأهله غدار
وعليهم كأس المنون تُدار
ومن اللهود عليهم أستار
ومن اللهود عليهم أستار^(١)

بطن الثرى حكمت بذاك عليهم الأقدار
يوم الردى والعسكر الجرار
لجميع أملاك الورى إنذار
إلا أتته منية وبسوار
والقلب فيه لوعة وأوار
أتغيب في بطن الثرى الأعمار
هل فيهم بعد الردى لك جار
بعلا سواك فهجرهم إنكار

يا من تسربل بالمكارم والاعلا
خذها إليك قصيدة من شاعر
خضع الكلام له فصار كعبده
لا زالت الأمجاد تخدم مجدكم
ومن شعره في رثاء الأمير أبي مالك :

سهمُ المنية أين منه فرار
حكّم الزمان على الخلايق بالفنا
عش ما تشاء فإن غايتك الردى
فاحذر مُسالمة الزمان وأمنه
وانظر إلى الأمراء قد سكنوا الثرى
تركوا القصور لغيرهم وترحلوا
قد وسدوا بعد الحرير جنادلاً

منعوا السرى للقباب وأسكنوا
لم تنفع الجرد الجياد ولا القنا
في موت عبد الواحد الملك الرضا
أن ليس يبقى في الملوك مُملك
ناديته والحزن خامر مهجتي
يا من بطن الأرض أصبح أفلاً
أين الذين عهدت صفو وداهم
تركوك في بطن الثرى وتشاغلوا

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال وسابقتها في البيت السابق . والظاهر أن هناك

لما وقفتُ بقبسه مُترحِّماً حان العزا وهاجني استيعبار
فبكيتُ دمعاً لو بَكَتْ بِمثاله غرُّ السحاب لم تكن أمطار
يا زائريه استغفروا لمليكم ملكُ الملوك فإنه غفار
وفاته

توفي خنقاً بسجن فاس بسعايةٍ سُعيت به ، جَناها تهوره في وسط عام
سبعة وتسعين وستماية ، وقد كان جُعِل له النظر في أمور الحِسبة ببلاد
المغرب (١) .

(ومن العمال)

عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الأسدي العراقي
من أهل وادي آش ، نزل سلفه طُرش من أحوازها ، وجده استوطنها ،
وذكروا أنه كان له بها سبعون غلاماً . وجده للأُم أبو الحسن بن عمر
شارح الموطأ ومُسلم ، ومُصنّف غير ذلك . كذا نقلته عن أبي عبد الله
العراقي ، قريبه .

حاله

كان طبيبياً ، شاعراً مجيداً ، حسن الخط ، طَريف العمل ، مُشاركاً في
معارف . تولّى أعمالاً نبهية .

شعره

نقلته من خطّه ما نصه :

صرفت لخير صَدْرِي الزمان عريق في أصلته عِنان
كريم المُنتَمي من خير بيت سليلُ مَجَادة ورفيع شان
رحيبٌ بنا فضل غير وان عن الأفضال في هذا الأوان

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة

ومن هذا أذاك هو ابن عيسى
 أبو عبدلٍ إنه المُنتمى من
 ذراني في مَجَادته مجباً
 فأنسُ ثم بشرُ بالأماني
 سرُّ الله ما أولى لسيرِ
 ويوجب ذوالفضائل كل فضل
 وكم زهر رآه وسط روض
 بمالقة وبالأقطار أضحّت
 فأيدو الآله لسوف يأتى
 قواف من الحكيم قواف
 يفوق نظيمها من كل معنى
 متى خفّ ازدحام من هموى
 شكرتُ الله ثم صفا فؤادى
 فهانذا ببيركم غداي ولى
 محبُّك حيث كنت بلا سلو
 ثنائى ثابت يبقى بقاى
 وما تهبُّ الأَكفُ قِراك فان
 هنيئاً بالنزاهة فى سرور
 فلا زالت مسرته تُوالى
 محمد المُعان على المعان
 مُساوى الفضل فى سُرى العِنان
 فهشُّ لما به يحوى جَنان
 ورفعُ بعد تأنيسِ مكان
 وليس كمن رآنى فازدَران
 بما فيها ترشّحت الأوان
 وكم هاذ يدي بين الدنان
 معاليكم مُشيدة المبان
 لكم منى سوابقُ فى الرهان
 محامدُ للسمع وللعيان
 سلوك الدر من حلى الحِسان
 ورُجيت الأمان مع أمان
 وأملى ما تحبُّ على لسان
 منكم على بُعدى تَدان
 وضيْفُك فى البُعاد وفى التَّوان
 ومن بُعدى على طول الزمان
 وما تهبُّ الطُّروس فغير فان
 ومع من لا لهُ فى الفضل ثان
 ولا زالت تُزفُّ لك التَّهان

« وفاته » : ببلدة وادى آش عام خمسة عشر وسبعماية .

عبد القادر بن عبد الله بن عبد الملك بن سوار المحاربي

حاله

هذا الرجل دَمِثُ الأخلاق ، سَكُونٌ ، وقور . خدم أبوه بقرنطة كاتباً للقرظة ، منوهاً به ، مشهوراً بكرم وظرف . وانتقل إلى العُدوة ، ونشأ ابنه المذكور بها ، وارتسم بخدمة ولي العهد الأمير أبي زيّان ، وورد على الأندلس في وسط عام سبعة وخمسين وسبعماية في بعض خدمه ، وأقام بقرنطة أياماً يحاضر محاضرة يُتَأَنَسُّ به من أجلها الطالب ، وينتظم بها مع أولى الخصوصية من أهل طريقه ، وينقل حكايات مُسْتَطَرَفَةٌ . فمن ذلك أن الشيخ عبد الرحمن بن حسن القَرَوِي الفاسي كان مع أبي القاسم الزياني بجامع القرويين ليلة سبع وعشرين من رمضان ، فدخل^(١) عليهم ابن عبدون المكناسي ، فتلقاه الزياني وتأيده ، وتوجهوا إلى الثريا بالقرويين وقد أُوقِدَتْ ، وهي تحوى على نحو ألف كاس من الزجاج ، فأنشد الزياني :

أنظر إلى نارِيَّةٍ نورها يَصُدُّعُ بالألإِ حَجَبَ الغَسَقِ

فقال ابن عبدون :

كانَّها في شكلها زهرةٌ انتظم النور بها فاتَّسَقِ

وحُكِيَتِ القصة للأديب الشهير أبي الحكم مالك بن المُرْحَلِ ،

فقال لو حضرت أنا لَقُلْتُ :

أعيذُها من شرِّ ما يُتَّقَى من فجأة العين بربِّ الفلَقِ

واستنشدت من شعره في الثامن والعشرين لربيع الآخر من العام بقصر

(١) وردت في الإسكوريال (دخل) فاقضى التصويب .

نَجِدُ ، فقال من حكايات ، إن السلطان أمير المسلمين وجد يوماً على رجل
أمر بتنكيله ، ثم عَطَفَ عليه في الحال وأحس إليه ، وكان حاضراً مجلسه
أبو الحسن المزدغى رحمه الله ، فأنشده بديهة :

لا تَوَيْسَنَّكَ من عِثْمَنٍ سَطْوَتُهُ وإن تَطَّأير من أثوابه الشرر
فإن سَطْوَتَهُ والله يكلاه كالبرق والرعد يأتي بعده المطر

قال المترجم به ، فحدثني بذلك والدي ، فتعقبْتُها عليه عام تسعة
وعشرين وسبعماية ، لموجب جر ذلك بقولي :

لا تَيَاسَنَّ من رجا كهف الملوك أبي سعيد المرتجى للنفع والضرر
وإن بدا منه سخطُ أورأيت له من سطوة أقبلت ترمىك بالشرر
فإنما شيءٌ مثل الرعد يتبعه برقٌ ومن بعده ينهل المطر

وأنشأني لبعض الأحداث من طلبية فاس ، يخاطب صاحبنا الفقيه
الكاتب أبا عبد الله بن جزي ، وقد توعدده على مَظلي باستنساخ كتاب
كان يتناول له وهو بديع :

إذا ما أتت أبطال قيس وعامر وأقبال عبس من بغمام وقصور
تُصادمني وسط الفلا لا تهولني فكيف أبالي بابين جزو مصغر
« مولده » : بفاس في العشر الأول لذي حجة عام تسعة وسبعماية .

ومن الزهاد والصلحاء: وأولا الأصليون

عبد الأعلى بن معلان

يكى أبا المعلى الإلبيري . من قرى القلعة^(١) ، وشأ بالحاضرة .

(١) القلعة بمعد ٧ قلعه بحصب أو قلعة بى سجد . وقد سبق التعريف ٧ (راجع المجلد الثالث

من الإحاطة ص ٢١٢ وكذلك المجلد الأول ص ١١١ حشيه)

وكان ينسب إلى خولان . ويذكر أنه أسلم على يدي رجل من خولان ، فتولاه وانتسب إليه ، وخرج إلى البيرة ، ونشأ بها ، وشُغِفَ بكتب عبد الملك بن حبيب ، ولم يكن أحد في عصره يشبهه في فضله وزهده وورعه ، وتواضعه وانقباضه ، وتستره . أرسل إليه حسين بن عبد العزيز أخو هاشم بن عبد العزيز ، وهو بالبيرة يرغب إليه في أن يشهد جنازة ابنة توفيت له ، كان يُشغِفُ بها ، فتعذّر عليه إذ خشي الشهرة .

وقال لبعض جلسائه ، ما علمت أن حُسَيْنًا يعرفني ، وعمل على الخروج من البيرة ، ونهياً للخروج للحج ، فحج ، فلما كان مُنصَرَفه ، ونزل في بعض السواحل ، وجد هنالك مركبين يُشحنان ، فرغب كل من أصحاب المركبين ، أن يركب عنده ، وتنافسوا في ذلك ، حتى خشي أن تقع الفتنة بينهم ، فاهتم لذلك ، ثم اضطلع أرباب المركبين ، على أن يُخْرِج كل واحد منهما قاربه إلى البر ، فمن سبق قاربه إليه دخل عنده . ونزل في مُنصَرَفه ببجاية وسكنها إلى أن توفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين .

عبد المنعم بن علي بن عبد المنعم بن إبراهيم بن سدرای بن حَقِيل

يكنى أبا العرب ، ويشهر بالحاج ، ويُدعى بكنيته

حاله

كان علماً فاضلاً صالحاً ، منقطعاً متبتلاً ، بارع الخط ، مجتهداً في العبادة ، صاحب مكاشفات ، وكرامات . نبذ الدنيا وراء ظهره . ولم يتلبس منها بشيء . ولا اكتسب مالا ولا زوجة . وورث عن أبيه مالا خرج عن جميعه . وقطع رمن فتايه في السياحة وخدمة الصالحين ، وزمان

شيخوخته ، في العزلة والمراقبة ، والتزام الخلوة . ورحل إلى الحج ،
وقرأ بالشرق ، وخدم مشايخ من الصالحين . منهم الفخر الفارسي ،
وأبو عبد الله القرطبي وغيرهما ، وكان كثير الإقامة بالعلوة ، وفشا أمره
عند ملوكها ، فكانوا يزورونه ، ويتبركون به ، فيعرض عنهم ، وهو
أعظم الأسباب في جواز أهل المغرب لنصرة من بالأندلس في أول الدولة
النصرية ، إذ كان الروم قد طمعوا في استخلاصها ، فكان يحرض على
ذلك ، حتى عزم صاحب العدة على الجواز ، وأخذ في الحركة ، بعد
استدعاء سلطان الأندلس إياه . وعندما تعرف يغمور بن زيان ملك تلمسان
ذلك كله على بلاده بما منع من الحركة ، فخاطبه الحاج أبو العرب
مخاطبته المشهورة ، التي كفت عدوانه ، واقتصرته عما ذهب إليه .
وكان حيا في صفر عام ثلاثة وستين وستماية ، وهو تاريخ مخاطبته
أبا يحيى يغمور بن زيان .

ومن الطارئين وغيرهم

عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن فتح بن سبعين العكبي^(١)
مُرسى ، رُقُوطى^(٢) الأصل ، سكن بآخرة مكة ، يكتب أبا محمد ،
ويعرف بابن سبعين .

حاله

قال ابن عبد الملك ، درس العربية والأدب بالأندلس ، عند جماعة

(١) مكداو الإسكوريال وفي الزيتونة (الحكى)

(٢) رُقُوطى نسبة إلى رُقُوطة ، وهي بلدة أندلسية صغيرة تقع شمال غربي مرسية على مقربة

من هرشفور . وبالإسبانية « Ricate » .

من شيوخها . ثم انتقل إلى سبته ، وانتحل التصوف . بإشارة بعض أصحابه ، وعكف برهة على مطالعة كتبه ، وتعرض بعد لإسماعها ، والتكلم على بعض معانيها ، فمالت إليه العامة ، وغشيت محلّه . ثم فصل عن سبته ، وتجول في بلاد المغرب منقطعا إلى طريقة التصوف ، داعيا إليها ، محرضا عليها . ثم رحل إلى المشرق : وحج خجججا ، وشاع ذكره ، وعظم صيته هنالك ، وكثر أتباعه على مذهبه ، الذي يدعو إليه من التصوف نحلة . ارتسموا بها من غير تحصيل لها ، وصنف في ذلك أوصافا كثيرة ، تلقوها منه ، وتقلدوها عنه ، وبثوها في البلاد شرقا وغربا ، ولا يخلو أحد منها بطايل ، وهي إلى وساوس المخبولين ، وهذيان الممروضين أقرب منها إلى منازع أهل العلم ، ولفظه غير ما بلد وصقع ، لما كان يرى به من بلايا الله أعلم بحقيقتها ، وهو المطلع على سريرته فيها . وكان حسن الأخلاق ، صبورا على الأذى ، آية في الإيثار ، أبدع الناس خطأ .

وقال أبو العباس الغبريني في كتاب « عنوان الدراية »^(١) عند ذكره ، وله علم وحكمة ومعرفة ، ونباهة وبلاغة وفصاحة . ورحل إلى العنوة ، وسكن بجاية مدة ، ولقيه من أصحابنا ناس كثير ، وأخذوا عنه ، وانتفعوا به في فنون خاصة له ، مشاركة في معقول العلوم ومنقولها ، ووجاهة لسان ، وطلاقة قلم ، وفهم جنان ، وهو آخر الفضلاء ، وله أتباع كثيرة من الفقراء ، ومن عامة الناس ، وله موضوعات كثيرة ، موجودة بأيدي الناس ، وله فيها ألغاز وإشارات بحروف أبي جاد . وله تسميات مخصوصات في كتبه هي نوع من الرموز . وله تسميات ظاهرة كالأسامي^(٢) المعهودة ،

(١) واسمه الكامل (عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية)

(٢) وردت في الإسكوريال (كالأسامي) والتصويب من الزيتونة

وله شعر في التحقيق . وفي مراقي أهل الطريق ، وكتابه مُستحسنة في طريقة^(١) الأدباء . وله من الفضل والمزية ، ملازمته لبيت الله الحرام ، والتزامه الاغتمار على الدوام ، وحثه مع الحجاج في كل عام ، وهذه مزية لا يُعرف قدرها ولا يُرام . ولقد مشى به للمغاربة بحظ في الحرم الشريف ، لم يكن لهم في غير مُدته . وكان أصحاب مكة شرفها الله ، يبتدون بأفعاله ، ويعتمدون على مقاله .

قلت ، وأغراض الناس في هذا الرجل متباينة ، بعيدة عن الاعتدال ، فمنهم المؤمن^(٢) المكفر ، ومنهم المقلد المعظم ، وحصل لطرق هذين الاعتقادين من الشهرة والذِّياح ما لم يقع لغيره . والذي يقرب من الحق ، أنه كان من أبناء الأصالة ببلده ، ووُلِّي أبوه حُظَّة المدينة ، وبيته نبيه ، ونشأ ترفاً مُبجلاً ، في ظل جاه ، وعزُّ نعمة ، لم تفارق معها نفسه البلد . ثم قرأ وشدا . ونظر في العلوم العقلية . وأخذ التحقيق عن أبي اسحق ابن دهاق . وبرع في طريقة الشوذية^(٣) . وتجرد واشتهر ، وعظَّم أتباعه ، وكان وسيما جميلا ، ملوكي البزة ، عزيز النفس ، قليل التصنع ، يتولى خدمته الكثير من الفقراء السفارة . أولى العبا والدقاقيس ، ويحفون^(٤) به في السكك ، فلا يعدم ناقدا ، ولا يفقد متحاملا . ولما توفرت دواعي^(٥) النقد عليه من الفقهاء زياً وانتبازاً ونحلة وصحبة واصطلاحا . كثر عليه التأويل ، ووجهت لألفاظه المعاريض ، وفُليت

(١) هكذا في الزيتونة . وفي الإسكوريال (طريق) . والأولى أنسب .

(٢) هكذا في الزيتونة . وفي الإسكوريال (المرق) . والأولى أنسب .

(٣) الشوذية هم إحدى الطرق الصوفية .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يحتفوا) .

(٥) ورد في الإسكوريال (داعي) . والتصويب من الزيتونة .

موضوعاته ، وتعاورته الوحشة ، ولقيه فحول من مُنتابى تلك النحلة ،
 قَصُر أكثرهم عن مداه في الإدراك والاضطّلاع ، والخوض في بحار تلك
 الأغراض. وساءت منه لهم في الملاحظة السيرة ، فانصرفوا عنه مكظومين
 يُندرون^(١) في الأفاق عليه من سوء القبيلة ، مالا شيء فوقه . ورحل إلى المشرق ،
 وجرت بينه وبين الكثير من أعلامه خطوب . ثم نزل مكة شرفها الله تعالى
 واختارها قرارا ، وتلمذ له أميرها ، فبلغ من التعظيم الغاية . وعاقه
 الخوف من أمير المدينة العظيمة النبوية ، عن القدوم عليها ، إلى أن توفى ،
 فعظم عليه الحَمَل لأجل ذلك ، وقبّحت الأُخوثة .

شهرته ومحلّه من الإدراك

أما اضطّاعه ، فمن وقف على « البُدُّ » من كُتبه ، رأى سعة ذرعه
 وانفِيساح مدى نظره ، لما اضطلع به من الآراء والأوضاع والأسماء ، والوقوف
 على الأقوال ، والتعمق في الفلسفة ، والقيام على مذاهب المتكلمين ، بما
 يقضى منه العجب . ولما وردت على سبّنة المسائل الصُّقلية^(٢) ، وكانت
 جملة من المسائل الحكّمية ، وجهها علماء الروم تبيكيتاً^(٣) للمسلمين ، انتدب
 إلى الجواب عنها ، على فتى من سنّه ، وبديهة من فكرته . وحدثني شيخنا
 أبو البركات ، قال حدثني أشياخنا من أهل المشرق ، أن الأمير أبا عبد الله بن
 هود ، سالم طاغية النصارى ، فنكث عهده ، ولم يفِ بشرطه ، فاضطه
 ذلك إلى مخاطبته إلى القومس الأعظم برومة ، فوكل أبا طالب بن سبعين ،
 أخا أبي محمد ، المتكلم عنه ، والاستظهار بالعقود بين يديه . قال فلما
 بلغ باب ذلك الشخص المذكور برومة ، وهو بلد لا تصل إليه المسلمون ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يتندرون) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (العقلية)

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (تنكيتا) .

ونُظِرَ إلى ما بيده ، وسُئِلَ عن نفسه ، كَلِمَ ذلك القَسَمِ من دنا منه محلّه من علمائهم بكلام ، تُرجم لأبي طالب بما معناه ، اعلّموا أن أخا هذا ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه .

دعواه وإزراءه

وقد شُهر عنه في هذا الباب كثير والله أعلم باستحقاقه رتبة ما ادعاه أو غير ذلك . فقد ذكروا أنه قال ، وقد مر ذكر الشيخ أبي مَدِينِ رحمه الله ، شُعيبُ عبد عمل ، ونحن عبيد حضرة . وقال لأبي الحسن الشُّشْتَرِي عندما لقيه ، وقد سأله عن وجهته ، وأخبره بقصده الشيخ أبا أحمد ، إن كنت تريد الجنة فشأنك ومَنْ قَصَدْتَ ، وإن كنت تريد رب الجنة فهلم إلينا ، وفي كتاب « البُدُّ » ما يُتَشَوَّفُ إليه من هذا الغرض عند ذكره حكماء الملة . وأما ما يُنسب إليه من آثار السِّمِيَاءِ والتصريف فكثير .

توآليفه

وتوآليفه كثيرة تشذ عن الإحصاء ، منها كتابه المسمى بالبُدُّ «بُدُّ العارف» ، وكتاب الدرّج ، وكتاب الصفر ، والأجوبة اليمينية ، والكلُّ والإحاطة . وأما رسايله في الأذكار ، كالنورية في ترتيب السلوك ، وفي الوصايا والعقايد فكثير ، يشتمل على ما يشهد بتعظيم النبوة ، وإيثار الورع ، كقوله من رسالة : « سلام الله عليك ورحمته . سلام الله عليك ثم سلام مناجاتك . سلام الله ورحمته الممتدة على عوالمك كلها ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وصلى الله عليك كصلاة إبراهيم من حيث شريعته ، وكصلاة أعز ملائكته من حيث حقيقتك ، وكصلاته من حيث حقه ورحمانيته . السلام عليك يا حبيبه . السلام عليك ياقياس

الكمال ، ومقدمة السعد ، ونتيجة الحمد ، وبرهان المحمود ، ومن إذا نظر
الذهن إليه قد أنعم العيد ، السلام عليك يا من هو الشرط في كمال
الأولياء ، وأسرار مشروطات الأزكياء الانتقياء . السلام عليك يا من جاوز
في السماء مقام الرُّسل والأنبياء ، وزاد رفعة ، واستولى على ذوات الملائكة
الأعلى ، ولم يسعه في وجهته تلك إلا ملاحظة الرفيق الأعلى ، وذلك قوله ،
سَبِّحْ اسمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى إِلَى الْأُخْرَى وَالْأُولَى ، لا إِلَى الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ، وبلغ
الغاية والمطلوب ، التي عجزت عنه قوة ماهية النهى ، وزاد بعد ذلك ،
حتى نظر تحته من ينظر دونه سِدْرَةَ الْمُنتَهَى ، إلى استغراق كثير ،
أفضى إلى حال من مقام .

ومن وصاياه يخاطب تلاميذه وأتباعه : حَفِظْكُمْ اللَّهُ ، حافظوا على
الصلوات ، وجاهدوا النفس في اجتناب الشهوات ، وكونوا أوَّابِينَ ،
تَوَّابِينَ ، واستعينوا على الخيرات بمكارم الاخلاق ، واعملوا على نَيْلِ
الدَّرَجَاتِ السَّنِيَّةِ ، ولا تَغْفَلُوا عن الاعمال السُّنِّيَّةِ ، وحَصِّلُوا مَخْصَصَ
الْأَعْمَالِ الْإِلَهِيَّةِ وَمُهْمَلَهَا ، وذوقوا مُفَصَّلَ الذَّاتِ الرَّوْحَانِيَّةِ وَمَحْمَلَهَا ،
ولازموا المودة في الله بينكم ، وعليكم بالاستقامة على الطريقة ، وقدموا
فرض الشريعة على الحقيقة ، ولا تفرقوا بينهما ، لأنهما من الأسماء
المترادفة ، واكفروا بالحقيقة التي في زمانكم هذا ، وقولوا عليها وعلى
أهلها لعنة الله ، لأنها حقيقة كما سمي اللُدَيْغُ سَلِيمًا ، وأهلها مُهْمِلُونَ حَدَّ
الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، مستخفون بشهر الصوم والحج وعاشوراء والإحرام ،
قاتلهم الله أنى يُؤفكون .

ومنها : واعلموا أن القريب إلى منكم ، من لا يخالف سنة أهل السنة
ويوافق طاعة رب العزة والمِنَّة ، ويؤمن بالحشر والنار والجنة ، ويفضل

الرؤية على كل نعمة ، ويعلم أن الرضوان بعدها ، أجل كل رحمة ،
ثم يطلب الذات بعد الأدب مع الصفات والأفعال ، ويغبط نفسه بالمشاهدة
في النوم والبرزخ والأحوال ، وكل مخالف سخيْف : مُتهم منه الفساد ،
وإن كان من إخوانكم ، فاهجروه في الله ، ولا تلتفتوا إليه ، ولا تُسلموا
له في شيء ، ولا تُسلموا عليه حتى يستغفر الله العظيم بمحضر الكل
منهم ، ويرضى عن نفسه وحاله وعنكم ، ويخرج من صفاته المذمومة ،
ويترك نظام دعوته المحرومة . وأنا مذ أشهدت الله العظيم ، أني قد خرجت
من كل مُخالف متخلف العقل واللسان ، ولا نسبة بيتي وبيته في الدنيا
والآخرة ، فمن زلَّ قدمه يستغفر الله ، ولا يخدعه قدمه ، وأمثال هذا كثير .

دخوله غرناطة

أخبرني غير واحد من أصحابنا المعتنين بهذا ، أنه دخل غرناطة في
رحلته ، وأظنه يجتاز إلى سبتة ، وأنه حل وسَطَه ، على اصطلاح الفقراء ،
برابطة العقاب^(١) من خارجها ، في جملة من أتباعه .

شعره

وشعره كثير ، مما حضرني منه الآن قوله :

كم ذا تَمَوَّه بالشُّعْبِينِ والعِلْمِ والأمر أَوْضَحُ من نارِ على عَنَمِ
وكم تَعَبَّرُ عن سَلْعٍ وكَاظِمَةٍ وعن زُرُودٍ وجِيرَانٍ بذي سَلَمِ
ظَلَلْتَ تُسْئَلُ عن نَجْدٍ وَأَنْتِ بِهَا وعن تِيهَامَةٍ هَذَا فَعَلِ مُتَّهَمِ
في الحَيِّ حَتَّى وَلَا سِوَى لَيْلِي وتَسَأَلُهَا عنها سِوَالِكَ وَهَمَّ جَرٌّ لِلْعَدَمِ

(١) هي إحدى الربط التي كانت تخصص للعبادة . وكانت تقع في مقربة من شرق غرناطة .
وقد سبقت الإشارة إليها (الإحاطة المجلد الثاني ص ١٥٥ حاشية) .

« وفاته » ، توفي بمكة شرفها الله تعالى يوم الخميس التاسع لشوال من عام تسعة وستين وسبعمائة .

وفيا يسمى بإحدى عيون الإسلام من الأسماء العينية
 وهم عتيق وعمر وعثمان وعلي ، وأولا الأمراء والملوك
 وهم ماين طاريء وأصلي وغريب

عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر الإسلامي بن كسهم^(١) بن دميان^(٢)
 ابن فرغلوش بن أذفونش^(٣)

كبير الثوار، وعظيم المنتزين، ومُنازع الخلفاء بالأندلس .
 أوليته وحاله

قال صاحب التاريخ ، أصله من رُنْدَة ، من كورة تَاكُرْنَا ، وجده
 جعفر إسلامي^(٤) ، وانتقل إلى رندة ، لأمر دار عليه بها في أيام الحكم بن
 هشام ، فسكن قرية طرجيلة من كورة ربه المجاورة لحصن أوطة ، فاستوطن
 بها ، وأنسل بها عمر ، ثم أنسل بها عمر حفصاً ، وفُخْم فقييل حَفْصُون .
 ثم أنسل عمر هذا الثاير مع أخوة له ، منهم أيوب وجعفر . ولما ترعرع
 عمر ، ظهر له من شراسته وعتوه ، ما لم يعدم معه أبواه هرباً عن مواضعهما
 فزالا عن وطنهما ، فذكر أنه لم يُمسك من حين كان عن أحد ممن ناظره ،

(١) هذا الاسم زائد في مخطوط الإسكوريال . ولم يرد في نسبة عمر بن حفصون المعروفة لنا .
 (٢) وردت في الإسكوريال (ذبيان) . وهو تحريف والصحيح ما أثبتناه .
 (٣) وردت في الإسكوريال (اريوس) وهو تحريف والصحيح ما أثبتناه .
 (٤) المقصود هنا بأن جده جعفر هو أول من أسلم من أسلافه .

ولا سكت عن أقبح ما يمكن من السب لمن عاتبه ، وأنه قتل أحد جيرانه على سبب يسير دافعه عنه ، فتغرب لذلك عن الموضع زمانا .

وذكر ابن القوطية ، أن عامل ريه ، عاقبه في جنانية ، وفر إلى العُدوة ، وصار يتهرب عند خياط كان من أهل ريه ، فبينما هو جالس في حانوته يوما ، إذ أتاه شخص بثوب يقطعه ، فقام إليه الخياط ، فسأل ذلك الشخص الخياط عن عمر ، فقال له هو رجل من جيراني ، فقال الشيخ متى عهدك بريه ، فقال له ، منذ أربعين يوما ، فقال له ، أتعرف جبلا يقال له ببشتر^(١) ، فقال أنا ساكن عند أهله ، فقال أله حركة ، قال لا ، قال الشيخ قد أذن ذلك . ثم قال ، تعرف فيما يجاوره رجلا يقال له عمر بن حفصون ، ففزع من قوله ، فأحدَّ الشيخ النظر فيه وقال ، يا منحوس ، تحارب الفقر بالإبرة ، إرجع إلى بلدك ، فأنت صاحبُ بني أمية ، وستملك ملكاً عظيماً ، فقام من قوره ، وأخذ خُبزة في كُمه ، ورجع إلى الأندلس . فداخل الرجال ، حتى ضبط الجبل المذكور ، وانضوى إليه كل من يتوقع التهمة على نفسه ، أو تشهره إلى الانتزاع بطبعه ، وضمَّ إلى القلعة كل من كان حولها من العجم والمولدين . ثم تملك حصن أوطه وميجش ، ثم تملك قمارش وأرجلونه^(٢) . ثم اتسع نظره ، حتى تملك كورة ريه ، والخضراء ، وإلبيرة ، إلى بسطة وأبدة وبياسة وقبرة ، إلى حصن بلي ، المطل على قرطبة . وأشرق الخلافة بريقها ، وقطع الزمان من استكانة إلى عهد . وكشف الوجه في ختر ، وتشمير الساعد عن حرب ، وحسر اللثام عن أيد وبسطة . وشد الحزام على جهد وصبر ، ونازله

(١) جبل ومدينة ببشتر ، يقمان شمال عربي مالقة في قلب كورة رية . و الإسبانية « Bobastro »

(٢) تقع قارش على مقربة من شمال مالقة ، وتقع أرشونه أو أرجلونه في شمالها ، وفي شمال =

الخلايف والقواد ، فلم يحل بطايل ، وأصابته جراحات مُشخنة في الوقايح
وأصبحت فنتته سمر الركاب ، وحديث الرفاق ، شدة أسر ، وثقل وطأة ،
وسعة ذرع ، واتصال جبل ، وطول إملاء ، استغرق بها السنين ، وطوى
الأعمار ، وأورث ذلك ولده بعده ، وعند الله جزاء وحساب ، وإن امتد
المآب ، لا إله إلا هو .

دخوله عرناطة وإلبيرة

قال ابن الفياض وغيره ، ودخل إلبيرة مرات ، عندما ثار بدعوته ،
قاتل ، وانضوى إلى حصن منتشافر^(١) ، من إقليم برجيلة قيس ، في نحو
سنة آلاف ، وتغلب على يحيى بن صيقالة ، ثم نازله سوار بن حملون
أمير العرب بغرناطة ، حتى غلبه ، وأخذه أسيرا ، ثم أوقع بجعد ومن
معه من أهل إلبيرة وقايح مُستأصلة ، وتملك بعدها بياسة وأبدة ، في
أخبار تطول . قال أبو مروان ، قصد ابن حفصون حاضرة إلبيرة وحصونها ،
وناصب الحرب سواراً ، وقد استمد سوار رجالا العرب ، من كورتي
جيان وريه وإلبيرة . ف وقعت الهزيمة على ابن حفصون . وجرح جراحات
مُشخنة ، وأصيب جماعة من فرسانه ، وانقلب منهزما . فغضب عند ذلك
على أهل إلبيرة فأغرمهم مغرماً فدحهم ، واستعمل عليهم - حفص بن المرّة ،
فلم يزل يعمل الحيل على سوار . حتى أوقع به . وأتى بجثته إلى إلبيرة -
وحمل رأسه إلى بيشتر ، واستشرى داؤه . وأعين أمره . فاتصل ملكه
بالقواعد والأقطار ، وغلب أكثر المدن . ما بين الأوسط والغرب . وأحدق

« شرق بيشتر بنفس الولاية ، وهي بالإسبانية على التوالى » Comares Archidona .

(١) هذه تسمية ابن حيان لهذا الحصن . وفي تسمية أخرى حصن منت شفتد .

ملكه بقرطبة ، وحجر عليها الخيل من حصن بُلي^(١) . من حصون قَبْرَة ، فجلت الكَنْبَانِيَّة^(٢) ، وامتدَّ إلى بنيان المعقل . ولما رأى الأمير حمد^(٣) ما أحاط به منه ، تَأَهَّبَ إلى غزوه . ونزل حصن بُلي ، وناهضه . فأوقع به ، وهزمه وألجأه إلى أن سَلَّمَ في حصنه . فلما خرج منه بن معه ، تطيَّرهم ريح الفرار والسيوف تأخذهم . استولى الخليفة على الحصن . وفي ذلك يقول أحمد بن عبد ربه ، شاعر دولتهم :

وله يوم بُلي وقعة لم تدع للكُفْر رأساً في ثَبَج
لم يجد إبليس في حَوْمَتِهَا نفعا من رهبة حيث بَلَج
دفعتهم حملة السَّيْلِ إلى كافيح الأمواج مخضُّ اللُّجج
فتح الله على الدِّين به وعلى الإسلام يا عامرتج

وكان هذا الفتح سنة سبع وسبعين ومائتين^(٤) . ثم استخلص مدينة إِسْتِجَّة .

وفاته

قال ، ومن هذا العهد ، أدبَر أمر ابن حفصون . وتوقَّف ظهوره ،

(١) حصن بلي أو بول أو بلاي وبالاسبانية « Poley » أو « Polei » ، يقع شمال غربي لوشة ، وشرق قبرة على مقربة من نهر شنيل . وتسمى البلدة التي قامت مكانه اليوم ببلدة أجيلار «Aguilar» (راجع المجلد الأول ص ١١١ حاشية) .

(٢) الكنبانية هم الفلاحون أو الزراع الذين يزرعون الأرض المنبسطة وأصلها من الإسبانية « Campesino » .

(٣) هذا خطأ تاريخي من ابن الخطيب ، لأن الأمير محمد بن عبد الرحمن أمير الأندلس المتوفى في ربيع الأول سنة ٢٧٢ هـ لم يكن هو الذي اضطلع بمعركة بلي ضد ابن حفصون . وإنما الذي اضطلع بها هو ولد الأمير عبد الله الذي جلس على العرش في شهر صفر سنة ٢٧٥ هـ .

(٤) وهذا خطأ تاريخي آخر لابن الخطيب . لأن معركة بلي التي نشبت بين جيش الأمير عبد الله وقوات ابن حفصون عند حصن بلي وأحرز فيها الأمير نصره الباهر على ابن حفصون . وقعت في ربيع الأول سنة ٢٧٨ هـ . وليس في سنة ٢٧٧ هـ . (راجع كتابي ده لة الإسلام في الأندلس الطبعة الرابعة ص ٣٢٤ - ٣٢٦) .

بعد تخبط شديد ، ولجأ كبير ، وشرُّ مُبِير ، وكانت وفاته ببُشتر ، موضع انتزائه على عهد الخليفة عبد الرحمن في سنة ست وثلاثمائة ، بعد مرض شمل النَّفْحُ به جسده ، حتى تشقَّق جلدُه ، وانتقل أمره إلى ولده جعفر ، ثم إلى ولده سليمان ، ثم إلى ولده حفص . وعلى حفص انقرض أمرهم .

عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي

بَطْلَيْوسِي ، مِكناسِي الأَصْل ، من مِكناسة الجوف ، الأمير بالشغر الغربي ، الملقب من ألقاب السلطنة بالمتوكل على الله ، المكنى بأبي محمد ، المُنبِز بابن الأَفطس .

أوليته

قال ابن حيان ، كان جدُّهم عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الأَفطس ، أصله من فحص البلوط^(١) ، من قوم لا يدعون نباهة ، غير أنه كان من أهل المعرفة التامة ، والعقل ، والدهاء ، والسياسة . ثم كان هذا الصُّقع الغربي ، بطليوس وأعمالها ، وشتتَين والأشبونة ، وجميع الشجر الجوفي في أمر الجماعة ، رجل من عبيد الحكم المستنصر^(٢) ، يسمى سابور . فلما وقعت الفتنة ، وانشقت العصا ، انتزى سابور على ما كان بيده . وكان عبد الله يدبر أمره إلى أن هلك سابور ، وترك ولدين لم يبلغا الحُلُم ، فاشتمل عبد الله على الأمر ، واستأثر به على ولديه ، فحصل على

(١) فحص البلوط وبالاسبانية « Las Pedroches » هو موضع يقع على مقربة من قرطبة في واد منبسط تكثر به أشجار البلوط . وكانت تسكنه بعض طوائف البربر .

(٢) وردت في الإسكوريال (المتصر) . وهو تحريف ، وصوابه الحكم المستنصر .

مُلك غرب الأندلس ، واستقام أمره ، إلى أن مضى بسبيله ، وأعقبه
 إبنيه المظفر محمد بن عبد الله ، وكان ملكا شهيرا عالما شجاعا أديبا ، وهو
 مؤلف الكتاب الكبير المسمى بالمظفرى ، فاستقامت أموره إلى أن ثوى
 فقام بأمره ولده عمر هذا المترجم به .

حاله

قال ابن عبد الملك ، كان أديبا بارع الخط ، حافظا للغة ، جوادا ،
 راعيا حقوق بلده ، مؤاخيا لهم ، مُحبيبا فيهم ، مرت لهم معه أيام هُدنة
 وتفضل إلى حين القبض عليه .

وقال الفتح في قلائده : ملك جند الكتائب والجنود ، وعقد الألوية
 والبنود ، وأمر الأيام فاثمرت ، وطافت بكعبته الآمال واعتمرت ، إلى
 لسن وفصاحة ، ورخب جناب للوافدين وساحة ، ونظم يُزرى بالدر النظيم ،
 ونثر تسرى رفته سُرى النسيم ، وأيام كأنها من حسنها جُمع ، وليال كان
 فيها على الأتس حضور ومجتمع ، راقت إشراقا وتبُلجا ، وسالت مكارمه
 فيها أنهارا وخلجا ، إلى أن عادت الأيام عليه بمعهد العلوان ، ودبت إليه
 دبيبها لصاحب الإيوان ، وانبرت إليه انبراءها لابن زهير وراء عمان .

شعره

بلغه أنه ذكر في مجلس المنصور يحيى أخيه بسوء ، فكتب إليه بما نصه
 فما بالهم لا أنعم الله بالهم ينيطون بي ذما وقد علموا فضلى
 يسيئونلى فى القول جهلا وضلة وإنى لا أرجو أن يسيئهم فعلى
 لئن كان حقا ما أذاعوا فلا مشت إلى غاية العلياء من بعدها رجلى
 ولم ألق أضيافى بوجه طلاقة ولم أمنح العافين فى زمن المَحَل

وكيف وراحي درُس كلُّ غريبة
 وولى خلقٌ فى السخط كالشرى طعمه
 فعيا أيها الساقى أخاه على النوى
 لنطقىء نارا أضرمت فى صدورنا^(١)
 وعند الرضى أحلى جنى من جنى النحل
 كؤوس القلى مهلا رويدك بالعل
 [فمئلى لا يقلى ومئلك لا يقلى]^(٢)
 وقد كنت تشكىنى إذا جئت شا كيا
 فبادر إلى الأولى وإلا فإنسى
 وكتب جوابا لأبى محمد بن عبدون مع مركوب عن أبيات ثبتت فى

القلويد :

بعثت إليك جناحا فطير
 على خفية من عيون البشر
 على ذلك من نتاج البروق
 فى ظل من نسيج الشجر
 فحسبى ممن نأى ومن دنا
 فمن غاب كان كمن قد حصر

قال الفتح ، أخبرنى الوزير أبو أيوب بن أمية ، أنه مرَّ فى بعض أيامه بروض مُفتَر المباسم ، معطر الرياح^(٣) النواسم ، فارتاح إلى الكون به بقية نهاره ، والتنعَّم بينفسجه وبهارة . فلما حصل من أنسه فى وسط المدى ، عمد إلى ورقة كرنب قد بللها الندى ، وكتب فيها بطرف عُضن ، يستدعى الوزير أبا طالب [بن غانم] أحد ندمائه ، ونجوم سمائه :

أقبل أبا طالب إلينا [واسقط سقوط الندى علينا]^(٤)

(١) هكذا وردت فى قلاند العقبان . ووردت فى الإسكوريال (بنفوسنا) .

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال . وقد وردت فى القلاند على النحو الآتى (فئلك لا يقلى ومئلى لا يقلى) .

(٣) هذه الكلمة واردة فى القلاند وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت هذه الشطرة فى الاسكوريال . ووردت فى القلاند كالاتى (وقع وقوع

الندى علينا) .

فنحن عقْد بغير وسطي ما لم تكن حاضراً لتينار

نشره

وهو أشْفُ من شعره ، وإنه لطبقة تنقاصر عنها^(١) أفذاذ الكتاب ، ونهاية من نهاية الآداب ، قال ، كان ليلة مع خواصه للأنس معاطيا ، ولجلس كالشمس واطيا ، قد تفرغ للسرور ، وتفرغ عيشا كالأمل المزور ، والمنى قد أفصحت وزقها ، وأومض برقها ، والسعد تطلع مخايله ، والمملك يبدو زهوه وتخايله ، إذ ورد عليه كتاب بدخول أشبونة في طاعته ، وانتظامها في سلك جماعته ، فزاد في مسرته ، وبسط من أسرته وأقبل خدامه ، وأسبل نداه على جلسائه وندامه ، فقال له ابن خيرة ، وكان يُدُلُّ بالشباب ، وينزل منه منزلة الأحباب ، لمن توليها ، ومن يكون واليها ، فقال له ، أنت ، فقال فاكتب الآن^(٢) بذلك ، فاستدعى اللوأة والرُق ، وكتب وما جفَّ له قلم ، ولا توقَّف له كَلِم : لم يسوغ أولياء النعم ، مثل الذي سوغتموه من التزام الطاعة ، والدخول في نهج الجماعة ، وذلك لا آلوكم [ونفسى فيكم]^(٣) نصحا فيمن أتخيره ، للنياحة عنى في تدبيركم ، والقيام بالدقيق والجليل من أموركم ، وقد وليت عليكم ، من لم أوثر [والله]^(٤) فيه دواعى التقريب ، على بواعث التجريب ، ولا قوات التخصص ، على لوازم التمهيص ، وهو [الوزير]^(٥) القائد أبو عبد الله بن خيرة ، ابني دُرْبَة ، وبعضى صُحْبَة ، ونشأتى سَكَّة

(١) وردت في الإسكوريال (افراد) . ونعتقد أن التصويب أرجح بالنسبة للمنى .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي القلائد (ل) .

(٣) هذه الزيادة من القلائد .

(٤) الزيادة من القلائد .

(٥) الزيادة من القلائد .

وَقَرِيَّةٌ ، وَقَدْ رَسَمَتْ لَهُ مِنْ وَجْهِ الذَّبِّ وَالْحَمَايَةِ ، وَمَعَالِمِ الرَّفْقِ وَالرَّعَايَةِ ، مَا التَّزَمَ الْاِسْتِيفَاءَ بَعْدَهُ ^(١) ، وَالْوُقُوفَ بِجَدُّهُ عِنْدَ حُدِّهِ ^(٢) ، وَالْمَسْؤُولَ فِي عَوْنِهِ مِنْ لَا عَوْنَ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ، وَلَنْ أَعْرِفُكُمْ مِنْ حَمِيدِ خِصَالِهِ ، وَسَدِيدِ فِعَالِهِ ، إِلَّا بِمَا سَيَّبَلُو لِلْعِيَانِ ، وَيَزَكُّوهُ مَعَ الْاِمْتِحَانِ . وَيَفْشُو ^(٣) مِنْ قَبْلِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ ، وَقَدْ حَدَّدْتُ لَهُ أَنْ يَكُونَ لِنَاشِئِكُمْ أَبًا وَلِكَهْلِكُمْ أَخًا . وَلِذِي النُّفُوسِ وَالْكِبْرَةِ إِبْنًا ، مَا أَعْتَمُوهُ عَلَى هَذَا الْمُرَادِ ، وَلِزُومِ الْجَوَادِ ، وَرُكُوبِ الْاِنْتِقِيَادِ . وَأَمَّا مِنْ شَقِّ الْعَصَا ، وَبَيَانِ عَنِ الطَّاعَةِ ، وَظَهَرَ مِنْهُ الْمُرَادُ وَالْمَهْوَى ، فَهُوَ الْقَصِيُّ مِنْهُ ، وَإِنْ مَتَّ إِلَيْهِ بِالرَّحْمِ الدُّنْيَا ، فَكُونُوا خَيْرَ رَعِيَّةٍ ، بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ، يَكُنْ لَكُمْ بِالْبِرِّ وَالْمُوَالَاةِ خَيْرًا وَال [إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ] ^(٤) .

وصوله إلى غرناطة

وَصَلَّاهَا صُحْبَةَ حَلِيفِهِ ابْنِ عِبَادٍ ، لَمَّا قَبِضَ يُوْسُفُ بْنُ تَاشْفِينٍ عَلَى صَاحِبَيْهَا وَنَزَلَ بِالْمَشِيخَةِ مِنْ خَارِجِهَا فِي رَجَبٍ مِنْ عَامِ ثَلَاثَةِ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَرَابِعِهَا الْأَمْرَ ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي ذِكْرِ الْمُعْتَمَدِ بْنِ عِبَادٍ ، فَتَعَجَّلَا الرَّجُوعَ إِلَى وَطَنَيْهِمَا بِحِيلَةٍ دَبَّرَاهَا .

نكبته ووفاته

وَلَمَّا اشْتَدَّ خَوْفُهُ مِنْ أَمِيرِ لِمْتُونَةَ ، وَرَأَى أَنَّهُ أَسْوَةٌ ابْنِ عِبَادٍ فِي الْخَلْعِ عَنْ مُلْكِهِ ، وَضَيَّقَتْ الْخَيْلُ عَلَى أَطْرَافِهِ وَانْتَزَعَتْهَا ، دَاخِلَ طَاغِيَةِ الرُّومِ ، وَمَلَّكَهُ مِنْ مَدِينَةِ الْأَشْبُونَةِ ، رَغْبَةً فِي دِفَاعِهِ عَنْهُ ، فَاسْتَوْحِشَتْ لِذَلِكَ رَعِيَّتُهُ ،

(١) مَكْدَانِ فِي الْقَلَانْدِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (جِهْدِهِ) .

(٢) مَكْدَانِ فِي الْقَلَانْدِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (جِهْدِهِ) .

(٣) مَكْدَانِ فِي الْقَلَانْدِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (وَيَفْشَى) .

(٤) هَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنَ الْقَلَانْدِ .

وراسلت اللّمتونيين، واقتحمت عليه مدينة بَطْلَيْوس، واعتصم بالقصبة،
 وخانه المحاربة، فلُخِط عليه عَنوةٌ، وتُقْبَضُ عليه وعلى بنيه وهبيده،
 وتحصّلوا في ثقاف قائد الجيش اللّمتوني. وبادر إعلام الأمير سير بن
 أبي بكر، فلحق بها. واستخرج ما كان عند المتوكل من المال والذخيرة،
 وأزَعَجَه إلى إشبيلية مع إبنهن له، فلما تجاوز وبعده عن حضرته، أنزل
 وقيل له تأهب للموت، فسأل أن يقدم ابناه يَحْتَسِبهما عند الله، فكان
 ذلك، وقتلاً صبراً بين يديه، ثم ضُرب عنقه، وذلك صدر سنة سبع
 وثمانين وأربعمائة، وانقرضت دولة بني الأَفطس.

ومن رثاهم، فبلغ الأمد وفاء وشهرة وإجادة، أبو محمد عبد المجيد
 ابن عبدون^(١) بقصيدته الفريدة:

الدهر يفجع بعد العين بالأثر	فما البكاء على الأشباح والصور
أنهاك أنهاك لا آلوك موعظة ^(٢)	عن نومة بين ناب الليث والظفر
فالدهر حربٌ وإن أبدى مُسالمة	والبيضُ والسُمر مثل البيض والسمر
ولا هواده بين الرأس تأخذه	يد الضراب وبين الصّارم الذّكر
فلا تغرّنك من دُنياك نومتها	فما صناعةُ عينيها سوى السّهر
ما لليالٍ أقال الله عشرتنا	من الليالي وخانتها يد الغير
في كل حين لها في كل جارحة	مناً جراح وإن زاغت عن البصر
تسرُّ بالشيء لكن تغرّبك	كالأيم ثار إلى الجاني من الزهر

(١) هو الفقيه والكاتب والشاعر الكبير أبو محمد عبد المجيد بن عبدون وزير بني الأَفطس
 وكاتب دولتهم. وأصله من يابرة من أعمال البرتغال. وقد ترك لنا رساله الشهيرة عن «القضاء والحسبة»
 وفيها يقدم إلينا صوراً هامة عن شئون القضاء والحسبة في عصره - عصر الطوائف - وعن مجتمع
 الطوائف، ندو فيه روح النقد والتشاؤم وقد توفي سنة ٥٢٠هـ (١١٢٦ م).

(٢) هكذا في الإسكوريال والمسجب. وفي القلائد (معدرة)

لم تُبَقِّ منها وسلِّ ذكراك من خبير
 وكانت غَضَبًا على الأملاك ذا أثر
 ولم تَدَعْ لبني يونان من أثر
 عادٍ وجرهم منها ناقص المِرَر
 ولا أبحَّارت ذوى الغايات من مُضِر
 فما التقى رائحٌ منهم بمبتكر
 مهلهلا بين سَمْع الأرض والبَصَر
 ولا ثنَّت أسدا عن ربِّها حُجِر
 عَبَسًا وعَضَّت بنى بدر على النهر
 يد ابنه أحمر العينين والشَّعر
 ببزْد جرد إلى مَرَوٍ فلم يحر [(٢)]
 والحقَّت (٣) طلحة الفياض بالعَفَر
 من غيلة حمزة الظَّلَام للجُزُر
 عنه سوى الفُرس جَمع الترك والخَزِر
 ذى حاجب عنه سَعْدًا (٤) فى ابنة الغير
 إلى الزبير ولم تستحى من عمر
 ولم تزوده إلا الضَّح فى الغمر
 وأمكنت من حسين راحتي شمر
 فدت عليًا بمن شاعت من البشر

كم دولةٌ ولَّيت بالنصر خدمتها
 هَوَّت بِدارا وفلَّت غرب قاتله
 واسترَّجت من بنى ساسان ما وهبت
 وأتبعَت (١) أختها طسما وعاد على
 وما أقالت ذوى الهيئات من يمن
 ومزقت سبأ فى كل قاصية
 وأنفذت فى كليب حكما ورمت
 ولم ترد على الضليل صحته
 ودوخت آل ذبيان وإخوتهم
 وألحقت بعدي بالعراق على
 [وأهلكت أبرويزا بابنه ورمت
 وأشرفت بحبيب فوق قارعة
 ومزقت جعفرا بالبيض واختلست
 وبلغت يزدجرد الصين واختزلت
 ولم ترد مواضى رستم وقنسا
 وخضبت شيب عثمان دما وخطت
 وما رعيت لأبي اليقظان صحبته
 وأجزرت سيف أشقاها أبا حسن
 وليتها إذ فدت عمرا بخارجة

(١) كذا فى الإسكوريال والقلائد . وفى المعجب (والحق) .

(٢) هذا البيت وارد فى المعجب وساقط فى القلائد والإسكوريال .

(٣) هكذا فى الإسكوريال وفى القلائد والمعجب (والعقت)

(٤) هكذا فى الإسكوريال والمعجب . وفى القلائد (سما) .

أَتَتْ بِمَعْضَلَةِ الْأَلْبَابِ وَالْفِكْرِ
 وَبِعَضُنَا سَاكِتٌ لَمْ يُؤْتِ مِنْ حَصْرِ
 وَلَمْ تَرِدْ الرَّدَى عَنْهُ قَنَا زُفْرٍ
 يَبُؤُ بِشِيعٍ لَهُ قَدْ طَاحَ أَوْ ظَفَرٍ
 كَانَتْ بِهَا مَهْجَةُ الْمُخْتَارِ فِي وَزَرٍ
 [رَاعَتْ عِيَاذَتَهُ بِالْبَيْتِ وَالْحَجَرِ] (٢)
 لَيْسَ اللَّطِيمُ لَهَا عَمْرُو بِمُنْتَصِرٍ
 تُبْقَى الْخِلَافَةُ بَيْنَ الْكَاسِ وَالْوَتْرِ
 وَأَحْمَرُ قَطْرَتِهِ نَفْحَةُ الْقَطْرِ] (٣)
 عَنْ رَأْسِ مَرْوَانَ أَوْ أَشْيَاعِهِ الْفُجْرُ
 دَمٌ يَشِجُ (٤) لَأَلِ الْمِصْطَفَى هَدْرٌ
 وَالشَّيْخُ يَحْيَى بِرَيْقِ الصَّارِمِ الذِّكْرُ
 لَجَعْفَرِ بَابِنِهِ بِالْأَعْبِدِ الْغَدْرُ
 وَأَسْلَمَتْ كُلُّ مَنْصُورٍ وَمُنْتَصِرٍ
 بِذَيْلِ زُبْيَاءَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُمْرٍ
 بِمَا تَأْكُدُ لِلْمَعْتَزِ مِنْ مِرْرٍ
 وَأَشْرَقَتْ بِقِذَاهَا كُلُّ مُقْتَدِرٍ
 مِرَاحِلِ وَالْوَرَى مِنْهَا عَلَى سَفَرٍ

وَفِي ابْنِ هِنْدٍ وَفِي ابْنِ الْمِصْطَفَى حَسَنٌ
 فَبِعَضُنَا قَائِلٌ مَا اغْتَالَه أَحَدٌ
 وَعَمَّتْ بِالرَّدَى (١) فَوَدَى أَبِي أَنْسٍ
 وَأَرَدَتْ ابْنَ زِيَادٍ بِالْحَسِينِ فَلَمْ
 وَأَنْزَلَتْ مُصْعَبًا مِنْ رَأْسِ شَاهِقَةٍ
 وَلَمْ تَرَاقِبْ مَكَانَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَلَا
] وَلَمْ تَدْعُ لِأَبِي الزُّبَيْرِ قَاضِيَةً
 وَأَظْفَرَتْ بِالْوَلِيدِ بْنِ الْيَزِيدِ وَلَمْ
 حُبَابَةَ حَبِّ رَمَانَ أَلَمَّ بِهَا
 وَلَمْ تَعُدْ قُضْبَ السَّفَاحِ نَابِيَةً
 وَأَسْبَلَتْ دَمْعَةَ الرُّوحِ الْأَمِينِ عَلَى
 وَأَشْرَقَتْ جَعْفَرًا وَالْفَضْلُ يَنْظُرُهُ
 وَأَخْفَرَتْ فِي الْأَمِينِ الْعَهْدِ وَأَنْتَدَبَتْ
 وَرَوَّعَتْ كُلَّ مَأْمُونٍ وَمَوْثَمَنٍ
 وَأَعْشَرَتْ آلَ عَسْبَاسٍ لِعَالِهِمْ
 وَلَا وَفَّتْ بِعَهْدِ الْمُسْتَعِينِ وَلَا
 وَأَوْثَقَتْ فِي عُرَاهَا كُلِّ مُعْتَمِدٍ
 بَنِي الْمَظْفَرِ وَالْأَيَّامِ [مَا بَرَحَتْ] (٥)

(١) هكذا في الإسكوريال والقلايد . وفي المعجب (بالظبي) .

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في القلايد والمعجب . ووردت في الإسكوريال (ولم تبق الخِلافة بين الكاس والوتر) وهي شطرة بيت آخر يأتي بعد .

(٣) هذه الأبيات الثلاثة ساقطة في الإسكوريال وواردة في القلايد والمعجب .

(٤) هكذا وردت في القلايد . وفي الإسكوريال والمعجب (بفخ) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال والقلايد . وفي المعجب (لا نزلت) .

سَحَقًا لِيَوْمِكُمْ يَوْمًا وَمَا حَمَلْت
 مِنَ لِلْأَسْرَةِ أَوْ مِنَ لِلْأَعْنَةِ أَوْ
 مِنَ لِلْبِرَاعَةِ أَوْ مِنَ لِلْبِرَاعَةِ أَوْ
 مِنَ لِلظَّبْيِ ^(٢) وَعَوَالِي الْخَطِّ قَدْ عَقَدْتِ
 وَطَوَّقْتِ بِالْمَنَابِيَا السُّودِ بِيَضِّهِمْ
 أَوْ رَفَعُ كَارِثَةٍ أَوْ دَفَعُ حَادِثَةٍ
 وَيُنْحِ السَّمَاحَ وَيُوِيحُ الْجُودَ ^(٤) لَوْ سَلِمَا
 سَقَّتْ ثَرَى الْفَضْلُ وَالْعَبَاسُ هَامِيَةً
 ثَلَاثَةٌ مَا ارْتَقَى النَّسْرَانُ حَيْثُ رَقُوا
 ثَلَاثَةٌ كَنُزُوتِ الدَّهْرِ مِنْذُ نَأَوْا
 وَمَرًّا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ أَطْيَبُهُ
 مِنَ لِلجَلَالِ ^(٦) الَّذِي عَمَّتْ مَهَابَتُهُ
 أَيْنَ الْإِبْيَاءُ الَّذِي أَرَسُوا قَوَاعِدَهُ
 أَيْنَ الْوَفَاءُ الَّذِي أَصْفُوا شَرَائِعَهُ
 كَانُوا رَوَاسِي أَرْضِ اللَّهِ مِنْذُ نَأَوْا ^(٨)

بِمِثْلِهِ لَيْلَةَ [فِي سَالِفِ الْعُمْرِ] ^(١)
 مِنَ لِلْأَسْنَةِ يَهْدِيهَا إِلَى الشَّغْرِ
 مِنَ لِلسَّمَاحَةِ أَوْ لِلنَّفْعِ وَتَنْضُرُ
 أَطْرَافُ أَلْسِنِهَا بِالْعَمَى وَالْحَصْرُ
 أَعْجَبَ بِذَلِكَ وَمَا مِنْهَا سِوَى ذِكْرٍ
 أَوْ قَمْعِ آزْفَةٍ تُعْبَى عَلَى الْقَدْرِ ^(٣)
 وَحَسْرَةَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عَلَى عَمْرٍ
 تُعْزَى إِلَيْهِمْ سَمَاحًا لَا إِلَى الْمَطَرِ
 وَكُلُّ مَا طَارَ مِنْ نِسْرِ وَلَمْ يَطِرْ
 عَنِ مَضَى الدَّهْرِ لَمْ يُرْبِعْ وَلَمْ يَحِرْ ^(٥)
 حَتَّى التَّمَتَّعَ بِالْأَصْسَالِ وَالْبُكْرِ
 قَلُوبِنَا ^(٧) وَعَيُونَ الْأَنْجَمِ الزَّهْرِ
 عَلَى دَعَائِمٍ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ ظَفَرِ
 فَلَمْ يُرِدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى كَمْدَرٍ
 عَنِهَا اسْتَطَارَتْ مِنْ قِيَاهَا لَمْ تَقْر

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في القلايد (في مقال العمر) . وفي المعجب (في غير العمر) .

(٢) هكذا وردت في القلايد والمعجب . وفي الإسكوريال (الظب) .

(٣) هكذا ورد هذا البيت في الإسكوريال . وورد في المعجب والقلايد كالاتي (أودفع كارثة أو رجع رادفة أو فع حادثة تعين على القدر) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في القلايد والمعجب (الباس) .

(٥) ورد هذا البيت في المعجب ، ولم يرد في الإسكوريال ولا القلايد .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال والقلايد . وفي المعجب (أين الجلال) .

(٧) هكذا وردت في القلايد والمعجب . وفي الإسكوريال (ميوننا) .

(٨) هكذا وردت في الإسكوريال والقلايد . وفي المعجب (مضوا) .

كانوا مصابيحها دهرافمدخبوا^(١) هذى الخليفة تالله في سندر^(٢)
كانوا شجى الدهر فاستهوتهم خدع منه بأحلام عاد في خطا الخضر
من لى ولا من بهم إن أظلمت نوب ولم يكن ليئلهما يفضى إلى سحر
من لى ولا من بهم إن طبقت^(٣) محن ولم يكن ورودها يفضى^(٤) إلى صدر
من لى ولا من بهم إن عطلت سنن وأخفيت السن الآثار^(٥) والسير
ويلمه من طلوب الشار مذكره لو كان ديناً على الأيام ذى عسر
على الفضائل إلا الصبر بعدهم تسليم^(٦) مرتقب للأجر منتظر
يرجو عسى وله في أختها طمع^(٧) والدهر ذو عقب شتى وذو غير
قرطت آذان من فيها بفاضحة على الحسان حصى الياقوت والدرر
[سيارة في أقاصى الأرض قاطعة شقاشقا هذرت في البدو والحضر
مطاعة الأمر في الباب قاضية من المسمع ما لم يقض من وطراً^(٨)

ومن الغرباء

عمث بن عبد الرحمن بن يحيى بن يعقراسن

الدليل بتلمسان ، يكتنى أبا سعيد .

حاله

- (١) هكذا وردت هذة الشطره في الإسكوريال ، ووردت في القلايد والمجب كالاتى
(كانوا مصابيحها فذخبوا غبرت - عثرت) .
- (٢) هكذا وردت في المجب . وفي الإسكوريال والقلايد (سرر) والأول أرجح .
- (٣) هكذا وردت في الإسكوريال والمجب . وفي القلايد (اطنبت) .
- (٤) هكذا وردت في الإسكوريال والقلايد . وفي المجب (يدعو)
- (٥) هكذا وردت في القلايد والمجب ، وفي الإسكوريال (الأيام) .
- (٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي القلايد والمجب (سلام) .
- (٧) هكذا وردت في الإسكوريال والقلايد . وفي المجب (أمل) .
- (٨) هذان البيتان الختاميان وردا فقط في المجب . ولم يردا في الإسكوريال ولا في القلايد .

كان شيخاً مَخِيلاً بِسِمَةِ الخَيْر ، متظاهراً بالنَسَف ، بقية آل زِيَان ، متقدِّماً في باب الدهاء والذِّكْر ، بالغاً أقصى المبالغ في ذلك . سكن غرناطة ووادي آش ، ووُلِدَ بفرناطة . وكان أبوه ممن هلك في وقعة فُرتونة ، فارتزق مع الجند الغربي بديوانها في حجر أبيه وبعده ، ثم ثنى عِنايه إلى وطنه ، وتخطَّته المتالف عند تغلب السلطان صاحب المغرب على بلده تلمسان ، وغاص في عِرْض من تَهْنَأ الإبقاء من قبيله . وكان ممن شمله حصار الجزيرة ، ووصل قبله ممداً مع الجيش الغربي بجيش غرناطة عند مُنازلة القلعة . ولما جرت على واتيرهم السلطان أبي الحسن الهزيمة بظاهر القيروان ، وبعُد الطمع في انتِشاله وجبَّره ، ولحق كل بوطنه ، حوم الفل من بنى زِيَان على ضعفهم ، ومذ رحل عنه السلطان القايم بمُلك المغرب أبو عنان ، إلى محل الأمر ودار الملك ، وسدَّ تلمسان بشيخ من قبيلهم يعرف بابن حرار ، له شهرة وانتفاخ لتنسيق رياح الاختلاف ، فذ في إدارة الحيلة ، وإحالة قِداح السياسة ، رأس الرُكْب الحجازي غير ما مرة ، وحلَّ من الملوك أَلطف محلَّة . ولما نهَد القوم إلى تلمسان ، ناهضهم ابن الحرار بمن استرُكِب من جنده ، وانضم إليه من قومه ، فدارت عليهم الهزيمة ، وأحيط به ، فتملَّك البلد ، وتُحصِّل في الثُقات ، إلى أن هلك به مُقتالاً ، واستولى عثمان بن يحيى على المدينة ، وانقاد إليه ما يرجع إليها من البلاد والقبائل ، فثاب لهم مُلكٌ لم تكد شُعلته تَقْد حتى خَبَتْ ، وعلى ذلك فبلغوا في الزمان القريب ، من وفور العُدَّة ، واستجادة الآلة ، وحُسن السيرة ، ما يقضى منه العجب . وانفرد عثمان بالأمر ، وعيَّن أخاه أبا ثابت الزعيم إلى إمارة الجيش ، فاستقام الصف ، وانضم النُشر ، وترتبت الألقاب ، واستأنفوا الدولة ، وتلقفوا الكُرَّة ،

وقل ما أذبر شيئا فاقبل . وبادر السلطان بالاندلس مفاتحته مهتيا ،
وللحلف مجددا ، بكتاب من إنشائي من فصوله :

« بعد الصدر والتحميد ، ولا زايد بفضل الله المرجو في الشدايد ،
لجميل العوايد ، إلا ما شرح الصدور ، وأكد السرور ، وبسط النفوس ،
وأضحك الرسن العبوس ، من اتساق أمور ذلك المملك لديكم ، واجتماع
كلمته عليكم ، وما تعرفنا أن الدولة الزبانية ، وصل الله لبثورها استيناف
الكمال ، وأعلى أعلامها في هضاب اليمن والإقبال ، تذكرت الرسائل
القديمة والأدمة ، وألقت إلى قومها بالأزمة ، وحننت إلى عهدهم على طول
النوى ، وأنشد لسان حالها ، « نقل فؤادك حيث شئت من الهوى » ، فأصبح
شيتتكم بأهلها مجموعا ، وعلم علياتها بأيدي أوليائها مرفوعا ، وملابس
اغتزازها بعد ابتزازها جديدة ، وظلال سعوها على أغوارها ونجودها مديدة ،
وقبيلها قد أنجح الله في اتلافه أمل الآمل ، ومبتداها مرفوعا مع وجود
العوامل ، والكثير من أوطانها قد سلكت مسلكها في الطاعة ، وتبادرت
إلى استياق فضيلة الوفاق بحسب الاستطاعة ، فعظم الاستيشار بأن كان
لكم مالها ، وفي إياتكم انتيالها ، من غير أن يعلق بأسبابها من ليس من
أربابها ، ويطمع في اكتسابها من لم يكن في حسابها . وقلنا موارث وجب ،
وعاصب حجب ، وركب عالج من بعد القفول ، وشمس طلعت من بعد
الأفول ، وجيد حل من بعد ما اشتكى العطل ، وغريم قضى بعد ما مطل ،
وطرف تنبه بعد ما سجع ، ودرى استقام سيره عقب ما رجع ، وقضية
انصرف دليلها عن حدود القواطع ، وطرحت عليه أشعة السعود السواطع ،
لا بل عبء أبق لقتير سبق ، حتى إذا راجع نهاه ، وعقله العقل ونهاه ،
جنح بعد هجره ، إلى كنف من نشأ في حجره . وعلمنا أن الدولة التي

عَرَفْنَا مَكَارِمَهَا ، قَدْ دَالَتْ ، وَالْغَمَامَةُ الَّتِي شَكَرْنَا مَوَاقِعَهَا قَدْ انْثَالَتْ ، فَجَرِينَا فِي الْمَسْرَةِ مَلَأَ الْأَعْيُنَ ، وَشَارَكْنَا فِي شُكْرِ هَذِهِ الْمُنَّةِ ، وَأَصْدَرْنَا إِلَيْكُمْ هَذَا الْخِطَابَ مُهْنِيًّا ، وَعَنِ الْوَدِّ الْكَرِيمِ وَالْوَلَاءِ الصَّمِيمِ مُنْبِيًّا ، وَفِي تَعْزِيزِ مَا بَيْنَ الْأَسْلَافِ ، جَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَلَابِسَ الرُّضْوَانِ مُعِيدًا مُبْدِيًّا ، وَإِنْ تَأَخَّرَ مِنْهُ الْفَرَضُ ، وَقَضَى بِهَذَا الْعَهْدِ وَاجِبَهُ الْمُفْتَرَضُ ، وَالْأَعْذَارُ وَاضِحَةٌ ، وَأَدِلَّتْهَا رَاجِحَةٌ ، وَلِلضَّرَارِ أَحْكَامٌ تُمْضِي ، وَالْفُرُوضُ لِلْفَوَاتِ تُقْضَى ، فَكَيْفَ وَالْإِعْتِقَادُ الْجَمِيلُ مُسِيرٌ مُسَكِّنٌ ، وَالْوَقْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُتَمَكِّنٌ ، وَمَا بَرِحْنَا فِي مَنَاطِ اجْتِهَادٍ ، وَتَرْجِيحِ اسْتِشْهَادٍ ، وَالْأَخْبَارِ يَضْطَرِدُّ مَفْهُومُهَا ، وَالْأَلْفَاظُ لَا يَنْتَخِصُّ عَمُومُهَا ، وَالْأَحَادِيثُ يَجُولُ فِي مُتَعَارَضِهَا النَّظَرُ ، وَلَا يَلْزِمُ الْعَمَلُ مَا لَمْ يَصْحَ الْخَيْرُ . فَلَمَّا تَحَدَّثْنَا الْأَمْرَ مِنْ قَصَبِهِ ، وَتَعَاوَدَ قِيَاسَهُ بِنَصَبِهِ ، لَمْ نُقَدِّمَ عَلَى الْمُبَادَرَةِ عَمَلًا ، وَبَيْنَا لَكُمْ مِنْ حَسَنِ اعْتِقَادِنَا مَا كَانَ مُجْمَلًا ، فَلْيَهْنُ تِلْكَ الْإِيَالَةَ مَا اسْتَأْنَفْتَهُ مِنْ شِبَاهِهَا ، وَتَسْرَبَلْتَهُ مِنْ جَدِيدِ أَثْوَابِهَا ، وَلِيَسْتَقْبَلَ الْعَيْشَ خَضِرًا ، وَالدهرُ مُعْتَدِرًا ، وَالسَّعْدُ مُسْفِرًا .

وَتَمَادَى مُلْكُهُ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ وَالْعِشْرِينَ لِحِمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ عَامِ تِسْعَةِ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ إِلَى أَنْ اسْتَوْسَقَ مُلْكُ الْمَغْرِبِ لِلسُّلْطَانِ أَبِي عَنَانَ ، وَاسْتَأْثَرَ إِلَيْهِ أَبِيهِ ، وَتَحَرَّكَ إِلَى مُنَازَلَةِ تَلْمَسَانَ فِي جِمَادَى الْآخِرَةِ عَامِ ثَلَاثَةِ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَكَسَرَ جَمْعَهُمْ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى مَلِكِهِمْ حَسْبَمَا يَأْتِي ، وَبَرَزَ إِلَيْهِ سُلْطَانُهَا الْمَذْكُورُ ، مَوْثِرًا الْإِضْحَارَ عَلَى الْاجْتِحَارِ ، وَاللِقَاءَ عَلَى الْإِنْحِصَارِ ، وَكَانَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ حَرْبٌ ضُرُوسٌ ، نَاشِبٌ الزِّيَانِيُّونَ مَحَلَّاتِ الْمَغْرِبِ الْقِتَالِ ، بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِإِنْكَادٍ ، عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ ، وَبَيْنَ يَدَيْ شُرُوعِ فِي تَنْقُلِ وَسُكُونِ ، وَتَفْرُقُ مِنْ الْحَامِيَةِ فِي ابْتِدَاءِ الْخَلَا ، وَابْتِغَاءِ الْمَاءِ ، فَلَمْ يَرُعِ إِلَّا إِطْلَالَ الرِّيَابِ ، وَطَلُوعِ نَوَاصِي الْحَبِيلِ ، فَوْقَ الصَّرَاخِ ، وَعَلَى النَّدَاءِ ، وَارْتَفَعِ الْقَتَامُ ،

وبادر السلطان بمن معه من الخالصة ، وروم الركاب الصدمة ، ومضى قُدماً ، وقد طاش الخبير بهزيمته ، فعانتَ العُربان في محلته ، وكانوا على الأموال أعدى من عدوه ، وفرُّ الكثير إلى جهة المغرب بسوء الأحدثوة .

ولما تقاربت الوجوه ، وصدق المُصاع ، قذف الله في قلوب الزياتيين الرعب ، واستولى عليهم الإذبار ، فانهزموا أقبح هزيمة ، وتفرقوا شذَر مَذَر ، واختفى سلطانهم عثمان المترجم به ، وذهب متنكراً وقد ترجل ، فُعثر عليه من الغد ، وأوتى به فشد وثاقه ، وأسرع السلطان اللحاق بتلمسان ، وقد تلتماه أهلها مُعلنين بطاعته . ولا يُذنين بجناب عفوه ، وتنكبها الجيش المفلول ، لنظر الأمير أبي ثابت ، فاستفر بأحواز جزاير بني مزغناي^(١) . ودخل السلطان تلمسان في يوم الأحد ، الحادى عشر من ربيع الأول عام ثلاثة وخمسين وسبعماية ، وتدامر بنومرين^(٢) ، واستدر كوا دَحْض الوصمة في أتباع أضدادهم المحروبيين ، فكان اللقاء بينهم ، وبين الجيش المفلول وحكم الله باستيصالهم ، فمضى عليهم السيف ، وأوتى بزعيمهم الزعيم ، فاحتمل مع أخيه في لُمة من أوليائهم ، ونفذ الأمر لأقتالهم من بنى حرار بأخذ حقتهم ، فقتل عثمان والزعيم رحمهما الله بخارج تلمسان ذَبْحاً ، وألحق بهما عميد النولة يحيى بن داود ، بعد أن استحضر عثمان بين يدي السلطان ، وأسمع تائباً ، حَسُنَ عنه جوابه ، بما دلَّ على ثباتٍ وصبر . وانقضى أمر كرتهم الثانية ، وخطت منهم الأوطان ، وخطت لبني مرين الجهة ، وصفت العِمالة . والله يعطى مُلكه من شاء سبحانه لا إله إلا هو ،

(١) جزائر بني مزغناي هو الاسم القديم الذى كان يطلق على مدينة الجزائر الحالية ، وذلك باسم القبيلة التى كانت تنزل بها (بنو مزغناي) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (بنو مروان) . ومن الواضح أن هذا تحريف ، وأن المقصود هو (بنو مرين) حسبما يبدو ذلك جلياً من اضطراد النص .

وكان مقتل عثمان وأخيه في أوائل شهر ربيع الآخر عام ثلاثة وخمسين وسبعماية .

علي بن حمود بن ميهون بن حمود بن علي بن عبيد الله بن
إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب
أول ملوك بني هاشم بالأندلس ، يكنى أبا الحسن ، ويلقب من
الألقاب السلطانية ، بالناصر لدين الله .

حاله

كان شهما لبيبا ، جرى اللقاء ، باطش السيف ، شديد السطوة ،
أسمر ، أعين ، نحيف الجسم ، طويل القامة ، حادّ الذهن ، من أولى
الحزم والعزم .

خلافته

ذكروا أن هشام بن الحكم ، لما ضيق به الحجر ، كتب إليه في
السّر بعهد ولايته ، وأهله للأخذ بشاره ، فكان كذلك ، وأجاز البحر من
سبّته ، مظهرا القيام بنصر هشام عندما خلع ، فانحاش إليه كثير من
الناس ، وقصد قرطبة ، وبرز إليه الخليفة سليمان خالع هشام ومُغتاله ،
فظهر عليه علي بن حمود وهزمه ، ودخل قرطبة ، فقتل سليمان ، وبحث
عن هشام ، وقد فات فيه الأمر ، وتسمى بأمير المؤمنين . وأُيس به أهل
قرطبة ، لقهره من كان لنظره من البرابرة ، وإمضاء الأحكام عليهم .
قال المؤرخ ، فبرقت للعدل يومئذ بارقة ، لم تكد تقيد حتى خبت .
وكان الأغلب عليه السخاء والشجاعة .

ومدحه الكثير من الشعراء ، منهم أبو عمر^(١) بن درّاج ، وفيه يقول :

لعلك يا شمس عند الأصيل تحنّ بشجو الغريب الذليل
فكوني شفيعى إلى أين الشفيح وكوني رسولى إلى أين الرسول
فأما شهدتِ فأزكى شهيد وأما دللتِ فأهدى دليل
إلى الهاشمى إلى الطّالبي إلى الفاطمى العُطوف الوُصول

وصوله إلى البيرة

قل ، ولما استوسق الأمر ، واضطرب عليه خيران صاحب ألبيرة ، أغراه وأذن لحربه ، فخرج من قرطبة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة من سنة ثمان وأربع مائة ، وسار إلى أن بلغ وادى آش ، وترادفت عليه الأمطار والسيول ، وانصرف إلى البيرة ثم إلى قرطبة .

وفاته

قال المؤرخ ، وفي سنة ثمان وأربعمائة كان مَقْتَل على بن حمود ، وذلك أن صقاليته قتلوه بموضع آمنه . فى حمام قصره ، وكانوا ثلاثة من أعمار^(٢) صبيان قصره ، منهم نُجج وصاحبا ، وسدوا باب الحمام عليه ، وتسلبوا ، ولم يحس أحدُهم ، واستطال نساؤه بقاءه ، فدخلوا عليه ، ودمه يسيل فصح خبر مقتله ، وبعثت زناة إلى أخيه بإشبيلية ، فخاف أن يكون حيلة ، حتى كشف عن الأمر ، ولحق بقرطبة ، فأخرج جسده ، وصلى عليه ، وأنفذه إلى سبتة ، فدفن بها ، وبني عليه مسجد هو الآن بسوق الكتان ، وقبض من قاتليه على صبيين عُذبا بأنواع العذاب ، ثم قُتلا وصُلبا .

(١) وردت فى الإسكوريال (أبو عمرو) . والصواب ما أثبتناه .

(٢) وردت فى الإسكوريال (أعمار) . والتصويب أنسب لابق .

علي بن يوسف بن تاشفين بن تو حرت^(١)

وينظر اتصال نسبه في اسم أبيه .
هو أمير المسلمين بالعُدوة والأندلس بعد أبيه ، يكنى أبا الحسن ،
تصير إليه الملك بالعهد من أبيه عام سبعة وتسعين وأربعمائة^(٢) ،
ثم ولّى أمره يوم وفاته وهو يوم الإثنين مستهل محرم عام خمسمائة .

حاله

وكان ملكاً عظيماً على الهمة رفيع القدر ، فسيح المعرفة شهير الحلم ،
عظيم السياسة ، أنفذ الحق ، واستظهر بالأزكيا ، ووالى الغزو ، وسدَّ
الشغور ، إلى أن دهمه من أمر الدولة الموحدية ما دهمه ، وكل شيء إلى
مدى ، فأهل السرح ، وحالف الإدبار ، وجاز إلى الأندلس ، وغزا فيها
بنفسه ، ودخل غرناطة وباشرها .

قال ابن عذاري ، تقدم الأمير أبو الحسن لذلك فاستعان بالله واستنجده
وسأله حسن الكفاية فيما قلده^٣ ، فوجده ملكاً مؤسساً ، وجُنُداً مُجُنِّداً ،
وسلطاناً قاهراً ، ومالاً وافراً ، فاقتفى إثر أبيه ، وسلك سبيله ، في عضد
الحق ، وإنصاف المظلوم ، وأمن الخائف ، وقمع المظالم ، وسدَّ الشغور ،
ونكاية العدو ، فلم يعدم التوفيق في أعماله ، والتسديد في حسن أفعاله .

دخوله غرناطة

وفي سنة خمس وخمسمائة ، جاز البحر إلى الجهاد . قال المؤرخ ، قدم

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نسبة يوسف بن تاشفين المعروفة لنا ، أنه يوسف بن تاشفين
بن إبراهيم بن ترقوت بن وارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية الحميري الصنهاجي اللتوني .
(٢) في هذا التاريخ الذي يورده ابن الخطيب عن إصدار يوسف بن تاشفين ولاية عهده لابنه علي
شيء من التحريف . والصواب هو أن وثيقة تولية عهد يوسف لعل ، صدرت بحضرة قرطبة في
شهر ذي الحجة سنة ٥٤٩٦ .

على بن يوسف غرناطة مرات مع أبيه . وفي سنة خمس وخمسمائة تلوم بها رينما تلاحقت حشوده ، وتأهبت مطوعته وجنوده ، فافتتح مدينة طلبيرة عنوة ثم عبر البحر عام أحد عشر وخمسمائة ، فغزى قولمرية^(١) .

ظهور الموحدين في أيامه

قال ابن عذارى ، في سنة أربع عشرة وخمسمائة ، كان ابتداء أمر الثاير على الدولة ، الجالب للفتن الجمة ، الجار لها منذ ثلاثين سنة ، حتى أقفر المعمور ، وأصار الضياء كالديجور ، محمد بن ترمّرت السومى الملقب بالمهدى . قلت ، وأخباره عجيبة ، وما زال أمره في ظهور ، وأمر هذه الدولة ، في ثبار وإدبار ، إلى أن محا رسومها ، وقطع دابرها ، والمُلك لله ، يُؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، سبحانه .

وفاته

قال ، وفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ، توفي أمير المسلمين على ابن يوسف ، لسبع خلون من رجب ، ولم يُشهر موته إلا لخمس خلون من شوال ، فكانت مدته من حين قدمه أبوه ، تسعا وثلاثين سنة وأشهرًا . وعمره إحدى وستون سنة ، قال ابن حماد ، ولما يئس من نفسه ، عهد أن يُدفن بين قبور المسلمين ، ودُفن بها في جملتهم ، رحمه الله .

(٢) رسم هذه المدينة بهذه الصورة تحريف . وصوابه قلمورية أو قلمرية . وهي مدينة كبيرة تقع شمال البرتغال . وقد غزاها على بن يوسف بنفسه وافتتحها عنوة في صفر سنة ٥١١ هـ (يونيه ١١١٧ م) وقد تبادلها المسلمون والنصارى مراراً . وبالبرتغالية « Coimbra » .

الأعيان والوزرا والأماثل والكبرا

عتيق بن زكريا بن مَوَّلِ التَّجِيبي

قرطبي الأصل ، يمتُّ إلى الإمارة النُصيرية بقُرْبى صِهْر ، يكنى أبا بكر .

حاله

كان شهما جرياً مقداما ، جهوريا ، ذا أنفه وشارة ، مليح التجند ،
 ظاهر الرجولية ، معروف الحق ، نبيه الولاية ، فصيح اللسان ، مطبوعا ،
 ذكيا ، مؤثرا للفكاهة . وُلِّيَّ القيادة بمدينة وادي آش ، عَقِبَ الرئيس
 المُنتزى بها ، ثم عُزل عنها بسعاية رُفعت فيه إلى ذى الوزارتين أبي عبد الله
 ابن الحكيم ، فساء ما بينهما لذلك ، وأعمل عليه التدبير ، بمداخلة الامير
 نصر ، وإغرايه بالأمر . فتم له التَّوَتُّبُ على ملك أخيه ، وخلعه يوم
 عيد الفطر من عام ثمانية وسبعماية ، وقُتل الوزير ابن الحكيم بين يديه ،
 وانتهبت منازلها ، واستقل بعد بالتدبير والوزارة ، وحَصَلَ من صنائع
 الحارين ، ومتوقفي الضمط ، على مال عريض ، وقام بوظيف الوزارة محذور
 الشبا ، مرهوب المذية ، مسنوء الفتكة ، فلم يَنْشَبْ أن عُين للرسالة إلى
 باب السلطان ملك المغرب ، وسُدَّ باب الإياب لوجهته ، وأقام بالعُدوة ،
 تحت الحُظوة ، مشارا إليه في وجوه الدولة ، وزير المداخلة والرُتبة . وقد
 كان في ريان حدائته ، لحق بطاغية الروم ، ورَكِبَ في جُمَلته ، وعَلِقته
 جارية من بنات زعماء الروم ، لفضل جماله ، وزَيْنَ شبيبتة ، ففرَّ بها
 تحت حماية سيفه ، ولحق ببلاد المسلمين ، وكانت من أهل الاصاله
 والجمال ، فاتصل بمحلة أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق ، وقد

جاز إلى الاندلس غازيا . فاستخلصت منه لزية الحُسن ، واستقرت بقصر
السلطان ، حظية لطيفة المحل ، وجدُّ أثر رِفدها وانتفع ، هو وبنوه بعايد
جاهها ، وقد هلك السلطان . وقامت لمن خلفه مقام الأمومة ، فنالوا بها
دنيا عريضة ، وباشروا بالمغرب أهوالا ، وخاضوا في فتن ، إلى أن أسن ،
وقيدته الكبرة ، واستولت على بصره الزمانة ، ولما ولى الوزارة ولده
على عهد سادس الأمراء من بني نصر ، استقامه في ربيع الثاني من عام
تسعة وعشرين وسبعماية ، فقدم شيخا ، قد استثن أديمه واحقوب ،
ومسحة الظرف واللوزعية ، تتعلق منه بطلل بايد . ثم اقتضى تقلص
ظل الولاية عن ولده ، انصراف جميعهم إلى العتوة ، فكان ذلك في رجب
أو أول شعبان من العام ، وبها هلك .

وفاته

توفي بمدينة فاس رابع محرم عام ثلاثين وسبعماية . وكان كثيرا
يتمثل بقول الشاعر :

نصحتُ فلم أفلح وخانوا فأفلحوا فانزلني نُصحى بدار هـوان
فإن عشتُ لم أنصح وإن متُّ فالعنوا دون النصح من بعدى بكل لسان
أخبرني بذلك شيخنا أبو الحسن بن الجياب وغيره .

عمر بن يحيى بن مُحَلَّى البَطْوِي

يكنى أبا علي .

حاله

كان يمتُّ إلى السلطان ملك المغرب رحمه الله ، بالخوولة ، وله جرأة

وجرم واضطّاع بالمهمة ، إلى نكراء وخُفوف إلى الفتنة ، واستسهال العظيمة ، ولما تصيرت مالقة إلى إيالة السلطان أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق من قبل رؤسائها من بني إشقيلولة ، استظهر عليها من عمر هذا بحجاج رجاله ، وقدمه بقصبتها ، وجعل لنظره جيشاً أخشن ، يقوده رجل من كبار عُصفانه . وداخل السلطان ثاني الملوك من آل نصر ، عمر بن مُحليّ هذا بوساطة أخيه طلحة السابق إلى إيالته ، فأحكم بينهما صرف مالقة إليه ، وانتقال عمر إلى خدمته ، مُعوضاً عن ذلك بمال له بال ، مُسكماً إليه حصن شلوبانية^(١) ، ولأخيه طلحة مدينة المنكب^(١) ، على أرزاق مقررة ، وأحوال مرتبة مقدرة . فتم ذلك ، وتحمل ثقات السلطان بقصبة مالقة ليلاً مع عمر ، واستدعى للغداة قائد الجيش ومثله من الوجوه ، مُورياً بمعارضتهم ، فسقط الغشاء بهم على سرحان ، وأخذهم اعتقاله ، رهينة استخلص بها من كان من عياله بالعنوة ، وجاء بها جلواة عارية ، أعربت عن لؤمه ونُبت أمانته ، وانتقل له موفى له بعهدده ، فحل بحصن شلوبانية منتصف عام سبعة وستين وسبعماية ، حسبما كتب لي بعض الشيوخ من مُسنّي بقية أهله ، واحتل أخوه طلحة بمدينة المنكب ، ولم يلبث أن خرج عنها للسلطان مُعوضاً بالمال ، وأعمل الانصراف إلى الحج . وأقام عمر بشلوبانية وما يليها من العمالة ، مظهراً للطاعة تمام العام المذكور ، وفسد ما بينه وبين السلطان المذكور ، وظهر الخلاف وأخيفت الطرق ، وتحرك السلطان إلى مُنازلته لأشهر ثلاثة من خلافه ، وحاصره أياماً شد فيها مُخنقه ، فلما رأى عزمه ، خاطب سلطانه ، الذي نزع عنه

(١) سبق التعريف بشلوبانية «Salobrena» (المجلد الأول ص ١١٢ حاشية) وكذلك بالمنكب

« Almunear » (المجلد الأول ص ١٠٠ حاشية) .

أمير المسلمين أبا يوسف ، وعرض الحصن عليه ، فبادر إليه بالأسطول ، فلما احتل
بمرسى حصنه ، واتصلت به يده ، ونشرت عنده بُنوده ، أفرج عنه
السلطان ، وانبت طمعه فيه ، وصرف وجهه إلى حصرته ، وبدا لعمرك في
أمره ، فصرف الأسطول متعللاً ببعض الأعذار ، وأقام على سبيله ، واتصل
ذلك بالسلطان ، فرتب عليه الحصن ، وضيق السبل ، وتحرك في صايفة
العام إلى منازلته في عُدّة عظيمة ، وحاصره ورماه بالمجانيق ، وتتبعها
مجاثه ، فأعياه الصبر ، وأعمل الحيلة بإظهار الإنابة ، وعرض على السلطان
التخلّي عن الحصن ، وطلب منه أن يُوجه لقبضه وزيره ، وأخطى الرؤساء
لديه ، وصاحب بنده ، فوجههم السلطان في طايفة من حاشيتهم ، وقد
أمكن لهم عمر بممرجات الطريق ، بين يدي باب القلعة . فلما توسطوا
الكمنا ، وبرز عمر ليسلم عليهم ، ثار بهم رجاله الأسود وغيرهم ،
وقبضوا عليهم بمراى من السلطان ، وأدخلوهم الحصن وعاد السلطان
إلى قتاله ، فتوعد بقتلهم ، وجعلهم بأعلى السور ، ورمى عليه بحجر ،
فطرح أحدهم الحين ، وعلا صراخهم يسترحمون السلطان ، فكف عنه ،
وانصرف مكظوما . ولأيام وقعت المهادنة على تخليه عن شلوبانية في جملة
شروط صعبة ، منها العقْدُ له على بنت السلطان المسماة بشمس ، وانتقاله
إلى مدينة المنكب ، فتم ذلك في وسط ثمانية وستين بعامه ، وتمادت المهادنة
شهورا أربعة ، ثم ثاب خلافه ، وضُيقت عليه الحصص المرتبة ، وخرج
للسلطان عن منكب على مال وعهد ، وصرف بعد وجهه إلى سلطانه ،
وتطارح عليه ، وهو بجزيرة طريف ، بعد أن أخذ أمانه ، زعموا ، وقد

كان أخوه طلحة سبق إليه ، فاعتقل يسيرا . ثم حُلَّ اعتقاله إيثاراً للعتفة ، ورغياً للممات . ولما توفى السلطان أبو يوسف ، اضطره حاله ، وآل أمره إلى العود إلى الأندلس ، وبها الأشياخ من بنى عبد الله بن عبد الحق ، مطالبو أبيه بدم عمهم ، سبقوا مقدمه على السلطان بإيعاز^(١) منه ، وقد نزل بقريّة أرملة^(٢) على وادي أفلم ، واعتصم منهم ببرج فقاتلوه واستنزلوه فقتلوه ، فانقضى أمره على هذه الوتيرة ، والبقاء لله سبحانه .

هامر بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق

شيخ الغزاة بالأندلس ، وابن شيخها ، يكنى أبا ثابت ، أجرى مجرى الأصليين لولادته بالأندلس
« أوليته » . تأتي في اسم أبيه .

حاله

كان ريبساً جليلاً ، فذاً في الكفاية والإدراك ، نسيج وخذه في الدماء والتكراء ، مشاراً إليه في سعة الصدر ، ووفور العقل ، وانفساح الذرع . وبعد الغور ، باسلاً مقدماً ، صعب الشكيمة على الهمة ، لين الكلمة ، ريش جناح العز ، وافر أسباب الرياسة ، مجرباً ، مُحْتَنَكَا ، عارفاً بلسان قومه وأغراضهم . جاعلاً جفوات أخلاقهم دُبُرُ أذنه ، مهيباً على دماثة وإلحاح مقام . تولى الأمر بعد أبيه فقام به أحمد قيام ، مُسَلِّماً لبقية من مُسِنِي القمراية وأكابر الإخوة ، اعترافاً بالفضل ، وإيثاراً لمزية العتاقة

(١) وردت في الإسكوريال (باينار) . والتصويب أنسب للسياق .

(٢) هي قرية صغيرة تقع على الضفة اليسرى من شليل على مقربة من غرناطة وبالإسبانية « Armilla »

على الهجئة . فحلُّ أرفع المنحال . وتبَنَّنك على حال الضَّننا نعيما ، وغزا
غزوات شهيرة . إلى أن تناسى الأمر . وكبا بهم الجد ، وحملهم قرب
مُخيفهم بالثَّار المُنيَم ملك المغرب . لما اقتحم قُرُضة المجاز إلى الجهاد
على المبايعة ومراسلة الطاغية . فساعتِ القالة ، وفَسَد ما بينهم وبين
سلطانهم ، وأعمل عليهم التدبير .

نكبته

ثبتُ في الكتاب المسمى « بطرُفة العصر » : ولما اتَّصلت ليديُّ
المسلمين ، وفصل أميرهم من مُلك المغرب ، تنمَّر أضدادهم المناوؤن له المعاندون
قدرة الله فيه ، المتهيئون إلى القاصِمة بمشاحنته ، فأظهروا النُّفور والجذر ،
وكانوا قد داخلوا ملك قشتالة وواعدوه اللحاق به ، إن راعهم رابع ،
ووصلتهم مخاطبته بقبولهم . فلما تخلَّف المسلمون عن اللحاق به ،
نسب لهم الفشل والتكاسل ، فانطلقت الألسن ، وملَّت القلوب ، وتُشوف
إلى الفتك بهم ، وهم عصابة بأسها شديد ، أشهروا فروسية ونجدة وأتباعا ،
فعظم الخطب ، وأعملت الشورى في أمرهم ، وصُرفت الحيل إلى كف
عاديتهم ، ومُعالجة أمرهم ، فتمَّ ذلك . ولما كان يوم السبت التاسع
والعشرون من ربيع الأول ، قعد لهم السلطان على عادته ، ووجه عنهم في
غرض الاستشارة في حال السفر إلى إمداد ملك المغرب ، وقد عبر ونازل
جزيرة طريف ، وفاوضهم فيما عليه الناس من إنكار التلُّوم ، ثم قام
السلطان من مجلسه ، وثارَت بهم الرجال ، فأُحيط بهم ، ونزعت سيوفهم
عن عواتقهم ، وطارت الخيل في ضمٍّ من شدِّ عنهم ، فتقبَّض على طايفة
من أعلامهم ، كانوا بين غرِّ يباشر قنصا ، أو مُفلت لم يجد مهربا ،
وطارت الكتب إلى مالقة في شأن من بها منهم ، فشملمهم الاعتقال ، ثم

نقلوا إلى مدينة المنكب ، فجعلوا في مُطَبِّقِ الأَسْرَى ها ، إبلاغا في النكال ، وتناهيا في المُثَلَّة ، فلم تجر عليهم مصيبة أعظم منها ، لاضطرارهم إلى قضاء حاجة الإنسان برأى عين من أخيه ، خطة خَسَفَ سَيَمُوهَا ، مع العلم بنفور نفوسهم عن مثلها ، وفيهم صدور البيت وأعلامه ، كَأَبِي ثَابِتِ المترجم به ، وأخيه كبيره إبراهيم ، وابن عمهم زين المواكب ، وقريع السيوف ، وعروس الخيل ، حَمُوُّ بن عبد الله ، وسواهم ، وقانا الله شر الهلكات ، وأشْرَابُ مُخِيفِهِم للسلطان صاحب المغرب ، وولى الثَّورَةَ ، إلى صرفهم إليه ، وقد استوجب من مَلِكِ الأَنْدَلُسِ الملائفة لالتفاته لسيءِ البُرْدِ ، واقتحامه باب القُطْرِ . وأخفق السعى ، وضمن بهم موقع النِّقْمَةِ عن إسلامهم إليه ، سيرة أحسنها في جنسهم من أولى الجهالف ، فأجلاهم عما قريب في البحر إلى إفريقية ، فاستقروا ببجاية ، ثم استقدموا إلى تونس تحت إرصاد ورقبة ، وأخضر فيهم ملكها الذِّمَّة ، وهم لديه ، فوجههم على بعد الدار ، ونزوح المزار ، إلى السلطان صاحب المغرب ، مُصْحِبِينَ بشفاعه فيهم ، كانت قُصَارَى ما لديه ، فاستقروا في الجملة تحت فلاح وكفاية ، لا تلفت إليهم عين ، ولا يتشبث بذمل حُطُوتِهِمْ أمل . ثم نُكِبُوا بظاهر سبته نكبة ثقيلة البرِّك ، [مغارة البرك الحمل] ، وأودعوا شرَّ السجون بمدينة مكناسة ، فأصبحوا رهن قيود عديدة ، ومسلحة مرتبة ، جرَّ ذلك عليهم ذرَّة من القول في باب طمُوحِهِمْ إلى الثورة ، وعملهم على الانتزاع بسبته ، الله أعلم بحقه من مِينِهِ . ولما صيرَّ اللهُ مُلْكِ المغرب إلى السلطان ، أمير المؤمنين أبي عنان ، واضطره الحال إلى الاستظهار بمثلهم ، انتشلهم من النكبة ، وجبرهم بعد الصَّدْعَةِ ، وأعلَقَ يد كبيرهم المترجم به بعُرْوَةِ العزَّة ، واستعان بآرائه على افتراع الهضبة . فألقى منه

نقَاباً قد هذَّبته التجربة ، وأزَهَفَتِه المحنة ، وأخْلِصَتِه الصُّنِيعَةُ ، فسَلَّ منه سيفاً على أعدايه ، وزعموا أنه انقاد إلى هوى نفسه ، واستفزته قوة الشرِّ ، ولذَّةُ التَّشْفِي ، وذهب إلى أن يَكُلَّ للسلطان ناكبه . المجاراة صاعاً بصاع ، فانتدب إلى ضبط ما بالأندلس من عمالة راجعة إلى ملك المغرب ، فانقلب يجر وراءه الجيش ، ويجنَّبُ القوة ، فقطع به عن أمله القاطع بالامال ، وأحانه الله ببعض مراحل طريقه مطعوناً لُطْفاً من الله به ، وبمن استهدف إلى النِّصْبِ بمجادته . وهو سبحانه مليء بالمغفرة عن المُسْرِفين ، سبحانه .

«وفاته» ، في الأخباريات من عام تسعة وأربعين وسبعماية .

علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق

يكنى أبا الحسن .

حاله

هذا الرجل نسيجٌ وخبه في الفضل والتخلق ، والوفاء ، ونصح العجيب ، وسلامة الصدر ، وحسن الخلق ، راجح العقل ، سرىُّ الهمة ، جميل اللقاء ، رفيع البزة ، كريم الخصال ، يكتب ويُشعر ، ويحفظ ويطلع غرائب الفنون ، صادق الموقف ، معروف البسالة ، ملوكي الصلوات ، غزلٌ ، كثير الفكاهة ، على تيقور وحشمة ، قدمه السلطان شيخ الغزاة بمدينة وادي آش ، فلما وقعت به المحنة ، وركب الليل مُفلتاً إليها . اتفق لقاؤه إياه صباحاً على أميال منها ، وجاء به ، وأدخله المدينة على حين غفلة من أهلها ، فاستقر بقصبتها وما كاد ، وأخذ له صَفْقَةً أهلها ، وشمر في الدب عنه تَشْميراً نَباً فيه سمعه عن المُصانعة ،

ودَفَّيه عن الجُملة ، وكفَّهُ عن قبول الأَعواض ، فلم يَلْف فيه العدوُّ مَنعِزا ،
 ولا للمكيدة مَعجِما ، ولا استأثر عنه بشيءٍ مما لديه . إلى أن كان انتقال السلطان
 ولا للمكيدة مَعجِما ، ولا استأثر عنه بشيءٍ مما لديه ، إلى أن كان انتقال السلطان
 عنها إلى المغرب ، فتبعه مُشيعا إلى مَأمَنه . فتركها غريبة في الوفاء ، شاع خبرها
 وتُعوطى حديثُها ، على حين نُكِر المعروف ، وجُحِدَت الحقوق ، وأخوت
 بروق الأمل . ثم قَلِقَ المتغلب على الدولة بمكانه ، فصرفه إلى العُدوة الغربية ،
 فاستقرت به الدار هنالك ، في أوائل عام ثلاثة وستين أو أواخر العام قبله .

وخاطبته من مدينة سلا لمكان الوُدِّ الذي بيني وبينه بما نصه :

يا جُملة الفضل والوفاء ما بمعاليك من خفاء
 عندي بالود فيك عقْد صحَّحه الدهر باكتفاء
 ما كنتُ أقضى علاك حقا لو جيتُ ملحا بكل فاء
 فأول وجه القبول عُذرى وجَنِبُ الشُّك في صفاء

سيدي ، الذي هو فَضْلُ جنسه ، ومزِيَّة يومه على أمسه ، فإن افتخر
 الدين من الله بَبْرِهِ ، افتخر منه بشمسه ، رحلتُ عن المَنشأ والقرارة ،
 ومحلُّ الصُّبوة والغرارة ، فلم تتعلَّق نفسي بذخيرة ، ولا عهد حيرة خيرة ،
 كتملُّقها بتلك الذات ، التي لَطُفت لطافة الرِّاح ، واشتعلت بالمجد
 الصُّراح ، شفقةً أن تُصيبها معرة ، والله يقيها ويحفظها ويُبقيها ، إذ
 الفضائل في الأزمان الرُّذلة غوامل ، والضدُّ عن ضده منحرف بالطبع
 ومايل . فلما تعرَّفتُ خلاص سيدي من ذلك الوطن ، وإلقاء وراء الفُرْضة
 بالعِطن ، لم تبق لي تعلَّة ، ولا أجْرَضتني علَّة ، ولا أوتى جمعي من قلَّة .
 فكتبتُ أهنيءُ نفسي الثانية ، بعد هناء نفسي الأولى ، وأعترف للزمن باليد
 الطولى . فالحمد لله الذي جمع الشَّمْل بعد شتاته ، وأحيا الأُنس بعد مماته ،

سبحانه لا مُبدل لكلماته . وإياه أسئل أن يجعل العصمة حظاً سيدي
ونصيبه ، فلا يستطيع حادث أن يصيبه . وأنا أخذج عن بث كمين ،
ونصح أنابه قمين ، بعد أن أسبر غوره ، وأخبر طوره ، وأزصد دوره ،
فإن كان له في التفریق أمل . وفي ركب الحجاز ناقة وجمل . والرأى
فيه ، قد نجحت منه نية وعمل ، فقد غني عن عوف والبقرات ، بأزكى
الثمرات ، وأطفأ هذه الجمرات برمي الجمرات ، وتانس بوصل السرى ،
ووصال السراه ، وأنا له إن رضى أرضى مرافق ، ولو أغرى به خافق .
وإن كان على السكون بناؤه ، وانصرف إلى الإقامة اعتناؤه ، فأمر له ما بعده ،
والله يحفظ من الغير سعده . والحق أن تحذف الأبهة وتختصر ، وتحفظ
اللسان وبغيض البصر ، وينخرط في الغمار ، ويخلى عن الميضمار ، ويجعل
من المحذور مداخلة من لا خلاق له ، ممن لا يقبل الله قوله ولا عمله ،
فلا يكتفم سرا ، ولا يتطرق من الرجولة زمرا ، ورفض الصحبة زمام السلامة ،
وترك النجاة علامة . وأما حالى فما علمتم ملازم كين ، ومبهوظ تجربة
وسين ، أزجى الأيام ، وأروم بعد التفرق الالتئام ، خالى اليد ، مالى
القلب والخلد ، بفضل الواحد الصمد . عامل على الرحلة الحجازية التى
أختارها لكم ولنفسى ، وأمل فى إلتماس الإعانة عليها يومى بأمنى ،
أوجب ما قررته لكم ما أنتم أعلم به من ود قررته الأيام والشهور ،
والخلوص المشهور . وما أطلت فى شيء عند قدومى على هذا الباب الكريم ،
إطالتي فيما يختص بكم من موالاته . وبذل مجهود القول والعمل فى
مروضاته . وأما ذكركم فى هذه الأوضاع ، فهو مما يقر عين الحجادة ،
والوظيفة التى تنافس فيها أولو السيادة . والله يصل بقاءكم . ويبسر
لقاءكم والسلام .

وهذا الفاضل ممن جال فيه لاختيار الإمارة أيام مقامه بالعدوة الغربية ،
 للبياع فضله ، وكرم خِلاله . وقفل إلى الأندلس ، عند رجوع الدولة ،
 فجنى ثمرة ما أسلفه ، وقُدِّم شيخ الغزاة بمالقة . ثم نُقل إلى التي لا فوقها ،
 من تقديمه شيخ الغزاة بحضرته ، منة لا على ميادين حُظوته ، مُقطعا جانب
 تَجِلَّتْه ، فبَلَى الناس على عهد ولايته الفتوح الهنيئة ، والنعم السنية .
 ولما قفل السلطان أيده الله ، من فتح قاعدة جيان ، أصابه مرض ، تُوفى منه
 في ثالث صفر من عام تسعة وستين وسبعماية . فتأثر الناس لفقده ،
 لما بَلَّوهُ من يُمن طائره ، وحُسن موارده ، ومصادره . وكان فد صدر له
 المنشور الكريم ، من إملاتى ، بما ينظر في اسم المؤلف ، في آخر هذا الديوان

على بن مسعود بن علي بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مسعود المحاربي
 الوزير ، يكتنى أبا الحسن .

حِماله

كان من أعيان أهل الحضرة ، وذوى الهيآت والنباهة من بيوتها ،
 أيّدا ، حسن الشكل ، جهير الصوت ، فصيح اللسان ، ثرثاره ، جيد
 الخط ، حلو الدُعاة ، طيب النفس ، لبقاً ، ذكياً ، أديبا ، فاضلا ،
 لموَدَعِيًا ، مُدركا . وزرَ للسلطان أبي الوليد ، نَزَعَ إليه لما دعا إلى نفسه
 بمالقة من إيالة مخلوعه بعد اضطِناعه ، وصَرَفَ وُجْهته إلى جِهته ، فتغاب
 على هواه ، وأشركه في الوزارة ، مع القايد الوزير أبي عبد الله بن أبي الفتح
 الفهرى ، وقد مرَّ ذكره ، فأبرَّ عليه بمزيد المعرفة بالأمر الاشتغالية ، وجماح
 عِنان اللسان والجرأة ، في أبواب المُداخلات الوزارية . فلم يزل يضمُّ أذبال

الخُطَّة ، ويقلُّصُّها عن قَسيمه ، إلى أن لم يبق له منها إلا الاسم إلى حين وفاته .

وفاته

واستمرت حاله على رَسْمه من القيام بالوزارة إلى أن فَتَكَ بسُلطانه قرابته بباب داره كما تقدم في اسم السلطان أبي الوليد في حرف الألف فكر^(١) أدراجه وهاج بالباطشين ، وسلَّ سيفه ، يدافع عنه ، فمالت إليه الأيدي ، وانصرفت إليه الوجوه ، وأصيب بجراحات مُثخنة ، أتى عليه منها جُرح دِماغى لأيام . وعلى ذلك فلم يبرح من سدة السلطان ، حتى تعجَّل ثأره ، وشمل السيف قَتلتَه . وأخذ البيعة لولده . وكانت وفاته في السابع والعشرين لشعبان من عام خمسة وعشرين وسبعماية . ودفن بباب البيرة . وكان الحفل في جنازته عظيما ، والشناء عليه كثيرا ، والرحمة له مُستفيضة .

ورثاه شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب رحمه الله بقوله :

أيا زفرتي زیدی ویا عبّرتی جودی	على فاضل الدنيا على ابن مسعود
على الشامخ الأبيات في المجد والعلا	على السابق الغايات في البأس والجود
على غرة العصر التي جمعت إلى	مهابة مرغوب طلاقة مؤدود
على من له في الملك غير منازع	وزارة ميمون النقيبة محمود
على من إذا عدّ الكرام فإنه	بواجب حق الفضل أول معلود
ومن كعلی ذی الشجاعة والرضا	لاضراخ مدعور وإيواء مطرود
ومن كعلی ذی السماحة والندا	لاسباغ إنعام وإنجاز موعود
ومن كعلی للوزارة قائما عليها	بتصويب عليها وتضعيد
ومن كعلی للإدارة سالكا لها	نهج تليين مشوب بتشديد

(١) وردت في الإسكوريال (كر) . والتصويب أرجح .

ومن كعلى للسياسة منقذا
 ومن كعلى فى رضا الله حاكما
 ومن كعلى واصبل الرحم التي
 ومُسدى الأيادى البيض بدأ وعودة
 أيا كافى السلطان كل عظمة
 ويا حامى الملك المشيد بناؤه
 ويا كافل الأيتام يعجرى عليهم
 ذكرك فى نادى الوزارة صادعا
 ذكرك فى صدر الكتيبة^(١) قائما
 ذكرك فى المحراب والليل دامس
 ودمعك مرفض وقلبك واجب
 عفا على الدنيا ولا در درها
 فمهما حلت منها لديك مسرة
 ألهمنا على الوجه الجميل معطرا
 وعهدى به مستبشرا ومبشرا
 لأظلمت الدنيا على لفقده
 وقلص من ظل الرجا فراقه
 وكم سبحت فلك المنا فى بحارها
 وهون عندى كل خطب مصابه
 ولا أدعى أنى وفيت بعهده
 فلا يشمتن الأعداء إن حان حينه

أوامر تنفيذ وأحكام توطيد
 بإنجاد معلوم وإعدام موجود
 تمت بتقريب ل أو بتبعيد
 مُرددة تمحو دجا الثوب السود
 بأراء تسديد وأعمال تمهيد
 بصولة مخذور وغرة مقصود
 جرية نعى بابها غير مسدود
 بأمر مطاع حكمه غير مردود
 بخلمة مؤلى بعد طاعة معبود
 تردد آى انذكر أطيب ترديد
 لخشية يوم بين عينك مشهود
 فما جمعها إلا رهين بتبديد
 ففى إثرها فارقب مرارة تنكيد
 بدار البلى رهين الأسود والدود
 بتفريج مكروب وراحة مجهود
 فها أنا أرها بمقلة مرصود
 فظل رجائى بعده غير ممدود
 مواخر فاليوم استوت بي على الجود
 فبعد على لست أبكى لمفقرد
 فلم أزع عهدا حين أودى ولم أود
 فمبالردي عار فكل امرى مؤد

(١) وردت فى الإسكوريال (التتية) . وهو تحريف اقتضى التصويب

ولا سبياً إذا مات ميتة عزة بعيداً شهيداً ماضياً غير رعيد
وفياً لمولاه مطيعاً لربه وقد بطلت دُعراً رِقَاب الصناديد
فبشرى له أن فاز حياً وميتاً بميتة مفعود وعيشة محسود
عليه سلام الله ما ذرَّ شارقُ وما صدعت ورقاء في فرع أملود
وجادت ثرى اللحد الزكى سحاب مجددة الرحمى بأحسن تجديد

على بن لب بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى

غرناطى ، قلعى^(١)

حاله

كان ظريفاً ، مليح الخط ، حار التندير ، عينا من عيون القطر ووزرائه

شعره

حدث أبو الحسن بن سعيد ، قال . تمشينا معا أيام استيلاء النهب
والتهدم . على معظم ديار مرأكش بالفتنة المتصلة . قال ، فانتهينا إلى
قصر من قصور أحد كبرائهم . وقد سجدت حيطانه . وتداعت أركانه ،
وبقايا النهب والأصبغة والمقربسات ، تشير الكمد . ولا تبقى جلدًا لأحد ،
فوجدنا على بعضها مكتوباً بفخم :

ولقد مررت على رسوم ديارهم فبكيتهما والرَّبع قاعٌ صَفْصَف

وذكرت مَجْرى الجُور في عَزْصَاتهم فعلمتُ أنَّ الدهر منهم مُنْصَف

فتناول أبو الحسن بياضاً من بقية جيار ، وكتب تحتها ما نصه :

لطفى عليهم دندهم فمألهم بالله قل لى فى الورى هل يُخَلَف

من ذا يعجب مسدياً لو سيلة أم من يُجير من الزمان ويُعْطِف

(١) قلعى أعنى ينسب إلى القلعة ، قلعة بنى سعيد أو قلعة محصنة . وقد سبق التعريف بها
(راجع المجلد الأول - من الإحاطة ص ١١١ حاشية)

إن جار فيهم واحدٌ من جُملة كم كان فيهم من كريم ينصّف
توفى بمراكش سنة سبع وعشرين وستماية .

على بن يوسف بن محمد بن كاشة

القايد والوزير بين القتادة والخرط ، يكنى أبا الحسن

أوليته

كان جدّه من المنتزّين ببعض حصون الأندلس ، طلياطيه^(١) ، وخدم
طاغية الروم ببعضها ، وانخرط في جملته ، يشهد بذلك مكتوبات تلقاها
بشماله ، ووراء ظهره ، صانها حافده المترجم به ، في خرقه من السرق
لا يزال ، يعرضها في سبيل الفخر ، على من يصل إلى باب السلطان من
رسل الروم . ولقد عرضها أيام سفارته إلى ملك قشتالة على وزيره شمويل
اللبى اليهودى ، وطلب تجديدها ، فقال له هذا يتضمن خدمة جدك
للسلطان مولاي جدّ مولاي السلطان بجملته من بلاد المسلمين ، وفيها
الشكرله والرعاية على ذلك ، فاذهب أنت هذا المذهب ، الذى ذهبه جدك ،
يتجدد لك ذلك إن شاء الله ، فلما هلك وورى بين مدافن الروم ، بعد
أن علّق زمانا من سور الحصن في وعاء ، توفية لشرط لا أحققه الآن .
ولحق ولده بباب السلطان ، فتفسيّثوا ظل كفالتة ، ونشثوا في عداد صبيته ،
ولما صلحوا للاستعمال ، استخلم منهم عليا كبيرهم في العمل ، فاستظهر
به على حفزه بحمى ألمرية ، وما إليها ، فأثرى ورآه استغنى ، وطالت
مدة ولايته ، واستعمل أخاه يوسف والد المترجم به ، في القيادة ، وكان

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ويرجح أنه يقصد هنا أن هذا الحصن كان يقع في منطقة

طلياطة « Tlita » وهي بلدة أندلسية تقع في ولاية الغرب غرب إشبيلية .

رجلا مضعوبا ، فاستمرت حاله إلى أن فقد بصره ، وجنى عليه شؤم ولده ، الجلا شيخا زَمِينًا . ثم عاد إلى الأندلس فتوفى بها ، حسبما يذكر في إسميهما . وكانوا يتبجحون بنسبة إلى مَعْن بن زائدة . طَوَّقَ جَدَّهُم بتلك النسبة ، بعضُ أولى التَّنْفِقِ والكُذْبَةِ ، فتعلَّلوا منها بنسيج العناكب ، وأكذَّبوها بالخُلُقِ الممقوت ، والبُخْلِ بفتات القوت ، والتعبدُ لعبدة الطَّاغوت ، إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم .

حاله

هذا الرجل حسن الشكل ، كثير المشقة ، جيد الرياش ، كثير التعلق والتوسل ، لَصِقَتْ بشجرات الدول صَمَغَتُهُ ، وثَبَّتْ بأسبابها قُراده ، شديد الملاطفة لحَجَبَةِ الأبواب ، والمداخلة لأذيال الأمراء ، مُتَصَامِمٌ على أغراضهم ، مُكذِّبٌ لمحسوس جَفَوْتِهِمْ ، مُتَنَفِّقٌ بالسَّعَايَةِ ، مُتَبَدِّلٌ في أسواق الخدمة ، يسبق في الطيالس ، ويلفظ الزبير ، ويصرخ بالإطراء ، ويولول بالدعاء ، مدلُّ في الأخونة ، محكم في نفسه للنَّادِرَةِ التي تضحكهم ، بنى مهذار ، قليل التصنُّع ، بعيد عن التَّسَمُّتِ ، أطمع خلق الله وأبخلهم بما لديه ، وأبعدهم في مهاوى الخسة ، أما فَلْسُهُ فمخزون ، وأما خوانه فمحبوب ، وأما زاده فممنوع محجور ، وأما رِفْدُهُ فمعلوم العين والأثر . وأما ثوبه فحبس التَّحْتِ إلى يوم القيامة ، قد جعل لكل فصل من فصول معاشه ، ونفاضة مخالیه ، وسور دوابه مؤنة ما . فالنُّخَالَةُ بينة المصرف ، وللسرجين معين الجهة ، وفتات المنديل موقفة على فطور الغد ، ودهن الاستصباح جارٍ في التَّجَلَّةِ والادخار مجرى دهن البَلَسَانَ .

أخباره

في هذا الباب مُغْرِبَةٌ ، ولزمت كَعْبَةَ المَنَحَسَةِ ، وعَلِقَ في عنقه طائر الشُّوم ، فلم تنجح له وَجْهَةٌ ، ولا سَعِدَتْ له حَرَكَةٌ ، واستقرَّ عند الكاينة

على الدولة ، بباب السلطان بالمغرب ، خاطباً في حَبْلِ الغادر ، المُتَوَثَّبِ
على المُلكِ ، ومُعِيناً للدهر على الأَحَبِّ الحقِّ وولى النُّعْمَةَ . ثم بدا له في
المقام بالمغرب أمناً واضطراباً . ولما رحل السلطان أبو عبد الله بن نصر
المذكور ، إلى طلب حَقِّهِ ، وقد أَعْتَبَهُ ، سَدَّدَ به رسم الوزارة في طريقه ،
كما اضطر صيادٌ إلى صُحْبَةِ كَلْبٍ مُخَابِتِ آماله ، ولحقت به المَشَامَةُ ،
وتَبَّرَ الجُدُّ ، واشتهر ذلك ، فعَلِقَتْ به الشَّفَقَةُ ، إلى أن خاطب السلطان
بعض من يهمله أمره هذه الأبيات :

كَمَا شَكِمَ مِنْ أَجَلِهِ انْكَشَ السَّعْدُ إِذَا مَا أَطْرَحْتُمْ شُومَهُ نَجِزِ الوَعْدُ
وَمَنْ لَمْ تَكُنْ لِلسَّعْدِ فِي بَدْءِ أَمْرِهِ مَخِيلَةَ نَجْحِ كَيْفَ تُرْجَى لَهُ بَعْدُ
وَتَصْرِيفُهُ المَشْتُومَ فَلتَتَذَكَّرُوا وَمَا قَلْتِ إِلَّا بِالتِّي عَلِمْتَ سَعْدُ
واقْتَضَى أمره تَبَرُّماً بِهِ ، أَنْ صُورَ مِنْ رُنْدَةٍ ، وَقَدْ اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ بِهَا

رسولاً إلى باب ملك المغرب ، لأُمُورٍ مِنْهَا اسْتِخْلَاصُ وَلَدِهِ وَإِصْالُهُ إِلَيْهِ .
فَتَعَذَّرَ القَصْدُ ، وَسُدَّتْ الأبوابُ ، وَأَزْفَتْ بدار المغرب عهداً بَدَأَ الآزِقَةَ .
وتراخى مُخَنَّقٌ مُرْسِلُهُ لَحَلُو دَسْتِهِ مِنْهُ ، فَثَابَ الرَّجَاءُ وَقَرُبَ الفَتْحُ ،
وساعد السَّعْدُ نَمَا طَالَ مِنْهُ التَّعْجِبُ . ولما بَلَغَ خَبِيرٌ صُنْعَ اللَّهِ ، وَإِفاقَةَ
الأيامِ ، وَجَبَرَ اللَّهُ السلطانَ بِدخولِ مَالِقَةَ فِي طَاعَتِهِ ، لِحَقِّ بِهِ ، وَقَدْ قَلِقَتْ
به الجوانبُ ، وَتَنَكَّرَتِ الوجوهُ ، وَسَاءَتِ لَطِيفَتُهُ الظُّنُونُ . فتَوَقَّرَ العزمُ
على صَرْفِهِ عَنِ الأندلسِ فِي أولِيَّاتِ رَمَضَانَ عامِ ثَلَاثَةِ وَسْتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ،
فَقُبِضَ عَلَيْهِ ، وَصُورَ إِلَى البلادِ الشَّرْقِيَّةِ ، وَقَدْ شَرَعَ فِي إِغْرَاءِ سُلْطَانِ
قَشْتَالَةَ بِالمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ آخِرَ العَهْدِ بِهِ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ حَجَّ وَقَفَلَ والعودةُ
تَتَّبَعُهُ ، وَالنَّفُوسُ لِمَتَوَقُّعِ شُومِهِ مُكْرِهَةٌ . وَرُجِيَ أَنْ يَكُونَ مَاءَ رَمْزٍ . وَضَاءُ
النَّقْعِ ، أَوْ أَنْ مَشَاهِدَتِهِ الأَثَارَ الكَرِيمَةَ ، تُصْلِحُ مَا فَسَدَ مِنْ حالِهِ . فَآبُ

شرَّ إِيَاب ، وربما نَبَضَ له شَرِيان من جَدِّه ، الذى تقدم فى خدمة النصارى ذكره . فَأَجَاز البحر إلى ملك برجلونة ، فجعل تقبيل كَنه ، لاستلام الحجر الأسود ، وسيلة ثانية ، وقُرْبَة مُزْلَفَة ، والقول بفضل وطنه حِجَّة صادقة ، ثم قَلِقَ لَحْيِيَّة قصده ، وخطوَّ يده ، من الرُّقُوم ، الذى كان قد اَحْتَجَنَة للمُهم من أمره ، واستيلاء النُّحس على بيت سَعْدَه ، فصرف وجهه المشوَّم إلى المغرب ، فاحتلَّ به ، وجعل يُطَوِّق كل من أسلف له بِدا الدَّام ، وَيَشِيح عنه سوء القِيلة ، وَيَجْهَر فى المجتمعات والدُّكاكين ، بكل شَنِيع من القول ، بالغًا فى ألفاظ السُّغيلة ، أقصى مبالغ الفُحش ، لطف الله بنا أجمعين .

عثمن بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق بن محيو

من قبيل بنى مَرين ، يكنى أبا سعيد ، شيخ الغزاة بجزيرة الأندلس على عهد .

أَوْلِيَّتُهُمْ

جدُّ هؤلاء الأقبال الكرام ، الذى يشترك فيه الملوك الغر من بنى مَرين بالعُدوة ، مع هؤلاء القَرابية ، المُنتَبين عنهم أضرار التراث ، ودواعى المنافسات ، عبد الحق بن مَحْيُو ، وكان له من الولد إدريس وعثمان وعبد الله ومحمد وأبو يحيى ويعقوب ، فكان الملوك بالمغرب من ولد يعقوب ، وهؤلاء من ولد عبد الله ، وإدريس ويعقوب ورحو . ولما قتل جدُّهم يعقوب ، بيد ابن عمه عبد الحق بن يعقوب ، أجفَلَ أخواه ومن معهم ، وانتَبَدُوا ، واستقرُّوا بتلمسان ، بعد أمور يطول شرحها . ثم اجتاز الشيخ أبو سعيد فى جُملة من اجتاز منهم إلى الأندلس ، فنال بها العِزَّة والشُّهرة .

حاله

كان رجل وقته جلاله وأصاله ، ودهاءه وشهره وبساله ، مرمي لاختيار عتاقة وفراة ، واجد الزمن أبهة ورؤاء . وخلقا ورجاحة ، أيذا ، عظيم الكراديس ، طوالا ، عريض المنكب ، أقنى الأنف ، تقع العين منه على أسد عيص ، وفحل هجمة ، بعيد الصيت ، ذائع الشهرة ، منجب الولد ، يحمي السرح ، ويزين اللست . لحق بتلمسان مع زوج أمه وعمه ، موسى بن رحو ، عندما فروا من الجبل بأحواز ورغة ، شابا كما اجتمع ، وأجاز البحر منها ، وخدم مرتزقا بها . ثم عاد إلى العُدوة برضا من عمه السلطان بها . ثم فر عنه ولحق بالأندلس ، واستقر بها ، وولى خطة الشياخة العامة ، وهي ما هي ، من سمو الهضبة ، وورود الرزق ، وانفساح الإقطاع ، فشارك ، وتبنك النعيم ، وأقبل ما استظهر به على ما وراء مدينة سبتة ، عند انتظامها في الإيالة النصرية . فشن الغارة ، ودعا إلى نفسه ، وخلا فطلب النزال ، فغلبت غارته أحواز وادي سبو . ثم رجع أدراجه إلى الأندلس ، وذمر السلطان أبا الوليد ، منفق حطوته على طلب الملك ، ففازت به قداحه ، واستولى على الجم من ريق دنياه ، وسل الكيثر من ماله وذخيرته في أبواب من العبادة ، والاسترضاء والاستهداء . ولما توفى ، تضاعف لطف محله من ولده ، إلى أن ساء ما بينه وبين مدبر أمره ابن المحروق ، ونفر عنه ، مؤاخذا بألقيات ، كانت سلما إلى تجنيه ، يحسب أن الافتقار إليه ، يُعبد له كل وعت . فاغتنم المذكور نفرتة ، واستبصر في الانتباز عنه ، مطيما دواعي الخور والرهبية ، من شؤوب حاله ، وأجل الأمير عن رحيله وولده إلى ساحل ألمرية ، موادعا ، مُزيعا الرحيل عن الأندلس ، وارتاد الجهات ، وراسل الملوك بالعدوة ، فكل صم

عن ندايه ، وسُدَّ السبيل إليه ، فداخل قوما من مَشِيخَة حصن أندَرَش حاضرة وطن الجباية ، فاسنولى عليه ، وانتقل إليه بجُمْلته ، وراسل الطاغية ، فتحرك إلى منازل حصن وبَّرة من الحصون التاكرونية . ففازت به قِداحه ، واستُدعى عم السلطان ، وهو الرئيس أبو عبد الله بن فرج ابن نصر من تلمسان ، فدعا إليه ، وشَمكت الفتنه ، وكانت بينه وبين جيش الحضرة وقايح ، تناصَّف فيها القوم خِطَّتِي المُساجلة إلى أن نَفِد صبره وماله ، وسَمَت فتنته الدولة ، واقتَضت مُسالمة المصلحة ، فعُوهد على التخلَّى عن الحصن ، وصُرف أميره إلى مُتَبَوِّئه الأَقصى ، وانتقاله إلى مدينة وادي آش ، ليكون سكنه بها ، تحت جريات مُقدَّرة ، وذلك في شهر رمضان ثمانية وعشرين وسبعماية ، وعلى تفية ذلك ، عدا على مناويه أميره ، ففتك به ، واستقدم الشيخ أبا سعيد فأعاده إلى محلِّه . واستمرت على ذلك حياته إلى مدة حياته ، إلى أن توفي في أخريات أيامه .

وفاته

ولما نزل العدو ثغر أطيبة ، ونهض جيش المسلمين إلى مضايقته ، أصابه المرض . ولما أشفى ونقل إلى مالقة ، فكانت بها وفاته يوم الأحد ثانی ذی حجة من عام ثلاثين وسبعماية عن سن عالية تنيف على الثمانين سنة ، ونُقل إلى غرناطة ، فوورى بها ، وبُنيت عليه بُنية ضخمة ، وصار أمره إلى ولده . ونقش على قبره في الرخام :

« هذا قبر شيخ الحماة ، وصدر الأبطال الكماة ، واحدُ الجلالة ، ليثُ الإقدام والبسالة ، عَلمُ الأعلام ، حامى ذِمار الإسلام ، صاحبُ الكتايب المنصورة ، والأفعال المشهورة ، والمغازى المسطورة ، وإمام الصفوف ، القايم بباب الجنة تحت ظلال السيوف ، سيف الجهاد ،

وقاصم الأعاد ، وأسد الآساد ، العالى همم ، الثابت القدم ، الإمام المجاهد الأَرْضَى ، البطل الباسل الأَمْضَى ، المقدم ، المرحوم ، أبى سعيد عثمان ، ابن الشيخ الجليل ، الإمام الكبير ، الأصيل الشهير ، المُقَدَّس ، المرحوم أبى العلاء إدريس ، ابن عبد الله بن عبد الحق . كان عمره ثمانيا وسبعين سنة ، أنفق ما بين رَوْحَة فى سبيل الله ، وغَدْوَة ، حتى استوفى فى المشهور . سبع مائة واثنين وثلاثين غَزْوَة ، وقطع عُمره جاهدا مُجاهدا ، فى طاعة الرب ، مُحْتَسِباً فى إدارة الحرب ، ماضى العزائم فى جهاد الكفار ، مُصَادِما من تدفق التيار ، وصنع الله له فيهم ، من الصنایع الكبار ، ما صار ذكره فى الأقطار ، أشهر من المثل السيار ، حتى توفى رحمه الله ، وغُبار الجهاد طى أثوابه ، وهو مراقبٌ لطاغية الكفار وأحزابه ، فمات على ما عاش عليه ، وفى مَلْحَمَة الجهاد قَبَضَهُ اللهُ إِلَيْهِ ، واستأثر به ، سعيداً مُرْتَضِياً ، وسيفه على رأس ملك الروم مُنْتَضِياً ، مقدمة قبول وإسعاد ، ونتيجة جهاد وجلاد ، ودليلاً عن نيته الصالحة ، وتجارته الراححة ، فارتجت الأندلس لفقدِهِ ، أتخفه الله رحمةً من عنده ، توفى يوم الأحد الثانى لذي الحجة من عام ثلاثين وسبعماية .

القضاة الأصليون

عتيق بن أحمد بن محمد بن يحيى النسائي

غرناطى ، يكنى أبا بكر ، ويعرف بابن الفراء ، ويعرف عقبه ببني الوادى آشى ، وقد مر ذكر ولده أبى الفرج ، ويُنبز بقرنيات .

حاله

حدثنى أبى رضى الله عنه ، وكان صديقا لأبيه ، أنه كان من أهل

الجلالة والفضل ، حسن السمت ، عظيم الوقار ، جميل الرواء ، فاضلا ،
حسن العشرة . وقال القاضي ابن عبد الملك ، كان جاسعا لفنون من المعارف ،
معروف الفضل في كل ما يُناول من الأمور العلمية ، وقيد كثيرا ، وعُني
بالعلم العناية التامة ، واستُقضى بالمتكّب ، وعُرف في ذلك بالعدالة
والنزاهة .

توالمفه : صنف « نزهة الأبصار في نسب الأنصار » ، و« نظم الحلي
في أرجوزة أبي علي » ، يعني ابن سينا .

شعره

قال ومما نظمته ووجهته به صُحبة رسالتين :

ياراكباً يَبغى الجنا ب الأشرفا	ومناه أن يلقى الكريم المُسعفا
عرج بنطية مرة لتري بها	علمي قبول رحمةً وتعطففا
وإذا خللت بها فقبّل تُربها	وارغب جلالهم عسى أن يُسعفا
وأسيل دموعك رغبة وتضرعا	وأطل بها عند التضرع موقفا
واذكر ذنوبك واعترف بعظيمها	فعسى الذي ترجوله أن يعطففا
واجعل شفيعك إن قصدت عناية	قبراً تقدس تُربةً وتشرففا
قبرٌ تضمن نور هدىً واضحا	لم يَحْتجب عن مُبصره ولا اخففا
قبر حوى النور المبين ونوره	يَهدي به سُبُل السلام من اقتفا
قبر به الهاشمي محمد أبهى	الأنام سناً وأوفى من وفا
خير الورى علمُ التقي شمس	الهدى المُنتقى والمجتبا والمُصطففا
سلم عليه وخصه بتحيفة	واقراء عليه من السلام مُضاعفا
واذكر هديت أخا البطالة عمره	كم نقض العهد وأخلففا
ولكم تيقن بالليل فماله	ركب العناد لجاجة وتعسفا
وعصى فأسلم للقطيعة والجوى	حق على من خان أو لا يعرففا

هل للعفو تنفح نحوه يوماً
وأعد حديث مشوق قلب عنده
من لم يذب شوقاً له ما أنصفا
تفديك عطفة نفسي مخبراً ومعرفاً
وتشك من جاء إليه فإن لي

مولده : بغرناطة في ذى حجة خمس وثلاثين وسبائة .
وفاته : ذكر أنه كان حياً سنة خمس وثمانين وسبائة .

على بن محمد بن توبة

يكنى أبا الحسن .

حاله

كان من العلماء الجلة الفقهاء الفضلاء . وُلِّي قضاء غرناطة لباديس
ابن حبوس ، وعلى يديه كان عمل منبر جامعها ، وكان عمله في شهر
ربيع الأول سنة سبع وأربعين وأربعمائة . وكان من قضاة العدل ، وإليه
تنسب قنطرة القاضي بغرناطة ، والمسجد المتصل بها في قبيلتها . وكان
كاتبه الزاهد أبا إسحق الإلبيري^(١) ، وفيه يقول :

بعلي^(٢) بن توبة فاز قِذحي وَسَمَتْ هَمَّتِي عَلَى الْجُوزَاءِ^(٣)
فهنيئاً لنا وللدين قضا مثله عالمٌ بفضل القضاء
يَحْخِمُ الأَمْرَ بِالسِّيَاسَةِ وَالْعَدْل كَحَسْمِ^(٤) الْحُسَامِ لِلأَمَاءِ
لو أنا سيرناه قال اعترافاً غَلِطَ الوَاصِفُونَ لِي بِالذِّكَاةِ
أو رأى أخنّف وأكبر منه حِلْمُهُ مَا انْتَمَوْا إِلَى الْحُلَمَاءِ

- (١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .
(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يا على) .
(٣) هذا هو البيت الوحيد الذي ورد من القصيدة في الزيتونة .
(٤) وردت في الإسكوريال (لحم) فاتنضى التصويب .

أورأى المُنصفون بحرَ نَداه
هو أَوْفى من الشُّمول عهدا
وحيا المزن وحيا أخاه
يشهد العالمون فى كل فن
وقضاة الزمان أرضُ لديهم
لتعرضت مدحه فكأننى
فأنا مُعجم على أن خيلى
لكسائى مخبرا ثوب فخر
ولو أنصفتُه وذاك قليل
فأنا عبده وذاك فخارى
وثناء وقف عليه وشكرى
جعلوا حاتمًا من البحر لاء
ولما زال مُخرمًا بالوفاء
أهملت كفه بوبل العطاء
أنه كان كالشهاب فى العلماء
وهو من فوقهم كمثل السماء
رُمت بحرا مساجلا بالدلاء
لا تجارى فى حلبة الشعراء
طال حتى حررتة من وراء
كان خدى لتعله كالحذاء
وجمالي بين الورى وبهاء
ودعائى له بطول البقاء

على بن عمر بن محمد بن مشرف بن محمد بن أضحي بن عبد اللطيف بن

الغريب بن يزيد بن الشمر بن عبد شمس بن الغريب الحمدانى

والغريب بن يزيد هو أول مولود ولد للعرب اليمانيين بالأندلس يكنى
أبا الحسن .

ولى غرناطة^(١) . وكان من أهل العلم والفهم ، والمشاركة فى الطب ،
والكفاية الجيدة ، والشعر فى ذروة همدان ، وذوايبيهما ، حسن الخط ،

(١) اقتصر ابن الخطيب على هذه الإشارة بالنسبة لحركة القاضى ابن أضحي . ونضيف نحن
إلى ذلك أن ابن أضحي كان من زعماء الثورة ضد المرابطين ، حينما توضع سلطانهم بالأندلس ، وظهر
عليهم الموحدون بالمغرب . وقد كان ابن أضحي يومئذ قاضياً لغرناطة ، فاعلن الثورة ودعا لنفسه ،
وآزره أهل المدينة وتعاونوا على إخراج المرابطين ، فاعتصموا بالقصبة . ولما أعياء أمرهم ، يمث
فريق من أهل المدينة فى استدعاء سيف الدولة بن هود لياتى لولايتها ، فجاء من جيان فى بعض قواته .
ولكن المرابطين اشتد أمرهم وهزموا خصومهم . وفى تلك الأثناء توفى ابن أضحي بتناوله لفتح مسموم .
كان قد أمد لاغتيال ابن هود وذلك فى سنة ٥٤٠ هـ . وكان مولده بالمرية سنة ٤٩٥ هـ .

كريم النفس ، جواد بما يمارى ، عطاياه جزلة ، ومواهبه سنية ، وخلقه
سهلة ، كثير البشاشة ، مليح الدعابة ، موطأ الأكناف ، على خلق الأشراف
والسادة .

مشيخته

روى بالمرية عن القاضي أبي محمد بن سمحون وبه ، تفقه . وقرأ
الأدب على ابن بقة ، وعلى الإمام الأستاذ أبي الحسن على بن أحمد بن
البادش ، وسمع الحديث على الحافظ أبي بكر بن غالب بن عبد الرحمن
ابن عطية وغيره .

شعره

من شعره يخاطب الوزير ابن أبي ويعتذر إليه ، وكان الفقيه أبو جعفر
المذكور ، قد خاطبه شافعاً في بعض الأعيان ، فتلقى شفاعته بالقبول ،
ثم اعتقد أنه قد جاء مقصراً ، فكتب إليه :

وَمُسْتَشْفَعٌ عِنْدِي بِخَيْرِ الْوَرَى	عِنْدِي وَأَوْلَاهُمْ بِالشُّكْرِ مِنِّي وَبِالْحَمْدِ
وَصَلْتُ فَلَمَّا لَمْ أَقْمِ بِجِزَايِهِ	لَفَفْتُ لَهُ رَأْسِي حِيَاءً مِنَ الْمَجْدِ
وَكُتِبَ يَخَاطِبُ أَبَا نَصْرٍ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَدْ كَانَ أَبُو نَصْرٍ خَاطِبَهُ قَبْلَ ذَلِكَ :	
أَتَتْنِي أَبَا نَصْرٍ نَتِيجَةُ خَاطِرِ	سَرِيعِ كَرَجْعِ الطَّرْفِ فِي الْخَطَرَاتِ
فَأَعْرَبْتُ عَنْ وَجْدِ كَمِينِ طَوَيْتِهِ	بِأَهْيَفِ طَاوٍ فَاتِرِ اللَّحْظَاتِ
غَزَالُ أَحْمُ الْمُقْلَتَيْنِ عَرَفْتَهُ	نُحَيْفٌ مِنِّي لِلْحَسَنِ أَوْ عَرَفَاتِ
رِمَاكَ فَأَضْمَى وَالْقُلُوبَ رَمِيَةً	لِكُلِّ كَحِيلِ الطَّرْفِ ذِي فَتَكَاتِ
وِظَنَ بِأَنَّ الْقَلْبَ مِنْكَ مُحْصَبٌ	فَلْبَاكَ مِنْ جَنَابِهِ بِالْجَمْرَاتِ
تَقْرُبُ بِالنُّسَاكِ فِي كُلِّ مَنْسَكِ	وَضَحَى غَدَاةَ النَّحْرِ بِالمُهْجَاتِ
وَكَانَتْ لَهُ جِيَانٌ مَشْوَى فَأَصْبَحَتْ	ضُلُوعَكَ مِثْوَاهَ بِكُلِّ فَلَاتِ

يعزُّ عَلَيْنَا أَنْ تَهِيمَ فَتَنْطَوِي
 فَلَوْ قُبِلَتْ لِلنَّاسِ فِي الْحَبِّ فِدْيَةٌ
 كَبِيْبَا عَلَى الْأَشْجَانِ وَالزُّفْرَاتِ
 فَدَيْنَاكَ بِالْأَمْوَالِ وَالْبُشْرَاتِ
 وَخَاطَبَ أَحَدَ أَوْلِيَائِهِ شَافِعًا فِي رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ، ثُمَّ عَلَّقَتْ بِهَا نَفْسَهُ ،
 فَلَمْ تُسَعِّفْهُ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ :

وَيَا أَيُّهَا الْأَعْمَى الْعَلَمَ	أَلَا أَيُّهَا السَّيِّدَ الْمُجْتَبَى
بِمَا قَدْ حَوَّتْ مِنْ بَدِيْعِ الْحِكْمِ	أَتَتَّنِي أَيْبَاتِكَ الْمُعْجَزَاتِ
وَقَدْ نَفَّثَتْ سِحْرَهَا فِي الْكَلِمِ	وَلَمْ أَرْ مِنْ قَبْلِهَا بَابِلًا
بِنَشْرِ وَلَا بِنِظَامِ نُظْمِ	وَلَكِنَّهُ الدِّينَ لَا يُشْتَرَى
وَكَيفَ أُحِلُّ مَا قَدْ حُرِّمَ	وَكَيفَ أُبَيِّعُ حِمًّا مَانِعًا
وَنَارًا مُوجِجَةً تَضْطَرِّمُ	أَلَسْتُ أَخَافُ عِقَابَ الْإِلَهِ
عَلَى أَنْوَكٍ قَدْ طَعَنِي وَاجْتَرَمَ	أَأَصْرَفُهَا طَالِقَةً بَتَّةً
تَشَبَّتْ فِي أَمْرِي مَا نَلِمَ	وَلَوْ أَنَّ ذَاكَ الْغَيِّ الْخَمُولَ
فَكَانَ أَحَقَّ الْوَرَى بِالنَّدَمِ	وَلَكِنَّهُ طَاشَ مُسْتَعْجَلًا

ومن شعره أيضا قوله رحمه الله :

أَنَا عَبْدٌ مُثَقَّلٌ بِالذَّنُوبِ	يَا عَلِيمًا بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ
مَا أَنَا فِيهِ مِنْ أَلِيمِ الْكُرُوبِ	فَاعْفُ عَنِّي وَتُبْ عَلَيَّ وَفَرِّجْ
كَيْفَ أُشْجِي بِهِ وَأَنْتَ طَبِيبُ	حَالِمًا أَشْتَكِي سِوَاكَ طَبِيبُ
فَأَرْحِ مَا بِمَهْجَتِي عَنْ قَرِيبِ	أَنَا مِمَّنْ دَعَا قَرِيبًا مُجِيبُ

توالياه

قال أبو القاسم بن خلف الغافقي ، حدثني عنه الفقيه أبو خالد
 ابن يزيد بن محمد وغيره بتوالياه ، منها كتاب « قوت النفوس » ،

«وأنس الجليس» وهو كتاب حسن ، ضمن فيه كثيراً من شمائل النبي عليه الصلاة والسلام .

توفي بفرناطة في سنة أربعين وخمسية ، وهو يحاصر المثلثين^(١) بقصبة غرناطة حسبما ثبت في اسم ابن هود أحمد^(٢) .

ومن الطارئين والغرباء

عثمن بن يحيى بن محمد بن منظور القيسي

من أهل مالقة ، يكنى أبا عمرو ، ويعرف بابن منظور ، الأستاذ القاضي من بيت بني منظور الإشبيليين أحد بيوت الأندلس المعمور^(٣) بالنباهة .

حاله

كان رحمه الله صدرأ في علماء بلده ، أستاذاً ممتعا من أهل النظر والاجتهاد والتحقيق ، ثاقب الذهن ، أصيل البحث ، مضطلعا بالمشكلات ، مشاركاً في فنون ، من فقه وعربية ، برز فيهما ، إلى أصول وقراءات وطب ومنطق . قرأ كثيراً ، ثم تلاحق بالشادين ، ثم غبّر^(٤) في وجوه السوابق . قرأ على الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار ، ولازم الأستاذ أبا محمد بن أبي السداد الباهلي ، وتزوج إبنة الفقيه أبي علي بن الحسن ، فاستقرت

(١) أمم المرابطين

(٢) وردت في أعلى هامش المخطوط (لوحة ٣٠٢) هذه الفقرة من كلام المختصر : « وما ينبغي أن يتنبه له بما قد يشته في فتاوى هذا المترجم ، وفتاوى القاضي أبي عمرو بن منظور قاضي غرناطة ، وهو متأخر عن هذا من أهل المائة الثامنة من معاصري الفقيه أبي عبد الله الحوافر . وفتاوى هذين الرجلين مسطورة في «المعار» . والمعار هو كتاب «المعار المعرب عن فتاوى أفريقية والمغرب» للفقيه المغربي أحمد بن يحيى الوشريني المتوفى سنة ٩١٤ هـ .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المعروف) والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (عري) .

عنده كتب والدها ، فاستعان بها على العلم والتبحر في المسائل ، وقيد بخطه الكثير ، واجتهد وصنف ، وأقرأ ببلده ، متحرِّفاً بصناعة التوثيق ، فعظُم به الانتفاع ، وقعد للتدريس [خلفاً للراوية] ^(١) أبي عثمان بن عيسى في شوال عام تسعة وسبعماية وولى القضاء ببُلُش وقُمارش ، وملتماس ^(٢) ، ثم ببلده مالقة ، وتوفى قاضياً بها . لقيته ، وانتفعت بلقايه ، وبلوت منه أحسن الناس خلقاً ، وأعدبهم فكاهة .

شعره

وكان قليلاً ما يَصُدُّرُ عنه ، كتب على ظهر الكتاب الذي ألفه للوزير أبي بكر بن ذى الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم ، مُقتدياً بغيره من الأعلام في زمانه :

قد جمع الحكيم وفصل الخطاب ما ضمه مجموع هذا الكتاب
من أدب غرض ومن علية تسابقوا للخير في كل باب
فجاء فذاً في العلى والنهى ومُنْتقى صَفْوُ لُبَابِ اللُّبَابِ
ألفه الحبير الجليل الذى حاز العُلا إرثاً وكَسْباً قطاب

توالياقه

ألف كتاب « اللمع الجدلية في كيفية التحدث في علم العربية » . وله تقييد في الفرائض حسن ، سماه ، « بُغية المباحث في معرفة مقدمات الموارد » ، وآخر في المسح على الأتفاق ^(٣) الاندلسى .

وفاته : توفى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين لذي حجة من عام خمسة وثلاثين وسبعماية ، ولم يَخْلِفْ بعده مثله .

(١) وردت في الإسكوريال والزيتونة (خلفاً من الرواية) . والتصويب أنسب لسياق .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (منماش) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة .

على بن أحمد بن الحسن المدحجي

من أهل حصن ملتاس^(١) ، وابن وزيره الفقيه الحافظ القاضي ،
يكنى أبا الحسن ، ويعرف بجده .

حاله

من أولى الأصالة والصيانة والتعفف ، والعكوف على الخير ، والآوين
إلى طعمة متوارثة ، ونباهة قديمة ، صناع اليد ، متقين لكل ما يحاوله
من تسعير وِنجارة ، مبدول المودة ، مُطعم للطعام بدار له معدة للضيّفان
من فضلاء من تطوّه الطريق ، ويغشاه [من] أبناء السبيل . ولى قضاء بلده
في نحو عشرين سنة ، فحمدت سيرته ، ثم ولى قضاء مالقة ، فظهرت
دُرَيْته ومعرفته بالأحكام . فأعفى وعاد إلى ما كان بسبيله من القضاء
بموضعه والخطابة .

مشيخته : قرأ على الشيخين الصالحين ، أبي جعفر بن الزيات ، وأبي
عبد الله بن الكماد ببلده ، بلّس ، وأخذ عنهما .
تواليفه : له أجوبة حسنة في الفقه . وصنف على كتاب البراذعي تصنيفا
حسنا ، بلغ فيه إلى آخر رزمة البيوع ثلاثة عشر سفرا ، واستمرت على
ذلك حاله .

توفي ببلده بلّس في^(٢) من عام ستة وأربعين وسبعماية .

على بن عبد الله بن الحسن الجُدّامي النباهي المالقي

صاحبنا أبو الحسن .

(١) هكذا في الإسكوريال . وهي نفس البلدة التي وردت في الترجمة السابقة .

(٢) بياض في المخطوط .

أوليته

تنظر فيما تقدم من أهل بيته والمذكورين فيه من سلفه^(١) .

حاله

هذا الرجل ، وُلِّي قضاء الحضرة ، وخطابة جامع السلطان ، وعرض له تقزز فيما يقف عليه من مُنتخب وصفه ، وعدم رضاً بما يُجتهد فيه من تحلّيته ، فوكلنا التعريف بخصايصه ، إلى ما اشتهر من حميدها ، تخرجاً مما يجز عتبه ، أو يثير عدم رضاه^(٢) .

مشيخته

ذَكَرَ أَنَّهُ أَخَذَ عَنِ الشَّيْخِ الْخَطِيبِ أَبِي بَكْرٍ الطَّنْجَالِيِّ ، قَرِيبَ أَبِيهِ ،

(١) سبق أن أورد ابن الخطيب ترجمة لأحد أجداده ، وهو الحسن بن محمد بن الحسن النباهي الجذامي (المجلد الأول ص ٤٦٥ - ٤٧٦) .

(٢) نود أن نضيف إلى هذه الفقرة الموجزة التي أوردتها المختصر ، ما ذكره ابن الخطيب من أوصاف النباهي في ترجمته الأصلية له ، وهي التي نقلها إلينا المقرئ في نفع الطيب . وذلك فيما يأتي : « على بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن الجذامي المالقي ، أبو الحسن ، ويعرف بالنباهي . هذا الفاضل قريع بيت مجادة وجلالة ، وبقية تميز وأصالة ، عف النشأة ، طاهر الثوب ، مؤثر للوقار والحشمة ، غاطب للشيخوخة ، مستعمل للشبية ، ظاهر الحياء ، متحرك مع السكون ، بعيد النور ، مرهف الجوانب مع الانكاش ، مقتصد في الملابس والآلة ، متظاهر بالسذاجة ، برىء من النوك والنفلة ، يقظ للمعارض ، مهتد إلى الملاحن ، طرف في الجود ، حافظ ، مقيد ، طلعة ، إخباري ، قائم على تاريخ بلده . شرع في تكميل ما صنف فيه ، ولازم للتقيد والتطريف ، متفرعن الإجازات والفوائد . استفدت منه في هذا الغرض وغيره كثيراً . حسن الخط ، ناظم ، نائر ، نثره يشف على نظمه ، ذاكر للكثير ، استظهر محفوظات منها النوادر للقال ، وناهيك به محفوظاً مهجوراً . ومسلماً غفلاً ، فما ظنك بسواه . نشأ ببلده حر الطمعة ، فاضل الأبوة ، وقرأ به ، ثم ولي القضاء بلباس ثم يبلس وعملها ، فسبح الخطبة ، مطلق الجراية ، بعيد المدى في باب النزاهة ، ماضياً غير هيوب . حتى أربى في الزمن القريب على المحتكين وغير في وجوه أهل الدربة ، وجرت أحكامه مستندة إلى الفتيا ، جارية على المسائل المشهورة . ثم نقل منها إلى النظر في أمور الحل والمقد بمالقة ، مضافاً إليه الخطط النبوية . وصدر له منشور من إملاني » .

(نفع الطيب ج ٣ ص ٤٦٩) .

والناظر عليه بعدة بوصاته . وكان من أهل الدرّاية والرواية ، وعن الشيخ الفقيه أبي القاسم محمد بن أحمد الغساني ، شهر بابن حفيد الأمين ، وقرأ عليه الفقه والقرآن ، وسمع عليه ، وتلا على الشيخ الأستاذ المقرئ أبي محمد بن أيوب ، وسمع عليه الكثير . وهو آخر من حدث عن أبي بن أبي الأحوص . وعلى الشيخ المقرئ أبي القاسم بن يحيى بن محمد ابن درهم ، وأخذ عن قريبه القاضي ، نسيج وحده أبي بكر عبد الله بن بكر الأشعري . ومن أشياخه صهره القاضي الأستاذ أبو عمرو بن منظور ، والأستاذ الحافظ المتكلم أبو عبد الله القطان ، والصوفي أبي الطاهر محمد ابن صفوان ، والقاضي الكاتب أبو القاسم محمد البناء . وصحب الشيخ أبا بكر بن الحكيم ، ولازمه وروى عنه . ولقى الخطيب المقرئ أبا القاسم ابن جزي ، وأخذ نسبه عن الشيخ أبي القاسم بن عمران . وبرئدة عن القاضي المحدث المقيد أبي الحجاج يوسف المنتشافي . ورحل فلقى بتلمسان عمران أبا موسى المشدالي ، وحضر مجلسه ، والأخوين الإمامين أبا زيد وأبا موسى ابني الامام . وبياجة^(١) ، أبا العباس أحمد بن الرباعي ، وأبا عبد الله بن هرون . وبتونس أعلاما ، كقاضي الجماعة أبي عبد الله ابن عبد السلام . قال ومن خطه نقلت ، وأجازني من أهل المشرق والمغرب ، عالم كثير .

شعره

قال ، نظمت مقطوعتين ، مؤطّتا بهما على البيتين المشهورين .

الأولى منهما قولي :

بنفسى من غزلان غزوى وغزالة جمالٌ مُحيّاها عن النسك زاجر

(١) المقصود هنا باجة الواقعة بشمال إفريقية (تونس) ، وليس باجة الواقعة في غرب الأندلس.

تصيد بلحظ الطرف من رام صيدها
معطرة الأنفاس رائحة الحلى
إذا رُمْتُ عنها سلوة قال شافع
والأخرى قولي :

وقائلة لما رأت شيب لِمَتِي
زمان التصابي قد مضى لسبيله
فقلت لها كلا وإن تَلِفَ الفتى
ستبقى لها في مُضمر القلب والحشا
لئن ملت عن سلمى فعُتْرِكَ ظاهر
وهل لك بعد الشيب في الحب عاذر
فما لهواها عند مثلي آخِر
سريرة ودُّ يوم تبلى السراير
وكتب مع شكل يحلنو على النعل الكريم ، من شأنه أن يكتب ذلك لكل
مُزجع سفر :

فديتك لا يُهدى إليك أجل من
ومن ذلك الباب المثال الذي أتى
ومن فضله مهما يكن عند حامل
ولا سيما إن كان ذا سفر به
فدونك منه أيها العلم الرضا
ومن ذلك قوله :

لا تلجان لمخلوق من الناس
وثيق بربك لا تياس ترى^(١) عجباً
من يافت كان أصلاً أو من الياس
فلا أضرَّ على عبدٍ من الياس

ومن قوله يمدح السلطان ويصف الإعدار :

أبدي لنا من ضروب الحسن أفنانا
يقول فيها لطف الله بنا وبه :

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تجد) .

ولا تحرك لسانا يا أخا ثقة
يظل ينشر ميث الوجد عن جدث
بريم رامة إن وفى وإن خانا
من الجفون أو الأحشاء عريانا

ثم قال فيها بعد كثير يرجي عفو الله فيه :

فما النسيب أولى من حديث علا
يغمه تحفظ بما أملت من أمل
عن الإمام ينيل المرء رضوانا
يُجنيك للسؤل أفنانا فأفنانا

ومنها في المدح :

ملك يخف لراجيه بنايله
ملك ينص له الآلاء عزته
على وقار يرى كالعين ثملانا
على السعادة في الدارين فرقانا
تخال فيه لها روحاً وريحانا
إذا سألت منه لوجه الرشد هانا
قضاعن منكبي صرفه ظلما وعدوانا
لا يستطيع له المدعو عصيانا

ومنها في ذكر الإعذار :

لله درك يا مولاي من ملك
ولم تبال ببذل المال في غرض
وقمت في الولد الميمون طائرته
بدا لنا قمراً ترنو العيون له
وقام يسحب أذيال الجمال على
خجلان بالقصور عن بلوغ مدا
فدته أنفسنا لو كان يقبلها
فيادما سال عن تقوى فعاد له

ولا دليل على الغفلة المعبر عنها بالسلامة والذهول كقوله : وقمت في

الولد الميمون طائرُهُ . ومن ذلك قوله يخاطب صاحب العلامة بالمغرب
أبا القاسم بن رضوان ؛

لك الله قلبى فى هواك رهين
ملكك بحكم الفضل كلى خالصاً
فهب لى من نطقى بمقدار ما به
فقد شملتنا من رضاك ملايس
أعنت على الدهر العشوم ولم تزل
وقصر من لم تعلم النفس أنه
وإنى بحمد الله [عنه] لنى غنى^(٢)
أبى لى مجد عن كرام ورثته
ونفسى سممت فوق السماكين همة
ولما رأت عيني محياك أقسمت
وعاد لها الأنس الذى كان قد مضى
بحيث نشأنا لابسين حلى التوى
أما وسنى تلك الليالى وطيبها
وفتيان صديق كالشموس وكالحيا
لئن نزحت تلك الديار فوجدنا
إذا مر حين زاده الشوق جدة
لقد عبثت أرى الزمان بجمعنا

وروحى عنى إن رحلت ظعين
وملكك للحر الصريح يزين
يترجم سر فى الفؤاد دفين
وسح لنا^(١) من نذاك معين
بدنياك فى الأمر المهم تعين
خنول إذا خان الزمان يخون
وحسبى صبر عن سواك يصون
وقوقاً بباب للكرام^(٣) يهين
وما كل نفس بالهوان تدين
بانك للفعل الجميل ضمين^(٤)
برية إذا شرخ الشباب خدين
وكل بكل عند ذاك ضنين
ووجد غرامى والحديث شجون
حديثهم ماشيت عنه يكون
عليها له بين الضلوع أنين
وليس يعاب للربوع حنين
وحان افتراق لم نخله يحين

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (لدينا) .

(٢) الزيادة من النسخ .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (الكريم) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (ضنين) والتصويب من النسخ ،

وبعد التَّقِينَا فِي مَحَلِّ تَغْرُبِ
فَقَابِلَتَ بِالْفَضْلِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
وغيبتَ وما غابت مكارمُك التي
يميناَ لقد أوليتنا منك نعمةً
ويَقْصُرُ عنها الوصفُ إذ هي كلها
ولمَّا قَدِمْتَ الآنَ زاد سرورنا
لأنك أنتَ الرُّوحُ منا وكلُّنا
ولو كان قَدْرُ الحبِّ فيك لقاؤنا
ولكن قَصَدْنَا راحةَ المجد دوننا^(١)
هنيئًا هنيئًا أيها العَلَمُ الرُّضَا
لك الحسن والإحسان والعِلْمُ والتُّقى
وكم لك في دار^(٢) الخلافة من يدٍ
وقامت عليها للملوك أدلة
فلا وجهٌ إلا وهو بالبشر مُقبل^(٣)
بقيت لربِّع الفضل تحمى ذِمَّارَه
ودونك يا قطبَ المعالي بُنية
أنتك ابن رضوان تَمَّتْ بوُدِّها
فخلَّ انتقاد البحث^(٤) عن هفواتها
ونخذها على عِلَّاتها فحديثها

ومن شعره قوله في ليلة الميلاد الكريم سن قصيدة :

- (١) مكذا في الإسكوريال . وفي النفع (جهندا) .
- (٢) مكذا في الإسكوريال . وفي النفع (باب) .
- (٣) مكذا في الإسكوريال . وفي النفع (مشرق) .
- (٤) مكذا في الإسكوريال . وفي النفع (البحر) .

خليلي مُرًا على أرض مَارَبٍ ولا تَعْدِلاني إنني غير آيب
وهي طويلة أثبتت في الرُّحلة . فليَنظرها هنالك من أراد استيفاء غرضها .

نثره

من أمثل ما صدر عنه في غرض غريب ، وهو وصف نخلة بإزاء باب
الحمراء . ونثره كثير ، ولكننا اخترنا له ما اختار لنفسه ، وأشاد بشُفوفه
على أبناء جنسه :

يا أيها الأَخْلَاءُ الذين لهم الصَّنَائِعُ ، التي تحسدها الغَمَائِمُ ، والبدايع
التي تودُّها بدلا من أزهارها الكَيَامِ ، بقيتم وشَمَلَكُم جَمِيعُ ، وروض
أملككم مَرِيعُ ، والكل منكم للغريب الحَسَنُ من حديث المُحِبِّ سَمِيعُ ،

بأرض النخل قلبي مُسْتَهَامُ فكيف يَطِيبُ لي عنها المُقَامُ

لذلك إذا رأيتُ لها شَبِها أقول وما يُصَاحِبُنِي مَلَامُ

ألا يا نخلة من ذات عِرْقٍ عليك ورحمة الله السَّلَامُ

فَسَلِمْتُ يوما تسليماً المَبْرَةَ ، على مدنها الحرة البِرة ، جارة حايط الدار ،
الواقفة للخدمة كالمنار ، على سِدة الجدار ، بياض النهار ، وسواد الليل ،
المتلفعة بشعار الوقار ، المكفولة الذليل ، أنيسة مَشِيخة الجماعة ، القاطنة
من الحمراء العلية ، بباب ابن سَماعة ، فحين عَطَفْتُ عليها ، وصَرَفْتُ
زمام راجلتي إليها ، ووقفت بإزاء فناءها ، ولكنها وقوف المشفق من
فناءى وفنائها ، وقلت لها كيف حالك أيتها الجارة ، الساكنة بنجدة
الحجارة ، الواعظة للقريب والبعيد ، بمقامها صامنة على الصَّعيد .

سقاك من الغرِّ الغواذي مطيرُها ولا زلتِ في خَضراء غَضْ نظيرُها
فما أحقُّك من باسِقَةٍ بالترحيب ، وأقربك من رحَمات السَّمِيعِ المَجِيبِ ،
خِلَّتْها اهتَزَّت عند النداء اهتزاز السُّرور ، وتمايلت أكمَامها تمايل الثَّمِيلِ

المسرور ، ثم قالت لسابيلها بلسان وسايلها ، عند مشاهدة مثلى تقول
العرب ، عينها فرارها ، واينو جدُّها للناظرين اصفرارها ، وجملة
بُخيتي ، بعد إتمام تحيتي ، أن الدهر عَجَمَ قَنَاقِي ، ومَسُّ الكَبِيرِ كَلْدَرُ
سِنَاقِي ، وما عسى أن أبيت من تُكُنَّاقِي ، وجلُّ عُلَاقِي من تركيب ذاتي .
ولكنني أجد مع ذلك ، أن وقاري ، حسنٌ لدى الحيِّ احتقاري ، وكثرةُ
قناعتي ، أثرت إضاعتي ، وكمالُ قُدِّي ، أوجبَ قُدِّي ، فما أنسَ م
الأشياء ، لا أنسَ علوان جُعسوس من لعبوش اليهود أو المجوس ، يفحص
بمُدَّتَيْته عن وريدي ، ويحرص على مدِّ جريدي ، ويجدع كل عام بخنجره
أنفِي ، وكلما رُمْتُ كَفُّ إِذَابَتِهِ عَنِي ، كشم كَفِّ ، فلو رأيت صَعَصَعَةَ
أفئاني ، وَسَمِعْتُمْ عِنْدَ جَذْمِ بِنَانِي ، قَعَقَعَةَ جَنَانِي ، والدمع لما جَفَانِي ، يفيض
من أجفاني ، والجُعسوس الخبيث المنحوس ، قد شد ما حدُّ بَأْمَرِاسِهِ ،
ورفعه لبيعة كفره على راسه . بعد الأمر بوضعه على أسنمة القبور ،
حسبنا ثبت في الحديث المشهور ، لِحَمَلَتِكُمْ يَا بَنِي سَامِ وَحَامِ عَلَى الْغَيْرَةِ
وشايح الأرحام ، فقد علمتم بنص الأثر ، أني عمُّكم القديمة ، وإن لم
أكن لذلك بأهل ، فإنِّي لكم اليوم خَدِيمَةٌ ، أو من ذُرِّيَةِ الْفَرِيقِ الْمَوْجِبِ ،
المضروب به المثل يوم السَّقِيْفَةِ ، لمن رام من أشرف الأندلس أن يكون
إذ ذاك خليفة . ونخالة أبي كانت النخلة البرشا الكبيرة ، التي حادتها
الأمير عبد الرحمن بالرصافة^(١) القريبة من كورة البيرة . فكيف يسهل
اليوم عليكم إهمالي ، وَيَجْمُلُ لَدَيْكُمْ إِخْمَالِي ، وترك إحتِمَالِي ، والأيام
والحمد لله مُسَاعِدَةٌ ، وَالْمُلْكُ مُلْكُ بَنِي سَاعِدَةٍ . فلما سمعتُ عِتَابَهَا ، وعلمت

(١) يشير هنا إلى أمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل ، أول أمراء بني أمية بالأندلس ،
والقصيدة التي يخاطب بها نخلة وحيدة رأها بجي الرصافة ، ضاحية قرطبة ، ومطلها :
تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تنامت بأرض الغرب عن بلد النخل

أَنها قد شَدَّتْ للمناضلة أَقْتابها . قلت لها أَهلاً بك وسهلاً . ومهلاً عليك
أو بَهْلاً ، لقد دَسَع^(١) بعيرُك ، وعادت بالخيبة عيرُك . فليست الحقيقة
كالمجاز ، ولا جَلِيْقِيَّة في النِّيَّات كالحجاز . هنا جنَّات من أَعناب مُرسلة
الذُّيول ، مُكملة الأَطْناب ، قد طاب اسْتِيَّارها ، وحمَّد اختيَّارها واو اختيَّارها ، وعُدَّتْ
عيون أَنهارها ، وتفتَّتْ كمايم أزهارها ، عن وَرْدِها ونَرَجِسِها وبَهَّارها ،
وسرَّتْ بطرْف محاسنها الرِّفاق ، حتى قَلِقَتْ منها الشَّام واليمن والعراق .
فحين كثر خيرُها ، سُجِر بالضرورة غيرُها ، وأنت لا كنتِ يا خَشْبَة ،
قد صِرت من المنال عُشْبَة ، وأصبحت نذلي خالفة ، ورذلي بالمهم تالفة ،
لا يُجتنى بلحك ولا طلعك ، ولا يُرتجى نفعك ، فالأولى قَطْعك أو قَلْعك ،
وإلا فأين قنوك أو صنوك ، أو تمرك أو سَبْرُك ، هلا أبقيت يا فَسِيلَة على
نفسك ، وراعيته صِلْحَة جنسك . ولقد انتهت بك المحارِجة إلى ارتكاب
ما لا يجوز ، وفي علمك أن من أمثال الحكماء ، كُلُّ هالك عجز . حسبك
السُّمَح لك بالمُقَام ، ما دمت حية في هذا المقام . فانقطع كلامُها ، وارتفع
بحكم العجز ملامُها . وما كان إلا أن نُقل مقال . فقال المتكلم بلسان
القالى ، أنا أتطوِّع بالجواب ، وعلى الله جزيلُ الثواب ، ليعلم كلُّ سايل ،
أن تفضيل النخل على العنب ، من المسائل التي لايسع فيها جحد جاحد ،
وإن كانا أخوين سُقياً بما واحد . وقد جرى مثلُ هذا الخطاب بين يدي
عمر بن الخطاب ، فقيل يا بنى حنمة ، أيها أطيَّب ، الرُّطب أم العنب ،
فقال ليس كالصقر ، في رؤوس الرُّقل ، الراسخات في العقل ، المُطعمات
في المَحَل ، تحفة الصَّايِم ، ونُقْلة الصَّبِي القادم ، ونزل مريم بنت عمران .
والنخلة هي التي مُثِّل بها المؤمن من الإنسان ، ليس كالزَّبِيْب ، الذي

(١) وردت في الإسكوريال (دسج) ، ومنتقد أن التصويب أرجح ، وأكثر اتساق مع المعنى .

إن أكلته ضيرت ، وإن تركته غربت ، وكفى هذه الرواية حجة ، لمن أراد سلوك الحجّة . وعلى كل تقدير ، فقد لزم التفضيل للنخلة على الكرمة ، لزوم الصلة للموصول ، والنصب للمنادى المطول ، والعجز لكتابي المحصل والموصول . وكم على ترجيح ذلك من قياس صحيح ، ونقل ثابت صريح . قال ، واعتذاركم بالمهزمة عن فعل المكرمة لأمة في تلك الطباع كامنة ، وسامة للتلف لا للخلف ضامنة . وذكرتم الثمرة والبصرة ، والوقت ليس بوقت عسرة ، فأذكرتم قول القائل ، في بعض المسائل . دغنا من تمرتان وبُسرتان أو تمرتين وبُسرتين ، على الوجهين ، المتوجهين في المسلتين ، وفي ضمن ذكركم لذلك أدلة صدق على تطلع النفس الفقيرة ، للأعراض التافهة الحقيمة ، والإمامة العظمى ، أجل عندنا وأسمى . من أن تلحظ بعينها تلك الملاحظ ، ولو اصل لديها مراتبها وأفكارها ببيانه وتبينه ، عمرو بن بحر الجاحظ ، إذ هي كافاً الله فضلها ، ولا قلص ظلها كالسحاب ، نجرد بغيثها على الآكام والضراب ، ومنابت الشجر من التراب ، فضلا عن الخدمة والأتراب ، فليس يضيع مع جميل نظرها ، ذو نسب ، ولا يُجهل في أيامها السعيدة مقدار منتسب إلى حسب . وإن وقعت هفوة صغيرة ، أعقبته حسنة كبيرة ، ومنن أثيرة ، ونعم كثيرة . ولم لا ، وروح أمرها ، ومذهب نصره جمرها ، علم السادة للقادة الأكابر ، المغرم بجبر كل كسير ، وناهيك من به جابر الرازي (١) ، ذكر مآثره ، بعرف أطيب الطيب . الوزير أبو عبد الله بن الخطيب . والمطلوب منه هذه الشجرة الثرما ، الغربية الشما ، التي أصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، إنما هو يسير بنا . وظهير اعتنا ، وخنجر يرما ،

(١) وردت في الإسكوريال (الزاري) .

لعل عَبَّاسَةَ أَدِيمَ دُوحَا أَنْ تَذْهَبَ . وَأَكْمَامَ كَسَاةَ قَنُوحَا ، أَنْ تُفَضِّضَ
 بِنَعِيمِ النُّضَارَةِ ثُمَّ تَذْهَبَ ، وَيَعُودَ إِلَيْهَا شَرُخُ شِبَابِهَا ، وَتَسْتَحْكَمَ صُفْرَةَ
 ثِيَابِهَا ، وَخُضْرَةَ جِلْبَابِهَا ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بَيْنَ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ ، مِنْ أَسْهَلِ
 الْعَمَلِ عَلَى مَجْدِ الْأَمِيرِ ، وَفَضْلِ الْوَزِيرِ ، إِذْ هُمَا ، دَامَ عَزُهُمَا ، عَلَى بَيْنَةِ
 مِنْ أَنْ الْإِحْسَانَ الْقَاحِ ، وَالشُّكْرَ نَتَاجَهُ . وَالثَّنَاءُ إِكْلِيلٌ ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ
 تَاجُهُ . قَالَ الْمُسْلِمُ ، وَمَنْ يَا إِخْوَتِي لَعَلِّي ، بِمَعَارِضَةِ الْحَافِظِ أَبِي عَلِيٍّ ، وَلَوْ
 أَنِّي اشْتَمَلْتُ شَمْلَةَ النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ ، وَأَصْبَحْتُ أَفْصَحَ مِنْ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ ،
 وَأَخْطَبَ مِنْ شُبَيْبٍ ، وَأَشْعَرَ مِنْ حَبِيبٍ ، وَجُرْتُ مِنْ طَرَقِ الْجِدَالِ ، مِنْ مَنَازِلِ
 نَقْدَةِ صِدُورِ الْإِبْدَالِ . وَعَلَى أَنَّهُ مَا قَالَ إِلَّا حَقًّا ، فَبُعْدًا لِلْمَرْءِ وَسُخْقًا .
 وَلَكِنِّي أَقْسَمُ عَلَيْكُمْ بِمُقَدَّرِ الضُّيَا وَالْحَلْكَ ، وَمُسَخَّرِ نَجُومِ الْفَلَكَ ،
 بِإِصَابَةِ الْأَعْرَابِ ، وَأَصْحَابِ الْإِعْرَابِ ، وَأَرْبَابِ فَنُونِ الْإِعْرَابِ ، أَلَا مَا
 تَمَّامْتُمْ فُصُولَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ ، وَأَفْتَيْتُمْ عَمَّا يَتَرَجَّحُ فِيهَا لَدَيْكُمْ مِنْ نَسْخٍ أَوْ
 فَسْخٍ ، أَوْ إِجَادَةٍ أَوْ إِقَالَةٍ ، فَانْتَمَ عِلْمَاءُ الْكَلَامِ ، وَزَعَمَاءُ كِتَابِيبِ الْأَقْلَامِ ،
 وَالْمَرَاغِمَاتِ بَيْنَ شَقَاشِقِ الرِّجَالِ ، شَنْشَنَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، وَطَرِيقَةٌ إِلَيْهَا الْوُجُوهُ
 فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَخَاطِبَاتِ مَضْرُوفَةٌ ، لِأَزَلْتُمْ مَذْكَورِينَ فِي أَهْلِ الْبَيَانِ ،
 مَشْكُورِينَ عَلَى بَدَلِ الْفَضْلِ مَدَى الْأَحْيَانِ . وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَجْعَلُ التَّوْفِيقَ
 حَادِيكُمْ ، وَنُورَ الْعِلْمِ هَادِيكُمْ ، وَمِنْهُ نَسَلٌ جَلٌّ اسْمُهُ ، التَّطْهِيرُ مِنْ كُلِّ
 مَعَابَةٍ ، وَالسَّمْحُ فِيهَا تَخَلُّلٌ هَذِهِ الْمَقَامَةَ مِنْ دُعَابَةٍ ، وَالتَّحِيَّةُ الْكَرِيمَةُ مَعَ
 السَّلَامِ الطَّيِّبِ الْمُعَادِ ، يُعْتَمَدُ مِنْ يَقِفُ عَلَيْهَا مِنَ الْآنَ إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ ،
 وَالرَّحْمَاتِ وَالْمَسْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ وَالْخَيْرَاتِ . مِنْ كَاتِبِهَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

ابن الحسن ، أرشده الله^(١) .

المقريون والعلماء

على بن أحمد بن خلف بن محمد بن الباذش الأنصاري

من أهل غرناطة ، يكنى أبا الحسن ، الشيخ الأستاذ ، إمام الفريضة
بجامع غرناطة .

حاله

من الملاحى ، أوجد زمانه إتقاناً ، ومعرفة ، ومشاركة فى العلوم ،
وانفراداً بعلم العربية . وكان حسن الخط ، كثير الكتب ، ترك منها
بخظه كثيراً جداً ، مشاركاً فى الحديث ، عالماً بأسماء رجاله ونقلته ،
مع الدين ، والفضل ، والزهد ، والانقباض عن أهل الدنيا ، وترك
الملابسة لهم .

مشيخته

قرأ على المقرئ بغرناطة أبى القاسم نعم الخلف بن محمد بن يحيى الأنصاري ،
وأبى على الصّدقى . وغيرهم ممن يطول ذكرهم . وحدث [عنه] القاضى

(١) يحذر بنا أن نشير هنا إلى أن هذه الترجمة التى أوردها ابن الخطيب فى الإحاطة لأبى الحسن
النباهى ، وأشاد فيها بجميل صفاته . قد كتبت حوالى سنة ٧٦٩ - ٧٧٠ هـ ، حينما كان ابن الخطيب
فى أوج سلطانه فى الوزارة ، وكان النباهى وهو يشغل يومئذ منصب قاضى الجماعة ، من أصدقائه
وأوليائه . فلما تغيرت الأحوال ، وشمر ابن الخطيب بتغيير ملكه عليه ، ونشبت الخصومة بينه
وبين النباهى ، واضطر فى النهاية إلى أن يغادر الأندلس لاجئاً إلى المغرب تحت كنف السلطان
عبد العزيز المرينى ، وكتب بعد ذلك كتابه «الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة»
كتب ترجمة جديدة لأبى الحسن النباهى ، تفيض بالطنن المر ، والهجاء المقلع ، والأوصاف المجددة
وذلك حسبما أشرنا إليه فى مقدمة المجلد الأول من الإحاطة . (راجع الكتيبة الكامنة - طبع بيروت
سنة ١٩٦٣ - ص ١٤٦ وما بعدها) .

أبو الفضل عياض بن موسى ، والقاضي أبو محمد بن عطية ، والقاضي أبو عبد الله بن عبد الرحيم ، والقاضي أبو بكر جابر بن يحيى التغلبي ، والقاضي أبو خالد عبد الله بن أبي زَمَين ، والقاضي أبو الحسن بن أضحى .

توالياه

ألف فى النحو كتبا كثيرة ، منها على كتاب سبويه ، وعلى كتاب المُقتضب ، وعلى الأصول لابن السراج . وشرح كتاب الإيضاح ، وكلامه على كتاب الجمل لأبى القاسم ، وكلامه على الكافى لابن النحاس . مع التنبيه على وَهْمه فى نحو مائة موضع ، إلى غير ذلك .

شعره

قال أبو القاسم ، وله نظم ليس بالكثير . فمن ذلك :

أصبحت تقعد بالهوى وتقوم وبه تقرظ معشراً وتُسَديم
تُعنك نفسك فاشتغل بصلاحها إننى بغير السقام سَقِيم

وفاته

توفى بقرنطة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وصلى عليه إثر صلاة العصر ، ابنه الأستاذ أبو جعفر ، ودفن بمقبرة باب البيرة ، وازدحم الناس على نعشه ، وكانت جنازته حافلة ، وتفجع الناس على قبره . وقبره مشهور ، يتبرك به الناس .

على بن محمد بن درى

المُقرى الفقيه ، الخطيب أبو الحسن ، الإمام بجامع قرنطة ، أصله من طليطلة .

حاله

كان من خيار الناس وفضلاتهم، وأهل المعرفة منهم ، عارفا بإقراء كتاب الله عز وجل ، والرواية للحديث . أخذ الناس عنه ، وكانت عنده مشاركة ، ومسارة لقضاء الحوائج ، والمشى للإصلاح بين الناس ، والإشفاق على المساكين ، كثير الصدقة ، والسعى في فداء الأسرى ، والوسائط الجميلة في مهمات الأمور ومشكلاتها . دخل رجل تاجر غريب الميضاة للوضوء ، فنسى بها وعاء فيه جملة مال ، فتذكر له ، فرجع ولم يجده ، فسقط مغشيا عليه ، فاجتمع عليه الناس ، وهو يقول مالى ، ووافق خروج الأستاذ أبي الحسن المذكور من الجامع ، فسأل عنه ، فجالس أذنه ، فقال مالك عندي وديعة تركه أنت عندي ، وإذا كان بعد صلاة العصر تأخذه . فقام الرجل ، فكأتما نشط من عقال ، ومشى الخطيب في حينه ، إلى مشرف غرناطة ابن مالك ، فقال له ، إني اشتريت لك قصراً في الجنة ، بخمس مائة دينار ، وأنا الضامن لذلك ، فشكره ، وأخبره الخطيب بالقصة ، فدفع إليه المال ، فدفعه إلى الرجل . وكان الناس لا يتوقعون له في أمر .

مشيخته

روى بطليطلة عن أبي عبد الله المقامى ، وعن أبي مسلم الضرير المقرئ ، والقاضى أبي الوليد الوقشى ، وأخذ عن أبوى على الصدقى والغسانى ، وعن أبي مروان بن سراج ، وابنه سراج .

توفى بغرناطة في رمضان ستة وعشرين وخمسمائة ، وصلى عليه القاضى أبو القاسم بن ورد ، ودفن في مقبرة باب البيرة ، وكانت جنازته حافلة ، وتفجع الناس عليه ، واخطصوا الدعاء له .

ومن رثاه ، أبو عبد الله بن أبي الخِصَال بقوله :

عِتَابٌ وَمَا يُغْنِي الْعِتَابُ عَلَى الزَّمَنِ
وَمَا رَضِيَتْ بَعْدَ الْغَضَارَةِ أَيُّكَةَ
وَمَاذَا عَلَيْهِ وَالسَّلَامَةُ حِطُّهُ
فَلَيْتَ كَرِيماً يُنْعَشُ لِلنَّاسِ خَيْرُهُ
وَلَكِنَّهُ يَمْضِي كَظَلٍّ غَمَامَةٌ
يُودُ الْفَتَى طُولَ الْبِقَاءِ وَطُولُهُ
وَأَيُّ اغْتِبَاطٍ فِي حَيَاةٍ مَرزَا
زِيَادَتُهُ تَغْصُّ وَجِدَّتُهُ بِيْلِي
إِذَا فَوْقَ السَّهْمِ الْمُصِيبِ فَقَلْبُهُ
فِيَا عَجَباً لِلْمَرْءِ يَلْتَدُ عَيْشُهُ
أَرَى كُلَّ حَيٍّ لِلْمُنِيَّةِ حَامِلاً
إِذَا زَادَتْ الْأَيَّامُ فِينَا إِسَاءَةً
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا كِبَاطِلُ
أَخْوَانِنَا لَمْ تَبْقَ إِلَّا تَحْيِيَّةُ
أَخْوَانِنَا هَلْ تَسْمَعُونَ تَحْيِيَّتِي
أَبَا الْحَسَنِ خَلَدَ فِي الْجَنَانِ مُنْعَمَا
يَطِيرُ فَوَادِي رَوْعَةٍ فَإِذَا رَأَى
وَقَدْ كُنْتُ تَرْتَادُ الْمَوَاطِنَ إِذْ نَبْتُ
وَبْتُ مُعْنَى بِالْجَلَاءِ فَنِلْتَهُ
وَلَمْ تَرْضَ إِلَّا الْأَرْضَ هَجَرْتِكَ الَّتِي
وَفِي مِثْلِهَا أَنَّ الرَّسُولَ لَسَعَدَ

وَشَكْوَى كَمَا تَشْكُو الرِّيَّاحُ إِلَى السَّفِينِ
نَبَحَتْ وَلَكِنْ عَالَمُ الْكُونِ مَمْتَحِنُ
بَانَ تَتَخَطَّاهُ النَّوَابِيبُ وَالْمِحْنُ
يَعْمُرُ فِيهَا عُمُرَتَهُ الْآنَ أَوْ حَضُنُ
وَيَبْقَى لِسْمِ سِرِّهِ غَيْرُ مُؤْتَمِنُ
يُورِثُهُ نُكُلُ الْأَحْبَةِ وَالْبَدَنِ
يُرْوِحُ عَلَى بَثٍّ وَيَغْدُو عَلَى شَجْنِ
وَرَاخَتِهِ كَرَّبٌ وَهَدْنَتُهُ دَخْنُ
وَمَنْ صَارَ فِيهِ مِنْ أَحْبَتِهِ فَنَنْ
لُزْتُ مَعَ الْمَوْتِ فِي قَرْنِ
فِيَا وَيْحَهُ مِمَّا تَحْمَلُ وَاحْتَضِنُ
نَزِيدُ عَلَى عِلْمِ بِمَا سَاءَ حُسْنُ ظَنْ
وَكَلَّ قِبَالِيَهُ بِالْمَوْتِ مُرْتَهِنُ
أَرْقَدُ بِهَا تِلْكَ الْمَعَاهِدَ وَالْدَمْنَ
وَذُو كَلِمٍ مَا تَحْجَبُ السُّرَّ وَالْعَلْنَ
جَزَاءً بِمَا أَسْلَفْتُ مِنْ سَعِيكَ الْحَسَنُ
مُحْيَاكَ فِي دَارِ الْغَنَاءِ وَالرُّضَا سَكْنُ
فِي بَوَاكِ الرَّحْمَنِ فِرْدَوْسِهِ وَطَنْ
وَقَدْ كَانَ حَادِيَهُ يُغْرَدُ بِالظَّنِّ
تَخِيرُهَا الْأَوْلِيَاءُ عَلَى الْقِنِينِ
وَقَدْ وَاوَاهُ أَكْرَمُ مَدْفُنِ

على أنك المدعو من كل بلدة
 سهرضيك من أرضيته في عباده
 ويبقى كما بقيت بعدك أنه لم
 ويحفظهم حفظ اليتيمين أبدا
 أها الحسن إن المدى بعد ما بدا
 وأسير وجد في فراقك أنه
 سقى الله والسقيا بكفيه تربية
 ولا برحمتها ديمة مُستهلة إذا
 فلا زلت في روض وروح ورحمة

هلم فإننا دونك الحجب والجنن
 وجاهدت فيه بالفروض وبالسنن
 فلما استهوتهم روعة سكن
 بوقع جدار قد تداعى وقد وهن
 طويل ولا يُعتد في جنب ما بطن
 سيبقى عليك الوجد ما بقى الزمن
 مباركة ضمتك أسرع ما هتن
 ركضتها الريح قام بها جرن
 ومقبرة تترى على ذلك الجنن

على بن عمر بن إبراهيم بن عبد الله الكِنَانِي القِيَجَالِي

بكنى أبا الحسن ، أصله من بسطة ، واستوطن غرناطة ، حتى عُذَّ من
 أهلها قراءة وإقراء ولزوما

حاله

من « العايد »^(١) ، أوحدُ زمانه علما وتخلُّقا وتواضعا وتفنُّنا . ورد على
 غرناطة مُستدعى عام اثني عشر وسبعماية ، وقعد بمسجدها الأعظم يُقرى
 فنونا من العلم ، من قراءات وفقه وعربية وأدب . ووُلِّي الخطابة ، وناب
 عن بعض القضاة بالحضرة ، مشكور المأخذ ، حسن السيرة ، عظيم النفع .
 وقصده الناس ، وأخذ عنه البعيد والقريب . وكان أديبا لوذعيا ، فكها ،
 حلوا ، وهو أول أستاذ قرأت عليه القرآن والعربية والأدب ، إثر قراءة
 المكتب^(٢)

(١) العايد ، أى كتاب عايد الصلة ، لابن الخطيب ، وقد سبق التعريف به في المقدمة .

(٢) وردت في الإسكوريال (المنكب) والتصويب من الزيتونة

مشيخته

قرأ على أبيه ببلده بسطة القرآن ، بالروايات السبع . وجمعها في ختمة ، وعلى الأستاذ أبي عبد الله بن مساعد الغساني . وقرأ بغرناطة القرآن على الأستاذ أبي عبد الله بن مستقور^(١) ، والأستاذ أبي جعفر الطباع ، والأستاذ الشهير أبي الحسن بن الضايح^(٢) ، والأستاذ النحوي أبي الحسن الأبدى . وعلى القاضي أبي عمرو بن الرندي ، والفقيه القاضي أبي علي بن الأحوص ، وعلى الفقيه النسابة أبي جعفر بن مسعدة ، والأستاذ العلامة أبي جعفر بن الزبير . ولقى الشيخ الصالح ولي الله أبا إسحق بن عبيدش^(٣) وحضر مجالسه العامة . وذكر أنه كان يفتح مجلسه الذي يتكلم فيه بقوله : لا حول ولا قوة إلا بالله ، كنز من كنوز الجنة ، رزقنا الله الأدب مع الله ، واستعملنا فيما يرضيه ، ويرضى رسوله ، وجعل حظنا في الدار الآخرة . ولقى الإمام بجامع بسطة الخطيب الراوية أبا الحسن بن نافع وغيرهم ، وله تواليف في فنون ، وشعر ، ونثر فمن شعره قوله :

روض المشيب تفتحت أزهاره	حتى استبان ثغامه وبهاره
ودجى الشباب قد استبان صباحه	وظلامه قد لاح فيه نهاره
فأنى حمام لا يُعاف وقوعه	ومضى غروب لا نخاف مطاره
والعمر مثل البدر يرمق ^(٤) حسنه	حيناً ويعقب بعد ذلك سيراره
للاخيام تقلصت أفيأؤه	ما للصفاء تكدرت آثاره
الحر يصفح إن أخل خليله	والسر يسمع أن تجرأ جاره

(١) وردت في الإسكوريال (مسمور) وفي الزيتونة (مسقور) وكلاهما تحريف

(٢) هكذا وردت في المخطوطين ، وربما كانت (الصايح)

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (ابن عبيدش)

(٤) هكذا في الإسكوريال وفي الكتيبة الكمامة (يوتق) .

فتراه يدفع إن تمكن جاهه
ولأنت تعلم أننى زمن الصبا
والهجر ما بين الأحبة لم يزل
ولكم تجافى عن خفاء خليله
ولكم أصر على التدابر مُدبر
فأقام كالكسعى بان نهاره
أنكرتم من حق مُعترف لكم
والشرع قد منع التقاطع نصه
والسنن سن تورع وتبرع
مايومنا من أمسنا قطك^(٢) اتبت
هلا حظرتم أو حذرتم منه ما
عجبا لمن يجرى هواه لغاية
يأتى ضحى ما كان يأتية دجى
فبعد ما تنعى به حسناته
فالنفس قد أجرته ملىء عنانه
والمرء من إخوانه فى جنّة
فاليمن قد مدت إليه يمينه
شعر به أشعرت بالنصح الذى
ولو اختبرتم نقله بمحكّه

وتراه يرفع^(١) إن علا مقداره
ما زلت زندا والحياء سواره
ترك الكلام أو السلام مشاره
فطن وقد ظفرت به أظفاره
أفضى إلى ندم به إصراره
أو كالفرزدق فارقتة نواره
بالحق ما لا ينبغى إنكاره
قطعا وقد وردت به أخباره
وتسرع لتشرح تختاره
ذهب الشباب فكيف ببقى عاره
حق عليكم حظره وحذاره
محدودة أضماره مضماره
فكأنه ما شاب منه عذاره
ويعيد ما تبقى به أوزاره
يشند فى مضمارها^(٣) إحضاره
بل جنّة تجرى بها أنهاره
واليسر قد شدت عليه يساره
يهديه من أشعاره إشعاره
لامتاز بهرجه ولاح^(٤) نضاره

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الكتيبة الكامنة (يرفع) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الكتيبة الكامنة (قلك) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الكتيبة الكامنة (إحضارها) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الكتيبة الكامنة (وبان) .

هذا هدى فيه اقتده تنل المنا^(١) أو أنت في هدا وما تختاره
وعليكم منى سلامٌ مثل ما أَرَجَت بروض يانع أزهاره
ومن شعره في الرثاء قوله من قصيدة .

حَمَامٌ حِمَامٌ فَوْقَ أَيْكَ الْأَسَى تَشْدُو تهبج من الأشجان ما أوجد الوجد
وذلك شجواً في حناجرنا شجى وذلك لهوٌ في ضمائرنا جد
أرى أرجل الأرزاء تشتدُّ نحونا وأيديها تسعى إلينا فتمتدُّ
ونحن أولو سهو عن الأمر ما لنا سوى أملٍ إيجابنا عنده جَحْدُ
فإن خطرت للمرء ذكرى بخاطر فتسبيحه السأهي إذا سمع الرعد
مصاب به قُذَّت قلوب وأنفس لدينا إذا في غيره قُطعت بُره
تلين له الصمُّ الصلاب وتنهمن عيون ويبكى عنده الحجر الصلد
فلا مُقَلَّة ترنو ولا أذنٌ تعنى ولا راحة تعطو ولا قدم تَعْلُو
وقد كان يبلو الصبر منا تجلداً وهذا مصاب صبرنا فيه لا يبلو
مولده : عام خمسين وستماية .

وفاته : توفى بقرنطة ضحى يوم السبت التاسع والعشرين من شهر
ذي حجة من عام ثلاثين وسبعماية ، ودفن في عصر اليوم بعد بجبانة
باب البيرة . وكان الحفل في جنازته عظيماً ، حضرها السلطان . واحتمل
الطلبية نعشه^(٢) .

ومن الطارئين

عمر بن عبد المجيد بن عمر الأزدي

المعروف بالرندي ، من أهل رندة يكنى أبا علي .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الكتبية الكامنة (الرضا) .

(٢) أورد ابن الخطيب للمترجم ترجمة أخرى في كتابه (الكتبية الكامنة في من لقيناه بالأندلس

من شعراء المائة الثامنة) ، التي سبقت الإشارة إليه (ص ٣٧ - ٤٠) .

حاله

كان من جملة المُقرّيين ، وجهابذة الأُستاذين ، مشاركاً في فنون ،
نقاداً ، فاضلاً .

مُشِيخته

روى عن أبي زيد السُّهيلي ، وعنه أخذ العربية والأدب ، وبه تفقّه ،
وإيابه اعتمد . وعن أبي محمد القاسم بن دحمان ، وأبي عبد الله بن أبيان ،
وتلا على هؤلاء القراءات ، بقراءات السُّبعة . وعن أبي اسحق بن قرقول ،
وأبي عبد الله بن الفخار ، وأبي الحسن صالح بن عبد الملك الأوسى ،
وأبي محمد عبد الحق بن يُونه . وأبي عبد الله الحميرى الإِسْتَجِيّ ،
وأبي العباس بن اليتيم ، وأبي عبد الله بن مُدرك ، وأبي القاسم بن حُبَيْش
وأبي عبد الله بن حُميد . أخذ عن هؤلاء بالقة ، من أهلها ، ومن الواردين
عليها . ورحل إلى غرناطة ، فأخذ بها عن يزيد بن رفاعة ، وابن كوثر ،
وابن عروس ، وأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن القَرَس ، وأبي جعفر
ابن حكم . وإلى قرطبة ، فأخذ بها عن ابن بشكُوال ، وأبي القاسم المُشَّراط .
وإلى إشبيلية ، فأخذ بها عن أبي بكر بن الجد ، وأبي عبد الله بن رزق ،
وابن خير ، وابن صاف . وأخذ بسبّعة عن ابن عُبيد الله . وبالجزيرة
الخضراء عن القاضي أبي جعفر بن عَزْرَة . هؤلاء جملة من أخذ عنهم
باللقاء والمشافهة . وأجازته جماعة من أهل المشرق كبيرة ، ذكرهم في
برنامجهِ ، كالخُشوعى ، والأرحى ، والحرشاني ، وحدث عن السِّلْفى الحافظ
بإجازته العامة .

تواليفه

شرح جُمْل أبي القاسم الزَّجَاجي ، وردُّ على ابن خروف ، منتصراً

بشيوخه أبي زيد السهيلي في مسألة نحوية ، رد فيها ابن خروف عن السهيلي
وقيد فيما جرى بينه وبين الأستاذ أبي محمد القرطبي ، جزءاً سماه «بالحقيقي»^(١)
في أغاليط القرطبي ، لم يخل فيه عن حمل وتعسف . وألف برنامجاً جامعاً .
روى عنه أبو عبد الله بن عسكر القاضي ، والشيخ أبو عبد الله بن عبيد
الأومى ، وأبو عبد الله الطنجالي ، والخطيب ابن أبي ريحانة .
مولده : سنة سبع وأربعين وخمسمائة .

وفاته : توفي سحر يوم الجمعة الموفى عشرين لشهر ربيع الثانى سنة
عشر وستماية .

عثمن بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموى

المُقْرِى ، الحافظ المعروف بابن الصيرفى ، قرطبي الأصل ، يكنى
أبا عمرو ، ويشتهر بالداني ، لاستيظانه دانية . ودخل البيرة ، وقرأ على
أبي عبد الله بن أبي زَمَين ، فوجب ذكره لذلك .

حاله

كان أحد الأئمة الأعلام في علم القرآن ، وآياته ، وتفسيره ، ومعانيه
وإعرابه ، وجمع في ذلك كله التواليف العجيبة التي يكثر تعدادها ،
ويطول^(٢) إيرادها ، وله معرفة بالحديث وطرقه ، وأسماء رجاله ونقلته .
وكان حسن الخط ، جيد الضبط ، آية في الحفظ والعلم ، والذكاء والفهم
ديناً عارفاً ، ورعاً سنياً . قال المغلي^(٣) ، وكان أبو عمرو مُجاب الدعوة .
وذكره الحميدى فقال محدث مكثراً ، مقرياً متقدماً .

(١) مكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (المبى) والأول أرجح .

(٢) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يكثر) .

(٣) مكذا في المخطوطين .

مشيخته

روى عن أبي المطرف عبد الرحمن بن عثمان القشيري بقرطبة ، وعن
أبي بكر حاتم بن عبد الله البزاز ، وأبي عبد الله محمد بن خليفة ، وأحمد
ابن فتح بن الرهان ، وأبي بكر بن خليل ، ويونس بن عبد الله القاضي .
وخلف بن يحيى ، وغيرهم . وبالبيرة عن محمد بن أبي زمنين كثيرا
من رواياته وتوالياه . وسمع بإستجة ، وبجانة وسرقسطة من بلاد الثغر .
ورحل إلى المشرق ، فلقى أبا الحسن بن أحمد بن مراس العنقى . وسمع
بمصر من أبي محمد بن النحاس ، وأبي القاسم بن ميسر ، وخلف بن إبراهيم
ابن خاقان ، وفارس بن أحمد ، وطاهر بن عبد المنعم ، وبالقيروان من
أبي الحسن القانسي . وقدم الأندلس فاستوطن دانية .

شعره

قال أبو القاسم بن بشكوال . ومما يذكر من شعره قوله :
قد قلت إذ ذكروا حال الزمان وما يجرُّ على كل من يُعزى إلى الأدب
لا شيء أبْلغ من ذل تجرُّعه أهل الخساسة أهل الدين والحسب
القايمين بما جاء الرسول به والمُبغضين لأهل الزيف والريب
مولده : قال أبو عمرو ، سمعت والدى يقول إنى ولدت سنة إحدى
وسبعين وثلاثماية ، وابتدأت طلب العلم بعد خمس وثمانين .
وفاته : من خط أبي الحسن المقرئ ، يوم الاثنين منتصف شوال
سنة أربع وأربعين [وأربعمائة]^(١) بدانية ، ودفن عصر اليوم المذكور
ببقيعتها . ومشى السلطان^(٢) راجلا أمام نعشه .

(١) أضفنا هذه الكلمة استكمالاً للسياق .

(٢) السلطان المشار إليه هنا هو على إقبال الدولة ابن مجاهد العامري . وقد حكم مملكة دانية
والجزائر أيام الطوائف من سنة ٤٣٦ هـ إلى سنة ٤٦٨ هـ (١٠٤٤ - ١٠٧٦ م) .

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب [بن صالح بن خلف
بن معدان بن سفيان بن يزيد]^(١)

الإمام أبو محمد بن حزم .

أوليته

أصله من الفُرس ، وجدُّه الأقصى في الإسلام [اسمه]^(٢) يزيد ، مولى
ليزيد بن أبي سفيان . قال أبو مروان ابن حيان ، وقد كان من عجائبه ،
انتماؤه في فارس ، وأتباع أهل بيته له في ذلك بعد حقبة من الدهر ،
تولى فيها الوزير ، المفضل في زمانه ، الراجح في ميزانه ، أحمد بن سعيد
ابن حزم ، لبني أمية أولياء نعمته ، لا عن صحة ولاية لهم عليه ، فقد
عَهِدَ الناس مؤلِّد الأرومة من عجم لَبْلَةَ ، جدُّه الأذنَى ، حديث عهد
بالإسلام ، لم يتقدَّم لسلفه نباهة فابَّوه أحمد ، على الحقيقة ، هو
الذي بنى بيت نفسه في آخر الدهر ، برأس رايته ، وعَسَرَه بالخلال
الفاضلة ، من الرِّجاجة والدِّهَاءِ والمعرفة والرجولة والرأى ، فأسدى جرثومة
شرف لمن نمامهم ، أغنتهم^(٣) عن الرسوخ في أولى السابقة ، فما من شرف
إلاً مسبوق عن خارجته ، ولم يكن إلا كلاً ولا ، حتى تخطى على هذا
أوليته^(٤) لَبْلَةَ . فارتقى قلعة إصطخر من أرض فارس . فالله أعلم كيف
ترقاها ، إذ لم يكن يُؤتى من خطل ولا جهالة ، بل وَضَلُّهُ بها وَسِعَ علم ،

(١) تكلمة النسب بين الحاصرتين ، منقولة عن ترجمة ابن حزم الواردة بالوفيات لابن خلكان .

(٢) الزيادة عن الحميدى (جذوة المقتبس) . وهو الذي اقتبست منه هذه الجملة .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (غنت) .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت محرقة في الإسكوريال (رابته) .

وَوَشَجَّةٌ رَجِمَ مَعْقُومَةٌ ، فَلَهَا يَسْتَأْخِرُ الصَّلَاةَ ، فَتَنَاهَتْ حَالَهُ مَعَ فَقْهَاءِ عَصْرِهِ إِلَى مَا وَصَفَ ، وَحِسَابِهِ وَحِسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ ، الَّذِي لَا يَظْلِمُ النَّاسَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ .
عَزَّتْ قُدْرَتُهُ .

حاله

قال الحميدى ، كان حافظاً ، عالماً بعلوم الحديث وفقهه ، مستنبطاً [للأحكام]^(١) من الكتاب والسنة ، متفناً في علوم جمّة ، عاملاً بعلمه ، زاهداً في الدنيا ، بعد الرياسة التي كانت له ، ولأبيه من قبله ، في الإدارة^(٢) وتدبير الممالك ، متواضعاً ، ذا فضائل جمّة ، قال ، وما رأينا مثله ، فيما اجتمع له . مع الذكاء وسرعة الحفظ ، وكرم النفس والتدين . قال أبو مروان ابن حيان ، كان أبو محمد حامل فنون ، من حديث وفقه ونسب ، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة . وله في ذلك عدة توالييف .

وقد مال أولاً به النظر في الفقه إلى رأى أبي عبد الله الشافعى ، وناضل عن مذاهبه ، وانحرف عن مذهب غيره ، حتى وُسم به ، واستهدف بذلك إلى كثير من الفقهاء ، وعيب بالشذوذ . ثم عدل في الآخر إلى قول أصحاب الظاهر ، مذهب داود بن علي ، ومن تبعه من فقهاء الأمصار ، فنقحه ونهجه ، وجادل عنه ، ووضع الكتب في بسطه ، وثبت عليه إلى أن مضى بسبيله . وكان يحمل علمه ، ويجادل عنه لمن خالفه فيه ، على استرسال في طباعه ، واستناد إلى العهد الذي أخذه الله على العلماء من عباده ، ليبينه للناس ، ولا يكتُمونه ، فآل أمره إلى ما عُرف .

(١) الزيادة عن الحميدى ، وهو الذي اقتبست منه هذه الفقرة .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي جذوة المقتبس (الوزارة) .

مشيخته

قال ، سمع سماعا جما ، وأول سماعه من أبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور قبل الأربع مائة .

تواليافه

قال ، بلغت تواليافه أربع مائة مجلد . وقال ، حمل بعير . فمنها في علم الحديث كتاب كبير سماه « الإيصال إلى فهم الخصال ، الجامعة لجمال^(١) شرائع الإسلام ، في الواجب والحلال والحرام ، وسائر الأحكام ، على ما أوجبته القرآن والسنة والإجماع » . أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين ، وبيان ذلك كله ، وتحقيق القول فيه . وله كتاب « الأحكام لأصول الأحكام » في غاية التقصى وإيراد الحجاج . وكتاب « الفصل في الملل والأهواء والنحل » . وكتاب « الإجماع ومسائله » على أبواب الفقه . وكتاب « المجلد والمجلد » وكتاب « في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض » . وكتاب « إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل » . وهذا مما سبق إليه ، وكتاب « التقريب^(٢) لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية . والأمثلة الفقهية . فإنه سلك في بيانه ، وإزالة سوء الظن عنه ، وتكذيب المنحرفين به ، طريقة لم يسلكها أحد قبله فيما علمنا .

شعره

قال ، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع ، وباع طويل . وما رأيت

(١) وردت في الإسكوريان والزيتونة (إلى) . والتصويب من جنوة المقتبس والوفيات .
(٢) وردت في الإسكوريال والزيتونة (التمريف) . والتصويب من جنوة المقتبس والوفيات .

من يقول الشعر على البديهة أسرع منه . وشعره كثير ، وقد جُمع على
حروف المعجم . ومنه قوله :

هل الدهر إلا ما عَرَفْنَا وأدركنا فجائعه تبقَى ولذاته تَفْنَى
إذا أَمْكَنْتَ فيه مَسْرَةً ساعة تولّت كمر الطَّرْفِ واستخلفت حَزْنَا
إلى تبعات في الحساب^(١) وموقف نوذٌ لديه أننا لم نَكُنْ كُنَّا
حَصَلْنَا على همٍّ وإثمٍ وحَسْرَةٍ وفات الذي كنا نلذُّ به عَنَّا
حَينٍ لما ولىّ وشُغِلَ لما أتى وغمٌّ لما يُرْجى فَعَيْشُكَ لا يَهْنَأُ
كان الذي كُنَّا نَسْرُ بكونه إذا حَقَّقْتَهُ النفسَ لفظًا بلا معنى

ومن ذلك قوله من قصيدة في الفخر :

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عَيْبِي أَنْ مَطَّلَعِي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالعٌ لجدد على ماضع من ذكرى النهب
ولى نحو أكناف العراق صباية ولاغرو أن يَسْتَوْحِش الكَلِيفُ الصَّبَّ
فإن يُنزل الرحمن رَحْلِي بينهم فحينئذ يبدو التأسف والكرب
فكم قائل أغفلته وهو حاضر وأطلب ما عنه تجيء به الكتب
هنالك يدري أن للبعد قصة وأنه كساد العلم آفته القرب

ومنها في الاعتذار عن المدح لنفسه :

ولكن لى نى يوسف خير أسوة وليس على [من سار سيرته]^(٢) ذنب
يقول وقال الحق والصدق أننى حفيظ عليم ما على صادق عتب

ومن شعره قوله فيما كان يعتقد من المذهب الظاهرى :

وذى عدل فيمن سباني حسنه يُطِيل ملامى فى الهوى ويقول

(١) هكذا فى الإسكوريال والزيتونة . وفى الجذرة (المعاد) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ووردت مكانها فى الجذرة ما يأتى (سن

بالتبى اتسى) .

أنى حسن وَجْه لآح لم تر غيره
فقلت له ^{١٤} رَفَت في اللوم ظالماً
ولم تر أنى ظاهري وأنسى
ومن ذلك قوله :

أين وَخَه قول الحق في نفس سامع
سيؤنسه رفقا فينسى نفااره
ودَعَه فنور الحق يسرى ويُشرق
كما نَسِيَ القيدَ الموثقَ مُطلقُ
ومن ذلك قوله :

لئن أصبحت مرتحلاً بشخصي
ولكن للعيان لطيف معنى
وفي المعنى :

يقول أخى شجاك رحيل جسم
فقلت له المعاینُ مطمئن
ورُوحك ماله عتا رحيل
لذا طلب المُعَاينة الخليل

دخوله غرناطة

وصل في جملة الإمام المرتضى . ولما جرت عليه الهزيمة واستولى باديس
الأمير بغرناطة على محلته ، كان أبو محمد من عِداد أسراه مع مثله ،
إلى أن أطلقه بعد لأى ، وخلصه الله منه .

محنته

قال ابن حيان ، استهدف إلى فقهاء وقته ، فتألبوا على بُغضه ، ورد
قوله ، وأجمعوا على تَضليله ، وشنعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ،
ونہوا أعوامهم عن الدنوِّ إايه ، والأخذ عنه ، فطَفِقَ الملوك يُقْصونه عن
قربهم ، وَيُسَيِّرُونَهُ عن بلادهم ، إلى أن انتهوا به ، مُنقطع أثره بتربة

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ووردت مكابها في الجدة والرويات (سأل).

بلده من بادية لبَّلة ، وبها توفى غير راجع إلى ما أرادوا ، به يَبْثُ علمه
 فيمن يَنْتَابُه بباديته من عامة المُقتَسِبين منه من أصاغر الطلبة ، الذين
 لا يحسُّون فيه الملامة بحدائثهم ، ويفقِّههم ويدرسهم ، ولا يدع المشاورة
 على العلم ، والمواظبة على التَّأليف ، والإكثار من التصنيف ، حتى كَمُلَ
 من مصنفاته في فنون العلم وقر بعير ، حتى لأحرق بعضها بإشيلية ،
 وفي ذلك يقول :

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمَّنه القرطاس بل هو في صدري
 يسير معي حيث استقلَّت ركابي وينزل إن أنزل ويدفن في قبرى
 مولده : سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بقرطبة .
 وفاته : توفى سنة ست وخمسين وأربعمائة^(١)

على بن إبراهيم بن على الأنصارى المالقي

يكنى أبا الحسن ، صاحبنا حفظه الله .

(١) ليس لابن الخطيب شيء تقريباً في هذه الترجمة التي أوردها للعلامة ابن حزم ، فهي منقولة
 بحصلتها من الترجمة التي أوردها له معاصره وصديقه أبو عبد الله الحميدى في كتابه (جنوة المقتبس)
 (القاهرة ص ٢٩٠ - ٢٩٣) مع بعض فقرات منقولة عن ابن حيان ، وقد أورد له ابن خلكان كذلك
 ترجمة حسنة في وفيات الأعيان (بولاق ج ١ ص ٤٢٨ - ٤٣١) .
 والرواية الراجعة هي أن ابن حزم عاش أيامه الأخيرة وتوفى في بلدة أسرته الأصلية « منتليشم »
 وبالإسبانية « Casa Montijo » من أعمال مدينة لبلة بولاية القرب الأندلسية ، وذلك في أواخر
 شعبان سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) .

هذا ، وقد نظم في شهر ما يوسنة ١٩٦٣ (من ١٢ - ١٨ منه) بمدينة قرطبة مهرجان رسمى
 فخم للاحتفال بذكرى مرور تسعمائة عام على وفاة ابن حزم « القرطبي » . وأقامت له بلدية قرطبة
 تمثالاً (متخيلاً) بالحجم الطبيعي أمام باب إشيلية على مقربة من الجامع . وأقيمت له كذلك لوحة
 تذكارية باللغة الإسبانية أمام مدخل كنيسة سان لورنتسو التي أقيمت مكان المسجد الذي كان يتوسط
 حى بلاط مفيث ، وهو الحى الذي عاش فيه ابن حزم في صباه . ونظمت بهذه المناسبة عدة ندوات
 دراسية ، وطائفة من الحفلات الاجتماعية والفنية الفخمة . وقد كان محقق هذا الكتاب من شهود هذا
 المهرجان التاريخي العظيم .

حاله

آية الله في الحفظ ، وثقوب الذهن ، والنَّجَابَة في الفنون ، وفصاحة الإلقاء ، خريج طبعه ، وتلميذ نفسه ، ومُبْرَز اجتهاده . إمام في العربية ، لا يُشَقُّ فيها غُبَارُه ، حِفْظًا وبحثًا ، وتوجيهًا وإطلاعًا ، وعثورًا على سَقَطَات الأعلام ، ذَاكِر للغات والآداب ، قَائِم على التفسير ، مقصود للفُتْيَا ، عاقد للوثيقة ، مشارك في الفنون ، ينظِّم وينثُر ، فلا يعلو الإِجَادَة والسَّدَاد ، سليم الصدر ، أبا النفس ، كثير المشاركة ، مُجْدِي الصُّحْبَة ، بعيد عن التَّسَمُّت . رحل عن بلده مالقة ، بعد التبريز في العَدَالَة والشهرة بالطلب ، واستقر بالمغرب ، فاقراً بمدينة أنفاً^(١) ، منوهاً به ، ثم بسلا ، واستوطن بها ، رئيس المدرسة بها ، مُجْمَهراً بكرسيها ، فارعاً بمنبرها ، بالواردة السلطانية ، يفسر كتاب الله بين العشاءين ، شرحاً كثير العيون ، محذوف الفضول ، بالغاً أقصى مبالغ الفصاحة ، مُسْمَعاً على المحال التَّابِيَة ، ويدرس من الغلوات بالمدرسة ، دولا في العربية والفقهِ ، أخذهُ بزمام النبل ، مترامية إلى أقصى حدود الاضطلاع . وحضر المناظرة ، بين يدي السلطان ، فاستأثر بشيخ من رَعِيه ، وأعجب بقوة جأشه ، وأصالة حِفْظَة ، فأنمى جراياته ، ونوّه به .

مشيخته

قرأ ببلده على الأستاذين ، عَلَمِي القَطْر ، القاضي العالم أبي عبد الله ابن تَبِير ، والقاضي النظار أبي عمرو بن منظور . وتلا القرآن على المقرئ أبي محمد بن أيوب . وذاكر بغرناطة إمام العربية أبا عبد الله بن الفخار ، ورئيس الكتاب ، شيخنا أبا الحسن بن الجِيَاب . وبالمغرب كثيراً من

(١) هي البلدة المغربية الصغيرة ، التي قامت مكانها فيما بعد مدينة الدار البيضاء العظيمة .

أعلامه ، كالرئيس أبي محمد الحنفي ، والقاضي أبي عبد الله المقرئ وغيرهم . وهو الآن بحاله الموصوفة قاضياً بشرقي مالقة ، واستاذا بها متكلماً ، مُعْجَزٌ من مفاخر قُطره .

شعره

.. بما يؤثر من شعره منقولاً من خطِّ صاحبنا أبي الحسن بن الحسن :
رحماك رحماك في قلب يُقلِّبه شوقٌ يكاد يُلْفَحُ الوجدُ يذهبه
هام الفؤاد بمعنى للجمال بدا عليك في السرِّ للارواح أعجبُه
ولاح منك لدى الإشراف جوهرة ألاحَتُ الحُسنُ عما كان يحجبه
فلو هم الصَّحبُ أن الروح تبيها ماضى الجفون برود الثغر أشبهه
يظلُّ مُعتقلاً من خَوطِ قامته بأَسمر غالى منه مؤرَّبسه
وذى فِرَندٍ يدبُّ الموت في شطبٍ منه ويوحش في جنح نلَّهه
يخاله ذو الصِّدا ماء فيُبصِّره يود في الحال أن لو كان يشرُّبه
بالمند واثى والذى نددتوشجه وبالصَّباة والأرواح ملعبه
كساه سرُّ الجمال المحض حُلَّتْه إذ جاده من نكوب الجود صنيبه
وقام يَرْدُلُ فيها وهى ضافية فأقبلت نحوه الأرواح تطلبه
هيهات من دونه باب بظاهره يجرُّ الفنا وجُند الروح يرهبه
فمرنا والموت فيه عين عيشته فأوجُ مرقي حياة الروح مرَّقه
نبدت لوايحه من بحر جوهره بَرَقاً يغير على الغيران خلَّبه
وتستعير له روحاً مظاهره سرُّ الجمال بها يبدو تحجبه
بدرٌ وفي أفق الأرواح مَطْلَعُه مهما أفاقت وإلاً فهى مغربه
بخاطره منه سر لا يفارقه وإن غدا بغرام الشوق يُلَّهيه
لى هواه والبعد ينهاني ويُصدقنى فى نصحه وصريح الوجد يكذبه

إِلَّا الَّذِي قَد غَدَا يُرْضِيهِ مُغْضِبُهُ
 مِنَ الْأَنْسِ أَحْلَاهُ وَأَعْلَبَهُ
 إِلَّا الَّذِي قَد تَجَلَّى عَنْهُ غَيْبُهُ
 وَغَرَّ مُسْتَبِشِرَ الْأَضْوَاءِ كَوَكْبَهُ
 طَرَسُ يَغَالِبُهُ طَوْرًا فَيَغْلِبُهُ
 فَعَلَا يَرُدُّ لَهَا فِي الْحَكْمِ مَذْهَبَهُ
 فِيهِ النَّفَاسَةُ وَالْأَنْفَاسُ تَعْرِفُهُ
 أَخُو بَيَانٍ مَعَ السَّاعَاتِ يُسَهِّبُهُ
 إِلَى سَبِيلٍ مِنَ الزُّلْفَى تَقْرُبُهُ
 عَنْ رَقَّةٍ بِشُهُودِ الْفَرْقِ تُسَلِّبُهُ
 لَدَى الْوَجُودِ الَّذِي قَد عَزَّ مُطْلَبُهُ
 إِلَى السَّقَامِ الَّذِي عِنْدَ بُغْيَتِهِ
 عَنَا يَدٌ نَحْوَ بَابِ الْعِزِّ تَجْذِبُهُ

كُلُّ الْوَرَى جِلْفُ الصَّبَابَةِ فِيهِ
 وَالشُّهْدُ مَمْزُوجٌ بِرَيْقِهِ فِيهِ
 حَتَّى يَكَادُ سِقَامُهُ يُخْفِيهِ
 لَصْدُ لَكَانٍ مِنَ الصَّدَا يُشْفِيهِ
 يَا لَيْتَ بُوَصَالِهِ رَافِيهِ

لَمَنْ لَمْ يُنْبِئِكَ حَبِكَ لِلْمَمَاتِ
 إِلَيْكَ رَهْمِينَ شَوْقٍ وَأَنْبِتَاتِ

سُرُّ الْغَرَامِ غَرِيبٌ لَيْسَ يَعْلَمُهُ
 وَلِلصَّبَابَةِ أَقْوَامٌ وَمُؤَرِّدُهُمْ بِهَا
 وَلَيْسَ يَعْرِفُ هَذَا حَقًّا مَعْرِفَةً
 وَأَبْصَرَ الْحُسْنَ قَدْ لَاحَتْ لَوَايِحُهُ
 بِنَاتٍ أَهْيَفٌ مِنْ سُرِّ الْحَيَاةِ
 وَفِي لُجَيْنِ الْجَمَالِ الْمَحْضِ قَدْ فَعَلَتْ
 أَرْوَمٌ إِعْجَامَهُ حَوْنًا وَتُطْمِعُنِي
 فَمَنْ لِمِثْلِي بِكْتِمَانٍ وَمَنْ نَفْسِي
 لُبَانَةُ السَّرِّ أَنْ تَحْطَى بِرَقَبَتِي
 تَسْمَعُو عَلَى مِنْكَبِ الْجُوزَاءِ ذُرُوتَهَا
 وَفِي مَصَافَاتِ سِرِّ الْقَبْضِ يَبْسُطُهُ
 فِيرْتَقِي فِي مِرَاقِي الْجِجَعِ مَخْتَلِفًا
 فَذَلِكَ أَعْظَمُ مَا يَرْجُوهُ أَنْ سَبَقَتْ

وَمِنْ مَنْظُومَةٍ فِي النَّسِيبِ قَوْلُهُ :

لِمُحَمَّدِ الْبَرْقَاءِ حَسَنٌ بَاهِرُ
 السَّحْرِ مَفْتُونٌ بِغَنَجٍ لِحَاظِهِ
 فَسَحَرَهُ أَضْنَى الْمُتَيْمِ فِي الْهَوَى
 وَلَوْ أَنَّهُ بِالشُّهْدِ جَادَ وَرَشَفَهُ
 بِصُدُودِهِ قَلْبِي يُقَطِّعُ فِي الْهَوَى

وَصَدَّرَ كِتَابًا بِقَوْلِهِ يَخَاطِبُنِي :

أَنْسِيَانَا قَدِيتُكَ يَا حَيَاتِي
 وَرَجْمًا بِالظَّنُونِ أَخَا حَنِينِ

يميناً بالنهار إذا تجسلى وبالقمر المنسیر وبالآيات
لقد أحللتُ حبك من فؤادي محلُّ الروح من بثِّ الجهات
وشعره بديع ، وإدراكه عجيب ، وعارضته قوية .

علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي

يكنى أبا الحسن ، ويعرف بابن الضايح : من أهل إشبيلية .

حاله

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ، بلغ الغاية في الفن النحوي ،
وفاق أصحاب الأستاذ أبي علي [الشلوبين]^(١) بأسرهم ، وله في مشكلات
الكتاب العجائب^(٢) . وقرأ ببلده أيضا علم الكلام ، وأصول الفقه ،
وكان متقدما في هذه العلوم الثلاثة ، متصرفا فيها . وأما فنُّ العربية ،
وعلم الكلام ، فلم يكن في وقته من يقاربه في هذين العلمين . وأما فهمه
وتصرفه في كتاب سيبويه ، فما أراه يسبقه في ذلك أحد . وله إملاء علي
طايفة كبيرة من إيضاح الفارسي . وكان له اعتناء كبير بكلام الفارسي
على الجملة ، وبحسب ذلك استقصى اعتراضات أبي الحسين بن الطراوة
على أبي علي بالرد ، واستوفى ما وقع له في ذلك ، حتى لم يبق بيده شيء
على طريقة من الإنصاف ، ودليل الهدى . لم يُسبق إليها . وكذا فعل في رد
أبي محمد بن السيد ، على أبي القاسم الزجاجي . وكذا فعل في اعتراضات أبي
الحسين بن الطراوة على كتاب سيبويه . وكان بالجملة إماما في هذا كله
لا يُجارى . وأما اختيارات أبي الحسن بن عصفور في مغربه وغير ذلك من

(١) الزيادة من الزيتونة .

(٢) مكذافي الإسكوريال وفي الزيتونة (عجائب) .

تعاليفه ، وما قيّد في ذلك ، فرُدّ عليه معظمها أو أكثرها . ولم يُلق بالأندلس والعُتوة ، ولا سمعنا بآنبه منه ، ممن وقفنا على كلامه أو شاهدناه ، ولا رأيت مختلفاً عليه من أهل بلده من أتراه ، ومن فوقهم . وكان إذا أخذ في فن آتى بعجائب . قال الأستاذ ، لازمته ، وأخذت عليه كتاب سيويه في عدة سنين ، وأكثر كتاب الإيضاح ، وجمل الزجّاجي . إلى غير ذلك ، وجميع التلخيصات للسُّهر وردي . وطائفة كبيرة من إرشاد أبي المعالي ، ومن كتاب الأربعين لابن الخطيب ، وغير ذلك .

مشيخته

أجاز له من أهل بلده الراوية المُسن ، أبو الحسن بن السّراج ، والقاضي أبو الخطاب بن خليل . ومن غيرهم ، القاضي أبو بكر بن محرز ، والمُقري المُعمر أبو بكر الشّماقي المعروف بالشريشي ، وأبو عبد الله الأزدي ، وأبو عبد الله بن جوبر وآخرين . وقرأ ببِلده . ولزم الأستاذ أبا علي الشُّلوبيين ، حتى كدل عليه إيضاح الفارسي ، وكتاب سيويه . وسمع جمل الزجّاجي وغير ذلك من كتب العربية ، ممن كان يقرأ في المجلس ، وقرأ عليه طائفة كبيرة من تذكّرة الفارسي ، مما يتعلق بمسائل الكتاب ، بعد أن جرّدها من التذكّرة . وبلغ الغاية في الفن النحوي ، وفاق أصحاب أبي علي بأسرهم .

وفاته

توفي رحمه الله ، في شهر ربيع الآخر من سنة ثمانين وستاية ، وقد قارب التسعين . [قلت العجب من الشيخ الخطيب رحمه الله ، كيف لا يذكر للمترجم به رحمه الله ، شرحه لجمل الزجّاجي ، بل شرحه الصغير والكبير . ولم يكن اليوم على الزجّاجي أجدي منها ، ولا أنفع ،

ولا أقل فضولا ، ولا أفصح عبارة ، ولا أوجز خطابة ، ولا أجمل إنصافا ،
ولا أجودَ نظرا [(١)]

الكتاب والشعراء

وأولا الأصليون منهم

علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي

يكنى أبا الحسن من أهل غرباطة .

حاله

صاحبنا أبو الحسن ، من أهل الفضل والسراوة والرُجولة والجزالة .
فد في الكفاية ، ظاهر السداجة والسلامة ، مُضنّب لأصداده ، شديد
العصبية لأولى وُدّه ، في أخلاقه حدّة ، وفي لسانه نبلي أخلاّيه ، مشتمل على
خلال من خطّ بارع ، وكتابة حسنة ، وشعر جيد ، ومُشاركة في فقه وأدب
ووثيقة ، ومحاضرة ممتعة . ناب عن بعض القضاة ، وكتب الشروط ،
وارتسم في ديوان الجند ، وكتب عن شيخ الغزاة أبي زكريا بن عمر علي
عهده . ثم انصرف إلى العُدوة سابع عشر جمادى الأولى من عام ثلاث
وخمسين وسبعماية ، فارتسم في الكتابة السلطانية مُنوّها به ، مستعملا في
خدم مُجدية ، بان غناؤه فيها ، وظهرت كفايته .

وجرى ذكره في كتاب التّاج بما نصه : اللّسن العارف ، والنّاقد
لجواهر المعاني ، كما يفعل بالسُّكة الصّيارف ، الأديب المُجيد ، الذي
تملّى به العصر والنّحر والجيد ، إن أجال جياذ براعته ، فضح فرسان
المهّارق ، وأخجل بين بياض طرسه ، وسواد نفسه الطور تحت المفارق .
وإن جلى أبكار أفكاره وأثار طير البيّازين أوكاره ، سلب الرّحيق المُفدّم

(١) من الواضح أن الفقرة المحصورة بين الخاصرتين ، هي من كلام الناسخ أو المختصر .

فضل أبكاره ، إلى نفس لا يفارقها ظرف ، وهمّة لا يرتد إليها طرف ،
 وإبابة لا يقل لها غرب ولا حرف . وله أدب غض ، زهره عن مجتنيه
 مُرفض ، كسبت إليه أنتجز وعده في الالتحاف برايقه ، والامتاع بزهر
 هواتفه ، وهو قولى :

عندى بلوعدك افتقارٌ مُجوج وعهودك افتقرت إلى إنجازها
 والله يعلم فيك صدق مودتى وحقيقة الأشياء غير مجازها
 فاجابنى بقوله :

يا مهدي الدرّ الثمين منظمًا كلما حلال السحرفي إنجازها
 أدركت حلّبات الأوايل وانياً ورددت أولها على أعجازها
 أحرزت في المضمار خصل سباقها ولأنت أسبقهم إلى إحرازها
 حلّيت بالسّمطين منى عاطلا وبعثت من فكري متات مفاها
 فلأنجزن مواعدي مستعطفًا فاسمح وبالإغضاء منك مجازها
 ومن مقطوعاته قوله :

ليت شعرى والهوى أمل وأمانى الصّب لا تقف
 هل لذلك الوصل مرتجع أو لهذا البحر منصرف

ومن ذلك :

وظي سبا بالطرف والعطف والجيد وما حاز من غنج ولين ومن غيد
 أتيت إايه بالدنسو مداعبها فقال أيدنو الظبي من غابة الأسد

وقال من مبدإ قصيدة مطولة فيما يظهر منها :

حديث المغانى بمدمن شجون وأوجه أيام التبعاعد جون
 لحا الله أيام الفراق فكم شجت وغادرت الجدلان وهو حزين
 وحيًا ديارا في ربي إغرناطة وإنى بذاك القرب فيه ضنين

ليالى أنفقتُ الشباب مُطاوعا
فأرخصتُ فيها من شبابي ما غلا
على لا أمرٌ بأرْبُعها قِفا
ألم تَرَيَانِي كلما ذرُّ شارق
إذا لم يساعدنِي أخٌ منكما فلا
أليس عجيبا في البرية من لنا
فلما تشغن من ذرى وفاء بعهد
أذلتني عذر في فراق ضلوعه
ومن ترك الحزم المعين فإنه
رعى الله أياي الوثيق ذِمَامُهَا
ولم أر مثل الدهر أما عدوه
ولولا أبو عمرو وجود يمينه
ومن شعره قوله :

زار الخيالُ ويا لها من لذة
ما زلت أَلْتَم مَبْسُبا منظومه
وأضمر غصن البان من أعطافه
مولده : عام ستة وسبعماية .

وتوفى بمدينة فاس ، وقد تخلفه السلطان كاتب ولده ، عند وجهته
إلى إفريقيا ، في شوال عام ثمانية وخمسين وسبعماية ، فتوفى في العشرين
لرمضان منه .

علي بن محمد [بن سليمان]^(١) بن علي بن سليمان بن حسن الأنصاري
من أهل غرناطة ، يكنى أبا الحسن ، ويعرف بابن الجيَّاب ، شيخنا
ورئيسنا العلامة البليغ .

حاله

من عايد الصلَّة : كان رحمه الله ، علي ما كان عليه من التفنُّن ،
والإمامة في البلاغة ، والأخذ بأطراف الطلب ، والاستيلاء على غاية الأدب ،
صاحب مجاهدة ، وملازمة عبادة ، على طريقة مثلى من الانقباض والنزاهة ،
وإيثار التقشف ، محبا في أهل الخير والصلاح ، مُنحاشا إليهم ، مُنافرا
عن أضدادهم ، شيخ طلبة الأندلس ، رواية وتحقيقا ، ومشاركة في كثير
العلوم ، قائما على العربية واللغة ، إماما في الفرائض والحساب ، عارفا
بالقرائات والحديث ، متبحرا في الأدب والتاريخ ، مشاركاً في علم
التصوف ، فذا في المسائل الأدبية البيانية ، حامل راية المنظوم والمنثور ،
والإكثار من ذلك ، والاعتدال عليه ، جلدا على الخدمة ، مغتبطا بالولاية ،
محافظة على الرتبة ، مراقبا لوظائف الأبواب السلطانية ، متوقدا للذهن ،
ذليق الجوانب ، مشغوبا بالأنس والمفاوضة في الأدب ، محسنا للنادرة
الظريفة ، مليح الدعابة ، غزير الحفظ ، غيوراً على الخطَّة ، كثير
النشاط إلى المذاكرة ، مع استفراق الكلف ، وعلو السن . طال به المرض
حتى أذهب جواهر بَدَنه ، وعلى ذلك فما اختل تميزه ، ولا تغير إدراكه .
بعثت إليه باكور رمان ، فقال لي من الغد ، نَعِم بالهُدنة زمانك ، يعني
نَعِمت الهدية رمانك . فعجب الناس من اجتماع نفسه ، وحضور فكره .
وهو شيخني الذي نشأت بين يديه وتأديت به ، وورثت خُطَّته عن رضى

(١) هذا الاسم وارد في الزيتونة . وفي نفع الطيب . وساقط في الإسكوريال .

منه . كتب عن الدول النصرية نحواً من خمسين سنة أو ما ينيف عليها ، متين الجاه ، رفيع المكانة ، بعيد الصيت ، وسَقَرَ إلى الملوك ، واشتهر بالخير ، والحمل على أهل الظلم ، وجرى ذكره في التاج بما نصه :

صدر الصدور الجلَّة ، وعَلَمَ أعلام هذه الملة ، وشيخ الكتابة وبنيتها^(١) وما صير أفنان البدايع رجانيها ، اعتمدته الرياسة ، فنأى^(٢) بها على حبل ذراعها ، واستعانت به السياسة فدارت أفلاكها على قطب من شِبة يراعها . فتفياً للعناية ظلاظليلاً ، وتعاقت الدول ، فلم تر به بديلاً ، من ندب على علوه متواضع ، وحبر^(٣) لثدى المعارف راضع ، لا تمر مذاكرة في فن إلا وله فيه التبريز ، ولا تعرض جواهر الكلام على محاكاة الأفهام ، إلا وكلامه الإبريز ، حتى أصبح الدهر [راوياً لإحسانه]^(٤) وناطقاً بلسانه ، وغرب ذكره وشرق ، فأشام وأعرق وتجاوز البحر الأخضر والخليج الأزرق ، إلى نفس هذبت الآداب شمائلها ، وجادت الرياض خمائلها ، ومراقبة لربه ، واستباق لروح الله من مهبة . ودين لا يُعجم عوده . ولا تخلف وعوده . لو كل ما ظهر علينا بنيه من شارة تجلى بها العين ، أو إشاره كما سُبِكَ اللجين ، فهي إليه منسوبة ، وفي حسناته محسوبة ، فإنما هي أنفس راضها بآدابه . وأعلقها بأهدابه ، وهذب طباعها ، كالشمس تلقى على النجوم شعاعها ، والصور الجميلة تترك في الأجسام الصقيلة انطباعها]^(٥) وما عسى أن أقول في إمام الأئمة ، ونور الدياجي المدلَّهمة ، والمثل السائر في بعد الصيت ، وعلو الهمة .

• شيخته

-
- (١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (وبانها) .
 (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (فناء) .
 (٣) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . ووردت في الزيتون (وحدي) .
 (٤) وردت في الإسكوريال (راوى إحسانه) . والتصويب من النسخ وهو أنسب " سبق .
 (٥) هذه العقرة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

نقلت من خطه ، في بعض ما كتب به إلى من الأشياخ الذين لقيتهم وأجازوني عامة . الشيخ الفقيه الخطيب الصالح الصوفي المحقق صاحب الكرامات والمقامات ، نسيح وحده ، أبو الحسن فضل بن محمد بن علي ابن فضيلة المعافري . قرأت عليه كذا . ومنهم الشيخ الفقيه الأستاذ العالم العلم الكبير ، خاتمة المسنين بالمغرب ، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي ، نشأت بين يديه ، وقرأت عليه كثيراً وسمعت ، وأجازني . ومنهم الشيخ الفقيه الخطيب الأستاذ أبو الحسن علي بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن محمد الخُشني البلوطي . قرأت عليه القرآن العزيز بالقرءات السبع وغير ذلك . ومنهم الشيخ الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن عياش الخزرجي القرطبي ، لقيته بمالقة . ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن علي الغساني السعدي الخطيب الصالح ، قرأت عليه وسمعت . ومنهم الشيخ العدل أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن رَسْتَقُور الطائي . ومنهم قاضي الجماعة الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد العنسي ، ومنهم الشيخ الفقيه الخطيب المحدث الإمام أبو عبد الله محمد ابن عمر بن رُشيد . ومنهم الشيخ الخطيب أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري الكحيلي . ومنهم الشيخ الخطيب الأستاذ الصالح أبو محمد عبد الواحد ابن محمد بن أبي السُّداد الأموي الباهلي . ومنهم الشيخ الوزير الحسين أبو عبد الله محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري ، والشيخ الخطيب الأستاذ النظار أبو القاسم بن الشَّاط ، والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن مالك بن المرحل والشيخ المبارك أبو محمد عبد المولى بن عبد المولى الخولاني . هؤلاء كلهم لقيتهم ، وأجازوني إجازة عامة ، وأما من أجازني ولم ألقه ، فعالم كثير من أهل المغرب والمشرق ، منهم أبو العباس الغماز قاضي الجماعة بتونس . وأبو عبد الله بن صالح الكناني خنيب بجاية ، والشريف

أبو علي الحسن بن طاهر بن أبي الشرف بن رفيع الحسني ، وأبو فارس
عبد العزيز الهواري ، وأبو محمد بن هرون القرطبي ، وأبو علي ناصر الدين
المشدالي ، وغيرهم .

شعره

وشعره كثير ملون ، جمعته ودونته ، يشتمل على الأغراض المتعددة
من المعشرات النبويات ، والقصائد السلطانيات ، والإخوانيات ،
والمقطوعات الأدبيات ، والألغاز والأحجيات .

فمن ذلك من المعشرات في حرف الجيم على وجه التبرك :

جرباً على الزلات غير مفكر	جباناً على الطاعات غير معرج
جمعتُ لما يفنى اغتراراً بجمعه	وضيقتُ ما يبقي سجية أهوج
جنوناً بدار لا يدوم سرورها	فدعها سدى ليست بعشك فادرج
جياذك في شأو الضلال سوابق	تفوت مدى بين الوجيه وأعوج
جهلتُ سبيل الرشدا فاقصد دليله	تجد دار سعد بأبها غير مُرتج
جنابُ رسول ساد أولاد آدم	وقربُ في السبع الطبايق بمعرج
جمالُ أنار الأرض شرقاً ومغرباً	فكلُّ سنى من نوره المتبلج
جلاصداً المرتاب أن سبح الحصا	لديه ينطق ليس بالمتلجج
جعلتُ امتداحي والصلاة عليه لي	وسايل تُحظيني بما أنا أرتج

ومن الأغراض الصوفية السلطانية قوله :

هات اسقني صبراً بغير مزاج	واخي التي هي راحتي وعلاجي
إن صبَّ منها في الزجاج قطرة	شفَّ الزجاج عن السنى الوهاج
فإذا ^(١) الخليع أصاب منها شربة	حاجاه بالسر المصون مُحاج

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نفع الطيب (وإذا) .

وإذا المرید أصحاب منها جرعة
 تاهت به في مهمه لا يهتدى
 يرتاح من طرب بها فكأنها^(١)
 هبت عليه نفحة قدسية
 فإذا انتشى يوما وفيه بقية
 وإذا تمكن منه سكر معربد
 قصرت عبارة فيه عن وجدانه
 أعشاه نور للحقيقة باهر
 رام الصعود بها لمركز أصله
 فلئن أمد برحمة وسعادة
 وليرجعن بغنيمة موفورة
 ولئن تحظاه القبول لما جنى
 ما أنت إلا ذرة مكنسونة
 فاجهد على تخليصها من طبعها
 واشدد يدك معا على جبل التقي
 ولدى العزيز أبسط بساط تذلل
 هذا الطريق له مقدمتان صا
 فاجمع إلى ترك الهوى حمل الأذى
 حرفان قد جمعا الذي قد سطروا

نجاه بالحق المبين مناج
 فيه لتأديب ولا إدلاج
 غنقه بالأرمال والأهزاج
 في فتح^(٢) باب دائم الأرتاج
 سارت به قصدا على المنهاج
 فليصبرن^(٣) لمصرع الجلاج
 فغدا يفيض بمنطقي لجلاج
 فتراه يهبط^(٤) في الظلام الداج
 فرمت به في بحرها^(٥) المواج
 فليخلصن من بعد طول هياج
 ما شيب عذب شراها بأجاج
 فليرجعن نكسا على الأدرج
 قد أودعت في نطفة أمشاج
 تعرج بها في أرفع المعراج
 فإن اعتصمت به فانت الناج
 وإلى الغنى امئذ يد المحتاج
 دقتان انتجا أصح نتاج
 واقنع من الإسهاب بالإدماج
 من بسط أقوال وطول ججاج

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (فكأنما) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ق) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (فليصبرن) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ينحيط) .

(٥) وردت في الإسكوريال (نجرها) . والتصويب من النسخ .

فقد اهتدى منه بنور سراج
والكل مضطر إليها لاج
بإشارة المولى أبي الحجاج
وبحلمه وبجوده الشجاج
أمن المروع هم وغيث اللاج^(١)
والخلق بين تخاذل ولجاج
في وصف بحر زاهر الأمواج
ولمن يعادى الدين هول فاج
يأتيك أفواجا على أفواج

والمشرب الأصفى الذي من ذاقه
الآن ترى إلا الحقيقة وحدها
هذى بدائع حكمة أنشأتها
وسمع الأنام بفضله وبعده
من آل نصر نخبه الملك الرضا
من آل قبيلة ناصري خير الوري
ماذا أقول وكل قول قاصر
منه لباغي العرف در فاخر
دامت سعودك في مزيد والمنى

ومن الأمداح المطولة :

تفلى الفلاة غوادياً وروايحاً
يرمين في الآفاق مرمى نازحاً
بما حملته من سقيا البطاح دوالحاً
أبدت محياً الحق أبلح واضحاً
لبوه شوقاً والحمام هوادحاً
يذكي بنار الشوق منك جوانحاً
أذروا على الأكوار دمعاً سابحاً
ركبوا من العزم المصمم جامحاً
فتركن أعلام المطى روازحاً
أنضأ أسفار قطعن منادحاً
وسلكن نحو الأبطحى أباطحاً

لمن المطايا في السراب سوابحاً
عوج كأمثال اللقيبي ضوامر
أو كالسحاب تسير مثقلة
ركب يُيمم غاية بل آية
لما دعا داعي الرشاد مردداً
قلهم عجيج بالبسيطة صاعد
وإذا حدا الحادي بذكر المصطفى
عيس تهادي بالمحبين الألى
طارت بهم أشواقهم سباقاً
رفقاً بهن فهن خلق مثلكم
قد جين للهادي وهاداً جمّة

(١) مكنا في الإسكوريال . وفي النسخ (الراحي) .

ألاَّ صرفتَ إلىَّ صرفاً طامحاً
 وحمدتَ سعيًا من سفارك ناجحاً
 لما لمحتَ من الجمال ملامحاً
 وامسح بيُمنك الجدار مصافحاً
 قَطَعْتَ سباسباً بلقعا وضحا ضحا
 وتأمّلوا النور المبين اللايحاً
 بها تلك الرياح لوافحاً
 بالبيت أوبا لركن منه ماسحاً
 نالواها في الخلد حظا رابحاً
 يتسابقون عزايما وجوارحاً
 فاضت على الآفاق بحرا طافحاً
 بختام مسك طاب عرفا نافحاً
 والبأس والعقل الأصيل الراجحاً
 أعلى الملوك خواتما وفواتحاً
 صارت لمن بارى علاه فضايحاً
 ما زال للإجمال منها شارحاً
 كافي العدو محاربا ومصافحاً
 للعرف بالجود المررد مانحاً
 تلق السحاب على البلاد سوابحاً
 تلق الأسود لدى العرين كوافحاً
 تلق الكواكب في السماء لوابحاً
 بعزائم الصدق الأمين الناصحاً

ناشدتك الرحمن وافد مكة
 وأخاً أتيت القبر قبر محمد
 وذَهَلت عن هذا الوجود مغيبا
 فاقراً سلامي عند قبر المصطفى
 قسماً بوفد يزخرون رواحلا
 حتى أناخوا بالمحصب من ميني
 وتعرضوا لعوارض عرفية هبت
 وآووا إلى الحرم الشريف فطافعا
 وسقوا به من ماء زمزم شربة
 ثم انزنوا قصدا إلى دار الهدى
 فتبوءوا المغنى الذى بركاته
 ختموا مناسكهم بزورة أحمد
 إن السماحة والشجاعة والندى
 وقف على شمس المعالي يوسف
 فهو الذى ملأ البلاد فضايلا
 إن أجملت سير الكرام فخلقه
 حامي الذمار مدافعا وموادعا
 للملك بالعزم المؤيد مانعا
 إن تلقه في يوم جود هامر
 أو تلقه في يوم بأس قساهر
 أو تلقه في يوم فخر ظاهر
 من أسرة النصر الألى هم ناصحوا

هم أسسوا الملك المشيد بناؤه
 فاستفهم الأيام عن آثارهم
 كان إذا ضمن الغمام سحابها
 شادوا له مجدا صميما راسخا
 وسما فخر فوق أمن جهادهم
 الأعظمون مغانيا ومنساقبا
 يا دولة نصرية قد جدت
 وأمامة سعديّة قد أطلعت
 فاضت جدا فكانت أيامها
 كفت عدا فكانت أوقاتها
 عدلا لأقطار الإيالة كالبسا
 بشرى بيوسف ناصر الملك الذي
 جمع المواهب للمواهب مانحا
 ابن الإمام أبي الوليد وحسبنا
 يهنك عيد النحر أسعد قادم
 وفيتته قربانه وصلاته وأقمت
 ورجعت في الجيش الذي أخبره
 أسد ضراغم فوق خيل ترتمي
 طيارة بالدارعين تخالها
 من كل من تخذ القنا خيما له
 والشمس أضرمت السبيكة عندما
 فاهنا به وانعم بدولتك التي

فكفوا به الإسلام خطبا فادحا
 تطلع عليك صحايفا وصفايحا
 يهيم وإن جن الظلام مصابحا
 يبتى على الأعقاب ذكرا صالحا
 سمكوا له سماكا رامحا
 والأكرمون محامدا وممادحا
 نصرا لأبواب المعافل فاتحا
 سعدا ولكن للأعداى ذابحا
 جعلت لأرزاق العباد مفاتحا
 جاءت لآيات الأمان شوارحا
 ولجامحات البنى منها كافحا
 ما زال عنه مجالدا ومكافحا
 فوق المنى وعن الجرايم صافحا
 ملحا تضمن في الفخار مدايحا
 وافاك من جلوى يمينك ماتحا
 فيه شعائرا وذبايحا
 تروى غرايبها الحسان صحاتحا
 نحو العدو سوانحا وبوارحا
 تنقض في يوم القتال جوارحا
 بلقى العدو مُماسيا ومُصابحا
 لقي الحديد شعاعها المطارحا
 ترضى الوليها وتشجى الكاشحا

دامت ودام الحق فيها ثابتا
وقال يمدح ويصف مصنعا سلطانيا :
زارت [تجرر نحوه]^(١) أذيالها
والشمس من حسد لها مصفرة
واقنتك تمزج لينها بقساوة
كم رُمْتُ كمْ مزارها لكنه
تركت على الأرجاء عند مسيرها
ما واصلتك محبة وتفضلا
لكن توقعت السلو فجددت
فوحبها قسما بحق بروره
حسنت نظم الشعر في أوصافها
يا حسن ليلة وصلها ما ضرها
لما سكرت بريقها وجفونها
هذا الربيع أذاك ينشر حسنه
واخلع عذارك في البطالة جامحا
في جنة تجلو محاسنها كما
شكرت أيادي للحيا شكر الوري
وصمها أصلا وفرعا خيرها
الطاهر الأعلى الإمام^(٢) المرتضى
حاز المعالي كابراً عن كابر

يعلو يدا والإفك فيها طالها
هيفاء تخلط بالنفار دلالها
إذ قصرت عن أن تكون مثلها
قد أدرجت طي العتاب نوالها
صحت دلائل لم تطق إعلالها
أرجا كأن المسك فت خلاها
لو كان ذلك لواصلت أفضالها
لك لوعة لا تتقى ترحالها
لتجشمنك في الهوى أهوالها
إذ قبحت لك في الهوى أفعالها
لو أتبعته من بعدها أمثالها
أهملت كأسك لم ترد إعمالها
فافسح لنفسك في مداه مجالها
واقرن بأسحار المنى^(٣) آصالها
تجلو العروس لدى الزفاف جمالها
شرف الملوك همامها مفضلها
ذاتاً وخلقاً سمحها بذالها
بحر المكارم غيئها سلسالها
وجرى لغايات الكرام فنالها

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تجرر نحوه) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (المنى) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الأمين) .

إن تلقه في يوم بَدَلِ هِبَاتِهِ
 أو تلقه في يوم حربِ عُدَاتِهِ
 ملك إذا ما صال يوماً صَدُولَةً
 فِبِسَيْفِهِ وبِسَيْفِهِ نال^(١) المنا
 الواهب الآلاف قبل سؤالها
 القاتل الآلاف قبل قراعها
 إن قلت بَحْرُ كَفِّهِ قَصْرَتْ إِذْ
 مَلَأَ البَسِيطَةَ عدله ونواله^(٢)
 وسقى البرية فيضُ كَفِّهِ فقد
 جمع العلوم عناية بفتونها^(٣)
 منقولها معقولها وأصولها
 فإذا عَفَاتِكَ عَيْنُوك تَهَلَّلُوا
 وإذا عُدَاتِكَ أَبْصُرُوك تَبَيَّنُوا
 بددت شملهم ببييض صوارم
 وأبحت أرضهم فأصبح أهلها
 فَتَحَتْ إِمَارَتِكَ السَّعِيدَةَ لاوَرَى
 وَبَنَتْ مَصَانِعَ رَايِقَاتٍ ذَكَرَتْ
 وَأَجْلُّهَا قَدْرًا وَأَرْفَعُهَا مَدَى
 هو جنة فيها الأمير مخلد

تلق الغمام أرسلت هطالها
 تلق الضراغم فارقت أشبالها
 خَلَّتْ البَسِيطَةَ زلزلت زلزالها
 واستعجلت أعداؤه آجالها
 فكفى العُفَاةَ سؤالها ومطالها
 فكفى العُدَاةَ قِراعها ونِزالها
 شَبِهَتْ بِالْمَلْحِ الأَجَاغِ نوالها
 فالوحش لا تعدو على من غالها
 عمَّ البلاد سهولها وجبالها
 آدابها وحسابها وجدالها
 وفروعها تفصيلها إجمالها
 لما رأوا من كَفِّكَ استهلها
 أن المنية سلطت ريبالها
 رويت من علق الكماة نِصالها
 جُزُرًا^(٤) تغادر نهبة أموالها
 أبواب بُشْرَى واصلت إقبالها
 دار النعيم جنانها وظلالها
 هذا الذي ساء النجوم فطالها
 بلغت إمارته بها آمالها

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي المعج (نلت) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (أمانه) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بيونها) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (خورا) .

ولأرض أندلسٍ مفاخر أنتم
فحميتُم أرجاءها وكفيتُم
فبآل نصر فاخرت لا غيرهم
بمحمد ومحمد ومحمد
فهم الألى ركبوا لكل عزيمة
وهم الألى فتحوا لكل ملمة
متقلدون من السيوف عضابها
الراكبون من الجيادِ عرابها
أولى عهد المسلمين ونخبة الأمم
إن العباد مع البلاد مُقررة
فتفك عانيها وتحمى سربها

ومن الرثاء قوله يرثي ولده أبا القاسم :

هو البين حتما لا لعل ولا عسى
وما لفرّادى لم يذب منه حسرة
ويا لجفوني لا تفيض موردا
وما للسانى مُفصّحا بخطابه
أمن بعدما أودعت روحى فى الثرى
وبعد فراق ابنى أبى القاسم الذى
أؤمل فى الدنيا حياة وارتضى
فآها وللمفجوع فيها استراحة
على عُمر أفنيت فيه بضاعتى

فما بال نفسى لم تُفِض عنده أسى
فتبا لهذا القلب سرعان ما قسا
من الدمع يهيم تارة وهورسا
وما كان لو أوفى بعهد لينبسا
ووسدت منى فلذة القلب مُرسا
كسانى ثوب الثكل لا كان مُلبسا
مقيلا لدى أبنائها ومُعرسا
ولا بد للمصدر أن يتنفّسا
فأسلمنى للمقبر خير^(١)ان مقلسا

(١) وردت فى الإسكوريال (ضريان) والتصويب من النسخ .

ظللت به في غفلة وجهالة
 إلى الله أشكو برح حزني فإنه
 وصدمة^(١) خطب نازلتني عشية
 فقد صدعت شملي وأضمت مقاتلي
 ثبت لها صبراً لشدة وقعها
 وأطمع في أن يلتقي برحمته الرضا
 أبا القاسم اسمع شجوا^(٢) والدك الذي
 وقفت فؤادي مدرحلت على الأسي
 وقطعت آمالي من الناس كلهم
 تواريث يا شمسي وبندري وناظري
 وخطفت لي عبثاً من الشكل^(٣) فادحا
 أحقا ثوي ذاك الشباب فلا أرى
 فيا غصنا نضيراً ثوي عندما استوى
 ويا نعمة لما تبلغتها انقضت
 فودعته والدمع يهمي سحابه
 وقبلت في ذاك الجبين مودعا
 وخفف من وجدى به قرب رحلتي
 فيارحمة للشيب يبكي شبيبة
 فلو أن هذا الموت يقبل فدية
 ولكنه حكم من الله واجب

إلى أن رمى سهم الفراق فقرطسا
 تلبس منه القلب ما قد تلبسا
 فما أغنت الشكوى ولا نفع الأسا
 وقد هدمت ركني الوثيق المؤسسا
 فما زلت صبري الجميل وقد رسا
 وأجزع أن يشق بذنوب فينكسا
 حسا من كؤوس البين أقطع ما حسا
 وأشهد لا ينفك وقفاً محبسا
 فلست أبالي أحسن المرء أم أسا
 فصار وجودي مذتورايت حنيسا
 فما أتعب الشكلا نفسا وأنعسا
 له بعد هذا اليوم حولي^(٤) مجلسا
 فأوحشني أضعاف ما كان آنسا
 فأنعم أحوالي بها صار أبوسا
 كما أسلم السلك الفريد المجنسا^(٥)
 لأكرم من نفسي على وأنفسا
 وماذا عسى أن ينظر الدهر ما عسا
 قياس لعمرى عكسه كان أقيسا
 حيوناه أموالا كراما وأنفسا
 يسلم فيه من بخير الوري اثتسي

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وهلة) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (شكوا) .

(٣) وردت في الإسكوريال (الثقل) . والتصويب من النسخ .

(٤) وردت في الإسكوريال (بعدى) والتصويب من النسخ .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الحمسا) .

تغمذك الرحمن بالعفو والرضا
وألف منا الشمل في جنة العلا
وكتب إليه قصيدة أولها :

أمستخرجا كنز العقيق بآماق
فقد ضُعت عن حمل صبرى طاقى
فأجابنى رحمة الله عليه عن ذلك :

سَقَانِي فَأَهْلًا [بِالسَّقَايَةِ وَالْعِنَاقِ] (١)
وَلَا نُقَلْ إِلَّا مِنْ بَدَايِعِ حِكْمَةٍ
فَقَدْ أَنْشَأْتُ لِي نَشْوَةَ بَعْدَ نَشْوَةٍ
فَمِنْ حَظِّهَا الْفَانِي مَتَاعٌ لِنَاطِرِي
أَعَادَتْ شِبَابِي بَعْدَ سَبْعِينَ حِجَّةً
وَمَا كُنْتُ يَوْمًا لِلْمُدَامَةِ صَاحِبًا
وَلَا خَالَطْتُ لِحْمِي وَلَا مَازَجَتْ دَمِي
وَهَذَا عَلَى عَهْدِ الشَّبَابِ فَكَيْفَ لِي
تَبَصَّرَ فَحَكَمًا (٢) الْقَهْوَتَيْنِ تَخَالَفَا
وَشَتَانِ مَا بَيْنَ الْمُدَامِينَ فَاعْتَبِرْ
فَتَلِكُ تُهَادِي بَيْنَ ظَلَمٍ وَظَلْمَةٍ
أَيَا عَلَمِ الْإِحْسَانِ غَيْرِ مَنْزَاعِ
فَضَائِلِكَ الْحُسْنَى عَلَى تَوَاتُرِ
خَزَائِنِ آدَابٍ بَعَثَتْ بَدْرَهَا

سُلاَفًا بِهَا قَامَ السَّرُورُ عَلَى سَاقٍ
وَلَا كَأْسٍ إِلَّا مِنْ سَطُورٍ وَأُورَاقٍ
تَمَدُّ بِرُوحَانِيَّةِ ذَاتِ أَذْوَاقٍ
وَسَمِعِي وَحِظُّ الرُّوحِ مِنْ حِظِّهَا الْبَاقِ
فَأَثْوَابِهِ قَدْ جُدَّدَتْ بَعْدَ إِخْلَاقٍ
وَلَا قَبِلْتَهَا قَطُّ نَشْأَةً أَخْلَاقٍ
كَفَى شَرًّا مَوْلَايَ فَالْفَضْلُ لِلْوَاقِ
بِهَا بَعْدَ مَا لِلشَّبَابِ مِهْرَاقٍ
فَكَمْ بَيْنَ إِثْبَاتِ لِعَقْلِ وَإِزْهَاقِ
فَكَمْ بَيْنَ إِنْجَاحِ لِسَعْيٍ وَإِخْفَاقِ
وَهَذَى تَهَادَى بَيْنَ عَدَلٍ وَإِشْرَاقِ
شَهَادَةِ إِجْمَاعِ عَلَيْهَا وَإِضْفَاقِ
بِمُنْهَمِرٍ مِنْ سُحْبِ فِكْرِكَ غَيْدَاقِ
إِلَى وَلَمْ تَمْنَنْ بِخِشْيَةِ إِنْفِاقِ

(١) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (بالمدامة والساق) .

(٢) وردت في الإسكوريال (فحكّم) والتصويب من النسخ .

ولا مثل بكر حُرَّةٍ عربية
فأقسم ما البيض الحسان تبرمت
بلورٌ بدت من أفق أطواقها على
فناظر منها الأفحوان ثغورها
وناسب منها الورد خذاً مورداً
والبسن من صنعاء وشيا مُنمنما
بأحلى لأفواه وأبهى لأعين
رأيت بها شهب السماء تنزلت
ألا إن هذا السحر لا سحر بابل
لقد أعجزت شكرى فضائل ماجد
تقاضى ديون الشعر منى منها
فلو نشر الصادان من ملحديهما
فخذ زمام الرفق شيخاً تقاصرت
فلا زلت تحي للمكارم رسمها

زكية أخلاق كريمة أعراق
تناجيك سرا بين وحى وإطراق
رياض شدت في قُضبها^(١) ذات أطواق
وقابل منها نرجس سحر أحداق
سقاء الشباب النَّضربورك من ساق
وحلّين من در نفائس أعلاق
وأحلى لألباب وأشهى لعُشاق
إلى تحيبنى تحية مشتاق
فقد سحرت قلبى المعنى فمن راق
أبرّ بأحباب وأوفى بميثاق
رويدك لا تعجل على بارهاق
لأنصاف هذا الدين لا إذا بإملاق
خطاه وعاهده بمعهود وإشفاق
وقدرك في أهل العلا والنهى راق

وكتبت إليه في غرض العتاب والاستعتاب :

أدّرنا وضوء الأفق قد صدع الفضا
فلله عينا من رآنا وللحياحبي^(٢)
نفيرٌ إلى عدل الزمان الذى أتى
ونأسو كلوم اللفظ باللفظ عاجلا
فراجعنى بقوله :

ألا حبذا ذاك العتاب الذى مضى
وإن جره واش بزور تمضمضا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (قلها) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (جنى) .

ولكنها كانت طلائع للرضا
على معهد الحب الصميم فروضا
وإن ظن سيفا للقطيعة منتضا
أتى ملك الرحمي عليها فبيضا
ليرمى بوسواس الوشاة فيرفضها
تخلص من أدرانه فتمحضا
سناها بآفاق البسيطة قد أضأ
أيخى شعاع الشمس قد ملأ الفضا
معاقد حب أحكمتها يد القضا
لتشيد مبنائها الوثيق تعرضها
على البر والتسكين والحب حرضا
يقلب منها القلب في موقد الغضا
ويا ولدى البر الزكى إن ارتضا
على ما ارتضى حكم المحبة واقتضا
أطال مداه في البيان وأعرضا
كزورة خل بعد ما كان أعرضا
تناظر حسنا مذهبا ومفضضا
مدى العمر في وصي لها وهو ما انقضا
فذا الليل مسودا وذا الصبح أبيض
ورجم لشیطان إذا هو قیضا
بأبياتك الحسنی وطورا معرضا

أغارت له خيلُ فما ذعرت جمي
تألق منها بارق صاب مُزنة
تلاّ نوراً^(١) للصدّاقة حافظا
فإن سود الشيطان منه صحيفة
وما كان حب أحكم الصدق عهده
أعيد ودادا زاكى القصد وافيأ
ونية صدق في رضى الله أخلصت
من الآفك الساعى ليخفى نورها
وكيف يحلّ المبطلون بإفكهم
تعرض يبغى هدمها فكأنه
وحرص في تنفيره فكأنما
وأوقد نارا فهو يضلّ جحيمها
أيا واحدى المعلوم بالألف وحده
بعثت من الدر النفيس قلايدا
نتيجة آداب وطبع مهذب
ولا مثل بكر باكرتنى آنفا
هى الروضة الغناء أينع زهرها
أو الغادة الحسناء راقت فينقضى
تطابق منها شعرها وجبينها
أو الشهب منها زينة وهداية
أنت ببديع الشعر طورا مضرحا

(١) مكذافى الإسكوريال . وفى النفع (نورا) .

ومهدت الأعذار دون جنابة
لك الله من برٍّ وفيٍّ وصاحبٍ
لسانك في شكرى مُفيض تفضلا
وقلبك فاضت فيه أنوار خلتى
وقصدك مشكور وعهدك ثابت
فهل مع هذا ريبه في مودة
فثقي بولائي إننى لك مخلص
عليك سلام الله ما هبت الصبا

وكتب إلى القاضي الشريف وهو بوادى آش :

أهزلا وقد جدت بك اللمة الشمطاء
أغرک طول العمر في غير طایل
رويدا فإن الموت أسرع وافد
فإذ ذاك لا تستطيع إدراك ما مضى
تاهب فقد وافى مشيبك منذرا
فرافقت منه كاتب السرواشيا
معمى كتاب فكه اخذر فهذه
وإن طال ما خاضت بك اللجج التي
وما زلت في أمواجها متقلبا
فقد أوشكت تلقيك في قعر حفرة
ولست على علم بما أنت بعدها
وأعجبُ شئٍ منك دعواك في النها

وأمنأ وقد [ساورتها حية رقطا] (١)
وسرک أن الموت في سيره أبطا
على عمرك الفانى ركابيه حطأ
بحال ولا قبضاً تطيق ولا بسطأ
وها هو في فؤديك أحرقه خطأ
له القلم الأعلى يخط به وخطأ
سفينة هذا العمر قاربت الشطأ
خبطت بها في كل مهلكة خبطأ
فأونة رفعا وأونة حطأ
تشد عليك الجانبين بها ضغطأ
ملاق أرضواناً من الله أم سخطأ
وهذا الهوى المردي على العقل قد غطأ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (ساورت يا حية رقطا) .

قسطنَ عن الحق المبين جهالةً وقد غالتك^(١) النفس فأدعت القسطن
 وطاوعت شيطاناً تجيب إذا دعا وتقبل أن أغوى وتأخذ إن أعطا
 تناءى عن الأخرى وقد قربت مدى تدانى عن الدنيا وقد أزمعت شحطاً
 وتمنحها حياً وفرط صباية وما منحت إلا القتادة والخزطاً
 فها أنت تهوى وصلها وهى فاركُ وتأمل قُرباً من حماها وقد شطاً
 صراط هدى نكبت عنه عمايةً ودارردى أوعيت^(٢) فى سجنها سراطاً
 فمالك إلا السيد الشافع الذى له فضل جاه كل ما يرتجى^(٣) يُعطى
 دليل إلى الرحمن فانهج سبيله فمن حاد عن نهج الدليل فقد أخطا
 محبته شرط القبول فمن نخلت صحيفته منها فقد فقد الشرطا
 وما قبلت منه لدى الله قربة ولا زكت الأعمال بل حبَطت حبطا
 به الحق وضاح به الإفك زاهق به الفوز مرجو به الذنب قدحطاً
 هو الملجأ الأحمى هو الموثل الذى به فى غد يستشفع المذنب الخطأ
 إليك ابن خير الخلق بنت بديهه تُقبل تبجيلاً أناملك السبطا
 وحيدة هذا العصر وافت وحيدة لتبسط من شتى بدايعها بسطاً
 وتتلو آيات التشيع إنها لدوثقة عهداً ومحكمة ربطاً
 لك الشرف الماثور يا ابن محمد وحسبك أن تنمى إلى سبطه سبطاً
 إلى شرفى دينٍ وعلمٍ تظاهرا تبارك من أعطى وبورك فى المعطا
 ورهطك أهل البيت بيت محمد فأعظم به بيتاً وأكرم بهم رهطاً
 بعثت به عقدا من الدر فاخرا وذكر رسول الله درته الوسطاً

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (خالفتك) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (أودعت) .

(٣) هكذا وردت فى النسخ . وفى الإسكوريال (يرتضى) والأولى أرجح

نظمت من الدر الثمين بها سبطا
تجعد حوشى تجد لفظها سبطا
فساعدها من أجل ذلك حرف الطا
ومارددت ورقاء في غصنها^(١) لغطا

وشاعري طيء المولدين
والأعشىين بعد ثم الأعميين
وعزة ومى وبثيين
كشاعري خزاعة^(٢) المخضرمين
ثم حسن وابن الحسين
أوجب حق أن يكونا أوليين
في مشرق أقطارهم والمغربيين
بنشره ونظمه للحلبتين
شاهدت فيها المكرمات رأى عين
يراعة الألفاظ كلتا الحسينين
طريقى الآداب أقصى الأمدين
تصاغ منه حلية للشعريين
سرور قلب ومتاع ناظرين
شهادة تنزهت عن قول ميين
تقر عينيك وتملا البيدين

وأهديت منها للسيادة غادة
وحاشيتها من كل ماشأها فإن
وفي الطيبين الظاهرين نظمتها
عليك سلام الله ما در شارق
ومن غريب ما خاطبنى به قوله :

أقسم بالقيسين والنابعين
وبابن حجر وزهير وابنه
ثم بعشاق الثريا والرقيات
وبأبي الشيص ودعبل ومن
وولد المعنز والرضى والسرى
وأختم بقس وسخبان فإن
وحلتي نشرهم ونظمهم
أن الخطيب ابن الخطيب سابق
وافتنى^(٣) الصحيفة الحسنى التى
تجمع من يراعة المعنى إلى
أشهد أنك الذى سبقت فى
شعر حوى جزالة ورقة
رسايل أزهارها منشورة
يا أحوذيا يانسج وحده
بقيت فى مواهب الله التى

(١) هكذا وردت فى النسخ . وفى الإسكوريال (غصن) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النسخ (خزامة) .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النسخ (رافتنى) .

ومن المقطوعات الموطّئات على المثال :

لله عصر الشباب عصرا
حفظت ما شئتُ فيه حفظا
حتى إذا ما المشيب وافي
لا تعتنوا بعدها بحفظ
فتح للخير كل باب
كنت أراه بلا ذهاب
ندُّ ولكن بلا إياب
وقيدوا العلم بالكتاب

ومن ذلك قوله :

يا أيها المسك البخيل
إنفق وثق بالإله تريح
وقدم الأقربين واذكر
ما روى ابدأ بمن تعمل

ومن ذلك قوله :

وقائلة لم عراق المشيب
فقلت لها لم أشب كبرة
وما أن يعهد الصبا من قدم
ولكنه هم نصف الهرم

ومن ذلك قوله :

هي النفس إن أنت سامحتها
وإن أنت جشمتها خبطة
فإن شئت فوزا فناقض هواها
ولا تعبان بميعادها
رمت بك أقصى مهاوى الخديعة
تنافى رضاها تجدها مطيعة
وإن واصلتك اجزها بالقطيعة^(١)
فميعادها كسراب بقيعة

ومن المقطوعات أيضا :

من أنت يا مولى الورى مقصود
فليشهدنك له فؤاد صادق
وليفنين^(٢) عن نفسه ورسومه
طوبى له قد ساعدته سعوده
وشهوده قامت عليه شهوده
طرا وفي ذاك الفناء وجوده

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (القطيعة) .

(٢) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (وليفنين) والأولى أرجح .

وليخطفنه^(١) بارق يَرق به
 حتى يظل وليس يدري دهشة
 لكنه ألقى السلاح مسلما
 فلقد تساوى عنده إكرامه
 في أشرف المعراج ثم يعيده
 تقريبه المقصود أو تبعيده
 فمراده ما أنت منه تريده
 وهوانه ومفيده ومبيده

ومن ذلك قوله في المعنى :

يقينى أن الله جل جلاله
 يقينى فراجى الله ليس يخيب

ومن مقطوعاته في الألغاز والأحاجي قوله في حَجَلَة :

حاجيت كل فطن لبيب
 ذات كرامات فزرها قربة
 تشركها في الإسم أنثى لم تنزل
 وقد جرى في خاتم الوحي الرضا
 وهو إذا ما الفاء منه صحفت
 فهاكها واضحة أسرارها
 ما اسم الأنثى من بنى يعقوب
 فزورها أحق بالتقريب
 حافظه لسرها المحجوب
 لها حديث ليس بالمكتوب
 صبغ الحيا لا الحيا المسكوب
 فأمُرُها أقرب من قريب

وفي آب الشهر :

حاجيتكم ما اسم عَلم
 يخبر بالرجعة وهو راجع كما زعم
 وصف الحميم^(٢) هو بالتصحيح أو بدء قسم
 دونكه أوضح من نار على رأس علم

ومن ذلك قوله في كانون :

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (وليحفظنه) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الحبيب) .

وما اسم لسمييين
فهذا كلما يأتي
[وهذا ما له شخص
وهذا ما له سوم
وهذا أصله الأرض
وهذا واحد من سبعة
فمن محموله الجن
فقد بان الذي ألغزت
ولم يجمعهما جنس
فبالآخر لي أنس
وهذا ماله جس^(١)
وذا قيمته فلس
وهذا أصله الشمس
تحيا بها النفس
ومن موضوعه الإنس
ما في أمره لبس

ومن ذلك قوله في نمر :

ما حيوان ما له من حرمة
وقلبه من بعد تصحيف له
إن اسمه صُحِف فابن العمّة
يريك في الذكر الحكيم أمة^(٢)

ومن ذلك قوله في سلم :

ما اسم مركب مفيد الوضع
ينصب لكن أكثر استعمال من
وهو إذا خففته مغيرا
فالاسم إن طلبته تجده في
وهو إذا صحفته يعرب عن
له أخ أفضل منه لم تنزل
هما جميعا من بنى النجار
فهاكه قد سطعت أنواره
مستعمل في الوصل لا في القطع
يُغنى به في الخفض أو في الرفع
تراه شملا لم يزل ذا صدع
خامسة من الطوال السبع
مكسر في غير باب الجمع
آثاره محمودة في الشرع
والأفضل أصل في حنين الجذع
لا سيما لكل زاكي الطبع

(١) هذا البيت وارد في النسخ وماقط في الإسكوريال .

(٢) هكذا ورد هذا البيت في الإسكوريال . وورد في الزيتونة كالآتي :

وقلبه من بعد تصحيفه له يريك في الذكر الحكيم أمة

ومن ذلك قوله في فنار :

ما اسم إذا حذفت منه [فاءه] ^(١) الممنوعة فإنه بنت الزنا مضافة لأربعة
ومن ذلك قوله في حوت :

ما حيوان في اسمه	إن اعتبرته فنون
حروفه ثلاثة	والكل منها نون
تصحيفه قطع الفلا	أو ما جناه المذنبون
أو أبيض أو أسود	أو صفة النفس الخؤون
وقلبه مصحفاً عليه	دارت السنون
كانت به في مضي	عبرة قوم يعقلون
أودع فيها عنده ^(٢)	سر من السر المصون
فهاكه كالنار في	الزند لها فيه كمون

ومن ذلك قوله في مائدة :

حاجيتُ كل فطين نظار	ما اسم لأنثى من بنى النجار
وفي كتاب الله جاء ذكرها	فقل ما يغفل عنها القار
في خبر المهدي فاطلبها تجد	إن كنت من مطالعي الأخبار
ما هي إلا العيد عيد رحمة	ونعمة ساطعة الأنوار
بشركها في الاسم وصف حسن	من وصف قُضِب الروضة المعطار
فهاكه كالشمس في وقت الضحى	قد شف ^(٣) عنها حجب الأستار

ومن ذلك قوله في زبيب :

ما نقي العِرض طاهر الجسد	عندما خالطه الما فسَد
--------------------------	-----------------------

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وفي هامش الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (زمننا) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (شق) .

خالط الماء القراح فغوى بعد ما كان من أهل الرشد
عجى الأصل تم حسنه عندما صاد الغزاة الأسد
واسمه اسم امرأة مصحفاً ولقد يكون وصفاً لولد
هاكه قد بهرت أنواره فارم بالفكر تُصبِ قصداً الرشد
جميع هذه الأغراض المنسوبة إليه ، بحر لا ينفد مدده ، وقطر لا يبلغ
عدده .

وأما نشره فسلطانيات مطولات ، عرضت بما تخللها من الأحوال
متونها ، وقلّت لمكان الاستعجال والبدية عيونها . وقد اقتضيت منها أجزاءً
سميته « تافها من جمّ ونقطة من يمّ »

مولده : ولد بغرناطة في جمادى الآخرة عام ثلاثة وسبعين وسبعمائة .

وفاته : ليلة يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شوال عام تسعة وأربعين
وسبعمائة . ودفن بباب البيرة . وكانت جنازته أخلة نهاية الاحتفال ،
حضرها السلطان فعمّ دونه .

ومارئي به : رثيته بقصيدة أنشدتها على قبره خامس يوم دفنه ثبتت
في غير ما موضع وهي :

ما لليراع خواضع الأعناق طرّق النعي فهنّ في إطراق
وكانما صبغ الشحوب وجوها والسقم من جزع ومن إشفاق
ما للصحائف صوّحت روضاتها أسفا وكن نضيرة الأوراق
ما للبيان كؤوسه مهجورة غفل المدير لها ونام الساق (١)
مالي عدمت تجلدى وتصبرى والصبر في الأزمات من أخلاق
خطب أصاب بنى البلاغة والحجا شبّ الزفير به عن الأطواق
أما وقد أودى أبوالحسن الرضا فالفصل قد أودى على الإطلاق
كنز المعارف لاتبيد نقوده يوما ولا تصنى على الإنفاق

(١) هكذا في الإسكوريال روى النفع (الساق . أخلاق) .

من اللبدائع أصبحت سمر السرى
 من لليراع يجيل من خطبها
 قُضِب ذوابل مشمرات بالمى
 من للرقاع الحمر يجمع حسنها
 تغتال أحشاء العدو كأنها
 وتهز أعطاف الولى كأنها
 من للفنون يجيل فى ميدانها
 من للحقائق أهمت أبوابها
 من للامساعى [الغرا]^(١) تقصد جاهه
 كم شد من عقْد وثيق حكمه
 رحب الذراع بكل خطب فادح
 صعب المقادة فى الهوادة والهوى
 ركب الطريق إلى الجنان وحوورها
 فاعجب لأنس فى مظنة وحشة
 أمطياً بمحامد العمل الرضى
 ما كنت أحسب قبل نعشك أن
 ما كنت أحسب قبل دفنك فى الثرى
 يا كوكب الهدى الذى من بعده
 يا واحدا مهما جرى فى حلبة
 يا ثاوىا بطن الضريح وذكوره
 يا غوث من وصل الضريح فلم يجد

(١) واردة فى النج . وساقطة فى الإسكوريال .

ما بين شام للورى وعراق
 سم العدا ومفتاح الأرزاق
 وأراقم ينفثن بالترياق
 خجل الخلود وصبغة الأحداق
 صفحات دامية الغرار رفاق
 راح مشعشة براحة ساق
 خيل البيان كريمة الإعراق
 للناس يفتحها على استغلاق
 حرماً فينصرها على الإخفاق
 فى الله أو أفتى بحل وثاق
 أعيت رياضته على الحداق
 سهل على العافين والطراق
 يلقينه بتصافح وعناق
 ومقام وصل فى مقام فراق
 ومكفنا به كرام الأخلاق
 أرى رضوى تسير على الأعناق
 أن اللهود خزائن الأعلاق
 ركذ الظلام بهذه الآفاق
 جلى بغرة سابق السباق
 أبدا رفيق ركائب ورفاق
 فى الأرض من وزر ولا من واق

ما كنتَ إلا دِيمَةً منشورة
 ما كنتَ الا روضة مَمْطورة
 يا مزمعا عنا العشى ركابه
 رفقا أبانا جِلُّ ما حملتنا
 واسمح ولو بمزار لقياً^(١) في الكرى
 وإذا اللقاء تصرمت أسبابه
 عجا لنفس ودعتك وأيقنت
 ما علرها إن لم تقاسمك الردى
 إن قصرت أجفاننا عن أن ترى
 واستوقفت دهشا فإن قلوبنا
 ثق بالوفاء على المدى من فتية
 سجت بما طوقتها من منة
 تبيكى فراقك خطوة عمرتها
 أما الثناء على علاك فذائع
 والله قد قرن الثناء بأرضه
 جادت ضريحك ديمة مطالة
 وتغمدتك من الآله سعادة
 صبيرا بنى الجياب فقيدكم
 وإذا الأسى لفح القلوب أواره
 وأنشد في هذا الغرض الفقيه أبو عبد الله بن جزي رحمه الله :
 ألم تر أن المجد أقوت معالمه فأطنابه قد قوضت دعائمه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (ثويت) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (لن) .

هوى من سماء العلوات شهابها
 وثلث من الفخر المشيد عروشه
 وعُطِّل من حلَى البلاغة قسها
 أجل إنه الخطب الذى جل وقعه
 وإلا فما للنوم طار مطاره
 وما لصباح الأنس أظلم نوره
 وما للدموع العين فُضَّت كأنها
 قضى الله فى قطب الرياسة أن قضى
 ومن قارع الأيام سبعين حجة
 وفى مثلها أعبى النطاسى طبه
 تساوى جواد فى رداه وباخل
 وما نفعت ربَّ الجياد كرامته
 وكل تلاقى فالفراق أمامه
 وكيف مجال العقل فى غير منفذ
 لبيك علياً مستجير بعدله
 لبيك علياً ماتح^(١) بحر علمه
 لبيك علياً مظهر فضل نصحه
 لبيك علياً معتف جود كفه
 لبيك علياً ليلى وهو قائم
 لبيك علياً فضل كل بلاغة

وخانت جواد المكرمات قوائمه
 وفلَّت من العز المنيع صوارمه
 وعُرِّى من جود الأنامل حاتمه
 وثلم غرب الدين والعلم هاجمه
 وما للزيم الحزن قصت قوادمه
 وما لمحياً الدهر قُطِب باسمه
 فواقع زهر والجفون كمامته
 فشتت ذلك الشمل من هو ناظمه
 ستنبو عراره ويندق قائمه
 وضل طريق الحزم فى الرأى حازمه
 فلا الجود وواقيه ولا البخل عاصمه
 ولا منعت منه الغنى كرايمه
 وكل طلوع فالغروب ملازمه
 إذا كان بانى مَصْنَع هو هادمه
 يُصاخ لشكواه ويمنع ظالمه
 يروى بأنواع المعارف هائمه
 يحلا عن ورد المآثم حايمه
 يواسيه فى أمواله ويقاسمه
 يكابده أو يومه وهو صائمه
 يخلده فى صفحة الطرس راقمه

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (ماتح) .

وشخص ضئيل الجسم يرهب نفثه
 تكفل بالرزق المقدر للورى
 يسدده سهما وينضوه صارما
 إذا سال من شقيه سايل حبرة
 ليك عليه الآن^(٢) من كان باكيا
 تقلد منه الملك عصب بلاغة
 وقلده مثنى الوزارة فاكتفى
 ففى يده وهو الزعيم بحقها
 سخي على العافين سهل قياده
 إذا ضلت الآراء فى ليل حادث
 وقام بأمر الملك للدين حاميا
 وقد كان نيظ العلم والحلم والتقى
 ودوخ أعناق الليالى بهمة
 وزاد على بعد المنال تواضعا
 سقيت الغواذى أى علم وحكمة
 ومازلت^(٤) يستسقى بدعوتك الحيا
 بكت فقدك الكتاب إذ كان شملهم
 وطوقتهم بالبر ثم سقيتهم
 ويبكيك منى ذاهب الصبر موجه
 فنى نال منه الدهر إلا وفاءه

ليوث الشرى فى خيسها وضر اغمه
 إذا الله أعطى فهو للناس^(١) قاسمه
 ويشرعه رمحا فكل يلائمه
 بما شاء منه سايل فهو عالمه
 فتلك مغانيه خلّت ومعالمه
 يقدر السلوق المضاعف صارمه
 بها ألمى حازم الرأى عازمه
 يراعتة والمشرقى وخاتمه
 أنى على العادين صعب شكائمه
 رآها برأى يصدع الحق^(٣) ناجمه
 فذل معاديه وضل مراغمه
 به وهو مانيطت عليه تمايمه
 يبيت ونجم الأفق فيها يزاحمه
 أبى الله إلا أن تتم مكارمه
 ودين متين ذلك القبر كاتمه
 وها هو يستسقى لقبرك ساجمه
 يؤلفه من روح فضلك ناعمه
 نذاك فكنت الروض ناحت حمايمه
 فوقد فى جنبه للحزن جاحمه
 فما وهنت فى حفظ عهد عزائمه

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (فى الناس) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (اليوم)

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (الخطب) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (ومازال) .

عليل الذي زرت عليه جيوبه قريح الذي شدت عليه حزامه
 فقد كنت ألقى الخطب منه بجنة تعارض دوني بأسه وتصادمه
 سأصبر مضطراً وإن عظم الأسي أحارب حزني مرة وأساله
 وأهديك إذ عز اللقاء تحية وطيب ثناء كالعبير نواسمه

وأنشد القاضي أبو بكر القرشي قوله من قصيدة في ذلك :

هي الآجال غايتها نفساد وفي الغايات تمتاز الجياد

وأنشد الفقيه الكاتب أبو بكر القاسم بن الحكيم قوله من قصيدة :

لينع الحجا والحلم من كان ناعيا ويرع العلا والعلم من كان راعيا

وأنشد الفقيه القاضي أبو بكر بن جزى قصيدة أولها :

أبشكما والصبر للعهدناكث حديثا أملت على الحوادث

قصائد مطولات يخرج استقصاؤها عن الغرض ، فكان هذا التابين

غريبا لم يتقدم به عهد بالحضرة لكونها دار ملك ، والتجلة في مثل هذا مقصورة على أولى الأمر . فمضى بسبيله رحمه الله .

علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن
 محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن
 سعد بن عمار بن ياسر بن كنانة بن قيس بن الحصين بن لوذم
 ابن ثعلب بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن نام بن عبس^(١)
 واسمه^(٢) زيد بن مالك بن أدد بن زيد العنسي المذحجي

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في الذيل والتكلمة (عنس) .

(٢) هكذا وردت في الذيل والتكلمة . وفي الإسكوريال (والد) والأول أرجح .

من أهل قلعة يحصب^(١) ، غرناطى قلعى^(٢) ، سكن تونس ، يكنى
أبا الحسن ، ويعرف بابن سعيد .

أوليته

قد تقرر من كرم أوليته ، وذكر بيته ما ينظر في محله .

حاله

هذا الرجل وَسْطَى عقد بيته ، وَعَلَمَ أهله ، ودرّة قومه ، المصنف
الأديب ، الرحال ، الطُرفة ، الإخبارى ، العجيب الشأن فى التجول فى
الأوطان ، ومداخلة الأعيان ، والتمتع بالخزائن العلمية ، وتقييد الفوائد
المشرقية والمغربية .

مشيخته

أخذ عن أعلام إشبيلية كآبى على الشلوبين ، وآبى الحسن الدباج ،
وآبى الحسن بن عصفور وغيرهم .

تواليافه

وتواليافه كثيرة^(٣) ، منها المُرَقصات والمُطربات ، عزيز الوجود ،
والمقتطف أغرب وأعجب ، والطلع السعيد فى تاريخ بيته وبلده .
والموضوعان الغريبان المتعددا الأسفار ، وهما « المغرب فى حلى المغرب » ،
« والمشرق فى حلى المشرق » ، وغير ذلك مما لم يتصل إلينا ، فلقد حدثنى
الوزير أبو بكر بن الحكيم ، أنه تخلف كتابا يسمى « المرزمة »^(٤) ،
يشتمل على وقر بعير ، لا يعلم ما فيه من الفوائد الأدبية والإخبارية إلا الله

(١) سبق التعريف بها (أنظر المجلد الثالث من الإحاطة ص ٢١٥ و ٤٢٣) .

(٢) أى من سكان القلعة المذكورة .

(٣) هذه الكلمة واردة فى الزيتون وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا فى الإسكوريال وفى الزيتون (المزيدات) .

شعره

قال ، تعاطى نظم الشعر في حدّ زمن الشيبية ، يعجب فيه من مثله ،
فيذكر أنه خرج مع والده ، وقد مر في صحبته إلى إشبيلية ، وفي صحبته
سهل بن مالك ، فجعل سهل يباحثه عن نظمه ، إلى أن أنشده في صفة
النهر والنسيم يردده ، والغصون تميل عليه :

كأنما النهر صفحة كتبت أسطرها والنسيم ينشئها
لما أبانت عن حسن منظرها مالت عليها الغصون تقرؤها
فطرب أبو الحسن وأثنى عليه ، ثم شدا ، وناب عن أبيه في أعمال
الجزيرة ، ومازج الأدباء ، ودون كثيراً من نظمه ، وحفظ له في المدح :

يا أيها الملك الذي هبته وهبته شدت عرى الإسلام
لما أسال نداه سلّ حسامه فأراك برقاً في متون غمام
لله شيعتك التي ترك العدا أقداحهم بمواطء الأقدام
طاروا بأجنحة السيوف إليهم مثل الحمام جلبن كل حمام
فهم سهام والجياد قسيهم وعُداهم هدف وسعدك رام
وقال ، ومما نظمته بالحضرة في فرس كان لهم لوبان أغر أكحل بحلية :
وأجرد تبرى أثرت به الثرى والفجر في خصر الظلام وشاح
عجبت له وهو الأصيل بعرفه ظلام وبين الناظرين صباح

رحلته المشرقية ، وفيها الكثير من نظمه ، قال في «الطالع» لما قدم الديار
المصرية واشتهر ، كان مما نظمه سلماً لمعرفة الأدباء والظرفاء قوله ، وقد
رأى بساحلها وجوها لا يعرفها ، وألسنا غير ما عهد :

أصبحت أعترض الوجوه ولا أرى من بينها وجها لمن أدريه
ويحُ الغريب توحشت الحاظه في عالم ليس له بشبيهه

هودى على يدي ضللا بينهم حتى كأتى من بقايا التيه
 ودخل القاهرة ، فصنع له أدياها صنيعا في ظاهرها ، وانتهت بهم
 الفرجة الى روض نرجس ، وكان فيهم أبو الحسن الجزار ، فجعل يلبس
 النرجس ، برجله ، فقال أبو الحسن :

يا واطيء النرجس بالأرجل ما تستحي أن تطأ الأعين بالأرجل
 فتهافتوا بهذا البيت وراموا إجازته .
 فقال ابن أبي الأصبع :

فقال دعنى لم أزل [محرجا] ^(١) على لحاظ الرُشاد الأكحل
 وكان أمثل ما حضرهم ، ثم أبوا أن يجيزه غيره ، فقال :
 قابل جفونا بجفون ولا تبتذل الأرفع بالأسفل
 ثم استدعاه سيف الدين بن سابق صاحب الأشغال السلطانية إلى
 مجلس بصفة النيل ، مبسوط بالورد ، وقد قامت حوله شمامات نرجس ،
 فقال في ذلك :

من فضل النرجس فهو الذى يرضى بحكم الورد إذ يرأس
 أما ترى الورد غدا قعاءدا وقام فى خدمته النرجس
 ووافق ذلك ممالك الترك ، وقوفا فى الخدمة على عادة المشاركة ،
 فطرب الحاضرون ، من حَسُود ومنصف . ولقى بمصر محيى الدين بن ندا
 واقد التركى ، الإمام زهير الحجارى هاء الدين ، وبالقاهرة جمال الدين
 ابن مطروح ، وجمال الدين بن يغمور ^(٢) ، وتعرف بكمال الدين بن العديم
 رسول سلطان حلب ، فاستصحبه يتحف به الملك الناصر صاحب حلب ،

(١) هذه الكلمة واردة فى النفع وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) وردت فى الإسكوريال (ابن يسمور) وهو تحريف لاسم الشاعر المصرى أحمد بن موسى

ابن يغمور ، المتوفى سنة ٦٧٣ هـ .

فلقى بَحْمَنُ وبَيْتِ المَقْلَسِ وحمَاهُ أَعْلَامًا جِلَّةً ، وله معهم أَخْبَارٌ يَطُولُ
ذِكْرُهَا ، ودخَلَ عَلَى السُّلْطَانِ بِحَلْبٍ ، وَأَنشَدَهُ قَصِيدَةَ أَوَّلِهَا :

جُئِلُ بِمَا أَلْقَى الخِيَالُ مِنَ الكَرَى لَابِدٌ لِلطَّيْفِ المَلْمُ مِنَ الكَرَا^(١)

فقال كمال الدين هذا رجل عارف مدرؤى لمقصده من أول كلمة ..

ثم قال بعد أبيات :

الناصر الملك الذى عزماته أبدا تكون مع العساكر عسكرا
ما كان أنبا الفتح يلزم لأمه والجمع من أعدائه متكسرا
فِعْظَمُ اسْتِظْرَافِ السُّلْطَانِ لِهَذِهِ المَقْاصِدِ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ . ثم وصل فقال :
الدين أصلحه وعم صلاحه الدنيا وأصبح ناصرا ومظفرا
فكأن كُنْيَتَهُ غَدَتِ مَوْضُوعَهُ مِنْ رَبِّهِ وَالْوَصْفُ مِنْهُ مَقْرُورًا
وَكأنَّمَا الأَسْمَاءُ قَدْ عَرَضَتْ عَلَى عَلَيَاهُ قَبْلَ وَجُودِهِ مَتَخَيِّرًا

فقال السلطان كيف ترون واستعاده . فقال عون الدين العجمي عميد

المجلس ، وكاتب الإنشاء ، استنباطه ما سمع الملوك بمثله يا خوند . ثم
أنشد :

من آل أيوب الذين هم هم ورثوا الندى والبأس أكبر أكبرا
أهل الرياسة والسياسة والعلا بسيوفهم حلوا الذرى منحوا الذرا
سم العداة على هيافيهم لا تعجبوا فكذلك آساد الشرى
كادوا يقيلون العداة من الردى لو لم يملوا كالحجاب العثيرا
جعلوا خواتم سمرهم من قلب كل معاند عد المثقف خنصرا
وببيضهم قد توجوا أعداءهم حتى لقد حلوا لكيفا تشكرا
لو لم يخافوا تيسار نحوهم وهبوا الكواكب والصباح المسفرا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (القرى) .

وهي طويلة . ثم استجلسه السلطان ، وسأله عن بلاده ، ومَقْصِدِهِ بالرحلة ، فأخبره أنه جمع كتابا في الحُلَى البِلادِيَّة والحُلَى العِبَادِيَّة المختصَّة بالمشرق ، وأخبره أنه سماه « المُشْرِقُ فِي حُلَى المُشْرِقِ » . وجمع مثله فسماه « المُغْرِبُ فِي حُلَى المُغْرِبِ » . فقال نُعَيْنُكَ بما عندنا من الخزائن ، ونوصلك إلى ما لا عندنا . مثل خزائن الموصل وبغداد ، وتضيف لنا المغرب . فخدم على عادتهم ، وقال أمر مولاي بذلك ، إنعام وتأنيس ، ثم قال له السلطان مُدَاعِبَا ، إن شعراءنا مُلَقَّبُونَ بِأَسْمَاءِ الطيُورِ . وقد اخترت لك لقباً يليق بحسن صوتك وإيرادك للشعر ، فإن كنت ترضى به ، وإلا لم يعلمه غيرنا ، وهو البُلبُل ، فقال قد رضى المملوك بذلك يا خوند . فتبسم السلطان ، وقال اختر واحدة من ثلاث ، أما الضيافة التي ذكرتها أول شعرك ، وأما جائزة القصيدة ، وإما حق الاسم . فقال يا خوند المملوك بمن لا يختنق بعَشْرُ لُقَمٍ ، فكيف بثلاث . فطرب السلطان ، وقال هذا مَغْرِبِي ظريف ، ثم أتبعه ^(١) من الدنانير والخلع الملوكية والتواقيع بالأرزاق ما لا يوصف . ولقى بحضرته عَوْنُ الدين العجمي ، وهو بَحْرٌ لا تنزفه الدُّلَاءُ ، والشهاب التَلَخْفَرِيُّ الشهير الذكر ، والتاج بن شُقَيْر ، وابن نجم الموصلى ، والشرف بن سليمان الإزبيلي . وطائفة من بنى الصاحب . ثم تحول إلى دمشق ، ودخل الموصل وبغداد ، ودخل مجلس السلطان المعظم ابن الملك الصالح بدمشق ، وحضر بمجلس خلوته . وكان ارتحاله إلى بغداد في عقب سنة ثمان وأربعين وستائة في رحلته الأولى إليها . ثم رحل إلى البصرة ، ودخل أَرْجَان ، وحج . ثم عاد إلى المغرب . وقد صنّف في رحلته الأولى إليها مجموعا سماه « بالنفحة

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (تبعته) . والأولى أنسب للسياق .

المسكية في الرحلة المكية». وكان نزوله بساحل مدينة إقلنية من إفريقية في إخلدى جمادين من هام اثنين وخمسين وسبائة ، واتصل بخدمة الأمير أبي عبد الله المستنصر^(١) فنال الدرجة الرفيعة من حظوته ، وقال عند اتصاله به لحين قدومه :

ومازلت أضرب في الخافقين أروم البلاد وأرعى الدول
إلى أن رجعت إلى تونس محل الإمام وأقصى الأمل
فقلت البلاد لهدى قرى وقلت الأنام لهذا خول

نكبته

وحدثني شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم ، أن المستنصر جفاه في آخر عمره ، وقد أسنَّ لجراه خلعة مالية أسندها إليه ، وقد كان بلاه منه قبل جفوة ، أعقبها انتشار وعناية . فكتب إليه :

يا غزالا في الحشا منزله وبعيني دائما منهله
لا ترعيني بالجفا ثانية ما بقى في الجسم ما يحمله
فرق له ، وعاد إلى حسن النظر فيه ، إلى أن توفى تحت برٍّ وعناية . رحمه الله
مولده : ولد بقرناطة ليلة الفطر في سنة عشر وسبائة .
وفاته : توفى بتونس حرسها الله في أحواز عام خمسة وثمانين وسبائة .

على بن عبد الرحمن بن موسى بن جودي القيسي

الأديب الكاتب يكنى أبا الحسن

(١) هو الخليفة (وليس الأمير) أبو عبد الله المستنصر بالله بن أبي ركريا بن أبي محمد عبد الواحد الحفصي ، عاهل مملكة إفريقية (تونس) ، وقد حكم من سنة ٦٤٧ هـ حتى وفاته في سنة ٦٧٥ هـ .

حاله

من أهل المعرفة بالعلوم القديمة ، وأصله من عمل سرقسطة . وكان صديقا للوزير أبي الحسن بن هاني .

شيوخه

قرأ على الحكيم أبي بكر بن الصايغ ، المعروف بابن باجة^(١) . وكان خليع الرسن فيما ذكر عنه .

شعره

من شعره :

خليلي من نعمان بالله عرجا	على الأيكة من وادي العقيق فسلمها
وقولا له ما حال لبني لعله	إذا سمع النجوى بلبني تكلمها
فعمهدى به والظل ينفض دوحه	وقد خضلت عيدانه فتنعما
تباكره لبني لإتيان موعده	عزيز عليها أن يُخان ويصرما
نبث حديثها فنبكى بعبرة	فترسلها ماءً ونرسلها دما

ومن شعره قوله :

أدر كأس المدام فقد تغنى	بفسرع الأيكة أوزقها الصلوح
وهب على الرياض نسيم صبح	يمر كما وني ساد طليح
وسال النهر يشكو من حصاه	جراحات كما أن الجريح

وقال :

سقى الله دهرنا ضم شمل مودة	وجمع إخوان الصفاء بلا وعد
بميناء تعلوها الرياح بليلة	وتنظر منها الشمس بالأعين الرمد

(١) سبق التعريف به (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ١٨٩ حاشية) .

وقاته : توفى بقرنطة في حدود الثلاثين وخمسةماية .

ومن الطاريين

عمر بن خلاف بن سليمان بن سلمة

من أهل شابس يكنى أبا علي .

حاله

كان فقيها أديبا مكثرا ، شهير المكان بجهته ، مولعا بمكاتبة الأدباء ، وتقييد ما يصدر عنهم ، مؤرخا من أهل النباهة والعناية . ألف كتابا سماه « نُخوة الأغلاق ، ونزهة الأحداق في الأدباء » ، وحلّى من ذكر فما قصر ن السداد . وله نظم ونثر وخطب ، وبيعات ومراجعات ، تضمنها الكثير من كتبه .

فمن شعره ما قاله يخاطب بعض إخوانه :

من ذاكر لك في قُرب وفي شَحَط	خجدا إيلك أبا اسحق تَذَكِرة
ولا يمازجه بالسُّهو والغلط	يَرعى ذمامك لا تنسى لوازمه
ولا يعامل في البحران بالشطط	ولا يزال بحفظ العهد مُعْتنيا
ومن صفوتي في أرفع النمط	فأنت عندي أولى من أذمة ربحي
لديك إذ فيه لي تأنيس مُغْتَبط	قد طال شوقي للإعلام منك بما
معهود ما كنت تُوليه لذي الشَّحط	وقد تيت بنكري في التغافل عن
أوليت من كثرة الإهمال والغلط	وقد عفا رسم عرفان الإخاء بما
عودت في الكُتب من مُستحسن الخطط	جُبِر أخى وهيه وارجع لصالح ما
فإن أقبح شيء قَبْضٌ منبسط	وجُدببسطا نبساطا أنت تبالسه
من ذى ولاءٍ بذاك المجد مغتبط	خذ سلاما كعُرف المسك نفحته

وفي مفاتيحة بعض الأدباء :

أبا جعفر وأفتك في صفحة الطرس لها حُلل الإخلاص زياً وحَلِيَّها
عقيلة ود لم تُشِنْها يد اللبس عطر ثنا عَرَفَ روض الربى يَنْبَس
وموجبها ما قد فشي من محامد وغرُّ علوم حزتها ومعارف غلوت بها
فإن رُزِقَتْ منك القبول تشرفنت خطابك يا قاضي العدالة بُغِيَّتِي
حباك بها الرحمن ذو العرش والكرسى فحيُّ على البدر والشمس
إقتضبتها أعلى الله قدرك ، كما أسنى في سماء المعارف والأدب التالد
والطارف بَدْرِك ، عن ود ملك زماي ، وفضل في سبيل المنافسة في خطبة
ودادك غاية اهتامي ، وقد تقرر لدى من محاسنك وإحسانك بالسماع ما
أوجب على مخاطبتك عند تعذر المشافهة باللسنة اليراع ، فانعدتُ بزمام
ذلك الواجب ، وقصدتُ أداءه على أصح المذاهب ، راجياً من تجاوزك وإغضايك
ما يليق بباهر علايك ، وفي جوابك هو الشفاء ، ولدى خطابك يُلقى الاعتناء
والاحتفاء ، والله يطلع منك السار ، ويصل لك المبار . وقال يخاطب السلطان :
إلى الحضرة العليا يستبق العبد وفي القرب سنها والذنو هو القصد
إلى حضرة الولي الإيمارية التي تبلِّح فيها العدل وابتسم السعد
وفيها وجود للدين والدُّنَا وقد خصَّها بالرحمة الصمد الفرد

وفاته : كان حياً في سنة خمس وستماية

علي بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمر النساني^(١)

(١) ورد في هامش المخطوط (لوحة ٣٢٧) تعليقاً على هذه الترجمة ما يأتي : « قلت وستاني قريباً بعد سبعة تراجم ، ترجمة علي بن أحمد النساني شارح مسلم ، واسمه كاسم هذا المترجم به هنا وكذا اسم أبيه وجده وأبي جد جده . ويوافقه أيضاً في النسب والبلد والكنية والشيوخ والتواليف . ولا أظنهما إلا شخصاً واحداً ، بل ربما يكاد أن يقطع بذلك . فتأمل ذلك واللم عند الله . وقد ذكرهما ابن فرحون في « الديباج » شخصين ، وعرفهما كما فعل ابن الخطيب فتأمل ذلك واللم عند الله . وكتب أحمد ابن أحمد بن حمد بن عمر المسنوي الأنصاري . وختم الله تعالى له ولوالده بالخير والحسن »

من أهل قرية أرينتيرة من قرى سند مدينة وادى آش ، يكنى أبا الحسن

حاله

كان من جلة الطلبة ونيهائهم وأذكيائهم وصلحائهم . عنده معرفة بالفقة ، ومشاركة في الحديث ، ومعرفة بالنحو والأدب . وحسن نظم ونثر ، من أحسن الناس نظما للوثائق ، وأتقنهم لها . وأعرفهم بنقلها ، وأقصدهم لمعانيها يستعين على ذلك بأدب وكتابة ، فيأتى بأشياء عجيبة .

مشيخته

روى عن الراوية أبي العباس الخروبي . والمقرى أبي الحسن طاهر بن يوسف بن فتح الأنصارى . والقاضى أبي محمد بن عبد الرحيم الخزرجى

توالياه

ألف كتاباً فى شرح المُسند الصحيح لمُسلم بن الحجاج فى أسفار كثيرة ، أجاد فيها كل الإجابة . وله كتاب سماه بالوسيلة فى الأسماء الحسنى . ونظم فى شمائل النبى عليه أفضل الصلاة والسلام .

شعره

له شعر فى الزهد وغيره فممنه قوله :

أيا كريما لم يُضَع	لديك عبد أملك
بالباب من أنت له	وود أن لو كان لك
عبدٌ له أسولة	وليستحى أن يسلك
أفواههم تسله	ولم تحسن عملك
فإن أنت خنته	أمانة قد حملك
ولم تكن تشكرما	من فضله قد خولك

وكلما أهملته من حقّه ما أهملك
 إنّما كما قالوا سوى أنك أعلى من ملك
 تلك التي تؤنسى وترتجى بفضلك
 بشرى إن نال الرضا بها تؤسلك

علي بن محمد علي بن هيضم الرعيني

من أهل إشبيلية ، يكنى أبا الحسن .

حاله

الكاتب البليغ المحدث الراوية . قال الأستاذ ، كان من أهل العلم والمشاركة ، وغلبت عليه الكتابة السلطانية . واعتمدها ضناعة . وكتب لجلّة من ملوك الأندلس والعُدوة . وكان انفصاله من الأندلس قبل سنة أربعين وستاية .

قلت ، وكتب للسلطان المتوكل على الله أبي عبد الله بن هود ، ثم للسلطان المتوكل الغالب بالله أبي عبد الله بن نصر . وسكن بغرناطة مدة ^(١) مديدة . ثم رحل إلى مراكش . فكتب عن أمير سبتة ، وعن ملوك الموحدين بمراكش . ونمت حاله ونبّهت رتبته ، واستقل بالإنشاء ، بعد شيخة أبي زيد الفازازي ، وكان محدثا عارفا بالراوية ، متعدد المشيخة . فاضلا ، دينيا . مشاركا في كثير من المعارف . حسن الخط . جيد الكتابة . متوسط الشعر . قلت هذا الرجل له مشيخة في أصل ابن الخطيب طويلة اختصرتها ^(٢) .

(١) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٢) هذا مثل من إشارات المختصر إلى طريقة اختصاراته ، فهو في معظم الأحيان يختصر المشيخة ، أو يقلها بتاتا .

شعره ونثره

من ذلك ما جمع فيه بين النظم والنثر :

وإني الكتاب وقد تقلد جيده ما أنت تحسن نظمه وتجيده ،
 من كل معنى ضمن لفظه في حلي خطٌ يزيل طلي الطروس فريده أ
 أبا المطرف دعوة من خالص لعلك غابت وده وشهيد
 أنت الوحيد بلاغة وبراعة ولك البيان طريفه وتليده
 فانثر أنت بسديعه وعماده وانظم أنت حبيبه ووليد
 إليه أيها السيد الذي جلّت سيادته ، وحلّت صميم الفؤاد سعادته ،
 ودامت بها ينفع الناس عادته . ألقى إلى كتاب كريم ، خطته تلك اليمنى
 التي اليمن فيها تخطه . ونسقت جواهر بيانه ، التي راق بها سمطه ، فلا تسلوا
 عن ابتهاجي بأعاجيبه ، وانتهاجي لأساليبه ، وشدة كلني بالتماح وسيمه ،
 وجدّة شغفي باسترواح نسيمه . فإنه قدم ، وأنس النفس راحل ، واستعاده
 وروض الفكر ماحل ، فجاده ، لاجرم أنه بما حوى من حدق النوى ، وروى
 من طرق الهوى ، وبكى الربيع المحيل ، وشكى من صابح الرحيل ،
 هيج لواعج الأشواق وأثارها ، وحرك للنفس حوارها ، فحنّت ، واستوهبت
 العين مدارها فما ضنت . فجاشت لوعة أسكنت ، وتلاشت سلوة عنّت ،
 وكفّ دمع كف ، وثقل عدلّ خفّ ، واشتدّ الحنين ، وامتدّ الأنين ،
 وعلا النحيب ، وعرا الوجيب ، والتقى الصبّ والحين ، وهدى المحب
 قدر ما جناه البين ، وطالما أعمل في احتمال المشاق عزيزه ، وشدّ لاجتباب
 الآفاق حيازيمه .

وادع مثوى المقام معتزما لا يرى الغرام ملتزم

وأزعم البايين عن أحبته والبين عن داره التي ربما
وما درى أنه بعزمته أشعل البين في الحثي ضرما
وهل جرى ذلك في تصوره فربما أحدث الهوى لهما
إلهي ألا نوى مشيئته شملا من العيش كان منتظما
وعاذلُ قال لي يعنتني لا تبد فيما فعلته ندما
ما حيلة في يدي فأعملها عدلُ من الله كلُّ ما حكما

أما أن القلب لو فهم حقيقة البين قبل وقوعه وعلم قدر ما يشب
من الروح في روعه ، لبالغ في اجتنابه ، واعتقد المعنى عنه من قبيل
المعنى به . ولحا الله الأطماع ، فإنها تستدرج المرء وتغرّه ، وتغريه بما
يسره . ما زالت تقتل في الغارب والذروة ، وتخيل بالترغيب والثروة ،
حتى أنات عن الأحباب والحبايب ، ورمت بالغريب أقصى المغارب .
فيالوْحشة أوت بايناسة ، وبالغربة أحلت في غير وطنه وناسه ، ويا عجبا
للأيام وإساعتها ، وقرب مسرتها من مساتها ، كأنها لم تُتخف بوصول ،
ولم تُسعف باتصال ، ولم تمتع بشباب ، ولم تفتح لقضاء أوطار النفس
كل باب .

عجبا للزمان عق وعاقا وعدمنا مسرة ووفاقا
أين أيامه وأين ليلال كلال تلالؤأ واتساقا
كم نعمنا بظلمها فكأننا مرقها للصبأ علينا رماقا
كم بغرناطة وحمص وصلنا باصطبأح من السرور اغتياقا
وفي ربي نجد تلك أو نهر هدى والأمان تجرى إلينا استياقا
في رياض راقت وراق ولكن حين نذ الحيا لها فأراقا
رق فيها النسيم فهو نسيب قد سبأ رقة نفوسا رفاقا

وثنا للغصون منها قدودا تتلاقى تصافحاً واعتناقا
كلما هبَّ من صباه عليل وتداوى بها العليل أفاقا
حكم السُّعد للأحبة فيه بكووس الوصال أن تنساقا
ثم كرت للدمر عادة سوء شق فيها خُطبُ النوى حين شاقا
شئت الشمل بعد طول اجتماع وسقى الفراق كأساً دهاقا
وأعاد الأوطان قفراً ولكن قد أعاد القطن فيها الرفاقا
ليت شعري والعيش تطوى بالفيافي أشاماً تبوؤا أم عراقا
ياخذاة القلوب رفقا بصب بلغت نفسه السياق اشتياقا
فآه من شجوة وآه لبين ألزم النفس لوعة واحتراقا

هذه يا سيدى استراحة من فؤاد ، وقَدته الفرقة والقطيعة ، واستباحته
لُجَمى الوقار بما لم تحظره الشريعة ، فقدما تُشوكيت الأحزان ، وتُبوَكيت
الأوطان ، وحنّ المشتاق ، وكنّ له من الوجد ما لا يطاق ، فاستوقف الركب
يشكو البلايل ، واستوكف السحب لسقيا المنازل ، وفدى الربيع وإن زاده
كربا ، ومن له إن يلمّ لائماً له تُربياً . حسبه دموع تفيض مجاريها ، ونجوم
يسامرها ويسايرها .

ألف السهاد فشأنه إدمانه واستغرقت أحيانه أشجانه
وشكا جفا الطيف إذ لم يآته هل ممكن من لم ينم إتيانه
واستعبدته صباية وكذا الهوى فى حكم أحراره عيّدانه
كم رام كتمان المحبة جهده ودموعه يبلو بها كتمانه
وإذا المحب طوى حديث غرامه كبى الضلوع وشّت به أجفانه
وهى طويلة .

وفاته : بمراكش سحر ليلة الأربعاء الرابعة والعشرين من رمضان

سنة ستة وستين وستاية . ودفن عقب ظهره ، بجبانة الشيوخ مقاربا باب
السادة أحد أبواب قصر-مراكش . وكان الحفل في جنازته عظيما .
لم يتخلف كبير أحد .

على بن محمد بن علي بن البنا

من أهل وادي آش يكنى أبا الحسن .

حاله

من « الإكليل الزاهر » ، قال فيه ، فاضل يروك وقاره ، وصقراً بعد
مطاره . قدم من بلده وادي آش يروم اللحاق بكتاب الإنشاء ، وتوسل
بنظم أنيق ، وأدب في نسب الإجابة عريق ، تُعرب براعته عن لسان
ذليق ، وطبع طليق ، وذكاء بالأثرة خليق ، وبيننا هو يلحم في ذلك
الغرض ويُسدى ، ويعيد ويبدي ، وقد كادت وسايله أن تنجح ، وليلة
رجايه أن تصبح ، اغتاله الجِمام ، وخانته الأيام ، والبقاء لله واللّوام .

شعره

من شعره يخاطبني لما تقلدت الكتابة العليا :

هو العُلا جرى باليُمن طائرُه	فكان منك على الآمال ناصره
ولو جرى بك ممتدا إلى أمل	لأعجز الشمس ما أمت عساكره
لقد حباه منيع العزِّ خالقه	بفاضل منك لا تُحصي مآثره
فليزه فخرا فما خلقت يُعارضه	ولا علأ مدى الدنيا يُفآخره
لله أوصافك الحُسنى لقد عجزت	من كل ذى لسين عنها خواطره
هيهات ليس عجيبا عجز ذى لسين	عن وصف بحررى بالذر زاخره

هل أنت إلا الخطيب ابن الخطيب
 فلإن يقصُر عن الأوصاف ذو أدب
 يا بن الكرام الألى ما شبُّ طفلهم
 مهلا عليك فما العلياء قافية
 ولا المكارم طِرْساً أنت راقمه
 ماذا على سابق يُسرى على سنن
 سيرٍ حيث شيتَ من العليا سيِّدا
 أنت الإمام لأهل الفخر إن فخرُوا
 ما بعد ما خُزته من عزةٍ وعُلا
 ثادت بك الدولة الشعريُّ محتدها
 حلية لما برد البر مرتديا
 فالملك يرُقُل في أبراده مرحا
 فأضاء بها نعمة ما أن يقوم فيها
 وليهنِّنا أنه ألفت مقالدها
 فيانه بدر تيم في مطالعهها

ومن زانت حُلَى الدين والدينامفاخره
 فما بدا منك في التقصير عاذره
 إلا وللمجد قد شدت مآزره
 ولا العلا بسجعٍ أنت نائره
 ولا المناقب طبياً أنت ماهره
 إن كان من نفعه خلُّ يسايره
 فما أمامك سابقٌ تحاذره
 أنت الجواد الذي عزت مفاخره
 شاو يطارد فيه المجد كابره
 نداء مُستجد أذرا يـوازره
 وصبحٌ يملك فجر السعد ساجره
 قد عمّت الأرض إشراقا بشايره
 من اللسان ببعض الحق شاكره
 إلى سرى زكت منه عناصره
 قد طبقت الأرض بالأنوار نايره

ومن أطبع ما هز به إلى إقامة سوقه ، ورعى حقوقه ، قوله :

يا معدن الفضل موروثا ومكتسبا
 بيباب مجدكم الأسمى أخو أدب
 ذلَّ الزمان له طورا فبلَّغه
 ولآن أركبه من كل نايبة
 فحملته دواعي حبكم وكفى
 فهل سرى نسمة من جسامكم
 فكل مجد إلى علياتها انتسبا
 مستصرخ بكم يستنجد الأدبا
 من بعض آماله بعض الذي طلبا
 صعب الأعنة لا يألو به نصبا
 بذاك شافع صدقٍ يُبلِّغ الأربا
 فيها خليفة الله فينا يطر الذهبا

وأهدى إلى قباقب خشب برسمى ومعها من جنسها صغار للأولاد من

مدينة وادي آش من خشب الجوز وكتب لي معها :

هاكها ضمراً مطايا حسانا	نشأت في الرياض قُضبا لُدانا
وثوت بين روضة وغدير	مُرُضعات من النَّمير لُبانا
ثم لما أراد إكرامها الله	وسنى لها المنى والأمانا
قصدت بابك العلي ابتدارا	ورجت في قبولك الإحسانا
قد قبلنا جياذك الدُّهم لما	لما أن بلونا منها العناقِ الحسانا
أقبلت خلف كل حجر ببيع	خلعت وصفها عليه عيانا
فقبلنا برعيها وفسحنا في	ديار العلي لها ميدانا
وأردنا امتطياها فأفخذنا	من شرك الأديم فيها عنانا
قدمت قبلها كتيبة سحر	من كتاب سبت به الأذهانا
مثلما تجنب الجيوش المذاكي	عُدَّة للقاء مهما كانا
لم ترق مُقلتي ولا رق قلبي	كحلاها براعة وبياننا
من يكن مُهديا فمثلك يُهدى	لم أجد للثنا عليك لسانا

وفاته : توفي في الرابع لشعبان من عام خمسين وسبعماية مُعتبطاً في الطاعون
لم يبلغ الثلاثين .

على بن محمد بن علي العبدري

سكن غرناطة ، يكنى أبا الحسن ويعرف بالوراد ، ويشهر أبوه

باليربوني .

حاله

بقية مُسنِّي أدباء الأندلس في فن الهزل والمُعرب ، والهزل متولى

شهرته ، وله القيدُ المعلى فيه ، والطريقة المثلى ، ظريف المأخذ ، نبيل الأغراض ، حافظ للعيون ، مال بآخرة إلى النسك ، وصحبة الصالحين . ولم يزل بحاله الموصوفة إلى أن استولت عليه الكبرة ، وظرفه يتألق خلال النسك . وجرى ذكره في « الإكليل الزاهر » بما نصه : أديب نار ذكايه كأنه يتوقد ، وأريبٌ لا يُعرض كلامه ولا يُنقد . أما الهزل فطريقته المثلى ، التي ركض في ميدانها وجلى ، وطلع في أفاقها وتجلّى ، فأصبح هلمُ أعلامها ، وعابر أعلامها . إن أخذ بها في وصف الكاس ، وذكر الورد والآس ، وألم بالربيع وفصله ، والحبيب ووصله ، والروض وطيبه ، والغمام وتقطيبه . شق الجيوب طربا ، وعلّ النفوس إربا وضربا . وأن اشفق لاهتلال العشية ، في فرش الربيع الموشية ، ثم تعداها إلى وصف الصبوح ، وأجهز على الرق المجروح ، وأشار إلى نغمات البورق يرفلن في الحلل الزرق ، وقد اشتعلت الليل نار البرق ، وطلعت بتور الصباح في شرفات الشرق ، سلب الحليم وقاره ، وذكر الخليع كأسه وعقاره ، بلسان يتزاحم على مورده الخيال ، ويتدفق من حافاته الأدب السيال ، وبيان يقيم أود المعاني ، ويشيده صانع اللفظ محكمة المباني ، ويكسو حُلل الإحسان جسوم المثالث والمثاني ، إلى نادرة لمثلها يشار ، ومحاضرة يجنى بها الشهد ويسار .

وقد أثبت من شعره المعرب . وإن كان لا يتعاطاه الإقليلا ، ولا يجاوره إلا تعليلا ، أبياتا لاتخلومن مسحة جمال على صفحاتها ، وهبة طيب ينم في نفحاتها .
فمن ذلك قوله :

يذكرني حُسن الكواعب روضة لها خطر قيد النواظر مُونق

خلود من الورد النضير وأعين
وخامات زرع يانع كذؤاب
ومن شعره قوله :

أسافرة النقب سحرتُ لما
وتيمت الفؤاد بغنج طرف
لعمر أبيك ما بالنوم بعدُ
ومن معانيه المخترعة وأغراضه المبتدعة . وكلها كذلك :

مالي إذا غبتم تهى لفرقتكم
عيني بمُنهمر كالغيث هتان
أشبهتُ نيلوفرًا والشمس بهجتكم
إن غبتم غبت في أمواه أجفان
السقم يشهد لي والدمع برح بي
متى استوى عندكم سرُّ وعلان
وقال من المستحسن الذي رمى فأصاب ، واستمطر طبعه فصاب :

بقولون لاح الشيب فالآه عن الصبا
وعن قهوة تصبو لها وتنيب
فقلت دعوني نصطحبها سلافة
على صبح شيبى فالصبح عجيب
وقال كذلك :

لا تعجبين من اليكيد مخلولا
الماء أصل الخصب غير مدافع
والنار مؤثرة الجدوب وإنها
ومن قصائده الغربية :

ومُعترِّ لحظ المشيب بعارضى
هلاً ثنته نسبة لمجبه
فتصرمت دوني حبالُ وصاله
إن العذار لشيبة لجماله
وقال أيضا :

تحرُّ الصدق إن حدثت يوماً
وإن حدثت لا تنقل حديثاً

وكن للسرِّ صرَّافاً كتوما
وقال مما يكتب في غمِّ سيف :

لئن راق مني منظر بان حسنه
كان أدبى رُقعة من حديقة
وقال مما يكتب على قوس :

إن كان من وتر الألحان مُنبعثاً
فإنَّ حُزن العدا ما نال منبعثاً
وقال في غير هذا الغرض :

الخير كل الخير في سِتَّة لم
الحزم والحلم وحمل الأذى
ومما نختم به محاسنه قوله :

ألا إنَّ باب الله ليس بمُغلق
ولكن بُلينا في سلوك طريقه
فمن يرمُّ بالدنيا إليه كلُّقمة
فخلَّ عن الدنيا ودَّع عنك حبيها
وقوله :

أيقنت أن جميع الخلق ليس له
فلا أخاف ولا أرجو مدى عمري
شئىء من الأمر في شئىء فيصنعه
الأذى في يديه الخلق أجمعه

مولده : بمدينة مالقة في اليوم الثالث والعشرين لذي حجة من عام أحد
وثمانين وستماية

وفاته : في أحواز أحد وستين وسبعماية

على بن عبد العزيز بن الإمام الأنصاري

يكنى أبا الحسن ، سرقسطى الأصل ، غرناطى الاستيطان والاستعمال .

حاله

كان وزيراً جليلاً ، معظماً القدر . مبعجلاً أثيراً ، ذا معارف جمّة ،
أحد كتاب الزمن ، وأهل البلاغة والفصاحة والكرم . وزر للأمير أنى
الظاهر تميم بن يوسف بن تاشفين ، صاحب غرناطة فحمدت وزارته ،
وكتب للأمير على بن يوسف . وروى عن شيوخ غرناطة .

أخباره فى الجود والجلالة

قال أبو القاسم ، شكى إليه بعض إخوانه من حادث طرّقه ، وأن
النفاق أخرجه من بلده ، وحال بينه وبين بلده ، فأنزله أكرم منزل
وخرج إلى المسجد الجامع ، وأشهد على نفسه أنه وهبه الربع من
أملاكه ، وكتب بذلك عقداً ودفعه إليه ، وقال يا أخى إن ذلك سيصلح
من حالك ، وحالى لا يتسع لأكثر من هذا ، فاعذر أخاك . وكان الذى
وهبه يساوى فوق الألف دينار مرابطية ، فرحم الله الوزير أبا الحسن :
فلقد كان نادرة الزمن .

شعره

من ذلك قوله :

بالبيت شعرى والأمانى كلها رور يغرك أو سراب يلمع
فى كل يوم منزل لأحبة كالظل يلبس للقليل ويخلع

ومن ذلك قوله

تسموا بالمعارف والمعالي فليس المجد بالرحم البوال

وإن فانا فبالبيض المواضى وبالسمر المثقفة العوال
 وإذا المرء تنهضه هذى فليس بنا هضس أخرى الليال
 ومن أسمته أسباب سواها فرفعتها تؤل إلى سفال

ومن المحدثين والفقهاء والطلبة النجباء

على بن ابراهيم بن على بن ابراهيم الجذامى

القاضى المتفنن الحافظ ، من أهل غرناطة يكنى أبا الحسن .

حاله

من الصلّة ، كان عدّلا فاضلا جليلا ، ضابطا لما رواة ، فقيها حافظا ،
 حسن التقييد .

توالياه : قال اختصر كتاب « الاستذكار » لأبى عمر بن عبد البر .
 وغير ذلك .

مشيخته

روى عن أبى محمد عبد الحق بن بونه ، والقاضى أبى عبد الله بن زرقون ،
 وأبى القاسم بن حُبَيْش ، وأبى خالد بن رفاعة ، وأبى محمد بن عبيد الله ،
 وأبى زيد السُهَيْلى ، وأبى عبد الله بن الفخار ، وأبى الوليد بن رشد .
 مولده : ضحوة يوم الأضحى من عام خمسة وخمسين وخمسمائة .
 وتوفى قريب الظهر من يوم الأربعاء التاسع عشر لذى حجة من عام اثنين
 وثلاثين وستماية .

من روى عنه . روى عنه القاضى أبو على بن أبى الأحوص .

علي^(١) بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك الفزاري
من أهل غرناطة ، يكنى أبا الحسن ، ويعرف بابن النفزي .

حاله

قال أبو القاسم الغافقي ، فقيه مُشاور بغرناطة ، محدث متكلم .

مشيخته

أخذ عن أبي الحسن شريح ، وعن الإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن
البادش ، وعن أبي القاسم بن ورد ، وعن القاضي أبي الفضل عياض بن
موسى ، وعن الإمام أبي عبد الله المازري ، وعن أبي الطاهر السُّنِّي ، وعن أبي
مروان بن مَسْرَّة ، وأبي محمد بن سِمَاك القاضي ، وعلى بن عبد الرحمن
ابن سمحون القاضي ، والقاضي أبي محمد بن عطية ، والمشاور أبي القاسم
عبد الرحيم بن محمد ، والقاضي أبي القاسم بن أبي جمرة ، وجماعة يطول
ذكرهم .

توآلفه

وله توآليف في أنواع من العلم ، منها كتاب «نزهة الأصفياء وسلوة
الأولياء في فضل الصلاة على خاتم الرسل وصفوة الأنبياء» إثنا عشر
جزءاً ، وكتاب «زواهر الأنوار وبواهر نوى البصائر والاستبصار في
شمايل النبي المختار» ، سفران كبيران ، وكتاب «منهج السداد في شرح
الإرشاد» ثلاثون جزءاً ، وكتاب «مدارك الحقائق في أصول الفقه»
خمسة عشر جزءاً ، وكتاب «تحقيق القصد السنِّي في معرفة الصمد العلي»
سفر ، وكتاب «نتائج الأفكار في إيضاح ما يتعلق بمسئلة الأقوال من

(١) وردت في الإسكوريال (محمد) ، وهو فيما يبدو تحريف من الناسخ لأن القايمة سائرة
باسم (علي) من قبل ، ومن بعد ، ويقوئذ ذلك كنيته وهي (أبو الحسن) .

الغوامض والأسرار» سفر ، و كتاب «تنبيه المتعلمين على المقدمات والفصول وشرح المهمات منها والأصول» سفر ، و كتاب السباعيات ، و كتاب «تبيين مسالك العلماء في مدارك الأسماء» ، و كتاب «رسائل الأبرار . وذخائر أهل الحضرة والإيثار في انتخاب الأدعية المستخرجة من الأخبار والآثار» سفران اثنان ، و كتاب «الإعلام في استيعاب الرواية عن الأئمة الأعلام» سفران .

وفاته

توفي في الكاينة بقرنطة سنة سبع وخمسين وخمسمائة . خرج منها يريد وادي آش ، فلم يصل إليها ، وفقد فلم يوقع له على خبر .

علي بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري

يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن زكريا .

أوليته : قدم في ذكر أبيه وعمه .

جـاله

هذا الرجل فاضل ، سحون ، من أهل السذاجة والسلامة ، والعفاف والصيانة ، مُعمٌ مُخوَّلٌ في الخير . طاهر النشأة . جانح للعدالة . قعد للعلاج ، وبرز في صناعة الطب ، على فتاً من سنه ، واستيم إليه بهم من نبيه العمل وخطته ، متصف بالإجادة والبيان .

مشيخته

قرأ العربية والفقه وغيرهما من المبادئ على مشيخة وقته ، والطب على الوزير أبي يزيد خالد بن خالد من أهل قرنطة . وقعد معه .

شعره

ينتحل من الشعر ما عينه في الشُّرود أو غير ذلك فراره كقوله :
صعدت نار فؤادي أدمعي فلذا ما جفَّ قلبي فأنفطر
لو أباح الله لي وصلك الأنبل صدع القلب مني وانخبر
أصل داني منك لحظُّ فاتر وأشدَّ اللَّحظ ما ماقتسر
كيف أرجو منه برأ وغدت قهوة الحُسن نسقيه دُرر
فانظر قوله ، الأنبل من شعره :

ولي همة من دونها كل همة أموت بها عطشان أو يخلص الشُّرب
يعز على الكريم ورود ماء يُكدره شوب ويطرقه نهب
وإني وأن أضحي لو ذلك موضع من القلب أضحي دون موضعه الخُب
فتمنعني نفسي لايمان أرواحهم على شرب يونقه قشِبُ
غفر الله له على قشِب ، وتجاوز عنه ، فلقد دفع منه فضحها .
وهو بحاله الموصوفة

ومن الطارئين والغرباء

علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد الخشني

من أهل مالقة ، من قرية يعشيش من عمل مُلتماس ، من شرقها
يكنى أبا الحسن . ودخل غرناطة ومدح أمراءها وتردد إليها .

حاله

من « عايد الصلة » : من صدور أهل الدين والفضل ، والخير والصلاح
والنزاهة ، والاقتصاد والانقباض ، تحرف بصناعة التوثيق بمالقة ،
جاريا على شاكلة مثله من الاقتصاد ، والتبليغ باليسيز ، ومصابرة الحاجة ،
مكبياً على المطالعة والنظر ، مجانبا للناس ، بعينا عن الريب ، مؤثرا

للزهد في الدنيا . وُلِّيَ الخطابة بالمسجد الأعظم من قسبة مالقة في عام وفاته .

مشيخته

قرأ على الأستاذ الصالح الخطيب أبي جعفر بن الزيات ، والأستاذ المقرئ رحلة الوقت أبي عبد الله بن الكماد .

شعره

وشعره أخذ بطرف من الإجابة في بعض المقاصد ، فمن ذلك قوله :

أرى لك في الهوى نظراً مريباً كأن عليك عاذلاً أو رقيباً
ولست بخائف في الحب شيئاً على نفسي مخافتى المشيبا
يرينى كل ما تهواه نفسي قبيحاً مالياً عيني غيبا
أنا منه ابن قيس لا يراح فذق مرَّ التأسف مستطيبا
إذا ما كنت تبكى فقد حبب فما مثل الشباب به حيبا

وقال في مذهب المدح من المطولات :

الآن تطلب ودها ووصالها من بعد ما شغلت بهجرك بالها
وقد استحالت فيك سببا الصبا حالا يروع مثلها أمثالها
وأنتها متلبسا بروابع نكر بفؤدك أصبحت عذالها
بيض تخيل للنفوس نصولها سمرًا تخول للنحور نصالها
مثل الأفاعي الرقط تنفث في الحشا وأرى بفؤدك جنأ أطالها
نار تضرم في الفؤاد حريقها لكن تُنير بمفرقك دبالها
جزعت لهذا الشيب نفسي وهي مازالت تهون كل صعب نالها
ولكم صدعتُ بنافذ من عزمي هما لا يهدي العليم ضلالها
صادمت من كرب الدنيا أشناتها ما خفت غربتها ولا إقلالها

ولئن تقلَّص عسرتي فيء الغنا
 ما مزقت ديباجتي غير امرئ
 ألقى الليالي غير هبَّ صرْفها
 أمشي الهويينا والعداة تمر بي
 علّمت لي الخلقَ الجميلَ محققًا
 تبغى انثناءً وهل سمعت بنسمة
 ولربما عرضت لعيني نظرة
 من غادة سرق الصباح بهاءها
 تهوى المجرّة أن تكون نجومها
 عرضت كما مرّت بعينك مُظفل
 ما نهنت نفسي وإن ضمنت لها
 من كان يأمل أن يقوم بجلوس
 محا أحاديث السّراة أولى النّها
 ألقى هواه جانبًا وسرّى به

ومنها في المدح :

ألْبَسْتُ دِينَ اللَّهِ حِلَّةً أَمِنَ
 أَنْتُمْ بَنِي نَصْرٍ نَصْرْتُمْ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ
 كُنْتُمْ لَهَا أَهْلًا وَرَحِبْتُمْ بِهَا
 نَزَلَتْ عَلَى سَعْدٍ لِيَسْعِدَ جَدُّهَا
 أَحْرَزْتُمْ يَوْمَ السَّقِيفَةِ عُدَّهَا
 لَكِنْ حَبَوْتُمْ مِنْ أَجْرْتُمْ مِثَّةً
 إِذْ تَوَثَّرُونَ سِوَاكُمْ قَالَتْ بَذَا
 أَضْفَتِ عَلَى أَسْرَايِهِ ذَلْدَالَهَا
 فِي الْغُرَبَتَيْنِ وَمَنْتُمْ إِنْزَالَهَا
 وَأَوْتِ إِلَى نَصْرِ لِيَنْصُرَ أَلِيهَا
 دُونَ الْأَنَامِ وَقُودَهَا وَسْكَالَهَا
 بِخِلَافَةِ اللَّهِ أَنْتِي يُعْنَى لَهَا
 آيُ الْكِتَابِ فَمَنْ يَرُدُّ مَقَالَهَا

حتى إذا عثرت ولم ينهض بها
 أَوْيْتُمْ خَيْرَ الْبِئْرِيَّةِ كُلِّهَا
 من ألبس الشرف الرفيع وضيعها
 من أم في السبع العلى أملاكها
 من أنقلد الفرقى وقد شمل الردى
 من فاضت الخيرات من تلقايه
 من فجر العين الفرات بكفه
 من لا يقاس بالرياح إذا سرت
 معنى وجود الكون علة كونه
 دامت صلاة الله ديمة عارض
 لما تحققت النبوة أنها قد
 وتقاست عن منعها أعمامها
 فوثبتم مثل الليوث لنصرها
 وأدرتم منها زبونا أصبحت
 بدر وما بدر وردم قلبها
 ولكم بأوطاس وقد حمى الوطيس
 فنزعت أزواجها وسببت أولادها
 وذهبت بالمصطفى لدياركم
 فزتم به فوز المعلى منحة
 يا أيها الملك الذى من ملكه
 ما زال جزبك منهم يعلو على
 حتى حلت من المجادة ذروة
 إلاكم بادرتم إنشالها
 ومغيثها ونجاتها وثمانها
 وكسا معصفرة الحيجا جبالها
 جبريلها فى الغرب أو ميكالها
 هذا الأنام خيارها وحشالها
 كالصبح فاض على الدجى فأزالها
 يرو الورى ورد القطا سلسالها
 نشرا تقل من السحاب ثقالها
 نفس الحياة منفسا أهوالها
 يهمل عليه ندى الدنيا هطالها
 زلزلت منها الورى زلزالها
 أمت أئمة نصرها أحوالها
 والحرب تجنب خلفها أشبالها
 ترى رؤوس الملحدين ثقالها
 بجنادل الطاغوت تملأ جالها
 على العدا يوم أطاح بحالها
 وحيًا سواكم ساقها وجمالها
 أحرزتم دون الأنام منالها
 جنت الملوك جمالها وجلالها
 مر الدهور ويعتلى أجبالها
 ما حل غيرك فى المجادة حالها

تحمى الهدى تهمة الندى تولى
 قعدت شريعته بيمنك ليس من
 ياسيد السادات ياملك الملوك
 يابدرها يابحرها أو غيها أو
 خذها كما دارت بكأس سلافها
 تثنى على السحر المبين وشاحها
 لعمياء تبرز للعيون كشاطر
 وقفت وذو إحسانها من هاشم
 يرجو رضاك وطالما أرضيتم
 كم من يد بيضا لدينا منكم
 آويتم واسيتم واليتم
 وهجرتم لوصلنا أعدائنا
 فصلوا أحيانا ما استطعتم وصله
 الجدا وتقى الردى وترى العدا أوجالها
 كدر يُشين على العباد زلالها
 وشمسها وصباحها وهلالها
 ليثها أو حُسنها وجمالها
 حوراء تمزج باللما جربالها
 وتدير من خمر الفتور جلالها
 والعقل يوجب حُكمه لإجلالها
 من سبط خير العالمين حبالها
 آل النبي وكنتم أرسلالها
 شكرنا له وأولياها فعالها
 اخللتمونا داركم وجلالها
 ووصلتم لصلاتنا أوصالها
 تعطوا من أجزاء الجزاء جزالها

وله تأليف غريب عكف عليه عمره في فضل مكة ، وكأنه يروم
 برهاناً على وجوب كونها بالموضع الذي هي به ، وفضله على سواه ، وتكلم
 على حروف اسمها ، من جهة تناسب أعداد الحروف ، مما الناظر فيه مخير
 في نسبه إلى العرفان أو الهديان .

توفى بمالقة في أخريات صفر من عام خمسين وسبعماية .

على بن أحمد بن محمد بن يوسف بن مروان بن عمر النسائي
 من أهل وادي آش ، وروى وتردد إلى غرناطة ، يكنى أبا الحسن .

حاله

كان فقيها حافظا ، يقظا ، حسن النظر ، أدبيا ، شاعرا مجيدا ،
كاتبيا بليغا ، فاضلا .

مشيخته

روى عن أبي اسحق بن عبد الرحيم القيسي ، وأبي الحسن طاهر
ابن يوسف ، وأبي العباس الخروبي . وأبي القاسم بن حَبِيش ، وأبي محمد
عبد المنعم بن الفرَس الغرناطي ، ومحمد بن علي بن مَسْرَةَ .
وروى عنه ، أبو بكر بن عبد النور ، وأبو جعفر بن الدلال ،
وأبو عبد الله بن أحمد المدحجي ، وأبو سعيد الطراز ، وابن يوسف
وابن طارق ، وأبو علي الحسن بن سمعان ، وأبو القاسم بن الطُّيْلَسَان .

توابعه

صنّف في شرح « الموطأ » مُصَنِّفا سماه « نهج المسالك للتفقه في مذهب
مالك » في عشرة مجلدات . وشرح صحيح مُسَلِّم وسماه « اقتباس السراج
في شرح مسلم بن الحجاج » . وشرح تفرّيع ابن الجلاب ، وسماه
« الترصيع في شرح مسائل التفرّيع » . وصنّف في الآداب ، منظوماته
ورسائله ، وهي شهيرة ، شاهدة بتبّريزه وتقدمه . وله نظم شمائل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، رسالة بديعة ، تشتمل على نظم ونثر ، بعث بها
إلى القبر الشريف . وله كتاب « الوسيلة إلى إصابة المعنى في أسماء
الله الحسنی » .

شعره

من شعره في « الوسيلة » ، وقد ضمّن كل قطعة أو قصيدة إسماء من
أسماء الله تعالى ، فمنها قوله في اسم الله سبحانه :

قُلْ اللهُ نَسْتَفْتِحُ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحَسَنِي
 هُوَ اللهُ فَادْعُ اللهُ بِاللَّهِ تَقْتَرِبُ
 وَأَمَلُهُ مَضْطَرًا وَقِفْ عِنْدَ بَابِهِ
 بِيَابِ إِلَهِهِ أَوْسَعِ الْخَلْقِ رَحْمَةً
 وَقَدِّمُ مِنَ الْإِخْلَاصِ ثُمَّ وَسِيلَةً
 أَمْوَالِي هَلْ لِلْخَلْقِ غَيْرَكَ مَفْضِلُ
 بِيَابِكَ مَضْطَرًا شَكََا مِنْكَ فَقَرَّهُ
 وَلِلْفَضْلِ وَالْمَعْرُوفِ مِنْكَ عَوَايِدُ
 فَمِنْهَا لَكَ الْإِنْعَامُ دُأْبَا خَوَالِدَا
 بِأَعْظَمِهَا لَفْظًا وَأَعْظَمِهَا مَعْنَى
 لِأَقْرَبِ قُرْبِي مِنْ وَرِيدِكَ أَوْ أَدْنَى
 وَقُوفٍ عَزِيزٍ لَا يُصَدُّ وَلَا يُثْنَى
 فَلِلَّهِ مَا أَوْلَى أَيْبَرُ وَمَا أَحْسَنَى
 تَنَلُّ رَتْبَةَ الْعَلِيَّاءِ وَالْمَقْصِدِ الْأَسْنَى
 يَصْرَحُ عَنْ ذِكْرَاهُ فِي اللَّفْظِ أَوْ يُكْنَى
 لِأَكْرَمٍ مِنْ أَعْنَى فَقِيرًا وَمِنْ أَعْنَى
 لَهَا الْحَمْدُ مَا أَدْنَى قَطُوفًا وَمَا أَهْنَى
 تَفْنَى بِهَا الْأَيَّامُ طُرًّا وَلَا يَفْنَى
 وَفَاتِهِ : تَوَفَى شَهِيدًا فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ تِسْعِ وَسِتِّمِائَةِ (١) .

علي بن صالح بن أبي الليث الأسمد بن الفرج بن يوسف

طُرُطُوشِي ، سَكَنَ دَائِنِيَّةَ ، يَكْنَى أَبُو الْحَسَنِ ، وَيَعْرِفُ بِأَبْنِ عَزِّ النَّاسِ .

حاله

كَانَ عَالِمًا بِالْفِقْهِ ، حَافِظًا لِمَسَائِلِهِ ، مُتَقَدِّمًا فِي عِلْمِ الْأَصُولِ ، ثَابِتًا
 الذَّهْنَ ، ذَكِيَّ الْفُؤَادِ ، بَارِعَ الْاسْتِنْبَاطِ ، مُسَدِّدَ النَّظَرِ ، مُتَوَقِّدَ الْخَاطِرِ ،
 فَصِيحَ الْعِبَارَةِ ، ذَا خَطِّ مَرُوضٍ .

(١) يَبْلُغُ بِمَرَاجِعَةِ هَذِهِ التَّرْجُمَةِ أَنَّ هُنَاكَ ، حَسْبِهَا لَاحِظَ النَّاسِخِ فِي تَرْجُمَةِ (عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِو النَّسَائِيَّ) الْوَارِدَةَ فِي لَوْحَةِ 327 ، أَنَّ هُنَاكَ شَبْهًا كَبِيرًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ التَّرْجُمَةِ الْمَشَارِإِلَيْهَا ، سِوَاهُ فِي اسْمِ الْمُرْجَمِ لَهُ ، أَوْ الْبَلَدِ أَوْ الْمَشِيخَةِ أَوْ التَّأْلِيْفِ . يَدُ أَنَّ هُنَاكَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ بَعْضَ فُرُوقٍ ، أَوْ لَا فِي الْإِسْمِ ثُمَّ فِي التَّأْلِيْفِ . وَمِنْ جِهَةِ أُخْرَى فَإِنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي التَّرْجُمَةِ الْأُولَى ذِكْرُ لِتَارِيخِ الْمَوْلَادِ أَوْ الْوَفَاةِ ، حَتَّى يُمْكِنَ الْقَطْعُ بِالتَّطَابُقِ بَيْنَ التَّرْجُمَتَيْنِ .

من روى عنه : روى عنه أبو بكر أسامة بن سليمان ، وسليمان بن محمد ابن خلف ، ويحيى بن عمر بن الفصيح .

دخوله غرناطة

قالوا ، واستخلصه الأمير أبو زكريا يحيى بن غانية^(١) أيام إمارته ببلنسية لمشهور معرفته ونباهته ، ثم سار معه إلى قرطبة ، ولازمه ، إلى أن توفي أبو زكريا بن غانية ، بغرناطة سنة ثلاث وأربعين . فانتقل إلى شرق الأندلس ، واستقر بدانية .

توالمفه : وله مصنفات منها كتاب العزلة ، ومنها شرح معاني التحية . ولد بطرطوشة سنة ثمان وخمسمائة ، وتوفي بدانية . قتل مظلوما بإذن ابن سعد الأمير في رمضان سنة ست وستين وخمسمائة .

علي بن جلا الكناسي

يكنى أبا الحسن .

حاله

كان شيخا ذكيا ، طيب النفس ، مليح الحديث ، حافظا للمسائل الفقهية ، عارفا لها ، قاوما على كتاب المئونة ، تفقه بالشيخ أبي يوسف الجزولي ، وعليه اجتهد في مسائل الكتاب . وكان مضطلعا بمشكلاته . حسن الذاكرة ، مليح المجلس أنيسه ، كثير الحكايات ، إلا أنه كان يحكى غرايب شاهدها تملحاً وأنسا ، فينمقها عليه الطلبة ، وربما تعدوا ذلك إلى الافتعال على وجه المزاح والمداعبة ، حتى لجمعوا من ذلك كثيرا

(١) سبق التعريف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٩٧ حاشية . والمجلد الثاني ص ٥٧١

في جزء سموه «بالسُّلك المحلَّ في أخبار ابن أبي جَلَّاء». فمن ذلك ما زعموا أنه حدثَّ بأنه كانت له هرَّة ، فدخل البيت يوما ، فوجدها قد بليت أحد كفيها ، وجعلته في الدقيق حتى علق به ، ونصبته بإزاء كوة فأر في الجدار ورفعت اليد الأخرى لصيده ، فتاداها باسمها ، فردت رأسها ، وجعلت أصبعها في فمها على هيئة المشير بالصمت . وأشبه ذلك كثير .
وفاته : في حدود ستة وأربعين وسبعماية .

علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي بن سمحون الهلالي
يكنى أبا الحسن .

حاله

كان شيخا جليلا ، فقيها ، عارفا ، نبیلا ، نبیها ، ذا مروعة كاملة ، وخلق حسن ، من بيت حَسب وعلم ودين . قال أبو القاسم الملاحی ، حدثني صاحبنا الفقيه الخطيب أبو جعفر بن حسان ، قال كنت أجاوره في بعض أملاكی ، وكان له ملك يلا صقني ، أتمنى أن أكتسبه ، فینتظم لي به ما هو مفترق ، فوافقتة ذات يوم في القرية ، فسألته المعاوضة به ، وخيرته في مواضع في أرضی ، فضحك مني ، وقال لي أنظر في ذلك إن شاء الله . ثم إنه وجه لي بعد ذلك بأيام يسيرة ، بعقد يتضمن البيع وقبض الثمن مني ، فخجلت منه ، وراودته في أخذ الثمن فأبى وقال لي هذا قليل في حقك ، وكان قد لقي شيوخا أخذ عنهم ، وكانت له كتب كثيرة .

وفاته : توفي بالمنكب صبح اليوم السادس من رمضان عام ستة

وتسعين وخمسمائة . ولست أحقق أهو القريب أو سلفه ، وعلى كلا التقديرين ، فالفضل حاصل .

علي بن محمد بن عبد الحق الزويلى^(١)

يكنى أبا الحسن ، ويعرف بالصُّغَيْرِ ، بضم الصاد وفتح الغين والياء المشددة

حاله

من « المؤمن »^(٢) . كان هذا الرجل قيما على التهذيب للبرادعي ، حفظا وتفقها ، يشارك في شيء من أصول الفقه ، يطرز بذلك مجالسه ، مُغْرِبًا به بين أقرانه من المدرسين في ذلك الوقت ، لخلوهم من تلك الطريقة بالجملة . حضرت^(٣) مجلس إقرايه ، وكان ربعة آدم اللون ، خفيف العارضين ، يلبس أحسن زى صنعة ، وأحسن ما فيه ليس بحسن . وكان يدرس بجامعة الأصدع من داخل مدينة فاس ، ويحضر عليه نحو مائة نفس ، ويقعد على كرسي عال ليسمع البعيد والقريب ، على انخفاض كانه في صوته ، حسن الإقراء ، وقورا فيه ، سَكُونًا ، مثبتًا ، صابرا على هجوم طلبية البربر ، وسوء طريقتهم في المناظرة والبحث ، وكان أحد الاقطاب الذين تدور عليهم الفتوى أيام حياته ، ترد عليه السؤالات

(١) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال (المزروال) . والأول أرجح . وهي نسبة إلى قبيلة بني زروال البربرية .

(٢) سبق التعريف بهذا الكتاب (راجع المجلد الثالث من الإحاطة ص ١٩٥ حاشية) .

(٣) هذا القول مما يلفت النظر لأن المترجم له توفي حسبما ورد في آخر ترجمته سنة ٧١٩ هـ ، وقد ولد ابن الخطيب سنة ٧١٣ هـ ، ومن جهة أخرى فإنه لم يزر فاس لأول مرة إلا في سنة ٧٥٥ هـ ، في عهد السلطان أبي عنان ، ويحق لنا أن نتساءل كيف اتفق مع ذلك أن يحضر مجلس قراءة هذا الفقيه ، في فاس ، في هذا التاريخ المبكر

من جميع بلاد المغرب ، فيحسن التوقيع على ذلك . على طريقة من الاختصار وترك فضول القول . وُلِّي القضاء بعاس . قدّمه أبو الربيع سلطان المغرب وأقام أوده ، وعضده ، فانطلقت يده على أهل الجاه ، وأقام الحق على الكبير والصغير ، وجرى من العدل على صراط مستقيم . ونُقِم عليه اتخاذ شمام يستنشق على الناس الخمر، ويحق أن يُنتقد ذلك .

مشيخته

أخذ عن الفقيه راشد بن أبي راشد الوليدى وانتفع به ، وعليه كان اعتماده . وأخذ عن صهره أبي الحسن بن سليم ، وأبي عمران الجورماني ، وعن غيرهم . وقيدت عنه بفاس على التهذيب وعلى رسالة أبي زيد ، فهما عنه تلاميذه وأبرزوها تأليفا كأي سالم بن أبي يحيى .

وفاته

وفاته يوم الثلاثاء السادس لرمضان عام تسعة عشر وسبعماية ، ودخل غرناطة لما وصل رسولا على عهد مستقضية رحمهما الله .

علي بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن

يحيى بن عبد الله بن يحيى النافقي

سببى سارى الأصل ، انتقل منها أبوه سنة اثنتين وستين وخمسماية ، يكنى أبا الحسن ، ويُسهر أهل بيته في سارة بنى يحيى .

حاله

من « التكملة » . كان محدثا راوية مكثرا ، عدلاً ثقة ، ناقدا ، ذا كرا للتواريخ وأيام الناس ، وأحوالم وطبقاتهم ، قديما وحديثاً ، شديد العناية بالعلم ، والرغبة فيه ، جاعلا الخوض فيه ، مفيداً ومستفيداً ، وظيفته

عمره ، جماعة للكتب ، منافساً فيها ، مغالياً في أثمانها ، وربما أعمل الرحلة في التماسها ، حتى اقتنى منها بالإبتياح والإنتساخ كل علق نفيس . ثم انتقى منها جملة وافرة فحَبَسَهَا في مدرسته ، التي أحدثها بقرب باب القنصير ، أحد أبواب بحر سبته ، وعين لها من خيار أملاكه ، وجيّد رباعه ، وقفاً صالحاً . سالكا في ذلك طريقة أهل المشرق ، وقعد بها بعد إكمالها لتروية الحديث وإسماعه ، في رجب خمس وثلاثين وستماية ، ونكث الأخذ بها عنه ، واستمر على ذلك مدة . وكان سرى الهمة ، نزيه النفس ، كريم الطبع ، سَمِحاً ، مؤثراً ، مُعَاناً على ما يصدر عنه من المآثر الجليلة ، ونبل الأفاضل السنية ، بالجدّة المتمكنة ، واليسار الواسع . وكان سنياً ، مُنَافِراً لأهل البدع ، مُجِاباً في العلم وطلابه ، سمحاً لهم بأعلاق كتبه ، قوى الرجاء في ذلك . ومما يؤثر عنه من النزاهة ، أنه لم يَبْشُر قط ذنيراً ولا درهما ، إنما كان يباشر ذلك وكلاؤه اللابذون به .

مُشِيخَتُهُ

روى عن أبوي الحسن أبيه والتجيبى ، وأبي الحسن بن عطية بن غازى ، وأبي عبد الله محمد بن هيسى ، وابن عبد الكريم ، وابن علي الكتّانى ، وأبي إسحق الشُّقُورى ، وأبوي بكر بن الفصيح ، ويحيى بن محمد بن خلف البورينى ، وأبي الحسن بن خروف النحوى ، وابن عُبيدس ، وابن جابر ، وابن جُبَيْر ، وابن زَرْقُون ، وابن الصايغ ، وأبي بكر بن أبي رُكْب ، وأبي سليمان بن حوط الله ، وأبي العباس القوراني ، وأبي القاسم عبد الرحيم ابن الملجوم ، وأبي محمد الحِجْرِي وأكثر عنه ، وابن حوط الله ، وابن محمد بن عيسى التَّادلى ، وعبد العزيز بن زيدان ، ويشكر بن موسى ابن الغزلى هؤلاء ، وأخذ عنهم بين سماع وقراءة ، وأكثرهم أجازة أو

كتب إليه مُجيزاً . ولم يلقه أبو جعفر بن مضاء ، وأبو الحسن بن القطان ونجبه ، وأبو عبد الله بن حماد ، وابن عبد الحق التلمساني ، وابن الفخار ، وأبو القاسم السهيلي ، وابن حبيش ، وأبو محمد عبد المنعم ابن الفرس . واستبجاز بآخرة مكثراً من الاستفادة ، أبا العباس بن الرومية ، فأجاز له من إشبيلية .

من روى عنه : روى أبو بكر أحمد بن حميد القرطبي ، وأبو عبد الله الطنجالي ، وابن عياش ، وأبو العباس بن علي الماردي ، وأبو القاسم عبد الكريم بن عمران ، وأبو محمد عبد الحق بن حكيم . وحدث بالإجازة عنه ، أبو عبد الله بن إبراهيم البكري العباسي .

محنته ودخوله غرناطة

غربه أمير سبته اليانشتي الملقب بالواثق بالله^(١) . غاصباً به لجلالته وأهليته ، وكونه قد عرضت عليه فأبأها ، فدخل الأندلس في شعبان عام أحد وأربعين وستماية ، فنزل ألمرية وأقام بها إلى المحرم من سنة ثمان وأربعين ، وأخذ عنه بها عالم كثير . ثم انتقل إلى مالقة في صفر من هذه السنة ودخل غرناطة ، فأخذ عنه جميع طلبتها إلا النادر .

قال الأستاذ أبو جعفر الزبير ، وقرأت إذ ذاك عليه ، وكان يروم من مالقة ، الرجوع إلى بلده ، ويحوم عليه ، فلم يقض له ذلك ، وأقام بها يؤخذ عنه العلم ، إلى أن أتته منيته .

مولده : بسبته يوم الخميس لخمس خلون من رمضان إحدى وسبعين

وخمسمائة .

(١) وردت في الاسكوريال (اليناشتي) وهو تحريف . وهو أبو العباس أحمد بن محمد اليانشتي أمير سبته وقد ولاء أهلها عليها سنة ٦٣٥ هـ ، وتسمى بالموفق بالله (وليس الواثق بالله) ، واستمر في حكمها حتى سنة ٦٣٥ هـ ، ثم خلفه أهلها ، وبايعوا الخليفة الموحد الرشيد .

وفاته : توفي بمالقة ضحوة يوم الخميس لليلة بقيت من رمضان
تسع وأربعين وستماية. نفعه الله بشهادة الموت غريقا .

علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري

فاسي المولد ، أصله منها قديما ، ومن مراكش حديثا ، يكنى أبا
الحسن ويعرف بابن قطرال .

حاله

كان ريان من الأدب ، كاتباً بليغاً دمث الأخلاق ، لين الجانب ،
فقيها حافظا ، عاقدا للشروط ، مقدما في النظر فيها ، كتب طويلا
عن قاضي الجماعة بمراكش ، أبي جعفر بن مضاء ، ثم عن أبي القاسم بن
بقي ، وأسن ممتعا بحواسه .

مشيخته

روى عن أبوي بكر بن الجدد ، وابن أبي زنين ، وأبي جعفر بن
يحيى ولازمه كثيرا . وأبي الحجاج بن الشيخ ، وأبوي الحسن بن كوثر
وتجبه ، وأبي الحسن يحيى بن الصائغ ، وأبي خالد بن رفاعة ، وأبي
عبد الله بن حفص ، وابن حميد ، وابن زرقون ، وابن سادة الشاطبي ،
وابن عروس ، وابن الفخار ، وأبي العباس ، وابن مضاء ، ويحيى المجريطي ،
وأبي القاسم بن بقي ، وابن رشد الوراق ، وابن سمحون ، وابن غالب ،
وابن جمهور ، وابن حوط الله ، وعبد الحق بن بونة ، وعبد الصمد .
وروى عنه إبناه أبو عبد الله وأبو محمد ، وأبو عبد الله بن الأبار ، وأبو
محمد بن برطلة ، وأبو محمد بن هارون الطائي ، وأبو يعقوب بن عقاب .

قال ابن عبد الملك ، وحدثنا عنه من شيوننا أبو الحجاج بن حكم ،
وأبو الحسن الرعيني ، وأبو الطيب صالح بن شريف ، وأبو القاسم
الغزني ،

مبحثه

وامتحن بالأسر ، وهو قاض بأبدة ، حين تغلب العدو الرومي
عليها أثر وقية « العقاب »^(١) وذهب لأجل ذلك أصول سماعه ، وافتك
بمشاركة الوزير أبي سعيد بن جامع ، ويسر الله عليه ، فثاب جاهه ، واستقام
أمره ، وقدم للقضاء بمواضع نبهية .

دخوله غرناطة

قال ، دخل غرناطة ، وأقام بها ، وقرأ على أبي محمد عبد المنعم بن
الفرس ، وأبي بكر بن أبي زمنين ، وأبي عبد الله بن عروس .
ولد بفاس سنة ثنتين وستين وخمسمائة . وتوفي عفا الله عنه يوم
الإثنين لإحدى عشرة خلعت من جمادى الأولى عام أحد وخمسين وستماية بمراكش .

« انتهى اختصار السفر العاشر بحمد الله تعالى يتلوه ،

ومن السفر الحادي عشر ترجمة الطاريين في ترجمة

العمال والأثرا . والحمد لله رب العالمين »

(١) موقعة العقاب هي الموقعة العظيمة الحاسمة التي وقعت بين جيوش اسبانيا النصرانية التي يقودها
ملوك قشتالة ونافار وأراجون، وبين الجيوش الموحدية والأندلسية بقيادة الخليفة محمد الناصر ولد
الخليفة يعقوب المنصور ، في هضاب جبال الشارات (سيرا مورينا) في ١٥ صفر سنة ٦٠٩ هـ
(٦ يولييه سنة ١٢١٢م) على مقربة من شمال غربي مدينة أبدة . وقد سميت بموقعة العقاب (جمع عقة)
لوقوعها بين التلال والربي المانمة . وسميت لذلك بالاسبانية موقعة Las Navas de Tolosa
وقد انتهت بوقوع الهزيمة الفادحة بالجيوش الموحدية والأندلسية ، وفناء معظمها ، وكانت بداية
لانحلال سلطان دولة الموحدين . راجع في تفاصيل هذه الموقعة العظيمة كتابي : عصر المرابطين
والموحدين في المغرب والأندلس القسم الثاني ص ٢٨٢ - ٣١٧ .

ومن السُّفر الحادى عشر من ترجمة الطاريين
فى ترجمة العمال والأثرا

عمر بن على بن عفرون الكلبى

من أهل مُنتَفِرِيد .

حاله

كان شيخاً مُخْشَوْشِين الظاهر بَدَوِيه ، سريع الجواب ، جَلِيداً على العمل ، صليباً وقاحاً . له ببلده نباهة ، وخصل من طلب وخطُّ وحساب . أم ببلده ، وانتقل إلى الحضرة عند انتزاع ثغره ، وداخل السلطان فى سبيل استرجاعه ، فنشأت له غمامة رزق ببابه ، وأقلته هضبة حظوة ، ناطت به ديوان الجيش مدة أيام السلطان ، ووُلِّى بعده خُططا نبهية . ثم التأثت حاله وأسن ، ومات تحت خمول .

وجرى ذكره فى «الإكليل» بما نصه : شيخ خَدَم ، قام له الدهر فيها على قَدَم ، وصاحب تعريض ، ودهاء عريض ، وفايز من الدولة بأياد بيض ، خدم الدولة النصرية ببلده عند انتزاع أهله ، وكان ممن استنزهم من حَزَنِهِ إلى سهله ، وحكَّم الأمر الغالبى فى يافعه وكهله ، فاكتسب حظوة أرَضَتَه ، ووسيلة أرَهَفَتَه وأمَضَّتَه ، حتى عظم ماله ، واتسقت آماله . ثم دالت الدول ، ونكرت أيامه الأول ، وتقلب من يجانسه ، وشقى بكل من كان ينافسه ، فجفَّ عوده ، والتأثت سعوده ، وهلك والخمول يطلبه ، والدهر يقوُّته ، من صُبابة حرث كان يستغله .

شعره

وله شعر لم يشقفه النظر ، ولا وَضَّحت منه العُرر . كتب للسلطان
أمير المسلمين مُنْفِق سوق خدمته ومتغمله بنعمته ، يطلب منه تجديد
بعض عنايته :

ياملكا ساد ملوك الورى فى الحال أوفى الأعصر الخالية
العبد لا يطلب شيئا سوى تجديد خطِّ يدك العالية
ومن شعره يخبر عن وداده ، ويعلن فى جناب الملوك الغالبين بحسن
اعتقاده :

حُبُّ الملوك من آل نصر دينى ألتى به ربى بحسن يقينى
هو عُلَّتى فى شدتى وذخيرتى وبه يتحسبى غدا ويقين
حتى أبى الحشر لم أنخدم سوى أبوابهم بوسيلة تكفين
أرجو نفاذ العُمُر فى أيامهم من تحت ستر رعاية ترُضين
إن كان دهرى فى نفادى بعدهم فالله عز وجل لا يُبقيين
وسلم فى أيام خموله ، وانغلق على المتغلب على الدولة أبى عبد الله بن
المحروق . وقد احتقره ببابه ، وأعرض عن جوابه . فكتب إليه ، ولم
يرهب مالدیه :

يامن سول وغدا فى كل يوم مرارا
أزدد على سلامى ولا تدعه احتقارا

وفاته

قال شيخنا الكاتب ، أبو بكر بن شبرين رحمه الله ، وفى ذى حجة من عام
أربعة وأربعين وسبعمائة توفى الفقيه أبو على بن عفرون من أهل مُنتفريد
من حصون براجلة غرناطة . قدم قديما بالباب السلطانية فى تنفيذ واجب

العسكر الأندلسي وإشراف الحضرة وحفازتها . وكان ميمون النقيبة ، وجها
في الناس فاضلا ، رحمه الله .

على بن يحيى الفزاري

من أهل مالقة ، بربري النسب فزاريه . يكنى أبا الحسن ، ويعرف
بابن البربري .

حاله

كان من أمائل طريقته عدلا ، وعفافا ، وفضلا ، لين العريكة ،
دَمَث الأخلاق ، حسن الخط ، جيد الشعر ، تَغَلَّب عليه السلامة والغفلة ،
تصرف في إشراف مالقة وسواها عمره ، محمود الطريقة ، حسن السيرة .
ومدح الملوك والكبراء .

شعره

مما خاطبني به قوله :

لِبَابِكَ أُمَّ الْأَمَلُونَ وَيَمُوا	وَفِي سَاحَتِي رَحْمَاكَ حَطُّوْا وَخِيَمِ
وَمَنْ رَاحَتِي كَفَيْكَ جَدْوًا تَهْمِي	فَتَرَوِي عَطَاشَ مَنْ نَدَاكَ وَتَنَعَمِ
وَأَنْتَ لَمَّا رَأَى كَعْبَةَ حَجَّهِمْ	إِذَا شَاحَدُوا مَرَاكَ لَبُّوْا وَأَحْرَمِ
يَطُوفُونَ سَبْعًا حَوْلَ بَابِكَ عِنْدَمَا	يَلُوحُ لَهُمْ ذَاكَ الْمَقَامُ الْمُعْظَمِ
فِيْمَنَّاكَ يُمِنُ الرَّعَايَا وَمَنْسَةٌ	وَيُشْرَاكَ يُسْرًا لِلْعَفَاةِ وَمَغْنَمِ
وَلَقِيَاكَ بِشَرِّ لِلنَّفُوسِ وَجَنَّةِ	تَزُقُّ بِهَا وَرِقَّ الْمَنَا وَتَرْنَمِ
فِيَا وَاحِدَ الْأَزْمَانِ عُلَمَاءَ وَمَنْصَبَا	وَمَنْ بِهِ الدُّنْيَا تَرُوقُ وَتَبَسَمِ

وَمَنْ وَجْهَهُ كَالْبَدْرِ يُشْرِقُ نوره
 وَمَنْ ذَكَرَهُ كَالْمَسْكَ فُضَّ ختامه
 لَقَدْ حَزَّتْ خَصَلُ السَّبْقِ غَيْرُ مَعاند
 حَوَيْتُ مِنَ الْعَلِيَاءِ كُلِّ كَرِيمَة
 وَبَاهَيْتُ أَقْلَامَ الْمَقَامِ بِرَاعَة
 وَإِذَا فَاخِرَ الْأَمْجَادِ يَوْمًا فَإِنَّمَا
 وَإِنْ سَكْتُوا كُنْتَ الْبَلِيغَ لَدَيْهِمْ

ومنها :

فِي أَصْحَابِي نَجْوَى عُوجًا بِرَامَة
 وَقَسُولًا لَهُ بِبَابِكَ يَرْتَجِي
 وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا عُلَاكَ وَسَيْلَة
 فَجَدَ بِالذِّي يَرْجُوهُ لِمَنْكَ فَمَاله
 بَقِيَتْ وَنَجْمَ السَّعْدِ عِنْدَكَ طَالع
 عَلَى رَبْعِهِ حَيْثُ النَّدَى وَالتَّكْرَم
 قَضَاءُ لُبَانَاتٍ لَسَدِيكَ تَتَم
 وَلَا شَيْءَ أَسْمَى مِنْ عِلَاكَ وَأَعْظَم
 كَعَقْدِ ثَمِينٍ مِنْ ثَنَائِكَ يُنْظَم
 يَضِيُّ لَهُ بَدْرٌ وَتَشْرُقُ أَنْجَمٌ

وقال مراجعا القاضي أبا عبد الله بن غالب رحمه الله :

وَمَا كُنْتُ عَنْ ذِكْرِ الْأَحْبَةِ سَالِيَا
 فَلَمَّا أَتَنِي رُقْعَةً بُلْبُلِيَّة
 وَقَبَلْتَهَا أَلْفَاً وَقَلْتُ لَهَا
 فِيَا حَسَنُ خَطٍّ جَاءَ مِنْ عِنْدِ بَارِع
 وَإِنْ قَرِيضًا لَمْ يُحْكَمْ ابْنُ غَالِب
 وَلَا عَنْ هَوَى بَيْضِ الدَّمَا بِرَغِيْب
 شَغَلَتْ بِهَا عَنْ مَنْزِلٍ وَحَبِيْب
 أَنْعَدِي صَبَاحًا وَمَسَى بِالْقَبُولِ وَطِيْب
 وَيَاسِحِرُ لَفْظٍ مِنْ كَلَامِ أَدِيْب
 لَخَلُّوْ مِنْ الْأَدَابِ غَيْرُ عَجِيْب

وفاته : بمالقة في الطاعون عام خمسين وسبعمائة .

الزهاد والصلحاء والصوفية والفقراء

عتيق بن معاذ بن عتيق بن معاذ بن سعيد بن مقدم بن

سعيد بن يوسف بن مقدم اللخمي

من أهل غرناطة يكنى أبا بكر ، الشيخ الصوفي ،

حاله

هذا الرجل فذ الطريقة في الخصوصية والتخلّي ، وإيثار الانقطاع والعزلة ، طرفة في الوقار والحشمة . نشأ بغرناطة وطلب بها ، وكسب بالرّية عن بعض ولاة قصبته ، وعنى بمطالعة أقوال الصوفية ، فأثر طريقهم ، وعول عليه ، وتجرد وترك التسبّب ، والتزم منزله ، بحيث لا يريمه إلا لصلاة الجمعة في أقرب محالّها وإليه ، نظيف البزّة ، حسن السّمّت ، مليح الترتيب والظرف ، طيب المجالسة ، طلعة مُتعة ، إخباري ، يصل ماضي الزمان بمستقبله ، جليس مصلّي ، ومُجبل سبحة كثير الزوار ، ممن يلتمس الخير ، وينقر عن أهله ، محظوظ المجلس حتى بالوارد ، ذاكر ، ماثرة من مآثر بلده .

مشيخته

أخذ عن الخطيب الصالح ولي الله أبي عبد الله الطنجالي ، والخطيب المحدث أبي عبد الله بن رشيد ، والأستاذ النظار أبي القام بن الشاط ، والخطيب الصالح أبي جعفر بن الزيات ، والشيخ الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار الأركشي نزيل مالقة ، والوزير الراوية أبي عبد الله ابن ربيع الأشعري . والعدل الراوية أبي الحسن بن مستقور^(١) ، والأستاذ المقرئ أبي جعفر الجزيري الضرير ، والخطيب أبي عبد الله بن الخشاب ،

(١) وردت في الإسكندر ريال (مسور) وهو تحريف والصواب ما أثبتناه .

والخطيب المقرئ أبي إسحاق بن أبي العاصي ، والشيخ والمحدث
أبي تمام غالب بن حسن بن غالب الجهاري ، والقاضي المُسن أبي جعفر
الشاطبي ، والقاضي المحدث أبي المجد يوسف بن الحسن بن أبي
الأحوص ، والأستاذ المحدث أبي القاسم بن جابر ، وأخيه المحدث أبي
جعفر ، والقاضي أبي جعفر بن أبي جبل ، والأستاذ الصوفي أبي محمد بن
سَلْمون ، والشيخ الشريف أبي الحسن علي بن جمرة بن القاسم الجهني ،
والأستاذ المقرئ أبي عبد الله بن بيبش العبدري ، والشيخ المَكْتَب أبي
عمرو عبد الرحمن بن يُشت ، والشيخ الراوية المحدث الرحال أبي
عبد الله بن جابر الوادأشي الملقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين ،
والخطيبين أبوي الحسن بن فرحون ، وابن شعيب ، والقاضي أبي الحسن
البلوي ، والأستاذ المقرئ (١) .

محبته

نال امتحان من بعض القضاة ببلده حَمَلًا عليه ، وإنكارا لما امتاز
به من مثل الطريقة ، أداه إلى سجنه ، ومنع الناس عن لقايه . وهو الآن
بحاله الموصوفة ، قد ناهز السبعين تمر [الناس] (٢) تلتمس بركته ،
وتغشى لطلب الدعاء خلوته .

علي (٣) بن علي بن عتيق بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الهاشمي

من أهل غرناطة ، ويعرف بالقرشي .

(١) هكذا وقتت « المشيخة » عند هذه الكلمة ولم يرد بعدها شيء .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) وردت في الإسكوريال (عمر) . ونرجح أن ذلك سهو من الناسخ لأنها وردت ضمن

قائمة (العليين) ومن جهة أخرى فقد وردت في الزيتونة على وهو ما يؤيد هذا الفرض .

حاله

كان رحمه الله على طريقة مُثلى حياءً، ووقارا وصمتا، وانقباضا وتخلُّقا وفضلا ، عاكفا على الخير ، كثير الملازمة لكسر البيت ، مكباً على المطالعة ، مؤثرا للخلوة ، كلفا بطريق الصوفية . كتب الشروط لأول أمره ، فكان صَدْرًا في الإنبات ، وعلما في العدول ، إلى لين الجانب ، ودماثة الخلق ، وطهارة الثوب ، وحسن اللقاء ، ورجوح المذهب ، وسلامة الصدر . قيد الكثير ، ولقى في تَشْرِيقه أعلاما أخذ عنهم . وتقدّم خطيبا وإماما بالمسجد الأعظم في غرناطة ، عام أحد عشر وسبعماية ، واستمرت حاله ، إلى حين وفاته ، على سنن أولياء الله الصالحين .

مشيخته

قرأ على الاستاذ أبي جعفر بن الزبير ، ولازمه وتادّب به ، وتلا عليه بالقراءات السبع ، وسمع كثيرا من الحديث ، وعلى الخطيب الولي أبي الحسن بن فضيلة ، والشيخ الخطيب أبي عبد الله بن صالح الكنانى . سمع عليه الكثير . قال أنشدنى الخطيب أبو محمد بن برّطلة :

أَسْلَمْنِي لِلْبَلَاءِ وَحَيْدًا مِنْ هُوَى مُلْكِهِ وَحَيْدِ
قَضَا عَلَى الْفَنَاءِ حَتْمًا فَلَمْ يَكُنْ عَنْهُ لِي مَحِيدِ
وَكَيفَ يَبْقَى غَرِيقُ نَزَى قَدَاتِهِ أَوْلا صَعِيدِ
يَعِيدُ أَحْوَالَهُ إِلَيْهِ مِنْ نَعْتِهِ الْمُبْدَى الْمَعِيدِ

وأخذ عن الشيخ الراوية المحدث أبي محمد بن هرون الطابى ، والشيخ الراوية المعمر أبي محمد الخلاسى ، والشيخ الشريف تاج الدين أبي الحسن العرامى ، والشيخ المحدث الأمام شرف الدين أبي محمد عبد المؤمن الدمياطى ، والشيخ رضى الدين الطبرى ، والمحدث الحافظ

فخر الدين التودرى الميكالى . قال ، وأنشدنى من لفظه بالحرم الشريف
لشيخه الإمام أبى الحسن الخزرجى :

عن أهيل المنحنى لا أصبر فاعذلونى فيهم أو فاعذروا
هم أحباب وإن هم عذبوا ومُنأى وصلوا أم هجروا
والشيخ المحدث المفتى بالحرم الشريف رضى الدين محمد بن أبى
بكر بن خليل . قال ، وأنشدنى لبعض شيوخه :

أنى كل وادٍ شاعر ومطيب وفى كل نادٍ منبر وخطيب
نعم كثر الأَقوام قلة ناصد لهم فتساوى مخطيء ومُصيب
والشيخ المحدث الإمام أنس الدين بن الإمام قطب الدين القسطلانى ،
والأديب الواعظ نفيس الدين بن ابراهيم اللمطى . قال وأنشدنى إجازة عن
الشيخ الإمام شرف الدين أبى الفضل السلمى المرسى من قصيدة :

إذا جيتُ ألقى عند بابك حاجبا مُحيّاه من فرط الجهامة حالك
ومن عجيب مَغناك جَنَّهُ قاصد وحاجبها من دون رضوان مالك
والشيخ الإمام تقى الدين بن دقيق العيد ، وأبى العباس بن الظاهرى ،
ومحیی الدين بن عبد المنعم ، ومحمد بن غالب بن سعيد الجياني ،
والخطيب الجليل أبى عبد الله بن رُشيد من أهل المغرب . وكتب له
الشريف أبو على الحسن بن أبى الشرف ، والعدل أبو فارس الهوارى ،
وأبو القاسم بن الطيب ، وأبو بكر بن عبدة ، وأبو إسحق الغافقى ،
وأبو عبد الله الدراج ، وأبو الحكم مالك بن المرخل ، وأبو إسحق
التلمسانى ، وغيرهم .

تواليقه

صنّف فى التصوف كتابا سماه «مطالع أنوار التحقيق والهداية» وكتابا

في غرض «الشفاء العياضى . ومن شعره ، ثبتُ بظهر الكتاب المسمى
«بالموارد المستعذبة» من تأليف شيخنا أبى بكر بن الحكيم ما نصه :

كتابك ذا من هوته الفاخر	سنا وسنا راق منه زواهر
لقد جاء كالعقد المنظم نائرا	فرايد قس عنك فى ذا قاصر
بلاغته فى القوم تشهد عندما	تشكك فيه أنه عنك صادر
فلله من روض أنيق غصونه	بما تتمنا فزاه زواهر
فما شيته تجده فيه فإنه	لناظره بحر بها هو زاهر
فنهنيكم يا بن الألى شاع مجدهم	قيادكم مجد بذاتك آخر
أتيت بما فيه اثبت حياة	من حوته على مر الدهور المقابر
وأبديت فيه سحر لفظك رائقا	تلذبه الأجفان وهى سواهر
ومتعت طرفى فيه لازلت باقيا	ونحا بك ربى يوم تبلى السراير
وخصك منى بالسلام مرددا	عليك مدى الدنيا ومطار طاير

مولده : فى حدود سنة سبع وستين وستماية :

وفاته : فى صفر من عام أربعة وأربعين وسبعماية . وكانت جنازته
بالغة أقصى مبالغ الاحتفال ، وتزاحم الناس على قبره بما بعد العهد به .

ومن رثاه شيخنا أبو الحسن بن الجياب فقال :

قضى الأمر يانفس اصبرى	صبر تسليم لحكم القدر
وعزاء يا فؤادى إنه حُكم	ملك قاهر مقتدر
حكمة أحكت تدبيرها	نحن منها فى سبيل السفر
أجل مقدر ليس بمستقدم	ولامستأخر
أحسن الله عزاء كل ذى	خشية لربه فى عمر
فى إماننا التقى الخاشع	الظاهر الذات الزكى السبر
قُرشى سليمان مستقى من	صميم الشرف المطهر

يشهد الليل أنه دايم الذكر طويل الشهر
 في صلاة بعثت وفودها زمر المصطفى من مفضز
 نايماً وراكعاً وساجداً لطلوع فجره المنفجر
 جمع الرحمن شملنا غداً بحبيب الله خير البشر
 وتلقته وفود رحمة الله تأتي بالرضا والبشر

علي بن أحمد بن محمد بن عثمان الأشعري

من أهل غرناطة يكنى أبا الحسن. ويعرف بابن المحروق
 أوليته : قد مر ذلك عند ذكر عمه وجده .

حاله

هذا الرجل شيخ الفقراء السفارة والمتسببة بالرباط المنسوب إلى
 جدّه ، وهو مقيم الرسم ، حاج رحال ، عارف بالبلاد ، طواف على كثير
 من مشاهير ما عُرف الإصطلاح . وزار تُرب الصالحين . وصحب السفارة ،
 حسن الشكل ، أصيل البيت ، حافظ للترتيب ، غيور على الطريقة ،
 محظوظ العقد ، مجانيب للاعمار ، منافر لأهل البدع ، مكبوح عن غلو
 الصافنة ، أنوف ، مترفع ، كلف بالتجلة ، يرى لنفسه الحق ولا يفارق
 احظ ، خطيب متعاط لمواقف الإطالة ، وسرد الكثير من كلام الخطباء
 عن غير اختيار ، يطبق المِفصل ، ويكافي الغرض المقصود ، على شروء
 عن قانون الإعراب ، حسن الحديث ، طبقة للرسم الدنيوى ، من هذا
 الفن كثرة ، وحسن بزة ، ونفاذ أمره ، ونباهة بيته ، وتعاطيا لنتائج
 الحلوة .

مخنته

قبض عليه المتغلب على الدولة وأزعجه بعد الشُّقاف في المُطَبق ،
إلى مَرَسَى المَرِيَّة ، إتهاما بمالأة السلطان ، فامتعض له من أهل مدينة
وادي أمّس ، وتبعهم المشيخة على المجاهرة ، فاستنقلوه ، وكاشفوا المتغلب
إذ كانوا على أرقاع الخلاف عليه ، وعاجل الأمر تصير الملك لصاحبه ،
فعاد الشيخ إلى حاله ، فهي معدودة عنه من أثر التصريف .

مشيخته

ومن خطه نقلت . قال ، ولدت في اليوم الحادى والعشرين لرجب
عام تسعة وسبعماية ، ولبستُ الخِرفة من يد الشيخ الفقيه الخطيب البليغ
الولى الشهير ، أبى على عمر بن محمد بن على الهاشمى القرشى في أوائل ذى قعدة
من عام خمسة وثلاثين وسبعماية . وحدثنى بها رحمه الله عن الشيخ الزاهد
أبى محمد الخلاسى عن شرف الأئمة أبى عبد الله بن مسدى عن الشيخ الكبير
أبى العباس بن العريف عن أبى بكر عبد الباقي بن برال ، عن أبى عمرو
الظلمنى ، عن أبى عمرو بن عون الله وأبى على الحسن بن محمود الجرجانى
عن أبى سعيد بن الأعرابى ، عن أبى محمد سالم محمد بن عبد الله الخراسانى ،
عن الفضل بن عياض ، عن هشام بن حسان ويونس بن عبيد ، عن أبى
الحسن بن الحسن البصرى ، عن الحسن البصرى ، عن على بن أبى
طالب كرم الله وجهه . ثم رحلتُ إلى المغرب ، طالبا في لقاء أهل الطريقة
راغبا ، فلقيت به من أعلام الرجال جملة يطول ذكرهم ، ولا يجُهل
قدرهم . ولما توجهت إلى المشرق ، لقيت به أعلاما وأشياخا كراما ، لهم
طرق سُنِّيَّة ، وأحوال سُنِّيَّة ، أودعت ذكرهم هذا طلبا للاختصار ، وخوفا
من سامة الإكثار ، وكان اعتمادى فيمن لقيت منهم في أيام تجريدى

واجتهادى ، بعد إيابى من قضاء أربى ، من حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر النبى ، عليه الصلاة والسلام ، على من بهديه أستنير ، واعتمد عليه فيمن لقيت وصحبت ، وإليه أشير سيدى الشيخ الكبير الجليل الشهير وحيد عصره وفريد دهره ، جمال الدين أبو الحجاج الكوراني جنسا ، والتميمي قبيلة ، والكلورى مولدا ، والسهروردى خرقة وطريقة ونسبة ، وهو الذى لقننى ، وسلكت على يده ، وقطعت مفاوز العزلة عنده ، مع جملة ولده . وحدثنى رضى الله عنه أنه لقنه الشيخ الفقيه العارف أبو على الشمشرى هو والشيخ الإمام نجم الدين الإصبهاني ، والشيخ نجم الدين ، والشيخ بدر الدين الطوسى ، لقنا الفقيه محسنا المذكور ، والشيخ بدر الدين ، لقنه الشيخ نور الدين عبد الصمد النصيرى ، والشيخ عبد الصمد ، لقنه الشيخ نجيب الدين بن مرغوش الشيرازى ، والشيخ نجيب الدين لقنه الشيخ شهاب الدين السهروردى ، والشيخ شهاب الدين ، لقنه عمه ضياء الدين أبو الحسن السهروردى ، والشيخ ضياء الدين فرج الزنجاني . والشيخ فرج الزنجاني ، لقنه أبو العباس النهاوندى ، والشيخ أبو العباس ، لقنه أبو عبد الله بن خفيف الشيرازى ، والشيخ أبو عبد الله لقنه أبو محمد رديم ، والشيخ أبو محمد لقنه أبو القاسم الجنيد ، والشيخ أبو القاسم لقنه سرى السقطى ، والشيخ سرى لقنه معروف الكرخى ، والشيخ معروف لقنه داود الطائى ، والشيخ داود لقنه حبيب العجمى ، والشيخ حبيب لقنه الإمام الحسن البصرى ، والشيخ الحسن لقنه الإمام على بن أبى طالب . ولبست الخرقة من يد الشيخ أبى الحجاج المذكور بسند الثلقين المذكور إلى أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه إلى جعفر الحذا ، إلى أبى عمر الإصطخرى ، إلى شفيق البلخلى ، إلى ابراهيم

ابن آدم . إلى موسى بن زيد الراعي ، إلى أبي يس القرني ، إلى أمير المؤمنين
عمر وعلي رضي الله عنهما ، ومنها إلى سيد الأولين والآخرين ، صلى الله عليه
وسلم ، وذلك في أوائل عام ثلاثة وأربعين وسبعماية . وقد ألّفت كتابا جمعت
فيه بعض ما صدر من أورادى ، أيام تجريدى واجتهادى ، محتويا على
نظم ونثر ، مُفرغا عن كلام الغير ، إلا مقطوعة واحدة لبعض المتصوفة ،
فإلى سقتها على جهة لكونها غاية في الاحتفال وهى :

قل لمن طاف بكاسات الرضا وسقى العشاق بما قد نهل
وسميت الكتاب «بنكت الناجى» ، وإشارات الراجى . ولعل ذلك
يكون اسما وافق مسماه ، ولفظا طابق معناه . وإلى ما ذكرت من النكت ،
أشرت بما نظمت فقلت :

في كل واحدة منهن أسرار لا تنقضى ولها في اللفظ أسرار
إن رمت حصر معانيها بما سمعت أذناك ليس لها بالسمع إحصار
فاصحب خبير بما يرضى الحجاب ستارها وكذلك الحر ستار
ولعله يكون إن شاء الله كما ذكرته ، وأعرف بما أنشدته .

ولى جملة قصائد وأزجال منظومة على البديهة والارتجال ، نطق بها
لسان المقال ، معربا عما وجدته في الحال ، قصدت بها الدخول مع ذلك
الفريق ، وأودعتها غوامض أسرار التحقيق . فمن بعض نكت الكتاب ،
ما يعجب منه ذوو الألباب ، نكتة سر الفقير ، يشير إليه بجميع
الكائنات ، فلا حديث مُعجم ، ولا موجود مُبهم ، فهو إذا يتكلم دون حده
وبلسان وجده ، والفقير يتكلم فوق قدره وبلسان غيره ، وهذا ما حضرنى
في الوقت ، مع مزاحمة الشواغل ، فتصفحوا ، واصفحوا ، وتلمحوا
واستمحوا . ولكم الفضل في قبول هذه العجالة واليسير من هذه المقالة .
انتهى .

ومن الطاريين

على بن عبد الله النيرى الششتري

عروس الفقراء ، وأمير ^(١) المتجردين [وبركة الأندلس، لابس
العبادة الخرفة] ^(٢) أبو الحسن . من أهل ششتر، قرية من عمل وادي
آش معروفة ^(٣) . وزقاق الششتري معروف بها . وكان مجوداً للقرآن ،
قايماً عليه ، عارفاً بمعانيه ، من أهل العلم والعمل .

حاله

قال شيخنا أبو عثمان بن ليون في صدور تهذيبه لرسالته العلمية ،
الإمام الصوفي المتجرّد . جال [البلاد] ^(٤) والآفاق . ولقى المشايخ ،
وسكن الربط ، وحج حجّات ، وآثر التجرد والعبادة . وذكره القاضي
أبو العباس الغبريني ، قاضي بجاية ، [في كتابه المسمى عنوان الدرّاية
فيمن عُرف في المائة السابعة بمدينة بجاية] ^(٥) وقال ، الفقيه الصوفي
الصالح العابد ، أبو الحسن الششتري من الطلبة المحصلين ^(٦) ،
والفقراء المنقطعين ، له علم [وعمل] ^(٧) بالحكمة ، ومعرفة بطريق
الصوفية ، وله تقدم في النظم والنثر، على طريقة التحقيق . وأشعاره

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (وإمام) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الزيتونة . وفي الإسكوريال (وبركة لابسى الحرقه) .

(٣) نرجح أنها اليوم قرية Charches الإسبانية التي تقع على بعد خمسة عشر كيلو متراً من
مدينة وادي آش .

(٤) هذه الكلمة زائدة في الزيتونة .

(٥) هذه العبارة واردة في الزيتونة . وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت في الاسكوريال . وفي الزيتونة (المخلصين) .

(٧) الزيادة من الزيتونة

في ذلك ، وتواشحه ومُقَفِّياته وأزجاله ، غاية في الانطباع . وكان كثيراً ما يُجود عليه القرآن . ونظمه في التحقيق كثير .

• شيخته

أخذ عن القاضي سحيي الدين أبي القاسم محمد بن إبراهيم بن الحسين ابن سراقه الأنصاري الشاطبي ، وعن غيره من أصحاب السُّهْرَوْردي صاحب العوارف والمعارف . واجتمع بالنَّجم بن إسرائيل^(١) الدُّمَشقي الفقير سنة خمس وسبماية . قال أَلْفَيْتُهُ على قدم التجرد ، وله أشعار وأذواق في طريق القوم ، وكان من الأمراء وأولاد الأمراء ، فصار من الفقراء وأولاد الفقراء ، وخدم أبا محمد بن سَبْعين ، وتلمذ له . وكان الشيخ أبو محمد دونه في البسْن ، لكن استمر^(٢) باتِّباعه ، وعول على ما لديه ، حتى صار يُعبر عن نفسه في منظوماته وغيرها ، بعبد الحق بن سبعين ، وبه استدل أصحاب أبي محمد على فضله . ويقال إنه لما لقيه يُريد المشايخ ، إن كنت تريد الجنة ، فصِر إلى الشيخ أبي مدين ، وإن كنت تريد ربَّ الجنة فهلم . ولما مات الشيخ أبو محمد ، انفرد بعده بالرياسة والإمامة على الفقراء والمتجرِّدين والسَّفارة ، وكان يتبعه في أسفاره ما ينيف على أربع مائة فقير ، فيقسِّمهم الترتيب في وظائف خدمته .

كراماته

قالوا ، نادى يوماً ، وهو مع أصحابه في برية ، يا أحمد ، فقال أحدهم ، ومن هذا ، فقال تُسْرُونَ به غدا . فلما وردوا من الغد قابس ، وجدوا أحمد قد جاء من الأسر ، فقال صافحوا أخاكم المُنادى بالأمس .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (إسراومل)

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (استقرا)

قالوا ، ودخل عليه ببجاية . أبو الحسن بن علاء من أمنائها ، وهو يُذكر في العلم ، فأعجبه طريقته ، فنوى^(١) أن يؤثر الفقراء من ماله بعشرين دينيراً . ثم ساق شطرها ، وحبس الباقي ليزودهم به ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، ومعه أبو بكر وعمر ، فقال ادعُ لي يا رسول الله ، فقال لأبي بكر اعطه ، فأعطاه نصف رغيف كان بيده ، فقال له الشيخ في الغد لو أتيت بالكل ، لأخذت الرغيف كله .

توالياه

له كتاب « العروة الوثقى في بيان السنن وإحصاء العلوم » . وما يجب على المسلم أن يعمل ويعتقده إلى وفاته . وله « المقاليد الوجودية^(٢) في أسرار إشارات الصوفية » . وله الرسالة القُتبية في توحيد العامة والخاصة . والمراتب الإيمانية والإسلامية والإحسانية . والرسالة العلمية ، وغير ذلك .

دخوله غرناطة

دخلها ونزل برابطة العقاب ، وتكرّر إليها ، إذ بلده من عمالتها

شعره

من ذلك قوله :

لقد تُهت عجباً بالتجرد والفقر	فلم أندرج تحت الزمان ولا الدهر
وجاءت لقلبي نفحة قُتبية	فغيت بها عن عالم الخلق والأمر
طويت بساط الكون والطى نشره	وما القصد إلا الترك للطنى والنشر

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (فنوى) .

(٢) وردت في الإسكوريال (الموجدية) .

وغمضتُ عين القلب عن غير مُطلق
 وصلتُ لمن لم تنفصل عنه لحظة
 وما الوصف إلا دونه غير أنني
 وذلك مثل الصوت أيقظ نايما
 نقلت له الأسماء تبغى بيسانه
 فألفيتني ذاك الملقب بالغير
 ونزّهت من أعنى من الوصل والهجر
 أريد به التشبيه^(١) عن بعض ما أدر
 فأبصر أمرا جلّ عن ضابط الحصر
 فكانت له الألفاظ سيرا على سيرا

ومن شعره أيضاً قوله في الغرض المذكور :

من لامي لو انه قد أبصرا
 وغدا يقول لصحبه إن أنتم
 شدت^(٢) أمور القوم عن عاداتهم
 ما ذقته أضحى به متحيراً
 أنكرتم ما بي أتيتم منكرا
 فلاجل ذلك يُقال سحر مُفترا

ومن شعره القصيدة الشهيرة ولها حكاية :

أرى طالبا منا الزيادة لا الحسنى
 وطالبنا مطلوبنا من وجودنا
 تركنا حظوظاً من حضيض لحوطنا
 ولم نلف كون الكون إلا توهماً
 فرفض السوا فرض علينا لأننا
 ولكن كيف السبيل لرفضه
 فيا قابلا بالوصل والوقفه التي
 تبدت لك الأوهام لما تداخلت
 وسمت بأنوار فهمنا أصولها
 وقد تحجب الأنوار للعقل مثل ما
 بفكر رمى سهما فعلى به عدنا
 يغيب به لدى الصعق إن عنا
 إلى المقصد الأقصى إلى المقصد الأسنا
 وليس بشيء ثابت هكذا ألفينا
 أناس بمحو الشرك والشرك قد دنا
 ورفضه المرفوض نحن وما كنا
 حُجبت بها اسمع وارعوى مثل ما أبنا
 عليك ونور العقل أورثك الشجنا
 ومنبئها من أين كان فما سُمنا
 تبعد من إظلام نفس حوت ظعنا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي النسخ (التشبيب) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، والنسخ . وفي الزيتونة (شردت) .

وأكمل من في الناس لمن صدع الأمانا
لقال لنا الجمهور هانحن ما خبنا
وكم بئمة من قبل ذلك قد جبتنا
فجد السير واستجد العونا
سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنا
سبيل بها يمن فلا تترك اليمننا
عقال من العقل الذى منه قد تبنا
بأوامه قد أهلك الخر واليننا
وحجتنا شلوه ها بها همننا
يود لنا للصعيد قد أخلدنا
كرآ هربن ورؤية ما قلنا
وعقلا وخيرا مقبلا عندما يدنا
له فيه وهو النون فالقلم الأذنا
وحشى لجسم الكل فى وصفه حرنا
حاطته القصبوى التى فيه أحضرنا
يكيف للأجسام من نحلته أيننا
ونحن ونفس الكل فى بحره عمننا
يشكله سر الحروف فحرفنا
ويجمع فرقا من تداخله فرنا
بألفاظ أسمائها شتت المعنا

وأى دجال فى القضية يدعى
قلو كان سر الله يلحق هكذا
وكم دونه من فتنة وبليية
وكل مقام لا تقم فيه إنه حجاب
ولا تلتفت فى السير وكل ما
ومهما ترى كل المراتب تجتلى
وقل ليس لى فى غير ذلك مطلب
وسر نحو أعلام اليمين فإنها
أمامك هول فاستمع لو صيتى
أيام الورى بالمشكلات وقبلهم
محجتنا قطع الحجا وهو حجتنا
يثبتنا عند الصعود لأنه
تلوح لنا الأطواق منه ثلاثة
ويظهر باسمه للسر والنفس مدبرا
ولوح إذا لاحت سطور كتابنا
وعرش وكرسى وبرج وكوكب
تمر خطوط الذهن عند التفاتنا
مقطع بالأزمان للدهر مثل
أقام دوين الدهر مدرة ذاته
وفتق للأملاك جوهره الذى
يفرق مجموع القضية ظاهرا
وعدد شيئا لم يكن غير واحد

ويعرج والمعراج منه ذواته
 فليقل سفلياً ويوهم أنه
 يقدر خلا بعد وصل لذاته
 يحل لها طور المغبة شكله
 ويلحقه بالشرط من مثنوية
 فنحن كئود القز يحضرنا الذي
 فكهم واقف أردى وكم ساير هذا
 وتيم أرياب الهرامس كلهم
 وجرّد أمثال العوالم كلها
 وهام أرسطو حتى مشى من هيامه
 فكان لذي القرنين عونا على الذي
 ويفحص عن أسباب ما قلستيم
 وذوق للحلاج طعم اتحاده
 فقال له ارجع عن مقالك قال لا
 وانطق للشبلي بالوحدة التي
 أقام لذات الصغرى لنا حولها
 وكان خطأ بابين ذاتين من يكن
 فاضمت للحسنى تجريد خلقه
 تشنى قضيب البان من سكر خمرة
 وقد شدّ بالشوذى عن ثوبه
 وأصبح فيه السهر وزدى حائراً
 بعمر بن الفارض الناظم الذي

لتطويره العلوى بالوهم أسرينا
 لسفليه المجهول بالذات أسبطننا
 وفرض مسافات يجد لها للذمنا
 وإن لمعت فيه فيلحقه المفا
 يلوح بها وهو الملوّح والمبنا
 صنعنا بدفع الحضر سجننا لنا منا
 وكم حكمة أبدى وكم مملق أغنا
 وحسبك من سقراط أسكنه الدنيا
 وأبدى لأفلاطون في المثل الحسننا
 وبث الذي ألقى إليه وماضنا
 تبدأ به وهو الذي طلّينه العينا
 وبالبحث غطى العين إذ رده عينا
 فقال لنا من لا يحبط به معنا
 شربت مداً كل من ذاقها غنا
 أشار بها لما معاً عنده الكونا
 يخاطب بالتوحيد إذ رده خلدنا
 فقيراً يرى البحر فيه قد عمنا
 مع الأمر إذا صحت فصاحته لكذا
 وكان كمثل العمر لكنه ثنا
 فلم يمل نحواً حوازي ولا سكن الدنيا
 يصبغ لما يلقى الوجود له أذنا
 تجرّد للأسفار إذ سهل الحزننا

ولا بن قسي خلع نعلي^(١) وجوب
أقام على ساق المسرة نحلته
ولاح سني برق من القرب للسنى
وقد قلد الطوسي بما قد ذكرته
ولا بن طفيل وابن رشد تيقظ
كسأل شعيب توب جمع لذاته
وعنه طوق الطائي بسبط كنانه
تسمى برفع الروح صبراً ولم
وباح به نجل الحر إلى عندما
والأموى النظم والنثر في الذي
وأظهر منه الغافق لما خفا
وبين أسرار العبودية التي
كشفنا غطاء من تداخل سرها
هوانا الدين الحق من قد تولهت
فمن كان يبغى السير للجانب الذي

وليس أختاً طلب من المجد قد تبنا
لمن زمن الأسرار فاستمطر المزننا
لنجل ابن سينا الذي ظن ما ظننا
ولكنه نحو التصوف قد خنا
رسالة يقظان^(٢) اقتضت فتحه الجفنا
فجر على حساده الذليل والوذنا
بلسكرة الخلاع إذا ذب الوهنا
يبيل ما يهزندا في المقام ولا قرنا
رأى كتمه ضعفا وتلويحه غينا
ذكرنا وإعراب كما عنه أعربنا
وكشف عن أطواره الغيم والذنا
عن إعرابها لم ترفع اللبس واللخنا
فاصبح ظهراً مارأيتم له بظنا
لقربه ألبابنا ولسه هدنا
تقدس لازياً خذنه عنا

وهذه القصيدة غريبة المنزع ، وإن لم تخل عن شذوذ من جهة
اللسان ، وضعف في الصناعة ، أشار فيها إلى مراتب الأعلام من أهل هذه
الطريقة . وكأنها مبنية على كلام شيخه الذي خاطبه به عند لقائه حسبما

(١) يشير هنا إلى كتاب « خلع النعلين » الذي وضعه الداعية المتصوف الأندلسي أحمد بن الحسين بن قسي النائر في أحواز شلب (بالقرب الأندلسي) ضد المرابطين سنة ٥٢٩ هـ ، ومؤسس طائفة المرينيين الشهيرة .

(٢) يشير هنا إلى رسالة « حى بن يقظان » الشهيرة التي وضعها الفيلسوف والطبيب الأندلسي ابن طفيل القيسي . وقد ترجم له ابن الخطيب في المجلد الثاني من « الإحاطة » (ص ٤٧٨ - ٤٨٢) .

قدمنا ، إذ الحسنى الجنة ، والزيادة مقام النظر ، فقوله أرى طالبا منا الزيادة لا الحسنى ، إشارة إلى ذلك والله أعلم . والغافق الذى ختم به هو شيخنا أبو محمد ، وهو مرسى الأصل غافقية ، رحم الله جميعهم ، ونفعنا بأولى الحظوة لديه .

نثره

وكلامه حسن ، ومقاصده غريبة ، رضى الله عنه ، ونفع به . كتب إليه الشيخ الصوفى أبو على بن تاذررت لما سافر ولم يودعه ، وكان قد قال له ، أغيب عنكم أياما قلائل ، وأعود إن شاء الله فابطأ عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الله وحده فقط ليس إلا وصلواته على ملاه المقرب الأعلى ، وعلى سيدهم الخاتم محمد وآله الهداة ، وسلامه الحق يخص العليم بسرّه ، فى عالم الفرق ، ورحمته وبركاته ، من أخيه حقيقة فى العوالم الأول ، لافى عالم العلم الحق ، من حيث هو موضوعه بحسب الإضائية ، بمنزله من مدينة بنى مدار عمرها الله وأرشدهم ، وليس إلا أنى نعتبكم عرفاً وعادةً ، لسفركم دون موادة ، بخلاف سيرتكم الأولى من المشرق الأقصى ، إلى المغرب الأقصى ، وأما بكون حقيقة الأمر الموحد فلا عتب ، بل نقرأ على الماهية سورة الإخلاص ، التى توحيدها المحض أحاط وأحصى . ثم وعدتم أنكم ولا بدلاتطول إقامتكم ببجاية كلاًها الله ، لإلبيال قليّة العدد ، تأخذون فيها كتبكم وتنفصلون قافلين فى أسرع أمد . ثم ظهر غير ذلك من الإقامة إلى هذه المهلة ، التى نبا كما عندنا الزمان . وقد ورد من أناس بالتواتر ، أنكم ولا بد تصومون هنالك رمضان المعظم على الأمان ، فقلنا لحظ البشرية الحيوانية . وعلمنا أن الأمر ليس سراً لأجل القضايا الحكّمية الطلّبية ، والمقادير العلمية السريّة . ولا

تتحرك ذرة الا باذنه ، ولا يُسل عما يفعل ، وهم يُسئلون في دهره وزمنه ،
 يمحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب . ولكننا أيضاً نقرأ ، والله
 لا يخلف الميعاد . وقد يكون غير الوفاء بالعهد في الخلف لمصالح فيها
 وعد الله ، لا يخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهراً
 من الحياة الدنيا ، والله يفعل ما يشاء . ولا تكن معترضا . فلا تلوم إلا
 بحسب فرقنا الأول . وأما من حيث الكمالات الثواني والأول ، فلا لوم
 ولا عتب ، لرفع المثوية ، وإحالة الكثرة والإضافة ، حتى ليس إلا
 الوحدة العلمية المعنوية العلية . وبالجملة الله معكم . ولن يتركم أعمالكم
 فإن ما يرفع العمد والعماد . قال الله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ، وهو
 معكم أينما كنتم ، والله عليم بما تصنعون . والرغبة إلى ذاتكم الكاملة
 الوجودية ، ذات الكمالات العلمية القدسية ، أن تعجلوا لي ، إذ وأنتم
 مقيمون هنا لك .

وأين يجد في عليين غرفة وإن شغلتم عن نسخها
 والحق لا يشغله شأن عن شأن ، فوجهوا إلى بها بعض الفقراء
 والإخوان ، وأنا أقسم عليك في ذلك يا أخي وسيدى بالسر فقط الذي
 يشغله أبدا سرمد الله فقط ، وأن تعجل لي بذلك ، وتحيى مواتي ،
 وتجمع أشتاتي ، مع كلام تعتنوا لي به من كلامكم تخصوني به في كراس
 مبارك ، علمني الله العليم الحكيم منكم سر علمه العظيم ، وحكمته المحيطة ،
 وكفانا سر هذه العوالم الأرضية المركبة الحطيطه ، ونقلنا من البسيطة لغة
 إلى العوالم الرئيسة النفيسة البسيطة ، ويرقينا به عنها إلى أن نتصل
 الحظ المنفصل للتدبير بنقطته الأولى . وإن كان في الحقيقة . ما انفصل ،
 ويدخلها حضرة علمنا المحيط الوجودي ، الذي ليس وراءها محيط

إليه يُرقي ويتصل . والسلام الحقُّ محض مظهره ومجلاه ومرآته ، ورحمة الله وبركاته .

فراجعه الشيخ أبو الحسن الشَّشْتَرِي المترجم به رضى الله عنه بما نصه :
بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على النبي محمد ، المرسل بالحق لإدحاض الشك ، وإيضاح الغلط ، الموصل على أقرب السبيل للحضرة الآلمية ، ومن شَطَط المختص بجوامع الكلم ، المبتكت لكل من موه وسَفَسَط ، المبعوث بكلمة الإخلاص ، التى حاصلها الله فقط ، ورضى الله عن مَظْهَر الوراثة المحمدية فى كل زمان ، المترجم عن كَنز الوجود الذى طَلَّسَه الإنسان ، وسلام الله ورحمته على المستمع بأذن أنيته لذلك التُّرْجَمَان ، المُتَجَوِّه بمقام الإسلام والإيمان والإحسان ، القارى على أخباره المنبعثة فى أرض فرقة ، كلُّ من عليها فان ، بالمعنى الفقير الباطن ، للسيار الظاهر ، المشير الحاييم على سلب الإسمين ، الدائر على دايرة قاب قوسين . المشهور فى العالم الأول ، بأبى على الحسين من خبر ماسية ، الوارث الطالب لذاته بها للوصول له . وهو به عنه باحث ، المنظور فى ذات كمالاته ، المنعوث بالوافية لا بالناكث ، المعتصم بحبل التحقيق ، القايل بالحق ، عبده على الشَّشْتَرِي ، ابن إفادتكم عبد الحق بن سبعين ، أما قبل من حيث الأصل ، ومع من حيث الوصل ، وبعد من حيث الفصل ، فإنى أقسم بالبدر إذا أدبِر ، والصُّبْح إذا أسْفَر ، أن النصاب واقع من حيث الصور ، لامن حبة حقيقة المظهر . فاين هنا أنت أو أنا ، أو قبل أو بعد أو هند أو دَعْد ، أو خِلْف أو وَعْد ، ولا بد من المراح فى ميدان الخطاب وبيان المُتَشَابِه عليكم ، المُودَع عليكم ، فى هذا الكتاب . فأول عايق عنكم مرض أحد الأصحاب ، ولا انفكاك عند وجود هذه القضية ، عند كل طايفة سنية ، فماظنك بالسبعينية ، هذا مع وجود وعد مُبين ،

وزمان مُعينٌ . ونحن لم نُعينَ للموضوع وقتاً ، ولو عينا لكبر عند الله مقْتاً . وإنما قلنا أيام قلائل ، ويدخل في ذلك الجمعة والشهر والعام القابل . بل برزخ العالم وإنياه عند النحرير العاقل . ثم لو عينا يوماً أو يومين أو جمعيتين ، ولم يكن ، فقلبُ المؤمن بين إصبعين . أما علمت أن الوعد المزعوم المراد منه الذي تتضمنه ، صَعَقَه العمود بالبُعد أو بالتواني أو بالحواس أو بالمعاني . والمُسْكِر هو الجربال لا الأواني . وأما قضية الوداع ، فقد ارتفع بين الفقراء فيها النزاع ، ووقع من الصوفية في ذلك الإجماع ، أن الاجتماع من غير ميغاد ، والافتراق عن غير مشورة ، وقول أنه من حيث المذهب لازم بالضرورة ، فإن المودع لا يخلق أن يكون من تربة الفرس والسبع ، أو في مقام الفردانية والجمع ، أو في البرزخ الذي بين المقامين ، المُعَبَّر عنه عند الصوفية بالفناء . فإن كان في الوترية ، فلا أنت ولا أنا ، ولا مُودِع ، ولا مودَّع ، وقلَّة العتب لهذا أليق وأطبع . وإن كان في برزخ الفنا ، فمن المودع هنا ، وإن كان في الفرق هنا . وإن كان في الفرق ، فترك المودع أقرب إلى الحق لألم التفرقة ، الموجود المحسوس ، المُعْتَرَض عند ذلك للنفوس . واعلم أن الانفصال كان بالطريق عند من يرى بالانفصال والاتصال ، ولا نُقْلَة عند ذوى الاتصال . وأما نكرة عَرِفة فهي عند الشيخ أبي عبد الله التوزري لاعندي ، ولو كانت ما صُنِّت بها بحمد الله لا يحمدى . والسلام على موضوعك ومحمولك وسُلوكتك ووضوكتك ، وجمعك وفرقتك ، وعبوديتك وحقك ، بل على جَمَلته الصالحة ، ورحمة الله وبركاته .

وفاته

قالوا إنه لما وصل بالشام إلى ساحل دمياط ، وهو مريض مرضه الذي

توفى منه ، نزل قرية هناك على ساحل البحر الرومي يُصَاد فيها السمك ، وقال ما اسم هذه القرية ، فقيل الطينة ، فقال حنّت الطينة إلى الطينة ، ووصى أن يدفن بمقبرة دمياط ، إذ الطينة بالمقبرة بالساحل ، ودمياط أقرب المدن إليها ، فحمله الفقراء على أعناقهم ، فتوفى بها يوم الثلاثاء سابع عشر صفر عام ثمانية وستماية ، ودفن بمقبرة دمياط .

وفي سائر الأسماء من حرف العين

الأعيان والوزراء والأماثل والكبراء

عامر بن محمد بن علي الهتائي

رئيس مَثَبُوا قبيله من جبل درن ، ومزوار المصامدة ، والمطلقة يده على جباية الوطن المراكشي ، يكنى أبا ثابت .

حاله

هذا الرجل حسن الشكل ، حصيف العقل ، ثابت الجأش ، معروف الأمانة والصدق ، عفيف الفرج ، مؤثر للجد ، ماضى الحذر بأهل الحكم ، نزيه اليد ، مشهور بالرجاحة ، عين من عيون الحدود الغربية ، وبقية من بقايا الجلة العلمية ، مُسَدِّد اللسان للإبانة عن الأغراض ، مختصر البزة والحطية ، متوسط الجود ، مؤثر للخصوصية ، بعيد النظر ، سديد الرأي .

قدِمْتُ عليه بمحله من الجيل ، زائرا مُتَوَفِّ السُلطان أبي الحسن ، مستجيراً حِمَاهم ، فَبَلَوْتُ من برّه ، وبر الرئيس الندي عبد العزيز أخيه ، ما تَقْصُر عنه همم الملوك ، وتقف دونه آمال الأشراف ، تلقياً واحتفالاً وفرشاً ، وآنية ، وطعاماً ، وصلة ، وانتخاباً ، واحتشاماً .

والطافا ، حسبما يتضمن بـُسط ذلك كتاب «الرحلة»^(١) من تأليفى .

وأنشدهم عند رحيلى ، وقد رأيت إلى ما يُبقى الذكر ويخلد الآثار

شيم السادة ، ودَيْدن الروساء :

ياحسَنها من أربُع وديار	أضحت لباغى الأمن دار قرار
وجبال عزٍّ لا تَذلُّ ^(٢) أنوفها	إلا لعزِّ الواحد القهار
ومقر توحيد وأسُّ خلافة	آثارها تُنبى عن الأخبار
ماكنت أحسب أن أنهار الندى	تجرى بها فى جُملة الأنهار ^(٣)
ماكنت أحسب أن أنوار الحجا	تلتاح فى قُنن وفى أحجار
نَجَّت جوانبها البرود وإن تكن	شَبَّت بها الأعداء جَذوة نار
هدَّت بناها فى سبيل وفائها	فكأنها صرعى بغير عُقار
لما توعدّها على المجد العدا	رَضِيَتْ بعيث النار لا بالعار
عَمَرَتْ بحِلَّة عامر وأعزّها	عبد العزيز بمرهف بتار
فرسًا رهان أحززا قَصَب الندى	والبأس فى طَلق وفى مضمار
ورثا عن الندب الكريم ^(٤) أبيهما	محض الوفاء ورفعة المقدار
وكذا الفروع تطول وهى شبيهة	بالأصل فى وِرَق وفى أثمار
أزرت وجوه الصيد من هنتاتة	فى جوها بمطالع الأقمار

(١) لا يوجد بين كتب ابن الخطيب كتاب خاص بعنوانه «الرحلة» ولكنه يقصد بالرحلة هنا ما ورد فى أوائل كتابه «نفاضة الجراب فى علالة الإغتراب» (السفر الثانى مخطوط الإسكوريال). من وصف لرحلته فى عمالات المغرب الغربية . وقد فقدت من هذا المخطوط الصحف الأولى التى تضم بداية الرحلة . وهى تبدأ فى النفاضة بزيارته لجبل هنتاتة وزعمائه (وفى النص المطبوع بعناية الدكتور أحمد مختار العبادى القاهرة - ص ٤٣ وما بعدها) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (تمز) . والتصويب من نفاضة الجراب وأزهار الرياض .

(٣) هذا البيت وارد فى نفاضة الجراب وأزهار الرياض وساقط فى الإسكوريال .

(٤) هكذا فى الإسكوريال والنفاضة . وفى أزهار الرياض (الكبير) . والأولى ارجح .

لله أي قبيلة تركت لها
 نصرت أمير المسلمين وملكه
 وآوت^(١) علياً عند ما ذهب الردى
 وتحاذل الجيش اللهم وأصبح
 كُفرت صنائعه فيم دارها
 وأقام بين ظهورها لا يتقى
 فكانها الأنصار لما آتست
 لما غدا لحظاً وهم أجفانه
 حتى دعاه الله بين بيوتهم
 لو كان يُمنع من قضاء الله ما
 قد كان يأمل أن يكافي بعض ما
 ما كان يُقنعه لو امتدّ المدا
 فيعيد ذاك الماء ذائب فِضة
 حتى تفوز على النوى أوطانها
 حتى يلوح على وجوه وجوههم
 ويسوغ الأمل القصى كرامها
 ما كان يُرضى الشمس أو بدر اللجا
 أو أن يتوج أو يقلد هامها
 حق على المولى ابنه إيثار ما
 فلمثلها ذخر الجزاء ومثله

النظراء دعوى الفخر يوم فخر
 قد أسلمته عزائم الأنصار
 والروع بالأسماع والأبصار
 الأبطال بين تقاعد وفرار
 مُستظهِرا منها بعز جوار
 وقع الردى وقد ارتمى بشرار
 فيما تقدم غربة المختار
 نابت شفارهم عن الأشفار
 فأجاب مُمثلاً لأمر البار
 خلصت إليه نوافذ الأقدار
 أولوه لولا قاطع الأعمار
 إلا القيام بحقها من دار
 ويعيد ذاك التراب ذوب نضار
 من ملكه بجلايل الأوطار
 أثر الرعاية^(٢) ساطع الأنوار
 من غير ما تُنيا ولا استعصار
 عن دِرهم فيه^(٣) ولا دينار
 ونحورها بأهله ودرارى
 بذلوه من نصر ومن إيثار
 من لا يضيع صنائع الأحرار

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النفاضة (آوت) . وفي الأزهار (وارت) .

(٢) هكذا في الإسكوريال والنفاضة . وفي الأزهار (المناية) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والنفاضة . وفي الأزهار (فيهم) .

وهو الذي يقضى الديون وبره^(١) يُرضيه في عَلمٍ وفي إسرار
 حتى تحج محلة رخصوا بها علمَ الوقاء لأعين النظر
 فيصير منها البيت بيتا ثانيا للطائفين إليه أي بمدار
 تُغني قلوب القوم عن هدى به ودموعهم تكفي لرثي جمار
 حُبب من دارٍ تكفل سعيها المحمود بالزلفى وعُقبى الدار
 وُضفت عليك من الآله عناية باكر ليل فيك إثر نهار^(٢)

دخوله غرناطة

دخل الأندلس ، وحلَّ بغرناطة في حدود خمسين وسبعمائة ، وأقام بها أياما ، وقد أسند إليه السلطان أبو الحسن المارحل عن إفريقية حفظ حرمة وأسبابه ، في مراكز كان استقرارها بسواحل الأندلس ، وحضر مجلس السلطان ، فراق الحاضرين مدقاه ، وضمَّ لسانه لأطراف الحديث ، وحسن تبويبه للأغراض . ولهذا الرجل في وطن المغرب ذكر بعيد ، وقد أمسك الأمر مرات ، على من استقر لديه من ولد السلطان ، ورتب له الألقاب والترشيح يُغازله بذلك الوطن . وتنوعت الحال بهذا الرجل ، من بعد وفاة السلطان أبي سالم ملك المغرب ، وانحاز إليه ولده فقام بدعوته ، ورتب له الألقاب بوطن مراکش ، ونظر لنفسه أثناء ذلك ، فخصن الجبل ، واتخذ به القلعة ، وأكثر الطعمة والعُدَّة ، فلما حاقت بأميره الدُّبرة ، لجأ إلى ما أعدّه ، وهو الآن يُزجى الوقت مهادنة تشف عن انتزاعه ، والله يهيئ له الخلاص من الوُرطة ، ويتيح له إلى حزب السلامة الفيئمة .

(١) هكذا في الإسكوريال والأزهار . وفي النفاضة (مثله) .

(٢) وردت هذه القصيدة في كتاب (نفاضة الجراب) مخطوط الإسكوريال رقم ١٧٥٥

الغزيري لوحة ١ - ب و ١٢ . وفي نفع الطيب (ج ٤ ص ٢٥) . وفي أزهار الرياض ج ١ ص

ومن الطاريين في القضاة والغرباء
عاشر بن محمد بن عاشر بن خلف بن رجا^(١) بن حكم الأنصاري
بياسي^(٢) الأصل

حاله

كان رحمه الله فيها حافظا للمسائل ، مُفتيا بالرأى ، معروفا بالفهم
والإتقان ، بصيراً بالفتوى ، شُور ببلده وببلنسية ، واستقضاه أبو محمد
ابن سَمْحون على باغَة^(٣) أيام قضاية بغرناطة . إذ كان يكتب عنه ويلازمه ،
ثم استُقضى بمُرسية أعادها الله . وكان حافظ وقته ، لم يعاصره مثله .

مُشِيخته

روى عن أبيه ، وتلا بالسبع على ابن ذرّوة المُرادى ، ولقى أبا القاسم
ابن النحاس ، وأخذ الحديث عن أبي بحر الأسدي ، وأبي بكر بن العربي ،
وأبي جعفر بن جحدر ، وأبي الحسن بن واجب وغيرهم .
مولده : ببياسة سنة أربع وقيل ست وثمانين وأربعمائة .
وفاته : توفي بشاطبة ، تسع وستين وخمسمائة .

توالياه

شرح المُدونة مسألة مسألة ، بكتاب كبير سماه « الجامع البسيط » ،
وبغية الطالب النشيط « حشد فيه أقوال الفقهاء » ، ورجح بعضها ،
واحتج له . قالوا ، وتوفي قبل إكماله .

(١) وردت في الإسكوريال (مرجا) . ونعتقد أن التصويب أرجح .
(٢) بياسي أى من أهل مدينة بياسة وبالإسبانية Bacza . وقد سبق التعريف بها (راجع المجلد
الثالث من الإحاطة ص ٢٣١ و ٤٠٤ حاشية) .
(٣) باغَة و بالإسبانية Priego سبق التعريف بها (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٥٠٩
حاشية والمجلد الثالث ص ٥٢٧ حاشية) .

عياض بن محمد بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي

من أهل سبتة ، حفيد القاضي العالم أبي الفضل ، يكنى أبا الفضل .

حاله

من « الصلّة » : كان من جلة الطلبة ، وذوى المشاركة فى فنون من العلوم العقلية وغيرها ، فصيحاً ، شاعراً ، لساناً ، مفوهاً ، مقداماً ، موصوفاً بجزالة وحدة ، امتحن بسببها . وكان مع ذلك كثير التواضع ، فاضل الأخلاق ، سريراً ، مشاركاً ، معظماً عند الملوك ، مُشاراً إليه ، جليل القدر . حضر الأندلس أيام قضاء أبيه بقرناطة ، وغير ذلك الوقت ، وجال فيها ، وأخذ بقرطبة وإشبيلية وغيرهما ، واستقر أخيراً بمالقة ، وتأنل بها وبجاراتها أصول أملاك إلى ما كان له .

مشيخته

روى عن أبيه أبي عبد الله ، وعن أبي محمد بن عبد الله ، وأبي بكر ابن الحداد القاضي بسبتة ، وأبي القاسم بن بشكوال ، وابن حبّيش ، وابن حميد ، وأبي بكر بن بيبش الشلطيشى وغيرهم .
من روى عنه : قال الأستاذ ، روى عنه جماعة ممن أخذت عنهم ، منهم ابنه أبو عبد الله قاضى الجماعة ، وأبو العباس بن فرتون ، أخذ عنه كثيراً بمدينة فاس .

مولده

قال صاحب « الذيل » . سألته عن مولده : فقال ولدت فى اليوم التاسع عشر من محرم عام واحد وستين وخمسمائة بمدينة سبتة .
وفاته : توفى فى العشر الوسط من جمادى الآخرة عام ثلاثين وستماية عالقة . وروضته بها فى جنة كانت له برَبِّضِها الشرقى . رحمه الله .

عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض

ابن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي

القاضي الإمام المجتهد ، يكنى أبا الفضل ، سبى الدار والميلاد ،
أندلسي الأصل ، بسطيه (١) .

أوليته

من كتاب ولده في مآثره ، وهو كُنَّاش نبيه ، قال ، استقرَّ أجدادنا
في القدم بالأندلس بجهة بسطة ، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس . وكان لهم
استقرار في القيروان ، لا أدري قبل حلولهم بالأندلس أو بعد ذلك .
وكان عمرو بن رجلا خيارا من أهل القرآن ، وحجَّ إحدى عشرة حجة ،
وغزا مع ابن أبي عامر غزوات كثيرة . وانتقل إلى سبته بعد سكنى فاس .
وكان موسيرا ، فاشترى بها من جملة ما اشتراه الأرض المعروفة بالمنارة ،
فبنى في بعضها مسجدا ، وفي بعضها ديارا حبسها عليه ، وهو الآن
منسوب إليه ، ووُلد له ابنه عياض ، ثم ولد لعياض ابنه موسى ثم ولد
لموسى القاضي أبو الفضل المترجم به .

حاله

قال ولده في تأليفه النبيل : نشأ على عفة وصيانة ، مرضى الخلال ،
محمود الأقوال والأفعال ، موصوفا بالنبل والفهم والحدق ، طالبا للعلم ،
حريصا عليه ، إلى أن برع في زمانه ، وساد جملة أقرانه ، فكان من
حُفاظ كتاب الله ، مع القراءة الحسنة ، والنغمة العذبة ، والصوت
الجهير . والحظ الوافر من تفسيره وجميع علومه . وكان من أئمة الحديث
في وقته ، أصوليا متكلمًا ، فقيها حافظا للمسائل ، عاقدا للشروط ،
بصيرا بالأحكام ، نحويا ، ريان من الأدب ، شاعرا مجيدا ، كاتبًا غالبا

(١) بسطيه نسبة إلى مدينة بسطة ، وبالإسبانية Baza . وقد سبق التعريف بها (راجع المحل
الأول من الإحاطة ص ١٠٩ حاشية) .

بليغا ، خطيبا ، حافظا للغة والأخبار والتواريخ ، حسن المجلس ، نبيل النادرة ، حلو الدُّعابة ، صبوراً ، حلماً ، جميل العشرة جواداً ، سَمِحاً ، كثير الصَّدقة دروباً^(١) على العمل ، صلباً في الحق .

رحلته وولايته

ومنشأ أمره . رحل إلى الأندلس سنة سبع وخمماية ، فأخذ بقرطبة ومرسية وغيرها ، ثم عاد إلى سبتة ، فأجلس أهلها للمناظرة عليه في « المُدونة » ، وهو ابن ثلاثين سنة أو ينيف عليها . ثم جلس للشورى . ثم ولى القضاء ، فسار في ذلك حسن السيرة مشكور الطريقة . وبنى الزيادة الغربية في الجامع الأعظم . وبنى بجبل الميناء الرابية الشهيرة ، وعظم صيته . ثم نُقل إلى غرناطة في أول صفر سنة إحدى وثلاثين وخمماية ، فتقلد حُطَّة القضاء بها . ثم ولى قضاء سبتة ثانية . ولما ظهر أمر الموحدين بادر بالمسابقة إلى الدخول في طاعتهم ، ورحل إلى لقاء أميرهم بمدينة سلا ، فأجزل صلته ، وأوجب بره ، إلى أن اضطربت أمور الموحدين عام ثلاثة وأربعين وخمماية ، وحدث على من كان بقصبتها منهم ما هو معلوم من التغلب عليهم واستئصالهم ، ثم من رجوع أمورهم ، فالتأثت حاله ، ولحق بمراكش مُشرداً به عن وطنه ، فكانت بها وفاته .

مشيخته

ورتبهم ولده حسبما نقل من فهرسته على الحروف . فمنهم أحمد بن محمد بن بقى ، وأحمد بن سعيد بن مستقر ، وأحمد بن محمد بن مكحول ، وأحمد بن محمد السلفى ، الشيخ أبو الطاهر ، وأحمد بن محمد بن غلبون

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (كروبا) .

ابن اليحصار ، وأحمد بن محمد بن عبد العزيز المرحى ، إلى غيرهم من جملة سبعة عشر رجلا ، والحسن بن محمد الصدقي بن سُكْرَةَ ، والحسين بن محمد الغساني ، والحسين بن عبد الأعلى السفاقي ، والحسن ابن علي بن طريف ، وخلف بن إبراهيم بن النحاس ، وخلف بن خلف الأنصاري ابن الأتقر ، وخلف بن يوسف بن فُرتون ، ومحمد بن عيسى التجيبي القاضي ، ومحمد بن علي بن حمدين القاضي ، ومحمد بن أحمد التجيبي القرطبي القاضي ابن الحاج . ومحمد بن أحمد بن رشد ، ومحمد بن سليمان التَّفْزِي ابن أخت غانم . وأجازه محمد بن الوليد الطُّرطوشي ، ومحمد بن علي بن عمر المازري ، ومحمد بن عبد الله المعافري القاضي ابن العربي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن شيرين القاضي ، ومحمد ابن علي الأزدي الخطيب الطُّليطلي ، ومحمد بن علي الشاطبي ابن الصقيل ، إلى غيرهم من جملة أحد وثلاثين شيخا . وعبد الله بن محمد الخشني ، وعبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ، وعبد الله بن محمد بن أيوب الفهري ، وعبد الرحمن بن محمد السبتي ابن العجوز ، وعبد الرحمن ابن محمد بن بقي ، وعلي بن أحمد الأنصاري ابن الباذش ، وعلي بن عبد الرحمن التجيبي ابن الأخضر من جملة من سبعة وعشرين . وغالب ابن عطية المحاربي ، وسراج بن عبد الملك بن سراج أبو الحسن ، وسفيان ابن العاصي الأسدي ، من جملة خمسة من الأشياخ في هذا الحرف . وشُريح بن محمد الرعيني الإشبيلي ، وهشام بن أحمد القرطبي أبو الوليد ابن العواد ، وهشام بن أحمد الهلالي الغرناطي ، ويونس بن محمد بن مغيث ابن الصفار ، ويوسف بن موسى الكلبي ، سمع منه أرجوزته ، ويوسف ابن عبد العزيز بن عتريس الطليطلي .

شعره

قال ، مما كتبه من خطه :

أعوذ بربي من شر ما
وأسئله^(١) رحمة تقتضي
فما للخلان من ناره
سوى فضل رحماه من جنة

ومن شعره ، قال أنشدنيه غير واحد من أصحابنا ، فوارحمه الله عليه :

أذات الخلال كم ذاتتضيها
بمطلق لي مواعد أقتضيها
فقتضى وعدم مطلق وانجزيه
على سيوف عينك انتضاه
من التوريد واللمس اقتضاه
خيأ الناس أحسنهم قضاة

قال ، وبما كتبه من خطه :

يا من تحمّل عنى غير مكترث
تركنتى مستهام القلب ذا خوف
أراقب النجم فى جنح^(٢) اللجا ولها
وما وجدت لذيذ النوم بعدكم
ومن ذلك قوله رحمه الله :

الله يعلم أنى منذ لم أركم
فلو قدرت ركبى المريخ نحوكم
قال ، وكتبت من خطه :

يا راحلين وبالفؤاد تحمّلوا
أما الفؤاد فعندكم أنبساؤه
أترى لكم قبل الممات قفول
ولو اعج تننابه وغليل

(١) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (واسك) والأولى أرجح .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (ليل) .

فترى لكم عِلْمٌ بِمَنْتَزَحِ الكرى عن جَفْنٍ صَبَّ ليله ، ووصول
 أودى بعزته صبره وإبسايه طرفُ أصمٍّ ومبسمٍ مصقول
 ما ضرَّكم وأضنَّكم بتحية يحيي بها عند الوداع قَتِيل
 إن الخليل^(١) بلحفه أو لفظه أو عطفه أو وقفه لبخيل

ومما نسبة إليه الفتح وغيره ، ومن العجب إغفال ولده إياه ، قوله يصف
 الزرع والشقائق فيه :

أنظر إلى الزرع وخاماته تحكى وقد ماست أمام الرياح
 [كثيبة خضراء]^(٢) مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

نشره

وهو كثير . فمن خطبه ، وكان لا يخطب إلا بإنشائه :
 الحمد لله الذى سبق كل شئ ، وقدم ، ووسع كل شئ ، رحمة وعلماً
 ونِعْمًا ، وهدى أوليائه ، طريقاً نهجاً أماً ، وأنزل على عبده الكتاب ،
 ولم يجعل له عوجاً قيماً ، لينذر بأساً شديداً من لدنه ، ويبشر المؤمنين
 الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ، ما كثر فيه أبداً . أحمده
 على مواهبه ، وهو أحقُّ من حمد ، وأسأله أن يجعلنا أجمع ، ممن حظى
 برضاه وسعد ، وأستعينه على طاعته ، فهو أعزُّ من استعين واستنجد ،
 واستهديه توفيقاً ، فإن من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضل فلن تجد له
 ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، شهادة فاتحة
 لأقوال قلوبنا ، راجحة بأثقال ذنوبنا . منزّهة له عن التشبيه والتمثيل

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (النجيل) والأول أرجح .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والزيتونة . ووردت في قلائد القيان كالأقوال

(كتابنا تجفل) .

بنا ، وأنه تعالى جدُّ ربنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولدا . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أنزل عليه الفرقان ، وبعثه بالهدى والإيمان ، وأغزى بدعوته دعوة أولياء الشيطان ، وأبعدهم مقاعد عن السمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا .

أيها السامع ، قد أيقظك صرف القدر من سنة الهوى وتياراته ، ووعظك كتاب الله بزواجره وعظاته ، فتأمل حدوده . وتدبر مُحكم آياته ، واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته، ولن تجد من دونه مُلتحدا . أين الذين عتوا على الله ، وتعظّموا واستطالوا على عباده وتحكّموا ، وظنوا أنه لن يقدر عليهم حتى اضطلموا . وتلك القرى أهلكتهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا . غرهم الأمل وكواذب الظنون ، وذهلوا عن طوارق القبر^(١) ورب المنون . وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون . حتى إذا رأوا ما يوعدون ، فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً . فهذبوا رحمة الله سبورا كما يتقوى الله واخلصوا ، واشكروا نعمته ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، واحذروا نعمته واتقوه . ولا تعصوا ، واعتبروا بوعيده . قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى . وانفضوا لطاعته الهمم العاجزة ، واركضوا في ميدان التقوى ، وحوزوا نصب خصله العابرة^(٢) ، وادخروا ما يخلصكم يوم المحاسبة والمناجزة ، وانتظروا قوله ، يوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة ، وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ، ذلك يوم تذهل فيه الأبواب ، وترجف القلوب رجفا ، وتبدل الأرض وتنسّف الجبال نسفاً ، ولا يقبل الله فيه،

(١) وردت في الإسكوريال (النير) ، وفي الزيتونة (العين) . ونعتقد ان التصويب انسب

لسياق .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الفايدة) .

من الظالمين عدلاً ولا صرّفاً . ونحشر المجرمين يومئذ زُرْفاً ، وعرضوا على ربك صفاً ، لقد جثتمونا كما خلقناكم أول مرة ، بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً ، اللهم انفعنا بالكتاب والحكمة ، وارحمنا بالهداية والعصمة ، وأوزعنا شكر ما أوليت من النعمة . ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيئ لنا من أمرنا رشداً .

توالياه

مما أكمله وقرأ عليه كتاب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » ستة أجزاء ، وكتاب « إكمال المعلم في شرح مسلم » تسعة وعشرون جزءاً . وكتاب « المُستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة » عشرة أجزاء . وكتاب « ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك » خمسة أسفار ، ولم يسمعه . وكتاب « الإعلام بحلود قواعد الإسلام » . وكتاب « الإلماع في ضبط الرواية وتقديد السماع » سفر . وكتاب « الرأيد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد » . وكتاب خطبه سفر . وكتاب المعجم في شيوخ أبي سكرة . وكتاب الغنية في شيوخي ، جزء . ومما تركه في الأبيضة كتاب « مشارق الأنوار على صحيح الآثار » ستة أجزاء ضخمة ، وهو كتاب جليل . وفيه يقول الشاعر :

مشارق أنوار تبذت بسببته ومن عجب كَوْن المشارق بالغرب
 وكتاب « نظم البرهان على صحة جزم الأذان » جزء . وكتاب « مسألة الأهل المشروط بينهم التزاور » جزء . ومما لم يكمله « المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان » . وكتاب « الفنون الستة في أخبار سبته » . وكتاب « غنية الكاتب وبغية الطالب » في الصدور والترسيل . وكتاب « الأجوبة المُحجّرة على الأسئلة المتخيرة » وجدت منها يسيراً فضمّته إلى ما وجلته في بطايقه

وعند أصحابه . يقول هذا ولده من معان شاذة في أنواع شتى سئل عنها
رحمة الله عليه . فتأجاب جمعت ذلك في جزء . وكتاب أجوبة القرطبيين
وجدتها بطابق ، فجمعتها مع أجوبة غيرهم . وأجوبته مما نزل في أيام
قضايه ، من نوازل الأحكام في سفر ، وكتاب «سر السراة في أدب القضاة» .

نبد من أخباره

وأولا في ثناء الأعلام عليه . قال ولده ، أخبرني ابن عمي الزاهد ،
أن القاضي أبا عبد الله بن حمدين كان يقول له وقت رحلته إليه ،
وحتى يا أبا الفضل إن كنت تركت ^(١) بالمغرب مثلك . وقال ، وأخبرني
أن أبا الحسين بن سراج قال له ، وقد أراد الرحلة إلى بعض الأشياخ ،
فهو أحوج إليك منك إليه ، وقال إن الفقيه أبا محمد بن أبي جعفر
قال له ، ما وصل إلينا من المغرب مثل عياض . وأمثال ذلك كثير ، ومن
دُعابته ، قال بعض أصحابنا صنعت أبياتا تغزلت فيها ، والتفت إلى
أبيك رضى الله عنه ثم اجتمع بي ، قاستنشدني إياها ، فوجئت ، فغزم
على فأنشدت :

أيامكثرا صدى ولم أت جفوة وما أنا عن فعل الجفاء براض
سأشكو الذى توليه من سوء عشرة إلى حَكَم الدنيا وأعدل قاض
ولا حَكَم بينك أرتضى قضاياه فى الدينا سوى ابن عياض
قال فلما فرغت حسن ، وقال متى عرفتنى قواداً يا فلان ، على طريق
المداعبة . وأخباره حسنة وفضايله جمعة .

مولده : بسبته حسبما نقل من خطه في النصف من شعبان عام سنة
وسبعين وأربعمائة .

(١) هذه الكلمة واردة بالزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

وفاته : توفي بمراكش ليلة الجمعة نصف الليلة التاسعة من جمادى
الآخرة من عام أربعة وأربعين وخمسمائة . ودفن بها في باب إيلان من داخل
السور .

عقيل بن عطية بن أبي أحمد جعفر بن محمد بن عطية القضاة

من أهل طرطوشة ، يكنى أبا المجد

حاله

كان قعيها منطرفاً في فنون من العلم ، متقناً لما يتناوله من ذلك ،
حسن التهلي ، من بيت طلب . وقد تقدم ذكر جده الأستاذ . وولي عقيل
قضاء غرناطة وسجلماسة .

مشيخته

روى عن أبي القاسم بن بشكوال . قرأ عليه وسمع ، وتناول من يده ،
وأجازله . وقفت على ذلك بخطه .

شعره

أنشد في «الذيل»^(١) قوله ، مما نظمه لجماعة من السادة :

ملوك دون بابكم وقُصوف	سَطَّتْ بهم الحوادث والصُروف
أذلهم الزمان وكان قسداً	لهم راع وحولهم يطوف
غدا عبرا لِمُعْتَبَر فَسُحْقاً	للدنيا أمرها أمر سخي
وطال وحق مجدك ما تبدوا	وحولهم الغواضب والسيوف
أسود يُقَدِّمون أسود حرب	وخلفهم العساكر والصّفوف

(١) المقصود به كتاب «الذيل والتكملة لكتابي الموصول» واصله « للقاضي ابن عبد الملك المراكشي

أتى بهم الزمان إليك قصدا خيارى فيه يُعجزهم رغيف
 فَعَطْفًا أيها المسولى عليهم وقاك السوء باريك اللطيف
 فرحمة سيّد قد ذُل فرض يقول به النّبى الهادى الشريف
 وما يرعى الكرام سوى كريم وأنت الماجد الندى العَطُوف

توالياه

قال الأستاذ ، وقفت على تأليف سماه «فصل المقال فى الموازنة بين الأعمال» تكلم فيه مع أبى عبد الله الحُميدى ، وشيخه أبى محمد بن حزم ، فأجاد فيه وأحسن ، وأتى بكل بديع . وشرح المقامات الحريرية .
 وفاته : فى صفر سنة ثمان وستماية .

ومن الكتاب والشعراء

عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدى

ابن محمد التميمى ثم العبادى الجاهلى

يكنى أبنا المخشبي من أهل البيرة .

حاله

كان شاعرا مُجيدا ، شهير المكان ، بعيد الصّيت ، على عهده . قال أبو القاسم ، كان من أعلام الجند ومقدمهم . وقال الرّازى ، دخل والده زيد بن يحيى من المشرق إلى الأندلس ، واختط بكورة جُند دمشق ، وشهر ابنه عاصم هذا بالشعر ، إذ كان غزير القول ، حسن المعانى ، كثير النادر ، سبّط اللفظ ، فاغتنى شاعر الأندلس ، ومادح بنى أمية ، المخلف فيهم قوافى الشعر المديح الشاردة ، وقد كان فى لسانه بَداءة زائدة ، يتسرع به إلى من لم يوافقه من الناس . فيقدح هجوهم ، ويقذف نساءهم ويهتِك حرّمهم . وكان أفاكا نهابا ، لا يعدم متظلمًا منه ، وداسيا عليه ،

وذاكرآله بالسوء ، وهو مستهزى ، بذلك جارٍ على غلوائه .

محنته

قال ، وكان مع ذلك منقطعا إلى سليمان بن الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، كثير المدح له . على أنه ما أخلى الأمير هشاما من ملحه ، وهو مع ذلك لا يسئل سخيمته وحقده عليه ، لانحطاطه في شعب سليمان أخيه ، وبينهما من التنافس والمشاحة ، مالا شىء فوقه . ورؤى أن الذى هاج غضب هشام عليه ، أن قال له الساعى عليه ، قد عرض بك بقوله في مديح أخيك سليمان في شعر له فيه منه :

وليسوا مثل من بان سيل عرفا يقلب مقلة فيها أعونه

وكان هشام أحول ، فاغتاظ لذلك . وركب فيه من المثلة وركبه ، وحقده عليه ، إلى أن استدعاه إلى مدينة ماردة ، وهشام يومئذ واليها في حياة الأمير أبيه ، فخرج إليه أبو المخشبي من قرطبة ، طامعا في نايله ، غير مرتاب بباطنه ، فلما دخل عليه قال له يا أبا المخشبي ، إن المرأة الصالحة التى هجرت ابنها فقلدفتها ، فافحشت سبها ، قد أخلصت دعاها لله فى أن ينتقم لها منك ، فاستجاب لها ، وسلطنى وتأذن بالاقتصاص لها على يدى منك ، ثم أمر به فقطع لسانه ، وسملت عيناه ، وعولج من جراحه ، فاستقل منها ، وعاش زمنا ممثلا به . فأما لسانه فأنجبر بعيد وقت إلا قليلا ، واقتدر على الكلام إلا تلعثما كان يعترضه ، واستمر العمى ، فعظم عليه مصابه ، فكثرت فى شكواه أشعاره ، قال ، ويذكر أن قصة أبى المخشبي فى نيات لسانه ، لما بلغت مالك بن أنس ، أشار

إليها في فتواه في التأتى بديّة اللسان طمعا في نبتها ، وقال يُتأتى بالحكم
عاما ، فإن نبت أو شىء منه ، عمل في ديبته بحسب ذلك ، فقد بلغنى أن
رجلا بالأندلس نبت لسانه أو أكثره بعد ما قطع ، فأمكنه الكلام .

شعره

قالوا وبلغ الأمير [عبد الرحمن] ^(١) بن معاوية صنيع ابنه هشام
بمادحهم أبي المخشبي ، فساءه وكتب إليه يعنفه ، وأوصل أبا المخشبي إليه
عند استيلائه بعد حين ، فاعتذر إليه ورق له ، وأنشده بعض ما أحدثه
بعد ، فكان لا يبين الإنشاد ، فينشده له صبي كان قد علمه ودربه ، فأنشده
قصيدته التي وصف فيها عمّاه وأولها :

خَضَعْتُ أُمَ بِنَاتِي لِلْعَمَدَا	إِذْ قَضَى اللهُ بِأَمْرٍ فَمَضَا
وَرَأَتْ أَعْمَى ضَرِيرًا إِنَّمَا	مَشِيهُ فِي الْأَرْضِ لَمَسٌ بِالْعَصَا
فَبَكَتْ وَجَدًّا وَقَالَتْ قَوْلَةً	وَهِيَ حَتَا حَلَّقَتْ مَنَى الْمَدَا
فَفَوَّادِي فَرِحُ مِنْ قَوْلِهَا	مَا مِنْ الْأَدْوَاءِ أَسَّ الْعَمَا
وَإِذَا نَالَ الْعَمَى ذَا بَصِيرٍ	كَانَ حَيًّا مِثْلَ مَيِّتٍ قَدِنَعَا
وَكَانَ لِلنَّاعِمِ الْمَسْرُورِ لَمْ يَكْ	مَسْرُورًا إِذَا لَاقَى السَّرْدَا
عَانِي بِالْقُرْبِ وَهَنَا طَرْبِ	بَيْنَ لَجِّ فِي الْجِمَا
..... (٢)	كَيْفَ يَعْتَادُ الصَّبَا مِنْ لَا يِرَا
أَبْصُرَتْ مُسْتَبَدَلًا مِنْ طَرْفِهِ	فَأَنَذَا يَسْعَى بِهِ حَيْثُ سَعَا
بِالْعَصَا إِنْ لَمْ يَقْدَهُ فَإِنَّهُ	وَسْؤَالِ النَّاسِ يَمْشِي إِنْ مَشَا

(١) هذا الاسم ساقط في الإسكوريال ، وبإضافته يستقيم السياق .

(٢) بياض في الإسكوريال .

وإذا ركب دنوا كأن لهم
 لم يزل في كل مخشبي الردى
 امتطيتها سمانا بدنأ
 وقرتي قد تجاوزت بها
 قاصداً بخير مَنافٍ كلها
 وهي طويلة ، ومن شعره في الواقعة بآبى الأسود الفهري^(١) ، وكانت
 عظيمة من أعظم فتوحات الأمير عبد الرحمن :

ماذا تُسائل عن مواقع معشر
 رشيد الخليفة إذ غرّوا فرماهم
 فغلبنا سليمان السّماح عليهم
 عاداهم متقنعا في مأزق
 أما سليمان السّماح فإنه جلى
 وهو الذى ورث الندى أهل الندى
 بعد القتلى بالمخايض أصبحت
 فالليل فيها للذباب عرايس
 أفناهم سيفٌ مبيرٌ صارم
 هات عنك ما هربت مخافة منه

أودى بهم طلب الذى لم يقدر
 بالمويذى بالحزم والتمأزر
 كالليث لا يلوى على متعذّر
 فى الموت من نجس العوارض المطر
 الدجا وأقيام سيل الأَصْعَر
 ومحا دُجّة يوم وادى الأحمر
 جيّفاً تلوح عظامها لم تُقبّر
 ونهارها وقفٌ لنهش الأَنْسُر
 فى قَسْطَلونَة وبل بوادى الأحمر
 فقَعُ يا ابن اللقيطة أو طِرِ

(١) هو محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الفهري آخر ولاة الأندلس . وكان عبد الرحمن الأموى (الداخل) قد حارب يوسف وانتهى الأمر بهزيمته ومقتله (١٤٢ هـ) ففر ولداه أبو القاسم ، ومحمد الملقب بابى الأسود ، ولبث عبد الرحمن يطاردهما وهما يحشدان الجنود والنوا لقتاله . وفر أبوا أسود إلى بطليطة ولحصن بها فطاده عبد الرحمن . ففر مع انصاره إلى قورية فلحق به عبد الرحمن ونشبت بينهما معركة انتهت بتزيق قوات أبى الأسود وفراره (سنة ١٦٩ هـ) وهى الواقعة التى يشير إليها الشاعر فى قصيدته . وتوفى أبو الأسود بعد ذلك بقليل فى إحدى قرى بطليطة .

وفاته

قال ابن حيان ، قرأت بخط عبادة الشاعر ، قال عمر أبو المخشبي بعد مخنته الشنعاء حتى لحق دولة الأمير عبد الرحمن ، فوالى بين مديخ أربعة أمراء ، ما بينه وبين جدّه عبد الرحمن بن معاوية الأمير الداخل . وتوفى بعد ذلك قريبا من تاريخ الثمانين والمائة^(١) . وبعد عليه لخاق دولة الأمير عبد الرحمن لهذا التاريخ .

ومن الأصليين من ترجمة المحدثين والفقهاء والطلبة النجباء

عيسى بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي زمتين المرّي

يكنى أبا الأصبع من أهل البيرة .

حاله

نبيه القدر . وروى عن شيوخ بلده .

وفاته : توفى بعد الأربعمئة . قلت فد اعتذرت ، وتقدم الاعتذار في

إثبات من أثبته من هذا البيت في هذا الاختصار من هذا النمط . فليُنظر هنا لك إن شاء الله .

عيسى بن محمد بن عيسى بن عمر بن سعادة الأوى

لَوْثِي الأصل ، غرناطي الاستيطان والقراءة ، يكنى أبا موسى ،

الشيخ الطبيب بالدار السلطانية .

(١) في هذه العجزة الأخيرة بعض التوضيح فيما يتعلق بالتواريخ . ذلك أنه إذا كان عامم بن زيد المترجم له قد توفى في حدود سنة ١٨٠ هـ وذلك حسبما يقول لنا ابن حيان ، فإنه بذلك لم يلحق سوى دولتي عبد الرحمن بن معاوية الداخل المتوفى سنة ١٧٢ هـ . ودولة ولده هشام الذي حكم من سنة ١٧٢ إلى سنة ١٨١ هـ ، أو دولة الحكم بن هشام . فقد كانت من سنة ١٨٠ إلى سنة ٢٠٦ هـ ، ودولة ولده عبد الرحمن كانت من سنة ٢٠٦ إلى ٢٢٨ هـ .

حاله

من « حديد الصلوة » ، بقية أهل العلم ، ونسيج وحده في لين الجانب ،
ونخض الجناح ، وحسن الخلق . وبذل التواضع ، ممتع من معارف قديمة ،
بين طلب وتعليم ، على حال تدين والتزام سنة ، أقرأ الطب ، وخدم
به النوار السلطانية ، وولى القضاء بلوشة بلبه .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي عبد الله الرقوطة المرسي ولازمه ، وأخذ عن
أبي الخجاج بن خطبون ، وأدرك أمة من صلور العلماء .

تواليقه

له تأليف كبير متعدد الأسفار سماه كتاب « القفل والمفتاح في
علاج الجسوم والأرواح » ، تضمن كثيراً من العلم الطبي ، وما يتعلق
به ، رأيت أجزاء من مسودته بيد ولده .

وفاته : ثوى بغرناطة ليلة السبت الخامس عشر لجمادى الآخرة عام
ثمانية وشرين وسبعماية .

حرف الذين من الأعيان

غالب بن أبي بكر الحضرمي

من أهل غرناطة يكنى أبا تمام ، ويعرف بابن الأشقر .

حاله

كان قابدا جزلاً مهيبة ، مليح التجند ، معروف الدربة والثقافة ، مشهور
الفروسية ، ظريف الشكل ، رايق الركبة ، حسن الشيبة ، صليب العود ،
مرهوب السطوة ، ولى قيادة العسكر زمانا طويلا ، فوقع الإجماع على

اهليته لذلك ، تمييزاً للطبقات ، وانتهاضاً بالخدمة ، وإنفاذاً للعزيمة ،
ومعرفةً بالعوايد ، واقتداراً على السهر في تفقد المسالحي ، واختبار المراصد ،
واختيار الحرس ، وتنظيم المصاف ، وإمساك السيقة ممن يرجع إلى حصيف
رأيه ، ويُركن إلى يمين حنكته ، ويعترف بحقه . لقي الجند منه ضغطاً
لاضطلاعهم باستخدامهم ، وجعل العقاب من وراء تقصيرهم . فقد كان
بعض نُقبائه يحمل معه مِقْصاً لإيقاع المثلثة بذقون مضبعي المسلحة أو
مُتهببي الملحمة . ولما أوقع بالسلطان أمير المسلمين أبي الوليد قرابته
بباب داره بما هو مشهور ، نُمي عنه أنه اخترط سيفه . وكان ممن أثنى
الوزير يومئذ جراحة [لا يعلم]^(١) ، أحيرةً وغلطاً أم تواطئاً وقصداً ،
فقد كان من مَرَج الناس يومئذ ؛ وإعمال بعضهم السلاح في بعض ما هو
معلوم ، فعزل عن الخُطّة ، وسُمّ خطة الخمول ، ففقد مكانه من العنا ،
واضطر إليه .

وفاته

توفي بفرناطة عشية يوم الخميس الثاني والعشرين لشوال عام سبعة
وعشرين وسبعماية ، ودفن قرب باب البيرة .

ومن المقربين

غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن
تمام بن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكتوم المحاربي أبو بكر

حاله

(١) الزيادة من الزيتونة . وبها يستقيم السياق .

كَانَ مِنْ أَهْلِ الدِّعْمِ وَالْحَمَلِ ، مُقْرِبًا فَاضِلًا ، رَاوِيَةً ، حَجَّ وَرَوَى .
وَكَفَّ بَصْرَهُ فِي آخِرِ عَمْرِهِ .

شَيْخْتُهُ

قَرَأَ الْقُرْآنَ بِالسَّبْعِ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيِّ ، وَدَرَسَ
الْفِقْهَ وَنَظَرَ فِيهِ ، عَلَى سَعِيدِ بْنِ خُلْفِ بْنِ جَعْفَرِ الْكِنَانِيِّ . وَرَوَى عَنْ
أَبِي عَلِيٍّ الْغَسَّائِيِّ ، وَعَنْ أَبِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَالِبٍ ، وَأَبِي عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ
الْإِمَامِ الْحَافِظِ .

مَنْ رَوَى عَنْهُ : حَدَّثَ عَنْهُ ذُو النُّوْزَارَتَيْنِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْخَصْمَالِ ،
وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَاضِي ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَحْمَدَ
ابْنَ عَطِيَّةٍ .

شَعْرُهُ

قَالَ يَحْذَرُ مِنْ أَبْنَاءِ الزَّمَنِ :

كُنْ بَدِي صَايِدٌ مُسْتَأْنَسًا وَإِذَا أَبْصَرْتَ إِنْسَانًا فَفِرْ

إِنَّمَا الْإِنْسِيُّ بَحْرٌ مَالُهُ سَسَا حُلُّ فَاحْذَرِهِ إِيَّاكَ الْغُسْرَرُ

وَاجْعَلِ النَّاسَ كَشَخْصٍ وَاحِدٍ ثُمَّ كُنْ مِنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ حَذِيرٌ

وَلَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ :

كَيْفَ السُّلُوْ وَوَلِيَّ حَبِيبِ هَاجِرٍ قَاسِيِ الْفُوَادِ يُسُومِنِي تَعْدِيْبَا

لَمَا ذَرَى أَنَّ الْخِيَالَ مَوَاصِلِي جَبَلِ السُّهَادِ عَلَى الْجَفُونِ رَقِيْبَا

مَوْلَدُهُ : وَوُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

تَوَفَّى لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِسِتِّ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرٍ وَخَمْسِمِائَةٍ .

غالب بن حسن بن غالب بن حسن بن أحمد بن يحيى

ابن سيدبونه الخزاعي

يكنى أبا تمام .

أوليته وحاله

أصل سلفه من بونه^(١) من بلد إفريقية ، واستوطن جده بالأندلس قرية زنيطة من وادي لسة شرق الأندلس من عمل قسنطينة^(٢) ، وملك فيها أموالا عريضة . ولما ظهر سبطه ولي الله أبو أحمد شيخ المريدين بذلك الصقع ، وظهرت عليه البركات ، وشهدت بولايته الكرامات ، غمرتهم بركته ، ونوّهت^(٣) بهم شهرته ، إلى أن استولى العدو على تلك الجهات ، بعد وفاة الشيخ رضى الله عنه ، فهاجرت ذريته إلى غرناطة ، بعد استيطانهم مدينة ألس^(٤) ، وبنوا بالربض المعروف بربض البيازين^(٥) واقتنعوا وامتطوا ، واتخذوا دار إقامة ، وانتشرت به نحلتهم الإرادية ، وانضم إليهم من تبعهم من جالية أهل الشرق ، وتقدم هذا الشيخ بعد ، شيخا ويعسوبا وقاضيا وخطيبا به ، بعد خاله رحمه الله ، فقام بالأعباء ، سالكا سنن الصالحين من أهل الجلد والجدّة والقوة والرجولة ، من الإيثار والمثابرة على الرباط ، والحفوف إلى الجهاد ، وكان مليح الشيبة ؛

(١) بونه هي ثغر إفريق يقع على شاطئ البحر المتوسط في منتصف المسافة بين تونس وبجاية وكان أيام الدولة الحفصية من ثغور مملكة تونس . وهو الآن من ثغور جمهورية الجزائر الديمقراطية ويسمى الآن عنابة اشتقاقا من اسمه القديم (بلد العناب) .

(٢) قسنطينة وبالإسبانية Cocentaina بلدة صغيرة من أعمال شرق الأندلس تقع غرب ثغر دانية وجنوى مدينة شاطبة .

(٣) وردت في الإسكوريال (وتوهمت) والتصويب من الزيتونة .

(٤) ألس وبالإسبانية Elche سبق التعريف بها (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٥٤٩

حاشية) .

(٥) ربض البيازين وبالإسبانية Albaicin سبق التعريف به (راجع المجلد الأول ص ٣٨٧

حاشية) .

كثير التخلق ، جم التواضع ، مألفا للغرباء ، مبدول البشر ، حسن المشاركة ، رافضا للتصنع ، مختصر المطعم والملبس ، بقية من بقايا الجلة ، معتمدا في مجالس الملوك بالتجلة .

مشيخته

يحمل عن والده أبي علي ، وعن خاله ، وعن الخطيب أبي الحسن ابن فضيلة وغيرهم .

توالمفه : له تأليف في تحريم سماع اليراعة المسماة بالشبابية ، وعلى ذلك درج جمهورهم .

مولده : في ذي القعدة من عام ثلاثة وخمسين وستماية .

وفاته : توفي في عاشر شوال من عام ثلاثة وثلاثين وسبعماية . وكان الحفل في جنازته يشدُّ عن الوصف . ودفن بمقبرتهم^(١) .

غالب بن علي بن محمد اللخمي الشقوري

من أهل غرناطة ، يكنى أبا تمام

حاله

كان من أهل الفضل والدمائة ، حسن الخلق ، وسم الخلق ، مليح الانطباع ، مستطرف الأغراض ، من بيت كسب وخيرية . رحل في شببته إلى المشرق ، فحج ، وقرأ الطب بالمارستان من القاهرة المعزية ، وحذق العلاج على طريقة المشاركة ، وأطرب بكثير من أخبارهم ، وانتصب للمداواة ببجاية بعد مناظرة لها حكاية . وقدم على بلده ، فنبه به قلره ،

(١) أورد ابن الخطيب في المجلد الأول من الإحاطة ترجمة لأحد أعلام هذه الأسرة وهو (جعفر

ابن عبد الله بن محمد بن سيد بونه الخزاعي ، ص ٤٦١ - ٤٦٣) .

واستدعى إلى باب السلطان فخدم به ، ثم تحول إلى العُتوة ، فاتصل بخدمة ملكها السلطان أمير المسلمين أبي سعيد ، مسوغاً ما شاء من قبول ، ولطف محله عنده ، لانطباعه ولين عريكته ، وتأنيه لما يوافق غرضه من سبيل الفكاهة ، ووُلِّي الحِسبة بمدينة فاس ، وأثرى وحسنت حاله . وكان مثالا لأهل بلده ، موصوفاً بالجود ، وبذل المشاركة لمتغريهم . وله تواليف طيبة ، كان لا يفتر عن الاشتغال بها؛ بنحسب ما فتح له من الإدراك ، فمنها نبيل ووبيل . ولما انتقل الأمر إلى أمير المسلمين أبي الحسن ، وصل حَبْل رَعْمِيه ، طاويا بساط الهزل في شأنه ، واتصلت خدمته إياه إلى حين وفاته .

وفاته

توفي في أوائل عام أحد وأربعين وسبعماية بسببته ، عند حركة أميره المذكور إلى الجواز للأندلس برسم الجهاد، الذي مَحَصه الله فيه بالهزيمة الكبرى .

مولده ... (١)

حرف الفاء : الأعيان والكبراء

فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر

الرئيس الجليل ، أبو سعيد ، وكان حقه أن يفرد له باب في الأمراء ، لكنه الأبواب المتعددة الأسماء ، نوثر فيها الجمع والاختصار كما شرطنا .
أوليته

(١) وردت بعد هذه الكلمة هذه العبارة في الإسكوريال . (بياض في الأصل المتسخ منه) .
وأغفلها الزيتونة .

مغزوفة . وكان والده [رحمه الله] ^(١) صينو أمير المسلمين الغالب بالله
 أبي عبد الله ، وآثره بمدينة مالقة وما يرجع إليها ، عند تصير الملك إليه
 أو بعده . وكان دونه في السن ، فاستمرت أيامه بها إلى أن توفي رحمه الله ،
 وتصير أمره إلى الرئيس أبي محمد بن إشقيلولة ، وتخللت ذلك الفتن ،
 حسبما وقع الإلماع به [وتصير أمرها] ^(٢) إلى ملوك المغرب . ثم لما
 انجلت ^(٣) الحال عن عودتها إلى الملك النصري ، ولى عليها الرئيس
 أباسعيد ، ومكّنه من ميراث سلفه بها ، وهو كما استجمع شبابه ، وعقد
 له على ابنته الحرة ثياب الملك ، فقام بأمرها خير قيام ، وثبت لزلزال
 الفتنة حسبما هو المذكور في موضعه .

حاله

كان هذا الرئيس نسيج وحده في الحزم والجزالة وفخامة الأحوال ،
 مما يرجع إلى الفتية . ناغى السلطان ابن عمه في اقتناء العقار ، وتخليد
 الآثار ، فيما يرجع إلى الفلاحة والاعتماد والازدياد والاستكثار ، وأرّب
 عليه بإنشاء المراكب الكبار ، فعظمت غلاته ، وضاق المسارح عن
 سائمه ، وعصمت الأهرام بحبوبه ، وسالم الخرج دخل ماله ، فبذ الملوك
 جدّة ويساراً ، تقتم العين منه ظاهراً سادجاً ، غفلاً من الزينة والتصنع ،
 في طيه ظرف وذكاء وحنكة وحلاوة ، جهوريا ، مرسل عنان النادرة ،
 باذلا النصفه ، مهيب السطا ، خصيب المائدة ، شهير الجلالة ، بعيد
 الصيت . ولى مالقة عام سبعة وسبعين وستماتة ، فعانى بها الشدة والليان .

(١) الزيادة من الزيتونة .

(٢) هذه الزيادة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال . ووجودها ضروري لاستقامة

السياق .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (اجلت) . والأولى أرجح .

بغنى رصخت بها قدمه ، وطالت لأهلها صحبتته ، وعظم بها قراره وعساكره ،
وأينعت غرسانه ، ونمت متاجره ، ونبتكت التَّعِيم حاشيته ، وأضيفت
إليه الجزيرة الخضراء ، فاتسعت العمالة ، وانفسحت الخطَّة ، إلى أن
كان من تغلبه على مدينة سَبْتَة ، واستيلايه عليها ، مما وقع الإلماح به
في موضعه من هذا الكتاب ، في شهر شوال عام خمسة وسبعماية ، فساس
رعيتها ، وتملك جبالها ، وشنَّ الغارة على ما وراءها ، وتملك القصر
المضاف لها ، ولم يزل نظره عليها ، إلى أواخر ذى قعدة من عام ثمانية
وسبعماية ، فصُرف عنها ، وجُهل قدره ، وأوغر صدره ، وأوعز للولاة
بالتضييق على حاشيته ، فدعا بمالقة إلى نفسه في شهر شعبان من عام
أحد عشر وسبعماية ، وقدم لطلب الملك ولده إسماعيل ، وسماه السلطان .
ورتب له الألقاب ، ودون اللواوين ، فنزع إليه الجند ، وانضافت
إلى عمالته الحصون . ثم وقعت المهادنة ، وأعقبها المُقاتنة ، وكان من
أمره ما وقع التَّنبيه على عيون منه في ذكر ولده .

نكبته

ولما استأصلت القطيعة مُخْتجنه الراكد في مغابن^(١) الخزائن من
لدى عام سبعة وسبعين وستمائة ، واستنفدت عتاده المطاولة ، نظر لنفسه
فوجه كاتبه الوزير أبا عبد الله بن عيسى ، وعاقده على الخروج له عن
مالقة ، مُتَعَوِّضاً عنها بمدينة سَلا من عمل ملك المغرب ، وتم ذلك في
شهر رمضان من عام ثلاثة عشر وسبعماية ، وذاع خبره ، وضافت بأولياء
انتزايه السبل ، إذ تحققوا بإخفاق المسعى ، وسقوط العشيِّ بهم على
سرحان من سلطانهم الراغبين عنه ، فداخلوا ولده ، المقدم الأمر ، أبا الوليد ،

(١) هذه الكلمة واردة في الاسكوريال وساقطة في الزيتونة .

واتفق أميهم على خَلْمِهِ ، ومعالجة^(١) الامر قبل تمامه ، في ... من شهر رمضان ، ركب الرئيس رحمه الله في نافر من مماليكه المروقة إلى بعض بيساتينه . فلما قضى وطَرَه ، وهم بالخروج عنه ، اعترضه القوم عند بابيه ، فالتفوا^(٢) به ، وأشعروه غرضهم^(٣) فيه ، وجأئوا به إلى بعض القصور بظاهر البلد ، فجطوه به تحت رَقَبَةٍ ، وقد بادر ولده القصبية ، فاستولى عليها من غير ممانعة ، لعدم استرابة ثقاته به ، إلا ما كان من خاين يتولى القيام ببعض أبوابها هم بسدّه ، فطاح لحيته ، وتمّ لولده الاستبداد بالأمر ، واستولى على النّصب والذخيرة وباقي المال^(٤) ، ونقل الرئيس إلى معقل قرطبة ، فلما خلص الأمر لولده ، انتقل إلى معقل شلوبانية ، فلم يزل به لا يبرح عن باب قصره ، مرقها عليه إلى أن قضى نحبه .

وفاته

في الرابع عشر لشهر ربيع الأول من عام عشرين وسبعماية ، توفي رحمه الله بشلوبانية ، وجيء بجنازته محمولا على رؤوس صلور الدولة ووجوه رجالها ، متناغين في لباس شعار الحزن بما لم يتقدم به عهد ، ودفن بمقبرة السبيكة ، وولده أمير المسلمين واقف بإزاء لَحْدِهِ ، مظهر الاكتراث لفقده ، وعلى قبره الآن مكتوب نَقْشًا في الرخام البديع ما نصه :
« هذا قبر عَلمِ الأعلام ، وعماد دين الإسلام ، جواد الأجواد ، أسد الآساد ، حامى الثغور وممهد البلاد ، المجاهد في ذات الله حقّ الجهاد ،

(١) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (معالجة) .

(٢) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (فاحتفوا) والأول أرجح .

(٣) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بعزمهم) .

(٤) هذه الكلمة راردة في الزيتونة ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

شمس الملك وبدره ، وعين الزمان وصلبره ، الكريم الأخلاق ، الطاهر الذات والأعراق ، الذي سار ذكره في الآفاق ، ونخلد من فضائله ما تتحلى به ظهور المنابر وبتطون الأوراق ، كبير الإمامة النصرية ، وعظيم الدولة الغالبية ، فرع الملك وأصله ، ومن وسع الأنام عدله وفضله ، مخلد الفخر الباقي على الأعصار ، والعمل الصالح الذي يُنال به الحسنى وعُقبى الدار ، بسلالته الطاهرة الكريمة المآثر والآثار ، الإمام الرضى ناصر دين المختار ، المنتخب من آل نصر ونعم النسب الكريم في الأنصار . المهام ، الأكبر ، الأشهر ، المقدم ، المرحوم ، الأطهر ، أبو سعيد ابن الإمام الأعلى ، ناصر دين الإيمان ، وقاهر عبدة الصليان ، صينو الإمام الغالب بالله ، ومجهز الجيوش في سبيل الله ، سهام العدا ، وغمام الندى ، وضمرغام الحروب ، ذى البأس المرهوب ، والجود المسكوب ؛ بطل الأبطال ، ومناخ الآمال ، المجاهد ، الظاهر ، المقدس ، المرحوم أبي الوليد بن نصر ، قدس الله مضجعه ، ورقاه إلى الرفيق الأعلى ورفعته . كان رضى الله عنه ، وحيد عصره ، وفريد دهره ، علت في سماء المعالي رتبه ، وكرّم من أمير المسلمين صهره ونسبه ، فلا يُزاحم مكانه ، ولا يُداني منصبه . نفذت أحكامه في الشرق والغرب ، ومضت أوامره في العجم والعرب ، إلى أن استأثر الله به ، فكانت وفاته ليلة الخميس الرابع عشر لشهر ربيع الأول من عام عشرين وسبعماية ، وكان مولده يوم الجمعة الثامن لشهر رمضان المعظم من عام ست وأربعين وستماية ، فسبحان الله الملك الحق ، الباقي بعد فناء الخلق .

سلام على قبر المكارم والمجد مُبِقَام الرضى والفوز والبشر والسعد
 منابة إحسان ومعهد رحمة ومُسْتَوْدِع انغليا والسّر والعد

فيها قبر الذي هو روضة
 لك الفضل إذ حملت أمانة
 ففبك من الأنصار من آل نصرهم
 قَسَمُ أمير المسلمين ابن عمه
 وحافي ذمار الدين ناصره أبو سعيد عماد الملك في الحل والعقد
 من الحق أبناء الوغى وبنو الرفد
 أفاض بها النعماء سابغة الورد
 بإنصاف مُستعد وإسعاف مُستجد
 وبالحق لو فاضت نفوس من الوجد
 بدا الحزن حتى في المُطَهَّمة الجُرد
 تسير بها الركبان في الغور والنَّجد
 وأبديت منه للورى علم الرشد
 تُنال بها الزلفى من الصمد الفرد
 توفيك من إحسانه غاية القصد
 فيها قبر الذي هو روضة
 لك الفضل إذ حملت أمانة
 ففبك من الأنصار من آل نصرهم
 قَسَمُ أمير المسلمين ابن عمه
 وتبكي بلاد كان مالك أمرها
 أقام بها العدل والفضل سنة
 وتبكي أمى ملء العيون لفقده
 فيا أيها المولى الذى لمصابه
 لك الله ما أعلى مكارمك التى
 وحسبك أن أورثت خير خليفة
 إمام هدى أعماله لله رحمة
 عليك من الرحمن أزكى تحية

فرج بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر

الأمير أبو سعيد ولد أمير المسلمين ثانياً الملوك النصريين ابن الغالب بالله .

حاله

كان أميراً جليلاً جميلاً ، بلغ الغاية في حسن الصورة ، وفضل
 الفروسية على صغر سنه ، وكان زناً الشكل والركض والآلة ، عروس
 الميدان ، وحلّس الخيل ، يؤثر من شجاعته ، وثبات موقفه ، على

الفرارة ، وعدم الحنكة ، أنه أنشب في اتباع خنزير ضخم الكراديس ،
 عظيم الناب . عريض الغيطة ، طرح نفسه عليه في ضحضاح ، لفضل
 شجاعته ، فكبا به الطرف ، واستقبله ذلك الخنزير الفحل صامدا ،
 فاستقل ، زعموا ، من السقطة ، وقد اخترط سيفاً عنقه با كان يتقلده ،
 وسبقه بضربة تحت عينيه ، أبانت فكبه ، وأطارت محل سلاحه ،
 وخالطه مع ذلك أعزل ، فلم يُغن ، وتلاحق به فرسانه ، وقد يشوا بن
 خلاصه ، فرأوا ما بهتوا له ، وبُشر بذلك أبوه ، فملاً عينه قرة ، وكان
 يولع منه بفرع مُلك ، وصقر بيت ، وسيف دولة . أسف بذلك ولي العهد
 كبيره ، فاعتبط لأيام من تصير الأمر إليه .

وفاته : توفي مغتالا في الأول من عام اثنين وسبعماية .

مولده : عام ستة وثمانين وستماية .

فرج بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر

الأمير أبو سعيد ولي عهد السلطان الهالب ، بالله

حاله

كان هذا الأمير فاضلا ذكيا ، من أهل الأدب والنبل ، قام الأدب
 في ملته على ساق ، ولأه أبوه الغالب بالله عنده ، وأمله لمكانه لو أن
 الليالي أمهاته

شعره

وأدبه مما يُنسب إليه بالأندلس : وهو عندي ما يبعد قوله :
 أيا ربة الحسن التي سلبت منك على أي حال كنت لا بد لي منك

فإما بلد وهو أليق بالمهوى وإما بقر وهو أليق بالملك
وكان ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم رحمه الله يقول؛ أخبرني
كاتب هذا الأمير، وهو الوزير أبو عبد الله بن القصيرة الإشبيلي بتونس
قال ، نظم الأمير بيتا وطلبني بإجازته ، وأن يكون المنظوم مشوب النسيب
بالمفخر . والبيت :

أرقت لبرق بالسبيكة لا الخيف وإن كان فيه ما أحاذر من ختف
فقلت مجيزا

تجورُ على قلبي لواحظ غادة بأنقذ من عزمي وأقطع من سيف
ولى هزة نحو الوصال أو الأتما كهزة آبابي الكرام إلى الضيف
أفيضُ وفيضُ في الجفون وبالحشا فاشكو بحالي في الشتاء وفي الصيف
لعمري لقد وفي العلاحق مفخرى لو الى في الدنيا مُرادى استوف

قال واستحسن ذلك ووقع عليه « كاتبه » يعني بذلك نفسه

وفاته

عصر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين
وتمائة ، ابن خمس وعشرين سنة

ومن الكتاب والشعراء

الفتح بن علي بن أحمد بن عبيد الله الكاتب [المشهور] ^(١)

من قرية تعرف بصخرة الواد من قرى قلعة يحصب ، يكنى أبا نصر .

ويعرف بابن خاقان .

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الاسكوريال .

حاله

كان آية من آيات البلاغة ، لا يُشَقُّ غُبَّاره ، ولا يدرك شأوه ، عذب الألفاظ ناصعها ، أصيل المعاني وثيقها ، لعباً بأطراف الكلام ، مُعْجِزاً في باب الحَلِّي والصفات ، إلا أنه كان مجازفاً ، مقلوداً عليه ، لا يعلُّ من المعاقرة والقصف ، حتى هان قنُره ، وابتذلت نفسه ، وساء ذكره ، ولم يدع بلداً من بلاد الأندلس إلا دخله ، مُسْتَرْفِداً أميره ، وواغلا على عَليته . قال الأستاذ في « الصلة » ، وكان معاصراً للكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال ، إلا أن بطالته أَخْلَدت به عن مرتبته . وقال ابن عبد الملك ، دخل يوماً إلى مجلس قضاء ^(١) أبي الفضل عياض ^(٢) مخمراً ، فتنسّم بعض حاضرى المجلس رائحة الخمر ، فأعلم القاضي بذلك ، فاستثبت ، وحدهً جَدًّا تاماً ، وبعث إليه بعد أن أقام عليه الحد ، بثانية دنائير وعمامة . فقال الفتح حينئذ لبعض أصحابه : عزمت على إسقاط اسم القاضي أبي الفضل من كتابي الموسوم « بقلايد العقيان » قال ، فقلت لا تفعل وهي نصيحة ، فقال : وكيف ذلك ، فقلت له ، قِصَّتْك معه من الجايز أن تنسى ، وأنت تريد أن تتركها مؤرخة ، إذ كل من ينظر في كتابك يجلدك قد ذكرت فيه من هو مثله ودونه في العلم والصيت . فيسل عن ذلك ، فيقال له [اتفق معك كيت وكيت] ^(٣) فيتوارث العلم عن الأكابر الأصاغر . قال ، فتبين له ذلك ، وعلم صحته وأثر اسمه وحدثني بعض الشيوخ ، أن سبب حقه على ابن باجة أبي بكر ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (القاضي) والأولى أرجح .

(٢) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هذه العبارة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال والفتح ، وهي لازمة لاستقامة

آخر فلاسفة الإسلام بجزيرة الأندلس ، ما كان من إزراه به ، وتكذيبه إياه في مجلس إقرابة ، إذ جعل يكثر ذكر ما وصله به أمراء الأندلس ، [ويذكر الفخر بذلك] ^(١) ، ووصف حلياً ، وكانت تبدو من أنفه فضلة خضراء اللون . زعموا ، فقال له ، فمن تآك الجواهر إذا الزمردة التي على شاربك ، فثلبه في كتابه ، بما هو معروف في الكتاب . وعلى ذلك فأبو نصر نسيج وحده ، غفر الله له .

مشيخته

روى عن أبوي بكر بن سليمان بن القصيرة ، وابن عيسى بن اللبانة ، وأبي جعفر بن سعدون الكاتب ، وأبي الحسن بن سراح ، وأبي خالد بن مستقور ، وأبي الطيب بن زرقون ، وأبي عبد الله بن خلصة الكاتب ، وأبي عهد الرحمن بن طاهر ، وأبي عامر بن سرور ، وأبي محمد بن عبدون ، وأبي الرليد بن حجاج ، وابن دريد الكاتب .

تواليقه

ومصنفاته شهيرة منها « قلايد العقيان » ، « ومطمح الأنفس » .
« والمطمح » أيضاً . وترسيله مدون ، وشعره وسَط ، وكتابه فائقة .

شعره

من شعره قوله ، وثبت في قلايده ، يخاطب أبا يحيى بن الحجاج :
أكعبة علياء وهضبة سؤدد وروضة مجد بالمفاخر تظفر
هنيئاً لمن زار [نورك أفته] ^(١) وفي صفحاته من مضايك أسطر

(١) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٢) وردت في الاسكوريال (أفكك نوره) . والتصويب من قلايد العقيان . ووردت هذه

للشطرة في النسخ كالاتي . (هنيئاً لمن زار أفكك نوره) .

وإني لخلق الجناحين كلما
وقد كان واثم هاجم التهاجر
فهل لك في ود زوى لك ظاهرا
ولست بعلق بيع بخسأ وإني
سرى لك ذكر أو نسيم معطر
فبت وأحشائي جوى تتفطر
وباطنه يندى صفاة وتقطر
لأرفع أعلق الزمان وأخطر
فروجع عنه بما ثبت أيضا في قلايده ٤٤ أوله :

ثبت أبا نصر عني وربما
ثنت عزمة السهم المصم أسطر

نشره

ونشره شهير ، وثبت له من غير المتعارف من السلطانيات ظهيرا
[كسبه] ^(١) عن بعض الأمراء لصاحب الشرطة ، ولاخفاء بإدلاله وبراعته :
كتاب تأكيد اعتناء ، وتقليد ذي منة وغناء ، أمر بإنفاذه فلان ،
أيده الله ، لفلان بن فلان صانه الله ، ليتقدم لولاية المدينة ، بفلانة
وجهاها ، ويصرخ ^(٢) ماتكائف من العدوان في جنباتها ، تنوبها أحظاه
بعلائه ، وكساه رايق ملائه ، لما علمه من سنايه ، وتوسمه من غنايه ،
ورجاه من حسن منابه ، وتحققه من طهارة ساحته وجنايه ، وتيقن أيديه
الله ، أنه مستحق لما ^(٣) ولاه ، مستقل بما تولاه ، لا يعتره الكسل ، ولا
يشنيه عن إمضاء الصوارم والأسل ، ولم يكل الأمر منه إلى وكيل ، ولا ناظه
مناط عجز ولا فشل ، وأمره أن يراقب الله تعالى في أوامره ونواهيه ،
وليعلم أنه زاجره عن الجور وناهيه ؛ وسايه عما حكم به وقضاه ، وأنفذه
وأمضاه ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله . فليتقدم
لذلك بحزم لا يحمد توقده ، وعزم لا ينفد تفقده ، ونفس مع الخير

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتون وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يصوح) .

(٣) وردت في الإسكوريال (بما) . والتصويب من النسخ .

ذاهبة ، وعلى سنن ^(١) البر والتقوى راجية ، ويقدم للاحتراس من عُرف
اجتهاده ، وعلم أرقه في البحث وسُهاده . وحُمدت أعماله ، وأمن تفریطه
وإهماله ، ويضم إليهم من يحذو حذوهم ، ويقفوا شأومهم ، ممن لا يُستراب
بمناحيه ، ولا يصاب خلل في ناحية من نواحيه ، وأن يُذكى العيون على ^(٢)
الجناة ، وينبئ عنها للذيد السنات ، ويفحص عن مكانهم ، حتى يُغص
بالروع ^(٣) نفس آمنهم ، فلا يستقر بهم موضع ، ولا يقر منهم مخب
ولا موضع ، فإذا ظفر منهم بمن ظفر ، بحث عن باطنه ، وبث السؤال
في مواضع تصرفه ومواطنه ، فإن لاحت شبهة أبدأها الكشف والاستبراء
وتعليلها للبغي والافتراء ، نكله بالعقوبة أشد نكال ، وأوضح له منها
ما كان ذا إشكال ، بعد أن يبلغ أنه ، ويقف على [طرف] ^(٤) مداه ،
وخذله ألا يكشف بشرة إلا في حد يتعين ، وإن جاءه فاسق أن يتبين ،
وأن لا يطمع في صاحب مال موفور ، وأن لا يسمع من مكشوف في مستور ،
وأن ينلك السنن المحمود ، وينزه عقوبته من الإفراط ، وعفوه من تعطيل
الحلود . وإذا انتهت إليه قصة مُشكلة أخرها إلى غده ، فهو على العقاب
أقدر منه على رده ، فقد يتبين في وقت مالا يتبين في وقت ، والمعالجة
بالعقوبة من المقت ، وأن يتغمد هفوات ذوى الهيات ، وأن يستش
الإشفاق ، ويخلع التكبر ، فإنه من ملابس أهل النفاق ، وليحسن لعباد
الله اعتقاده ، ولا يرفض زمام العدل ولا مقاده ، وأن يعاقب المجرم قدر
زلته ، ولا يعتز عند ذلته ، وليعلم أن الشيطان أغواه . وزين له مشواه ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (متن) .

(٢) وردت في الإسكوريال (عن) والتصويب من النسخ .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (بالريق) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (في طرفه) .

فيشفق من عثاره ، وسوء آثاره ، ويشكر الله على ما وهبه من العافية ،
وأكسبه من ملابسها الضافية ، ويذكره جلّ وتعالى في جميع أحواله ،
ويفكر في الحشر وأهواله ، ويتذكر وعداً يُنجز فيه ، ووعيداً يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير مُحصّراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها
وبينه أمداً بعيداً . والأمير أيده الله ، وليُّ له ما عدل وأسط ، وبريء
منه إن جار وقسط . فمن قرأه فليقف عند حدّه ورسمه ، وليعرف له حقّ
قطع الشرّ وحسمه ، ومن وافقه من شريف أو مشروف ، وخالفه في شيء
مُنكر أو أمرٍ بمعروف ، فقد تعرّض من العقاب لما يذيقه وبال خبّله ،
ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله . وكتب في كذا .

وفاته

بمراكش ليلة الأحد لثمان بقين من محرم من عام تسع وعشرين وخمسمائة ،
ألقي قتيلاً بببيت من بيوت فندق لبب أحد فنادقها ، وقد ذبح وعُيِّث
به ، وما شعر به إلا بعد ثلاثة ليال من مقتله .

ومن المقريين والعلماء

فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التلبي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا سعيد .

حاله

هذا الرجل من أهل الخير والطهارة ، والزكا والديانة ، وحسن الخلق .
رأس بنفسه ، وحلّى بفضله ذاته ، وبرز بمزية إدراكه وحفظه ، فأصبح
حامل لواء التحصيل عليه بدار الشورى . وإليه مرجع الفتوى ببلده ،
لغزارة حفظه ، وقيامه على الفقه ، واضطّاعه بالمسائل ، إلى المعرفة

بالعربية واللغة والمران في التوثيق ، والقيام على القراءات ، والتبريز
في التفسير ، والمشاركة في الأصليين والقرايض والأدب . جيد الحظ ،
ينظم وينثر . قعد ببئله للتدريس على وفور المسجد . ثم استقل بعد ،
وروي الخطابة بالمسجد الأعظم ، وأقرأ بالمدرسة النصرية ، في ثامن وعشرين
من رجب عام أربعة وخمسين وسبعماية ؛ معظما ، عند الخاصة والعامه ،
مقرونا اسمه بالتسويد . وهو الآن بالحالة الموصوفة .

مشيخته

قرأ على الخطيب للقري ، شيخنا أبي الحسن القيجاطي ، والخطيب
الصالح الفاضل أبي إسحق بن أبي العاصي ، والقاضي العدل المحدث العالم
أبي عبد الله بن بكر ، ولازم الشيخ الفقيه أبا عبد الله البياني ، وأخذ
العربية عن شيخ العصر أبي عبد الله بن الفخار ، وروى عن الشيخ الرحال
الراوي أبي عبد الله محمد بن جابر بن محمد القيسي الوادي آشي وغيرهم .

شعره

من شعره في غرض النسب قوله :

خذوا للهوى من قلبي اليوم ما أبقا	فما زال قلبي للهوى كنه رقا
دعوا القلب يضل في لظى الوجداناره	فنار الهوى الكبرى وقلبي هو الأشقا
سلوا اليوم أهل الوجد ما ذابه لقوا	فكل الذي يلقون بعض الذي ألقا
فإن كان عبداً يسأل العتق مالكا فلا	ابتغى من مالكي في الهوى عتقا
يدعوى الهوى يدعو أناس وكلهم	إذا سئلوا طرق الهوى جهلوا الطرقا
فطرق الهوى شتى ولكن أهله	يجوزون في يوم الرهان بها سبقا
فكم جمعت طرق الهوى بين أهله	وكم أظهرت عند السرى بينهم قرما

بِسِيَا الهوى تسدو معارف أهله فحيث ترى سِيَا الهوى فاعْرِف الصلحا
 فمن زَفْرَةَ تُزجى سحائب زفرة إذا زفرة ترقى فلا عِبْرَةَ ترقا
 إذا سكتوا عن وجدهم أغرتهم بواطن أحوال وما عرفت نطقا
 ومن منظومه في وداع شهر رمضان المعظم قوله :

أأزمنت يا شهر الصيام رحيلاً وقاربت يا بدر التمام أقولاً
 أجِدك قد جدت بك الآن رحلة رُوَيْدك امسك للوداع قليلاً
 نزلت فأزمنت الرحيل كلما نويت رحيلاً إذ نويت نزولاً
 وما ذلك إلا أن أهلك قد مضوا نَفَانوا فأبصرت الديار طولاً
 وقفت بها من بعدهم فعل نادى لربح خلا يبكى عليه خليلاً
 لقد كنت في الأوقات ناشئة التّعنى أشدَّ به وطساً وأقوم قبلاً
 ولما انجلى وجه الهدى فيك مُسْفِراً سدللت على وجه الضلال سُتولاً
 متى ارتاد مرتادٌ مَقِيلاً لعثرة أتاك فآلنى للعِشَار مَقِيلاً
 وناديت فينا صُحْبَةَ الخير أقبلوا بإقبالكم حُزْتَم لَدَى قبولاً
 لقد كنت لـا واصلوك ببرهم حَقِيّاً بهم برّاً لهم ووضولاً
 أقاموا لدين الله فيك شعائراً هدتهم إلى دار السلام سبيلاً
 فكم أطلقوا فيها أعنة جدّهم وكم أرسلوا فيها الدموع همولاً
 دموعاً أثارت سَحَّها رِيح زفرة فسالت وخذت في الخلود مسيلاً
 لديك أيا شهر الهدى قصرُوا المدى فكم لك في شأو الفضائل طولاً
 دلائل تشریف لديك كثيرة كفى بكتاب الله فيك دليلاً (١)

(١) لم يذكر لنا ابن العلقم تاريخ وفاة ابن لب ، لأنه توفي قبله ، ولكن النسخ أورد في هامش المخطوط ، نقلاً عن ابن فرحون صاحب «الدياج المذهب» وعن الحافظ ابن حجر أن ابن لب قد توفي في سنة ٧٨٢ هـ .

ومن الصوفية والصلحاء

فضل بن محمد بن علي بن فضيلة المافري

يكنى أبا الحسن من أهل الشرق الأندلسي، أبو الحسن الولي الصالح الصوفي .

حاله

كان ولياً فاضلاً زاهداً ، على سنن الفضلاء ، وأخلاق الأولياء ، غزير العلم ، كثير العمل ، دائم الاعتبار ، مشهور الكرامة ، مُستجاب الدعوة ، صوفياً محققاً ، انتهت إليه الرياسة في ذلك على عهده . يدل على ذلك كلامه على أغراض القوم ، وكشفه عن رموزهم وإشاراتهم ، أدبياً بليغاً ، كاتباً مرسلًا ، لا يُشَقُّ غباره في ذلك . قاوماً على تجويد كتاب الله ، عالي الرواية ، أَسَنُّ وتناهى وازدلف إلى التسعين ، مُمتعاً بجوارحه ، وولياً الخطابة والإمامة بالمسجد الأعظم ، أقرأ به مدة كبيرة .

قال ابن الزبير في « صلته » : كان جليلاً في ذاته وخطقه ودينه ، معدوم النظر في ذلك ، مشاركاً في فنون من العلم ، أدبياً بارعاً ، كاتباً بليغاً ، فصيح القلم ، متقدماً في ذلك ، متصوفاً ، سَنِيّاً ، ورعاً ، معدوم القرين في ذلك ، متواضعاً ، مقتصدًا في شئونه كلها ، جارياً في خطقه وأفعاله وأحواله ، على سُنن السلف ، أحفظ الناس للسانه وجوارحه وأصدقائه ، وأسلمهم عنياً ومشهداً ، وأشدهم تمسكاً بهدى السلف الصالح ، مؤثراً للخمول ، سريع العبرة ، شديد الخوف لله سبحانه ، تالياً لكتاب الله ، كثير الصوم ، خفيف القدم في حوايج أصحابه ، مشاركاً لهم بأقصى ما يمكنه . له تقايد جوابية عما كان يُسئل عنه في الفن الذي كان يؤثره ،

محروما ما يلزم التقييد به من كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، غير منافر لمذهب الأشعرية ، مالكي المذهب ، له اختيارات يسيرة لا يُفتى بها ، ولا تتعدى علمه .

مشيخته

روى عن أبي تمام غالب بن حسن بن أحمد بن سيدبونه ، وعن أبي العباس أحمد بن محمد بن شهيد ، وأخذ أيضا عن أبي بكر بن محرم ، وأجاز له أبو بكر بن المرابط ، وقرأ على القاضي أبي القاسم بن يحيى بن ربيع ، والقاضي أبي عيسى بن أبي السداد المرسي ، وغيرهم .

من أخباره

وكراماته شهيرة ، فمنها أن رجلا استفناه ، فأفتاه بجواب لم يحصل له به الإقناع ، فرأى في عالم النوم ، وإثر سؤاله إياه ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول له ، الحق ما قال لك فلان في المسألة . قال الحاكي ، فبكر إليه الرجل من الغد ، فلما أقبل عليه بموضع إقرايه ، قال له ، ألم ترد أن تستفتي يا أبا فلان إلا من رأس العين ، فبهت الرجل . وأحواله شهيرة :

مولده : ولد عام سبعة وستماية .

وفاته : في الثامن عشر من محرم عام تسعة وتسعين وستماية . ودفن بمقبرة [ريبض]^(١) البيازين مع قومه من صلحاء الشرق ، وكانت جنازته مشهودة .

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وساقطة في الإسكوريال .

ومن العمال الأثرا

فلوج الملحج

مولي يحيى بن غانية .

حاله

كان فلُوج شهما شجاعا ، مهيبا حازما ، نال من مولاه حظوة ، واستعان به على أموره المهمة . وجرى على يده إغرام أهل قرطبة ، وانطلقت على أموالهم يده ، وأثرى وجمع مالا دبرا من الصامت والذخيرة عظيما .

نكبته

وكان يحيى بن غانية قد ولاه حصن بنى بشير ، فثقفه وحصنه ، ونقل إليه أمواله ومتاعه ، وذخيرته . ولما توفى مولاه ، لحق به وملك أمره ، واستعان بجماعة من النصارى ، ثم بدا له لضعف رأيه ، وسوء تدبيره ، أن ألقى بيده إلى ابن أخى مولاه إسحق بن محمد بن غانية ، فأناب ولحق به ، معتذرا عن توقفه ، فقبض عليه وصدفه . وعرض عليه العذاب ، وأسكنه فى تابوت ، باطنه مسامير ، لا يمكنه معها التصرف ، وأجاعه بمرأى من الطعام بمطبخه ، إلى أن مات جوعا وألما . وهو مع ذلك لا يطمعه فى شيء من المال . وتخلّف بالحصن رجلا من جهة سرقسطة ، يعرف بابن مالك ، ويكنى أبا مروان . فلما ذاع خبر القبض عليه . بادر الموحدون الذين بلوثة ، فتغلبوا عليه ، واستولوا على ما كان به من مال وذخيرة ، ووجدوا فيه من أنواع الثياب والحلى والذخيرة . كل خطير عظيم ، وشدوا على ابن مالك فى طلب المال . فلم يحدوا عنده شيئا . إلى أن فدى نفسه منهم ، بمال كبير . فمضى فلُوج على هذا السبيل .

ومن المقرّبين والعلماء

قاسم بن عبد الله بن محمد الشَّاطِ الأنصاري

نزىل سبته ، وأصله من بلنسية ، يكنى أبا القاسم . قال ، والشَّاطِ
إسم لجدي ، وكان طُوالاً فجرى عليه الاسم .

حاله

نسيج وحده في إدراك النظر ، ونفوذ الفكر ، وجودة القريحة ،
وتسديد الفهم ، إلى حسن الشمايل ، وعلو الهمة ، وفضل الخلق ، والعكوف
على العلم ، والاقتصار على الآداب السنية ، والتحلي بالوقار والسكينة .
أقرأ عمّره بمدرسة سبته ، الأصول والفرائض ، متقدماً ، موصوفاً بالأمانة .
وكان موفور الحظ من الفقه ، حسن المشاركة في العربية ، كاتباً ، مُرسلاً ،
ريّان من الأدب ، ذا مماسّة في الفنون ، ونظر في العقليات ، ضرورة لم
يتزوج ، ممن يتحلى بطهارة وعفاف .

وقال في « المؤتمن » كان مع معارفه ، عالي الهمة ، نزيه النفس ، ذا
وقار وتؤدة في مشيه ومجلسه ، يُشاب وقاره بفكاهة نظيفة ، لا تنهض إلى
التأثير في وقاره ، ظريف الملبس ، يخضب رأسه بالحناء على كبره .

مشيخته

قرأ بسبته على الأستاذ الكبير أبي الحسن بن أبي الربيع وبه تأدب ،
وعلى أبي بكر بن مشليون ، وعلى الحافظ أبي يعقوب المحاسبي ، وعلى
الطبيب أبي عبد الله محمد بن علي بن أبي خالد العبدري الأبدى ، وعلى
أبي الحسن البصري ، وعلى خاليه أبي عبد الله محمد وأبي الحسن إبنى
الطرطاني ، وأجازه أبو القاسم بن البراء . وأبو محمد بن أبي الدنيا ،

وأبو العباس بن علي الغماز ، وأبو جعفر الطباع ، وأبو بكر بن فارس ،
وأبو محمد الأنباري ، وغيرهم . وأخذ عنه الجملة من أهل الأندلس من
شيوخنا كالحكيم الأستاذ أبي زكريا بن هُدَيْل ، وشيخنا أبي الحسن بن
الجياب ، وشيخنا أبي البركات ، والقاضي أبي بكر بن شيرين ، وقاضي
الجماعة أبي القاسم الحسن الشریف ، والوزير أبي بكر بن ذي الوزارتين
أبي عبد الله بن الحكيم ، والقاضي أبي القاسم بن سلمون ، وغيرهم .

شعره

وكان يقرض أبياتاً حسنة من الشعر ، فمن ذلك قوله يُذِيلُ أبياتاً
لأبي المطرف بن عميرة وهي :

فَقَصَلُ الْجَمَالَ عَلَى الْكَمَالِ بِخَدِّهِ	وَالْحَقُّ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ وَسَطَهُ
عَجِبَا لَهُ بِرَهَانِهِ بِشَرْوَطِهِ	مَعَهُ فَمَا مَطْلُوبُهُ بِالسَّفْسُطِهِ
عَلِمَ التُّبَّايِنُ فِي النُّفُوسِ وَإِنَّمَا	مِنْهَا [مَفْرَطَةٌ وَغَيْرُ مَفْرَطَةٍ] (١)
فِيهِ رَأَتْ وَجْهَ الدَّلِيلِ وَفِرْقَهُ	أَصْنَعَتْ إِلَى الشُّبُهَاتِ فَهِيَ مَوْرَطَهُ
فَأَرَادَ جَمْعَهَا مَعًا فِي حِكْمَةٍ	هَذِي بِمُنْتَجَةٍ وَذِي بَمَغْلَطَةٍ

ومن شعره قوله :

وإني سلكتُ من انقباضي مسلكا	وجريتُ من صمتي على منهاج
وتركت أقوال البرية جانبا	كي لا أميز مادحا من هاج

دخوله غرناطة

ورد على غرناطة عند تصير سبته إلى الإيالة النصرية مع الوفد من
أهلها ببيعة بلدهم ، فأخذ عنه بها الجملة ، ثم انصرف إلى بلده . قال شيخنا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مفروقة وغير مفروقة) .

أبو البركات ، وأنشدنا لنفسه :

قلت يوماً لمن اتخذت هواه قال إني خشيت منك ملاماً
لم تأب الوصال وهو مباح وأنشدنا :
مئة قد تبعتها وشريعة وآنس سلّ من ألقاظه
وتسوم المحب سوء القطيعة وبخذه من ذلك أعدل شاهد
فتركت الوصال مدّ ذريعة مالي أطالبه فيدحض حجّتي

وآنس سلّ من ألقاظه سيفاً أراق دم الفؤاد بسله
وبخذه من ذلك أعدل شاهد يقضى بأن الفتك به من فعله
مالي أطالبه فيدحض حجّتي ودى يُطلّ وشاهدى من أهله
وآنشدنا الفقيه أبو القاسم الزقاق ، قال أنشدنا الأستاذ أبو القاسم

الشاط ، وقد خرجنا معه مشيعين إياه في انصرافه عن غرناطة آيباً إلى بلده :
يا أهل غرناطة إني أودعكم ودمع عيني من جراكم جار
تركت قلبي غريباً في دياركم عساه يلقي لديكم حرمة الجار

توالياه

منها « أنوار البروق في تعقب مسابيل القواعد والفروق » . وغنية
الرابض في علم الفرائض . وتحريير الجواب في توفير الثواب . وفهرسة
حافلة . وكان مجلسه مألماً للصدور من الطلبة ، والنبلاء من العامة ،
حدثني شيخنا القاضي الشريف أبو القاسم ، قال ، كان يجلس عند رجل
خياط من أهل سبتة ، يعرف بالأجد من العامة ، فأخذ يوماً يتكلم عن
مسألة ، فقال متمثلاً كما تقول الأجد الخياط فعل كذا ، ثم التفت
معتزراً يتبسم وقال ، أتمثل بك ، فقال الأجد بديهية ، إذا يا سيدي أعتق
عليكم ، إشارة إلى قول الفقهاء ، [العبد يُعتق على سيده ، إذا مثل به] ^(١)
فاستظرف قوله .

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال كالاتي (أن العبد إذا
مثل به عتق) والعبارة الأولى أوضح وأنسب للسياق .

مولده : في ذى قعدة من عام ثلاثة وأربعين وستماية بمدينة سبتة
وفاته : توفي بها في آخر عام ثلاثة وعشرين وسبعماية ، وقد استكمل
الثمانين .

قاسم بن عبد الكريم بن جابر الأنصاري

من أهل غرناطة ، يكنى أبا محمد ، ويعرف بابن جابر .

حاله

كان رحمه الله من جلة أهل العلم والفضل ، حسن الأخلاق ، مليح
الحديث ، غذب الفكاهة ، لطيف الحاشية ، على دين والتزام سنة .
رحل إلى المشرق ، فلقى العلماء ، وأخذ عنهم ، وكلف بعلم الجدل ، فقرأه
كثيرا ، وبهر فيه . وورد على غرناطة من رحلته ، فأقرأ بها الأصول وغيرها
من جدل ومتطق وفقه .

مشيخته

قرأ بغرناطة على الخطيب ولي الله أبي الحسن بن فضيلة ، والأستاذ
خاتمة المقرئين أبي جعفر بن الزبير ، وولى القضاء ببسطة . ثم كلف
بالإقراه وعكف عليه ، فلم ينتقل عنه .

من أخذ عنه : أخذ عنه كراسة الفخر المسماة « بالآيات البيئات » .
وكان قائما عليها ، جملة من شيوخوا ، كالأستاذ التعاليمي أبي زكريا بن
هذيل ، والأستاذ المقرئ أبي عبد الله بن البياتي

شعره

وله شعر أنشدنا الشيخ أبو القاسم بن سلمون ، قال أنشدنا في شيخنا
ابن جميل قوله :

إن أطلع الشرقُ شمسَ دُنْيَا قد أطلع الغربُ شمسَ دِينِ
وبين شمس وبين شمس ما بين دُنْيَا وبين دِينِ
مولده : ولد بغرناطة عام تسعة وستين وستاية .

وفاته : توفي بها في جمادى الآخرة أو رجب من عام أربعة عشر وسبعماية .

قاسم بن يحيى بن محمد الزُّروالى

يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن دِرْهم ، مالتقى أصله من جبال تاغسى ،
ودخل غرناطة وقرأ بها .

حاله

من تذييل صاحبنا القاضى أبى الحسن ، قال فيه : كان رحمه الله
واحد زمانه ، ينبوع الحكمة ، يتفجر من لسانه ، وعنوان الولاية على
طَيْلسانه . ومن « عايد الصلة » : كان رحمه الله علما من أعلام الزهد
والورع والديانة ، والتقلُّل من الدنيا ، والعكوف على تجويد كتاب الله
وإقرايه ، منقطع القرين فيه ، كثير المناقشة والتحقيق ، يرى أن ليس
في الأرض من يحكم ذلك حق إحكاه ، مالم يأخذه .

مشيخته

قرأ على جملة من حملة كتاب الله بالشرق والمغرب والأندلس ، وعُنى
بذلك . ثم لم يعتمد منهم إلا على الأستاذ أبى إسحق العافى بسببته ، والخطيب

أبي جعفر بن الزيات ببُلُش من الأندلس ، واستمرت حاله على سبيلها من الزهد والانتقباض والتنطع ، والإغراق في الصلاح ، والشُدُوذ في بعض السجايا إلى أن توفى .

بعض من نوادره مع اخشيثانه : حدثني القاضي أبو الحسن بن الحسن ، أن بعض الطلبة المنتسكين قال له ، أتيتك أقرأ عليك ، فاستخير الله ، ثم أتاه فقال قد استخرت ، وهم بالقراءة ، فقال له الشيخ . إمسك حتى أستخير أنا الله ، في قرائتك عليّ ، فقال الطالب ، وهذا عمل برّ ، فقال له الحجة عليك . فانفصل عنه . ثم عاد إليه يسألُ منه القراءة ، فقال ، يا بني ظهر لي أن لا تقرأ عليّ ، فانصرف .

ومن أخباره في الكرامة ، قال لي المذكور ، وقد أزمعت السفر إلى ظاهر طريف مع جَمع المسلمين ، أنك إن سافرت^(١) يا ولدي ، تُقاسي مشقة عظيمة إن سبق القدر بحياتك ، والله يُرشدك ، وقد كنت شرعت في ذلك مع رفقائي . وفي سحر ليلة اليوم ، الذي انهزم فيه المسلمون ، رأيته في النوم يقول لي منكراً عليّ ، قلت لك لا تسافريكرها ، فاستيقظت وأوقع الله بقلبي الرجوع إلى الجزيرة ، لآراب أفضيها ، فما بلغ زوال الشمس من اليوم ، إلا ومُقدِّمة الفلّ على أطواق البلد في أسوأ حال .

وفاته

توفى ببلدة مالقة خامس صفر ، من عام خمسين وسبعماية في وقبة الطّاعون^(٢) ، توفى وآخر كلامه ، رزقنا الله عملاً صالحاً يقربنا إليه زُلُوقاً ، وجعلنا من يمر على عُقبتي الدنيا والآخرة مرور أهل التقوى .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (تدافر) .

(٢) سبق التعريف بوقبة الطاعون أو الوباء الكبير (راجع المجلد الأول من الإحاطة ج ١

ومن الكتاب والشعراء

قرشى بن حارث بن أسد بن بشر بن هندی بن المهلب بن القاسم

ابن معاوية بن عبد الرحمن الهمداني

حاله

هو أعرق الناس في الشعر ، لأن جده المهلب كان شاعرا ، وولده هندی كذلك ، وأسد وحارث وقرشى فهم شعراء سنة على نسق ، ويدل شعرهم ، على شرف نفوسهم ، وبعد همهم .

شعره

قال أبو القاسم الغافقي ، من شعره قوله في هاشم بن كعب التميمي من أنجد الفرسان ، قتل في يوم ، خمسة من أنجاد المولدين :

هجرتُ القوافي والظُّبا الأوانسا	وودعتُ لذاتي نعم واللواعسا
ورعت فؤادي بالمشيب عن الصبا	وأصبحت عن عهد الغواية يانسا
أبا خالد مازلتُ مذ كنت يافعا	لكل سنات المكارم لابسا
فما حملت أنثى كمثلك سيِّدا	ولا حملت خيلٌ كمثلك فارسا

قاسم بن محمد بن الجد العمري

يكنى أبا القاسم ، ويعرف بالورسيدي ، من أهل ألمرية ، وتكرر وروده على غرناطة .

حاله

قال شيخنا أبو البركات ، كان حسن الأخلاق ، سليم الصدر ، بعيدا

عن إذابة الناس بيده أو لسانه بالجملة ، له خطأ لا بأس به ، ومعرفة بالعدد ، وسلك الطريقة الزمامية ، وله حظ من قرّض الشعر . وجرى ذكره في الإكليل بما نصه : من أئمة أهل الزمام ، خليق برعى الدمام ، ذو حظ كما تفتح زهر الكمام ، وأخلاق أعذب من ماء الغمام . كان ببلده محاسبا ، في لجة الأعمال راسبا ، صخيح العمل ، يلبس الطروس من براعته أسنى الحلل .

شعره

قال يمدح المقام السلطاني :

أرى أوجه الأيام قد أشرفت بشرا
وما بال أنفاس الخزامى تعطرت
ونقبت الشمس المنيرة وجهها
وما زالت بأغصان الرجال أريحية
فماذاك إلا أن بدا وجه يوسف
خليفة رب العالمين الذي به
وجرت على أعلى المجرة ساحبا
وقام بأمر الله يقضى ويقتضى
وأربنى على كل الملوك وفاتهم
وهي طويلة ، ومن شعره أيضا قوله :

من أين أقبلت يانسيم
ولا عدمناه سنك سرى
بلغ سلامي أهيل ودى
قل لهم صبكم مشوق
جادت بساحاتك الغيوم
حسل به عندنا النعيم
بلغك الله ما تروم
أنحله وجدّه القديم

لطلما يسهر الليالي
 هبوا رضاكم لذي غرام
 إن غبتم عن سواد عيني
 لوثر ساعد السعد أن أراكم
 يا حادي العيس نحو أرض
 إذا أتيت اللوى وسلفا
 ولاح بالأبرقين بدر
 فقل غريب ثوى بقرب
 قد أنقلت ظهره الخطايا
 إن أعمل الحزم لارتحال
 لمنى هذا الشباب ولئ
 يارب عفوا لذي اجترام
 مالي شفيع سوى رجائي
 فلا تكلني إلى ذنوبي

وطى أضلاعه جحيم
 مازال قُدماً بكم بهم
 فحبكم في الحثى مُقيم
 لما اشتكى قلبي السقيم
 بنية قدرها عظيم
 وبان للناظر الحطيم
 بسيره تهدي النجوم
 في بحر أوزاره يُعوم
 وشجبت ذكره الرسوم
 أقعد ذنبه العظيم
 والقلب في غيبه مُقيم
 لا تهتك الستر يا حلیم
 وحسن ظني أيا كريم
 وارحمني يا الله يا رحيم

وفاته : توفي في وقية الطاعون عام خمسين وسبعماية .

ومن المحدثين والفقهاء والطلبة النجباء

قاسم بن أحمد بن محمد بن عمران الحضرمي

من أهل سبته ،

حاله

من خط صاحبنا القاضي أبي الحسن بن الحسن . قال ، كان شيخا

يتقد ذكاء . رحل عن سبتة إلى الحجاز ، فقصى الفريضة ، وتطور في البلاد الشرقية نحواً من أربعة عشر عاماً ، وأخذ بها عن جلة من العلماء . وورد على غرناطة في حدود عام ثمانية عشر وسبعماية ، فأخذ عن بعض أشياخها ، وعاد إلى بلده ، وكان على خزانة الكتب به ، وكان يُقَرَأ القرآن به ، قال ، وأنشدني لما لقيته بيتاً واحداً ، يحتوى على حروف المعجم ، وهو :

قد ضم نصر وشكا بئنه مدهسختُ عَضُّ على الإبط

مشيخته

أخذ بالمشرق عن جماعة ، منهم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب الدمشقي الحجار ، والشيخ المحدث أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الشيرازي ابن جميل ، قرأ عليه كتاب ابن الحاجب ، وحدثه به عن مؤلفه ، وقرأ على الشيخين المقرئين الجليلين ؛ أبي عبد الله محمد بن عبد الخالق المعروف بابن الضايغ وأبي عبد الله بن يعقوب الجراش المقدسي ، جملة من الكتب الحديثية وغيرها ، وسمع عليهما كتاب « الشاطبية » وحدثناه بها معاً عن المُقَرَّي أبي الحسن علي كمال الدين بن شجاع العبادي الضرير ، عن صهره مؤلفها .

توالياً : قال : له في القراءات تقييد حسن سماه « الشافي في اختصار التيسير الكافي »

وفاته : توفي أيام الطاعون العام^(١) ببلده .

قاسم بن خضر بن محمد العامري

(١) الطاعون العام حسبما سبق التعريف به اجتاج الأندلس في سنتي ٧٤٩ و ٨٧٥٠ .

يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن خضر هكذا ، دون تعريف . يعرف سلفه ببني عمرو من أهل المرية .

حاله

من خط شيخنا أبي البركات ، كان هذا الشيخ من وجوه المرية ، ومن تصرف سلفه في خُطّة القضاء بها . وهو أقدم خطيب أدركته بسني بجامعة الأعظم . وكان شيخا عفيفا من رجال الجد ، ضيق العطن ، سريع الغضب ، غيورا على تلك الخطة ، لا يُحلى بعينه أحد . لما مات رفيقه في الصلاة والخطبة ، الشيخ الشهير عند العامة ، ثالث اثنين ، الخراسي والنطية ، أبو عبد الله بن الضايغ ، فكل من عرض عليه أن يكون معه أباه ، فقال أهل البلد ، فما العمل ، فقال يُكتب إلى أبي القاسم ابن الحاج إلى سبتة ، ليأتي إلى أرض سلفه ، ويكون رفيق في الصلاة والخطبة ، يعني عمي ، فكتب إليه بذلك ، فكانت المسألة عند الآخر ، أهون من أن يجيب على الكتاب ، ولو بالإبابة ، فبقي الأمر إلى أن قدم معه الشيخ الصالح الخطيب المصّقع أبو الحسن بن فرحون البلّفيقي ، فلم يجد فيه قادحا إلا كونه ليس من أهل البلد ، فبقي مرافقا له إلى حين وفاته

غريبة : قال الشيخ أخبرتني جدتي عائشه بنت يحيى بن خليل ، قالت ، كان الرجل الصالح ، أبو جعفر بن مكنون خال قاسم بن خضر هذا ، فرآه يلعب مع الصبيان في أزقة المرية ، فقال له من يكون خطيب المرية يلعب ، فبقيت في حفظه إلى أن ولى الخطابة .

وفاته : توفي في صفر من عام ثلاثة وسبعماية ، وكانت جنازته مشهودة

حرف السين

سوار بن حمدون بن هبده بن زهير بن ديسم بن قديدة بن هنيذة

وكان عالماً من أعلام العرب ، وصاحب لواء قيس بالأندلس ، ونزل
جده^(١) بقرية قربسانة^(٢) من إقليم البلاط من قرى غرناطة ، وبها أنسل
ولده ، ولم يزالوا أعلاما ، إلى أن ظهر سوار هذا منهم في الفتنه .

حاله وبعض آثاره وحروبه

قال أبو القاسم ، كان سوار هذا بعيد الصيت ، رفيع الذكر ، شجاعا ،
مُحيا في الظهور ، حامي العرب وناصرهم . وكان له أربعة من الإخوة ،
مثله في الشجاعة ، حضروا معه في الحروب في الفتنه ، وهو الذي بنى
المدينة الحمراء بالليل ، والشَّمْعُ تَزْهَرُ لعرب الفحص ، وبنى مدينة وادي آش
لبنى ساي ، وبنى مدينة مُنْتَيْشَة لبني عطاف ، وبنى مدينة بَسْطَة لبني
قحطبة ، وبنى مَسِيرَة ، وبنى كورة جِيَان للعرب . ولولا أن الله من على العرب
يسوار ونصره ، لما أبقى العجم والمولدون منهم أحدا . وأنسل سوار ،
عبد العزيز المقتول بِمُنْتَيْشَا فَر ، وعبد الرؤوف وعبد الملك .

مبدأ أمره وحروبه وشعره

قال أحمد بن عيسى بعد اختصار ، في صدر هذه السنة ، يعنى سنة
خمس وسبعين ومائتين ، ثار سوار بن حمدون بناحية البراجلة من كورة
إلبيرة ، وانضوت إليه العرب ، قام على تفئة مهلك يحيى بن صقالة
أميرهم ، قتل المُسَالِمَة والمولدين ، فطلب بثأره ، وكثرت أتباعه ،

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٢) قربسانة وبالإسبانية Caparacena من قرى غرناطة وتقع غربها على فرع نهر شنيل .

واعترت العرب به . وقصد بجمعه إلى ست شافر، وبه من عدوه المذكورين نحو من ستة آلاف رجل نازلهم حتى قهرهم . وطاف على حصونهم فافتتحها ، وقتل وغنم ، وتنادوا لقتاله في جموع عظيمة ، عليها جعد بن عبد الغافر عامل الأمير عبد الله ، وبرز إليهم فيمن برز ، وناشبههم الحرب ، فانهمزوا فقتل منهم خلق خُرُزوا بسبعة آلاف ، وأسر جعد ، ومن عليه وأطلقه ، وكانت وقيعته الأولى هذه تعرف بوقية جعد . وغلظ ، واستند إلى حصن غرناطة ، بالعرب من مدينة البيرة . وكانت العرب يتألبون على المولدين ، إلى أن عزل الأمير جعداً عن الكورة لإرضاء لسوار ، فأظهر عند ذلك الطاعة ، وغزا الحصون الراجعة إلى ابن حفصون فأوقع بهم ، فهاجمهم ، واجتمعت عليه كلمتهم ، فقصلوه وحصروه بغرناطة في نحو عشرين ألفاً ، وبرز إليهم في عدده القليل من عبيده ، ورجال بيوتات العرب من أهل البيرة ، ورجعوا من جبل الفخار على تعبئة ، يريدون الباب الشرقي من غرناطة ، وكادهم لما التحمت الحرب وشب خيراؤها ، بما دبره من انسلاله في لَحْمَة (١) من فرسانه ، حتى استدبرهم ، فحمل يشعاره ، فاندعروا وانفضوا ، فتوهم حماهم أن مدداً جاءهم من وراءهم ، فولوا منهزمين ، وأعمل سوار وأصحابه السيوف فيهم إلى باب البيرة ، فيقال إن قتلاهم في هذه الوقية الثانية كانوا اثني عشر ألفاً ، وهي الوقية المعروفة بوقية المدينة ، ولاذ المولدون بعد هذا بعمر بن حفصون واستدعوه ، فوافاهم في جيش عظيم ، ودخل البيرة ، وناهض سواراً . وعنده رجالات عرب الكور الثلاث ، البيرة وجيان وريه ، واشتد القتال ، وجال جيش ابن حفصون جولة ، جرح فيها جراحات صعبة ، وكاد سوار يأتى عليه . لولا رجال صدقوه الكر

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (خنة) والأول ارجح .

واستنقلوه ، وتمت عليه الهزيمة ، فانقلب على عقبيه ، ونالت الحضرة
معزته ، فأغرم أهلها الذين استجلبوه ما تشعث من عسكره ، واستعمل
عليهم قائده حفص بن المرّة ، وانصرف : ونجح سوار بما تهيأ له على
أعدائه ، فاحتلت همته ، وأجلته العرب ، وعلا في الناس ذكره ، وقال
الأشعار الجزلة ، فيما تهيأ له على المولدين ، وأكثر الافتخار بنفسه ، فشهد
من قوله في ذلك :

صَرَمَ الغَوَانِي يَا هُنَيْدُ مودني إِذْ شَابَ بِمِفْرَقٍ لِمَتِي وَقَدَالِي
وَصَدَدْنُ عَنِي يَا هُنَيْدُ وَطَالَمَا علقَت جِبَالٌ [وصالها بحبال] (١)
وهي طويلة ، أكثر فيها الفخر ، وألم بالمعنى :

وفاته

ولما انصرف عمر بن حفصون وترك قائده بإلبيرة ، جهز معه طائفة
من خيله ، وأقره لمُغَاوَرَةِ سَوَارٍ ، وكرّك النيل لديه ، وأعمل حفص
جهده ، وطلب غرته ، فأمكنه الله منه ، وأنه دنا إليه يوماً ، وقد أكنن
أكثر خيله ، وظهر له مُسْتَغِيرًا بجانب من حصنه ، فخرج سوار مبادرا
من غرناطة لأول الصبيحة في نفر قليل ، لم يحترس من الحيلة ، التي
يحلرها أهل الحزم ، فأصحر لعدوه ، وخرجت الكماين من حوله ،
فقتل وجى بجثته إلى إلبيرة ، فذكر أن الثكالي من نسايم قطعن لحمه
مرقاً ، وأكلنه حنقاً (٢) لما نالهن من الثكل . وكان قتل سوار في سنة سبع
وسبعين ومايتين ، وقتلت العرب بقتل سوار ، وكل حدها بما نزل بها .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي نص آخر (وصالهن بحبال) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حنقاً) .

سليمن بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله

الخليفة بقرطبة

المكنى بأبي أيوب الملقب من الألقاب الملوكية بالمستعين بالله .
أوليته : معروفة .

حاله

كان أديبا شاعرا ، مجموع خلال فاضلة ، أصيل الرأي ، راجح العقل ، ثبنا . ولى الخلافة غالبا ، وقَعَصَا ، ومنازعة ، وأوقع بأهل قرطبة وقائع أبادتهم . وخلع ثم عادت دولته ، وجرت له وعليه الهزائم ، على قصر أمد خلافته ، لقيام البربر بدعوته ، وتدويخ البلاد باسمه ، في أخبار فيها عبرة ، دخل في بعض حركاتها وهولاتها المُبيرة^(١) ، إلى أن طحنته رَحَى الفِتنة ، وشيكا عن دنيا غير هنيئة ، وصُبابة ليست بسنيئة

شعره

من شعره يعارض المقطوعة الشهيرة المنسوبة للرشيد^(٢) .

عجبا يهاب الليثُ حدَّ سناني	وأهاب لَحْظَ فواتر الأَجْبان
فأقارِع الأَهْوال لا مُتَهيبا	منها سوى الإِعْراض والهَجْران
وتملَّكت نفسي ثلاث كالدمي	زهر الوجوه نواعم الأَبْدان
ككواكب الظُّلْماء لَحْن لناظري	من فوق اغْصان علي كُنْشان
هذي الملال وتلك أخت ^(٣) المشتري	حُسْنًا وهذي أخت غُصْن البان
حاكمت فيهن السلو إلى الهوى	فقضى بسُلطان على سُلطان

(١) وردت في الإسكوريال لبيرة ، والتصويب أنسب للسياق .

(٢) مقطوعة الرشيد المشار إليها مطلعها : « ملك الثلاث الآذونات عنان » .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي نص آخر (بت)

فأَبْحَنُ مِنْ قَلْبِي الْجَمِي وَتَرَكْتَنِي فِي عَزِّ مُلْكِي كَالْأَسِيرِ الْعَانِ
لَا تَعْدِلُوا مَلِكًا تَدُلُّ لِلْهَوَى ذُلُّ الْهَوَى عَزُّ وَمَلِكٌ ثَانِ

مقتله

قتله علي بن حمود المتقدم الذكر ، متولى الأمر بعده ، صبراً بيده ،
بدم هشام المؤيد ، وقال لما زحف إليه ، لا يقتل الزُّلطان إلا الزُّلطان ،
يعنى السُّلطان ، إذ كان بربرى اللسان ، وذلك فى أخريات المحرم من سنة
سبع وأربع مائة .

سليمن بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان
يكنى أبا أيوب .

حاله

كان شهماً جريئاً ، أنوفاً شجاعاً ، ديناً فاضلاً . ولما توفى أبوه بقصر
قرطبة ، وهشام وأبو أيوب هذا غائبان ، وكل ابنه عبد الله ، المعروف
بالبلنسى ، وقال من سبق إليك من أخويك ، فارم إليه بالخاتم ، فإن
سبق إليك هشام ، فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه . فإن سبق
إليك سليمان ، فله فضل دينه ونجده ، وحب الشاميين له . فقدم هشام
من ماردة ، وتولى الخلافة قبل سليمان . واتصل ذلك بسليمن ، فأخذ
لنفسه البيعة بطليلة ، وما اتصل بها ، ودعا إلى نفسه (١)
وواضع أخاه الحرب غير ما مرة ، تجرى عليه فى كلها الهزائم ، إلى أن
تبرم بنفسه ، وأجاز البحر عن عهد إلى ستين ألفاً بذلت له ، واستقر
بأهله وولده ببلاد البربر . ولما صار الأمر للحكم بن هشام ، عاد إلى

(١) يياض فى المخطوط .

الأندلس سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وكان اللقاء في شوال منها ، فانهزم سليمان ، ثم عاد للقاء فانهزم . وفي سنة أربع وثمانين حشد ، واحتل بجيان ثم بالبيرة ، والتقى بها مع الحكم ، ودام القتال أياما ، حتى هم الحكم بالهزيمة ، ثم انهزم سليمان ، وقتل في المعركة بشر كثير ، وأفلت سليمان إلى جهة ماردة . وبالتقاء الحكم وعمه سليمان بالبيرة وأحوزاها ، إستحقا الذكر هنا على الشرط المعروف .

وفاته : وبعث الحكم أضيغ بن عبد الله في طلب سليمان ، فأسره وأناه به ، فأمر بقتله ، وبعث برأسه إلى قرطبة . قتل في سنة خمس وثمانين بعدها .

سعيد بن سليمان بن جودي^(١) السعدي

حاله

كان سعيد بن سليمان صديق سوار ، فغصبت العرب الإمارة به بعده ، وعلقت به ، فقام بأمرها وضم نشرها ، وكان شجاعا بطلا ، فارسا مجربا ، قد تصرف مع فروسيته في فنون من العلم ، وتحقق بضروب من الآداب ، فاغتنى أديبا نحريرا ، وشاعرا مُحسنا ، واتصل قيامه بأمر العرب إلى أن قُتل .

شعره

ومن شعره في وقية سوار بالمولدين قوله من قصيدة طويلة :
قد طلبنا بثأرنا فقتلنا منكم كل مارق وعنيد

(١) وردت في الإسكوريال (جود) والصواب ما أثبتناه .

قد قتلناكم بيحيى وما
 هجتم يا بنى العبيد ليوثا
 فاصطلوا حرها وحد سيف
 حاكم ماجد يقود إليكم
 مهذب من نزار وعميد
 يطلب الثار بابن قوم كرام
 فاستباح الحما لم يبق منها
 قد قتلنا منكم ألوفاً فما
 مثله لما أضاف إليهم
 قتله عبيد سوء لثام
 لم يصيوا الرشاد فيما أتوه
 قد غدرتم به بنى اللؤم من
 فلئن كان قتله غدره
 كان ليثأ يحيى الحروب وحضناً
 كان فيه التقى مع الحطم
 عال مجد الأمجاد بعلك
 فجزاك الإله جنة عدن

أن كان حُكْمُ الله بالمردود
 لم يكونوا لجارهم بقعود
 تلظى عليكم بالوقسود
 فئة سادة كمثل الأسود
 ما مثله من عميد
 أخذوا بالعهود قبل المهود
 غير عان فقدته مضافود
 يعدل قتل الكريم قتل العبيد
 لم يكن قتله برأى سيد
 وفعال العبيد غير حميد
 لا ولا كان جدتهم لسعود
 بعد يمين قد أكدت وعهود
 ما كان بالنكس لا ولا الرعيد
 وملاذا وعصمة المقصود
 والبأس وجود ما مثله جود
 قديماً وقت كل مجيد
 حيث يجزى الثواب كل شهيد

مقتله

قال الملاحى ، كان من الأعلام ، وعُدَّ في الشعراء والفرسان والخطباء
 والبلغاء ، خطب بين يدي الخليفة^(١) المنذر ، وهو حدث ، أول ما أفضت
 الخلافة إليه ، وعليه قباء خز ، وقد تنكب قوساً عربية ، والكنانة بين
 يديه . خطب خطبة بليغة ، وصلها بشعر حسن ، ولم يزل اللوا يتردد

عليه في العز والمقام ، ويخطب في أعلى المنبر في المسجد الجامع بالبيرة .
وسجل له الخليفة^(١) عبد الله على الكورة ، إلى أن هم بالقيام على
بنى أمية عندما اشتدت شكيمته ، وظهر على عمر بن حفصون إلى أن قتل
بسبب امرأ ، تمت عليه الحيلة لأجلها بدار يهودية ، إذ كان منحطاً في
هوى نفسه ، فطاح في ذى قعدة سنة أربع وثمانين ومايتين ، وصار أمر
العرب بعده إلى محمد بن أضحى حسبما يتقرر في مكانه .

ومن ترجمة الأعيان والوزراء والأمثال والكبراء

سهل بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي
صدر هذا البيت ، وياقوتة هذا العقد ، يكنى أبا الحسن . قال
أبو جعفر بن مسعدة ، كان رأس الفقهاء وخطيب الخطباء البلغاء ،
وخاتمة رجال الأندلس . تفنن في ضروب من العلم ، وبالجملة فحاله
ووصفه في أقطار الدنيا ، لا يُجمله أحد ، فحدث عن البحر ولا حرج ،
ضمن الزمان أن يسمح برجل حاز الكمال مثله

حاله

قال ابن عبد الملك ، كان من أعيان مضره ، وأفضل أهل عصره ،
تفنن في العلوم ، وبراعة في المنثور والمنظوم ، محدثاً ضابطاً ، حدلاً ثقة
ثبتاً ، حافظاً للقرآن العظيم ، مجوداً له ، متقناً في العربية ، وافر النصيب
من الفقه وأصوله ، كاتباً مجيداً للنظم في مُعرب الكلام وهزله ، ظريف

(١) إن تعبير ابن الخطيب هنا بالخليفة إشارة إلى أمير الأندلس المنذر بن محمد بن عبدالرحمن
الذي حكم من (٢٧٣ - ٢٧٥ هـ) وأخيه الأمير عبد الله الذي حكم من (٢٧٥ - ٢٨٠ هـ) إنما هو
تجاوز في التعمير ، ولا يطابق الوضع التاريخي الصحيح . لأن الخلافة الأندلسية لم تقم إلا على يد
عبد الرحمن الناصر في سنة ٢٨١ هـ (٩٢٩ م) . وهو أول خلفاء بني أمية بالأندلس .

الدعابة ، مليح التندير . له في ذلك أخبار مُستظرفة مُتناقلة ، ذا جِدَّة
ويَسار ، متين الدين ، تام الفضل ، واسع المعروف ، عَميم الإحسان ،
تصدق عند القرب من وفاته بجملة كبيرة من ماله ورياعه ، وله
وفادةٌ على مراكش .

مشيخته

روى ببلده عن خاله أبي عبد الله بن عروس ، وخال أمه أبي بكر
يحيى بن محمد بن عروس ، وأبي جعفر بن حَكَم ، وأبي الحسن بن كوثر ،
وأبي خالد بن رفاعة ، وأبي محمد عبد المنعم بن الفرس . وبمالقة عن
أبي زيد السُهيلي ، وأبي عبد الله بن الفخار . وبمرسية عن أبي عبد الله
ابن حُميد ، وأبي القاسم بن حُبَيْش . وبإشبيلية عن أبي بكر بن الجَدِّ ،
وأبي عبد الله بن زرقون ، وأبوي عبد الله العباس بن مضاء ، والجرأوى
الشاعر ، وأبي الوليد بن رشد . قرأ عليهم وسمع ، وأجازوا له . وأجاز
له من أهل الأندلس أبو محمد عبد الله نزيل سبتة ، وعبد الحق بن الخراط
نزيل بجاية . ومن أهل المشرق جماعة ، منهم إسماعيل بن علي بن إبراهيم
الجرأوى ، وبركات بن إبراهيم الخشوعي أبو الطاهر ، وعبد الرحمن
ابن سلامة بن علي القضاعي ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم .

من روى عنه : روى عنه أبو جعفر بن خَلَف ، والطوسي ، وابن سعيد
القرزاز ، وأبو الحسن العنسي ، وأبو عبد الله بن أبي بكر البري ، وابن الجنان ،
وأبو محمد عبد الرحمن بن طلحية ، وأبو محمد بن هرون ، وأبو القاسم
ابن نبيل ، وأبو يعقوب بن إبراهيم بن عقاب ، وأبو جعفر الطباع ،
وأبو الحجاج بن حَكَم ، وأبو الحسن الرُعيني ، وأبو علي بن الناظر ،
وغيرهم .

ثناء الأعلام عليه : والمجال في هذا فسيح . ويكفي منه قول أبي زيد

الغزاري :

عجبا للناس تاهوا بثننات المسالك
وصفوا بالفضل قوما وهم ليسوا هنالك
كثر النقل ولكن صح عن سهل بن مالك

شعره

وشعره كثير مما ينخرط في سلك الجيد [فمن ذلك] قوله :
نهارك في بحر السفاهة يسبح وليلك عن نوم الرفاهة يُصبح
وفي لفظك الدعوى وليس إزاءها من العمل الزاكي دليل مُصحح
إذا لم توافق قولة منك فعلة فقي كل جزء من حديثك تفصح
تنح عن الغايات لست من أهلها طريق الهويناء في سلوكك أوضح
إذا كنت في سن النبي غير صالح فقي أي سن بعد ذلك تصلح
إلى كم أماسيها على الرغم غاية يُصيب المزكي عندها والمجرح
وعليها ألا تنو ولا تني فتُحسن في عين الشيبان وتُقبح
عسى وطر مونق فالتمس الرضا واقرع أبواب الرشاد فتفتح
فقد ساء ظني بالذي أنا أهله وفضلك يا مولاي يعفو ويصفح

وقال في تشييع بعض الفقهاء من غرض الأمداح :

يلقاك من كل من يلحاقك ترحيب ومن خليفتها عز وتقريب
وتصطفيك إلى أحوازها رتب لما على مفرق الجوزاء ترتيب
تأتي إليك بلا سعي بلا سبب كأن ترَكَك للأسباب تسبب
من كل مشغوفة بالحسن دام لها إلى غنائك تصعيد وتصويب
يلقاك بالبشر والإقبال خاطبها وحظها منك إعراض وتقطيب

كَأَنَّ زَهْدَكَ فِيهَا عَنْكَ تَرْغِيبٌ
 إِلَى لِقَائِكَ إِجْرَاءٌ وَتَقْرِيبٌ
 عَذْبُ الزُّلَالِ وَلِلْبَاغِينَ تَعْذِيبٌ
 حَتَّى تَلَاقَ عَلَيْهَا الشَّاةُ وَالذَّيْبُ
 وَلَا سَبْتَهَا الْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبُ
 فَهَمُّهَا الْبَيْضُ وَالْجُرْدُ السَّلَاهِيبُ
 عَلَى أَفْقِ الْأَفْسَاكِ تَطْنِيبُ
 كَأَنَّهَا لَكَ فِي الْمَشْرُوبِ شَرِيبٌ
 سَهْمٌ إِلَى طَلَبِ الْعَلِيَا طَبَايِيبُ
 وَإِنْ سَمِعْنَا كَلَاماً فَهُوَ تَأْدِيبُ
 أَعْلَاقُ مَالٍ وَأَغْلَاقُ وَتَهْذِيبُ
 إِنْ نَابَ خَطْبُ فَمَنْ جَدَّوَاهُ تَأْنِيبُ
 وَقَدْ أَضْرَبَهَا بَعْدُ وَتَغْرِيبُ
 بَسْطٌ وَقَبْضٌ وَتَرْغِيبٌ وَتَرْهِيبُ
 مِنْ تُرَابِ الْأَرْضِ تَتْرِيبُ
 مِثْلُ وَإِنْ طَالَ تَنْقِيرٌ وَتَنْقِيبُ
 عَدَلٌ كَمَا اعْتَدَلَتْ فِيهِ الْأَنْبَابُ
 وَذَكَرَ فَضْلَكَ لِلْأَرْوَاحِ تَشْبِيبُ
 بِنَفْحَةِ الطَّيِّبِ يُدْرَى أَنَّهُ طِيبُ
 رَحْبُ الْمَجَالِ وَاللَّاحِانُ تَطْرِيبُ
 يَهَابُكَ الدَّمْرُ وَالشُّبَانُ وَالشَّيْبُ
 لَهَا عَلَى أَفْقِ الْأَمْلاكِ تَطْنِيبُ

مَا زِلْتَ تَرْغَبُ عَنْهَا وَهِيَ رَاغِبَةٌ
 فَاتَهَضَّ إِلَيْهَا فَلَوْ تَسْتَطِيعُ كَانَ لَهَا
 يَحْيَى وَتَحْيَى فَلِلْبَاغِي مَوَاهِبُهَا
 سَارَتْ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ سِيرَتَهَا
 لَمْ تُصِبْهَا لُدَّةُ الدُّنْيَا وَزَخْرَفُهَا
 إِذَا أَمَّهُ بَنَى الدُّنْيَا نَعِيمَهُمْ
 فَوْقَ الْكَوَاكِبِ مَضْرُوبٌ سُرَادِقُهَا
 كَرَّحَتْ فِي ظِلِّهَا الصَّافِي بِسِلْسِلِهَا
 فِي قِيَمَةٍ مِنْ بَنَى الْأَمَالَ قَدْ قَرَعَتْ
 إِذَا حَضَرْنَا طَعَامًا فَهِيَ مَأْدُبَةٌ
 وَمَنْ يَلْدُ بَنَى إِسْحَاقُ كَانَ لَهُ
 يَابَعْدُ السَّرُّ مِنْ قَلْبِي وَيَا مَلِكاً
 هَبْ الْقَرَارَ لِأَمَالٍ مُسَافِرَةٌ
 فَمَنْ يَمِينِكَ وَهَابَا وَمُنْتَظَمَا
 وَمَا يُبْصِرُ كِتَاباً رَاقٍ مَنظَرُهُ إِنْ نَالَهُ
 لَكَ السِّيَادَةُ لَا يُلْقَى لِسُؤْدَدِهَا
 عَزْمٌ كَحَدِّ سِنَانِ الرُّمَحِ يَصْحَبُهُ
 كِمَالُ نَفْسِكَ لِلْأَرْوَاحِ تَكَلِمَةٌ
 وَعَرَفْتُ ذَاتَكَ كَافٍ فِي تَعْرِفْنَا
 إِذَا ذَكَرْتَ فَلِلْأَشْعَارِ مَضْطَّرِبُ
 سِرٌّ خَيْثُ شَيْتِ مَوْفَى مِنْ مَكَارِمِهَا
 فِي غُرَّةٍ تَخْتَقِ الْأَيْسَامُ جَدَّتْهَا

ومن غمط النَّسِيبِ والأوصاف قوله وهو بسبته بعد وصوله من مراکش ، وهو
 مما طار من شعره :

لما حططتُ بسبته قَتَبُ النوى^(١) والقلبُ يرجو أن تحول حاله
 والجو مصقول^(٢) الأديم كأنما يُبْدَى الخفي من الأمور صقاله
 عانيت من بلد الجزيرة مسكنا^(٣) والبحر يمنع أن يُصَاد غزاله
 كالشَّكْلِ في المرآة تُبْصِرُه وقد قُرِبَت مسافته وعزَّ دَناله
 ومن شعره قوله رحمه الله :

تبسم واستأثرتُ منه بِقُبلة فسيمتُ أقاحا وارتشفتُ عُقارا
 ومزَّ فأبْدَى الريح ترسل شِعْرُه كما ستر الليل البهيم نهارا
 فيالك ليلاً بالكئيب قطعته كما رُعت بالزَّجر الغراب فطارا
 تُغْضُ بنا زُهر الكواكب غيرَ فتقدح في فحَم الظلام شرارا
 ومن ذلك قوله :

ولما رأيت الصبح هبَّ نسيمه دعاني داعيه إلى البين والشت
 وقلت أخاف الشمس تفضح سرنا فقالت معاذ الله تفضحني أخت
 ومن الحكم وأبيات الأمثال قوله رحمة الله عليه :

مُنْعَصُ العيش^(٤) لا ياؤى إلى دعة من كان ذا بلد أو كان ذا ولد
 والسَّاكن النفس دن أم ترَض هيمته سُكنى مكانٍ ولم تَسْكُن إلى أحد
 ومن شعره :

ولا يثُل يوم قد نَعِمْنَا بِحُسْنِه مُذهب أثناء المروج صقيل

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الهوى) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مقصود) .

(٣) وردت في الإسكوريال (مكنسا) . والتصويب : من الزيتونة .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (القلب) .

إلى أن بدت شمس النهار ترونا
 ولا توارت شمسه بحجابها
 وغابت فكان الأفق عند مغيبها
 أنا ما بها صيفراً يسطع نورها
 فردت علينا شمسنا وأصيلنا
 ومن نشره قوله يخاطب بنى أبي الوليد بن رشد ، تعزيةً في أبيهم ، واستفتحه
 بهذه الأبيات :

ألا ليت شعري هل لطالب غاية
 مضى علم العلم الذي بيّنه
 أنجلاني إني من دموعي بزاجر
 وما كان ظنّي قبل فقد أبيكم
 ولم أدر من أشقى الثلاثة بعده
 ومن شاهد الأحوال بعد مماته
 رجوعاً إلى الصبر الجميل فحقه
 أعزيكم في البعد عنه فإنني
 فما كان فينا منه إلا مكانه
 وصولٌ وأحداثُ الزمان تعوقه
 تبين خافيه وبان طريقه
 بعيدٌ عن الشطين منه غريقه
 بأن مصاباً مثل هذا أطيّقه
 أبناؤه أم دهره أم صديقه
 تيقن أن الموت نحن نذوقه
 علينا قضي أن لا توفي حُقوقه
 أهنيه قريباً من جوار يروقه
 وفي العالم العلوي كان رفيقه

إيه عن المدامع هلاً تلا انحدار الدمعة انحدارها ، والمطامع هل ثبتت
 على قطب مدارها ، والفجائع أغير دار بني رشد دارها ، فإنه حديث
 أنعاطاه مسكراً ، وأستريح الله مفكراً ، وأبشه باعشا على الأشجان مذكراً ،
 ولا أقول كفاً وقد ذهب الواخذ الذي كنت تتلافي ، ولا أستشعر صبراً ،
 وقد حلّ نور العلم قبرا ، بل أغرق الأجنان بمانها ، وأستدعي الأحزان
 بالشهير من أسمائها ، واستوهب الأشجان غمرة غماتها . ثم أتالك تهالك

المجنون ، وأستجير من الحياة برئيب المنون ، وأنافر السلوة منافرة
وسواس الظنون ، ولا عتب ، فإذا خامر الواله جزعه ، فإلى تُضرة المدامع
مفزعُه ، وإذا ضَعف احتمالُه ، فإلى غَمرة الإغماء مآله ، ومن قال إن
الصبر أولى ، وليته من ذلك ما تولى . أما أنا فأسْتعِيد من هذا المُقام
وأستغفیه ، وأنزّه نفس الوفا عن الحُلول فيه ، فإنه متى بقى للصبر
مكان ، ففي محل الحُزن لقبُول ما يقاومه إمكان ، وقد خان الإخاء وجُهل
الوفاء ، من رام قلبه السُّلُو ، وألفت عينه الإغفاء . هو الخطبُ الذي
يَقى الهُجود وألزم أعين الثقلين ، وبه أعظم الدهر المصاب ، وفيه
أخطأ سهم المنيّة حين أصاب . فحقنا أن نتجاوز الجيوب إلى القلوب ،
ونتغلب إذا غالبنا الحزن بصفة المغلوب ، وإذا كان الدهر السَّالب ،
فلا غضاضة على المسلوب ، أستغفر الله ، فإنا نتذكر من مَفقودنا رضى الله عنه
حِكْمه ، ونشاهد بعين البصيرة سيمه ، فأجدهما يكفان من واكف الدمع
ديمه ، ويقولون عندي آسة المصاب ، ومزاحمة الأوصاب ، أمران وقع ،
فقد ضرّ فوق ما نفع ، فإنه لا ألم الحزن شفاه ، ولا حق المصيبة وفاه ،
ولا الذاهب الفايث استرجعه وتلافاه ، فرما جَنحت إلى الصبر لا رغبة
فيه ، بل إيثارا لمقصدته وتشيعا لتصافيه ، فاسترّوح رايحة السُّلو ،
وأنحطّ قاب قوسين أو أدنى عن سِدرة ذلك العلو ، وأقف بمقام الدهش
بين معنى الحزن المستحکم ، ولفظ القرا المتلّو . فأبكي بكا النساء ،
وأصبر صبر الرؤساء ، وأحرز رزايا الفضلاء ، بفضل رزايا الأخساء ،
موازنة بين هذا الوجود ، ونحل تتعاقب على نحل الجود . فالدهر يسترجع
ما وهب ، كان الصُفراء أو الذهب . وإذا تحقّق عدم ثباته ، وعدم استرجاعه
لجميع هباته ، كان المتعرض لكثيره ، محلا لتأثيره . فلا غرو أن دهمكم

الرُّزْمُ مورد الفلك الدَّابِر منه الجزأ ، فطالما بتم تُرضِعكم الحكمة أخلاقها ،
وتهبكم الخلافة آلافيها ، وتؤملمكم الأيام خلافيها . وإذا صَحِيحت العقول ،
وضمن بما لديه المعقول ، وصارت الأذهان إلى حيث لا تتصور الألسنة ،
بحيث لا تقول ، ورددتم مَعِينا ، ووجدتم مَعِينا ، واقتضضتموها كمثل اللؤلؤ
المكنون صُورا عينا . أظننتم أن عين الله تنام ، أم رُمتم أن يكون صرحا
إلى إله موسى ذلك السنام ، لشد ما شيدتم البناء ، وألزمتم أتباع الأب
الأيمناء ، حتى غرق الأول في الآخر ، وصار السلف على ضخامته أقل
المفاتيح . ومن علّت في علاها قدم ترقّيه ، ولم يُصب بكما له عينا يحفظ
من عين العليين وبقية ، فكثيراً ما يأتيه محذوره من جهة توقّيه . هذا
أبوكم رضى الله عنه حين استكمل ، فعرف الضار والشافى ، وتعدّرت
صغابك كماله على الحرف الناقى ، فيالله لفظة أواليها ، وأتبعها زفرة تليها ،
لقد يهجت الأيام عن حنفيها بظلفها ، وسعت على قدمها إلى رغم أنفيها ،
فهن لهب الوصل ، ولرعى الوسایل ، وإلى من يلجأ في مُشكلات المسایل ،
ومن المجيب إذا لم يكن المسؤل بأعلم من السائل . اللهم صبرنا على
فقد الأتس بالعلم ، وأدلنا من خُفوف الوكّه بوقار الحلم ، وأخلفه في
بنية وعامة أهليه ، بشبيه ما أوليته في جوارك المقدس وتوليّه . وإليكم
أبها الإخوة الأولياء ، والعلية الذين عليهم قُصرت العلياء . أعتذر من
اتبخاذ الشيء من الكلام بنقصه الأشياء . فقد خان في هذا الزمان ، حتى
اللسان ، وفقد منه حتى الحسان ، وليس لتأبين محمد صلى الله عليه وسلم
إلا حسان ، فالعذر مُنفسح المجال . وإلى التقصير في حق رزؤكم الكبير
نصير في الروية والارتجال . ولذلك عدلت إلى الإيجاز ، واعتقدت في
إرسال القول في هذا الموضع ضربا من المجاز . ومبلغ النفس عُذرها مع

لعجز كالصَّابِر للإعجاز . وأما حسن العزاء على تماقُب هذه الأرزاء ، فأمرٌ لا أهبة ، بل استجديه ، ولا أذكركم به ، ونفُس صبركم متوغلة فيه ، فسواكم يُلهم للإرشاد . ويذكُر بطرق الرشاد ، جعل الله منكم لأبايكم خلفاء ، وأبقى منكم لأبنائكم سلفاً ، ولا لد لكم الوجود بعده تلقاً . والسلام .

محنته

امتحن رحمه الله بالتغريب عن وطنه ، لبغى بعض حسدته عليه ، فأسكن بمرسية مدة طويلة ، إلى أن هلك بالمرية الأمير أبو عبد الله محمد ابن يوسف بن هود ، آخر جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستماية . فسرح أبو الحسن بن سهل إلى بلده في رمضان من هذه السنة .

ومن شعره في ذلك الحال مما يدل على بعد شأوه ورفعة همته ، قوله :

الدمع هَمَى عن جوانب هِمَّتِي	وتأبى هموم العارفين عن الدَّفْعِ
وَأَلْتَمَسُ الْعُتْبَى وَحَيْدًا وَغَايَتِي	وَصَرَفُ اللَّيَالِي وَالْحَوَادِثِ فِي جَمْعِ
وَإِنِّي مِنْ حَزْمِي وَعَزْمِي وَهَمَّتِي وَمَا	رُزِقْتَهُ النَّفْسُ مِنْ كَرَمِ الطَّبَعِ
لَفِي مَنْصِبٍ تَعْلُو السَّمَاءِ سِمَاتُهُ	فِيثَبْتُ نُورًا فِي كَوَاكِبِهَا السَّبْعِ
عَلَا صَرْفِ دَهْرِي إِذْ عَلَا فَا إِذَا بِهِ	تَرَابٌ لِنَعْلِي أَوْ غِبَارٌ عَلَى سَبْعِ
تَدْرَعْتُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَأَجْلَبْتُ	صُرُوفَ اللَّيَالِي كَمَا تَمزَّقُ لِي دَرَعِ
فَمَا مَلَلْتُ قَلْبِي وَلَا قَبِضْتُ يَدِي	وَاللَّحْمَتُ أَصْلِي وَلَا حَضْرَتُ فِرْعِ
فَإِنْ عَرَضَتْ لِي لَا يَفْوَهُ بِهَا فِئِي	وَإِنْ زَحَقَتْ لِي لَا يَضِيقُ بِهَا ذَرْعِ

وفي هذه الأبيات تأييد السبعة الكواكب ، وحكها التذكير ، وذلك إما لتأويل بعد أو غفلة ، فليُنظره . قال أبو الحسن الرعيني ، ودخلت عليه بمرسية ، وبين يديه شمامة زهر ، فأنشدني لنفسه :

وحامل طيبٍ لم يُطَيَّب بطيبه
تألف من أخصان زهره
تعانقت الأغصان فيه كما التقى
وإن الذي أدناه دون فسراقه
مناسبةً للبين كان انتسابها
فبالأمس في إسحاره وبداره
ولكنه عند الحقيقة طيبٌ
فمن صفتيه زاهرٌ ورطيبٌ
حبيبٌ على طول النوى وحبيبٌ
إلى كبيرٍ في الوجود عجيبٌ
وكل غريب للغريب نسيبٌ
وباليوم في دار الغريب غريبٌ

تواليافه

صنّف في العربية كتابا مفيدا ، رتب الكلام فيه على أبواب كتاب
سيبويه . وله تعاليق جليلة على كتاب المُستصفي في أصول الفقه ،
و ديوان شعر كبير . وكلامه الهزلي ظريف شهير .

مولده : عام تسعة وخمسين وخمسمائة .

وفاته : توفي بغرناطة منتصف ذي قعدة سنة تسع وثلاثين وستماية .
وزعم ابن الأبار أن وفاته كانت سنة أربعين وستماية ، وليس بصحيح .
ودفن بمقبرة شقستر . قال ابن عبد الملك ، وكان كريم النفس ، فاضل ،
الطبع ، نزيه الهمّة ، حصيف الرأي ، شريف الطباع ، وجيها ، مبرورا ،
معظما عند الخاصة والعامة .

من رثاه

من كتب إلى بنيهِ يُعزِّمهم في مصابهم بفقدته ، ويحضهم على الصبر
من بعده ، تلميذه الكاتب الرئيس أبو عبد الله بن الجنان :

دعوني وتسكاب الدموع السوابك
أصبرٌ جميل في قبيح حوادث
فدعوني جميلُ الصبر دعوة آفك
خلّغن على الأنوار ثوب الحوالك
ومن شيمة الدنيا تنكّر فارك
تنكّرت الدنيا على الدين ضلّة

فَتِلْكَ وَهَلِي هَالِكٌ فِي الْمَهَالِكِ
 شَرِيكِي غِمَازٌ فِي تِلَا مُتَدَارِكِ
 وَلَا حِجَّةٌ تُهْدِي بِحِجَّةِ سَالِكِ
 بِأَمْرِ دَهَا سِيرِ النُّجُومِ السُّوَابِكِ
 يَكْفِي فَنَّا لِلْفَنَّا بَوَاشِكِ
 بَأَنَّ انْقِرَاضَ الْعِلْمِ أَصْلُ الْمَهَالِكِ
 فَمَا اللَّهُ لِلدَّهْرِ الْجَهُولِ بِيَارِكِ
 وَمَا الْجِسْمِ بَعْدَ الرُّوحِ بِالْمَتَمَاسِكِ
 سِوَى حَادِثٍ فِي عَالَمِ ذِي مَدَارِكِ
 أَتَمُّ مَا أَبْقَى لِإِسْمِي بَعْدَ مَالِكِ
 مِصَابِي بِالْفَيَاضِ سَهْلُ بْنُ مَالِكِ
 كَتَقْلِيدِ رَأْيِ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكِ
 بِسَاحِلِ دَارَاتِ الْعِمَادِ الْحَوَاتِكِ
 مِبَانِي مَعَالٍ فِي السَّمَاءِ سَوَامِكِ
 وَعَمْرُ قَبْرِ مُفْرَدٍ بِالذِّكَادِكِ
 وَغِيضِ فَجْرٍ فِي يَدِي مُتَلَاكِ
 مِنَ الْخَطْبِ يَرْدِي بِالشُّمُوسِ الدَّوَالِكِ
 تَفُهُ بِهَلِكِ الدَّوَاهِي الدَّوَاهِكِ (١)
 فَكَمْ مَاجِلٌ مِنْ قَبْلِ فِيهِ وَمَاحِكِ
 تَوَاتُرِ أَخْبَارٍ وَصِدْقِ مَالِكِ
 وَيَا قُبْحَهُ وَالصِّدْقِ بَادِي الْمَسَالِكِ

فصباحنا حُكْمُ الردى بردائه
 عفا طللٌ منها ومنه فأصبحنا
 فلا بهجةٌ تُبدي مسرةً ناظر
 وما انتظم الأمران إلا ليؤذنا
 وإن لمنشور الوجود انتظاره
 أما قد علمنا والعقول شواهد
 إذا أهلك الله العلوم وأهلها
 هل العلم إلا الروح والخلق جثة
 وماراغى في عالم الكون حادثٌ
 لذلك ما أبكى كآنى مُتيمٍ
 وسهلٌ عندي أن أرى الحزن مالكي
 إمامٌ هدى كُنَّا نَقْلُدُ رَأْيَهُ
 غمامٌ سُدِّي كُنَّا عَهْدُنَا سَمَاحَهُ
 أَحَقًّا قَضَى الْجَلالِ وَقُوِّضَتْ
 وَأَقْفَرُ فِي نَجْدٍ مِنَ الْمَجْدِ رَبُّهُ
 وَغَبَّ طَوْدٌ فِي صَعِيدِ بَمَلْحَدِ
 وَوَارَى شَمْسَ الْمَعَارِفِ غَيْهَبٌ
 إِلَّا أَيُّهَا النَّاعِي لَكَ الشُّكْلُ لَا
 لَعَلَّكَ فِي نَعْيِ الْعُلَا مُتَكَذِّبِ
 يُكذِّبُهُمْ يَا لَيْتَ أَنْكَ مِثْلَهُمْ
 فَيَا حُسْنَ ذَاكَ الْقَوْلِ إِذْ بَانَ كَذِبُهُ

(١) الدواهي أى العالحة الساحقة .

بلقدارٍ جَفَّوا فيه وقلبي راجفٌ
 كأنَّ كمال الفضل كان يسومهم
 كأنهم يصتعبون أيسومةً
 كأنهم مستمطرون لعسارضن
 بنى إنهم قد أزهقوا لرزية
 هظد كمال ما قد أتدروا بوقوعه
 مصابه مصيب للقلوب بسيد
 حكمت حسنها الفبراء فيه فأسعدت
 على علم الإسلام قامت نواذب
 فمن سبلة سنت على الرأس ترها
 ومن آية تبيكي بنور صبحها
 ومن حكمة تبيكي لفقلم فجر لينبوعها
 فيما أسفى من للهوى ورسومه
 ومن للواء الشرع يرفع خفضه
 ومن لكتاب الله يدرس وحيه
 ومن لحديث المصطفى وماجد
 ومن ذا يُزيل اللبس في مُشابهه
 ومن لليراع المصفر طابت بكفه
 ومن للزقاع البيض طابت بطيبه
 ومن لمقام الحفل يصدع بالتي
 ومن لمقال كالنضار يخلص

مخافة تصديق الظنون الأوافك
 قأبتوا على نغص هو متمالك
 كما استببطاً ال (١) فاتك
 كعارض عاد للتجلد عارك
 تُضعض ركن الصابر المتمالك
 فهل بعده للصبر صولة فاتك
 رى عن قسى لليال عواتك
 بأدمعها الخضراء ذات الجمالك
 بهتن مباك أو بهتم مضاحك
 ومكرمة ناحت لأكرم هالك
 إذا قام في جنح من الليل حالك
 السلسال في الأرض سالك
 ومن لمنيخ عند تلك المبارك
 ويمنع من تمزيقه كف هاتك
 ويقبس منه النور غير مُتارك
 يبين بها في فهمه ومُتارك
 ومن ذا يُزيح الشك عن مُتشابك
 فصارت طوال الشمس مثل النيازك
 فجابت إلى الأملاك سبل المسالك
 تُغص لقس من جناح المدارك
 لإبريزه التبريز لا للسبايك

(١) بياض بالخطوط .

فعال وإن تُنَشَّرَ فهِسَكَةَ فَسَارِكِ
 ضَمِيرِينَ بِقَدْحٍ فِي عَتَابِ الضَّرَائِكِ
 فِي طَيْبِهِ فَضِيلُ الْفَضِيلِ وَمَلِكِ
 إِذَا اخْتَلَطَتْ سَادَاتِهِ بِالصَّعَالِكِ
 فَمَا بَعْدَ سَهْلٍ فِي الْعُلَى مِنْ مُشَارِكِ
 لَعَمْرَى فِي الذُّرَى وَالْجَوَارِكِ
 فَلَا دَوْرَانَ بَلْ قُطْبُ الْمِدَارِكِ
 بَوَطَى وَالْمَنَايَا لَا بَوَطَى وَالسَّنَابِكِ
 ثَمَانِينَ حَوْلًا كَالْعَدُوِّ الْمُضَاحِكِ
 وَحَارِبِهِ إِذْ جَازَ صَنْكُ الْمَعَارِكِ
 مُحَرِّكِ جَيْشِ نَاهِبِ الْعَيْشِ نَاهِكِ
 وَنَمِ يَأُلُّ عَنِ خَوْنِ لِحَايِزِ وَمَالِكِ
 وَأَلْقَى الْبِرَايَا بِالرَّغْمِ فَوْقَ الْبِرَامِكِ
 لِلنَّاسِ نَاسٌ لِلتَّقَى أَوْ بِنَاسِكِ
 لِأَعْيَى عَلَى الْمَخْتَارِ نَجْلِ الْعَوَاتِكِ
 رَاعٍ نَوْحًا فِي السَّنِينَ الدَّكَادِكِ
 خُلِقْنَا لِأَرْحَاءِ الْمُنُونِ الرَّامِكِ
 نَدَا عُمُومٍ فِي غُمُومِ مَوَالِكِ
 أَمَانَعِ صَبْرِي لَنْ يَلِينُ عَزَائِكِ
 عَلِيٌّ وَلَكِنْ عَادَةُ الرَّمَالِكِ
 لِتَجْرِيعِ صَابٍ مِنْ مَصَابِ مُوَاعِكِ
 تَوَابَةِ فِي مَرِّ الرِّيَاحِ السَّوَاهِكِ

وَمِنْ لِفْعَالٍ إِنْ ذَكَرْتَ بِنَسَاءِ
 وَمِنْ لِحَالٍ كَرُمْتَ وَضَرَايِرِ
 وَمِنْ لِبْعَارِ الزَّهْدِ أَخْفَى بِالْفَنَاءِ
 وَمِنْ لِبْعَابِ الْمَجْدِ أَوْ لِبْعُوبِهِ
 أَلَا لَيْسَ مِنْ فَاتِكُمْفِ عُوَيْلِكَ أَوْفِرِدِ
 أُصِبْنَا فَيَاللَّهِ فِيهِ وَإِنَّمَا أُصِبْنَا
 فَنَادِ بِأَقْلَاكِ الْمَحَامِدِ اقْصُرِي
 وَصِحْ بِالْبِنَاءِ الْيَوْمِ أَقْوَيْتِ مَنْزِلَا
 عَلَى هَذِهِ حَامِ الْجِمَامِ مَحْنَقًا
 فَسَالِمَةٌ فِي مَعْرَكِ الْمَوْتِ خَادِعَا
 طَوَاكِ الرَّدَى مَهْمَا يُسَاكِنُ فَإِنَّهُ
 نَبَا سَبَا قَدُّمَا وَهِيَ السَّكَاسِكِ
 وَأَفْنَى مِنْ أَبْنَاءِ الْبِرَايَا جَمُوعَهَا
 سَوَاءٌ لَدَيْهِ أَنْ يَصُولَ بِقَلْبِكَ مِنْ
 وَلَوْ أَنَّهُ أَرْعَى عَلَى ذِي كِرَامَةِ
 وَلَوْ رَاعَهُ عُمُرٌ تَكَامَلِ أَلْفُهُ لَمَا
 وَمَا مِنْ سَبِيلٍ لِلدَّوَامِ وَإِنَّمَا
 فَيَا آلَ سَهْلٍ أَوْ بِنِيهِ مَخْصَصَا
 أَعْنَدَكُمْ أَنِي لَمَا قَدَّ عِرَاكِمِ
 فَكَيْفَ أَعَزَّى وَالتَّعَزَّى مُحْرَمٌ
 فَإِنْ فَرَحَ يَبْدُو فَذَلِكَ تَكْرَهُ
 وَإِنْ كَانَ صَبْرًا إِنَّهَا لِحَلُومِكُمْ

ورثتم سنا ذاك المقدس فارتقوا
 فلم يمض من أبقى من المجد إرثه
 أتدرون لم جدت ركاب أبيكم
 تدكر في أفق السماء قديمه
 وكل سما في حضرة القدس حظه
 فيا عجبنا نبكى مهننا
 يلاقيه في تلك المعاني رقيقه
 فلا تحسبوا أن النوى غال روحه
 فلو أنكم توشفتم بمكانه
 ينعم في روض الرضا ونجوده
 كذلك وعد الله في ذي مناسب
 فيا رحمة الرحمن وافى جنبه
 ويا لو عنتى سيرى إليه برقعته

حديث الأشجان شجون ، ووجوه القراطيس به كوجوه الأيام جُون ،
 فارعنى سمعك ، أبئك بئى واكتسابى ، وأعرنى نظرة فى كتابى ، لتعلم ما بى ،
 فعندى ضرب الأسمى جناية ، وعلى وردى أطلال باغى الأسمى حمايه ،
 وعبرتنى أبكت من القطر سجامه ، وزفرتنى أذكت من الجمر ضرامه ، ومنى
 تعلمت ذات الهديل كيف تنوح ، وعنى أخذت ذات الحسن كيف تغدو
 والهة وتروح ، فما مدعورة راعها القناص ، وعلق بواحدنا جبل الجهالة
 فأغوره الخلاص ، فهى تتلفت إليه والمخافة خلفها وأمامها ، وتتلطف
 عليه فتكاد تواقع فيه جمامها ، بأخفق ضلوعا ، وأشفق روعا ، وأضيق
 محالا ، وأوسع وجالا ، وأشغل بالا ، وأشعل بلبالا ، بل ما طلاها ، وقد

رأها ، ترى طلاها ، فوقف حتى كاد يشركها في الحين ، ويحصل من
 الشُّرك تحت جناحين . ثم أفلت وهو يشكُّ في الإفلات ، ويشكو ويخذه في
 الفلوات ، بأرهب نفساً ، وأجنب أنسا ، وأهب حشاً ، وأغلب توحشاً ،
 وأضيع بالمومات ، وأضرع لغير الأمات ، منى وقد وافى النبأ العظيم ،
 ونثر الهدى بكف الردى شمله التنظيم ، وأصبح يعقوب الأحران وهو
 كظيم . وقيل أصيبت الدنيا بحبشتها وحسنتها ، والديانة بمحسنها وأبي
 حسنها ، فحق على القلوب أنفطارها ، وعلى العيون أن تهمل قطارها ،
 وعلى الصبر أن يمزق جلبابه ، وعلى الصدر أن يخلق في وجه السلوبابه .
 أنعى الجليل السعى ، ورزية الجميل السجية ، ووفاة الكريم الصفات ،
 وفقد الصميم المجد ، وذهاب السَّمح الوهاب ، وقبض روحاني الأرض ،
 وانعدام معنى الناس ، وانهدام مَغشى الإيناس ، وانكشاف شمس العلم ،
 وانتساف قدس الجِلم . يا له حادثاً جمع قديماً من الكروب وحادثاً ،
 ومصاباً جرَّع أوصاباً وأضحى كلُّ به مُصاباً . لاجرَم أنى شربت من كأسه
 مُستَمَفِضها ، وشرقت بها وبماء دمعى الذى ارفض معها ، فغالت خلدى ،
 وغالبت جلدى ، حتى غمت عنى ، ولم إدر بآلامى التى تعنى . ثم أفقت
 من سُكرى ، ونفقت مبدد فكري ، فراجعتى التذكار والتمام ، وطاوعنى
 شجوناً يتعاطاه الجِمام ، فبكيت حتى خشيت أن يعشيني ، وغشيت إذ
 غشيني من ذلك أليم ما غشيني ، وظلّت ألقى انبجاساً للترح يلقينى ،
 فتارة يُعنينى ، وتارة يبقينى ، فلو أن احتدأى والتدأى وجفنى الدأى ،
 أطلعت على بعضه الخنساء ، لقات هذه عزمة حزن ، لا يستطيعها النساء .
 ذلك بأن قسمة المرائى كقسمة الميراث ، وللدُّكران المزية ، كان للسُرور
 أو للرزية ، على الأنث ، هذا لو وازن مبكى مبكى ، ووارى ترائى فلكيا ،

إنا لنبكي نورِ ظلمِ ، وهي تبكي ظلمة جهل ، ونذبتى بجبل يُدعى
سَهْل ، كان يتفجّر منه الأنهار ، وينهاه جانبُه من خشية الله أو ينهار ،
في ظلمه ولا أريد بالمثل سواه ، فما كان في أبناء الجنس من سواه .
يحبس الجزع من كل مؤمن تقى ، ويقال للمتجلد ، لا تُنزع الرّحة
إلا من هقى ، فكل جفن بعده جاف ، فصاحبه جلف أو صاف ، وكل
قواد لم تصدع له صفاته ، ولم تتغير لفقده صفاته ، فمحقّق عند
العلماء معلوم ، أنه معدود في الحجارة أو معلوم . فيا ليت شعري يوم
ودّع للترحال ، ودعا حاديه بشدّ الرجال ، كيف كان حاضرّوه في تلك
الحلّة ، هل استطاعوا معه صبرا ، وأطاعوا لقلبيته أمرا ، أو ضعف
احتمالهم ، وقوى في مفارقة النفوس أعمالهم . ويا ليت شعري ، إذ أفادوا
الماء طهارة زائدة بغسل جلاله ، هل حنطوه في غير ثنائه ، أو كفنوه في
غير جلاله . ويا ليت شعري إذا استقل به نعشه لأشرف ، ترفرف عليه المليكة
ويظلّله الرّفرف ، هل رأوا قبله حَمَلَة الأطوار على الأعواد ، وسير الكواكب
في مثل تلك المواكب ، فيأنسوا بالإلف ، ويرفعوا منكر الطّرف ، ويدعوا لفيض
من أثر ذلك الظّرف . ويا ليت شعري ، إذ ودّعوا درّة الوجود ، صدفة
اللحد المَجُود ، لم أثروا الثرى على نفوسهم ، ورضوا الأرض مغرباً
لأنوار شمسهم . فهلا حَفروا له بين أحناء الضلوع ، وجعلوا الصفيح
صريح الحبّ والولوع . فيكونوا قد فازوا بقربه ، وجازوا فخرًا خيّر
لترّبه . ويا ليت شعري إذا لم يفعلوا ذلك ولم يهتدوا هذه المسالك ،
هل قضوا حقّ الحزن ، وسقّوا جوانب الضريح من عبراتهم بأمثال المُن ،
وهل اتصفوا بصفة الأسف أو قنعوا منها بأن وصفوها ، وهل تلافوا بقايا
الأنفس ، بعد المفقود الأنفس ، وأنلفوه . فكل أسي لا تذهب النفس

هنده ، فما هو إلا من قبيل التصنع . يا قدس الله مشوى ذلك المتوق ،
وما أظن الجزع تمَّ حقه ووفى . ولو درى الزمن وبنوه ، قدر من فقلوه ،
لوجدوا المفاجى الفاجع ، أضعاف ما وجتوه . فقد فقدوا واحدا جامعا
للعوالم ، وماجدا رافعا لأعلام المعالي والمعالم ، ومفدى ثقّل له فى الفدا ،
ونفوس الأوداء والأعداء ، ومُبكى ما قامت على مثله النوايح ، ولا حسنت
إلا فيه المرائى ، كما حسنت من قبل فيه المدايح . رحمة الله عليه
ورضوانه ، وريحان الجنان يحييه به رضوانه . من لى بلسان يقضى
حق نذبتة ، وجنان يقضى بما فيه إلى جثته وتربته ، وقد نبهنى حزنى
عليه وبلدنى ، وتملكنى حصر الحسرة عليه وتعبدنى ، وأين يقع مهلهل
البيديه ، مما يخفيه مهلهل الشكل ويبيديه . يمينا لو لبثت فى كهف الروية
ثلاثمائة سنين ، واستمددت سواد ألسنة الفصحاء اللسنين ، ما كنت فى
تأبين ذلك الفصل المبين من المحسنين ، إلا ألى أتيت بالطريف من
بيانه والتليد ، ورثيت رُشد كماله برثايه كمال ابن رشد أبى الوليد ،
فأنشدت بنيه قوله فيه :

أخلاى إني من دموعى بزاهر بعيد عن الشطين منه غريقه
وما كان ظنى قبل فقد أبيكم بأن مصابا مثل هذا أطيقه
ولم أدر من أشقى الثلاثة بعده أبناؤه أم دهره أم صديقه

ثم استوفيت تلك الأبيات والرسالة ، وأجريت بترجييعها من دم
الكبد ونجييعها عبراتى المسالة ، فحينئذ كنت أوفى المصاب واجبه ،
وأشقى صدورا صديّة شجيّة ، وقلوباً واجفة واجبة . ولو أن ما رثى به
نفسه الكريمة من ثر إساءته ، حين رأى الحين مغتصبا حشاشة مكرماته .
أثار كامن وجدى بالفاظه المبيكية ، ومعانيه التى تحلّ من مزاد العيون
الأوكية ، لاهب لى رندا ، وأعقبنى صفاة تندى ، وأطمعنى لى أن يعود

بكاي زبدا . فقد بلغنى أنه لما وقف على ثنية المنية ، وعرف قرب انتقال الساكن من البنية ، جمع بنات فكره ، كما جمع شيبة الحمد بنات خلدته ، وقال يا بنياتي ، قد آن ليومى أن يأتى فهل لكن أن تريننى ، فوضعن أكبادهن على الوشح ، ورفعن أصواتهن بالنشيج ، وأقبلن يُرجعن الأناشيد ، ويفجعن القريب والبعيد ، حتى أوماً اليهن ، بأن قضين ما عليهن ، فيا إخوانه ، ومثلى بهذا النداء نعى وتاه ، إسهما أخاكم فى ميراث تلکم الکلم ، واحموا فؤادا بالملم المؤلم قد كلم ، ولا تقولوا يكفيه ميراث الأحزان ، فتبخسوا وحاشاكم فى الميزان ، فإنى وإن تناولتها باليدين ، وغلبت عليها ، فإنى صاحب الفريضة والدين ، فإنى لحظى من ميراث الحكمة سائل ، ومع أن لى حقاً فى ذم ووسايل ، فابعثوا إلى ما يُطارحنى فى أشجاني ، وأقف على رسمه فأقول شجاني ، ولا أطلب من كلام ذلكم الإمام ، العزيز فقدّه على الإسلام ، قوله فى التصبير ، على الرزء الكبير . ووصاته ، لثلا يلزمنى ، ولست بالمستطيع إصغاء للمطيع لأمره وإنصاته ، فإن امتثلت أصبت قتلى بما نثلت ، وإن عصيت أبعدت نفسى من رضاه وأقصيت ، ولى فى استصحاب حالى أمل ، وما لم يرد خطاب لم يلزم عمل . على أنى وإن صاب وابل دمعى وصب ، وأصبحت يذكر المصاب الكلف الصب ، فلا أقول إلا ما يرضى الرب ، فإنى أبكى عالماً كبيراً ، وعلماً شهيراً ، تسعدنى فى بكايه الملة ، وتنجدنى بوجده ، فأننا الكاتب وهى الميلة . وأما أنتم أيها الإخوة الفضلاء ، والصفوة الكرماء ، فقد تلقيتم وصلته المباركة شفاها ، وراوى صدوركم بكلامه النافع وشفاهها ، فلا يسعكم إلا الامتثال ، والصبر الذى تُضرب به الأمثال ، فعزاء عزاء ، وانتماء إلى التأسى واعتزاء ، وإن فضل رزة أرزاء ،

وكان جزءٌ منه يعدل أجزاءً ، فعلى قدرها تصاب العلياء ، وأشد الناس بلاء الأبياء ثم الأولياء . ذلك لتبين فضيلة الرضاء والتسليم ، وتتعين صفات من ينأى الله بالقلب السليم ، ويعلم كيف الكريم للكريم ، وكيف ينحل الأجر العظيم ، وهب الله لكم في مصابكم صبرا على قدره ، وسكب ديم مغفرته على مثنوى فقيدكم وقبره ، وطيب بعرف روضات الجنات جنبات قصره ، ونفعه بما كان أودعه من أسرار العلوم في صدره ، وخلفه منكم بكل سرى بحلة المجد من كل بصدرة .

قلت : ذكر الشيخ ابن الخطيب في الأصل في هذه الترجمة « الأعيان والوزراء » ، ستة من أهل هذا البيت ، كلهم يسمون بهذا الاسم ، عدا واحدا ، فإنه سمي بسيد ، وذلك مما يدل على كثرة النباهة والأصالة والوجاعة ، رحمه الله .

سليمن بن موسى بن سالم بن حسان بن

أحمد بن عبد السلام الحميري الكلاعي

بأنه الأصل ، يكنى أبا الربيع ، ويعرف بابن سالم .

حاله

كان بقية الأكابر من أهل العلم بضقع الأندلس الشرقى ، حافظا للحديث ، مبرزاً في نقده ، تام المعرفة بطرقه ، ضابطاً لأحكام أسانيدِهِ ، ذاكراً لرجالِهِ ، رياناً من الأدب ، كاتباً بلاغاً . خطب بجامع بلنسية واستقضى ، وعُرف بالعدل والجلالة ، وكان مع ذلك من أولى الحزم والبسالة ، والإقدام والجزالة والشهامة ، يحضر الغزوات ، ويباشر بنفسه القتال ، وتبلى البلاء الحسن ، آخرها الغزاة التي استشهد فيها .

مشيخته

روى عن أبي القاسم بن حُبَيْش وأكثر عنه ، وأبي محمد بن عبيد الله ،
 وأبي عبد الله بن زَرْقُون ، وأبي عبد الله بن حُمَيْد ، وأبي بكر بن الجَدِّ ،
 وأبي محمد بن سَيْدْبُونَه ، وأبي بكر بن مُغَاوِر ، وأبي محمد عبد المنعم
 ابن عبد الرحيم بن الفَرَس ، وأبي بكر بن أبي جَمْرَة ، وأبي الحسن بن كوثر
 وأبي خالد بن رَفَاعَة ، وأبي جعفر بن حَكَم ، وأبي عبد الله بن الفخار ،
 وأبي الحجاج بن الشيخ ، وأبي عبد الله بن نوح ، وأبي الحجاج بن أبي محمد
 ابن أيوب ، وأبي بكر عتيق بن علي العبدري ، وأبي محمد عبد الوهاب
 ابن عبد الصمد بن عتّاب الصّدفي ، وأبي العباس بن مضاء ، وأبي القاسم
 ابن سَمْحُون ، وأبي الحسن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع الأشعري ،
 وأبي زكريا الإصْبَهَانِي ، وأبي بكر أسامه بن سليم ، وأبي محمد عبد الحق
 الأزدي ، وأبي محمد الشاذلي ، وأبي الطاهر بن عوف ، وأبي عبد الله الحضرمي ،
 وجماعة غير هؤلاء من أهل المشرق والمغرب .

من روى عنه : روى عنه أبو بكر بن أبي جعفر بن عمر ، وعبد الله
 ابن حزب الله ، وأبو جعفر بن علي ، وابن غالب ، وأبو زكريا بن العباس ،
 وأبو الحسن طاهر بن علي ، وأبو الحسين عبد الملك بن نُفُوز ، وابن الأَبَار ،
 وابن السجّان ، وابن المواق ، وأبو العباس بن هرقل ، وابن الغمّاز ،
 وأبو عمرو بن سالم ، وأبو محمد بن بَرَطَلَة ، وأبو الحسن الرعيني ،
 وأبو جعفر الطَّنْجَالِي ، وأبو الحجاج بن حَكَم ، وأبو علي بن الناظر .

تصانيفه

منها مصباح الظلم ، في الحديث ، والأربعون عن أربعين شيخاً لأربعين
 من الصحابة ، والأربعون السبّاعية ، والسبّاعيات من حديث الصّدفي ،

وحلّية الأماشي في المراقبات العوالي ، وتحفة الوداد ونجمة الرواد ،
 والمسلسلات والإنشادات ، وكتاب الاكتفاء في مغازي رسول الله ، ومغازي
 الثلاثة الخلقاء ، وميدان السابقين وحلّية الصادقين المصدّقين في
 غرض كتاب الاستيعاب ، ولم يكله ، والمعجم بمن وافقت كتيته زوجه
 من الضعابة ، والإعلام بأنخبار البخاري الإمام ، والمعجم في مشيخة
 أبي القاسم بن حبيش ، وبرنامج رواياته ، وجنى الرطب في سنن الخطب ،
 ونكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال ، وجهد النصيح في معارضة المعري
 في خطبة الفصيح ، والامثال لمثال المنبهج في ابتداء الحكم واختراع
 الأمثال ، ومفاوضة القلب العليل ومناجزة الأمل الطويل بطريقة أبي العلاء^(١)
 المعري في ملقى السبيل ، ومجاز فتيا اللحن اللاحن المتمحن يشتمل على
 مائة مسألة ملغزة ، ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم ،
 والصحف المنشرة في القطع المعشّرة ، وديوان رسائله ، سفر متوسط ،
 وديوان شعره ، سفر .

شعره

من شعره ما كتب به إلى أبي بحر صفوان ابن إدريس ، عقب انفصاله

من بكنسية عام سبعة وثمانين وخمسمائة :

أحنُّ إلى نجدٍ ومن حلّ في نجد	وماذا الذي يُغني حنيني أو يجدي
وقد أوطنوها وادعين وخالفوا	مُحبّهم رهن الصّباية والوجْد
تبيّن بالبين اشتياقي إليهم	ووجدى فساوى ما أجنّ الذي يبدي
وضاقت على الأرض حتى كأنها	وشاحٌ بخصر أو سوارٌ على زند
إلى الله أشكو ما ألقى من الجوى	وبعض الذي لاقيه من جوى يُرد

(١) وردت في الإسكوريال والزيوتنة (أبي عل) . والتصويب من « الذيل والتكلمة » .

فراق أنحلامٍ وصدأً أحبيسة
 فيما سرحتي نجد نداءً متيسم
 ظميت فهل ظلٌّ يبرِّد لوعتي
 ويا زمنا قد مرَّ^(١) غير مُذمَّم
 ليايالي نَجْنِي الأُنس من شجر المنا
 وسُقياً لإخوان بأَكْذاف حايِل^(٢)
 وكم لي بنجد من سَرِيٍّ ممجَّد
 آخر همة كالزهر في بُعْد نَيْلها
 تجمعت الأضداد فيه حميدة
 أيا راحلاً أودى بصبري رحيله
 أتعلم ما يلقي الفؤاد لبعْدكم
 فإليت شعري هل تعودلنا المنا
 عسى الله أن يُدنى السرور بقربكم

كأن صروف الدهر كانت على وعْد
 له أبدا شوق إلى سَرْحتي نجد
 ضحيَّتُ فهل ظلٌّ يُسكِّن من وَجْدٍ
 لعل الأُنس قد تصرَّم من رد
 ونقطف زهر الوصل من شجر الصّد
 كرام السَّجايا لا يحولون عن عهد
 ولا كابن إدريس أخى البشر والجد^(٣)
 وذو خلق كالزهر غبُّ الحيا العد
 فمن خُلق سَبَطٍ ومن حسبٍ جَعْد
 وفلَّ من عزى^(٤) وثلم من حدٍّ
 ألا مُذْ نأيتم لا يُعيد ولا يُبد
 وعيش كما نَمَنمت حاشيتي برد
 فيبدو بنا الشمل منتظم العِقد

ومن شعره في النسب وفقد الشباب :

توالت ليلال للغواية جونُ
 ركاب شباب أزمعت عنك رحلةً
 ولا أكذب الرحمن فيما أجنهُ
 ومن لم يخل أن الرياء^(٥) يشينه

ووافى صباح للرشاد مُبين
 وجيش شيب جهزته منون
 وكيف وما يخفى عليه جنين
 فمن مذهبي أن الرياء يشين

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بان) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (حاجر) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (المجد) .

(٤) وردت في الإسكوريال . (غزلى) والتصويب من النسخ .

(٥) وردت في الإسكوريال (الوفاء) والتصويب من النسخ .

لقد ريع قلبي للشباب وفقده
وآلمنى وخط المشيب بلمتى
دليل شبابي كان أنضّر منظرا
نأها على عيشٍ تكدر صفوه
ويا ويح فودى أو فؤادى كلما
حرام على قلبى مسكونٌ بغرة
وقالوا شباب المرء شعبة جنة
وقالوا شجاك جدثان ما أتى
وقال فى الاستعانة والتوكل عليه :

أمولى الموالى ليس غيرك لى مولى
تبارك وجهٌ وجهت نحوه المنى
وما هو إلا وجهك الدايم الذى
تبرأت من حولى إليك وقوتى
وهب لى الرضا مالى [سوى ذاك مُبتغى] (٢)
وقال :

مضت لى سبعٌ بعد عشرين حجة
فيا ليت شعرى كيف أو أين أو متى
ولى حركات بعدها وسكون
يكون الذى لأبداً أن سيكون

واستجاز المترجم به من يذكر بما نصه : المشول من السادة العلماء
أئمة الدين ، وهداة المسلمين ، أن يجيزوا لمن ثبت اسمه فى هذا الاستدعاء ،
وهم المولى الوزير العالم الفاضل الأشرف بهاء الدين أبو العباس أحمد

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النسخ (الملق) .

(٢) هكذا وردت فى النسخ . وفى الإسكوريال (سواك لمبتغى) والأولى أرجح .

ابن القاضي الأجل أبي عبد الرحمن بن علي البَيْسَاني ولولديه أبي عبد الله ، محمد ، وأبي عبد الله الحسين وولده عبد الرحيم ، ولأولاد ولده أبي الفتح حسن ، وأبوي محمد عبد الرحمن ويوسف ، ولعماليكه سنقر وأخيه الصغير وسنجر العركيون ، وأفيد وأقصر الروميان ، ولكمال بن يوسف بن نصر ابن سارني الطباخ ، وللوجيه أبي الفخر بن بركات بن ظافر بن عساكر .
ولأبي الحسن بن عبد الوهاب بن وردان ، ولأبي البقاء خالد بن يوسف الشاذلي ولولده محمد ، ولمحمد بن يوسف بن محمد البزالي الإشبيلي ولولده ، ولعبد العظيم بن عبد الله المنذري ولولده أبي بكر ، ولأبي الحسن ابن عبد الله العطار ، جميع ما يجوز لهم روايته من العلوم على اختلافها ، وما لهم من نظم ونثر ، وإن رأوا تعيين موالدهم ومشايخهم ، وإثبات أبيات يخف موقعها ثراء من الزلل ، وبما يخالف الحق ، فعلوا ماجورين .
وكتب في العشر الآخر من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وستماية .

فكتب مجيزاً بما نصه : قال سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي ، وكتب بيده ، تجاوز الله عنه ، وأقام بالعفو من أوده : إني لما وقفت على هذا الاستدعاء ، أجاب الله في مستدعيه المسمين فيه صالح الدعاء ، اقتضى حق المسئول له ، الوزير الأجل ، العالم الأشرف الأفاضل بهاء الدين أبو العباس ابن القاضي الأجل ، الفاضل العلم الأوحى ، ندره انزمان ، ولسان الدهر ، وقس البيان ، أبي علي عبد الرحيم بن علي ، أعلى الله قاره ورفعه ، ووسم سلفه الكريم ونفعه ، تأكيد الإسعاف ، بحكم الإنصاف له ، ولكل من سمي معه . فأطلقت الإذن لجميعهم ، على تباعد أفكارهم وتدانيها ، وتباين أقدارهم وتساويها ، من أب سني ، وذرية عريقة في النسب العلي ، وعماليك له تميزوا بالنسب الملوي ، وسُمين بعدهم ،

اعتلقوا من الرغبة في نقل العلم ، بالحَبَلِ المَتِينِ ، والسبب القوي .
والله بالبحر بجمعهم ، من تدارك الآمال أبعد الشأو التَّحْيِي ، ويجريهم
من مساعدة الإمكان ، ومسالمة الزمان ، على المنهج المرضي ، والسنن
السوى ، أن يحدثوا بكل ما اشتملت عليه روايتي ، ونظمته عنايتي ،
من مشهور الدواوين ، ومنثور الأجزاء المنقولة عن ثقات الرأوين ، وغير
ذلك من المجموعات في أي علم كان من علوم الدين ، وكل ما يتعلق بها من
قرب أو بعد ، مما يقع عليه التَّعْيِينِ ، وبما يصح عندهم نسبته إلى من
مجموع جهته ، ومنظوم نظمته ، أو نثر صنعته . الإباحة العامة على
ذلك آتية ، ومقاصد الإسعاف لرغباتهم فيه مطاوعة وموافية ، فليروا
عنى من ذلك موقِّعين ، ما شاءوا أن يرووه ، وليكتزموا في تحصيله
أولا ، وأدائه ثانيا ، أوفى ما التزمه العلماء واشترطوه . ومن جلَّه شيوخي
وصدورهم ، الذين سمعت منهم ، وأخذت بكل وجوه الأخذ عنهم ،
القاضي الإمام الخطيب العلامة ، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن
عبد الله بن يوسف بن حُبَيْش ، آخر أئمة المحدثين بالمغرب رضى الله عنهم .
والإمام الحافظ الصدر الكبير أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن
فرج بن الجَدِّ الفهرى . والفقيه المشاور التماضي المسند أبو عبد الله محمد
ابن أبي الطيب . والفقيه الحافظ أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن
عبد الرحيم الخزرجي . والقاضي الخطيب النحوى أبو عبد الله محمد بن
جعفر بن حميد . والأستاذ الحافظ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جمهور
القيسى . والشيخ الراوية الثقة أبو محمد عبد الحق بن عبد الملك بن
بونه بن سعيد بن عصام العبدري . والشيخ الصالح أبو جعفر أحمد
ابن حكيم القيسى الحصار الخطيب بجامع غرناطة . والفقيه القاضي

الأجل أبو العباس يحيى بن عبد الرحمن بن الحاج . والقاضي الفقيه الحبيب أبو بكر بن أبي جمرة . والقاضي أبو بكر بن مغمور . والقاضي المسند أبو الحسين عبد الرحمن بن ربيع الأشعري . وسوى هؤلاء ممن سمعنا منه كثيراً ، وكلهم أجازني روايته وما سمعه . وقرأت على الخطيب أبي القاسم بن حبيش غير هذا وسمعت كثيراً ، وتوفى رحمه الله بمصرية في الرابع عشر لصفر لسنة أربع وثمانين وخمسمائة . ومولده سنة أربع وخمسمائة على ما أخبرني به رحمه الله ورضي عنه . وما أخذه عن الحافظ أبي بكر بن الجدد بإشبيلية بلده ، مؤطاً مالك ، رواية يحيى بن يحيى القرطبي ، أخبرني به عن أبي بحر سفيان بن العاصي الأسدي الحافظ ، سماعاً بأسانيد المعلومه . وتوفى الحافظ أبو بكر سنة ست وثمانين . وقرأت على الفقيه أبي عبد الله بن زرقون أيضاً مؤطاً مالك ، وحدثني به عن أبي عبد الله الخولاني إجازة ، قال سمعته على أبي عمرو عثمان بن أحمد بن يوسف اللخمي ؛ عن أبي عيسى يحيى بن عبد الله بن أبي عيسى ، عن عمر أبيه عبيد الله بن يحيى الليثي عن أبيه عن مالك بن أنس ، رضي الله عن جميعهم . ولا يوجد اليوم بأندلسنا ومغربنا بأعلى من هذه الأسانيد . ومن كتب لي بالإجازة من ثغر الإسكندرية الإمام الحافظ مفتي الديار المصرية ورئيسها أبو الطاهر بن عوف ، والفقيه الحاكم أبو عبد الله بن الحضرمي ، والفقيه المدرس أبو القاسم بن فيره ، وغيرهم . نفعنا الله بهم ، ووقفنا للاقتداء بصالح مذهبهم . وأما المولد الذي وقع السؤال عنه ، فإلى ولدت على ما أخبرني أبواي رحمهما الله ، بقاعدة مصرية ، مستهل رمضان المعظم سنة خمس وستين وخمسمائة . وما يليق أن يكتب في هذا الموضع ما أنشدني شيخنا الفقيه أبو بكر عبد الرحمن بن

محمد بن مغاور رحمه الله في منزله بشاطبة سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وهو بقیة مشیخة الكتاب بالآندلس لنفسه ، مما أعدده ليكتب على قبره :
 أيها الواقف اعتباراً بقبري استمع فيه قول عظمى الرميم
 أوَدَعوني بطن الصريح وخافوا من ذنوب كلومها بأديم
 قلت لا تجزعوا عليّ فإني حسن الظن بالرووف الرحيم
 ودعوني بما اكتسبت رهيناً غَلِق الرهن عند مولى كريم
 انتهى . وكتب هذا بخطه في مدينة بلنسية حماها الله ، سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي ، في الموفى عشرين لجمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وستماية . والحمد لله رب العالمين .

وفاته

كان أبدا يقول إن منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره ، فكان كذلك ، واستشهد في الكائنة على المسلمين بظاهر أنيشة^(١) على نحو سبعة أسيال منها ؛ لم يزل متقدما أمام الصفوف زحفا إلى الكفار ، مقبلا على العدو ، ينادي بالمنهزمين من الجند يفرون ، حتى قُتل صابرا مُحْتَسِبا ، غداة يوم الخميس لعشر بقين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وستماية . ورثاه أبو عبد الله بن الأبار رحمه الله بقوله :

(١) موقعة أنيشة أو إنيجة سميت باسم الحصن والتل الذي وقعت في ظاهره ، وهو يقع على نحو سبعة أسيال من شمال بلنسية . وكان من أمنع حصون بلنسية الأمامية . وقد هدمه الأمير أبو جميل زيان ، أمير بلنسية حتى لا يستعمله الأرجونيون قاعدة لمهاجمة المدينة . ولكن الأرجونيين احتلوا مع ذلك الربوة التي كان يقع عليها الحصن . وصمم الأمير زيان على إسرداد هذا الموقع ، وحشد جيشاً جراراً ، وسار في قواته شمالاً ، ونشبت بين المسلمين والأرجونيين بقيادة ملكهم خايي الأول في ظاهر تل أنيشة معركة عنيفة هزم فيها المسلمون هزيمة فادحة ، وقتل مهم جماعة كبيرة ، وكان من بين القتلى عدد كبير من علماء بلنسية ووجوهها يربى على السبعين . وكان ذلك في عشرين من ذى الحجة سنة ٦٢٤ هـ الموافق ١٤ أغسطس سنة ١٢٣٧ م .

أَلْمَا بِأَشْلَاءِ الْعُلَى وَالْمَكَارِمِ
 وَعُوجًا عَلَيْهَا مَأْرِبًا وَحِفَاوَةً
 تَحِييٍ وَجَوْهَا فِي الْجَنَانِ وَجِيهَةً
 وَأَجْسَادَ إِيمَانٍ كَسَاهَا نَجِيئُهَا
 مُكْرَمَةٌ حَتَّى عَنِ الدَّنُونِ فِي الشَّرِيِّ
 هُمُ الْقَوْمِ رَاحُوا لِلشَّهَادَةِ فَاعْتَدُوا
 تَسَاقُوا كَوُوسِ الْمَوْتِ فِي حَوْمَةِ الْوَعْيِ
 مَضُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُدَمَا كَأَنَّمَا
 يَرُونَ جِوَارِ اللَّهِ أَكْبَرَ مَغْنَمِ
 عِظَائِمٍ نَالُواهَا فَخَاضُوا لِنَيْلِهَا
 وَهَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَكُونَ لِحُودِهِمْ
 أَلَا بِأَبَى تَلِكِ الْوَجْهِ سِوَاهُمَا
 عَفَا حُسْنَهَا إِلَّا بِقَايَا مِبْسَاسِ
 وَسُؤْرِ أَسَارِيرٍ تُنِيرُ طَلَاقَةَ
 لُثْنٍ وَكَفَّتْ فِيهَا الدَّمُوعُ^(٢) سَحَابِيَا
 وَيَا بِأَبَى تَلِكِ الْجِسْمِ نَوَاجِحِ سَلَا
 تَغْلُغَلُ فِيهَا كُلُّ أَسْمَرٍ ذَابِلِ
 فَلَا يُبْعَدُ اللَّهُ الَّذِينَ تَقَرَّبُوا
 مَوَاقِفَ أَبْرَارٍ قَضَوْا مِنْ جِهَادِهِمْ
 أَضْيَبُوا وَكَانُوا فِي الْعِبَادَةِ أَسْوَةَ

تُقَدُّ بِأَطْرَافِ الْقَنَا وَالصُّوَارِمِ
 مِصَارِعُ غُصَّتْ بِالطُّلَا وَالْجِمَاجِمِ
 يَمَا لَقِيَتْ حُمْرًا وَجَوْهُ الْمَلَا حِمِ
 بِحَاسِدٍ مِنْ نَسِيحِ^(١) الطُّبَا وَاللَّهَازِمِ
 وَمَا يُكْرَمُ الرَّحْمَنِ غَيْرِ الْأَكْرَامِ
 وَمَا لَهُمْ فِي فَوْزِهِمْ مِنْ مُقَاوِمِ
 فَمَا لَتَ بِهِمْ مِيلَ الْغُصُونِ النَّوَاعِمِ
 يَطِيرُونَ مِنْ أَقْدَامِهِمْ بِقِوَادِمِ
 كَذَاكَ جِوَارِ اللَّهِ أَسْنَى الْمَغَانِمِ
 وَلَا رَوْعَ يَشْنِيهِمْ صَدُورِ الْعِظَائِمِ
 مُتُونِ الرَّوَابِي أَوْ بَطُونِ التَّهَائِمِ
 وَإِنْ كُنَّ عِنْدَ اللَّهِ غَيْرُ سَوَاهِمِ
 يَعِزُّ عَلَيْنَا وَطُؤُهَا بِالْمُنَاسِمِ
 فَتَكْسِفُ أَنْوَارَ النُّجُومِ الْعَوَاتِمِ
 فَهَنْ بَارِقَاتٍ لُحْنٍ فِيهَا لِشَائِمِ
 بِإِجْرَائِهَا نَحْوِ الْأَجُورِ الْجِسَائِمِ
 فَجَدَلٌ مِنْهَا كُلُّ أَبْيَضٍ نَاعِمِ
 إِلَيْهِ بِإِهْدَاءِ النُّفُوسِ الْكِرَائِمِ
 حَقُوقًا عَلَيْهِمْ^(٣) كَالْفُرُوضِ اللَّوَائِمِ
 شَبَابَا وَشَيْبَا بِالْغَوَاشِيِ الْغَوَاشِمِ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الذَّيْلِ وَالتَّكْلَةِ (حَوْك) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الذَّيْلِ وَالتَّكْلَةِ (الْعِيُون) .

(٣) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (عَلَيْهَا) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الذَّيْلِ وَالتَّكْلَةِ .

وقائمٌ سيفٌ قدَّ في رأسٍ قائم
 هنالك مَضْرُومُ الحياةِ بصارم
 ينوءُ برِجْلِي راسفٍ في الأدهم
 لو كرههم^(١) في المأزقِ المتلاحم
 سوافحُ تُزجِيها ثِقَالُ الغمامِ
 فطِيبَ أنفاسِ الرِّياحِ النَّوَّاسِمِ
 فلا غرو أن فازوا بصفو المكارم
 تحنُّ إلى الأخرى حنينِ الروائمِ
 فحيث التقي الجمعان صدقُ العزائمِ
 أراجع فيها بالدموع السَّواجِمِ
 تُعبِّرُ عنها رايحَاتِ مآتمِ
 سرى غَضٌّ أجفانٍ وغَضٌّ أباهِمِ
 رمي نصالٍ أو لَدِينِ أراقِمِ
 وأزجرُ من سأمِ البكا غيرِ سائمِ
 فيغربُ عني ساهراً غيرِ نائمِ
 ولكنها شكوى إلى غيرِ راحِمِ
 قواصِمِ شتَّى أَرَدَفَتِ بِقَواصِمِ
 لآثرتِ عن طوعٍ سُلُوِّ البهائمِ
 بجاثٍ من الأرزاءِ حولي جاثِمِ
 سرى في الثَّنَايا طيبُها والمخارِمِ

فعامل رَمَحٌ دُقٌّ في صدرِ عامل
 ويا رَبُّ صَوَّامِ المَواجِرِ واصل
 ومنقذِ عانٍ في الأدهمِ راسفُ
 أضاعهم يوم الخميسِ حِفاظَهم
 سقى الله أشلاءً بسَفْحِ أنيشةِ
 وصلَّى عليها أنفُسا طابَ ذكُرها
 لقد صبروا فيها كراما وصابروا
 وما بذلوا إلا نفوسا كريمة^(٢)
 ولا فارقوا والموت يُتَلَعُ جيدَه
 بعيشك طارحنى الحديثِ عن التى
 وما هى إلا غادياتِ فجائعِ
 جلائلِ دقِّ الصبرِ فيها فلم نُطِقِ
 أبيتُ لما تحت الظلامِ كأننى
 أغازل من بَرَحِ الأسي غيرِ بارحِ
 وأعقدُ بالنجمِ المُشَرَّقِ ناظرى
 وأشكو إلى الأيامِ سوءَ صنيعِها
 وهيهات هيهات العزاءِ ودونِه
 ولو بردَ السلوانِ حرَّ جِوانِحِي
 ومن لى بسُلُوِّانِ يحلُ منقُراً
 وبين الثَّنَايا والمَخارِمِ رِمَّةُ

(١) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال وواردة في الذيل والتكلة .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل والتكلة (نغيسة) .

فمن لِلْمَعَالِي بَعْدَهَا وَالْمَعَالِمِ
وَأَعْظَمِ بِهَا وَسَطِ الْعِظَامِ الرَّمَائِمِ
وَقَدْ مَازَجَتْهُ الرِّيحُ مِسْكَ اللَّطَائِمِ
إِلَى خَامِعَاتِ الْفَلَا وَقَشَاعِمِ
وِيرَعَى حِمَاهَا الصَّيْدَ رَعَى السَّوَائِمِ
كَمَا تَنْثُرُ الْبِاقُوتُ أَيْدِي النُّوَائِمِ
يُورِقْنَ تَحْتَ اللَّيْلِ وَرَقِ الْحَمَائِمِ
وَلَيْسَ قَسِيمِ الْبَرِّ غَيْرِ الْمُقَاسِمِ
وَآيَسَ مِنْ أَسِّ لِمَسْرَاهِ حَاسِمِ
وَأَصْبَحَ مَهْدُودِ اللَّيْرِ وَالذُّعَائِمِ
وَحَايَ هُدَى الْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
لِيخْبِطَهُ فِي لَيْلٍ مِنَ الْجَهْلِ فَاحِمِ
كَمَا شَاءَ يَوْمَ الْحَادِثِ الْمُتَفَاقِمِ
وَأَيَّ سَنَاءٍ غَابَ لَيْسَ بِقَادِمِ
مُحِيًّا سَلِيمَانَ بْنَ مُوسَى بْنِ سَالِمِ
وَقَدْ أَسْلَمْتَنِي لِلدُّوَاهِي الدُّوَاهِمِ
وَكَنْتُ بِهِ فِي أَمْنٍ دَهْرُ مُسَالِمِ
وَأَكْفَاؤُهُ مَا بَيْنَ رَاضٍ وَرَاغِمِ
وَحَسْبُكَ مِنْ عَالٍ عَلَى الشُّهْبِ عَالِمِ
وَمُورِدِهِ قَبْلَ النَّسُورِ الْجَوَائِمِ

بَكَّتْهَا الْمَعَالِي وَالْمَعَالِمِ جَهْدَهَا
سَعِيدٌ صَعِيدٌ لَمْ تَرْتَمِهِ قَرَارَةٌ
كَأَنَّ دَمًا أَذْكَى أَدِيمِ تُرَابِهَا
يَشْتَقُّ عَلَى الْإِسْلَامِ الْإِسْلَامِ مِثْلَهَا
كَأَنَّ لَمْ تَبَيَّتْ نَفْسِي لِلسَّرَاةِ قَبَائِمِهَا
سَفَخْتُ عَلَيْهَا الدَّمْعَ أَحْمَرُ وَارِسًا
وَسَامِرْتُ فِيهَا الْبَاكِيَاتِ نَوَادِيًا
وَقَاسَمْتُ فِي حَمْلِ الرِّزْيَةِ أَهْلَهَا
فَوَأَسَفًا لِلدُّنْيَانِ أَعْضَلَ دَاوَاهُ
وَيَأَسَفًا لِلْعِلْمِ أَنْفَسُوتِ رُبُوعِهِ
قَضَى حَامِلِ الْأَثَارِ^(١) مِنْ آلِ يَعْرَبِ
خَبَا الْكُوكِبِ الْوَقَادِ إِذْ مَتَّعَ الضُّحَى
وَخَابَتْ مَسَاعِي السَّامِعِينَ حَدِيثَهُ
فَسَأَى بِهَاءٍ غَسَارَ لَيْسَ بِطَالِعِ
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَلُحْ بِهَا
وَهَلْ فِي حَيَاتِي مِتْمَعَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِ
فَهَذَاذَا فِي حَرْبِ^(٢) دَهْرٍ مُحَارِبِ
أَخُو الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ كَهَلَا وَيَافِعَا
تَفَرَّدَ بِالْعِلْيَاءِ عِلْمًا وَسُودْدَا
مُعْرَسَهُ فَوْقَ السُّهْيِ^(٣) وَمَقِيلِهِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل (الآداب) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل (خوف) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الذيل (السا) .

إذا فاه فاض السُّحر فَرَبَّةٌ لازم
إلى ناجح مَسْعَاهُ في كل ناجح
كفى صَادِمًا منه بأكبر صادم
فإن رُمْتَهُ أَلْفَيْتَ صَعْبَ الشُّكَايِمِ
فبات عليه قارِعًا سنَّ نَادم
ولا البَرْدُ وشَقُّهُ أَكْفُ الرُّواقِمِ
تُسِيرُهَا أَقْلَامُهُ في الأَقْصَالِ
تمامَ حَواهِ قَبْلَ عَقْدِ التَّمَايِمِ
ويُحَسِّنُ وِسْمًا في وجوهِ المِوامِمِ
كَمالِ مِثَالِ^(٢) أو جَمالِ مِقَاقِمِ
بِراقِ مِنَ العَجَلِ أَصِيبُ يِواقِمِ
بِها الحِوَرِ واهًا لِلْمِنادِي المِنادِمِ
لِيحْظِي بِإِقْبالِ مِنَ اللَّهِ دايِمِ
نَوَلِي وَلَمْ تَلْحَقْهُ لَوَمَةٌ لايِمِ
فَلَنْ تَعْدَمَ الحِسانُ ذامًا بِدايِمِ
فِدَى لَكَ مِنَ ساداتنا كُلِّ خادِمِ
أَلا إِنما الأَعْمالُ حُسنُ الخِواتِمِ
لِكلِّ تَقِيٍّ خِيَمُهُ غيرَ خِيايِمِ
نَزِيلِ الثَريِّ قَبْلَها والنِعمائِمِ
تَرى ما عداها في عِدادِ المِئَمِّ

بَعيدٌ مِداهُ لا يُشَقُّ غِبارُهُ
يُفَوِّضُ مِنْهُ كُلُّ نَادٍ وَمِنبَرِ
مَتى صَادِمِ الخِطْبِ المِلمِّ بِخِطْبَةٍ
لَهُ مَنطِقُ سَهْلِ النِّواحِي قَريبِها
وَمِحرِ بِيانِ فِاتِ كُلِّ مُفَوِّهِ
وَمِا الرُّوضِ حَلاهُ بِجِوهرِ النُّدى
بِأَبْذِعِ حُسنًا في^(١) صِحائِفِهِ الَّتِي
بِمانِ كِلاعي نَماءِ إِلى العِلا
يَروِقُ رُواقِ المِلكِ في كُلِّ مَشْهَدِ
ويَكْثُرُ أَعْلَامُ البِسيْطَةِ وَحِدهِ
لِما لَزِمَنا عَاطِرِ مِنَ خِلالِهِ
مُنادِ إِلى دارِ السَّلامِ مُنادِمِ
أَناهُ رَداهُ مَقْبَلًا غيرَ مُدْبِرِ
إِماما لِدينِ أو قِوامًا لِدولَةِ
فِإِنْ عابَهُ حُسادُهُ شَرَقًا بِهِ
فِيا أَيها المِخْذومُ سَامي^(٣) مَحَلُّهُ
وِيا أَيها المِخْذومُ بِالفِوزِ سَعِيهِ
هَنيئًا لَكَ الحُسنِي مِنَ اللَّهِ إِنها
تَبَوَّأتِ جَناتِ النِّعَمِ وَلَمْ تَزَلِ
وَلَمْ تَأَلُ عِيشًا راضِيًا أو شِهادَةَ

(١) هَكَذا وَرَدتْ في الإِسْكَوريالِ . وفي الذِّيلِ (مَن) .

(٢) هَكَذا وَرَدتْ في الإِسْكَوريالِ . وفي الذِّيلِ (مَعالِ) .

(٣) هَكَذا في الإِسْكَوريالِ ، وفي الذِّيلِ (عالِ) .

لعمرى ما يبلى بلاؤك في العدا
 وتالله لا ينسى مقامك في الوغى
 لقيت الردى في الروح جذلاناً باسمها
 وحُمت على الفردوس حتى وردته
 أجئك لا تُثنى عينا لأوبة
 ولا أنت بعد اليوم واعد^(١) هبة
 لسرعان ما قوضت رحلك ظاعناً
 وخلفت من يرجو دفاعك يائساً
 كأتى للأشجان فوق هواجر
 حبيتك مفقوداً^(٢) يعز نظيره
 ورومتك مطلوباً فأعيب مناله
 وإلى لمحزون الفؤاد صديعه
 وعندى إلى لقيالك شوق مبرح
 وفي خلدى والله ثكلك خالد
 ولو أن في قلبى مكانا لسكوة
 ظلمتك أن لم أقض نعماك حقها
 يطالبنى فيك الوفاء بغاية
 فأبكى ليشلوا بالعراء كما بكى
 وأعبد أن يمتاز دونى عبدة

(١) هكذا في الذيل ، وفي الإسكوريال (راعد) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الليل (النواجى) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل (الضوام) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل (موجودا) .

(٥) هكذا وردت في الليل . وفي الإسكوريال (لغفر) . والأولى أرجح .

وقد جرب الأبطال ذبل الهزائم
 سوى جاحد نور الغزاة كاتم
 فبوركت من جذلان في الروح باسم
 ففرت بأشتات المنا فوز غانم
 أداوى بها برح الغليل المداوم
 من النوم تحذوني إلى حال حال
 وسرت على غير النواحي^(٢) الرواسم
 من التصراً أثناء الخطوب الصرايم^(٣)
 بما عادنى من عاديات هواجم
 فياعز معدوم وياهون عادم
 وكيف بما أعيب منالا لرايم
 خلافا لسال قلبه منك سالم
 طوائى من حامى الجوى فوق جاحم
 ألية بسر لا ألية آثم
 سلوت ولكن لاسلو لهائم
 ومثلى فى أمثالها غير ظالم
 سموت لها حفظاً لتلك المراسم
 زياد لقبر^(٥) بين بصرى وجاسم
 بعلياء فى تابين قيس بن عاصم

وهذى المرائى قد وقيت برسمها مسهمة جهد الوفى المسام
فمد اليها رافعا يد قابلي أكب عليها خافضاً قم لايم

ومن القضاة فى هذا الحرف

سلمون بن على بن عبد الله بن سلمون الكنانى

من أهل غرناطة يُكنى أبا القاسم ، ويُدعى باسم جده سلمون ، وقد
مر ذكر أبيه وأخيه .^١

حاله

من أهل العلم والهدى الحسن ، والوقار ، قديم العدالة ، متعدد الولاية ،
مضطلع بالأحكام ، عارف بالشروط ، صَدُرَ وقته فى ذلك ، وسابق حَلْبته
إلى الرواية ، والمشاركة ، والتَّبَجُّح ، فى بيت الخير والحشمة ، وفصل
الأبوة والأخوة . قلَّ فى الأندلس مكانٌ شَدَّ عن ولايته ، وناب عن القضاة
بالحضرة ، فحمد نفاذه ، وحسنت سيرته . ثم وُلِّى مستبداً فى الدولة
الباغية ، وخاض فى بعض أهوائها ، بما جرَّ عليه عتباً ، فعقبه الإعتاب
عن كَتَب .

تواليفه

ألَّف فى الوثائق المرتبطة بالأحكام كتابا مفيدا ، نسبه بعض معاصريه
إلى أنه قيده عن شيخه أبى جعفر بن فركون ، ودون مشيخته .

مشيخته

أجازة الراوية المعمر أبو محمد بن هرون الطايى ، والشيخ المسن أبو جعفر
أحمد بن عيسى بن عياش المالقى ، والشيخ الأديب أبو الحَكَم بن المرَّحَل ،

والعدل أبو بكر بن إسحاق التجيبي ، والقاضي أبو العباس بن الغمّاز ،
والفرضي أبو إسحق التلمساني ، وأبو الحسن بن عبد الباقي بن الصواف ،
والمحدث أبو محمد الخلافي ، والراوية أبو سلطان جابر بن محمد بن قاسم
ابن حيّان القيسي ، والوزير أبو محمد بن سِماك ، والشيخ المدرس
بالديار المصرية أبو محمد الدُّمياطى ، والمقرئ الراوية أبو عبد الله بن
عِيّاش ، وأبو الحسن بن مضاء ، والمحدث أبو عبد الله بن النجار ،
وأبو زكريا بن عبد الله بن محرز ، والمقرئ أبو بكر بن عبد الكريم
ابن صدقة السَّفَاقُسى ، والشيخ زين الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن
القرشي العوني ، وأبو القاسم الأيسر الجداي ، وشهاب الدين الأبرقوسى ،
والعدل أبو فارس الهوارى ، وأبو الكرم الحميرى ، وأبو الفدا بن المعلم ،
والشريف أبو الحسن القراني ، وأبو عبد الله بن رحيمة ، والشيخ
أبو عبد الله بن اللبيدي ، وأبو الحسن بن عطية البودرى ، وأبو محمد
ابن سعيد المسرّاقى ، وأبو عبد الله بن عبد الحميد ، والخطيب أبو الحسن
ابن السَّفَاج الرُّتدى ، وأبو محمد بن عطية ، والوزير أبو عبد الله بن أبي عامر
ابن ربيع ، والعدل أبو الحسن بن مَسْتَقُور ، والخطيب أبو عبد الله
ابن شعيب ، والشريف أبو علي بن طاهر بن أبي الشرف ، والأستاذ أبو بكر
ابن عبيدة . وقرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وبرنامج رواياته نبيه .
مولد : عام خمسة وثمانين وستائة .

ومن المحدثين والفقهاء وسائر الطلبة النجباء بين أصلى وغيره

سعيد بن محمد بن إبراهيم بن حاصم بن سعيد النسائي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عثمان .

حاله

هذا الرجل من أهل الذكاء والمعرفة والإدراك ، يقوم على الكتاب العزيز حفظاً وتدريساً ، ويشارك في فنون ، من أصول وفقه وحساب وتعديل ، ومعرفة بالإمامات الشُعاعية . يكتب خطأ حسناً ، وينظم الشعر ، ويحفظ الكثير من النُتف والأخبار ، مقتصد ، منقبض عن الناس ، مشغول بشأنه ، قيد الكثير ، يسير إلى لزمانة ، أصابت أختها ، بما يدل على نشاطه واهتمامه .

مشيخته

قرأ على الأستاذ الخطيب أبي القاسم بن جُزى ، ورحل إلى البُندوة ، فلقى بفاس وتلمسان جُملة ، كالأستاذ أبي إسحق السلاوي التلمساني ، وأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن المكناسي من أهل فاس ، والحاج ابن سبيع وغيرهم . واستدعيته لتأديب ولدى أسعدهم الله ، فبلوت منه على السنين ، نَضْحاً وسلامة وديناً وعَفَّة .

شعره

جرى ذكر في « الإكليل الزاهر » بما نصه : بمن يتشوق إلى المعارف والمقالات ، ويتشوق إلى الحقائق والمجالات ، ويشتمل على نفس رقيقة ، ويسير من تعليم القرآن على خير طريقة ، ويعانى من الشعر ما يشهد بنبله ، ويُستطرف من مثله . فمن شعره قوله :

لَمَّا نَأَوْا فِي الظَّاعِنِينَ وَسَارُوا	أَضْحَتْ قُلُوبَ العَاشِقِينَ تَحَارَ
تَرَكَوهُمْ فِي ظُلْمَةٍ وَتَوَحُّشَ	مَا انجَابَت الأَضْوَاءُ والأَنْوَارَ
ذَهَبُوا فَاَبْقُوا كُلَّ عَقْلِ ذَاهِلًا	وَلِكُلِّ قَلْبٍ بِالنُّزُوحِ مَطَارَ
ظَنُّنَا وَقَدْ فَتَّنَا الْوَرَى بِجَمَاهِمَ	عَبَّثُوا بِأَفْتَدَةِ الأَنَامِ وَحَارَ

ما ضرَّهم قبيل النَّوى لو ودَّعوا ما ضرَّهم لو أعلموا إذ سارُ
فقلوبنا من بعدهم في فجعة ودموعنا من بعدهم أمطار
يا دار أين أحبَّتني ووصلنا أين الذي كُنَّا به يا دارُ
كنا نذيع به عَير حديثنا وكلامنا الألفاظ والأشعار
والطَّير تتلُّو فوقنا نَعَماتها والدهر يسمع والمُدام تدار
ولطالما بَتْنَا ويات رقيبنا في غفلة قُضيت بها الأوطار
هل زمن تقادم عهدِه نلنا بها النُّعمى ونحن صغار
فلا تذر على الوصال وابكينُ ما دامت الآصال والأشجار
ومن المقطوعات :

وكم عدلوني في هـواه وما رأوا محياه حتى عاينوه وسلّموا^(١)
وقالوا نعم هذا الكمال حقيقةُ فحطُّوا وجاءوا صاغرين وسلّموا
وكتب إلى صحبة كتاب أعرته إياه ، عقب الفراغ من مطالعته :
هذا كتاب كلُّ مُنجم أفحمني معناه إفحاما
أعجمه مُنشئه أولا وزاده النَّاسخ إعجاما
أسقط من إجماله جملة وزاد في التفصيل أقساما
وغير الألفاظ عن وَّضعها وصير الإيجاد إعداما
فليس في إصلاحه حيلةُ تُرجى ولو قوبل أعواما

نشره

كتب إلى شافعا في الولد ، وأنا واجد عليه : من حلَّ محلَّ السيد
نادرة الزمان ، وسابق حلبة البيان ، في رسوخ العلم ، والسُّمو في درجة
الحلم ، وأرضعته الحِكَم دَرَّتْها ، وقلدته المعارف دُرَّرْها ، وجلت عليه

(١) وردت في الإسكوريال على النحو الآتي : (وسلوا)

بدرها ، وجلبت إليه بدرها ، كان بالحنو والرأفة خليقا ، وأن يهب نسيمة لندنا رفيقا ، وأن يتعاهد بالعطف غرسا في زاكي تربته ظلي ، وإلى مَحْتَدِه المنجب وفضله المنجب انتمى ، فيلحفه من الرحمة جناحا ، ويطلع عليه في ليل الوحشة المؤلمة ، من نور صفحة عن هفوته مصباحا ، والذنب إذا لم يكن عقوقا ولا سوء أدب ، وكان في الممالك والقيم المالية مُغْتَفِر ، عند الأكابر مثله من ذوى الرتب ، وقد بلغ في الاعتراف غاية المدى ، وأنذمل الجرح الذى أصابته المدى ، والبون واضح في المقاييس ، بين المرؤوس والرئيس ، وشتان بين الزيف والجوهر النفيس . ومع أن الولد كمد ، فهو للنفس ريحانة ، وفي فص خاتم الإنسان جمانة ، وقد نال منه هذا الإمضاء ، والصارم يتخذ فيزيد منه المضاء ، وهو يرتجى كل ساعة ، أن يفد عليه البشير برضاك ، فيستانف جهورا ، وينقلب إلى أهله مسرورا ، والله يبقيك ، والوزارة ترفل منك في مظهر حُلل ، ويريك في نفسك وبنيك غاية الأمل .

مولده : التاسع لذي الحجة عام تسعة وتسعين وستماية ، وهو الان

على حاله الموصوفة .

ومن الكتاب والشعراء

سهل بن طاحنة

من أهل غرناطة ، يكنى أبا الحسن .

حاله

كان ظريفا ، عنده مشاركة في الطلب . مدح ولى العهد أبا عبد الله

ابن الغالب بالله بشعرٍ وسط ، فمن ذلك قوله من قصيدة أولها :
 أنا للغرام وللهوى مدفوع فمتى السلو ووصلها ممنوع
 يقول أيضا منها بعد كثير :

يا حبذا دارُ لزینب باللّوى حيث الفؤاد على الهوى مطبوع
 يا حادي العيس التفت نحو اللوى إني بسكان اللوى مَفْجوع
 وعِج المطى بلّغ وبسرامه فهناك قلب للشجى مروع
 أطلال آرام وبيضُ خردُ هنّ الأهلهُ بالجيوب طُلوّع
 في ظبیه من بینهن تصدّنی حُسنا ولى أبداً إليه نُزوع
 حوراء جایرةً علی بحکمها ظلماً وإني مُذعن وسمیع
 تَفَنى اللیالی والزمان وأنقضى كمدًا ولا نبأ لها مسموع
 فیالیت هل دهر یعود بوصلها فیکون للعیش الخصب رجوع
 وتعود أيام السُرور كمثل ما قد عاد روح حیاتها والروع
 فقدم مولانا الأمير محمد خیر الملوك ومن له الترفیع

وفاته : كان حياً سنة اثنتين وخمسين وستماية .

سالم بن صالح بن علي بن صالح بن محمد الهمداني

من أهل مالقة ، يكنى أبا عمرو ويعرف بابن سالم .

حاله

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير : كان أديبا مُقَيِّدا . كتب بخطه كثيرا ، وانتسخ أجزاء عدة ، واجتهد وأكثر ، وكان مُتَبَدِّلا في لباسه ، متواضعا ، مقتصدا ، مليح المُجالسة ، حسن العشرة ، جليل الأخلاق ، فاضل الطبع .

مشيخته

روى عن الحافظ أبي عبد الله بن الفخار ، وأبي زيد السهيلي ،
وأبي الحجاج بن الشيخ ، وأبي جعفر بن حكيم ، وأبي بكر بن الجَد ،
وأبي عبد الله بن زرقون ، وأبي محمد بن عبيد الله . وشارك في كثير من
شيوخه أبا محمد القرطبي ، وكان يناهضه .

دخوله غرناطة

دخلها ، وأقام بها ، وأخذ عن شيوخها ، وتردد إليها .
شعره : قال في رُمح :

أنا الرُمح المُعدُّ إلى النوايب فصاحِبِني تجلدي خير صاحب
لئن فَخَرَ اليراع بكتُبٍ خَطُّ فلخَطِّي فخرٌ بالكتايب

ومما كتب له ابن خميس قوله :

إلهي قد عصينا منك رباً تعلّى أن يُقابل بالمعاصي
فكيف خلوصنا من هؤل يوم تشيب لهوله سُود النَّواصي

وجلب شعرا كثيرا دون شهرته ، وما ذكر به . وتوفي بمالقة ليلة
الإثنين لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان المعظم سنة عشرين وستماية .

حرف الهاء من الملوك والأمراء

هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن

محمد بن عبد الله

أخو المُرتضى المتقدم الذُّكر ^(١) ، يكنى أبا بكر ، ويلقب بالمُعْتَد بالله

الخليفة بقرطبة .

(١) وردت ترجمة الخليفة المرتضى في المجلد الثالث من الإحاطة (صفحة ٤٦٦ - ٤٦٧) .

صفته : أبيض أصهب ، إلى الأدمة ، سبّط الشعر ، أخنس ، خفيف العارض واللحية ، حسن الجسم ، إلى قصر ، أمه أم ولد تسمى عاتبا .

حاله

بويح له بالشعر ، فقرطبة أيام استقراره بحصن البنت^(١) ، عند صاحبه عبد الله بن قاسم الفهرى . قال ابن حيان ، ثالبا إياه على عاداته ، قُلد الأمر في سن الشيخوخة ، وكان معروفا بالشطارة في شبابه ، وأقْلَع فُرْجِي فلاحه . وقال ، دخل قرطبة في زِيٍّ تفتحمه العين ، وهنأ وقلّة ، عديم رُواءٍ وبهجة ، وعددٍ وعدّة ، فوق فرسٍ دون مراكب الملوك ، بحليلة مختصرة ، سادلا سَمَل غفارة على ما تحتها من كسوة رثّة ، قُدّامه سبع خبايب من خيل العامريين دون عَلم ولا مضطرد ، يسير هَوْنَا والناس ينظرون إليه ، ويصيحون بالدعاء في وجهه . فدخل القصر ، وقلّد حَكَمَا المعروف بالقزاز الأعمال والأمر ، وأطلق يده في المال ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

هَبْكَ كما تدعى وزيراً وزيرٌ من أنت يا وزير
والله ما للأمير معنى فكيف من وزير الأمير

وضعف أمره ، وآثر الناس الوثوب على وزيره ، فأوقع به طايفة من الجند ، وثارَت العامة بهشام فعُضِع في خبر طويل ، ودخل غرناطة مع أخيه المرتضى ، ولحق يوم هزيمته بظاهاها ، بحصن البنت إلى أن بويح له بقرطبة يوم الأحد لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ثمان عشرة وأربعماية .

محلته

(١) البنت أو البونت وبالإسبانية « Alpuente » مدينة حصينة في شرق الأندلس ، تقع شمال غربي بلنسية على مقربة من نهر طوريه . وقد كانت أيام عصر الطوائف عاصمة لإمارة صغيرة مستقلة تحت حكم بني قاسم الفهرى .

ثارت العامة به بقرطبة كما تقدم ، ملتفةً على أمية بن عبد الرحمن ابن هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، يوم الثلاثاء الثاني عشر لدى حجة من سنة اثنتين وأربعمائة ، بسوء تدبير وزيره ، وبادر الاعتصام بعليّة القصر ، وأنزل منها إلى ساباط الجامع بالأمان ، فيمن تآلف إليه من ولده وحريمه ، فحدث بعض سدنة الجامع ، أن أول ما سأل الشيوخ ، إحضار كسيرة من خبز يسد جوع طفيلة له ، كان قد احتضنها ، سائراً لها بكمه من قرّ ليلته تلك ، كانت تشكو الجوع ذاهلة عما أحاط به ، فأبكي من كلمه اعتبارا بعادية الدهر . وأخرج إلى حصن ابن الشرف إلى أن هلك .

وفاته : في صفر ثمان وعشرين وأربعمائة . وسنه نحو أربعة وستين سنة . وكان آخر ملوك بني أمية بالأندلس .

ومن ترجمة الأعيان والكبرا والأماثل والوزرا

هاشم بن أبي رجاء الإلبيري

الوزير ، يكنى أبا خالد .

حاله

كان من عظماء أهل إلبيرة وحليتهم ، وهو الذي عاد الفقيه الزاهد أبا إسحق بن مسعود الإلبيري في مرضه ، وعذله على رداة مسكنه ، وقال له لو سكنت دارا خيرا من هذه لكانت أولى لك ، فأجابه رحمه الله بقوله :

قالوا ألا تستجيد بيتاً	تعجب من حسنه البيوت
فقلت ما ذاكم صواب	حقير كثير لمن يموت
لولا شتاء ولفح قيظ	وخوف لص وحفظ قوت
ونسوة يبتغين كينا	بنييت بُنيان عنكبوت

وأى معنى لحسن مَغْنَى ليس لسكَّانه تُبوت
 ما لو حظَّ القبر لوعَقَلنا موعظة للناطق الصموت
 يُوبى إلى مُتعلّى الحنايا مالك عن مضجعى عَميت
 سبت يوبى وطول نوى وسوف تَنسى كما نسيت
 وسُدَّتْ ياهادى قصوراً نَعِمْتُ فيهنَّ كيف شِيت
 معتنقاً للحسان فيها مُسْتَنَشِقاً مِسْكَهَا الفَيْت
 تبسبب فيل الصبَا وتلهو بأنسات يَقْلُنْ هِيت
 فلا ذكر سُهادى قبل التنادى وامنهد له قبل أن يفوت
 فعن قريب يكون ظمنى سَخِطْتُ يا صاح أم رضيت

حرف الياء : الملوك والأمراء

يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن

نصر الأنصارى الخزرجى

أمير المسلمين بالأندلس ، أبو الحجاج .

جاله وصفته

كان أبيض أزهر ، أيداً ، براق الثنايا ، أنجل ، رَجَل الشعر أسوده ،
 كث اللحية ، تقع العين منه على بدر تمام ، يفضل الناس بحُسن المرأى ،
 وجمال الهيئة ، كما يفضلهم مقاماً ورتبة ، عذب اللسان ، وافر العقل ،
 عظيم الهيبة ، إلى ثقوب الذهن ، وبُعد العُور ، والتفطن للمعاريض ،
 والتبريز في كثير من الصنائع العملية ، مائلاً إلى الهدنة ، مُزجياً للأُمور ،
 كَلِفًا بالمباني والآثواب ، جماعة للحُلَى والذخيرة ، مستميلاً لمعاصريه من
 الملوك . تولى الملك بعد أخيه بوادى السقايين من ظاهر الخضراء ، ضحوة
 يوم الأربعاء الثالث عشر من ذى الحجة عام ثلاثة وثلاثين وسبعماية ،

وسنه إذ ذاك خمسة عشر عاما وثمانية أشهر، واستقل بالملك ، واضطلع بالأعباء ، وتملاً الهدنة ما شاء . وعظم مرانه لمباشرة الألقاب ، ومطالعة الرسم ، فجاء نسيج وحده ، ثم عالى شدايد العدو ، فكرم يوم [الوقية العظمى بظاهر] ^(١) طريف موقعه ، وحمد بعد في منازل الطاغية عند الجثوم على الجزيرة صبره ، وأجاز البحر في شأنها ، فأفلت من مكيدة العدو التي تخطأها أجله ، وأوهن حبيلها سعده . ولما نفذ فيها القدر ، وأشفقت الأندلس ، سدّد الله أمور المسلمين بها على يده ، وراخى مُحَنَّق الشدة بسعيه ، فعرفت الملوك رجاحته ، وأثنت على قصده ، إلى حين وفاته .
أمه : أم ولد تسمى بهارا ، طرّف في الخير والصون والرجاحة .

ولده : كان له ثلاثة من الولد ، كبيرهم محمد أمير المسلمين من بعده ، وتلوه أخوه إسماعيل المستقر في كنفه ، محجورا عليه التصرف إلى أعمال التدبير ، وثالثهم إسمه قيس ، شقيق إسماعيل .

وزراء دولته

تولّى وزارته لأول أمره ، كبير الأكره ونبيه الدهاقين ^(٢) ، من مُنتجى المَدَر بحضرته ، أبو إسحق بن عبد البر ، لمحيلة طمع نشأت لمقيمي الدولة فيما بيده ، سداً لحالها على عوز طريقه إلى حضرته ، إلى ثالث شهر المحرم من العام . وأزف الخاصة والنبهاء ، رياسته ، فطلبوا من السلطان إعاضته ، فعدل عنه إلى خاصة دولتهم الحاجب أبي التميم [رضوان] ^(٣) ، مظنة التسديد ، ومحطّ الإنفات ، فاتصل نظره مستبداً عليه ، في تنفيذ الأمور ، وتقديم الولاة والعمال ، وجواب المخاطبات ،

(١) وردت في الإسكوريال فقط (وقية طريف) . والزيادة من اللحة البدرية .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي اللحة البدرية (المشيخة) .

(٣) وضعنا اسم الحاجب زيادة في التعريف .

وتدبير الرعايا ، وقود الجيوش . ثم نكبه ، وأحاط به مكروها ، مجهول السبب ، ليلة الأحد الثاني والعشرين لرجب عام أربعين وسبعماية . وتولى الوزارة بعده ، ابن عمه أبيه القايد أبو الحسن علي بن مول ابن يحيى بن مول الأمي ، ابن عم وزير أخيه ، رجل جهورى حازم ؛ ~~مؤتمرا~~ للغلظة على الشفقة ، ولم ينشب أن كفَّ كفَّ استبداد ، فانكدر نجم سعادتهم ، والتأثت حاله . ولزمته شكاية سدكت فاستنقذته . وأقام لرسم الوزارة كاتبه شيخنا نسيج وحده أبا الحسن بن الجياب إلى أخريات شوال عام تسعة وأربعين وسبعماية ، وهلك رحمه الله فأجرى لي الرسم ، وعصَّب لي تلك المثابة ، مضاعف الجراية ، معززة بولاية القيادة

كتابه

تولى كتابته كاتب أخيه وأبيه ، شيخنا المذكور إلى حين وفاته . وقلدني كتابة سره مثناة بمزيد قربه ، مظفّرة برسم وزارته .

قضاته

تولى أحكام القضاء ، قاضى أخيه الصّدر البقيّة ، شيخنا أبو عبد الله محمد بن محيي بن بكر إلى يوم الواقعة الكبرى بطريف ، وفقد في مصافّه ، وتحت لوائه . وتولى القضاء الفقيه المفتى البقيّة أبو عبد الله محمد بن عيَّاش ، من أهل مالقه أياما ، ثم طلب الإعفاء . فأسعف عن أيام تقارب أسبوعا ، وولى مكانه الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن برطال من أهل مالقة . فسدد الخطّة ، وأجرى الأحكام ، إلى الرابع من شهر ربيع الآخر عام ثلاثة وأربعين وسبعماية ، وقُدّم عوضا عنه ، الفقيه الشريف الصّدر الفاضل أبو القاسم محمد بن أحمد الحسيني السبتي المولد والمنشأ ، الطالع على أفق حضرته في أيام أخيه ، النازع إلى إيالتهم النصرية

معدودا في معاصر ايامها ، مشارا إليه بالبنان عند اعتبار أعلامها : ثم عزله لغير جُرمة تذكر ، إلا مالا ينكر وقوعه ، مما تجره تبعات الأحكام . وولى الخطة شيخنا نسيج وحده الرحلة البقية أبا البركات بن الحاج ، شيخ الصُقع ، وصدرُ الجَلَّة . واستمر قاضيا إلى....^(١) وأربعين وسبعماية . ثم أعاد إليها القاضي المفوض هونه ، الشريف الفاضل ، أبا القاسم ، إلى يوم وفاته .

رئيس الغزاة ويعسوب الجند الغربي

تولى ذلك [الأول]^(٢) الأمر الشيخ أبو ثابت عامر بن عثمان بن إدريس ابن عبد الحق ، قريع دهره في النكراء والدهاء ، المسلم له في الرتبة ، عتاقة ورأيا وثباتا ، إلى أن نكبه ، وقبض عليه وعلى إخوته ، يوم السبت التاسع والعشرين من ربيع الأول ، عام أحد وأربعين وسبعماية . وأقام شيخنا ورئيسا ، دايلهم وابن عمهم ، المتلقف لكرة عزهم . يحيى بن عمر بن رحو ، ولى ذلك بنفسه وندبه^(٣) ومبرز خصاله إلى تمام مدته .

من كان على عهده من الملوك

وأولا بفاس دار الملك بالمغرب ، السلطان المتناهى الجلالة ، أبو الحسن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق . وجاز على عهده إلى الأندلس ، إثر صلاة يوم الجمعة تاسع عشر صفر ، من عام أحد وأربعين وسبعماية . بعد أن أوقع بأسطول الروم . المستدعى من أقطارهم . وقبعة كبيرة شهيره . إسولى فيها من المناخ والسلاح والأجفان ، على ما قدم^(٤)

(١) تاريخ المتوسط

(٢) هذا التاجه واردة في اللوح - واطلة في الإسكود - قال .

(٣) وردت في الإسكوريال (وقدمه) . والصواب من اللوح البدرية .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي اللوح (بعد) .

به العهد ، واستقر بالخضراء في جيوش وافرة ، وكان جوازه ، في مائة وأربعين جفنا غزويا . وبادر إلى لقائه ، واجتمع به في وجوه الأندلسيين وأعيان طبقاتهم بظاهر ، الجزيرة الخضراء ، في اليوم الموفى عشرين من الشهر المذكور . ونازل إثر انقضاء المولد النبوى ، مدينة طريف ، ونصب عليها المجانيق ، وأخذ بمخنتها ، واستحث من بها من المحصورين ، طاغية الروم ، فبادر يفتاد^(١) جيشا ، يجز^(٢) الشجر والمدرك . وكانت المناجزة ؛ يوم الإثنين السابع لجمادى الأولى من العام . ومُحص المسلمون بوقیعة هائلة ، أتت على النفوس والأموال والكراع ، وهلك فيها بمضرب المملك جملة من العقائل الكرام ، فعظمت الأحدثة ، وجلت المصيبة ، وأسرع اللحاق بالمغرب مفلولا في سبيل الله ، مُحْتَسِباً يروم^(٣) الكرة : وكان ما هو معلوم ، من إمعانه في حدود الشرق ، عند إحكام المهادنة بالأندلس ، وتوغله في بلاد إفريقية ، وجريان حكم الله عليه بالهزيمة ، [ظاهر القيروان]^(٤) التي لم ينتشله الدهر بعدها ، وعَلِقَتْ آمال الخلق بولده ، مستحق الملك ، من بين ساير إخوته^(٥) ، وهلك على تَفِيَةٍ ، لحاقه بأحواز مراکش ، ليلة الأربعاء السادس والعشرين لربيع الأول عام اثنين وخمسين وسبعماية ، فاختار الله له ما عنده ، بعد أن بلغ من بُعد الصيت ، وتعظيم الملوك له ، وشهرة الذكر ، ما لم يبلغه سواه .

ونحن نجلب دليلا على فضله ، والإشادة بفخره ، نسخة العقد الذى

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي المصحة (يقود) .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي المصحة (يسوق) .

(٣) وردت في الإسكوريال (يوم) . والتصويب من المصحة .

(٤) هذه الزيادة من المصحة .

(٥) وردت في الإسكوريال (ولده) . والتصويب من المصحة .

تضمن هديته إلى صاحب الديار المصرية ، صعبة الرِّبعة الكريمة بخطه ،
وذلك قبة من مائة بنيقة ، وفيها أربعة أبواب؛ وقبة أخرى من ستة
وثلاثين بنيقة؛ داخلها حلة مخلوقة ووجهها حرير أبيض ، وركيزها أبنوس
وعاج مرصع ، والاهار فضة مذهبة ، ، والشرايط حرير . وضربت القبتان
بالصفصيف ، وحل فيها جميع الهدية . وصُففت جميع الدواب بجهازاتها
أمام القبة . من الخيل ثلاثمائة ، وخمسة وثلاثون من البغل بين ذكور
وأناث ، ومن الجمال سبع مائة ، الا إنهم تصفف ، بل أعدت لحمل
الهدية ، ومن البزاة الأحرار أربعة وثلاثون ، ومن أحجار الياقوت مائتان
وخمسة وعشرون ، ومن قطب الزمرد مائة وثمانية وعشرون ، ومن حبوب
الجوهر الفاخر أكثره، ثلاثة آلاف وأربعة وستون . ومن أحجار الزبرجد
ثمانية وعشرون ، ومن المهندات بحلية الذهب عشرة ، ومن أزواج مهامير
الذهب عشرة ، ومن أزواج الأركب عشرة ؛ واحد كله ذهب ، وثلاثة
كلها فضة ، وستة من حبيبة مذهبة على الحديد . واثنتان من اللصحات من
ذهب . وشاشية مذهبة . وحلل ثلاث عشرة . وعشر كلل ومخاد حلة .
وتوق ذهب مائتان ، واشتراق ذهب عشرون . وقدود ستة وأربعون . وفرشا
جلّة . وعشر علامات مُعَشَّشة . وعشر وقايات مذهبة . وثلاثون من وجوه
اللحف حرير وذهب . ومائتان من المحررات الملونة الرفيعة المختمة .
وحيطان أحدهما حلة والآخر طرق . وثلاثة وعشرون شقة من الرهاز ،
واثنان من هنابل الحلة . وعشرة براقع للخيل منها ثمانية من الحلة . ومن
أسلة الخيل ثلاثون ، وثلاثة طنائف من الحرير . وهنابل حرير اثنان .
وعشرة هنابل من الحرير والصوف . وهنابل واشريشية وزمورية مائة
وسبعة . وأربعة آلاف من الجلد التركي والأغماتي . ومن دَرَق اللَّمَط المثمنة

مائتان . ومن الأَكْسِيَّة المحررة أربعة وعشرون . ومن البراس المحررة ثمانية . ومن الأحارم ما بين محررة و صوف عشرون . ومن أزواج المحفف خمسون . وعشر لزمات من الفضة . وستة عشر شقة من الملف . وأما أزودة الحجاج فأعطى للحره المكرمه أخته ، أعزها الله ، ثلاثة آلاف دينار من الذهب ، ومائتي كسوة برسم العرب . ولن سافر معها ستمائة وسبعين . ولأبي إسحق بن أبي يحيى ثلاثمائة من الذهب وكسوة رقيقة . ولعريفه يحيى السويدي ألف دينار من الذهب . إلى العدد الكثير من الذهب العين برسم الوصفان والخدام ، ولرسوم التحبب على قراء الرابعة الكريمة ، ستة عشر ألفاً وخمسمائة دينار . انتهى .

وكان هذا السلطان رحمه الله ، ممن دوخ الأقطار ، وجاهد الكفار ، ووطيء بالأساطيل حدود البحار ، والتمس ما عند الله من الثواب ، وأعلق يده من نسخ كتابه بأوثق الأسباب . إلى أن استوفى الأمر لولده ، أمير المؤمنين بالمغرب وما إليه ، فارس المكنى بأبي عنان ، الملقب بالمتوكل على الله . فقام بالأمر أحمد قيام . وجرت بين هذا السلطان وبينه المخاطبات والمراسلات ، وسفرني إليه لأول الأمر ، معزياً بأبيه ، ومهنياً بما صار إليه من ملكه ، واستصحبته إليه كتاباً من إنشأ . بجايه بحول الله ، تجديماً لمن يقف على هذه الأخبار ، وإن اقتحمتهما ثبج الإكتار وهو :

المقام الذي رسخت منه في مقامى الضر والشكر قدم . فلا ينيره وجود ولا يروعه عدم ، وصادفت منه في كتاب المجد عرمة لم يحتلجها وهن ولا ندم ، حتى تصرفت بحكم معاليه أيام دهره رلياليه ، هو ولدان وعنده

مخدم . مقام محل أخينا . الذى إن جاشت النوايب وسعها صدره . أو عظمت المواهب ، ترفع عنها قدره ، أو أظلمت الكروب جلاها بذره . أو تنالبت الخطوب ، هزمها صبره . أو أظلمت سحابب النعم ، أسدرها حمد الله وشكره ، أو عرضت عقود الحمد فى أسواق المجد أغلاها فجره . أو راقى حل الصنایع طرزها ذكره . أو طبقت سيوف الناس أغمدها صفحه ، وسلها قهره . السلطان الكذا أبقاه الله ضاحك السعد ، كلما بكت عين ، مجموع الشمل كلما أرف بين . وارى الزند إذا اقتضى دين ، محمى الذمار بانفساح الأعمار ، كلما أغار على الأحياء حين . ولا زال يقيد منه شكر الله نعم ما فى وعدها لى ، ولا فى قولها مين . ويلبس منها حللا تقواه فى عواتقها زين . مساهمة فى كل خطب غم ، أو فضل من الله عم . ومقاسمة فى كل ما ألم . وتهنئة بالملك الذى خلص وتم ، فلان .

أما بعد حمد الله الذى جعل الصبر فى الحوادث حصنا منيعا ، والشكر يستدعى المزيد من النعم سريعا ، فمتى أعملت للصبر دعوة ، كان بها الأجر سميعا . ومتى رفعت من الشكر رقة ، كان المزيد عليها توقيعا . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الذى بوأنا من السعادة جنابا مريعا . وبين له حدود أواره ونواهيه فطوبى لمن كان مطيعا . وكان لنا فى الدنيا هاديا ، ونجده فى الآخرة شفيعا . والرضا عن آله وصحبه ، الذين كانوا على العداة قبيضا ، وللعفاة ربيعا . فحلوا من الاقتداء به فيما ساء وسر ، وأحلى وأمر مقام ربيعا . وخفض عليهم مضاضة فقدته ، مثابرتهم على ضم شمل المسلمين من بعده . اقتداء بقوله سبحانه : واعتصموا بحبل الله جميعا . والدعاء لمقامكم الأسمى بالنصر ، الذى يشكر منه الجياد والبيض الحداة صنيعا . وتشرح منه ألسن الأقلام تهديبا وتقريرا . والصبر الذى زرافات

الأجر قطعياً . فقطعياً . فلإنا كتبنا إليكم ، كتب الله لكم من حظوظ الخير أوفرها عددا . وأقطعكم من خُطَط السعد أبعدها مداً . وأتبعكم من كتابيب العز أطولها يداً ، وخولكم من بسطة المُلْك مالا يببدا أبداً ؛ وألهمكم من الصبر لما تقدمونه فتجدونه غداً . من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وعندنا من من الاعتداد في الله أسبابٌ وثيقة ، وأنسابٌ صدق في بحبوحه الخُلوص عريقة . ومن الثناء عليكم حدايقٌ روض لا تحاكيها حديقة . ومن المساهمة لكم في شتى الأحوال ، مقاصدٌ لا تلتبس منها طريقة . ومن السرور بما سناه الله لكم ، نعمٌ يشكر الله عز وجل خليقة .

وإلى هذا ، أيدكم الله بنصره ، وحكم لمقامكم بشد أزره ، وإعلاء أمره ، فإلنا وَرَد علينا الخبر الذي قبض ويسط ، وجار وأقسط ، وبخس ووفى ، وأمراض وشقى ، وأضحى وظلل ، وتجهّم وتهلّل ، وأمرٌ وأخلى ، وأساء ثم أحسن ، وبشّر بعد ما أحزن ، خبرٌ وفاة والدكم ، محلٌ أبينا ، السلطان العظيم القدر ، الكبير الخطر . قدس الله طاهر تربته ، وكرمٌ لحدّه ، كما أحيا بكم معالم مجده . فياله من سَهَم رى أغراض القلوب فأتببتها . وطرق مجتمعات الآمال فشتتها . ونعى إلى المجد لإنسان عينه وعين إنسانه . وإلى المُلْك هبولى أركانه . وإلى الدين ترجمة ديوانه . وإلى الفضل عميد إيوانه . حادثٌ نبه العيون من سِنَّة غرورها . وذكرُ النفوس بهم أمورها . وأشرق المحاجر بماء دموعها ، وأضرَم الجوانح بنار ولوعها . وبين أن سراب الامال سراب ، وأن الذى فوق التراب تراب . فمن تأمل الدنيا وطباعها ، والأيام وإسراعها ، والحوادث وقراعتها ، بداله الحق من المين . واستغنى عن الأثر بالعين . فشأنها أن لا تفتتر عن سهم تُسدده إلى غرض . وصحة تعقبها بمرض ، وجوهر ترميه

بِعَرَضٍ . وداؤ للموت قديم ، وقُرْبُهُ لا يُبْتِغى عليه أديم . وكأشهُ يشربها
موسرٌ وعديم . دبَّت إلى كسرى الفُرْسُ عقاريه ، فلم تمنعه أساورته
ولا مرازيبه . وقصر قيصر على حكمة فكذرت مشاريه . وأتبر سيف بن ذى يزن
عمدانه ، فلم ترعه مضاريه . وأردى تبعاً ، فلم يكن فى أتباعه من يحاربه .
لم تدافع عنهم الجنود المجندة . ولا الصِّفاح المهندة . ولا الدروع المحكمة ،
ولا النياب المقلمة . ولا الجياد الجرد المسومة . ولا الرماح المثقفة المقومة .
كلُّ قَدَمٍ على ما قدم . وجد إلى ما أعد . جعلنا الله من يسر لسفره زاداً . وقدم
بين يديه رباطا شافعا لديه وجهادا . ووثر لنفسه بمناصحة الله والمؤمنين فى
أعلى عليين ، مهادا . وطوق المسلمين عدلا وفضلا وإمدادا . غير أن هذا
الفاجىء الذى فجع ، ومنع القلوب أن تقر والعين أن تهجع . غمرته
البُشرى ، وغلبته المسرة الكبرى ، وعارضته من بقاياكم الآية المحكمة
الأخرى . فاضمحل من بعد الرُسوخ . وصار ليله فى حُكْم المنسوخ . ما
كان من استخلاصكم الملك الذى أنتم أهله ، واحتيازكم المجد الذى
أشرك بكم محله . وكيف بسهم أخطأ ذاتكم الشريفة ، أن يقال فيه
أضمى وأجهز . والأمل بعد بقاياكم أن يقال فيه تعلر أو أعوز . إنما
الامال ببقاياكم للملا منوطة . وسعادة الإسلام بحياتكم المتصلة مشروطة .
ومنها : فأى ترَح يبقى بعد هذا الفرح ، وأى كسل ينشأ بعد هذا
المرح . إن أقل البدر ، فقد تبلج الفجر ، أو غاض النيل فقد فاض
البحر . وإن مال فللك الملك ، فقد عاد إلى مداره . وإن أذنب الدهر ، فقد أحسن
ماشاء فى اعتذاره . إنما هذا الخطب وعن أعقبه ضوء النهار ، وسطعت
بغده أشعة الأنوار . وصد مصامة أغمدت ، وسل من بعدها ذو الفقار .

ومنها : وإتنا لما (١) عن حقه ورصدنا طالعه في أفقه . قابلنا الواقع بالتسليم ، والمنحة الرادفة بالشكر العظيم . وأنسنا في غمام الهدنة رب هذا الإقليم . وقلنا استقر الحق ووضحت الطرق ، وهوى الرايد وصدق البرق ، وتقررت القاعدة وارتفع الفرق ، واستبشر بإبلال المغرب أخوه الشرق . وثابت آمال أولى الجهاد إلى اقحمام فُرصة المجاز ، وأولى الحج إلى مرافقه ركب الحجاز ، وآن للدنيا أن تلبس الحلى العجيبة بعد الابتزاز . والحمد لله الذي زين بكم أفق الملك ، وكيف بسعدكم نظم ذلك السلك . وهنأ الله إيالتكم ، العباد والبلاد ، والحج والجهاد . وصدق الظنون الذي في مقامكم ، الذي جاز في المكارم الآماد . بادرنا أيديكم الله من برؤكم إلى غرضين . وقمنا من حق عزايكم وهنايكم بواجبين مُقترضين . وشرعنا ومن لدينا ، أن نباشر بالنفوس ، هذين القصدين . إلا أننا عاقنا عن ذلك ، ما اتصل بنا ، من العدو الذي بلينا بجواره ، ورؤينا بمصابرة تياره . وإلا فهذا الغرض قد كنا لا نرى فيه بإجراء الاستنابة ، ولا نحظى غيرنا بزيارة تلك المثابة . فليصل الفضل جلالكم . ويقبل العذر كما لكم . وإذا كان الاستخلاف مما تحتمله العبادة ، ولا ينكره عند الضرورة العرف والعادة ، فأخرى الأخوة والودادة ، والفضل والمجادة . فتخيرنا جهدنا ، واصطفينا لباب اللباب فيمن عندنا . فعيننا فلانا . واتصلت أيامه إلى آخر مدته .

وبمدينة تلمسان : عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يعمراسين بن زيان ، يكنى أبا تاشفين . وقد تقدم ذكره ، وهو الذي انقضى ملك بني زيان على يده . تولى الملك عام ثمانية عشر كما تقدم . وهنأه إلى أن تأكدت

(١) يفاض بالخطوط .

الوُحْشَة بينه وبين السلطان ملك المغرب . فتحركَ لمتازلته ، وأخذَ بِكَظْمِهِ ،^(١) وحصره سنين ثلاثا ، واقتحم عليه مَلْعَبُ البِلْدَةِ ، ليلة سبع وعشرين من رمضان عام سبعة وثلاثين وسبعماية . وفي غرَّة شوال منها ، دخل البلد من أقطاره عَنَوَةٌ ، ووقف هو وكبير ولده^(٢) برحبة قصره ، قد نَزَعَا لام الحرب المانعة من عمل السلاح ، استعجالا للمنيَّة ورغبة في الإجهاز وقاما مقام الثبات والصبر والاستجماع ، إلى أن كُوْثِرَا وأثخنَا ، وعاجلتها مَنِيَّةُ العزِّ قبل شدِّ الوثاق ، وإمكان الشَّاتِ ، واستولى على الملك ملك المغرب . وفي ذلك قلت من الرِّجْزِ المسمى بقطع السلوك في الدول الإسلامية^(٣) ، مما يخص ملوك تلمسان ، ثم أميرها عبد الرحمن هذا :

وحل فيها عابدُ الرحمن	فاغترَّ بالدنيا وبالزمان
وسار فيها مطلق العنان	من مظهر سام إلى جنان
كم زخرف عليها من بُنيان	آثاره تُنبئ عن العيان
وصرف العزم إلى بجاية	فعظمت في قومها التكاية
حتى ما إذا مدة الملك انقضت	وأوجُه الأيام عنهم أعرضت
وحقَّ حقُّ الدهر فيها ووجب	وكتب الله عليها ما كتب
حثَّ إليها السير ملك المغرب	بالك من ممارس مجرَّب
فغلب القوم بغير عهد	بعد حصار دائم وجَهْد
فأقفرت من ملكهم أوطانه	سبحان من لا ينقضى سلطانه

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي اللحة (بخطه) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بلده) . والتصويب من اللحة .

(٣) يقصد ابن الخطيب هنا كتابه المسمى (رقم الحلل في نظم الدول) . وهو الذي سبق

أن وصلناه في مقدمة المجلد الأول .

ثم نَشَأَتْ لَمْ بَارِقَةَ ، لَمْ تَكْدُ تَقْدُ حَتَّى نَجَبَتْ ، عِنْدَمَا جَرَتْ عَلَى السُّلْطَانِ
 أَبِي الْحَسَنِ الْهَزِيمَةَ بِالْقَيْرَوَانَ ؛ وَانْبَتَّ عَنْ أَرْضِهِ ، وَصُرِفَتْ الْبَيْعَةُ فِي
 الْأَقْطَارِ إِلَى وَلَدِهِ ، وَارْتَحَلَ إِلَى طَلَبِ مَنْصُورِ بْنِ أَخِيهِ ، الْمُنْتَزِي (١) بِمَدِينَةِ
 فَاسٍ . فَدَخَلُوا تَلْمَسَانَ ، وَقَبِضُوا عَلَى الْقَائِمِ بِأَمْرِهَا ، وَقَدَمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ
 عِثْمِينَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَغْمَرِ بْنِ الْمُتَقَدِّمِ الذِّكْرِ فِي رَسْمِ عِثْمِينَ
 وَذَلِكَ فِي الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ لِحِمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ عَامِ تِسْعَةِ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ؛
 وَاسْتَمَرَّتْ أَيَّامُهُ أَثْنَاءَ الْفِتْنَةِ وَارْتِاشٍ ، وَأَقَامَ رَسْمَ الْإِمْرَةِ ، وَجَدَّدَ مُلْكَ
 قُوْنِهِ . وَاسْتَمَرَّتْ حَالُهُ إِلَى أَنْ أَوْقَعَ بِهِمْ مَلِكُ الْمَغْرِبِ ، أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ
 أَبُو عِنَانَ الْوَقِيْعَةَ الْمَصْطَلِمَةَ (٢) الَّتِي خَضَعَتْ (٣) الشُّوكَةَ ، وَاسْتَأْصَلَتْ الشَّافَةَ .
 وَتَحَصَّلَ عِثْمِينَ فِي قَبْضَتِهِ . ثُمَّ أَلْحَقَتْ النُّكْبَةَ بِهِ أَخَاهُ ، فَكَانَتْ سَبِيلَهُمَا فِي
 الْقَتْلِ صَبْرًا حَبِيرَةً ، وَذَلِكَ فِي وَسْطِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ عَامِ التَّارِيخِ .
 وَبِتُونَسَ : الْأَمِيرُ أَبُو يَحْيَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْأَمِيرِ أَبِي زَكْرِيَا بْنِ الْأَمِيرِ
 أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ الْأَمِيرِ أَبِي زَكْرِيَا إِلَى أَنْ هَلَكَ . وَوَلَّى الْأَمْرَ وَلَدَهُ عَمْرًا ثُمَّ
 وَلَدَهُ أَحْمَدًا (٤) ثُمَّ عَادَ [الْأَمْرَ] إِلَى عَمْرٍ . ثُمَّ اسْتَوْلَى مَلِكُ الْمَغْرِبِ السُّلْطَانُ
 أَبُو الْحَسَنِ عَلَى مَلِكِهِمْ . ثُمَّ ضَمَّ نَشْرَهُمْ بَعْدَ نَكْبَتِهِ وَخُرُوجِهِ عَنْ وَطَنِهِمْ
 عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ .

وَمِنْ مَلُوكِ النَّصَارَى بِقَشْتَالَةَ : أَلْفَنْشُ بْنُ هِرْتُدَةَ بْنِ دُونِ جَانْتَجَةَ بْنِ
 أَلْفَنْشِ الْمَسْتَوْلَى عَلَى قَرْطَبَةَ (٥) ابْنِ هِرْتُدَةَ الْمَسْتَوْلَى عَلَى إِشْبِيلِيَّةِ . إِلَى

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ فِي الْمِحَّةِ (الدَّاعِي لِنَفْسِهِ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . فِي الْمِحَّةِ (الْمَسْتَأْصَلَةُ) .

(٣) وَوَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (حَصَلَتْ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمِحَّةِ .

(٤) هَذِهِ الزِّيَادَةُ وَارْدَةٌ فِي الْمِحَّةِ وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ .

(٥) هَذَا خَطَأٌ تَارِيخِيٌّ مِنْ ابْنِ الْخَطِيبِ ، فَإِنَّ الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَى قَرْطَبَةَ هُوَ فَرْنَانْدُو الثَّلَاثُ مَلِكُ

قَشْتَالَةَ (مِرَانْدَهُ) . وَقَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا فِي شَوَالِ سَنَةِ ٦٣٣ هـ (١٢٣٦ م) . وَهُوَ الَّذِي اسْتَوْلَى
 كَذَلِكَ عَلَى إِشْبِيلِيَّةِ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ٦٤٧ هـ (١٢٤٨ م) . وَيَنْمَتُ فِي التَّوَارِيخِ النَّصْرَانِيَّةِ بِسَانِ فَرْنَانْدُو

(أَيْ الْقَدِيسِ) .

عدد جم . وكان طاغية مرهوبا ، وملكاً مجدودا . هبَّت له الريح ، وعظمت به إلى المسلمين النكاية . وتلك الخضراء بعد أن أوقع بالمسلمين الوقينة الكبرى العظمى بطريف . ثم نازل جبل الفتح ، وكاد يستولى على هذه الجزيرة ، لولا أن الله تداركها بجميل صنعه وخفى لطفه ، لا إله إلا هو . فهلك بظاهره في محلته حَتَفَ أنفه ليلة عاشوراء من عام أحد وخمسين وسبعماية . فتنفس المُخَنَّقُ ، وانجلت الغمة ، وانسدل الستر . كنت منفردا بالسلطان رحمه الله ، وقد غلب اليأس ، وتوقعت الفضيحة ، أونسه بعجائب الفرج بعد الشدة ، وأقوى بصيرته في التماس لطف الله ، وهو يرى الفرج بعيدا ، ويتوقع من الأمر عظيما . وورد الخير بمهلكه ، فاستحالت الحال إلى ضدها ، من السرور والاستبشار . والحمد لله على نعمه .
وفي ذلك قلت :

وما حاضرٌ في وصفها مثل غائب	الا حدثاني ^(١) فهي أم الغرائب
سروج المذاكي أو ظهور التجائب	ولا تُخْلِيا منها على قطر السرى
على بابك المذول موقف تائب	أيوسف إن الدهر أصبح واقفا
وسعدك أفضى من سُعود الكواكب	دعاؤك أمضى من مُهتدة الظأ
ولكن سيف الله دامي ^(٢) المضارب	سيوفك في أغمادها مطمئنة
وسلَّ فضله فالله أكرم واهب	فثق بالذي أوعاك أمر عاده
تجدُّ على مرَّ العصور الذواهب	لقد طرَّق الأذفدش سعدك خزية
وصدق أطماع الظنون الكواذب	وقيت وغان العهد في غير طابيل

(١) مكنا وردت في الإسكوريال . وفي المصحة (حدثها) .

(٢) مكنا في الإسكوريال . وفي المصحة (ماضى) .

هوى في مجال العجب غير مُقَصِّر
وغالب أمر الله جلُّ جلاله
ولله في طيِّ الوجود كتابيُّ
تغير على الأنفاس في كل ساعة
فمن قبارع في قومه سنُّ نادم
مصائب أشجى وقعها مُهَج العدا
شواظُّ أراد الله إطفاء ناره
وإن لم يصب منه السلاح فإنما
ولله من الطافه في عباده
فمهما غرست الصبر في تربة الرضا
ولا تعدُّ الأمر البعيد وقسوعه

وهل نهض العُجب المخل براكب
ولم يذُر أنَّ الله أغلبُ غالب
تدقُّ وتخني عن عيون الكتابيب
وتكن حتى في مياه المشارب
ومن لاطم في ربيعُه خدُّ نادب
وكم نيمٌ في طيِّ تلك المصايب
وقد نفج الإسلام من كل جانب
أصيب بسهم من دُعائك صايب
خزائنُ ما ضاقت لمطلب طالب
بأحكامه فلتجن حسن العواقب
فإن الليالي أمهات العجايب

وهي طويلة سهلة ؛ على ضعف كان ارتكابه مقصودا في أمداحه .

وببرجلونة ^(١) : السلطان يطره المتقدم ذكره في اسم أخيه

ومن الأحداث في أيامه الواقعة الكبرى بظاهر طريف ، يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى ، من عام أحد وأربعين وسبعماية ، وما اتصل بذلك من منازلة الطاغية ألنهشهُ ، قلعة يحصب ^(٢) الماسة الجوار من حضرته ، واستيلائه عليها ، وعلى باغة . ثم منازلة الجزيرة الخضراء عشرين شهرا ، أوجف خلالها بجيوش المسلمين من أهل العدوتين إلى أرضه . ثم استقر منازل إياها إلى أن فاز بها قداحه ، والأمر لله العلي الكبير ،

(١) أي برشلونة .

(٢) قلعة يحصب أو قلعة بني سعيد ، محلة حصينة تقع شمال غرناطة وجنوب حان . وقد سبق

التعريف بها (راجع المجلد الأول من الإحاطة صفحة ١١١ حاشية) . وبأغة وبالإسانية « Priego »
أيضا سبق التعريف بها (راجع المجلد الثالث صفحة ٥٢٧ حاشية) .

في قصص يطول ذكره ، تضمن ذلك « طرفة العصر » من تأليفنا .
ثم تهناً السلم ، والتحف جناح العافية والإمينة برهة ، رحمه الله .

وفاته

وما استكمل أيام حياته ، وبلغ مداه ، أتم ما كان شاباً واعتدالا
وحسناً ، وفخامة وعزاً [حتى]^(١) أتاه أمر الله من حيث لا يحتسب ،
وهجم عليه يوم عيد الفطر ، من عام خمسة وخمسين وسبعماية ، في الركعة
الأخيرة ، رجل من عداد المرورين ، رمى بنفسه عليه ، وطعنه بخنجر
كان قد أعدّه ، وأغرى بعلاجه ، وصاح ، وقطعت الصلاة ، وقُبض عليه ،
واستفهم ، فتكلم بكلام مُخلط ، واحتملُ إلى منزله ، على قوت لم يستقر
به ، إلا وقد قضى رحمه الله ورضى عنه ، وأخرج ذلك الخبيث للناس ،
وفتل وأحرق بالنار ، مبالغة في التشفي . ودفن السلطان عشية اليوم في
مقبرة قصره لصق^(٢) والده ، وولى أمره ابنه أبو عبد الله محمد ، وبلغ في
احتفال قبره ، بما أشف على من تقدمه ، وكتب عليه ما نصه :

« هذا قبر السلطان الشهيد ، الذي كَرُمَت أحسابه وأعراقه ، وحاز
الكمال خلقه وأخلاقه ، وتحدث بفضله [وحلمه]^(٣) شام المعمور
وعراقه ، صاحب الآثار السنية ، والأيام الهنيئة ، والأدلاق الرضية ،
والسير المرضية . الإمام الأعلى ، والشهاب الأجل ، حُسام الملة ، علم الملوك
الجلّة ، الذي ظهرت عليه عناية ربّه ، وصُنِعَ اللهُ له في سلّمه وحزبه .
قطب الرجاحة والوقار ، وسلالة سيد الأنصار ، حامى حمى الإسلام برأيه
ورايته ، المستولى في ميدان الفخر على غايته ، الذي صحبته [عناية الله]^(٤)
في بداية أمره وغايته ، أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ابن السلطان الكبير ،

(١) أضفت ليستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في المصحح ، ووردت مكانها في الإسكوريال (صحیح) .

(٣) هدد الحذمة واردة في المصحح وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في المصحح . وفي الإسكوريال (العناية) .

الإمام الشهير ، أسدِ دينِ الله ، الذى أذعنت الأعداءُ لقهره ، ، ووقفت الليالى والأيام عند نبيه وأمره . رافع ظلال العدل فى الآفاق [حامى جِى السُّنة بالسُّمِّ الطوال والبيض الرِّقاق] ^(١) ، مخلص صحف الذكر الخالد والعزُّ الباق ، الشهيد السعيد المقدس أبى الوليد ، ابن الهمام الأعلى الطاهر النسب والذات ، ذى العز البعيد الغايات ، والفخر الواضح الآيات ، كبير الخلافة النصرية ، وعماد الدولة الغالبية ، المقدس المرحوم أبى سعيد فرج بن اسماعيل بن نصر ، تغمده الله برحمة من عنده ، وجعله فى الجنة جاراً لشعد بن عبادة جدّه ، وجازى عن الإسلام والمسلمين ، حميد سعيه ، وكريم قصده . قام بأمر المسلمين أحمَدَ القيام ، ومهد لهم الأمن من ظهور الأيام ، وجلّى لهم وجه العناية مشرق القسام ، وبذل فيهم من تواضعه وفضله ، كل واضح الأحكام . إلى أن قضى الله بحضور أجله ، على خير عمله ، ونخم له بالسعادة ، وساق إليه على حين إكمال شهر الصوم هدية الشهادة . وقبضه ساجدا خاشعا ، مُنيباً إلى الله ضارعا ، مستغفراً لذنبه ، مطمئناً فى الحالة ، التى أقرب ما يكون العبد فيها من ربه . على يد شقى قبضه الله لسعادته ، وجعله سبباً لنفوذ سابق مشيئته وإرادته ، خفى مكانه لخمول قدره . وتم بسببه أمر الله لحقارة أمره . وتمكن له عند الاشتغال بعبادة الله ، ما أضمره من غدره ، وذلك فى السجدة الأخيرة من صلاة العيد . غرة شوال ، من عام خمسة وخمسين وسبعماية . نفعه الله بالشهادة التى كرم منها الزمان والمكان ، ووضح منها على قبول رضوان الله البيان . وحشّره مع سلفه الأنصار ، الذين عزّ بهم الإيمان ، وحصل لهم من النار الأمان . وكانت ولايته الملك فى غرة اليوم الرابع عشر لذى الحجة من

(١) هذه الزيادة من اللحة .

عام ثلاثة وثلاثين وسبعماية . ومولده^(١) في الثامن والعشرين لربيع الآخر
عام ثمانية عشر وسبعماية . فسبحان من انفرد بالبقاء المحض ، وحتم
الفناء على أهل^(٢) الأرض ثم يجمعهم إلى يوم الجزاء والعرض ، لا إله إلا هو .
وفي الجهة الأخرى من النظم ، وكلاهما من إملأني ، ما نصه :

يحْييك بالريحان والروح من قبر	رضي الله عمن حل فيك مدى الدهر
إلى أن يقوم الناس تَعَنُّوْ وجوهمهم	إلى باعث الأموات في موقف الحشر
ولست بقَبْرٍ إنما أنت روضة	مُنْعَمَةٌ الريحان عساطرَةَ النَّشْرِ
ولو أننى أنصفتك الحق لم أقل	سوى يا كِمام الزَّهْر أو صدف الدر
وياملحَد التقوى ويأمدفن الهدى	ويا مسقط العليا ويا مغرب البدر
لقد حطَّ فيك الرحل أي خليفة	أصل المعالي غُرَّةٌ في بني نصر
لقد حلَّ فيك العزُّ والمجد والعلی	وبدر الدُّجاء والمُستجارلدى ^(٣) الدهر
ومن كآبى الحجاج حامي حمى الهدى	ومن كآبى الحجاج ماحى دُجاء الكفر
إمام الهدى غيث الندى دافع العدا	بعيد المدى في حومة المجد والفخر
سلالة سَعْدِ الخَزْرَج بن عبادة	وحسبك من بيت رفيع ومن قلدر
إذا ذُكر الإغضاء والحلم والتقى	وحدثت عن علياه حدث عن البحر
تخونه طرفُ الزمان وهل ترى	بقاءً لحى أو دواماً على أمر
هو الدهر ذو وجهين يومٌ وليلةٌ	ومن كان ذا وجهين يُعتب في غدر
تولى شهيداً ساجداً في صلاته	أصيل التقى رطب اللسان من الذكر
وقد عرف الشهر المبارك حق ما	أفاض من النعمى ووفى من البر

(١) هكذا وردت في الملحّة . وفي الإسكوريال (ولادته) .

(٢) هكذا وردت في الملحّة . وفي الإسكوريال (الأهل) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الملحّة (من) .

وبأكرَّ عيد الفطر والحكم ببرم
 أتيح له وهو العظيم مهابة
 شفَى أنت^(٢) من لسنه سعادة
 وكم من عظيم قد أصيب بخامل
 فهذا عليٌّ قد قضى بابن ملجم
 نَعْدُ الرِّمَاحَ المَشْرِفِيَّةَ والقَنَاصَا
 ومن كان بالدنيا الدُّنْيَا واثقا
 فيا مالِكَ المَلِكِ الَّذِي لِيَسْ يَنْقُضِي
 تَعَمَّدَ بِسِتْرِ العَفْوِ مِنْكَ ذُنُوبِنَا
 فما عندك، اللهم خيرُ ثوابه

ومما رثى به قول في غرض ناء عن الجزالة ، متحريرا اختيار ولده :

العُتْرُ يَوْمَ والمُنَى أَحلام
 وإِذَا تَحَقَّقْنَا الشَّيْءَ بَسْدَاةً
 والنفس تجمع في ميسدى آمالها
 من لم يُصَبِّ في نفسه فمصابه
 بعد الشبيبة كِبْرَةٌ ووراءها
 ولحكمة ما أشرقت شهب الدُّجَا
 دنياك يا هذا محلَّة نُقْلَةٍ
 هذا أمير المسلمين ومن به
 سر الإِمامة والخلافة يوسف

(١) واردة باللمحة . وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي اللوحة (أنته) .

(٣) واردة باللمحة . وساقطة في الإسكوريال .

وليس [سوى]^(١) كأس الشهادة من فطر
 وقدرا حقير الذات والخلق والقدر
 ومُنْكَرٌ قَوْمٌ جَاءَ بِالحَادِثِ النُّكْرِ
 وأسباب حكم الله جَلَّتْ عن الحصر
 وأوقع وحشى بحمزة ذى الفخر
 ويطلق أمر الله من حيث لا تدرى
 على حالة يوما فقد باء بالخسر
 ويامن إليه [الحكم]^(٢) في النهى والأمر
 فلسنا نرَجِي غير سترك من ستر
 وأبقى ودنيا المرء خدعة مقتر

ماذا عسى أن يستمر منام
 فله بما تقضى العقول تمام
 ركضاً وتأبى ذلك الأيام
 بحبيبه نَفَذَتْ بسذا الأحكام
 هَوْمٌ ومن بعد الحياة حِمَام
 وتعاقب الإصباح والإظلام
 ومناخ رَكْبٍ مَالِدِيهِ مَقَام
 وجد السَّمَاحِ وأعدم الإعدام
 غيْثُ المَلُوكِ وليثها الضمرغام

والعزُّ سام والخميس لهام
 وشكى العراق مصابه والشام
 بسر الدُّجنة قد جلاه تمام
 غصُّ الحديقة زهره بسام
 زهر الرياض همى عليه غمام
 طاشت لنور جماله الأفهام
 والأرض ترجف والسماء قتام
 والناس في فرش النعيم نيام
 ستر الأرامل واكتسى الأيتام
 بعد انتزاح الدار أو إلحام
 حاشاك أن تنسى لديك ذمام
 خفت بعزه نصره الأعلام
 فيك النهى والجود والإقدام
 أثنى عليك الله والإسلام
 والزاد فيه ترجسٌ وصيام
 فاليوم كيلٌ والضياء ظلام
 فيها من الأجل الحرى مدام
 عملٌ كريم سعيه وختام
 بين الصفايح والتراب تنام
 إن كان يمكنك الغداة كلام
 بيض كما تبكى الهديلَ حمام
 فالناس فيها سُجسٌ وقيام

قصدته عادية الزمان فأقصدت
 فُجعت به الدنيا وكُدِّر شر بها
 أسفاً على الخلق الجميل كأنه
 أسفاً على العمر الجديد كأنه
 أسفاً على الخلق الرضى كأنها
 أسفاً على الوجه الذى يهمنى ندى
 يا ناصر الثغر الغريب وأهله
 يا صاحب الصدمات في جنح الدجا
 يا حافظ الحرم الذى بظلاله
 مولاي هل لك للقصور زيارة
 مولاي هل لك للعبيد تذكُّر
 يا واحد الآحاد والعلم الذى
 وافاك أمر الله حين تكاملت
 ورحلتَ عنا الركب خير خليفة
 نعم الطريق سلكتَ كان رفيقه
 وكسفتَ يا شمس المحاسن ضحوقةً
 سفاك عيد الفِطر كأس شهادة
 وختمتَ عُمرَكَ بالصلاة فحبذا
 مولاي كم هذا الرقاد إلى متى
 إعد التحية واحتسبها قربة
 تبكى عليك مصانع شهدتها
 تبكى عليك مساجدُ عمرتها

تبكى عليك خلائق أمنتها
 عاملت وجه الله فيما رُمته
 لو كنت تُفدى أو تُجاز من الردى
 لو كنت تمنع بالصوارم والقنا
 لكنه أمر الإله ومالنا
 والله قيد كتب الفنا على أنورى
 ثم في جوار الله مسرورا بما
 وإعلم بأن سايل ملك قد غدا
 بهجر تكتف منه من خلفته
 كنت الحسام وصرت في غمد الثرى ولنصر ملكك سل منه حسام
 خلفت أمة أحمد لمحمد
 فهو الخليفة للورى في عهده
 أبقى رسومك كلها محفوظة
 العدل والشيم الكريمة والتقى
 حسبي بأن أخشى ضريحك لائماً
 يا مدفن التقوى ويا مثنوى الهدى
 أخفيت عن حزنى عليك وفي الحشا
 ولو اننى أدبت حقك لم يكن لى
 وإذا الفتى أدى السدى في وسعه

وكتبت في بعض المعاهد التى
 غبت فلا عين ولا مخبر
 يا يوسف أنت لنا يوسف
 كان يأنس بها رحمة الله عليه :
 ولا انتظار منك مرقوب
 وكلنا في الحزن يعقوب

يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن

عُقبه بن نافع الفهري

أولئته

كان عبد الرحمن أحد زعماء العرب بالأندلس . وكان ممن ثار منها من أصحاب بلج عصبية لقتله ، فخرج عن الأندلس إلى إفريقية . وجدّه عقبه بن نافع ، هو الذي اختط قيروانها أيام معاوية بن أبي سفيان . قال عيسى بن أحمد ، وهرب ابنه يوسف هذا من إفريقية إلى الأندلس مغاضباً له ، أيام بشر بن صفوان الكلبي ، فهوى الأندلس واستوطنها ، فساد بها ثم تآمر فيها .

حاله

كان شريفاً جليلاً ، حازماً عاقلاً . اجتمع عليه أهل الأندلس من أجل أنه قرشي ، بعد موت أميرهم ثوابة بن سلامة ، ورضى به الخيار من مضر واليمن ، فدانت له الأندلس ، تسع سنين وتسعة أشهر ، وكان آخر الأمراء بالأندلس ، وعنه انتقل سلطانها إلى بني أمية . وأشرك الصميل بن حاتم في أمره ، فتركت لذلك نسبة الأمر له ، وكانت الحرب التي لم يعرف بالشرق والمغرب ، أشدّ جلاداً ، ولا أصبر رجالاً منها ، واعتزلها يوسف تحرفاً ، وقام بأمرها الصميل ، وانهمز اليمانيون واستلحموا ملحمة عظيمة ، واستوسق الأمر ليوسف . وغزا جليقية ، فعظم في عدوها أثره . ولما تم له الأمر طرقة ما تقدم به الإلماغ ، من عبور صقر بني أمية عبد الرحمن الداخل في خبر طويل . والتقى بظاهر قرطبة سنة ثمان وثلاثين ومائة في ذي الحجة . وانهمز يوسف بن عبد الرحمن والصميل ، ولحقا

بالبيرة . وأتبعهما عبد الرحمن بن معاوية فنازله ، وقد تحصن بمعقل
إلبيرة حصن غرناطة ، وترددت بينهما الرُّسل في طلب المهادنة والبقاء
على الصلح . وتخلَّى يوسف عن الدعوة ، واستقر سكناه بقرطبة . وذلك
في صفر سنة تسع وثلاثين ومائة ، وأقبل معه في عسكره إلى قرطبة . وذُكر
أنه تمثل عند دخوله عسكر عبد الرحمن ببیت جرور بن إبنة النعمان :

فبتنا نسوس الأمر والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصّف
فتبنا لدنيا لا يدوم نعيمها تُقلّب ساعات بنا وتصرف

واستقر بقرطبة دهرأ ، ثم بدا له في الخلاف . ولحق بأحواز طليطلة ،
وأعاد عهد الفتنة ، فاغتاله مملوكان له ، وقتلاه رحمه الله ، في سنة
اثننتين وأربعين ومائة . وأخبار يوسف بن عبد الرحمن معروفة ، وهو
محبوب من الأمراء الأصلاء بغرناطة ، إذ كانت له قبل الإمارة بها
ضياع يتردد إليها .

ومن غير الأصليين

يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد

ابن أحمد بن أبي عزفة اللخمي

الرئيس أبو زكريا وأبو عمرو بن الرئيس أبي طالب بن الرئيس أبي
القاسم . كناه أبوه أبا عمرو ، وغلبت عليه الكنية المعروفة .

حاله

كان قيماً على طريقة أصحاب الحديث، رواية وضبطاً وتقبيداً
وتخريجاً ، مع براعة خط، وطرف ضبط، شاعراً مجيداً مطبوعاً . ذا فكاهة

وَحُسْنُ مَجَالِسِهِ . رَأْسُ بَسْبِئَةٍ ، بَعْدَ إِجَازَتِهِ الْبَحْرَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ وَالْإِحْتِلَالِ
بِفَاسٍ ، نَائِبًا عَنِ مَلِكِ الْمَغْرِبِ السُّلْطَانَ أَبِي سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ ، لِأَمْرٍ مَتَّ
بِهِ إِلَيْهِ قَبْلَ اسْتِقْلَالِهِ ، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ . ثُمَّ اسْتَبَدَّ بِهَا مُخَالَفًا عَلَيْهِ ،
لِأَمْرٍ يَطُولُ شَرْحُهُ ، أُجْرِيَ فِيهِ مَوْفَى الْجَانِبِ مِنَ الْهَلْعِ ، بِاسْلَافًا مَقْدَامًا .
سَكُونُ الطَّائِرِ ، مَثَقَفًا بِخِلَالِ رِيَاسَتِهِ ، ضَامًا لِأَطْرَافِهَا . وَنَازَلَهُ جَيْشُ
الْمَغْرِبِ ، وَبَيَّدَ أَمِيرُهُ وَوَلَدَهُ أَبُو الْقَاسِمِ مُرْتَهِنًا ، فَاتَّيَحُّ لَهُ ظَفَرٌ أَجْلَى لَيْلَةٍ
غَرِيبَاتِ الْمَحَلَّةِ وَالْأَثَرِ فِيهَا ، وَاسْتِخْلَاصِ وَوَلَدِهِ .

مَشِيخَتُهُ

أَخَذَ عَنِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ وَغَيْرِهِمْ ، قِرَاءَةَ وَسَمَاعًا وَإِجَازَةً . فَمِنْ
أَخَذَ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ سَبْتَةُ ، أَبُو إِسْحَاقَ الْغَافِقِيُّ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رُشِيدٍ ،
وَأَبُو الظَّفَرِ الْمُنُورِيُّ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ الْبِلْفَيْقِيُّ ، وَأَبُو عَلِيِّ الْحَسَنِ بْنِ طَاهِرِ
الْحُسَيْنِيِّ ، وَأَبُو إِسْحَاقَ التُّلْمَسَانِيُّ ، وَأَبُو مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ
الْأَنْصَارِيِّ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنِ الشَّاطِطِ . وَبِغَرْنَاطَةَ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهَا ، مُغْرِبًا
عَنْ وَطَنِهَا ، عِنْدَ تَصْيِيرِهِ إِلَى الْإِيَالَةِ النُّصْرِيَّةِ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَسَكَنَاهَا بِهَا ، عَنْ
أَبِي مُحَمَّدِ عَبْدِ الْمُنْعَمِ بْنِ سِمَاكٍ ، وَأَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزَّبِيرِ ، وَأَبِي مُحَمَّدِ بْنِ
الْمَوْذَنِ ، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ مَسْتَقْمُورٍ وَغَيْرِهِمْ . وَمِنْ أَهْلِ الْمَرْيَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ
ابْنُ الصَّايِغِ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَعِيبِ . وَمِنْ أَهْلِ مَالِقَةَ الْوَلِيِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الطَّنْجَالِيِّ ، وَأَبُو مُحَمَّدِ الْبَاهِلِيِّ ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنِ مَنْظُورٍ ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنِ
مِصَامِدٍ . وَمِنْ أَهْلِ الْخَضْرَاءِ ، أَبُو جَعْفَرِ بْنِ خَمِيْسٍ . وَمِنْ أَهْلِ بَلَّشٍ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْكَمَادِ . وَمِنْ أَهْلِ أَرْجَبَةَ أَبُو زَكْرِيَا الْبُرْشَانِيُّ . وَمِنْ أَهْلِ

(١) أَرْجَبَةُ وَبِالْإِسْبَانِيَّةِ « Orgiva » مِنْ قَرْيَةِ عَرْنَاطِهِ وَقَدْ سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهَا (الْمَجْلَدُ الْأَوَّلُ

بجاية أبو علي ناصر الدين المشدالي ، وأبو عبد الله بن غربوز . ومن أهل فاس أبو عبد الله المومنانى . ومن أهل تيزى أبو عبد الله محمد القيسى . وكتب له بالإجازة طائفة كبيرة من أهل المشرق ، منهم قطب الدين القسطلانى .

شعره

قال لى شيخنا أبو البركات ، سألته ، وأنا سعه واقفٌ بسور قصبه سبته ، أن يجيزنى ويكتب لى من شعره ، فكتب لى قطيعات منها فى تهنته السلطان أبى الجيوش يوم ولايته :

الآن عاد إلى الإمامة نورها	وارتاح منبرها وهش سريرها
وبدا لنا من بعد طول قطوبها	منها التهلل واستبان سرورها
وضعت أزمته بكف خليفة	هو أصلها الأولى بها ونصيرها
من معشر عرفت بطون أكفهم	بذل الندى واللائمين ظهورها
خرصانهم ووجوههم فى ظلمة	النقع المثار نجومها وبدورها
وسع الرعايا منه عدله	لم يزل إليه قلوبهم ويصورها
حتى اغتدت بالحب فيه صدورها	ملأى وأخلص فى الولاء ضميرها
رام العداة لمجده كيدا فلم	تنجح مساعتها وساء مصيرها
وكذاك فعل الله فى عن كاده	جهلا وغرته المنا وغرورها
مولاي إيا عصبية معروفة	بالحب فىك صغيرها وكبيرها
جينا نقضى من حقوقك واجبا	نُسى بالمدايح تارة وتبيرا
ولقد خدمتُ مقامكم من قبلها	بفرايد حسنا يعز نظيرها
فاجذب بغبى من حضيض مزارقى	عرت على يدك مسيرها
واقفكنى من أسر قرط خصاصة	عنفت فلم يقصد سواك أسيرها

لازلت للإسلام تحمي أمة
وبقيت في عز وسعد شامل
وفي الإلغاز بالأقلام والمحبرة :

وسربٌ ضمهم كسنت ستير
قد اختصروا فلم يُفرش ساد
لهم كأس إذا دارت عليهم
وأفشوا سرَّ سياقهم بلافظ
وهزت من روسهم نشاطا
فصاح إن تحللهم وإلَّا
صلاب حين تعجمهم ولكن
لهم عقل يلوح على القوافي
طويلهم يطول العُمر منه
وهم لم يُشف يسومسا
فقل لي من هم لازلت فرداً

شباب ليس يفزعهم قتيير
لمجلسهم ولم يُنصب سرير
فقد أزف الترحُّل والمسير
مُبين ليس يفهمه البصير
وعند الصُحو يغرهم فتور
فشانهم التلغُم والقصور
إذا طعنوا فدمعهم غزير
لذاك نومهم أبدا كثير
أخا نعبٍ ويخترم القصير
بغير القطع عضوهم الكبير
دياجي المشكلات به تسير

نكبته : تنظر في العبادلة في امم أبيه (١) .

مولده : سنة سبع وسبعين وستماية .

وفاته : عام تسعة عشر وسبعماية ، في شعبان رحمه الله .

يحيى بن علي بن غانية الصعراوى ، الأمير أبوزكريا

حاله

(١) سبق لابن الخطيب أن ترجم لأبيه ، عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العزقي أمير سبقة
اللى هزل عن رياسته عنوة ، وأبعد هو وولده وأهله إلى الأندلس ، فاستقر بقرنطة ، وتوفى بها
في سنة ٧١٣ هـ (راجع المجلد الثالث من الإحاطة ص ٢٨٣ - ٢٨٥) .

كان بطلا شهما حازما ، كثير الدهاء والإقدام ، والمعرفة بالحروب ، مُجَمَّعاً على تقدمه . نشأ في صحبة الأمير بقرطبة محمد بن الحاج اللمتوني وولاه مدينة إستجة ، فهي أول ولايته . وليها يحيى ، وتزوج محمد بن الحاج أمه غانية بعد أبيه وكفله ، وأقام معه بقرطبة ، إلى أن كان من محمد بن الحاج ما كان من مداخلة أشياخ مسوفة على خلع محمد بن يوسف ابن تاشفين [عن الأمر]^(١) ، وصرف البيعة إلى يحيى الحفيد ، الوالى في ذلك العهد بمدينة فاس ، ولم يتم له الأمر ، فأجلى عن نكبته . وانفصل يحيى بن غانية عن جماعته ، وأقام متصرفاً في الحروب ، معروف الحق والغناء ، إلى أن اشتهرت بسالته وديانته ، ورغب يدبير بن ورقا صاحب بلنسية من السلطان في توجيهه إليه ، ليستين به على مدافعة العدو ، فأجيب إلى ذلك . فوصل يحيى بلنسية ، وأقام بها ذاباً عن المسلمين ، إلى أن توفى يدبير بن ورقا ، فولاه على بن يوسف إياها وشرق الأندلس ، ظهر غناؤه وجهاده ، وهزم الله بها ابن رذمير^(٢) الطاغية منازل إفراغة على يده ، فطار ذكره ، وعظم صيته ، واشتهر سعده ، وأسل عن البيضة دفاعه .

أخبار عزمه

حكى عنه أنه تزوج في فتوته امرأة من قومه شريفة جميلة ، وقرّبها عينا ، ثم تركها وطلّقها ، فسئل عن ذلك ، فقال والله ما فارقتها عن

(١) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٢) ابن رذمير هو الإسم الذى تطلقه الرواية العربية على ألفونسو المحارب ملك أراجون . وهو الذى استولى على عدة مدن من الثغر الأعل . وحاول بعد ذلك الإستيلاء على مدينة إفراغة ، وهى من أمتع معاتل الثغر . ولكنه منى تحت أسوارها بهزيمة فادحة (رمضان سنة ٥٢٨ - يولييه سنة ١١٣٤م) ومزق جيشه شر مرق ، وتوفى لأهام قلال من بعد هزيمته غماً وألماً .

خِلَّةٌ تُدَمِّمُ ، ولكن خِضَتْ أَنْ اشْتَغَلَ بِهَا عَنِ الْجِهَادِ . ولم يزل يدافع
النصارى عن المسلمين بالأندلس ، فهزم ابن رذمير ، وأقْلَعَ محلاتهم عن
مدينة^(١) الأشبونة ، واستمسك به حال الأندلس . ووُلِّيَ قرطبة وما إليها
من قبل تاشفين بن علي بن يوسف ، عام ثمانية وثلاثين وخمسمائة ،
فاستقامت الأمور بحسن سيرته ، وظهور سعده ، إلى صفر من عام تسعة
وثلاثين . وكانت ثورة ابن قسي^(٢) ، باكورة الفتنة . ولما خرج إلى
كَبَلَةَ ، ثار ابن حَمْدِينَ بقرطبة دار مُلْكِهِ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْعَامِ ، واستباح
قَصْرَهُ ، وانطلقت الأيدي على قومه ، وتم له الأمر . وبلغ يحيى الخبر ،
فرجع أدراجه إلى إشبيلية ، فثار به أهلها ، وناصبوه^(٣) الحرب وأصابوه
بجراحة ، فلجأ إلى حصن مرجانة ، فأقام به يصابر الهول ، ويرقُّع القُنن .
ثم تحرك إليه جيش ابن حمدين ، وكانت بينهما وقية انهزم فيها ابن
حمدين ، واستولى ابن غانية على قرطبة ، في شعبان من عام أربعين ، وتحصن
ابن حمدين باندوجر^(٤) ممتنعاً بها . ونهض يحيى إلى منازلته . فاستعان
ابن حمدين بملك قشتالة ، وأطعمه في قرطبة ، فتحرك إلى نُصْرَتِهِ . ولما
وصل أندوجر ، أعَدَّ يحيى في الدفاع والمصابرة ، ثم انصرف بالجيش
إلى قرطبة ، وأخذ العدو في آثارهم ، صحبة مستغيثه ابن حمدين .
فنازل قرطبة ، وامتنع ابن غانية بالقصر وما يليه من المدينة . وأدخل ابن
حمدين النصارى قرطبة في عاشر ذي الحجة من عام أربعين ، فاستباحوا

(١) هكلا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بلاد) .

(٢) وردت في الزيتونة (ابن قيس) وهو تحريف .

(٣) هكلا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ناشبوه) .

(٤) أندوجر وبالإسبانية « Andujar » بلدة أندلسية - مينة تقع على ضفة نهر الروادي

الكبير شرق مدينة قرطبة ، وشمال غربي جيان .

المسجد ، وأخذوا ما كان به من النواقيس ^(١) ، ومزقوا مصاحفه ، ومنها زعموا مصحف عثمان ، وأنزلوا المنار من الصومعة ، وكان كله فِضَّة ، وحُرِّقت الأسواق ، وأفسدت المدينة ، وظهر من صبر ابن غانية ، وشدة بأسه ، وصدق دفاعه ، ما أُنْأَس منه . وكان من قَدَر الله ، أَنْ بَلَغ طاغية الروم يوم دخولهم قرطبة ، اجتياز الموحِّدين إلى الأندلس ، فأجال طاغيتهم قبح الرأى ، فاقتضى أَنْ يهادن ابن غانية : وينرجه بقرطبة في نحر عدوِّه من الموحِّدين ، سَدًّا بينهم وبين بلاده . فعقدت الشروط ، ونزل إليه ابن غانية فعاقده ، واستحضر له أهل قرطبة ، وقال لهم ، أنا قد فعلت معكم من الخير ، ما لم يفعلهُ مَنْ قبلي ، غلبتكم في بلدكم وتركتكم رعية لي ، وقد وليت عليكم يحيى بن غانية ، فاسمعوا له وأطيعوا . قال المؤرخ ، وفخر الطاغية في ذلك اليوم بقومه ^(٢) ، وقال ، ولا يُرِيبنكم أَنْ تكونوا تحت يدي ونظري ، فعندى كتابُ نبيكم إلى جدِّي . حدث ابن أم العمامد أبو الحسن ، قال ، حضرتُ ، وأحضر حقُّ من ذهب ، فُتِح وأُخرج منه كتابٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى قيصر ملك الروم ، وهو جدُّه بزعمه . والكتاب بخط علي بن أبي طالب . قال أبو الحسن ، قرأته من أوله إلى آخره ، كما جاء في حديث البخارى . وانصرف إلى بلاده ، وانصرف ابن حمدين ، فكان هلاكه بمالقة ، بعد اضطراب كثير . واستقر ابن غانية بقرطبة الغادر به أهلها ، فشرع في بنيان القصبَة وسدِّ عورتها ، وسام أهلها الخسف وسوء العذاب ، ووالى إغرامهم . واستعجل أمرهم ، واتصل سلَّمه مع العدو إلى تمام أحد وأربعين وخمسمائة ، وقد تملك الموحِّدون إشبيلية وما إليها . وضيَّق عليه النصرارى في طلب

(١) يقصد بها هنا مصابيح المسجد المغطاة بأغطية نحاسية تشبه النواقيس .

(٢) وردت في الإسكوريال (بقديمه) . والتصويب من الزيتونة .

الإتاوة^(١)، واشتطوا عليه في طلب ما بيده، ونزل طاغينهم أندوجرويه رجل يعرف بالعربي، واستدعى ابن غانية. فلما تحصل بمحاته. طلبه بالتخلي عن بياسة وأبده، فكان ذلك. وتشاغل الموحدون بأمر ناثر نازعهم بالمغرب. فكلب العدو على^(٢) الأندلس، فنازل الأشبونة وشنترين، وألمرية وطرطوشة ولاردة وإفراغة، وطمع في استيصال بلاد الإسلام، فداخل ابن غانية سرا من بإشبيلية من الموحدين، ووصله كتاب خليفتهم بما أحب، وتحرك الطاغية في جيوش لا ترام. وطالب ابن غانية بالخروج عن جيان وتسليمها إليه، وكاده، حسبما تقدم في اسم عبد الملك بن سعيد. ونهض بعد هذه الكاينة^(٣) إلى غرناطة، وهي آخر ما تبقى للمرابطين من القواعد ليجمع بها أعيان لمتونة ومسوفة، في شأن صرف الأمر إلى الموحدين.

وفاته

ولما وصل الأمير يحيى بن غانية إلى غرناطة أقام بها شهرين، وتوفي عصر يوم الجمعة الرابع عشر من شعبان عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة، ودفن بداخل القصبية في المسجد الصغير، المتصل بقصر باديس بن حيوس مجاورا له في مدفنه، وعليه في لوح من الرخام تاريخ وفاته. والناس يقصدوه للتبرك به.

يوسف بن تاشغين بن إبراهيم بن توقورت بن وريابطن بن منصور

ابن مصالة بن أمية بن واياى الصنهاجى ثم اللتوني

(١) وردت في الإسكوريال (الإثارة) والتصويب أرجح.

(٢) وردت في الإسكوريال عن، فالتصويب.

(٣) وردت في الإسكوريال (الكاهنة) والتصويب من الزيتونة.

يكنى أبا يعقوب ويلقب بأمر المسلمين .

أوليته

ذكروا أن يحيى بن إبراهيم بن توقورت حجّ، وهو كبير قبيل الصحراويين في عشر الأربعين وأربعماية ، واجتاز على القيروان ، وهي موفورة بالعلماء ، وتعرف بالفقيه أبي عمران الفاسي ، ورغب إليه أن ينظر له في طلب من يستصحبه ، ليعلم قومه ويفقههم^(١) ، فخاطب له فقيهاً من فقهاء المغرب الأقصى اسمه واجاج ، واختار له واجاج ، عبد الله بن ياسين القايم بدولتهم ، البادي نَظْمَ نَشْرَهُمْ ، وتألّف كلمتهم ، فاجتمع عليه سبعون شيخاً من نبهائهم ليعلمهم ، فانقادوا له انقياداً كبيراً ، وتناسل الناس ، فضخم العدد ، وغزا معهم قبائل الصحراء . ثم التأثت حاله معهم ، فصرفوه ، وانتهبوا كتبه ، فلجأ إلى أمير لتونة يحيى بن عمر بن تلايكان اللمتوني ، قبله ، وأعاد حاله ، وثابت طاعته ، فأمضى القتل على من اختلف عليه . وكان يحيى بن عمر يمثل أمر عبد الله امثالاً عظيماً . ثم خرج بهم إلى سجلماسة ، فتملكوها ، وتملكوا الجبل . ثم ظهوروا على المغرب ، ثم قُتل الأمير يحيى بن عمر ، فقدم عبد الله أخاه أبا بكر بن عمر بدرعة ، ونهد به ، فتملك جبال المصامدة ، واحتل بأغمات وريكة واستوطنها . ولعبد الله أخبار غريبة ، وشذوذ في الأحكام الله أعلم بصحتها . وقتل عبد الله ابن ياسين برغواطة . ولم يزل الأمير أبو بكر بن عمر حتى أخذ ثاره ، وأثخن القتل فيهم ، وقدم ابن عمه يوسف بن تاشفين بن إبراهيم ، على عسكر كبير ، فيهم أشياخ لتونة ، وقبائل البرابرة والمصامدة ، واجتاز على بلاد المغرب ، فدانت له . وطرق الأمير أبا بكر خبراً من قومه من

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (ويلهمهم)

الصحراء انزعج له ، فولى يوسف بن تاشفين على مملكة المغرب ، وترك معه الثلث من لتونة ، إخوانه ، وأوصاه ، وطلق زوجته زينب ، وأمره بتزوجها ، لما بلاه من يُمنها . فبنى يوسف مدينة مراکش وحصنها^(١) ، ونحّب إلى الناس ، واستكثر من الجنود والقوة ، وجبى الأموال ، واستبد بالأمم . ورجع الأمير أبو بكر من الصحراء سنة خمس وستين وأربعمائة ، فألقى يوسف مستبداً بأمره ، فسأله ، وانخلع له عن الملك ، ورجع إلى صحرايه ، فكان بها تصبله هدايا يوسف إلى أن قتله السودان . واستولى يوسف على المغرب كله ، ثم أجاز البحر إلى الأندلس ، فهزم الطاغية الهزيمة الكبرى بالزلاقة ، وخلع أمراء الطوائف ، وتملك البلاد إلى حين وفاته .

حاله

قال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصيرفي ، كان رحمه الله خائفاً لربه كتوماً لسره ، كثير الدعاء والاستخارة ، مقبلاً على الصلاة ، مديماً للاستغفار ، أكثر عقابه لمن تجراً أو تعرض لانتقامه ، الاعتقال الطويل ، والقيد الثقيل ، والضرب المبرح ، إلا من انتزى أو شق العصا ، فالسيف أحسم لانتشار الداء . يواصل الفقهاء ، ويعظم العلماء ، ويصرف الأمور إليهم ، ويأخذ فيها بآرائهم ، ويقضي على نفسه وغيره يفتياهم ، ويحض على العدل ، ويضدع بالحق ، ويعضد الشرع ، ويحزم في المال ، ويولع بالاقتصاد في الملابس والمطعم والمسكن ، إلى أن لقي الله ، معجداً في الأمور ، مُلقناً للصواب ، مستحجاً^(٢) حال الجدد ، مؤدياً إلى الرعايا

(١) وردت في الإسكوريال (تحضها) وهو تعريف .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال (مستحج) . والأولى أرجح .

حقها ، من الذُّب عنها ، والغِلظة على عدوها ، وإفاضة الأمن والعدل فيها . يرى صور الأشياء على حقيقتها . تسمى بأمير المسلمين لما احتل الأندلس وأوقع بالروم ، وكان قبل يدعى الأمير يوسف ، وقامت الخطبة فيها جميعا باسمه ، وبالعدوة ، بعد الخليفة العباسي . وكان درهمه فضة ، ودُنيره تَبْرُ محض ، في إحدى صفحاته الدُّنير « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » وتحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وفي الداير ، ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . وفي الصفحة الأخرى ، الإمام عبد الله أمير المسلمين ، وفي الداير تاريخ ضربه وموضع سِكَته ، وفي جهتي الدرهم ما حمله من ذلك .

بعض أخباره

في سنة سبعين وأربعمائة وردت عليه كتب الأندلس ، يبثون حالهم ، ويحرِّكونه إلى نصرهم . وفي سنة اثنتين بعدها ، ورد عليه عبد الرحمن ابن أسباط ، من ألمرية ، يشرح جال الأندلس . وفي سنة خمس وسبعين بعدها ، وجَّه إلى شراء العدَد فيها ، واستكثر منها . وفي سنة ستَّ بعدها فتح مدينة سَبْتة ، ودخلها عنوة على الثَّائر بها سَقوت البرغواطي . وفي سنة ثمان اتصل به تملك طاغية قشتالة مدينة طليطلة ، وجاز إليه المعتمد بن عباد بنفسه ، وفاوضه واستدعاد لنصرة المسلمين ، وخرج إليه عن الجزيرة الخضراء . وعلم بذلك الأدفنش ، فاخترق [بلاد المسلمين] ^(١) معرضاً عن رؤساء ^(٢) الطوائف ، لا يرضى أخذ الجزية منهم ، حتى انتهى إلى الخضراء ، ومثل على شاطئ البحر ، وأمر أن يكتب إلى الأمير

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الأندلس) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ملوك) .

يوسف بن تاشفين ، والموج يضرب أرساغ فرسه ، بما نسخته :

« من أمير الملتين أذفونش بن فردلند إلى الامير يوسف بن تاشفين .
 أما بعد فلا خفاء على ذى عينين أنك أمير الملة المسلمة ، كما أنا أمير
 الملة النصرانية . ولم يخف عليكم ما عليه رؤساؤكم بالأندلس من
 التخاذل ، والتواكل ، وإهمال الرعية ، والإخلاق إلى الراحة ، وأنا
 أسومهم سوء الخسف ، وأضرب الديار ، وأهتك الأستار ، وأقتل الشبان ،
 وأسبى الولدان ، ولا عذر لك في التخلّف عن نصرتهم ، إن أمكنتك
 قدرة . هذا وأنتم تعتقدون ، أن الله تبارك وتعالى ، فرض على كل منكم ،
 قتال عشرة منا ، ثم خفف عنكم فجعل على كل واحد منكم ، قتال اثنين
 منا ، فإن قتلاكم في الجنة ، وقتلانا في النار ، ونحن نعتقد أن الله أظهرنا
 بكم ، وأعاننا عليكم ، إذ لا تقدرّون دفاعا ، ولا تستطيعون امتناعا .
 وبلغنا عنك أنك في الاحتفال على نية الإقبال ، فلا أدري أن كان الحين
 يبطل بك أمام التكذيب لما أنزل عليك . فإن كنت لا تستطيع الجواز
 فابعث إلى ما عندك من المراكب لأجوز إليك ، وأناجزك في أحب البقاع ،
 فإن غلبتني ، فتلك غنيمة جاءت إليك ، ونعمة مثلت بين يديك . وإن
 غلبتك ، كانت لى اليد العليا ، واستكملت الإمارة . والله يتم الإرادة . »
 فأمر يوسف بن تاشفين أن يكتب في ظهر كتابه « جوابك يا أذفونش

ما تراه ، لا ما تسمعه إن شاء الله » وأردف الكتاب ببيت أبي الطيب :

ولا كتب إلا المشرفية والقنا ولا رسل إلا الخميس الحرمم

وعبر البحر ، وقد استجاش أهل الأندلس . وكان اللقاء يوم الجمعة
 منتصف رجب من عام تسعة وسبعين وأربعمائة . ووقعت حرب مرة ،
 اختلط فيها الفريقان ، بحيث افتحم الطاغية محلة المسلمين ، وصدّم

يسارة جيوش الأندلس ، واقتحم المرابطون محلته للحين . ثم برز الجميع إلى مأزق ، تعارفت فيه الوجوه ، فأبْلُوا بلاءً عظيماً ، وأجَلَّتْ عن هزيمة العدو ، واستيصال شأفته . وأفلت أذفونش في قَلِّ قليل ، قد أصابته جراحة ، وأعزَّ اللهُ المسلمين ونصرهم نصراً لا كفاءة له ، وأكثر شعراء المنجتمد القول في ذلك ، فمن ذلك قول عبد المجيد^(١) بن عبدون من قصيدة :

فأين العجب يا أذفونش هلاً	تجنبت المشيخة يا غلام
شملك ^(٢) النساء ولا رجال	فحدث ما وراءك يا عصام
أقمت لدى الوغى سوقاً فخذها	مناجزة وهون لا تنام
فإن شيت اللجين فشم سام	وإن شيت النضار فشم حام
رأيت الضرب تطيباً فصلب	فأنت على صليبك لا تلام
أقام رجالك الأشقون كلاً	وهل جسد بلا رأس ينام
رفعنا هامهم في كل جذع	كما ارتفعت على الأيك الحمام
سينبئ بعدها الظلماء لما	أتيح له بجانبها اكتتام
ولا ينفك كالخفاش يُغضى	إذا ما لم يباشره الظلام
نضاً إذ راعه واجتاب ليلاً	يود لو أن طول الليل عام
سببقى حجرة ويبيد إن لم	أبادتنا القناة أو الحسام

وعاد إلى العُدوة . ثم أجاز البحر ثانية إلى منازل حصن لبيط^(٣) ،

(١) وردت في المخطوطين (عهد الجليل) . والصواب ما أثبتناه .

(٢) وردت في الإسكوريال (سيمك) . والتصويب من الزيتونة .

(٣) وردت في المخطوطين (أيط) وهو تحريف . وحصن أليدو « Aledo » ، أو حصن لبيط كما تسميه الرواية العربية هو حصن منيع بناه ألفونسو السادس ملك قشتالة على أثر إستيلائه على طليطلة (سنة ١٠٨٥ م) في بقعة تقع بين مرسية ولورقة ، وشحه بالسلاح والمقاتلة ، واخذ قاعدته للإفارة على الأراضي الإسلامية في تلك الأنحاء .

وفسد ما بينه وبين أمراء الأندلس ، وعاد إلى العدو ، ثم أجاز البحر عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة ، عاملا على خلعهم ، فتملك مدينة غرناطة في منتصف رجب من العام المذكور ، ودخل القصر بالقصبة العليا منها ، واستحسنه ، وأمر بحفظه ، ومواصلة مرثته . وطاف بكل مكان منه ثم تملك ألمرية وقرطبة وإشبيلية وغيرها ، في أخبار يطول اقتضاؤها ، والبقاء لله .

وفاته

توفي رحمه الله بمدينة مراکش يوم الإثنين مستهل محرم سنة خمسمائة .
ومن رثاه أبو بكر بن سوار من قصيدة أنشدها على قبره :

ملك الملوك وما تركتَ لعامل	عملا من التقوى يُشارك فيه
يا يوسف ما أنت إلا يوسف	والكل يعقوب بما يطويه
إسمع أمير المؤمنين وناصر السدين	الذي بنفوسنا نُفسيه
جوزيت خيرا عن رعيتك التي	لم ترض فيها غير ما يُرضيه
أما مساعيك الكرام فلانها	خرجت عن التكيف والتشبيه
في كل عام غزوة مبرورة	تُردى عديد الروم أو تُفنيه
تصل الجهاد إلى الجهاد موقفا	حتم القضاء بكل ما تقضيه
ويجىء ما دبّرتَه كمجيئه	فكان كل مُغيّب تدرّيه
متواضعا لله مظهر دينه	في كل ما تديه أو تخفيه
ولقد ملكت بحقك الدنيا وكم	ملك الملوك الأمر بالتمويه
لو رامت الأيام أن تحصى الذي	فعلت سيوفك لم تكد تحصيه
إننا لمفجوعون منك بواحد	جُمعت خصال الخير أجمع فيه
وإذا سمعت حمامة في أيكة	تبكي الهديل فإنها ترثيه

وميضٌ قد استرعى رعيّة أمة فأقام فيهم حقّ مُستترعيه
 وإذا هزَّبِر الغاب صرَى شبله في الغاب كان الشبل شِبُه أبيه
 وإذا على كان وارث ملكه فالسهم يُلقى في يدَى باريه

يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن نهر

ولى عهد أبيه أمير المسلمين الغالب بالله^(١) .

حاله

كان أميراً جليلاً حصيفاً فاضلاً ، ظاهر النبل ، محباً في العلم
 من فنونه . [مال] إلى التعاليم والنجوم ، أفرط في الاستعراق في ذلك ،
 ونعى إلى أبيه ، فأنكره ، وقصد يوماً منزله لأجل ذلك ، ودخل المجلس ،
 وبه مجلّدات كثيرة ، وقال ما هذه يا يوسف ، فقال سَتراً لغرضه المتوقّع
 فيه نكير أبيه ، يا مولاي هي كتب أدب . فقال السلطان ، وقد قنع
 منه بذلك ، يا ولدي ما أخذناها يعنى السلطنة ، إلا بقلّة الأدب ، تورية
 حسنة ، إشارة إلى الثورة على ملوك كانوا تحت إياتهم ، فغرب في حسن
 النادرة ، وكان قد ولّاه عهده بعد أخيه ، لو أمهلت المنية .
 وفاته : توفى يوم الجمعة ثالث عشر صفر عام ستين وستماية .

يوسف بن عبد المؤمن بن علي

الخليفة أبو يعقوب الوالي بعد أبيه .

(١) يقصد به هنا الأمير محمد بن يوسف بن نصر ، وهو محمد بن الأحمر الكبير مؤسس
 مملكة غرناطة ، الملقب بالغالب بالله .

حاله

كان فاضلاً كاملاً عدلاً ورعاً جزلاً ، حافظاً للقرآن بشرحه ، عالماً بحديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خطبته وصحيحه ، آية الموحدين في الإعطاء والمواساة ، راغباً في العمارة ، مثابراً على الجهاد ، مشيعاً للعدل . أصلح العدو وأمنها ، وأنس شاردتها ، وحصن جزيرة الأندلس ببعوثه لها ، فقمعوا عاصيها ، واقترعوا بالفتح أقاليمها ، وأحسن لأجنادها ، وأمدتهم من الخيل بالمُبين من أعدادها ، رحمه الله .

ولده : ثمانية عشر أكبرهم يعقوب ول عهده ، نَجْمُ بنى عبد المؤمن وجوهرتهم .

حاجبه : أبو حفص شقيقه .

وزراؤه : إدريس بن جامع ، ثم أبو بكر بن يوسف الكوى .

قُضاته : حجاج بن يوسف بن عمران ، وابن مضاء .

كتابه : أبو الحسن بن عيَّاش القرطى ، وأبو العباس بن طاهر بن محشرة .

بعض أخباره

في أيامه ، استوصلت دولة ابن مرْدَنِيش ، بعد حروب مُبيرة ، ودُوخ إفريقيا ، وردَّ أهل باجّة إلى وطنهم ، بعد تملك العدو إياه ، وجبرهم جدّاً واستنقاذاً ، وفتح حصن بلج .

وفاته

في الثامن والعشرين لربيع الآخر سنة ثمانين وخمسمائة ، بظاهر شنترين من سهم أصابه في خيائه ، وهو محاصر لها ، فقتل عليه ، وكُتِم موته ، حتى اشتهر بعد رحيله . ذكر ذلك أبو الحسن بن أبي محمد الشريشى ،

فكانت خلافته اثنين وعشرين عاما ، وعشرة أشهر ، وعشرة أيام ، وعمره سبع وأربعون سنة .

مولده : في مستهل سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، ودخل غرناطة لأول مرة ، ووجب ذكره فيمن حلَّ بها .

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن عيو

أمير المسلمين بالمغرب ، يكنى أبا يعقوب .

أوليته : معروفة مذوقع الإلماع بذلك في اسم أمير المسلمين أبيه .

حاله

كان ملكا على الهمة ، بعيد الصيت ، مرهوب الشبا ، رابط الجأش ، صعب الشكيمة ، على عهده اعتلى الملك ، وناشب القبيل ، واستوسق الأمر . جاز إلى الأندلس مع والده ، ودوخ بين يديه بلاد الروم . ووقف بظاهر قرطبة وإشبيلية ، وحضر الوقعة بذنونه^(١) ، وجرت بينه وبين سلطان الأندلس ، على عهده ، منافرات ، أجلت أخيرا عن لحاق السلطان به مُستعتبا . واستقر آخرها محاصرا لتلمسان ، غازيا لبني زيان الأمراء بها ، وابتنى مدينة سماها تلمسان الجديدة ، وأقام محاصرا لها ، مضيقا على أهلها

(١) كان السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق الملقب بالمنصور ملك المغرب (ووالد المترجم له) قد عبر إلى الأندلس مليئا صريخ سلطانها محمد بن محمد بن الأحمر إلى الفوث والإنجاد ، وذلك في سنة ٦٧٣ هـ . وسار أبو يوسف في قواته شمالا حتى وصل إلى أحواز قرطبة . وهناك تقدم القشاليون إلى لقائه في جيش ضخم على رأسه الدون نونيودي لارا الذي تسميه الرواية الإسلامية (ذنونه أو ذنونه) فنشبت بين الفريقين على مقربة من إستجة معركة هائلة هزم فيها النصارى هزيمة فادحة ، وقتل قائدهم دون نونيودي لارا وعدة كبيرة من عظمائهم في شهر ربيع الأول سنة ٦٧٤ هـ (سبتمبر سنة ١٢٧٥ م) . وكانت من أعظم الوقائع الحاسمة بين المسلمين والنصارى في الأندلس منذ موقعة العقاب الشهيرة في سنة ١٢١٢ م .

نحواً من ثمانية أعوام ، وعظّمته الملوك شرقاً وغرباً ، ووردت عليه الرُّسل
والهدايا من كل جهة ، وهابه الأقارب والأباعد .

وفاته

ولما أراد الله إنفاذ حكمه فيه ، قيّض له عبداً خِصياً حَبَشياً ، أسِفَه
بقتل أخٍ له أو نسيب ، في باب خيانة عشر له عليها ، فاقتحم عليه دار
الملك على حين غفلة ، فدجّاه بسكين أعدّه لذلك ، وضجّ القصر ،
وخرج وبالسلطان رمق ، ثم توفى من الغد ، أو قريباً منه ، في أوائل ذى
قعدة من عام ستة وسبعماية ، فكانت دولته إحدى وعشرين سنة وأشهرًا ،
وانتقل إلى مدفن سلفه بسلا ، وقبره بها . وركب قاتله فرساً أزعجها
ركضا ، يروم النجاة واللحاق بالبلد المحصور ، وسبقه الصياح ، فسُدَّ
بعض الأبواب التي أمل النجاة منها ، وقُتل وألحق به كثير من جنسه .
وجرى ذكره في الرّجز المتضمن دول الملوك^(١) من تأليفنا بما نصه :

حتى إذا الله إليه قيّضه	قام ابنه يوسف فيها عوضه
وهو المهام الملك الكبير	فابتهج المنبر والسّرير
وضخّم الملك وذاع الصّيت	بملكه وانتظم الشّتيت
وساعد السعد وأغضى الدهر	وخلّص السرّ له والجهر
وأمل الجود وخيف البأس	واستشعر الخشيّة منه الناس
ثم تقضى معظم الزمان	مواصلاً حَضْرَ بنى زيّان
حتى أهلّ تلمسان الفرج	ونشقوا من جانب اللطف الفرج
لما توفى درج السعد درج	فانفرج ضيق الحصر عنها وانفرج

(١) يتصّدق الخليل بذلك كتابه (رقم الخليل في نظم الدول) .

ونزل بظاهر غرناطة وبيع بعض مروجها بقربة أشقظمر ، في بعض غزوات أبيه إلى قرطبة ، وتقدم السلطان إليهم من البر والقرى ، ما كثر الإخبار به والتعجب منه ، ووجه إليهم ولده وولى عهده .

يعقوب بن عبد الحق بن يحيو بن بكر بن حمارة بن محمد بن
رزين بن فقوس بن كرناطة بن مريـن

من قبيلة زناتة ، أمير المسلمين المكنى بأبي يوسف الملقب بالمنصور
رحمه الله .

أولـيته

ظهر بالمغرب أبوه الأمير عبد الحق ، وقد اضطربت دولة الموحدين ،
والتأث أمرهم ، ومرجت عرب رياح ، لعجز الدولة عن كف عدوانهم ،
فخرج الأمير عبد الحق في بحبوحة قومه من الصحراء ، ودعا إلى نفسه ،
واستخلص الملك بسيفه ، عام عشرة وستماية ، وكان على ما يكون عليه
مثله ، ممن جعله الله جُرثومة مُلك وخدم دولة ، من الصدق والدهاء
والشجاعة . ورأى في نومه كأنَّ شِعلاً أربع من نار ، خرجن منه ، فَعَلَوْنَ
في جو المغرب ، ثم اختوين على [جميع] أقطاره ، فكان تأويلها تملك بنيه
الأربعة بعده ، والله يُؤتي مُلكه من يشاء . وكان له من الولد إدريس ،
وعثمان ، وعبد الله ، ومحمد ، وأبو يحيى ، وأبو يوسف ، ويعقوب .
هذا ولما هلك هو وابنه إدريس في وقية رياح ، ولي أمره عثمان ولده ،
ثم ولي بعده أخوه محمد ، ثم ولي بعده أبو يحيى أخوهما . وفي أيامه
اتسق الملك ، وضحُم الأمر ، وافتتحت البلاد . ولما هلك حتف أنفه

بفاس في رجب من عام سنة وخمسين وستمائة ، قام بالملك أخوه يعقوب المترجم به ، وأرث الملك بنيه .

حاله

كان ديناً فاضلاً حياً ، جواداً سمحاً ، شجاعاً ، محباً في الصالحين ، منقاداً إلى الخير ، حريصاً على الجهاد . أجاز ولده في أوائل عام اثنين وسبعين وستمائة إلى الأندلس ، ثم عر بنفسه في سِرار صفر من العام بعده ، فاحتل بظاهر إشبيلية ، وكسّر جيش الروم ، المنعقد على زعيمهم انسمى دُنُونَه ، بظاهر إستجة في ربيع الآخر من العام . ثم عبر ثانياً ، مغتتماً ما نشأ بين الروم من الفرقة ، فغزا مدينة قرطبة ، وصار أمر العدو في أطواق الفرنتيرة ، بحيث لا يوجد في بطن القتل منها إلا العشب أزلاً ومسغبة ، لا انتشار الغارات ، وانتساف الأوقات ، وحديث الفتنة . وسببها ما كان من تصير مالقة إليه ، من أيدي المنتزين عليها من بني إشقيلولة ، ثم عودتها إلى سلطان الأندلس ، من أيدي رجاله ، شيوخ بني مُحَلَّى ، ثم تدارك الله المسلمين بصلاح ذات البين ، واحتل بظاهر غرناطة ، في بعض هذه الغزوات ، فنزل بقربة إسقطمر من مرجها ، واحتفل السلطان رحمه الله في برّه ، وأجزل نَزله ، وتوجيه ولده إليه . وذكر سيرته شاعرهم أبو فارس عزوز في أرجوزته ، فقال :

سيرة يعقوب بن عبد الحق	قد حاز فيها قَصَبات السِّبِق
بُغْيَتان ، يقرأ الكتاب	وتذكُر العلوم والآداب
يقوم للكتاب نُثَّتَ الليل	وماله عن وزده من سبيل
حتى إذا الصباح لاح وارتفع	قام وصلَّى للآله وركع
وضج بالتسبيح والتقدیس	حتى يتم الحزبُ في التغليس

يقرأ أولاً كتاب السير
 ثم فتوح الشام باجتهاد
 سؤاله تعجز عنه الطلبة
 يعقد الكتب إلى وقت الضحى
 ويأمر الكتاب بالأوامر
 ويدخل الأشياخ من مرين
 مجلسه ليس به فجور
 كأنهم مثل النجوم الزهر
 قد أسبر الوقار والسكينة
 حتى إذا ما جاز وقت الظهر
 يبنى إلى وقت صلاة الغضر
 وينصف المظلوم ممن ظلمه
 ثم يؤم بيته الكريما
 ثم ينام تارة ، وتارة
 ما إن ينام الليل إلا ساهرا
 فهل سمعتم مثل هذه السيرة
 لملك كان من المملوك
 كذلك كان فعله قديما
 ومن الرجز المسمى بقطع السلوك^(١) من تأليفنا، في ذكره ، قولى :
 تبيوا هذا الأمر عبد الحق
 أكرم من نال العلى بحق

(١) يشير ابن الخطيب أيضاً إلى كتابه (رقم الحلى فى علم الدور) .

واستخلص الملك بحد المرهف
 وكان سلطانا عظيم الجود
 فأعلى الأيام نور سَعده
 عثمان ثم بعده محمد
 تمهد الملك له لما هلك
 وفتحت فأس على يديه
 وكان ذا فضل وهدى وورع
 ثم أتت وفاته المشهورة
 وهو أبو يوسف غلاب العدا
 ممهد الملك ومورى الزند
 مدت إلى نصرته الأكف
 فافتحم البحر سريعا وعبر
 ووقعت في عهده أمور
 وآلت الحال إلى التيام
 حتى إذا الله إليه قبضه
 لسن مجد عظيم الشرف
 وصنقت رؤياه في الوجود
 وبالها أبناؤه من بعده
 ثم أبو يحيى الممام الأسعد
 وسلك السعد به حيث سلك
 والملك العلي حله لديه
 قد رسم الملك فيهم واخترع
 فولى المنصور تلك الصورة
 وواحد الأملاك بأسا وندا
 وباسط العدل ومولى الرفد
 والروم في العُدوان لا تكف
 ودافع الأعداء فيها وصبر
 وفتنة ضاقت لها الصدور
 فما أضيبت حرمة الإسلام
 قام ابنه يوسف فيها عَوْضه

وفاته

توفي في شهر المحرم عام خمسة وثمانين وستماية ، بالجزيرة الخضراء
 ودُفن بها . ثم احتُمل بَعْدُ إلى سَلا ، فدفن بالجبانة المعروفة هنالك لمملوك
 من بني مرين . ومحلُّ هذا السلطان في الملوك المجاهدين المرابطين معروف ،
 تغمله الله برحمته .

الأعيان والوزراء والأمثال والكبراء

يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى بن شريفين

أقرب القبائل المرينية إلى قبيل سلطانهم من بني حَمَامَة . خدم جده بتونس ، ثم بالأندلس ، يكنى أبا زكريا ، شيخ القبيل الزناتي ، ومحراب رأيهم ، وقُطِبَ رَحَى حِمَاتِهِمْ .

حاله

كان هذا الشيخ وحيداً دهره ، وفريدَ وقته ، وشامةَ أهل جلدته ، في النبيل والفظانة ، والإدراك والرّجاحة ، شديد الهزل مع البأو، والمالمقة مع التّيَقُور ، والمهاترة مع الحشمة . عارفاً بأخلاق الملوك وشروط جُلُساتها ، حسن التوصل إليها ، والتأني لأغراضها ، بعيد الغور ، كثير النكراء ، لطيف الحيلة ، عارفاً بسياسة الوطن ، قَبُوماً إلى أ-لاق أهله ، عديم الرضا بسير الملوك ، وإن أعلقوا بالعروة الوثقى يده ، ويسرّوا على عبور عقبة الصّراط عونه ، وأقطعوه الجنة وحده ، طَنَازاً^(١) بهم ، مُغْرِيَا ، خائنة الأعين بتصرفاتهم ، مقتحماً جَمِي اغتياهم ، قد اتخذ ذلك سَجِيَّةً ، أقطعت جانب القطيعة برهة ، فارتكب لها الأذاهم مدّة ، جماعةً للمال ، زايدا عنه بعضى التّفْتِير ، وربما غَمَس فيه إبرةً للصدقة ، وساما بينه وبين الوزير ، مُكْفِي السماء على الأرض ، برأيه المستعين على الفتكة وما ورائها ، بمنيع موالاتهم ، وبانيه يوم مكاشفة الملائيا بالنفورة ، وكان قُطِب الرّحى للقوم في الوجهة إلى الأمير عبد الحلیم ، ومقيمُ رسمه ، وانصرف إلى جهة مَرَاكُش عند الهزيمة عليه ، فاتصل بعميدها

(١) أي استهزاء بهم .

عامر بن محمد بن علي الهنتائي، وجرت عليه خطوب، وعانت في الكثير من نعمته أكف التمزيق، ديدن الدهر، في الأموال المحتججة، والنقود المكتنزة، واستقر أخيراً بسجلماصة، في مظاهرة الأمير عبد الحلیم المذكور، وبها هلك. وكان على إزرايه ولَسب لِسانه، واخز تلال حية حدثه، ناصح الرأي لمن استنصحه، قواماً فيه بالقسط، ولو على نفسه والوالدين والأقربين، فضيلة عُرف فيها شأوه، بقيما لكثير من الرسوم الحسبية.

دخوله غرناطة

قدم غرناطة في جمادى من عام تسعة وخمسين [وسبعماية]^(١) في غرض الرسالة، ووصل صحبته قاضي الجماعة بالمغرب أبو عبد الله المقرئ، وكان من امتساكه بالأندلس، ما أوجب عودة المترجم به في شأنه، فتعدد الاستمتاع بنبله.

وفاته : توفى قتيلاً في الهزيمة على الأمير عبد الحلیم بظاهر سجلماصة في ربيع الأول من عام أربعة وستين وسبعماية.

يحيى بن طاحنة بن علي البطوي، الوزير أبو زكريا

حاله

كان مجموعاً رائعاً، حُسنَ شكل وجمال رواء، ونصاعة ظُرف، واستجادة مَرَكب وبزة، قديم الجاه، مرعى الوسيلة، درياً على الخدمة، جليداً على الوقوف والملازمة، مُجدي الجاه، تلمُّ به نوبة تواضع، يتشَبَّث به الفقراء وأولى الكُذبية، فكِه المجلس، محباً في الأدب، أَلِفاً للظرفاء، عاملاً على حسن الذُكر وطيب الأحدوثة. تولَّى الوزارة

(١) ساقطة في الإسكوريال وأضفناها ليتضح السياق.

للسلطان أبي الحسن ، ونشأ في حجر أبيه ، ماتاً إليهم بالخزولة القديمة ،
 فتملاً ما شاء من قرب ومزية ، وياشر حصار الجبل لما نازله الطاغية ،
 لقرب عهد بفتحها ، فأبلى وحسن أثره . نشأ بالأندلس ، وسكن وادي
 آش وغرناطة ، واستحق الذكر لذلك :

شعره

وكان ينظم الشعر ، فمن ذلك قوله في مُزدوجة في غرض الفخر :

أنا ابن طلحة ولا أبال	لبث السرى في الحرب والنزال
يحي حياة البيض والعوال	مبيد كل بطلٍ مقتال
إن سمعوا باسمي في مجال	يلقوا بأيديهم إلى النكال
أستنزك القرن لدى الصيال	وأكرس النصل على النصال
ن آمل التفريق للأموال	والجمع بين الأقوال والفعال
والشعر إن تسمعه من مقال	تعلم بأن السحر في أقوال
أوشج الغريب فالأمثال	وأقرن الأشباه بالأمثال
وأفضل المرجان باللؤلؤ ^(١)	وأذكر الأيام والليال
فمن أبو أمية الهلال	ومن وحيد عصره الميكال
هذا ولي في غير ذا معال	بها أعلى الدهر من أعال
كما لحسب الصميم والمعال	والمخيد الضخم الحفيل الحال
وكرم الأعمام والأخوال	والصون والعفاف والأفضال
فمن يساجلني فذا سجال	ومن يناضلني فذا نضال

وفاته : توفي في أواخر عام خمسة وثلاثين وسبعماية . أصابه سهم

نقط رمي به من سور تلمسان أيام الحصار ، فقضى عليه . نفعه الله .

(١) وردت في الإسكوريال (بالنال) .

يحيى بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن الحكيم اللخمي

أخو الوزير أبي عبد الله بن الحكيم وكبيره ، يكنى أبا بكر ، رُنْدِي الأَصْل . قد مرَّ شيءٌ من ذكر أوليته . دخل غرناطة مرات ، وافداً وزائراً ، وساكناً ومغرباً .

حاله

كان وزيراً جليلاً ، وقوراً عفيفاً ، سرياً فاضلاً ، رُحْب الجانب ، كثير الأمل ، جَمَّ المعروف ، شهير المحل ، عريض الجاه ، صريح الطعنة ، من أقطاب أرباب النعم ، ومُنْتَجِعِي الفِلاحة بالأندلس . استبدَّ ببلده برهة ، بإسناد ذلك إليه وإلى أخيه ، من السلطان أمير المسلمين أبي يعقوب ملك المغرب ، الصَّائِر إليه أمره عند نبذها مغاضباً ، ثم أصاره إلى إيالة السلطان ، ثاني الملوك من بني نصر ، على يدي أخيه كاتبه ، ووزير ولده .

محنته ووفاته

ولما تقلد أخوه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم الأمر ، سما جاهه ، وعظم قدره ، وتعدَّد أمله ، إلى أن تعدَّى إليه أمر المحنة يوم الفتك بأخيه ، فطاح في سبيله نَشْبُه ، وذهب في حادثه الشنيع مكسبُه . واستقرَّ مُغْرِباً بمدينة فاس ، تحت ستر وجراية ، وبها أدركته وفاته في أوائل شوال من عام عشرة وسبعماية .

يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق

جَدُّ الملوك من بني مَرِين ، يكنى أبا زكريا ، شيخ الغزاة ، ورئيس جميع القبائل بالأندلس .

أوليته

قد تقدمت الإشارة إلى أولية هذا البيت ، ونحن نلتمع بسبب انتيادهم عن قومهم ، وهو ما كان من قتل أخي جدّهم ، يعقوب بن عبد الله ابن عبد الحق ، ابن أخي السلطان أبي يوسف ، إذ كان ثائرا مُصعبا ، مظنةً للملك ، ومحلاً للأمال ، فنافسه وليّ العهد وأوقع به ، فوقع بينهم الشّتات ، وفرّ شيوخ هذا البيت وأتباعهم إلى تلمسان ، ثم اجتازوا إلى الأندلس ، منهم من آثر الجهاد ، أو نبا به ذلك الوطن ، أو شرده الخوف ، أو أحطب به الاستدعاء . فمنهم موسى وعمران والعباس ، أبناء رحو بن عبد الله ، وعثمان بن إدريس وغيرهم . فبدأت فيهم الشياخة ، وصحبهم التقلّيم ، وأقامت فيهم الخطّة ، وتردّدت بينهم الولاية .

حاله

هذا الشيخ مُستحق الرتبة ، أهل لهذه الرياسة ، بأسا ونجدة ، وعثقا وأصالة ، ودهاء ومعرفة ، طِرفٌ في الإدراك ، عامل على الحُطوة ، مستديمٌ للنعم ، طيبٌ بالخدمة ، كثير المزاولة والحنكة ، شديد التيقظ ، عظيم الملاحظة ، مُستغرق الفكرة في ترتيب الأمور الدنيوية ، بحاثٌ عن الأخبار ، ملتمس للعيون ، حسن الجوار ، مبدول النصفة ، بقيةً بيته بالعُدوتين ، وشيخ رجاله . له الإمامة والتبيريّز في معرفة لسانهم ، وما يتعلق به من شِعْرٍ ومُثلٍ وحكمةٍ وخبرٍ ، لو عرضت عليه رِمَمٌ من عبّر منهم لأثبتها ، فضلا عن غير ذلك ، نسابة بطونهم وشعابهم ، وعلامةٌ سيّرهم ، وعوايدهم ، ألمعٌ ، ذكي ، حافظ للكثير من الحكم والتراخيخ ، محفوظ الشّيبة من العصمة ، طاهر الصون والعفة ، مشهور الشّهامة

والنَّجْدَة ، معتدل السُّخَاء ، يصح الهناء مواضع النُّصْب فلا يُخْدَع عن جِدَّتِهِ ، ولا يُطْمَع في غَفْلَتِهِ . ولا يَنَارِع فيما استَحَمَهُ من مَزِيَّتِهِ ، خَدَم المُلُوكَ ، وخَبَرَ السُّيْر ، فَتَرَكَ الأَخْبَارَ لِعِلْمِهِ ، وَعَضَّلَ عَقْلَهُ بِتَجْرِبَتِهِ .

تولى رياسة القَبِيل وَسَطَ صَفَرٍ من عام سبعة وعشرين وسبعماية ، معوضاً به عن شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء^(١) ، فتَنَعَّمَ البَيْتَ ، وَخَدُنَ الشُّهُرَةَ ، عندما أظلم ما بينه وبين ابن المحروق مدبر الدولة ، ودافعه بالجيش ، في ملقى حرانه ، من أحواز حصن أندرش^(٢) مرات ، تناصف الحرب فيها ، وربما ندر الفلج في بعضها ، واستمرت حاله إلى سابع محرم من عام تسعة وعشرين وسبعماية . وأعيد عثمان بن أبي العلاء إلى رتبته على تَفِيئَةِ مَهْلِكِ ابن المحروق . وانتقل هو إلى مكانه بوادي آش في قومه ، تحت حفظٍ ومبيرة . ثم دالت له الدولة ، وعادت إلى ولده الكُرة ، يوم القبض على نظرائه وقرابته ، مُتَرَفِّقِ حِظُوتِهِ ، ولد الشيخ أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء . عند إيقاع الفتكة بهم يوم السبت التاسع والعشرين لربيع الأول عام أحد وأربعين وسبعماية . واستمرت له الولاية ، وألقت عصاها كَلِيفَةً منه بالكفو الذي سلَّم له المنازع ، إلى أن قبض سلطانه رحمه الله ، فجرى ولده على وتيرة أبيه ، ووفى له صاع وفائه ، فجدد ولايته ، وشدا حسه ، ونوه رتبته ، وصدر له يوم بيعته منشور كريم من إنشائي نصه :

(١) في الإسكوريال (أبي العلي)

(٢) حصر أندرش أو بلدة أندرش Andrax . بلدة أندلسية حصينة ، تقع على معرفة من شم أدرة بولاية المرية وتند اشهرت في السريخ ، إذ كانت مدى حين مقر أبي عبد الله آخر ملوك الأندلس ، بعد تسليمه لمديه عن يده إلى الملكين الكاثوليكين فرناندو وإيسابيلا ، وسما عندها بعد إذ المغرب . باتفاق خاص بينه وبين الملكين المذكورين .

«هذا ظهير كريم منزلته في الظهاير الكريمة منزلة المعتمد في الظهور الكرام ،
أطلع وجه التعظيم سافر القسام ، وعقد راية العز السامى الأعلام ، وجدد كريم
المتات وقديم الدمام ، وانتضى للدفاع عن حوزة الدين حُساما يقر بمضايه
صدر الحُسام ، فأعلن تجديده بشدُّ أزر المُلُك ومُناصحة الإسلام ، وأعرب
عن الاعتناء الذى لا تخلق جديده أيدي الليالى والأيام . أمر به الأمير
عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبى الحجاج ، ابن أمير المسلمين
أبى الوليد بن نصر ، أيد الله أمره وأعز نصره ، لوليّه الذى هو عماد سلطانه ،
وواحد خلصائه ، وسيف جهاده ، ورأس أولى الدفاع عن بلاده ، وعقد ملكه ،
ووسطى سلكه ، الشيخ الجليل الكبير الشهير ، الأعزُّ الأسنى ، الصدر
الأسنى ، الأحفل ، الأسعد ، الأطهر ، الأظهر ، الكذا ، أبى زكريا
ابن الشيخ الكذا ، أبى على ابن الشيخ الكذا ، أبى زيد رحو بن عبد الله
ابن عبد الحق ، زاد الله قدره علواً ، ومجده سمواً ، وجهاده ثناءً متلواً .

لما كان محله من مقامه ، المحل الذى تتقاصر عنه أبصار الأطماع
فترتد حاسرة ، وكان للدولة يداً باطشة ، وقلة باصرة ، فنهز ملاك أمورها
واردةً أو صادرةً ، وسيف جهادها الذى أصبحت بمضائه ظافرة ، وعلى
أعدائها ظاهرة ، وكان له الصيت البعيد ، والذكر الحميد . والرأى
السديد ، والحسب الذى يليق به التمجيد ، والقدر الذى سما منه الجيد ،
وعرفه القريب والبعيد ، والجهاد الذى صدق به فى قواعده الاجتهاد
والتقليد ، فإن أقام^(١) جيشاً أبداً غارته ، وإن دبر أمراً أحكم إدارته ،
مستظهاً بالجلال الذى لبس شارته . فهو واحد الزمان ، والهدى الرفيعة
من عدد الإيمان ، ومن له بذاته وسلفه علو الشأن ، وسمو المكان ،

(١) وردت فى الاسكوريال (قام) .

والحسب الوثيق البُنَيان . وابتته الكريم . بيت بنى رحو السابقة في ولاية هذه الأوطان . والمدافعة عن حوزة المُلك وحمى السلطان . إن فوخروا صدعوا بالمكارم المعلومة ، وهتوا إلى ملك المغرب ببنوة العمومة ، وتزيّنوا من حُلَى الغرب بالتيجان المنظومة . فهم سيوف الدين ، وأبطال الميادين ، وأسود العرين ، ونجوم سماء بنى مَرِين . وكان سلفه الكريم رضى الله عنه يستضىء من رأيه بالشهاب الثاقب ، ويحلُّه من بساط تقريبه أعلى المراتب ، ويستوضح ببركته جميع المذاهب . ويستظهر بصدق دفاعه على جهاد العدو الكاذب ، ويرى أنه عزّ دولته ، وسيف صولته ، وذخيرة فخره ، وسياج أمره . جدّد له هذا الرّثب تجديدا ، صير الغاية منها ابتداء ، واستأنف به إعلاء ، ولم يدخر عنه حُظوة ولا اعتناء . وحين صير الله إليه مُلك المولى أبيه بمظاهرته ، وقلّده قلادة الملك بأصيل اجتهاده ، وحميد سعيه ، بعد أن سبق الألوفا إلى الأخذ بثاره ، وعاجلت البَطْشَة الكبرى يد ابتداره ، وأردى بنفسه الشقى الذى سعى في تبديد شمل الإسلام ، وإطفاء أنواره ، على تعدّد الملك يومئذ وتوفر أنصاره . فاستقر الملك فى قراره ، وانسحب السّتر على محلّه ، وامتد ظل الحفظ على داره . عرف وسيلة من المقام الذى قامه ، والوفاء الذى رفع أعلامه ، وألقى إليه فى أهم الأمور بالمقاليد ، وألزمه ملازمة الحضور بمجلسه السّعيد ، وشديد الاغتباط على قربه ، مُستنجحا منه بالرأى السّديد ، ومُستندا من وُدّه إلى الركن الشّديد ، وأقامه بهذه الجزيرة الأندلسية عماد قومه ، فهو فيهم يعسوب الكتيبة . ووسطى العقد الفريد ، وفذلكة الحساب وبيت القصيد . فدوّاره منهم للشريد . مأوى الطّارف والتليد ، الكفيل بالحسى والمريد . يقف ببابه أمراؤهم ، وتنعقد فى مجلسه

آراؤهم ، ويركض خلفه كبراؤهم . مجدداً من ذلك ما عقده سلعه من تقديمه ، وأوجه مزية حديثه وقديمه . فهو شيخ الغزاة على اختلاف قبائلهم ، وتشعب وسائلهم ، تتفاضل درجات القبول عليهم بتعريفه ، وتشرف أقدارهم لديه بتشريفه ، وتثبت واجباتهم بتقديره ، وينالهم المزيد بتحقيقه للغناء منهم وتقريره ، فهو بعده ، أيده الله ، قبلة آمالهم . وميزان أعمالهم ، والأفق الذى يصب من سحب قطره غمام نوالهم ، واليد التى تستمنح عادة أطمتهم وأموالهم . فليتول ذلك عظيم القدر ، منشرح الصدر ، حالاً من دائرة جمعهم ، محل القلب من الصدر ، متألقا في هالتها تالق البدر ، صادعا بينهم باللغات الزناتية ، التى تدل على الأصالة العريقة ، والنجار الحر . وهو إن شاء الله الحسام الذى لا يئبه على الضريبة ، ولا يزيده حسنا جلب الحلي العجيبة ، حتى يشكر الله والمسلمون اغتباط مقامه بمثله ، ويورى بره به على من أسر بره ، من قبله ، ويجى الملك ثمرة تقريبه من محله . ومن وقف على الظهير الكريم من الغزاة ، آساد الكفاح ، ومتقلدى السيوف ومعتلقى الرماح ، كمامة الهبجاء وحمامة البيطاح ، حيث كانوا من مؤسطة أو ثغر ، ون أقيم فى رسم من الجهاد أو أمر ، أن يعلموا قدر هذه الغاية المشرقة ، واليد المطلقة ، والحظوة المتألقة ، فتكون أيديهم فيما قلده رداً ليده ، وعزائمهم متوجهة إلى مقصده . فقصده ، فقدره فوق الأقدار ، وأمره الذى ناب أمره مقابل الابتدار ، على توالى الأيام وتعاقب الأعصار . وكتب فى كذا ...

مولده

ولد بظاهر تلمسان ، عند لحاق أبيه رحمه الله بسليطها عام أحد وتسعين (وستماية) تلقته من لفظه .

ومن "المُستدرك" . وتماادت ولايته إلى الأوايل من شهر رمضان عام اثنين وستين وسبعماية . فلما تصيرت إلى قِدار ناقتها . محمد بن إسماعيل ابن نصر ، عزَّله ، وهمَّ به ، فغزَّبه إلى بلد الروم ، فرارا أرقَّ به البسالة والصبر ، وتبعه الجيش ، فأصيب بجراحة ، ورد من صامتِه ، وجَلَى عن نفسه ، فتخلصه عزمه ومضاوّه ، واستقرَّ عند طاغية الروم ، فأولاه من الجميل ما يفوت الوصف ، واجتاز العُدوة ، فعُرف بها حقّه ، وعادت رتبة هذا الرجل ، بعد أن ردَّ الله على سلطانها ملكه ، إلى أحسن أحوالها من الجاه والحظوة ، وانطلاق اليد . والسلطان مع ذلك مُنطوٍ له على الضعن لأُمور ، منها غَمَسُ اليد في أمر عمه ، وقعوده عنه ، وهو أخرج ما كان لنصره ، وانزحاله عنه في الشدَّة ، عندما جمعه المنزل الخشِن ، فسحب عليه أذيال النكبة لابنه عثمان ، مُترقٍ مرقب الظهور في عودته ، والمستأثر بجواره ، والمحكَّم في أمره ، فتقبَّض عليهما ، وعلى من لهما محالفاً للوقت فيهما ، إذ كان متوفرا على اللحم ليحدثان العودة ، وجِدَّة الإيالة ، صبيحة يوم الإثنين لثالث عشر لرمضان عام أربعة وستين وسبعماية . فأحاط بهم الرجال لهذا السلطان ، والتقطوا من بين قبيلهم ، ودهمهم الرجال ، آخذين بحجزهم وأيديهم إلى دور الثقافة . ثم أركبوا الأدهم ، وانتقلوا إلى بعض الأطباق المتفرقة بقصبة المنكَّب ، واقتضى نظر السلطان جلاء المترجم به وأولاده من مرسى المنكَّب ، ونقل ولده الأكبر إلى المريَّة حسبما مرَّ في اسمه ، فلينظر هنالك ، واستقر إلى هذا العهد ، بعد قفوله من الحجِّ بمدينة فاس ، فلقى بها براً وعناية ، ولحق ولداه بالأندلس ، وهما بها ، تحت جراية وولاية

يوسف بن هلال

صهر الأمير أبي عبد الله بن سعد^(١) .

حاله

كان شجاعاً حازماً ، أحظاه الأمير المذكور وصاهره ، وجعل لنظره حصن مطرنيش^(٢) ومواقع كثيرة . وفسدت طاعته إياه ، فقبض عليه ونكبه وعدبه ، واستخلص ما كان لنظره وتركه . فأعمل الحيلة ، ولحق بمورتلة فثار بها ، وعاهد صاحب برجلونة على تصيير ما يملكه إليه . فأعانه بجيش من النصارى ، ولم يزل يضرب ويوالى الضرب على بلنسية ويشجى أهلها ، وتملك الصخرة والصخيرة وغيرها . واتفق أن خيلاً جهزها ابن سعد للضرب عليه ، عثرت بجملته متوجهاً إلى شنت بيطر ، فقبض عليه ، وقيد أسيراً ، فنهض به للحين إلى مورتلة وطلبه بإخلائها ، فأبى [فأمر] ابن مردنيش بإخراج عينه اليمنى ، فأخرجت بعود . ثم قُرب من الحصن وطلبه بإخلائها ، فدعا بزوجه وطلبها بإخلاء الحصن ، وإلا فتخرج عينه الأخرى ، فحُمِل على التكذيب ، ولم يجبه أحد ، فأخرجت للحين عينه الأخرى ، وسبق إلى شاطبة ، فبقى إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين وستماية . ونخل غرناطة ، وباشر منازلتها مع الأمير صهره ، فاستحق الذكر لذلك .

(١) هو الأمير محمد بن سعد بن مردنيش عامل بلنسية وملكة الشرق الثائر ضد الموحدين المتوفى سنة ٥٦٧ هـ (١١٧٢ م) وقد سبق التعريف به . وترجم له ابن الخطيب فيما تقدم (المجلد الثاني من الإحاطة ص ١٢١ - ١٢٧) .

(٢) وردت في الإسكوريال (مطريشة) والصواب ما أتتناه . وهو من حصون بلنسية الأمامية .

ومن القضاة الأصليين وغيرهم

يحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير بن وسلاسن بن

سمال بن مهايا المصمودي

أوليته وحاله

دخل أبو عيسى يحيى بن كثير الأندلس مع طارق بن زياد ، وقيل له اللبثي ، لأنه أسلم على يد رجل اسمه يزيد بن عامر اللبثي ، فنسب إليه ، وقيل إنهم نزلوا بنزل اللبث ، فنسبوا إليه . يُكنى يحيى هذا ، أبا عيسى . وكان جليل القدر ، عالي الدرجة في القضاء . وُلِّي قضاء البيرة وبجانة مدة ، وولى قضاء جيان وطليلة ، ثم عزل عن طليطة ، وأضيفت إليه كورة البيرة مع جيان . ثم استعفى عن جيان وبقي يلى قضاء البيرة ، وكان لا يرى القنوت في الصلاة ، ولا يقنُت في مسجده البتة .

مشيخته : روى عن أبي الحسن النحاس ، وسمع الموطأ من حديث اللبث وغيره من عم أبيه عبید الله بن يحيى .

مولده . في ذي القعدة سنة سبع وثمانين ومائتين .

وفاته : توفي ليلة الثلاثاء بعد صلاة العشاء ، ودفن يوم الثلاثاء بعد العصر . لثمان خلت من رحب عام سعة وستين وثلاثمائة

يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع الأشعري

يكنى أبا عامر .

حاله

العالم الجليل ، المحدث الحافظ ، واحد عصره ، وفريد دهره .
كان رحمه الله علماً من أعلام الأندلس ، ناصر لأهل السنة ، رادعاً لأهل
الأهواء ، متكلماً دقيق النظر ، سديد البحث ، سهل المناظرة ، شديد
التواضع ، كثير الإنصاف ، مع هيبة ووقار وسكينة ، ولّى قضاء الجماعة
بقرطبة ثم بقرطبة ، وأقرأ بقرطبة لأكابر علمائها ونبياتها ، الحديث
والأصليين وغير ذلك ، بالمسجد الجامع منها وبغيره .

مشيخته

حدث عن والده العالم المحدث أبي الحسين عبد الرحمن بن أحمد
ابن ربيع ، وعن الشيخ الأستاذ الخطيب أبي جعفر أحمد بن يحيى الحميرى ،
وعن الراوية المحدث أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ، وعن
الحافظ المسن أبي بكر بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن الجدد الفهرى ،
والقاضي أبي عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون ، والزاهد الورع ،
أبي الحجاج يوسف بن محمد البلوى المالقى ، عرف بابن الشيخ ،
وأبي زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم الإصبهاني الواعظ ،
والفقيه القاضي أبي محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحم الخزرجى .
وفاته : بمالقة سنة سبع وثلاثين وستماية .

يحيى بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصارى

أوليته

تقدمت في اسم عمه أبي إسحق ، فليُنظر هنالك .

حاله

من أهل العدالة والزكَا والسُّلف في الخطط الشرعية ، سَكُون ، متفَنُّن في العلوم الشرعية من فقه وأحكام ، وله التقدم في الوقت في علم الفرائض والحساب . حَبَس على الزاوية التي اتَّخذتها بالحضرة ، موضوعات في ذلك الغرض نبهية ، لم يَقْصُر فيها عن الإِجادة ، وتولَّى قضاءَ مواضع من الأندلس ، ثم استُعْمِل في النِّيابة عن قاضي الحضرة العلية ، وهو الآن قاض بمدينة وادي آش ، وخطيب بمسجدها الأعظم ، تنتابه الطلبة للأخذ عنه ، والقراءة عليه .

مشيخته

روى مع الجملة ممن هو في نمطه ، وأخذ بالإجازة عن الشيخ الأستاذ الصالح أبي إسحق بن أبي العاصي ، والخطيب أبي علي القرشي ، وعن الفقيه الخطيب أبي عبد الله البياني ، وعن الأستاذ شيخ الجماعة أبي عبد الله ابن الفخار ، وأخذ عن والده وعمه أبي إسحق . وأجازته الشيخ القاضي الخطيب أبو البركات بن الحاج ، والخطيب الصالح أبو محمد بن سلْمون ، والكاتب الجليل أبو بكر بن شبرين ، ورئيس الكتاب أبو انحسن ابن الجيَّاب ، وقاضي الجماعة أبو القاسم الشريف ، والخطيب أبو عبد الله القرشي ، وهو الآن بالحال المذكورة .

يوسف بن الحسن بن عبدالعزيز بن محمد بن

أبي الأحوص القرشي الفهري

يكنى أبا المجد ، ويعرف بابن الأحوص .

حاله

كان من أهل العلم والعدالة والنزاهة . وُلِّيَ كثيراً من القواعد ،
فظهر من قصده الحق ، وتحريه سبيل الصواب ، ما يُؤثر عن الجَلَّة .

مشيخته

قرأ على والده وروى عنه ، واستدعى له بالإجازة من أعلام زمانه ،
فأجازته الراوية أبو يحيى بن الفرس ، وأبو عمر بن حوط الله ، وأبو القاسم
ابن ربيع ، وأبو جعفر أحمد بن عروس العقيلي ، وأبو الوليد العطار ،
والخطيب أبو إسحق الأوسى القرطبي ، والقاضي أبو الخطاب بن خليل ،
وأبو جعفر الطباع وغيرهم .

قال القاضي أبو المجد شيخنا رحمه الله ، أنشدني أبو علي الحسن ، قال
أنشدني الخطيب أبو الربيع بن سالم ، قال أنشدنا أبو عمرو السفاقي ،
قال أنشدنا أبو نعيم الحافظ ، قال أنشدنا عبد الله بن جعفر الجابري ،
قال أنشدنا ابن المعتز :

ألم تر أن الدهر يومٌ وليلةٌ يكران من سببت عليك إلى سببت
فقل لجديد العيش لا بد من بلى وقل لاجتماع الشمل لا بد من شت

وبالسند المذكور إلى أبي الربيع بن سالم ، قال أنشدنا أبو محمد عبد الحق
ابن عبد الملك بن بونه ، قال أنشدنا أبو بكر غالب بن عطية الحافظ لنفسه :

جفوت أناسا كنت إلف وصلهم وما بالجفا عند الضرورة من ناس
بلوت فلم أحمَد فأصبحت يائسا ولا شيء أشنى للنفوس من اليأس
فلا تغدوني في انقباضي لإنسى وجدت جميع الشر في خلطة الناس

وفاته : في اليوم التاسع عشر من شهر رجب الفرد عام خمسة وسبعماية .

يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح بن أحمد بن
أحمد الجذامي المنتشافري

من أهل رندة ، يكنى أبا الحجاج

حاله

هذا الرجل حسن اللقاء ، طُرِفَ في التخلُّق والدمائة ، وحسن العشرة ،
أديب ذاكراً للأخبار ، طُلِعَ ، يكتب ويشعر ، سيال الطبع مَعِينَهُ . وُلِيَ
القضاء ببلده رُندة ، ثم بمرَبَلَةَ . وورد غرناطة في جملة وقود من بلده
وعلى انفراد منهم .

وجرى ذكره في « التاج المحلِّي » مما نصه : حسنة الدهر الكثير
العيوب ، وتَوَبُّهُ الزمان الجَمِّ الذنوب ، ما شيت من بِشْرِ يتأَلَّق ، وأدب
تتعطَّر به النَّسَمَات وتتنخَّلَق ، ونفس كريمة الشمايل والضرايب ، وقريحة
يقذف [بحرها] ^(١) بدور الغرايب ، إلى خشية لله تحول بين القلوب وقرارها ،
وتُثْنِي النفوس عن اغترارها ، ولسان يبوح بأشواقه ، وجفن يسخو بدُرَّر
آماقه ، وحرص على لقاء كل ذي علم وأدب ، وممن يمت إلى أهل
الدِّيانة والعبادة بسبب . سبق بقُطره الحَلْبَة ، وفرَع من الأدب الهَضْبَة ،
ورفع الراية ، وبلغ في الإحسان الغاية ، فطارت قسايد كل المطار ،
وتغنى بها راكب الفُلْكَ وحادي القِطار . وتقلد خُطَّة القضاء ببلده ،
وانتهت إليه رياسة الأحكام بين أهله وولده ، فوضحت المذاهب بفضل
مذهبه ، وحُسن مَقْصِده . وله شيمة في الوفا تعلَّم منها الآس ، ومؤانسة
عذبة لا تستطيعها الأكواس . وقد أثبت من كلامه ما تتحلَّى به ترايب

(١) الزيادة من الفتح .

المهارق ، ويجعل طيبه فوق المفارق . وكنت أتشوق إلى لقايه ، فلقيته
بالمحلة من ظاهر جبل الفتح ، لُقيا لم تبُل صدا ، ولا شفت كمدا ،
وتعذر بعد ذلك لقاؤه فخطبته بقولي :

حمدتُ على فرط المشقة رحلة أتاحت لعيني اجتلاءً محياكا
وقد كنت في التذكار بالبعد^(١) فانما وبالريح إن هبت بعاطر رياكا
فجلت لي النعمى بما أنعمت به على فحياها إلاله وحيياكا
أيها الصنر الذي بمخاطبته يُنبأ^(٢) ويتشرف ، والعلم الذي بالإضافة
إليه يُتعرّف ، والروض الذي لم يزل على البعد بأزهاره الغضة يُتحف .
دُنت تتزاحم على موارد ثنائك الألسن [وتروى للرواة ما يصح من أنبيك
ويجسن]^(٣) طالما مالت إليك النفوس منا وجنحت ، وزجرت الطائر
الميمون من رُقاعك كلما سَنحت . فالآن اتضح البيان ، وصدق الأثر
العيان . ولقد كنا للمقام بهذه الرُحال نرتمض ، ويجنُّ الظلام فلا
نغتمض ، هذا يُقلقله إصْفار كَيْسه ، وذا يتوجع لبعْد أنيسه ، وهذا
تروعه الأهوال ، وتضجره بتقلباتها الأحوال . فمن أنة لا تنفع ، وشكوى
إلى الله [تعالى]^(٤) ترفع . فلما ورد بقدمك البشير ، وأشار إلى ثنية
طلوعك المشير ، تشوّفت النفوس الصديّة إلى جلايها وصبقالها . والعقول
إلى حلِّ عقالها ، [والألسن المعجمة]^(٥) إلى فصل مقالها . ثم إن الدهر
راجع التفاته ، واستدرك ما فاته ، فلم يسمح من لقايك إلا بلمحة ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (في البعد) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (يياهي) والمعنى واحد .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالاتي (وتروى الرواة

من انبيائك ما يصح ويجسن)

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي النسخ (والأنفس المعجمة) .

ولا بعث من نسيم روضك بغير نَفحة . فما زاد أن هبج الأشواق فالتهبت ،
 وشن غاراتها على الجوانح فانتهبت ، وأعلّ القلوب وأمرضها ، ورمى
 ثغرة الصبر فأصاب غرضها . فإن رأيت أن تنفّس عن نفسٍ شدّ الشوق
 مُخنّقا ، وكدر مشارب أنسها [وأذهب]^(١) رونقها ، وتتحف من
 من آدابك بدُرر تُقتنى ، وروضة طيبة الجنى ، فلئيست ببدع في شيمك ،
 ولا شاذة في باب كرمك . ولولا شاغل لا يبرح ، وعوائق أكثرها
 لا يُشرح ، لنافست هذه السحابة في القدوم عليك ، والمثول بين يديك ،
 فتشوق إلى اجتلاء أنوارك شديد ، وتشيعي فيك على إبلاء الزمان جديد .
 فراجعني بقوله :

حباك فزادى نيلُ بشرى وأحياكا	وحيد بآدابِ نفايسَ حياكا
بدايعُ أبدأها بديعُ زمانه	فطاب بها يعاطر الروض رياكا
أهديها أودعت قلبي علاقةً	وإن لم يزل مُعَبِي قديماً بعلياكا
إذا ما أشار العصر نحو فرندِه ^(٢)	فإياك أعنى بالإشارة إياكا
لا تحفنى لقياك أسمى مؤملي	وهل تحفة في الدهر إلا بلقياكا
وأعقبت إتحافى فرايدك التي	وجوب ثناها يالساق أعيكا

خصصتني أيها الجبر المخصوص بمآثر أعياء عدها وحصرها ، ومكارم
 طيب أرواح الأزاهر عطرها ، وسارت الركبان بثنائها ، وشملت الخواطر
 محبة علائها . بفرايدك الأنيقة ، وفوايدك المزرية جمالاً على أزهار
 الحديقة ، ومعارفك التي زكت حقاً وحقيقة . وهدت الضال عن سبيل
 الأدب مهيعه وطريقه ، وسبقتُ تحفتك عندي أعلى التحف^(٣) ، وهو

(١) الزيادة من النفع .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وى النفع (فريده)

(٣) وردت في الإسكوريال (تحفتك) والتصويب من النفع .

مأمول لقائك ، والتمتع بالتماح سناك الباهر وسنائك ، على حين امتدت
لذلك^(١) اللقاء أشواقى ، وعظم من فوت استنارنى بنور محيآك إشفاقى ،
وتردد لهجى بما يبلغنى من معاليلك ومعانيك ، وما شاده فكرك الوقاد من
مبانيك ، وما أهلّت به بلاغتك من دارسه ، وما أضفّت على الزمان من
رايق ملبسه ، وما جمعت من أشتاته ، وأحيت من أمواته ، وأيقظت
من سباته ، وما جاد به الزمان من حسناته . فلترداد هذه المحاسن من أنبائك ،
وتصرف الألسنة بشنايك ، علفت النفس من هواها بأشد علاقة ، وجنحت
إلى لقائك جنوح والمهة مشتاقة ، والحوادث الجارية تصرّفها ، والعوايق الحادثة
كلما عطفت بأملها إليه ، لاتتحفها به ولا تعطفها ، إلى أن ساعد الوقت ، واستمد
البخت ، بلقياكم^(٢) هذه السفرة الجهادية ، وجاد إسعاف الإسعاد من أمنيقي بأسنى
هدية ، فلقيتكم لقياً خجلاً ، ولححت أنواركم لمحةً على وجل ، ومهجتي^(٣) ، فى
محاسنكم الرائقة ، ومعاليلكم الفائقة ، على ما يعلمه ربنا عز وجل . وتذكرت
عند لقايكم المأمول ، إنشاءً قائل يقول :

كانت محادثة^(٤) الركبان تخبر عن محمد بن خطيب بأطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذنى بأحسن مما قد رأى بصبرى
قبما لعمرى أقوله وأعتقده ، وأعتده ، وأعتمده ، فلقد بهرت منك
المحاسن ، وفقت من يحاسن ، وقصّر عن شأوك كل بليغ لسن ، وسبقت
فدلتك النارية النورية بلاغة كل فطين ، وشهد لك الرمن أنك وجاهد ،
ورئيس سصبته^(٥) الأدرية وفريده . فبورك لك فيما أنلت من الفضائل ،

- (١) هكذا وردت و الإسكوريال . وفى الفصح (دلكر)
- (٢) هكذا وردت و الإسكوريال . وفى الفصح (ملق . ك .)
- (٣) هكذا وردت و الإسكوريال ، وفى الفصح (ومعجى) .
- (٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الفصح (مسألة) .
- (٥) وردت و الإسكوريال (عصايته) والتصويب من الفصح

وأوتيت من آيات المعارف التي بها نور العزلة هائل ، ولازمت مُرقً (١)
 في مراتب المعالي ، موقً صروف الأيام والليالي .
 وذن شعره بمدح الجهة النبوية ، مُصدراً بالنسيب لبسط الخواطر
 النفسانية :

لا تناهى الصب في تشويقه	درر الدموع اعتاضها بحقيقه
متلهفً وفسواده متلهب	كيف البقاء مع احتدام حريقه
متموج بحر الدموع بنجده (٢)	أني خلاص يرتجى لغريقه
متجرع صاب النوى من هاجر	ما إن يحز للإعجابات مشوقه
يُسي الخواطر حسنه ببديعه	يُضي النفوس جماله بأيقه
قيد النواظر إذ يلوح لرامي	لا تنشئ الأحداق عن تحديقه
لنبلر لمحتة كيشر ضيائه	للمسك نفتحته كنشر فتيقه
سكرت خواطر لامحيه كأنهم	شربوا من الصبا كأس رحيقه
عطشوا لشغرا لا سبيل لريقه	إلا كلمحهم للنع بريقه
ماضر مولى عاشقوه عبيده	لورق إشفاقا لحال رقيقه
عنه اصطباري ما أنا بمطيعه	مثل السلو ولا أنا بمطيعه
سجع (٣) الحمام يشوق ترجيع الهوى	فأثار شجو مشوقه بمشوقه
وبكت هديلاً راعها تفريقه	ويحق أن يبكي أخو تفريقه
وبكاء أمثالي [حق] لأنني	لم أقض للدولى أكيد حقوقه
وعقلت في زمن الشباب المنقضى	أفبح بنسخ بروره بعقوقه .
وبدا المشيب وفيه زجر ذوى النهى	لو كنت مزدجرا لشم بروقه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (ترق) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (بنجده) .

(٣) هكذا في النسخ ووردت في الإسكوريال (شدت) . والاولى أرجح .

حَسْبِي نَدَامَةٌ آسَفٌ مِمَّا جَنَيْتُ
 وَيَرُمُ^(١) مَا خَرَمَ الْهُوَى زَمَنَ الصَّبَا
 وَيُرَدِّدُ الشُّكُوزَى لَدَيْهِ تَذَلُّلاً
 فَيَصُحُّ مِنْ سُكْرِ التَّصَابِي صَحْوَهُ^(٢)
 لَوْ كُنْتَ بِمَمْتِ التَّقَى وَصَحْبَتِهِ
 لَأَقْدَمْتُ مِنْهُ فَوَائِدًا وَفَرَائِدًا
 اللَّهُ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ فَلِيهِمْ
 قَامُوا وَقَدْ نَامَ الْأَنَامُ فَنُورِهِمْ
 وَتَأَنَسُوا بِحَبِيبِهِمْ فَلَهُمْ بِهِ
 قَصَّرَتْ عَنْهُمْ عِنْدَمَا سَبَقُوا الْمَدَى
 لَوْلَا رَجَاءُ تَلْمُحِي^(٤) مِنْ نُورِهِمْ
 وَتَأَرْجُحُ يُسْتَأْفَى مِنْ أَرْوَاحِهِمْ
 لَفُتِنْتُ^(٥) مِنْ جِرَاءِ جِرَائِرِي الَّتِي
 وَمَعِيَ رَجَاءُ تَوْسَلُ أَعْدَدْتَهُ
 حَبِيٍّ وَمَلْمُحِي أَحْمَدُ الْهَادِي الَّذِي
 أَسْمَى الْوَرَى فِي مَنْصِبٍ وَبِمَنْسَبِ
 الْحَقِّ أَظْهَرَ عَقِيبَ خَفَائِهِ
 وَنَبِيَّ هُدَاهُ ضَلَالَةً مِنْ جَائِرٍ
 يَصِلُ النَّشِيجَ لُورَرِهِ بِشَهِيْقِهِ
 وَيُرُومُ مِنْ مَوْلَاهُ رَتَّقَ فُتُوْقَهُ
 عَلَّ الرُّضَا يُحْبِيهِ دَرْكُ لِحْوَقِهِ
 نَسَخًا لِحَكْمِ صُبُوْحِهِ بِغُبُوْقِهِ
 وَسَلَكْتُ لِإِيْثَارًا سِوَاءَ طَرِيْقِهِ
 عُرِضْتُ تُسَامُ لِرَيْحِ^(٣) فِي سِوَقِهِ
 مِنْ حِزْبٍ مِنْ نَالِ الرُّضَا وَفَرِيْقِهِ
 هَتَكَ الدُّجَا بَضِيَائِهِ وَشُرُوْقِهِ
 بَشْرًا لَصَدَقِ الْفَضْلُ فِي تَحْقِيْقِهِ
 وَلِسَابِقِ فَضْلٍ عَلَيَّ مَسْبُوْقِهِ
 يَحْيِي الْفُؤَادَ بِسِيرِهِ وَطَرُوْقِهِ
 سَبَبُ انْتِمَاشِ الرُّوْحِ طَيْبِ خَلُوْقِهِ
 مِنْ خَوْفِهَا قَلْبِي حَلِيْفَ خَفُوْقِهِ
 ذَخْرًا لَصُدُمَاتِ الزَّمَانِ وَضِيْقِهِ
 فَوْزُ الْأَنَامِ يَصِيْحُ فِي تَصْدِيْقِهِ
 مِنْ هَاشِمِ زَاكِي النَّجَّارِ عَرِيْقِهِ
 وَالذِّينِ نَظَّمَهُ لَدَى تَفْرِيقِهِ
 مَسْتُوثِقُ بِنَعْوَتِهِ وَلِعُوْقِهِ^(٦)

(١) هكذا وردت في النسخ ، وفي الإسكوريال (ويروم) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ مكررة (سكره) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (لرائح) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (تلمح) .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (لعنت) .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ووردت في النسخ (ينوته ويعوقه) .

سبحان مرسله إلينا رحمة
 والمعجزات بدت بصدق رسوله
 كالظبي في تكليمه والجذع في
 والنار إذ خمدت بنور ولاده
 والسزاد قلّ ففزاد من بركانه
 ونُبوع ماء الكفّ من آياته
 والنخل لما أن دعاه مشى له
 والأرض عاينها وقد زويت له
 وكذا ذراع الشاة قد نطقت له
 ورمى عداه بكف حصباء فانثنت
 وعليه آيات الكتاب تنزلت
 فأذيق من كأس المحبة صرّفها
 حاز السناء وناله بعروجه
 ولكم له من آية من ربّه
 يا خيرة الأرسال عند إلهه
 علقت آمالي بجاهك عدّة
 ووثقت^(١) من حبل اعتمادى عمدة
 ولئن غدوت أحيّد ذنبي إنني
 وكساد سوقى مذلجأت إلى بابكم
 يهدى ويهدى الفضل من توفيقه
 وحقيقه بالمآثرات خليفه
 تخنينه والبدر في تشقيقه
 وأجاج ماء قد خلا من ريقه
 فكفى الجيوش بتمره وسويقه
 وسلام أحجار غدت بطريقه
 ذا سرعة [بعروقه وعلوقه]^(١)
 فقريب ما فيها رأى كسحيقه
 نطق اللسان فصيحته وذليقه
 هرباً كمدعور الجنان فروقه
 تُتلى بعلو جلاله^(٢) وبسوقه
 سبحان ساقيه بها ومذيقه
 جاز السماء طباقها بخروقه
 ورعاية وعناية بحقوقه
 يا مُحرز العليّا على مخلوقه
 والقصد ليس يخيب في تعليقه
 لتمسكي بقسويّه ووثيقه
 أرجو بقصدك [أن أرى]^(٤) كطاليقه
 يقضى حصول نفوذه ونفوقه

(١) هكذا وردت في الإ. دوريال ، وفي النسخ (بلاوقه وعروقه) .

(٢) هكذا في الإ. دوريال ، وفي النسخ (جنابه) .

(٣) هكذا في الإ. دوريال ، وفي النسخ (علتت) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ ، وهي ساقطة في الإسكوريال .

ويجنُّ قلبي وهو في تغريبه
وتزيد لوعته متى حثُّ السرى
وأرى قشيب العمر أمسى بالياً
وأخاف أن أقضى ولم أفض المني
فمتى أخطُّ على اللوى رَحلى وقد
وأمرغ الخدين في تَرْبِ غدا
وأعيد [إنشادي وإنشائي] ^(٢) الثنا
حتى أميل العاشقين تطرباً
وتحيَّةُ التسليم أبلغ شافعي ^(٣)
ولذي الفخيار وذى العلي ووزيره
منى السلام عليهم ^(٤) كالزهر في

[لمزاره لربك] ^(١) في تشريقه
حادِ حِداً بِجِماله وبنوقه
ومرور دهرى جدُّ في تمزيقه
بنفوذ سهم مَنِيتي ومُرُوقه
بلغت ركابي لِلحمى وعقيقه
كالمسك في أَرَجِ شذا مَنْشُوقه
ببديع نظم قريحتي ووريقه
كالغُصن مرَّ صبأً على مَمْشُوقه
وثنا المديح حديثه وعتيقه
صديقه وأخى الهدى فارُوقه
تأليفها والزهر في تأليفه

قال ، وكتب بذلك إلى في جملة من شعره :

هواكم بقلبي لأحكامه ^(٥) نسخ
ومن نشائي ما إن صحت منه نشوئي
عليه حياتي مذ تبادت وميتي
ولي خطدٌ أضحي قنيص غرامه
قتلتُ سلوئي حين أحييت لوعتي
وناصح كمي إذ زكت بيناته

ومن أجله جفني بدمعه يسخُ
سواءً به عصر المشيب أو الشرخ
وبعني إذا بالصور يتفق النّفخ
ولا شركٌ يُدني إليه ولا فسخُ
وما اجتنيح بالإقرار في حالتي لَطخُ
يجول عليه من دموع الأسي نَضخُ

- (١) هذه الزيادة من النفع ، ومكانها بياص بالإسكوريال .
- (٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي النفع (إنشائي وإنشادي) .
- (٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي النفع (شافع) .
- (٤) واردة في النفع وساطقة في الإسكوريال
- (٥) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (محكمه)

وأرجو بتحقيق هواكم بأن أفي
وما الحب إلا ما استقل ثبوته
إذا مسلك لم يستقم بطريقه
بدا لضميرى من سناكم تلمح
على عود ذاك اللّمع ما زلت نادباً
يَدَى بِأَيَادِيكُمْ وَقَلْبِي شَاغِلٌ
فعهد ولا نقص وعقد ولا فسخ
لبناه رص في الجوانح أو رسخ
سلكت اعتدالاً مثل ما يسلك الرخ
فبخ لعقل لم يطر عندها بخ
كما تندب الورق فارقتها الفرخ
فمن فكرتى نسج ومن أنملى نسخ
ومن شعره أيضاً قوله في غرض يظهر منه :

إليك تحن النجب والنجباء
تخبُّ بركاب تحبُّ ووصولها
فأنفاسها ما أن تنى صعداؤها
هموا عالجوا إذ عجل السير داءهم
فعدت ودوني للحبيب ترحلوا
له وعليه حبُّ قلبى وأدمعى
بطيبة هل أرضى وتبدو سماؤها (٢)
شذا نفعها واللّمع منها كأنه
فيا حاديا غنى وللركب (٤) حاديا
بسلى فسل عما أقاسى من الهوى
وفى عالج منى بقلبي لأعج
وفى الرقمتين (٥) أرقم الشوق لاذع

فهم وهى فى أشواقهم شركاء
لأرض (١) بها باد سنى وسناء
وأنفاسهم من فوقها سعداء
وأشباه مثلى مُذَنَّفون بطاء
وما قاعد والراحلون سواء
وقد صحَّ لى حبُّ وسحَّ بكاء
وإن [تك أرضا فالحبيب] (٣) سماء
ذكاء عبير والضياء ذكاء
عنانى بعد البعد عنك عناء
وسل بقباء إذ يلوح قباء
فهل لى علاج عنده وشفاء
ودرياقه أن لو يُباح لقاء

(١) هذه الكلمة واردة فى النفع ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت فى النفع ، وفى الإسكوريال وكأنها

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى النفع . وفى الإسكوريال (وإن تك أرضى بالحبيب)

(٤) هكذا وردت فى النفع ، وفى الإسكوريال (والذكر) والأولى أرحم .

(٥) هكذا فى النفع ، وفى الإسكوريال (وبالرقمتين)

أما كن تمكين وأرض بها الرضى
ومن المقطوعات قوله :
أدب الفتى في أن يرى متيقظاً
فإذا تمسك بالهوى يهوى به
ومن ذلك :

يامن بدُنياه ظلُّ في لُجج
تطمع في إرثك الفلاح وقد
كن حنواً في الذى طمعت به
وقال :

ترى شعروا أنى غبَطت نسيمَةً
كما قابلت زهر الرياض وقبَلت
وقال :

ورد المشيب مبيضا بوروده
يا ليته لو كان بيض بالتقى
إن المشيب غدا رداء للردى
وأنشدنى صاحبنا القاضى أبو الحسن ، قال ، مما أنشدنى الشيخ

أبو الحجاج لنفسه :

لوعة الحب في فؤادى تعاصت
كيف يبرأ من علة وعليها
فانسكاب الدموع جارٍ فجارٍ
والتهاب الضلوع راقٍ فراقٍ

(١) مكاهها دياص بالإسكوريال والإضافة من النفع .

(٢) وردت في الإسكوريال (الفراق) والتصويب من النفع .

نذرة من أخباره

نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضى المؤرخ أبى الحسن بن الحسن ، قال حاكيا عنه ، ومن غريب ما حدثنى به ، قال كنت جالسا بين أيدي الخطيب أبى القاسم التاكرونى صبيحة يوم بمسجد مالقة الأعظم ، فقال لنا فى أثناء حديثه ، رأيت البارحة فى عالم النوم ، كأن أبا عبد الله الجليانى يأتينى ببيتى شعر فى يده وهما :

كل علم يكون للمرء سُغلا بسوى الحق قادحٌ فى رشاده
فإذا كان الله فيه حِظًّا فهو مما يُعده لمعاده

قال ، فلم ينفصل المجلس ، حتى دخل علينا الفقيه الأديب أبو عبد الله الجليانى والبيتان عنده ، فعرضهما على الشيخ ، وأخبره أنه صنعهما البارحة . [فقال له كل من فى المجلس ، أخبرنا بهذا الشيخ قبل مجيئك ، فكان هذا من العجائب] (١) . وقد وقعت الإشارة لذلك فى اسم الشيخ .

مشيخته

منقول من خطه فى ثبت أجاز فيه أولادى ، أسعدهم الله ، بعد خطابة بليغة . قال فمن شيوخى الذين رويت عنهم . واسترقتُ البركة منهم ، الشيخ الخطيب الصالح المتفتن ، أبو محمد عبد الواحد بن أبى السداد الباهلى . والشيخ الإمام أبو جعفر بن الزبير ، والشيخ الوزير المشاور أبو عبد الله بن أبى عامر بن ربيع ، والقاضى العدل أبو عبد الله محمد ابن على بن محمد بن برطال . والشيخ الخطيب الصالح أبو عبد الله الطنجالى . والراوية المسرُوب عمرو محمد بن عبد الرحمن الرندى الطنجى ،

والمدرس الصالح أبو الحسن علي بن أحمد الإشبيلي بن شالة ، والخطيبان
الأستاذان الحاجان أبو عبد الله محمد بن رشيد الفهري ، وأبو عثمان سعيد
ابن إبراهيم بن عيسى الجميري ، والشيخ الصالح أبو الحسين
عبد الله بن محمد بن محمد بن يوسف بن منظور ، والخطيب الصالح
العلامة المصنف أبو جعفر بن الزيات ، والفقير القاضي أبو جعفر
ابن عبد الوهاب ، والشيخ الراوية المحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد
ابن الكماد ، والخطيب أبو العباس أحمد بن محمد اللورقي ، والعدل
أبو الحسن علي بن محمد الطائي ، ابن مستقور ، والخطيب الصالح
أبو العباس أحمد بن محمد بن خميس الجزيري ، والقاضي العدل الحاج
أبو محمد عبد الله بن أبي أحمد بن زيد الغرناطي ، والشيخ الراوية الحاج
الزحطال الصوفي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الفارسي العجمي
الأفشري ، والقاضي الحسين أبو عبد الله محمد بن عياض بن محمد
ابن عياض ، والقاضي أبو عبد الله بن عبد المهيم الحضرمي ، والأستاذ
أبو إسحق الغافقي ، والإمام أبو القاسم بن الشاط ، والخطيب القاضي
أبو عبد الله القرطبي ، والراوية أبو القاسم البليقي ، والمحدث أبو القاسم
التجيب ، والخطيب أبو عبد الله الغماري ، والإمام الكبير ناصر الدين
المشدالي ، والفقير الصوفي أبو عبد الله محمد بن محمد الباهلي عرف
بالمسفر من أهل بجاية ، وقاضي القضاة بتونس أبو إسحق بن عبد الرفيع ،
والعلامة أبو عبد الله بن راشد ، والخطيب أبو عبد الله بن عزمون ، والعلامة
الخطيب أبو محمد عبد الواحد بن منظور بن محمد بن المنير الجذاري .
قال ، وكلهم أجازني عامة ما يرويه . وكان ممن نقيته . وقرأت عليه ،
إلا المدرس أبا الحسن بن شالة ، فوقع لي شك في إجارته .

تواليفه

قال ، ومما (١) يسر الله تعالى فيه من التأليف ، كتاب « ملاذ المستعبد ، وعباذ المستعين ، في بعض خصائص سيد المرسلين ، في الأحاديث الأربعين المروية على آيات من الذكر الحكيم والنور المبين » . وكتاب تخصيص (٢) القرب وتحصيل الأرب ، وقبول الرأي الرشيد ، في تخميس الوترية النبوية لابن رشيد . وانتشاق النسمات النجدية ، واتساق النزعات الجدية . وغرر الأمانى المسفرات في نظم المكفرات . والنفحات الرندية واللمحات الزندية ، وهو مجموع شعري . وحقائق بركات المنام ، في مرأى المصطفى خير الأنام . والاستشفاء بالعدة ، والاستشعاع بالعمدة ، في تخميس القصيدة النبوية المسماة بالبُرْدَة . وتوجع الرائي في تنوع المرائي . واعتلاق المسائل بأفضل الوسائل . ولمح البهيج ، ونفح الأريج ، في ترجيز ما لولى الله أبي مدين شعيب بن الحسين الأنصارى رضى الله عنه ، من عبارات حكمة وإشارات صوفية . وتجريد رؤوس مسائل البيان والتحصيل ، لتيسير البلوغ لمطالعتها والتوصيل . وفهرسة روايتي . ورجز في ذكر مشيخة شيخنا الراوية أبي عمر الطنجي ، رحمه الله وإسناده . قال ، ومما كنت شرعت فيه ولم يتفق تمامه ، كتاب سميته « عواطف الأعتاب ، في لطائف أسباب المتاب » . ومما بيدي الآن جمعه وهو إن شاء الله على التمام ، أربعون حديثاً متصلة الإسناد ، أول حديث منها في الخوف ، والثاني في الرجاء ، بلواحق تتبعها ، وسميته « أرج الأرجاء ، في مزج الخوف والرجاء » . والله يصفح عنا ، ويغفر زلاتنا . وأن لا يجعل ما نتولاه من

(١) وردت في الإسكوريال (ومن) فاقتضى التصويب .

(٢) وردت في الإسكوريال (تحسين) ، والتصويب من النفع

ذلك حجة علينا ، وأن نكون ممن مُنَحَّ مقولا ، ومنع معقولا . ويختتم لما
 يخواتم السُّعداء من عباده ، ومن وفق وهدى إلى سبيل رشاده .
 وفاته : كان حياً عام أحد وستين وسبعماية .

ومن المقربين

يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي

يكنى أبا زكريا ، شيخنا أبو زكريا بن هُذيل رحمه الله أرجدونى^(١)
 الأصل ، ينسب إلى سلفه أملاك ومعاهد كولايج هذيل ، مما يدل على
 أصالة .

حاله

كان آخر حَمَلَة الفنون العَقَلِيَّة بالأندلس ، وخاتمة العلماء بها ،
 من طب وهندسة وهيئة وحساب وأصول وأدب ، إلى إمتاع المحاضرة ،
 وحسن المجالسة ، وعموم الفائدة ، وحسن العهد ، وسلامة الصدر ،
 وحفظ الغيب ، والبراءة من التصنع والسُّمْت ، مؤثرا للخمول ، غير مبال
 بالناس ، مشغولا بخاصة نفسه . خدم أخيراً باب السلطان بصناعة
 الطُّب ، وقعد بالمدرسة بقرنطة ، يقرئ الأُصول والفرايض والطب .
 عمن أخذ : قرأ على جملة من شيوخ وقته ، كالأستاذ أبي بكر بن الفخار ،
 أخذ عنه العربية والأدب . وقرأ الطب على أبي عبد الله الأرنؤشى ،
 وأبي زكريا القصرى . وجملة من الإسلاميين بالمدونة . وقرأ كراسة الإمام
 فخر الدين الرازى المداية بالآيات البيِّنات . على الأستاذ أبي القاسم بن جابر .

(١) نسبة إلى أرحدونه أو أرحدونة Archidona وقد سق العرف سا (المجلد

الثالث من الإحاطة ص ٤٥٩ حاشية) .

ونظر الأصول على الأستاذ النظَّار أبي القاسم بن الشَّاطِ وَأَخَذَ الْحِسَابَ
عَنْ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ . وَالْحِسَابَ وَالْمُهَنْدِسَةَ وَالْأَصُولَ وَكَثِيرًا مِنْ عَمَلِيَّاتِ
الْحِسَابِ وَجَبْرِهِ وَمَقَابِلَتِهِ وَالنَّجُومَ ، عَلَى الْأُسْتَاذِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّقَامِ ،
وَلَازَمَهُ كَثِيرًا .

ثوَالِيْفُهُ

وَلَهُ تَصَانِيفٌ وَأَوْضَاعٌ مِنْهَا ، دِيْوَانُ شَعْرِهِ الْمَسْمُومِ بِالسَّلِيمَانِيَّاتِ
وَالْعَرَبِيَّاتِ (١) وَتَنْشِيطُ الْكَسَلِ . وَمِنْهَا شَرْحُهُ لِكِرَاسَةِ الْفَخْرِ ، وَهُوَ غَرِيبٌ
الْمَأْخُذُ ، جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ طَرِيقَتَيْ الْقَدَمَاءِ وَالْمَتَأَخِّرِينَ مِنَ الْمُنْطَقِيِّينَ .
وَكَتَابُهُ الْمَسْمُومُ «بِالْإِخْتِيَارِ وَالْإِعْتِبَارِ فِي الطَّبِّ» . وَكَتَابُهُ الْمَسْمُومُ «بِالتَّذَكُّرَةِ
فِي الطَّبِّ» .

شَعْرُهُ

وَجَرَى ذِكْرَهُ فِي التَّاجِ الْمَحَلِّيِّ بِمَا نَصَّهُ : دُرَّةٌ بَيْنَ النَّاسِ مُغْفَلَةٌ ،
وَخِزَانَةٌ عَلَى كُلِّ فَائِدَةٍ مُغْفَلَةٌ ، وَهَدِيَّةٌ مِنَ الدَّهْرِ الضُّنَيْنِ لِبَنِيهِ مُخْتَفَلَةٌ .
أَبْدَعَ مِنْ رَتَبِ التَّعَالِيمِ وَعَلَّمَهَا ، وَرَكَّضَ فِي الْأَلْوَاحِ قَلَمَهَا ، وَأَتَقَنَ
مِنْ صُورِ الْهَيْئَةِ وَمَثَلَهَا ، وَأَسَّسَ قَوَاعِدَ الْبِرَاهِمِينَ وَأَثَّلَهَا ، وَأَعْرَفَ مِنْ
زَاوِلِ شِكَايَةِ ، وَدَفَعَ عَنْ جِسْمِ نِزَايَةِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَشَارِكَةِ فِي الْعُلُومِ ،
وَالْوَصُولِ مِنَ الْمَجْهُولِ إِلَى الْمَعْلُومِ ، وَالْمَحَاضِرَةِ الْمُسْتَفْزَةَ لِلْحُلُومِ ، وَالِدُّعَابَةَ
الَّتِي مَا خَلَعَ الْعِلْدَارَ فِيهَا بِالْمَعْلُومِ فَمَا شَيَّتْ مِنْ نَفْسٍ عَذْبَةَ الشَّيْمِ ،
وَأَخْلَاقَ كَالرَّهْرِ مِنْ بَعْدِ الدَّيْمِ ، وَمَحَاضِرَةَ تُتَحَفُ الْمَحَالِسِ وَالْمَحَاضِرِ ،
وَمَدَّ كَرَاهِيَةَ يَرُوقِ النَّوَاطِرِ رَهْرَهَا النَّاضِرِ وَلَهُ أَدَبٌ دَهَبٌ فِي الْإِجَادَةِ كُلِّ

(١) مَكْتَابَةُ رَدَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّاتِ ، وَفِي النَّفْعِ (وَالْعَرَفِيَّاتِ)

مذهب ، وارتدى من البلاغة بكل رداء مُذهب ، والأدب نقطة من حَوْضه ،
وزهرة من زهرات رَوْضه ، وسيمر له في هذا الديوان ، ما يُبهر العقول ،
ويجاسن برؤائه ورائق بهائه ، الفِرَند المصقول .

فمن ذلك ما خرَّجته من ديوان شعره المسمى « بالسُّليمانيات والعربيات »

من النَّسب :

بفاس من الدرب الطويل مطالعه	ألا أستودع الرحمن بدمراً مكلاً
وفي أفق الأكباد تُلقى مواعده	وفي قَلْبِكَ الأزرار يطلع سعده
فتصدَّق في قطع الرجاء قواطعه	يُصير (١) مرآه منجم مُفلستي
وماء الحيا فيه ترَجَّرَج مائه	تجسَّم من نور (٢) الملاحه خده
فيحمرُّ قانيه ويبيضُ ناصعه	تلوَّن كالحرباء في خجلاته
كغُصن النَّقا غنَّت عليه سواجعه	إذا اهتزَّ غنى حليته فوق نحره
وتقطف من واور العذار توابعه	يذكر حتف الصبِّ عامل قلره
فهذا هو الماضي وذاك يُضارعه	أعدَّ للورى سيفاً كسيف لحاظه

ومن أخرى في النَّسب ، وتضمَّنت التورية الحسنة :

وهجرُك أم ليل السلم لتائق	وصالك هذا أم تحيةُ بارق
بصفحة خدى من دموع سوابق	أناديك (٣) والأشواق تركض حجرها
قضت مهجتي بين العذيب وبارق	أبارق ثغر من عُذيب رُضابه

ومنها :

فلا تُتعبنَّ ريح الصُّبا في رسالة ولا تُخجل الطيف الذى [هو طارق] (٤)

(١) وردت في الإسكوريال يسير . والتصويب من النفع .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (ماء)

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي النفع (أباديك)

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (كان طارق) .

منى طعمت عيني الكرى بعد بعدكم فإني في دعوى الهوى غير صادق
 [قوله « أبارق ثغر من عذيب رضابه » ينظر إلى قول ابن التبيه في م
 ذلك :

يلوى على زرد العذار دلالة كم فتنة بين اللوى وزرود]
 ومن قصيدة ثبتت في السليمانيات :

بدا بدر تم فوقه الليل عسعسا وجنة أنس في صباح تنفسا
 حوى النجم قرظاً والدرارى مقلدا وأسبل من مسك اللوايب (١) حنلما
 كأن سنا الإصباح رام يزورنا وخاف العيون الرامقات فقلسا
 أتى يحمل التوراة (٢) ظبياً مزنرا لطيف التثنى أشنب الثغر ألعسا
 وقابل أحبار اليهود بوجهه فبارك ربّي (٣) عليه وقتلما

ومنها وتماجن ما شاء غفر الله له :

رويت ولوعى من ضلوعى مُسلسلا فأصبحت في علم الغرام مُدرسا
 نعى النوم عنى كى [أكون مسهدا] (٤) فأصبحت في صيد الخيال مهندسا
 غزال من الفردوس تسقيه أدمعى ويأوى إلى قلبى مثيلا ومكنسا
 طغى ورد خديه بجنات (٥) صدغه فأضعفه بالآس نبتا وما أسا

[قوله طغى ورد خديه ، البيت محال على معنى فلاحى ، إذ من أقوالهم

أن الآس ، إذا اغترس بين شجر الورد ، أضعفته بالخاصية] .

وقال أيضاً من قصيدة مهيارية :

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (الذوابة) والأولى أرجح

(٢) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (التورية) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مولانا) .

(٤) هكذا وردت في النسخ ، وفي الإسكوريال (منجما) .

(٥) هكذا وردت في النسخ ، وفي الإسكوريال (بجان) .

نام طفل النَّبْتِ في حجر النَّعَامِ لاَهْتَزَّازِ الطُّلِّ في مَهْدِ الخَزَامِ
 وَسَقَى الوَشْمِيَّ أَغْصَانِ النَّقَا فَهَوَتْ تَلْتَمُ أَفْوَاهِ النَّدَامِ
 كَحَلِّ الفَجْرِ لَهُمْ جَفْنِ الدُّجَى وَغَدَا في وَجْنَةِ الصُّبْحِ لِشَامَا
 تَحْسَبُ البَدْرَ مُحْيَاً ثَمَل قَدْ سَقَنَتْ رَاِحَةَ الصُّبْحِ مُدَامَا
 حَوْلَهُ الزَّهْرَ كَوُوسٍ قَدْ غَدَتْ مِسْكَةٌ (١) اللَّيْلِ عَلِيهِنَّ خَتَامَا
 يَا عَلِيلَ الرِّيحِ رِفْقاً عَلْنِي أَشْفَ بِالسَّقَمِ الَّذِي حُزَّتْ سِيْقَامَا
 وَأَبْلَغْنَ شَوْقِي عَرِيْباً (٢) بِاللَّوِي هَمَّتْ في أَرْضِهَا حَلُّوا غِرَامَا
 فَزَنَقُوا نَمِيْنَهَا مِنَ الدُّرِّ حَصِي ضَرَبُوا فِيهَا مِنَ المِسْكِ خِيَامَا
 كُنْتُ أَشْفَى غَلَّةً مِنْ صَدِّكُمْ لَوْ أَذِنْتُمْ لَجُفُونِي أَنْ تَنَامَا
 وَاسْتَفَدْتُ الرُّوحَ مِنْ رِيحِ الصَّبَا لَوْ أَتَتْ تَحْمَلُ مِنْ سَلْمِي سَلَامَا
 نَشَأْتُ لِلصَّبِّ مِنْهَا زَفْرَةٌ تَسْكُبُ الدَّمْعَ عَلَي الرِّبْعِ سِجَامَا
 طَرِبَ البَرْقُ مَعَ القَلْبِ بِهَا وَهَا الأَنْتَاتُ طَارَحْنَ الجِمَامَا
 طَلَلٌ لَا تَسْتَشْفِي الأُذُنَ بِهِ وَهُوَ لِلعَيْنَيْنِ قَدْ أَلْقَى كَلَامَا
 تَرَكُ السَّاكِنَ لِي مِنْ وَضْلِهِ ضَمَّةُ الجُدْرَانِ (٣) لَثْمًا وَالتَّرَامَا
 نَزَعَاتٍ مِنْ سَلِيْمَانٍ بِهَا فَهَمَّ القَلْبُ مَعَانِيهَا فَهَامَا
 شَادَنْ يَرْبَعِي حَشَاشَاتِ الحَشِي حَسْبُ حَظِّي مِنْهُ أَنْ أَرْعَى الذَّمَامَا

وقال من قصيدة أولها في عرض النسيب :

أأرجو أماناً منك واللحظ غادر ويثبتُ عقلي فيك والطرف ساحر
 أعدُّ سليمان أليم عساده لهدُّهُدًى (٤) قلبي فهو للسير صائر

(١) وردت في الإسكوريال، (سكية)، والتصويب من النفع

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال، وفي النفع (عريب)

(٣) وردت في الإسكوريال (البدبان)، والتصويب من النفع.

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال، وفي النفع (الطائر) والأولى أرجح.

أشاهد منه الحُسن في كل نظرة
دَعَتْ للهِوى أنصار سحر جُفونه
إذا شقَّ عن بدر الدجى أفق ذرّه
وفي حُرْم السلوان طافت^(١) خواطري
وقد ينزع القلب المُبلى لسَلوة
يقابل أغراضى بضدُّ مرادها
ونارُ اشتياقي [صعدت] ^(٢)مُزَن أدمعى
وقد كنت باكى العين والبين غايب
وليس النوى بالطبع مرأً وإنما
ومنها في وصف ليلة :

وزنجية فات الكؤوس بنحرها
ولا عيب فيها غير أن ذبأها
تجنبت فيها نيل كل صغيرة
ومن السليمانيات من قصيدة :

يا بارقا قاد الخيال فأومضا
ذاك الذى قد كنت تعهدنا بما
لا تحسبني مُعرضا عن طيفه
عجب الوشاة لمهحتى أن لم تذبُ
ومنها :

خفيت لهم من سرِّ صبرى آية ما فهمت إلا سليمان الرضا

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (طابت) .

(٢) هذه الكلمة واردة في النسخ ، وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في النسخ .

لله درك ناهجاً سبل الهوى
أمّنت نملأ فوق خدك سارحا
فلمثله أمر الهوى قد فوضا
ومن الأمداح قوله من قصيدة :

حريص على جرّ النوايب والقنا
وتعتنق الأبطال لولا سقوطها
إذا كعت الأبطال والجو عابس
لقلت لتوديع أنته الفوارس
مجال وهم في راحتيه فرائس (١)

وقال يمدح السلطان أمير المسلمين أبا الوليد. نصر عند قدومه من فتح

أشكر (٢) من قصيدة أولها :

بعيـث البـنود الحـمر والأسـد الورد
وتحت لواء النصر ملك هو (٣) الوري
تأمّنت الأرواح في ظل بنسده
قلو رام إدراك النجوم لئالها
كـتائب سـكّان السـماء لها جنـد
تضيق به الدنيا إذا راح أو يغدو
كأنّ جناح الروح من فوقه بند
ولو هم لأنقادت إليه السند والهند
تُنمنمه [وهنا] (٤) كما نغم البرد
ووقع القنا رعداً إذا برق الهند
وفي وصف آلة النقط :

وظنّوا بأن الرعد والصعق في السما
عجائب أشكال سما هزمس بها
[فحاق بهم من دونها] (٥) الصعق والرعد
مهندمة (٦) تأتي الجبال فتنهّد

(١) هكذا وردت في النسخ ، وفي الإسكوريال (عرايس) . والأولى أرحح بالنسبة للمعنى

(٢) هي بلدة أندلسة تقع شمال مدينة سطة وشرق مدينة قبيجاطة وبالإسبانية Huecar

(٣) هكذا وردت في النسخ ، وفي الإسكوريال (هدى) والأولى أكثر تمثيلاً مع المعنى

(٤) هذه الكلمة واردت في النسخ وسقطت في الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، ووردت محرقة في النسخ كالأولى (محاق به

من أيده)

(٦) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ في (مهندمة) .

إلا إنها الدنيا تريك عجائبا وما في القوى منها فلا بُد أن يبدو

وكتب وهو معتقل بسبب عمل تولاه جحدرية أولها :

تباعد عني منزلٌ وحبیب وإني على قرب الحبيب مع النوى
وهاج اشتياقي والمزار قريب ولقد بُعدت عني ديارٌ قريبة
عجبت لجار العجب وهو غريب ومنها :

أعاشر قوماً ما تقرر نفوسهم إذا شعروا من جارهم بتأوه
فلا ذاك يشكوهم هذا تأسفاً كأتى في غاب الليوث مُسلماً (٢)
فلهم فيها عند ذاك ضروب تحكّم فينا الدهر والعقل حاضر
أجابته (١) منهم زفرةٌ ونحيب ولو مال بالجهال مئيلته بنا
لكل امرئ مما دهاه نصيب رفیق بمن لا ينثنى عن جريمة
يروغنى منها الغداة وثوب وتطمعنا منه بوارق خُلب
بكلّ قياس والأديب أريب (٣) إذا جاء بعذرٍ إن ذا لعجيب
لجاء بعذرٍ بمن ما أوبقته ذنوب وإذا ما تشبثنا بأذيال بُسرده
نقول عساه يرغوى ويتسوب إذا خفق البرق الطروق (٥) أجا به
دهتنا إذا جرّ الديول (٤) خطوط سوى أنه بالحداث لُعوب
ومنها :

أيا دهر إني قد سئمت تهدي إذا خفق البرق الطروق (٥) أجا به
أجرني فإن السهم منك مصيب فؤادي ودمع المقلتين سكوب

(١) وردت في الإسكوريال (أحاسيم) والتصوب من العج .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (سالم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي نسخ (أدب) وهو تحريف .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (الخلوب) .

(٥) هكذا وردت في النسخ ، ووردت في الإسكوريال (الطروب) والأولى أرحح .

وإن طلع الكف الخضيب بسحره (١) فدمعى بعناء الدماء خضيب
تُدكّرني الأسحار داراً ألفتها فيشتد حُزنى والحمام طروب
إذا عَلِقْتِ نفسى بليت وربما تكاد تفيض أو تكاد تذوب
دعوتك ربى والدعاء ضراعة وأنت تُناجى بالدعا فتجيب
لئن كان عُقْبَى الصبر فوزاً أو غبطة فإني على الصبر الجميل دَرُوب
وبعثتُ إليه هدية من البادية ، فقال يصف منها ديكا ، وكتب بذلك
رحمة الله عليه :

أيا صديقاً جعلته سندا فراح فيما أحببه وغدا
طلبت منكم صُرَيْدًا كاخنا وجهتموني مكانه لبدا
صير منى مؤرخاً ولكم ظللتُ في علمه من البلدا
قلتُ له آدم أتعرّفه قال خَفِيدى بعصرنا (٢) ولدا
نوحٌ وطوفانه رأيتهما قال عَلَوْنَا لفيضه أحدا
فقلت هل لي بجرهم خبير فقال قومي وجيرتي السعدا
فقلت قحطان هل مررت به قال نفثنا ببرد العُقدا
فقلت صف لي سباً وساكنها فعند هذا تنفّس الصعدا
وقال كم لي بدُجْنهم سحرا من صرخة لي وللنوم هدا
فقلت هاروت هل سمعت به فقال ريشى لِسحره نَفِدا
فقلت (٣) كسرى وآل شرعته فقال كنا بجيشه وَقِدا
ولوا وصاروا وها أنا لبد فهل رأيتم من فوقهم أحدا
ديكُ إذا ما انثنى لفكرته رأى الوجود (٤) طرايقاً قُددا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (سحيرة) .
(٢) هكذا في النسخ ، وفي الإسكوريال (بصره) والأولى أرحح
(٣) وردت في الإسكوريال (فقال) والتصويب من النسخ .
(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (وجودا) .

يرفل في طيلسانه ولها
 إذا دجا الليل غاب هيكله
 كأنما جنسار لحيته
 كأن حصنا علا بهامته
 يرنو بياقوتتى لواحظه
 كأن منجالتي ذؤابتة (١)
 وعوسج مد من مخالبه
 فذاك ديك حلت محاسنه
 يطلبني بالذى فعلت به
 وجهته محنة لا كلسه
 قد صير الدهر لوته كميذا
 كأن جيرا عليه قد جمدا
 برجان حازا من الهواء مدا
 أعدده للقتال فيه عدا
 كأنما اللحظ منه قد رمدا
 قوس سما من أجله يعبدا
 طغى بها في نقساره وعدا
 له صراخ بين الديوك غدا
 فكم فللنسا بلبتية مدا
 والله ما كان ذلك منى سدى

ولم نزل بعد نستعدى عليه بإقراره ، بقتله ، ونطلبه بالقود عند
 تصرفه في العمل ، فيوجه الدية ، لنا في ذلك رسائل .
 ومن شعره في غرض الحسن بن هاني :

طرقنا ديور القوم وهنا وتغليسا
 وقد رفعوا الإنجيل فوق رؤوسهم
 فدا استيقظوا إلا لصكة بابهم
 وقام بها البطريق يسعى ملبيا
 فقلنا له آمنا فإننا عصاية
 وما قصدنا إلا الكؤوس وإنما
 ففتحت الأبواب بالرحب مههم
 فلما رأى زقى أماسى ومزهرى
 وقد شرفوا الناسوت إذ عبدوا عيسى
 وقد قدسوا الروح المقدس تقديسا
 فأدهش زهبانا وروع قيسيا
 وقد لين الناقوس رفقا وتأنيسا
 أتينا لتثليث وإن شيت تسديسا
 لحننا له في القول خبثا وتدليسا
 وعرس طلاب المدامة تتريسا
 دعاني أتأنيسا لحننت وتلبيسا

(١) هكذاني الإسكوريال . وو النفع (ذوائبه) .

وقام إلى دنّ يفضّ ختامه
وطاف بها رطب البنان مُزَنَّر
سُلافا جواها القار لبسا فخلتها
إلى أن سَطَا بالقوم سُلطان نومهم
وثبتُ إليه بالعنّاق فقال لي
كتبت بدمع العين صفحة خذّه
فبيس الذي احتلنا وكدنا عليهم
فبتنا يرانا الله شرّ عصابة
وقال بديهية في غزاة من النحاس على بركة في محل طلب منه ذلك فيه :

جاءت لورد الماء مليء عيناها
ريعت بنا (٢) فتوقفت بمكانها
يوم اللقاء تحية بينانها
فرمت قضييب لجينها لحنانها
دُرّ الحجاب تصوغُه بلسانها

وفاته

فليج فالتزم المنزل عندي لمكان فضله ، ووجوب حقّه ، وقد كانت
زوجّه توفيت ، وصحّبه عليها وجدّ شديد ، وحزُنٌ مُلازم ، فلما ثقل ،
وقرُبت وفاته ، استدعاني ، وقد كان لسانه لا يُبين القول ، وأملى على
فيما وصاني به من مُهم أمره :

إذا متُّ فادفني حذاء حليلتي
ولا تدفني في البقيع بانسني
ورتب ضريحى كيفما شاء الهوى
يُخالط عظمى في التراب عظامها
أريد إلى يوم الحساب التزامها
تكون أمامى أو أكون أمامها

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (فكيس تكييسا) .

(٢) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (لنا) والأول أرجح .

لعل إله العرش يجبر صيدعتى فيعلى مُقامى عنده ومقامها
ومات فى ليلة الخامس والعشرين من عام ثلاثة وخمسين وسبعماية ،
ودفنته عصره بباب البيرة جِذاء حَليلته كما عهد ، رحمة الله عليه

يحيى بن عبد الكريم الشنتوفى^(١)

من أهل الجزيرة الخضراء .

حاله

كان كاتباً ثرثاراً ، أديباً لَوذعياً ، كثير النظم والنثر . كتب عن
أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب ، وابنه أبى يعقوب ، واحتل معهم بظاهر
غرناطة .

كتابته

كتب عن المذكور عند نزوله نمازياً ومجاهداً بظاهر شريش ما نصه :
أخونا الذى يسير بما يخلده بطون أوراق الدفاتر ، من مائور حميد
المائر ، ويتلقى ما يرد عليه من قبَلنا من منشور جزب البشائر ، بمعاشر
القبائل والعشائر ، ويفوق ما قبسته المنن لأقلام وأفواه المحابر ، فى مراقب
مراقى المنابر ، ويجمع لا وشمته سحائب الخواطر ، من روضات السجلات فى
النوادى والمحاضر ، الأمير الكذا ، أدام الله اهتزازة للأنبياء السارة وارتياحه ،
ونعم بها أرواحه ، ووصل بكل أرج من نسيم الجدل ، ومُبتهج من وسيم
الأمَل ، غدوه ورواحه ، وأحب به أرواحه . سلام كريم عليكم ، ورحمة الله
وبركاته . من أخيكم ، الذى لا يتيم بشره إلا بأخذكم منه بأوفى حظاً ،
وأوفر نصيب ، ومصافيكم الذى لا يكمل سروره ، وبجمل حُبوره ، حتى
(١) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (الشوف) .

يكون لكم فيه سهم مُصِيب ، ومَرَعَى خَصِيب ، الأمير يوسف ابن أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن عبد الحق .

أما بعد حمد الله مُجِيق الحق بتصعيده فوق النُجوم ومُعلّيه ، ومُبطل الباطل بتصريبه تحت النجوم ومُذليه ، ومطهّر الأرض من نجس دنس الكفر وأوليّه ، صَرَبًا بالمُرَهفات صبراً وطعنا بالمُشفعات إدراكا ، وجاعل بلاد الشُّرك الأَسار عُبَاد الإِفك ، بما نظمهم من سِلك المُلك ، وبددهم من حَتك السُّتر ، بالفتك والسَّفك ، حبائل لا يخرجون منها وأشراكا ، وخاذل من زلّت عن السُّور قدمه ، وخرجت من الدُّور ذِممه ، بأن يُراق دمه ، ويُعدم وجوده وقدمه ، بلوغا لأمان أمانى الإيمان وإدراكا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، ناظم فرايد الفرايد ، ومُنضد عوايد المواعد ، بالظفر المنتظر بكل جاحد مُعانِد ، قلايد لا تنتشر وأسلاكا - وسالك.مسالك الغزوات ، وناسك مناسك الخَلوات ، ومُدرك مدارك قبول الدُّعوات ، إِفناءً لأعداء الله وإِهلاكا : والرضا عن آله وصحبه ، المُرتدين بمننه ، المُهتدين بسُننِهِ ، فى إِباحة حَرَم الحَرَم ، وإِزاحة ظُلم الظُلم ، حنادس وأَحلاكا ، القارعين بِأسيافهم أَصلاب كِلاب الصُّلبان تباكا ، والقارعين أبواب ثواب الرحمن نُسّاكا ، وموالاته الدُّعاء لسيدنا ومولانا الوالد ، بتَخليد السَّعد المُساعد ، وإدارة الإرادة بَعْضد من النَّصر وساعد ، مقادير كما يشاء وأفلاكا ، وممالات آياته آيات ، هذه الرّايات ، بإدراك نهايات الغيات ، فى اشتباه أشياء ذوى الشّايات ، فلا تذر فى الأرض كُفرا ، ولا تدع فيها إِشراكا . فكتبناه ، كتب الله لإِخايكم الكريم أَرْفَع الدرجات عِلا ، وأتمّها تعظيما ، وفضلكم مع القعود عن الشهود بالنّية التى لها أكرم ورود ، وأصدق وفود ، أجرا عظيما . من منزلنا بمخنق شريش ، حيث الكتّاب

الهايلة هائلة بَدُرْها البادية الخُسوف ، والحُماة الكُماة . أكام زهرها الداني
القُطوف ، وسوار مِعْصمها النائي عن العصمة مجردات صفوف صنوف
السيوف . فالشُّفار بالأحداق ، كالأشفار بالأحداق إدارتها ، الطّاقة بحيزومها
نِطاقا ، والفتح قد لاحت مخايِلُه ، وباحت مقاوِلُه ، والكُفر فلت مناصِلُه
وعُرفت مَقاتِلُه ، والمُتُرف يتمنى أن يلقاه قاتلُه ، فلا يقاتله فرقا ،
لا يجلدون له فِراقا فواقا ، فحماتها العُناة لا يرون لإسماء نفع الكِفْاح ، لِمِعا
متلاقيا واثتلافا ، وكُماتها لا يشربون إلا من تحت دِمِهم المُطَهَّر بنجسه
وجه الأرض ، المعدى به هريقُه من فيح حُثْم يوم العَرَض ، المودى بإراقته
واجب الفَرَض ، إعدادا لامتثال الأمر الإلْمى واعتناقا .

ومن هذا الكتاب وهو طويل : ووَصَلنا والخيل تَمْرُح في أَعَنَّتْها تصلُّفا ،
وتختال في مَشِيها تَغَطْرُفا ، وتعصُّ على لُجْمها تحدُّقا وتحرفُفا ، كأنها لم تَرْم
قُصاري قُصور النصارى ، دون تصور عنها ، أغراضا وأهدافا ، ودون
معاهدة العيون وَصَف الواصف ، ولأَقْلُ مما احتوى عليه هذا الفتح ، تهتزُّ
المعاطف ، إذ الإيمان اهتزَّ إعطافا ، وتوشح به عطافا . وهل الكُتُبُ
وإن طال ، نبذة من نُبْد الفتوح ، وفلذة من كَبِد النُصر المَمْنُوح ،
وزهرة من غُصن النُدا المَرواح ، أدنينا لإخايكم الكريم منه اقتطافا ،
والسلام .

شعره

مالي وللصبر عني دونكم حَجبا وطالما هزني أنبي لكم ضربا
فحين شبَّ النوى في أضلعي لُبا هزرتُ سيف اضطباري بعدكم فُبا
وقلت للقلب يسْلو بعدكم فابا
غَيْتُم فغاب لذيذ الأنس والوسن وخائني جمدى فيكم فارقني

ذكرى ليالينا في غفلة الزمن فارقتوني وطيبُ العيش فارقتني
 وصرتُ من بعدكم حيران مكتئباً
 من لي بقربكم في حفظ عهدكم فكم ظفرتُ به أيام ودكم
 وكم جرى دمع أجفاني لفقْدكم فلو بكيتُ دماً من بُعدكم
 لم أقض من حقِّ ذاك القرب ما وجباً
 لله أيامنا ما كان أجملها أوزعتُ بآخرها شكراً^(١) وأولها
 من حُسْنها لم أزل أضبو بها ولها يا صاح صبراً على الأيام إن لها
 على تصاريفها من أمرها عجباً
 صبراً على زمن يبديك شيئته إقبلُ مساءته واحمِد مسرته
 فما عسى يبلغ الإنسان مُنيتَه ومن كرهتُ ومن أحببت صحبته
 لا بد أن يفقد الإنسان من صحبها

[قلت عجباً من الشيخ ابن الخطيب رحمه الله، في ذكره هذا المترجم به في ترجمة المقرئين، مع تخلُّيته له، ووصفه إياه بما وصفه من الكتابة والشعر، بل وإثباته له كتابته، وشعره، فكان حقّه أن يكون في ترجمة الكتاب والشعر بعد هذه الترجمة] ^(٢).

يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن محمد بن قاسم بن علي الفهري
 من أهل غرناطة، يكنى أبا الحجاج، ويعرف بالساحلي.

حاله

من «العايد»^(٣) : صدر في حَمَلَة القرآن، على وتيرة الفضلاء وسُنن

(١) وردت في الإسكوريال (سكرا) والتصويب من الزبتونة.

(٢) من الواضح أن هذه الفقرة التي وردت بين الحاصرتين، هي من عند خنصر المخطوط وناسخه.

(٣) أي عائد العلة. وهو من كتب ابن الخطيب.

الصالحين ، من ليين الجانب ، والعُكوف على الخير ، وبذل المعروف ، وحسن المشاركة ، والخُفوف إلى الشُّفاعة . أ ب الأُمراء ، وخطي بتسويدهم ، وناب في الخطابة بالمسجد الأعظم من حمرايهم^(١) ، وكان إماما به ، ذا هُدًى وسكينة ووقار . وحجٌ ، ولقى المشايخ ، واعتنق الرواية والتقييد ، فانتفع بلقاياه .

مُشِيخَتُهُ

قرأ على الاستاذ العلامة أبي جعفر بن الزبير ببلده ، وعلى الشيخ الخطيب الصوفي أبي الحسن بن فضيلة ، وعلى الخطيب الصالح ، أبي جعفر بن الزيات ، والمحدث الرِّحال أبي عبد الله بن رُشيد . وأخذ في رحلته عن جُملة ، كالخطيب الراوية ، أبي عبد الله محمد بن محمد ابن فُرتون ، وناصر الدين منصور بن أحمد المشدالي ، والأستاذ أبي عبد الله ابن جعفر اليحصبي ، وقاضي الجماعة ببجاية الإمام أبي عبد الله بن يحيى الزواوي ، والفقيه المحدث أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن الحسن الشافعي . وأجازه سوى من تقدّم ذكره ، من أهل المشرق ، عبد الغفار ابن محمد الكلابي ، وحسن بن عمر بن علي الكردي ، وعتيق بن عبد الرحمن ابن أبي الفتح العمري ، ومحمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني ، وعمر بن أبي بكر الوادي آشي ، وصالح بن عباس بن صالح بن أبي الفوارس الأُسعد الصديقي ، وأحمد بن محمد بن علي الكناني ، ومحمد بن أحمد ، وأحمد بن إسماعيل بن علي بن محمد بن الحجاب ، وأم الخير إبنة شرف الدين ابن الطباخ الصوفي . وقرأ ببلده غرناطة على الأستاذ

(١) يريد قصور الحمراء دار ملك بني نصر . وتقوم اليوم فوق موقع مسجد الحمراء الأعظم كنيسة سالتا ماريا .

أبي جعفر الطَّبَّاع ، والشيخ أبي الحسن معن بن مؤمن ، وأبي محمد النبغدي ،
وأبي الحسن البلوطي .

أنشدنا ، قال كتب إلي شيخنا محمد بن عتيق بن رشيق في الاستدعاء
الذي أجازني ، ولمن سمى فيه :

أجزتُ لهم أبقاهم الله كلما رويتُ عن الأشياخ في سالف الدهر
وما سمعت أذناى عن كل عالم وما جاد من نظمي وما راق من نثر
على شرط أصحاب الحديث وضبطهم برىء من التصحيف عارٍ من النكر
وجدى رشيق شاع في الغرب ذكره وفي الشرق أيضا فاذر إن كنت لا تدر
ولى مولدٌ من بعد عشرين حجة ثمان على الست المبين ابتداء عمرٍ
وبالله توفيقى عليه توكلى له الحمد في الحاليتين في العسر واليسر
حدثني شيخنا أبو بكر بن الحكيم ، قال ، أصابتني حمى ، فلما
انصرفت عني ، تركت في شفتي بُثوراً على ، فزارني الفقيه أبو الحجاج
السَّاحلي ، فأنشدني :

حاشاك أن تمرض حاشاكَا قد اشتكى قلبي لشكواكا
إن كنت محموما ضعيف القوى فإئننى أحسِدُ حمَّاكا
ما رَضِيتُ حمَّاك إذ باشرت جسمك حتى قَبَلتُ فاكَا

مولده : عام سبعة وستين وستماية .

وفاته : توفي رحمه الله بالحمراء العلية ، في السابع والعشرين لشهر

رمضان من عام اثنين وخمسين وسبعمائة .

ومن الكتاب والشعراء بين أصلي وغيره

يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري

يكنى أبا بكر ، ويُعرف بابن الصَّيرفي ، من أهل غرناطة .

حاله

كان نسيج وحده في البلاغة والجزالة ، والتبريز في أسلوب التاريخ ،
والتملؤ من الأدب ، والمعرفة باللغة والخبر . قال أبو القاسم ، من أهل
المعرفة بالأدب والعربية والفقه والتاريخ ، ومن الكتاب المجيدين والشعراء
المطبوعين المكثرين . كتب بغرناطة عن الأمير أبي محمد تاشفين ، وله
فيه نظم حسن .

مشيخته

قرأ على شيوخ بلده ، وأخذ عن العالم الحافظ أبي بكر بن العربي ونمطه :

تواليافه

ألف في تاريخ الأندلس كتابا سماه « الأنوار الجلية في أخبار الدولة
المرابطية » ضمنه العُجاب إلى سنة ثلاثين وخمسمائة . ثم وصله إلى قرب
وفاته ، وكتابا آخر سماه « تقصى الأنباء وسياسة الرؤساء » .

شعره

قال أنشدت الأمير تاشفين في هلاك ابن رُدْمير^(١) :

أشكو الغليل بحيث المشرب الخضر حسي وإلا فوردُ ماله صدرُ
تجهمت لي وجوه الصبر مُنكرة ولاحظتني عيونُ حشوها حذرُ

(١) هذا الاسم يطلق في الرواية العربية على الفولسو الحارب ملك أراجون . وقد سبق التعريف به
(راجع المجلد الثاني من الإحاطة ص ١٢١ حاشية) .

إلى لأَجْزَعٍ من ذلك الوعيد وفي
 فلت سلاحى الليالى أى ظالمة
 مُشِيْعًا كنت ما استصحبت من أمل
 فها أنا وعزيز فى نَامِسَّة
 يا حى علره فُتياكم بنسازلة
 ما الحكم عندكم إذ نحن فى حُرْم
 أرعانى الشهب فى أحشاء ليلتها
 يفتُرُّ عن بُرد من حوله لَهَبٌ
 وبين أجفانه نهيف الأمير أبى
 سيفٌ به ثلَّ عرش الروم واطَّادَتْ
 وأدرك الدين بالشار المُنِيم على
 مُنَى تُنال وأيامٌ مُفَضُّضَةٌ
 وفى الذُّوَابَةِ من صنهاجة مَلِكُ
 مؤيدٌ من أمير المسلمين له هوى
 أنحى على الجور بمحو رَسْمٍ أَحْرَفَهُ
 يا تاشفين أما تنفكُ بِـ ادارة
 وكم ترنح فى رَوْضٍ جَسَدَاوَلَه
 هى الترابك فوق الهام لا حَبَبٌ
 لك الكتائب ملء البيد غازيةٌ
 على ساكبها للننقع أَرْدِيَّةٌ من
 تدبُّ منها إلى الأعداء سابلة
 بعثتها أسدًا شتى إذا مَرَجَتْ

ملقى الأسنَّة منّا مَعَشْرٌ صَبِر
 ولو أعادتُ شبابى كنتُ أنتصر
 كما يُشِيْعُ سهمُ النَّازِعِ الوَتِير
 تسود فى عينه الأَوْضاح والغُرر
 لم تنفصل يَمَنٌ عنها ولا مُضِر
 على جِنَايَةِ رامٍ سَهْمُهُ النَّظَر
 حمل من الصُّبح أرجوه وانتظر
 أو عن نبات أفاح أرضه سَقَر
 محمد تاشفين أو هو القَدَر
 قواعد المُلْك واستولى به الظَّفَر
 رغمٍ وجاءت صُروف الدهر تَعْتَدِر
 مُذْهَبَاتِ العشايا لَيْلُهَا سَحَر
 أغرُّ أبلجُ يُسْتَسْقَى به المَطَر
 ورأى ومن سيرٍ له سِـير
 حتى استجار بأحداق المهى الحور
 من راحتيك المنايا الحُمر تَبْتَدِر
 بيضُ السيوف وملتفٌ للقنى شجر
 والسَابِغَاتِ على الأَعْطاف لا القَدَر
 إذا أتت زمرٌ منها مضت زُمر
 تحتها جَلَّقَ من تحتها زُبر
 عقاربٌ ماها إلا القنسا إبسر
 جنُّ الوغا انقَضَ منها أنجمٌ زهر

لسيفه الهام في الهيجاء والقُصُر
 خيلُ الزُبَيْرِ ونار الحرب تَسْتَعِر
 والأسِنَّةُ في هام العِدا شُرر
 إن الصواعق يوم الغَيْمِ تَنكُدر
 لكن بسَعْدِكَ ما لم يُعْطه عُمر
 تَكُوبُو وتصفعها الهنديَّة البُتُر
 يسيل من كل سيف نحوه نَضِر
 عَضَّتْ ومسك من أظفاره ظَفَر
 وأين من فَتَكَاتِ الضَّيغِمْ النُّمِر
 من الأسنَّةِ حتى جاعك القسدر
 ونخاض بحر الوَغا مر كوتك الخطر

نفوس قومك منه الآي والسور
 ملء الأَعْنَةَ منها الزهو والأسر
 سمرا تُرَضِّعه اللَّبَّاتِ والثَّغَر
 من خدِّه بثغورِ زانها أشر
 منسوجة من عيون ما لها نَظَر
 على الرِّجال التي منها لها وزر
 فضُّ الرجاحة عوض الدهر ينحبر
 وجوه المنايا في الوَغا سَفَرُوا
 إلى ضرب كما فغرت أفواها الحُر
 ففمت بما مَجَّ في أحشائك اللُّعَر

يا أيها الملك الأعلى الذي سجدت
 أعزُّ جرار ضلوعى بَرَدَ ما نهلت
 حيث الغُبار دخانَ والطُّبا لهبُ
 والنَّقْعُ يطفو وبيضُ الهند راسية
 أعطى الزُبَيْرُ فتى العلياء صارمه
 ولتِه أظهرها الأبطال خاضعة
 بحر من الخلق المَسْرود مُلتَطَمُ
 أم ابنُ الزُبَيْرِ ابنُ رُذَمِيرِ بداهية
 لقد نفحت من النُّيْجان في محم
 لقد زجوتَ طليق الرِكْضِ في وَهَن
 خلعت درعا واعتَضَّتْ الظَّلامُ بها
 ومنها :

ما بال إنجيلك المتروك ما ذمرت
 أهديتها غير مشكور مُضْمَرَة
 وظل طفلُ من البولاد دانيية
 وعابسُ المنايا وهي ضاحكة
 وكل حارسة في الرُّوع لا بسها
 أعدت للحرب إنذارا سخوت بها
 قَضَتِكَ من حِمير صيد غطارفة
 ملثمون حياة كلما سَفَرْتْ لهم
 جادوا بطعن كآسماع المحاص
 وحذت عنها محبياً مُروِّهة

فَرَّتْ إِلَى حَتْفِهَا مِنْ حَتْفِهَا فَمَضَتْ
 قَالُوا نَجَا بَدَمَا النَّفْسُ مِنْكَ فَمَا
 نَوَزَعَتْ نَفْسًا عَلَى حَشِيَّتِهَا طَنْبًا
 نَصْرٌ عَزِيزٌ وَفَتْحٌ لَيْسَ يَغْدِلُهُ
 فَاهِنًا بِهِ ابْنُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَدُمٌ
 وَاهِنًا بِعَيْدِكَ وَافْخِرْ شَانِيكَ بِهِ
 جَاوَرَتْ بِحَرْكِ تَغْشَانِي مَوَاهِبُهُ
 وَالْمَوْتُ يَطْرُدُهَا وَالْمَوْتُ يَنْتَظِرُ
 نَجَا وَقَدْ بَقَّرْتَهُ الْحَيَّةُ الذُّكْرُ
 لِلْوَسَاوِسِ يَحْدُو جَيْشُهَا السَّهْرُ
 فَتَحٌ وَلِلَّهِ فِيهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ
 لِلْمَلِكِ مَا قَامَتِ الْأَصَالُ وَالْبُكْرُ
 فَإِنَّهَا نُسْكُ الْأَسْيَافِ لَا الْجِزْرِ
 فَمَنْ بِذَلِكَ وَنَظْمِي هَذِهِ الدَّرْرُ (١)

وَأُنشِدُ أَيْضًا مِنْ شِعْرِهِ قَوْلَهُ رَحْمَةً اللَّهُ عَلَيْهِ :

رَكِبْتَ خَيْلَهَا جِيُوشُ الضَّلَالِ
 مَلَقِيَاتٌ دُرُوعَهَا لَا لَوْقَتِ
 حَتٌّ فِي إِثْرِهَا الْأَمِيرُ بِعُقْبَانَ
 فِي صُقَيْلِ الْبُرَيْكِ تُحَدِّثُ لِلشَّمْسِ
 لَآثَ بِالرَّيْحِ عِمَّةً مِنْ غُبَارِ
 كَلِمَا جَرَّهَا عَلَى الصُّلْدِ أَبَقَتْ
 لَبِسْتَ أَمْرَهَا عَلَى الرُّومِ حَتَّى
 أَبْدَلْتَ هَامَهَا قِصَارَ قُؤُدِ
 وَالَّذِي فَرَّ عَنْ سَيْوَفِكَ أَوْدَى
 كُنْتَ فِيهَا وَأَنْتَ فِي كُلِّ حَرْبِ
 يَطْلُعُ الْبَدْرُ مِنْكَ حَاجِبَ شَمْسِ
 وَسُرَّتْ مِنْ رِمَاحِهَا بِذُبَالِ
 فِيهِ تَنْضُؤُ الْجُلُودِ رَقَشُ الصُّلَالِ
 جِيَادٌ هَوَتْ بِأُسْدِ رَجَالِ
 بِعَكْسِ الشُّعَاعِ حُمَى اشْتَعَالِ
 وَمَشَى لِلْحَدِيدِ فِي أَذْيَالِ
 كَخَطُوطِ الصُّلَالِ فَوْقَ الرَّمَالِ
 فَجَنَّتْهَا كَعَادَةَ الْأَجَالِ
 بِطَوَالِ مِنَ الرَّمَّاحِ الطَّوَالِ
 بِقَنَا الرُّعْبِ فِي ثَنَائِيَا الْجِبَالِ
 مُغْمَدِ النَّصْلِ فِي طِلِّي الْأَبْطَالِ
 وَيُرَى اللَّيْثُ فِي إِهَابِ هِلَالِ

(١) وردت في المخطوط تحت هذه القصيدة الفقرة الآتية : « انتهى السفر الحادى عشر والحمد لله رب العالمين ، يتلوه اختصار السفر الأخير وهو الثانى عشر ، المفتاح بقول : ومن ترجمة الشعراء من السفر الأخير ، وهو الثانى عشر المفتاح بالترجمة بعد ، من ترجمة الكتاب والشعراء ، وأنشد أيضاً من شعره قوله رحمة الله عليه . (لوحة 417)

يا لَصْنَهَا جَاجَةٌ وَحَوْلِكَ مِنْهُمْ
 مَلِكٌ لَيْسَ يَرْكَبُ الدَّهْرَ إِلَّا
 مَا عَرَا الْجَذْبُ أَوْ عَلَا الْخَطْبُ
 وَخَفِيفٌ عَلَى أُمُورٍ خِفَافٌ
 لَا عَابَ الْمِعْطَفِينَ بِالْحَمْدِ زَهْوًا
 مُسْتَرْقٍ النُّفُوسَ خَوْفًا وَحَسَنًا
 شِيمٌ كَالْغَمَامِ يَنْشُرُ فِي الرُّوْضِ
 وَسَجَايَا تَفْتَحُ زَهْرَاتِ
 أَنْتَ يَا تَاشُفِينَ وَاللَّهِ وَاقٍ
 لَيْسَ آمَالٌ مِنْ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا
 وَهْنِيًّا بَانَ نَهَضَتْ وَأَقْبَلَتْ
 وَعَلَى الْكُفْرِ مِنْكَ حَرٌّ مُجِيرٌ
 يَا فَتَى وَالزَّمَانَ نُعْمَى وَبُؤْسٌ
 وَبِمَا تَجْزَعُ النُّفُوسَ مِنَ الْأَمْرِ
 رَبُّ أَشْيَاءَ لَيْسَ يَبْلُغُ مِنْهَا
 غَيْرَ أَنَّ الْكَلَامَ إِنْ جَلَّ قَدْرًا

ومن شعره ، وقد بيت العلوم محلة الأمير تاشفين ، ويذكر حسن ثباته ، وقد

أسلمه قومه ، وهي من القصائد المفيدة ، المبدية في الإحسان المعيدة :

يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي يَتَقَنَّعُ
 وَمَنْ الَّذِي غَلَرُ الدُّوِّ بِهِ دَجَى
 تَمْضَى الْفَوَارِسُ وَالطَّعْمَانُ يَصُدُّهَا
 مِنْ مَنِّكَ الْبَطْلُ الْهَمَامُ الْأَرْوَعُ
 فَانْفُضْ كُلُّهُ وَهُوَ لَا يَتَزَعَّزَعُ
 عَنْهُ وَيَزَجْرُهَا (١) الْوَفَاءُ فَتَرْجِعُ

(١) هكذا وردت في الزيتونة ، وفي الإسكوريال (بذخرها) والأول أرجح .

صبح على هام الكفاة ممنع
 ألفان ألف حاسر ومقنَّع
 ما كان ذاك السيل مما يُردع
 إبلُ عطاش والأسنة تكرع
 وذؤابة بين الظُّبَا تتقطع
 لم يدر فيها الفجر أين المطلع
 أخرى الليالي وهَيْبَةٌ لا تُرَقَع
 حول السُّرادق والأَسِنَّة تقرع
 خِدَع الحروب وكل حرب تَخْدَع
 وتجارب في مثل نفسك تُنْجَع
 اليوم أنت على التجارب أشجع
 كانت ملوك الحرب مثلك تُولع
 ذكرى تَخُصُّ المؤمنين وتَنْفَع
 وصى بها صُنْع السَّوَابِغ تَبَّع
 أمضى على حلق الدلاص وأقطع
 أعطاك هزةً معطفيه الأشجع
 تُشجى بأَرْبَعه الريساح الأربع
 منه الصَّليب ولا يلين الأَخْدَع
 فالنَّبَع بالنَّبَع المُثَقَّف يَفْرَع
 سيان تَتَّبَع ظافرا أو تَتَّبَع
 قلبٌ على هول الحروب مُشْبِع

والليل من وضح التُّرايك والظُّبَا
 عن أربعين ثنَّتْ أَعْنَتُهَا دُجَى
 لولا رجال كالجبال تعرَّضت
 يتفحِّمون على الرماح كَأَهِم
 ومن الدُّجَى لهم على قمم الرُّبَى
 نَصْرَتْ ظلام الكُفْر ظُلْمَة لَيْلَة
 لولا ثبوتك تاشْفِين لغادرت
 فثبتْ والأقدام تزلق والسُّرْدَى
 لا تعظُمَنَّ على الأُمَيِّر فإنها
 ولكل يوم حَنَكَة وتمسُّرُ
 يا أشجع الشجعان ليلة أمسه
 أهديك من أدب الوغا حِكْمًا بها
 لا أننى أدرى بها لَسْكَنْهَا
 اختر من الخلق المضاعفة التي
 والهند وانى الرفيق فإنه
 ومن الرواجل^(١) ما إذا زعزعسته
 ومن الجياد الجُسرْد كل مُضَمَّر
 والصَّمَّة^(٢) البطل الذى لا يلتوى
 وكذلك قدرُ فى العدو حزيمة
 خندقٌ عليك إذا اضطربت محلَّة
 واجعل بيابك^(٣) فى الثَّقَات ومن له

(١) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (النابل) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الصامت) .

(٣) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (بناتك) وهو تحريف .

وتوقُّ من كَذِبِ الطَّلَاحِ إِنَّهُ لا رَأىَ لِلْمَكذُوبِ فِيهَا يَصْنَعُ
فَإِذَا اخْتَرَسَتْ^(١) بِذَلِكَ لَمْ يَكُ لِلدَّسَدِ فِي فُرْصَةٍ أَوْ فِي انْتِهَازِ مَطْمَعٍ
حَارِبِ بَعْنٍ يَخْشَى عِقَابَكَ بِالَّذِي يَخْشَى وَمَنْ فِي جُودِ كَفِّكَ يَطْمَعُ
قَبْلَ التَّنَاضُوشِ عَبٌّ جَيْشِكَ مُفْحَصًا حَيْثُ التَّمَكُّنُ وَالْمَجَالُ الْأَوْسَعُ
لِيَاكَ تَعْبِيَةُ الْجِيُوشِ مُضِيًّا وَالخَيْلُ تَفْحَصُ بِالرِّجَالِ وَتَمْرَعُ
حَصْنِ حَوَاشِيهَا وَكُنْ فِي قَلْبِهَا وَاجْعَلْ أَمَامَكَ مِنْهُمْ مَنْ يُشْجِعُ
وَالْبَسْ لُبُوسًا لا يَكُونُ مَشْهُرًا فَيَكُونُ نَحْوَكَ لِلدَّوِّ تَطْلُعُ
وَاحْتِلًّا لِتَوَقُّعِ فِي مُضَابِقَةِ الوَغَى خِدْعًا تَرْوِيهَا وَأَنْتَ مُوسَّعٌ
وَاحْذَرُ^(٢) كَمِينَ الرُّومِ عِنْدَ لِقَائِهَا وَاقْضِ كَمِينَكَ خَلْفَهَا إِذْ تَدْفَعُ
لا تُبْقِينَ^(٣) النِّهْرَ خَلْفَكَ عِنْدَمَا تَلْقَى العَدُوَّ فَأَمْرُهُ^(٤) مُتَوَقِّعٌ
وَاجْعَلْ مَنَاجِزَةَ العَدُوِّ عَشِيَّةً وَوَرَاءَ الصِّدْفِ الَّذِي هُوَ أَمْنَعُ
وَاصْدِمِهِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ لا تَرْتَدِعُ بَعْدَ التَّقَدُّمِ فَالنُّكُولُ يُضَعِّضُ
وَإِذَا تَكَاثَفَتِ الرِّجَالُ بِمَعْرَكٍ ضَنْكَ فِأَطْرَافِ الرِّيحِ تَوْسِعُ
حَتَّى إِذَا اسْتَعْصَمْتَ عَلَيْكَ وَلَمْ يَكُنِ الأَّشْمَاسُ دَائِمًا وَتَمْنَعُ
وَرَأَيْتَ نَارَ الحَرْبِ تُضْرَمُ بِالطُّبَا وَدَخَانُهَا فَوْقَ الأَسِنَّةِ يَسْطَعُ
وَمَضَتْ تَوْذُنٌ بِالصُّمَيْلِ جِيَادَهَا وَالهِامُ تَسْجُدُ وَالصُّوَارِمُ تَرَكَعُ
وَالرَّمْحُ يُثْنَى مَعْظَمِيهِ كَأَنَّهُ فِي الرِّيحِ لا عِلْقَ الفَوَارِسِ يَكْرَعُ
وَالرِّيحُ تَنْشَأُ سَجَسَجًا هَفَّافًا^(٥) وَهِيَ السَّكِينَةُ عَنِ يَمِينِكَ تَوْضَعُ

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الزيتونة . وفي الإسكوريال (واقدر) والاولى أرجح

(٣) هكذا وردت في الحلال المشوية . وفي الإسكوريال والزيتونة . (بلقين) . والاولى أسب

للمعنى ولياق .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي الحلال المشوية (فنشروه) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حياة) .

يعطيك من أكثر ما يمنع
واضرب وجوه كُلماتها إذ ترجع
من قوَّة الأبدان فيها أنفع
حتى يكون لك المحلُّ الأرفع
كانت تُرفِّه الوغى وتُرفِّع
فعلُ الجميل وسُخطك المتوقِّع
يهفو وتنبؤ المرهفات القطع
وإليكُم في الرُّوع كان المَفزع
كلُّ بكلِّ عزيمة تُستطلع
لكم التفات نحوه وتجمع
جفنٌ وقلبٌ أسلَمته الأضلع
شنعاءٌ وهى على رجال أشنع
كلُّ وفضل سابق لا يُرفع
وبكلِّ جيدٍ رِبْقَةٌ لا تُخلع
وشفيِعُكم فيما يشاء مُشَفِّع
وأنيقُم من قالةٍ تُستشنع
إحسانه لجديعكم يتسرِّع
أكنافه إن الكريم سُميدع
فهجعتم وجفونهُ لا تهجع
أذرى وأشهر في الخطوب وأضلع
ولسطوةٍ لو شاء فيكم موضع
فالليل والقدر الذي لا يُدفع

أقصر الكمين على العدو فإنه
وإذا هزمتَ عداك فاحذر كرها
وهى الحروب قُوى النفوس وحزبها
ثم انتهض بجميع من أخدمته
وبذاك تعتَب إن تولت عصبته
من معشرٍ إعراض وجهك عنهم
يكبو الجواد وكل حَبر عالم
أنى قرعتم يابنى صنهاجة
ما أنتم إلا أسودٌ حفيَّة
ما بال سيدكم تورط لم يكن
إنسان عين لم يصبه منكم
تلك التى جرَّت عليكم خُطَّة
أو ما ليوسف جدُّه مِننٌ على
أو ما لوالده على نعمة
ولكم بمجلس تاشفين كرامة
ألا رعيتم ذاك وأحسابكم
أبطأتم عن تاشفين ولم يزل
رُدَّت مكارمه لكم وتوطأت
خاف العدى لكن عليكم مُشَفِّعا
ومن العجايب أنه مع سنه
ولقد عفا والعمو منه سجيَّة
يا تاشفين أقم لجيشك عُذره

هجم العدو دُجى فروع مُقبلا
لا يزدهى إلا سواك بها
لما سَدَدَتْ له الثَّنيَّة لم يكن
وكذاك للعير^(١) إقدام على
ولقد تقفاها الزبير وقد نجت
وغدا يعاقب والنفوس حمية
أعطش سلاحك ثم أوردتها الوغا
كم وقعة لك في ديارهم اثنت
النعمة العظمى سلامتك التى
لا ضيعَ الرحمن سعيك إنه
نستحفظ الرحمن منك وديعة^(٢)

ومضى يهيم وهو منك مسروع
ولا إلا لغيرك بالسنان يققع
إلا على ظهر المنية مهيب
أسد العرين الورد مما يجزع
إلا فلولا وإن منه المشرع
والسمر هيم والصوارم جوع
كيما يلد لها ويصفو المشرع
عنها أعزتها تذل وتخضع
فيها من الظفر الرضى والمقنع
سعى به الإسلام ليس يضيع
فهو الحفيظ لكل ما يستودع^(٣)

وفاته : بغرناطة في حدود السبعين وخمسمائة

ومن ترجمة الشعراء من السفر الأخير

وهو الثاني عشر المفتح بالترجمة بعد^(٣)

يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التطيلي الهذلي

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (العين) .

(٢) نظم ابن الصير في هذه القصيدة الرنانة في مديح الأمير تاشفين بن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي والإنشادة بأعماله الخيرية ووقائمه المظفرة في الأندلس ، وقد أخاره والده ولايتها منذ سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦م) . وكانت غرناطة يومئذ هي مركز الحكم المرابطي . وكان ابن الصير في الكتاب والمؤرخ ، وهو من أهل غرناطة ، من كتاب الأمير تاشفين . وقد قام الأمير تاشفين خلال حكمه بغزوات عديدة في أراضي قسالة ، وخاص مع القشتاليين عدة وقائع مظفرة .

(٣) ورد هذا العنوان في رأس اللوحة (418) إسكوريال في منصف ترجمه ابن الصير في ، فرأينا

إثباته هنا بعد إختتامها .

أصله من تَطِيلَة ، وهو غرناطي ، يكنى أبا بكر .

حاله

قال أبو القاسم المَلَّاحي ، أديبُ زمانه ، وواحدُ أقرانه ، سيال القريحة ،
بارع الأدب ، رائق الشعر ، عَلِمَ في النحو واللغة والتاريخ والعروض ،
وأخبار الأمم ، لحق بالفحول المتقدمين ، وأعجزت براعته ، براعة
المتأخرين ، وشعره مُدَوَّنٌ ، جرى في ذلك كله طليق الجُمُوح . ثم انقبض ،
وعكف على قراءة القرآن ، وقيام الليل ، وسرد الصوم ، وصنع المُعَشَّرات
في شرف النبي عليه الصلاة والسلام . وأشعاره كثيرة ، من الزهد والتذكير
للآخرة ، والتجريد من الدنيا ، حتى جُمع له من ذلك ديوان كبير .

شعره

من ذلك قوله من قصيدة :

وَجِلْمُكَ حَتَّى مَا أَقَلَّ نَوَاطِرِي	أَذُوبٌ حَيَاءً إِنْ تَذَكَّرْتُ زَلَّتِي
عَلَى مِثْلِ أَطْرَافِ الْقَنَا وَالتَّوَاتُرِ	وَأَسَكْتُ مَغْلُوبًا وَأَطْرَقَ خَجَلِي
عَلَى الذَّنْبِ بَعْدَ الذَّنْبِ يَا خَيْرَ غَافِرِ	تَعُودُ بِصَفْحٍ إِثْرَ صَفْحٍ تَكَرَّمَا
وَتَنْظُرُ مِنِّي فِي خِلَالِ جَسْرَائِرِ	وَتَلْحِظُنِي بِالْعَفْوِ أَثْنَاءَ زَلَّتِي
وَمَا لَكَ عِنْدِي مِنْ خَفَى ضَمَائِرِ	وَحَنٌّ هَوَاكِ الْمُسْتَكِينِ بِأَضْلَعِي
وَلَوْ جِيتُ فِيهِ بِالنَّجُومِ الزَّوَاهِرِ	لَمَا قُمْتُ بِالْمُعْشَارِ مِنْ عَشْرِ عَشْرَةٍ
تَنْوُءُ احْتِمَالَاتِي بِأَعْبَاءِ شَاكِرِ	فِيهَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الصَّفْوَحُ وَمَنْ بِهِ
أَلْفٌ بِهَا حَدُّ الْهَوَى وَالْهَوَاجِرِ	أَنْلِنِي مِنْ بَرْدِ الْيَقِينِ صِبَابَةً
الْعِدَا إِلَى تَغْطِيَنِي بِسُودِ الْغَدَائِرِ	وَحِلَّتِ الدُّجَى عِنْدَ هَابَتِ سُورِي
فَذَرْتُ بِقَايَا الْكُحْلِ مِنْ جَفْنِ سَاهِرِ	وَخَافَتِ عَنِّي مِنْ السَّهْدِ وَالْبِكََا

وقال راداً عن ابن رشد حين ردّ على أبي حامد في كتابه المسمى «تهافت

التهافت»

كلام ابن رشد لا يبين رشاده هو اللبيل يعشى الناظرين سواده
ولا سيما نقض التهافت إنه تضمن برساما يعزُّ اعتقاده
كما لطرده المحموم في هذيانه يقوه بما يُملى عليه اخنذاده
أتى فيه بالبهت الصريح مغالطا فما غير البحر الخضم ثماده
وحاول إخفاء الغزاة بالسُّها فأخفق مسعاه ورُدَّ اعتقاده
دلایل تعطيك النقيضين بالسوى وأكثر ما لا يستحيل عناده
إذا أوضح المطلوب منها وضده يبين على قرب وبان انفراده
وأنت بسيد الفكر عن ترهاته فمعظمها رأى يقلُّ سداؤه

ومن شعره :

إليك بسطت الكفّ في فحمة الدجى نداءً غريق في الذنوب عريق
رجاك ضميري كي تخلّص جُملي فكم من فريقٍ شافعٍ لفريق

مشيخته

أخذ عن أبيه أبي عبد الله، وحدث عن الأستاذ أبي الحسن جابر بن محمد
التميمي، وعن الأستاذ المقرئ ببلنسية أبي محمد عبد الله بن سعدون
التميمي الضرير، عن أبي داود المقرئ. وقرأ أيضاً على الخطيب
أبي عبد الله محمد بن عروس، وعلى القاضي العالم أبي الوليد بن رشد.
مولده: فجر يوم الثلاثاء الخامس والعشرين لمحرّم تسعة وخمسين
وخمسمائة.

وفاته: بقرنطة عام تسعة وعشرين رستمائه.

يحيى بن بقی

من أدل وادی آش:

حاله

بارع الأدب ، سیال القریحة ، كثير الشعره جیده فی جميع أنواعه .
وكان مع ذلك موصوفا بغفلة .

شعره

بیئ غزال غازلته مُقلتی	بین العلیب و بین شطی بارق
وسألت منه قُبلة نُشفی الجوی	فأجاب عنها بوعد صسادق
وأیت دنزله وقد هَجع العدا	أسرى إليه كالخیال الطارق
بتنا ونحن من اللجی فی لُجة	ومن النجوم الزهرتحت سُرادق
عاطيته واللیل یسحب ذيله	صبأ كالمسك العتیق لناشق
حتى إذا ما مالت به سِنَّة الكرى	باعده شیئا وكان معانِق
أبعده من أضلع تشتاقه	کی لا ینام علی وسادِ خافق
وضممته ضمَّ الكمی لسيفه	وذؤابتاه حمایل فی عاتق
لما رأیت اللیل ولی عمره قد	شاب فی لیم لسه ومفسارق
ودعت من أهوی وقلت تَدسُفا	أعزز علی بأن أراك مُفسارق

وفاته : توفي بمدينة وادی آش سنة أربعین وخمسماية .

يحيى بن عبد الجلیل بن عبد الرحمن بن مجیر الفهری

فرنشون ، وقال صفوان إنه بلیی ، یکنی أبا بكر .

حاله

قال ابن عهه الملك ، كان فی وقته شاعر المغرب ، لم یکن یجرى

أحد مجراه ، من فحول الشعراء . يعترف له بذلك أكابر الأدباء ، ويشهده له بقوة عارضته وسلامته طبعه ، قصائده التي صارت مثالا ، وبُعِدَت على قريها منالا . وشعره كثير مدون ، ويشتمل على أكثر من سبعة آلاف بيت وأربعمائة بيت . امتدح الأمراء والرؤساء ، وكتب عن بعضهم ، وحظي عندهم حُظوة تامة ، واتصل بالأمير أبي عبد الله بن سعد^(١) ، وله فيه أمداح كثيرة . وبعد موته انتقل إلى إشبيلية ، وبملازمته للأمير المذكور ، وكونه في جملته ، استحق الذكر فيمن حل بغرناطة . ومن أثرته لدى ملوك^(٢) مراكش ، أنه أنشد يوسف بن عبد المؤمن يهنيءه بفتح من قصيدة :

إن خير الفتوح ما جاءت عفواً مثل ما يخطب البليغ ارتجالاً
قالوا ، وكان أبو العباس الجراوى الأعمى الشاعر حاضراً ، فقطع عليه ، لحسادة وجدها ، فقال يا سيدنا اهتمم فيه بيت ابن وضاح :

خير شراب ما جاء عفواً كأنه خطبة ارتجال

فبدر المنصور ، وهو حينئذ وزير أبيه ، وسنه في حدود العشرين من عمره ، فقال إن كان قد اهتممه ، فقد استحقه لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف ، فسُرَّ أبوه لجوابه ، وعجب منه الحاضرون .

ومرَّ المنصور أيام إمرته بلوقية^(٣) من أرض شلب ، ووقف على قبر أبي محمد بن حزم ، وقال عجبا لهذا الموضع ، يخرج منه مثل هذا العالم .

(١) هو الأمير محمد بن سعد بن مردنبس . أمير بلنسية وأمير الشرق المتوفى سنة ٥٦٧هـ

(٢) وقد سبق التعريف به وترجم له ابن الخطيب في المجلد الثاني (ص ١٢١ - ١٢٧) .

(٣) هذا التعبير فيه تجاوز . لأنه لم يكن بالقرب يومئذ ملوك ، وإنما كان ثمة خلفاء الموحدين .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وهو إما تحريف ، وإما أن ابن الخطيب قد وهم

في ذكر اسم الموضع الذي دفن به العلامة ابن حزم . فهذا الموضع هو قرية أسرته انبعاث منت ليشم وبالإسبانية Casa Montejo من أعمال مدينة لبلنة بولاية الغرب ، وليس من أعمال شلب التي تبعد عنها غربا بمسافة كبيرة .

ثم قال ، كلُّ العلماءِ عيالٌ على ابنِ حزم . ثم رفع رأسه ، وقال ، كما أن
الشعراءِ عيالٌ عليك يا أبا بكر ، يخاطب ابن مجير .

شعره

من شعره يصف الخيل [العتاق]^(١) من قصيدة في مدح المنصور :

له حُطَّت الخيلُ العِتاقُ كأنها عرايسُ أغنتها الحجولُ عن الحُلا
فلم تبغُ خلخالاً ولا التمسْتِ وقفاً فمن يَفْقُ كالطُّرسِ تحسبُ أنه
وإن جرَّوه في ملاءتِه التَّفأُ وأبْلُقُ أعطى الليلُ نصفَ إهابه
وغار عليه الصبحُ فاحتبسَ النُّصفاً ووَزِدُ تغشى جلده شفقُ الدُّجى
فإذا حازه حلَّى له الذَّيلُ والعُرْفَاُ وأشقرُ مجَّ الراحِ صِرفاً أديمه
وأصفرُ لم يسمحَ بها جلده صِرفاً وأشهبُ فِضَى الأديمِ مُدْنَرُ
عليه خُطوطٌ غيرُ مُفهِمةٍ حَرْفاً كما خطر الزاهي بمُهْرَقِ كاتبٍ
يجر عليه ذيله وهو ما جِرفا تهبُّ على الأعداءِ منها عواصفُ
تَنسِفُ أرضَ المشركينَ بها نَسفاً ترى كلَّ طِرفٍ كالغزالِ فتمتري
فربته مُهراً وهي تحسبه خَشفاً وقد كان في البَيْداءِ يألَفُ سِرْبِه
ما أردت الجِرَى أعطاكه ضعفاً تناوله لفظُ الجوادِ لأنَّه متى

ولما اتخذ المنصور ستارة المقصورة بجامعه ، وكانت تُنْبِرة على
انتصابها ، إذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلاه ، واختفائها إذا انفصلوا
عنها ، أنشد في ذلك الشعراء ، فقال من قصيدة أولها :

أَعَلَمْتَنِي أَلْقَى عَصَا التُّسْيَارِ فِي بِلْدَةِ لَيْسْتِ بَدَارِ قَرَارِ

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالآتي : تطارحت تطلب

ذالقصف والقفا .

ومنها في وصف المقصورة :

طورا تكون بمن حَوْتِه محيطَةٌ فكأنها سورٌ من الأسوار
وتكون حيناً عنهم مخبُوءَةٌ فكأنها سرٌّ من الأسرار
وكأنما عَلِمَت مقادير الورى فتصرفت لهم على مقدار
فإذا أَحَسَّت بالإمام يزورها في قَوْمِه قامت إلى الزوار
ويكفى من شعر ابن مُجِير هذا القدر العجيب رحمه الله .

من روى عنه

حدث عنه أبو بكر محمد بن محمد بن جمهور ، وأبو الحسن بن الفضل ،
وأبو عبد الله بن عيَّاش ، وأبو علي الشلوبين ، وأبو القاسم بن أحمد
ابن حسان ، وأبو المتوكل الهيثم ، وجماعة .
وفاته : توفي بمراكش سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وسنه ثلاث
وخمسون سنة .

يوسف بن محمد بن محمد اليحصبي اللوشي ، أبو عمر

حاله

من كتاب ابن مسعدة^(١) ، خطيب الإمامة السعيدة النصرية الغالبية ،
وصاحب قلمها الأعلى . كان شيخا جليلا ، فقيهاً ، بارع الكتابة ، ماهر
الخطَّة ، خطيباً مِضْقِعاً ، منقطع القرين في عصره ، منفردا عن النظير
في مِضْره ، عزيزاً ، أنوفاً ، فاضلاً ، صالحاً ، خيراً ، شريف النفس ،
منقبضاً ، وقوراً ، صموتا ، حسن المعاشرة ، طيب المحادثة .

(١) هو أحمد بن محمد بن سعد بن مسعدة المتوفى سنة ٢٩٩ هـ . وكتابه المشار إليه هو « تاريخ
قومه وقرابته » . وقد ترجم له ابن الخطيب في المجلد الأول من « الإحاطة » (ص ١٦٢ - ١٦٦) .

مشيخته

حدّث عن والده الشيخ الراوية أبي عبد الله ، وعن الأستاذ ابن يربوع .
ولقى بإشبيلية الأستاذ أبا الحسن الدبّاج ، ورئيس النحاة أبا علي
الشلوبين وغيرهم .

شعره

ومن شعره ، وإن كان غير كثير ، قوله :

شردّ النوم عن جفونك وانظر كلمةً توقظ النفوس النياما
فحرام على امرئٍ يشاهد حكمة الله أن يلدّ المنساما
وقوله :

ليس للمرء اختيار في الذي يتمنى من حراك وسكون
إنما الأمر لربٍّ واحد إن يشاء قال له كن فيكون

وفاته : توفى في المحرم من عام ستين وستماية ، ودفن بمقبرة باب
إلبيرة . وحضر جنازته الخاصة والعامة ، السلطان فمن دونه ، وكلُّ
ترحم عليه ، وتفجع له . حدثني حافده شيخنا ، قال ، أخرج الغالب بالله ،
يوم وفاته ، جبّة له ، لبيسته مرفوعة ، من ملف أبيض اللون ، مخشوشنة ،
زعم أنها من قديم مكسبه من ثمن مغنم ناله ، قبل تصير الملك إليه ،
أمر ببيئتها ، وتجهيزه من ثمنها ، ففعل ، وفي هذا ما لا ما مزيد عليه من
الصحة والسلامة ، وجميل العهد ، رحم الله جميعهم .

يوسف بن علي الطرطوشي ، يكنى أبا الحجاج

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله من أهل الفضل والتواضع ، وحسن

العشرة ، مليح الدُّعابة ، عذب الفكاهة ، مُدلاً على الأدب جدّه وهزله ، حسن الخط ، سلس الكتابة ، جيّد الشعر ، له مشاركة في الفقه ، وقيام على الفرائض . كتب بالدار السلطانية ، وامتدح الملوك بها ، ثم توجه إلى العُدوة ، فصحب خُطة القضاء ، عمره : مشكور السيرة ، محفوظاً بالمبَرّة .

وجرى ذكره في « الإكليل » بما نصه : روض أدب لا تعرف الدُّواة أزهاره ، ومجموع فضل لا تخفى آثاره ، كان في فنون الأدب ، مطلق الأعنة ، وفي معاركه ماضى الطُّبا والأسنة . فإن هزل ، وإلى تلك الطريقة اعتزل ، أبرم في الغزال ما غزل ، وبذل من دنان راحته ما بذل . وإن صرف إلى المُعرب غرب لسانه ، وأعاره لمحة من إحسانه ، أطاعه عاصيه ، واستجمعت لديه أقاصيه : ورَدَ على الحضرة الأندلسية ، والدنيا شابة ، وريح القبول هابة ، فاجتلى محاسن أوطانها ، وكتب عن سلطانها . ثم كَرَّ إلى وطنه وعطف ، وأسرع اللحاق كالبارق إذا خطف ، وتوفى عن سن عالية ، وبرود من العمر بالية .

ومن شعره أيام حلولة بهذه البلاد ، قوله ، يمدح الوزير ابن الحكيم ،
ويلم بذكر السُّلم في أيامه :

وما سوى هجركم عندي بموهوب	رضاكم إن مننتم خيرُ مرهوب
مقابل الرضا من غير تشريب	لكم كما شيتم العُتبي وعتبكم
فعمى أنال منه الدهرى طبُّ مطبوب	مُنُوا بلحظ رضى لي ساعة
ثغور سعدي بتقريب فتقريب	فكم أثارت لي الأيام وابتسمت
والآن يوصفن بالسُود الغرابيب	قد كنَّ بيضاً رعابيبا بقربكم
مرتبُّ للأمانى أى ترتيب	أها لدهر تقضى لي ببساكم

فواصلت حال تقويض بتطبيب
فأقدر الحُسن منه بعد تجريب

ندى السُحب مسكوباً بمسكوب
فيها لكفّيه والأنواء منسوب
الوزارتين فجودٌ غير محسوب
للّهند يختصُّ عود الهند بالطيب
ولو تواصل مكتوباً بمكتوب
فرمل عالج شيءٍ غير محسوب
ظن نبيل الأمانى غير مكذوب
بمجده وصل أنبوباً بأنبوب
والمجد ما بين موروث ومكسُوب
في بذل نُصح لحفظ منصوب
تدبير ذى حُنكة صحّت وتدريب
فشأنه بين مرهوب ومرغوب

خصالٌ قاطع دهره في التجاريب
ينلُّ به همُّ حالي بعض تشبيب
ما كان ظهر النوى عندي بمركوب
حتى أرائى في حالات مخروب
فاذا رَضيت لم أك من شيءٍ بمكروب
فلا حياة بماكول ومشروب

ما كان إلا كاحلام سررت بها
ياليت شعري هل تقضى بعودته
ومنها :

يا أيها السيد الأعلى الذى يده حازت
فلو سألتنا بلاد الله عن كرم
لقلن إن كان جودٌ لا يضاف لذى
فالعُود جنسٌ ولكن في إضافته
من سيد لا يُوقى الحمد واجبه
له المحامد لا تُحصى ولا عجب
تناول الشرف الأقصى بعزمة ذى
وواصل المجد من آياته شرفاً
وجاء مكتسباً أعلى ذخائره
ردء الخليفة لا يرتاح من نصب
موقفُ الرأى مأمون النقيبة في
تهابه النفس إذ ترجوه من شرف
ومنها :

يا أوحد العصر في فضل وفي كرم
أعدتُ فديت لأمرى مُنعماً نظراً
أولا ارتكاب حسودى لأمر في ضررى
هذا زمانى ومنك الأمن حاربنى
فامنن بتفريج كربي بالرضا
إن لم أذق من رضاكم ما ألدُّ به

ومن شعر :

بذكرك تُشرح آى العلاء وتسند اخباره فى الصحيح
بأفلك يشرق بَدْرُ السَّنا وباسمك يحسُن نظمُ المديح
وما يحسن العِقْدُ إلا إذا تحلَّتْ به ذاتُ وجه مليح
وفاته : كان حياً عامٍ أحدٍ وأربعين وسبعماية .

ومن ترجمة المحدثين والفقهاء وسائر الطلبة النجباء

يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن على الأنصارى

يكنى أبا بكر ، ويعرف بالعشاب ، ويعرف بالبرشاني (١) .

حاله

كان هذا الشيخ من أهل الخير ، كثير التؤدة والصمت ، معرضاً عما لا يعنيه . رحل إلى الحج ، وأقام هنالك سنين ، وقفل منها فخطب بأرجبة (٢) . وأخذ ببلاد المشرق عن قطب الدين القسطلانى ، وأبى الفضل ابن خطيب المرى ، وزين الدين أبى بكر محمد بن اسماعيل الأماطى . ولقى أبا على بن الأخص بالأندلس ولم يأخذ عنه . أنشدنى شيخنا أبو البركات ، قال أنشدنى الشيخ أبو بكر البرشاني ، وقد لقيته بأرجبة . قال أنشدنا الإمام أبو عبد الله بن النعمان عن قطب الدين :

إذا كان أنسى فى لزومى وحدتى وقلبي من كل البرية خال
فما ضررتنى من كان لى الدهر قالياً وما سررتنى من كان فى موال

(١) البرشاني نسبة إلى برشانة وبالإسبانية Purckena بلدة من أعمال إقليم المرية تقع على مقربة من جنوب نهر المنصورة شمال المرية وغرب بلدة المنصورة .

(٢) أرجبة وبالإسبانية Orjiva بلدة صغيرة من أعمال غرناطة تقع شمال ثغر تريفيل وجنوب

شرق غرناطة .

ومن المال

يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن
يوسف بن رضوان بن محمد بن خير بن أسامة الأنصاري النجاري
قال القاضي المؤرخ أبو الحسن بن الحسن ممليه ، والذي رفع إلى هذا
النسب للركانة ، هو صاحبنا الفقيه أبو القاسم ولده ، ورفع هذا النسب
بحاله من التكرار دليل على أصالته .

حاله

من أهل الخير والخصوصية ، وحسن الرواء والوقار ، والحياء ،
والمودة . نبيه القدر ، معروف الأمانة ، صدر في أهل العقد والحل ببلده ،
بيته بيت صون وخير واستعمال ، مولو لم يكن من بركات هذا الرجل ،
وأثار فضله ، إلا ابنه صدر الفضلاء ، وبقية الخواص أبو القاسم ،
لكفاه . تولى قيادة الديون بمالقة بلده ، أرفع الخطط الشرعية العملية ،
فحمدت سيرته .

وفاته بمالقة في وعلى قبره مكتوب من نظم ولده :

إلهي خدي في التراب تذلاً
بسطت عسى رحماك يحيي بها الروح
وجاوزت أجداث المسالك خاضعاً
وقلبي مصدوع ودمعى مسفوح
ووجهت وجهي نحو جودك ضارعاً
لعل الرضا من جنب حلمك ممنوح
أتيت فقيراً والذنوب تؤذني
وفي القلب من خوف الجرائم تبريح
ولم أعتمد إلا الرجاء وسيلة
وإخلاص إيمان به الصدر مشروح
وأنت غني عن عذابي وعالم
بفقرى وباب العفو عندك مفتوح
فهب لي عفواً من لدنك ورحمة

يكون بها من ربة الذنب تسريح

وصلُّ على المختار ما همع الحيا وما طلعت شمس وما هبَّت الرياح

ومن ترجمة الزهاد والصلحاء

يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى

من أهل أنفا من بيت عمال يعرفون ببني التُّرجمان أولى [شهرة] (١) وشدَّة على الناس وضغط . وكان من الحظوة وضدما بباب سلطانهم ، ديدن الجبابة . غُرِّب عنهم وانقطع إلى لقاء الصالحين ، وصحبة الفتمراء المتجرِّدين ، وقدم على الأندلس عابدا ، كثير العمل ، على حداثة سنه ، ونزل برباط السودان ، من خارج مالقة ، واشتهر ، وانثال عليه الناس . ثم راض طول ذلك الاجتهاد ، وأنس بمداخلة الناس .

حاله

هذا الرجل نسيج وحده في الكفاية ، وطلاقة اللسان ، مدل على أغراض الصوفية ، حافظ لكل غريبة من غرائب طريقتهم ، متكلم في مشكلات أقوالهم ، قايم على كثير من أخبارهم ، يستظهر حفظ جزأى إسماعيل المروى المسمى «بمنازل السائرين إلى الحق» ، والقصيدة الكبيرة لابن الفارض . عديم النظير في ذلك كله ، مليح الملبس ، مترقِّع عن الكُدية ، عزيز النفس ، قليل الإطراء ، حسن الحديث ، عذب التَّجاوز فيه ، على سنن من السَّداجة والسَّلامة والرجولة والحمل ، صاحب شهرة قرعت به أبواب الملوك بالعدوتين . وعلى ذلك فمغضوض منه ، محمول عليه ، لما جبل عليه من رفض الاضطُّلاع ، وترك السُّمت ، واضطراح التغافل ، وولوعه

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

بالنقد والمخالفة في كل ما يطرق سمعه ، مرشّحاً ذلك بالجد المبرم ،
 ذاهبا أقصى مذاهب القِحة ، كثير الفلّات . نالته بسبب هذه البلية
 محن كثيرة ، أفلت منها بجريعة الذقن ، ووسم بالوهن في دينه ، مع صحة
 العقل^(١) . وكان الآن عامراً للرباط المنسوب إلى اللجام ، على رسم الشياخة ،
 وعدم التابع ، مهجور الفناء .

مشيخته

زعم أنه حجّ ، ولقى جلّة ، منهم الشيخ أبو الطاهر بن صفوان
 المالقي ، ولقاؤه إياه ، وصحبته ، معروف بالأندلس ، وغير ذلك
 مما يدعيه متعدد الأسماء .

توالياه

قيّد الكثير من الأجزاء ، منها في نسبة الذنب إلى الذاكر ، جزء نبيل
 غريب المأخذ ، وفيما أشكل من كتاب أبي محمد بن الشيخ . وصنف
 كتاباً كبير الحجم في الاعتقاد ، جلب فيه كثيراً من الأقوال والحكايات ،
 رأيت عليه بخط شيخنا عبد الله بن المقرئ ما يدل على استحسانه ،
 وطلب مني الكتّب عليه بمثل ذلك ، فكتبت له ببعض ورقاته ، إثارة
 لضجره ، واستدعاءً لفكاهة انزعاجه ، ما نصه : وقفت من الكتاب المنسوب
 لأبي زكريا البرغواطي ، على برسام محموم ، واختلاط مذموم^(٢) ، وانتساب
 زنج في روم ، وكان حقه أن يتهيب طريقاً لم يسلكها ، ويتجنب غفلة
 لم يملكها ، إذ المذكور ، لم يتلق شيئاً من علم الأصول ، ولا نظر في
 الإعراب في فصل من الفصول . إنسا هي قحة وحلاف ، وتهاون بالمعارف

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (المقد) والأولى أرجح .

(٢) وردت في الإسكوريال (موم) . والتصويب من الزيتونة .

واستخفاف . غير أنه يحفظ في طريق القوم كل نادرة ، وفيه رجولة ظاهرة ، وعنده طلاقة لسان ، وكفاية قلماً تتأتى للإنسان . فإلى الله نسل أن يعرفنا بمقادير الأشياء ، ويجعلنا بمنزلة عن الأغبياء . وقد قلت مرتجلاً عند أول نظرة ، واجتزأت بقليل من كثرة :

كل جار لغاية مرجوة فهدى لم يعد حد الفتوة
وأراك اقتحمت ليلاً بهما^(١) مولجا منك ناقةً في كوبة
لا أتباعاً ولا اختراعاً أرتنا إذ نظرنا عروسك المجلوة
كل ما قلته فقد قاله الناس مقالا آياته متلوة
لم تزد غير أن أبحت حمى الإعراب في كل لفظة مقروة
نسل الله فكرة تلزم العقل إلى حشمة تحوطها^(٢) المروة
وعزيز على أن كب يحيى ثم لم نأخذ الكتاب بقوة

ومن البرسام الذي يجرى على لسانه بين الجدِّ والقحة ، والجهالة والمجانة ، قوله لبعض خدام باب السلطان ، وقد ضويق في شيء أضجره منقولاً من خطه ، بعد رد كثير منه إلى الإعراب :

الله نور السموات من غير نار ، ولا غيرها ، والسلطان ظلاله وسراجُه في الأرض ، ولكل منهما فراش مما يليق به ، ويتهافت عليه ، فهو تعالى مُحرق فراشه بذاته ، مغرقهم بصفاته ، وسراجُه وظلُّه . وهو السلطان محرق فراشه بناره ، مغرقهم بزيتته ونواله . ففراشُ الله ، ينقسم إلى حامدين^(٣) ، ومُسبِّحين ، ومُسْتَغْفِرِينَ ، وأمناء وشاخصين . وفراشُ السلطان

(١) وردت في الإسكوريال (بهجا) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) وردت في الإسكوريال (تحوط) والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وردت محرقة في الإسكوريال ، (حافين) .

ينقسمون إلى أقسام ، لا ينفكُ أحدهم عنها . وهم وزَّعة ابن وزَّعة ،
وكلب ابن كلب ، وكلب مطلقا ، وعارُ ابن عار ، وملعون ابن ملعون ،
وقط [ابن قط] ^(١) ، ومُحق . فأما الوزَّعة ، فهو المحرق في زَيْت نواله ،
المشغول بذلك عما يليق بصاحب النُّعمة من النصيح ، وبذل الجهد .
والكلب ابن الكلب ، هو الكيُّس المتحرِّز في تَهافته ، من إحراق وإغراق ،
يعطى بعض الحق ، ويأخذ بعضه . وأما الكلب مطلقا ، فو الواجد
والمشرَّد ^(٢) للسفهاء عن الباب المعظَّم لقليل النُّعمة . وأما العارُ ابن عار
فهو المتعاطى في تَهافته ما فوق الطُّوق ، ولهذا امتاز هذا الإِسْم بالرياسة
عند العامة ، إذا مرَّ بهم جِلْفٌ أو مُتَعاط ، يقولون ، هذا العارُ بن عار ،
يحسب نفسه رئيسا ، وذلك بقرب المناسبة ، فهو موضوع لبعض الرياسة ،
كما أن الكلب ابن الكلب لبعض الكياسة . وأما الملعون ابن الملعون ،
فهو الغالط المُعانَد ، المشارك لربه ، المنعم عليه في كبريائه وسلطانه .
وأما القُطُّ فهو الفقير مثلى ، المُستغنى عنه ، بكونه لا تُخصُّ به رتبة ،
فتارة في حِجْر الملك ، وتارة في السُّناس ، وتارة في أعلى المراتب ،
وتارة سُنُّ ، وتارة مُسيءٌ ، تُغفر سيئاته الكثيرة بأدنى حسنة ، إذ هو
من الطوافين ، مُتطير بقتله وإهانتته ، تبياه في بعض الأحيان لعزَّة يجدها
في نفسه ، من حُرْمَة أبقاها الشارع له ، وكل ذلك لا يخفى . وأما الفِراش
المُحق ، فهو عند الدُّول نوعان ، تارة يكون ظاهرا وحظُّه مسح المصباح ،
وإصلاح فتيله ، وتصفية زيتته ، وسرُّ دخانه ، ومُسايسة ما أعوز من
المطلوب منه . ووجود هذا شديد الملازمة ظاهراً . وأما المُحقُّ الباطن ،

(١) واردة في الزيونه وساقطه في الإسكوريال .

(٢) مكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المجدد) .

فهو المشار إليه في دولته بالصلاح والزهد والورع ، فتستقبله الخلق لتعظيمه ، وتركه لما هو بسبيله ، فيكون وسيلةً بينهم وبين ربهم ، وخليفته الذى هو مصباحهم . فإذا أراد الله بهلاك الدولة ، وإطفاء مصباحها تولى ذلك أهل البطالة والجهالة ، فكان الأمر كما رأيتم ، والكل يعمل على شاكلته .

وأفضى به الهوى ، وتسور حمى السياسة ، والإغياء في ميدان القحة إلى مصرع السوء ، فجلبد جلدًا عنيفًا بين يدي السلطان ، كان سبب وفاته في المطبق ، وذلك في شهر المحرم من عام ثمانية وستين وسبع مائة . وقانا الله المعرّات ، وجنبنا سبل المضرّات ، وفي كثرة تبجّحه باصطلاح المنطق قيل :

لقد كان يحيى منطقيًا مُجادلا	تجارى في سبل الهوى وتهورا
غدا مطلق التقوى وراح مكّما	وأصبح من فوق الجدار مُسورا
فما نال من معنى اصطلاح أداره	سوى أن بدا في نفسه وتصورا
تجاوز الله عنا وعنه ...	

كل كتاب الإحاطة

بيات تكميلي عن مخطوط الإسكوريال

وعن القائم باختصار كتاب « الإحاطة »

لقد اعتمدنا في تحقيق كتاب « الإحاطة » منذ السفر السابع على مخطوط الإسكوريال رقم 1668 الغزيري ، ورقم 1673 ديرنيور ، وذلك حسبنا بينا في مقدمة المجلد الأول من الإحاطة (ص ١٣ و ١٤) ، وحسبنا سجلنا ذلك في المجلد الثاني من الإحاطة (ص ٣١٥) ، وجعلناه عمدة لتحقيق حتى نهاية الموسوعة الأندلسية الكبرى .

وقد بينا في مقدمتنا كذلك أن مخطوط الإسكوريال ، قد وسم في صفحة عنوانه بأنه « السفر الثاني » من « مختصر الإحاطة » ، وأنه قد ذكر في مواضع كثيرة منه ، ما يدل على إجراء هذا الاختصار بصورة منتظمة (المقدمة ص ٨) ، كما سطر على صفحة العنوان ، بأنه كان « ملكا للسلطان مولاي زيدان ، أمير المؤمنين بن أحمد بن المنصور ، أمير المؤمنين » أو بعبارة أخرى ، كان ضمن المكتبة الزيدانية الشهيرة ، التي استولى عليها الإسبان قسرا في عرض البحر ، سنة ١٦١٢ م ، وضمت إلى مجموعة الاسكوريال الملكية ، ونقلنا خلال كثير من التراجم ، ما كان يرد بها من إضافات أو تعليقات ، سواء في صلبها أو على هامشها ، مما كنا ننسبه نحن إلى ناسخ المخطوط .

بيد أنه قد وضح لنا في نفس الوقت : ولا سيما في الأقسام الأخيرة من الكتاب ، أن هذه الإضافات والتعليقات . التي يتسم الكثير منها بالطابع العلمي وبالمعرفة المستنيرة ، أنها من وضع مختصر كتاب « الإحاطة » حسبنا نوهنا بذلك في غير موضع في تراجم الأسفار الأخيرة ، ورأينا أن ذلك ما يتفق مع ما وسم به المخطوط في صفحة عنوانه ، من أنه السفر الثاني

من مختصر « الإحاطة » وهو ما نستنتج منه أن المخطوط هو الجزء الثاني من نسخة كانت تتألف من جزئين كبيرين ، هما « مختصر كتاب الإحاطة » . وقد أشرنا في المقدمة إلى بعض ما وقع من صنوف هذا الاختصار ، حسبنا وقفنا عليها من تتبع إشارات « المختصر » خلال المخطوط ، وسعظما ينحصر في اختصار مشيخة المترجم له أو حذفها ، أو إغفال بعض القصائد أو جزء منها ، وإغفال بعض المختارات النثرية أو اختصارها ، كما أشرنا إلى أنه لم يثبت أن هذا الاختصار قد أصاب النصوص التاريخية المحضة ، حسبنا تبين ذلك من مقارنات كثيرة ، لما نقله المقرئ في « نفع الطيب » من تراجم « الإحاطة » .

وقد كانت نيتنا أن نقف عند هذا الحد في الحديث عن أوضاع كتاب « الإحاطة » ، لولا ما حدث خلال طبع المجلد الرابع والأخير منه ، من وقوفنا على حقائق جديدة ، حملتنا على وجوب استكمال هذا البحث ، ومحاولة الوقوف على اسم مختصر كتاب « الإحاطة » . وذلك أننا خلال عملنا في تحقيق كتاب « ريحانة الكتاب » ، لابن الخطيب ، قد لفت نظرنا عدة حقائق جديدة هامة نلخصها فيما يلي :

أولاً - أن مخطوط كتاب الريحانة المحفوظ بمكتبة الإسكوريال برقم 1820 الغزيري و برقم 1825 ديرنبور ، قد كتب بنفس الخط الأندلسي المطعم بالسمة المغربية الذي كتب به مخطوط « السفر الثاني » من « مختصر الإحاطة » رقم 1763 ديرنبور .

ثانياً - أنه كتب ، حسبنا ورد في خاتمته في شوال سنة ثمانية وثمانين وثمان مائة (٨٨٨ هـ) في تاريخ مقارب لكتابة نسخة « الإحاطة » ، حيث كتبت في ربيع الآخر سنة ٨٩٥ هـ .

ثالثاً - أنه يوجد تماثل كبير بين العبارات التي اختتم بها كل من المخطوطين .
 فقد اختتم مخطوط كتاب « الريحانة » بما يأتي : « إنتهى هذا الكتاب
 المسمى « بريحانة الكتاب ونجعة المنتاب » على يد ناسخها لنفسه ، ثم
 لمن شاء من ولده من بعده ، عبد الله المقر بذنوبه ، الراجي عفوه ربه ،
 أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد
 البقني الأنصاري ، غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه ، بتاريخ أواسط شوال عام ثمانية
 وثمانين وثمان مائة . والحمد لله رب العالمين ، وسلام على عباده الذين اصطفى .
 وورد في ختام مخطوط « مختصر الإحاطة » ما يأتي : « إنتهى
 السفر الأخير منه حيث عرف بنفسه ، وشيوخه ، رحمة الله على الجميع .
 قلت . وهنا انتهى ما قصدناه ، وتم بحول الله ما أردناه واستوفيناه ،
 واستلحقناه ، وذلك بغرناطة أقالها الله وصانها ، وعم بالعلماء الأعلام
 وصالحى الإسلام عمرانها ، وبتاريخ أوائل شهر ربيع الآخر من عام خمسة
 وتسعين وثمان مائة . والحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .
 ومن جهة أخرى ، فإنه من الواضح مما ورد في صيغة عنوان مخطوط
 كتاب « الريحانة » وذكر مؤلفه من أنه « وحيد قطرنا ، وعالم مصرنا ،
 وقخر أندلسنا . . . ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب » أن كاتب
 هذا المخطوط هو أندلسى ، ومن المرجح أيضاً ، على ضوء المقارنة والتماثل ،
 أنه غرناطى كذلك .

ويترتب على ما تقدم من مطابقة خط المخطوطين ، وتقارب تاريخى
 نسخهما ، ثم التماثل الواضح بين الخاتمتين ، أن مختصر كتاب « الإحاطة »
 وناسخه أيضاً ، هو العلامة أحمد بن عبد الله البقني الأنصاري ، الذى
 ورد اسمه كاملاً فى مخطوط الريحانة .

والله المستوفى من الله الخلال ونسبهم في القلال ونسبهم في القلال
 كما العزلة عن دار كمال الكراب وانضموا بوجه الموان العزلة بطرك الشرف والتم العزلة
 كاجل واقفة الاثنية العلي العظمي وانا ما اعدوا الدير الياحيد والعزلة العزلة
 عجز الوجة لم نزيد بعد والتمسك بالعزلة يفتنه ومن اعاد مستغنيا والله
 يعينه ولاستقل بلع زجبايم بموعا الله تلبب وتمزيب وغيره بمو ولا ولا تصيب والله
 شير وزيب ولو كان يوم لم تترك مظلومة واوتوا تار يا ليليا والاخر بتيكنه المذم
 بالمحبوب المحترمة واليليا والتمسك باليليا بسبل الله لاسوة واقدانت الله المحترمان
 عز وريكة نيليه كما استعرت على شريف تار زامر الك ونه ربك سماعا من في
 باصحة في اصبوا ولا ربح شريك في قف من المازريك وسلا الير طلة بسبله والتمسك
 بزاتك لك التصحفة من زمار به الة انغير على اهل الميتر وقد طقت بذال الير ونه زوير
 وكرب بلانك ما حلقت ويرتبع ما انتقد في الممال تصبفت ولتت بعنر العزلة
 عيات الشرف عند وقت سبل الله القليل العزلة والظروب حلوا من كاهن العزلة
 ودارك على لاشتر الشرف صرا جوابا بساتك المسجيد ورسالتك القليلة العزلة
 الكثير الجمعية وور كورتنا والخير في تلك العزلة وان العزلة لاسوة وامرنا وان
 بالله العلي العظمي

انتم من ابناء المشرك في امة الكشاهة وفي عت المشرك
 على يد اسوة لقبه شانه شار زلوع ونحو عيب العزلة العزلة
 الراهه معجونه احمد بن عبد العزلة احمد بن عبد العزلة احمد بن عبد
 العزلة زلوع احمد بن عبد العزلة احمد بن عبد العزلة احمد بن عبد
 سوال على انهم ثمانية في غيرهم وان لم يدعوا في العزلة العزلة العزلة

الصفحة الختامية من مخطوط كتاب «ريحانة الكتاب» المحفوظ بمكتبة الإسكوريال برقم 825
 ديرنيور. وتراجع في صفحة (11) من المجلد الثاني من الإحاطة صورة لوحة مخطوط الإسكوريال
 المحفوظ برقم 1673 ديرنيور للمقارنة بخط هذه الصفحة الأحيرة من مخطوط «ريحانة» لمباية
 التماثل الواضح بين الخطين

هذا ، وقد أشار بعض كتاب التراجم اللاحقين ، أمثال العلامة أحمد بابا التنبكتي الصنهاجي المالكي المتوفى سنة ١٠٣٦ هـ (١٦٢٧ م) ، وصاحب كتابي « نيل الإبتهاج » و « كفاية المحتاج » وهما ذيلان على كتاب « الديباج المذهب » لابن فرحون ، وغيره ، إلى هذا « المختصر » من كتاب « الإحاطة » ، وذكروه منسوباً بالفعل ، إلى أبي جعفر البقني ، وهو ما يؤيد صحة ما انتهينا إليه بالمقارنات المخطوطة .

الإحاطة في أخبار غرناطة

بقية السفر الثاني عشر

من كتاب الإحاطة^(١)

مشملة على ترجمة ابن الخطيب

مكتوبة بقلمه

(١) يبدأ السفر الثاني عشر باللوحة 418 إسكوريال مبتدئا بترجمة « يحيى بن محمد بن عبد السلام التليل المذل » وتنتهي تراجمه في اللوحة 424 بترجمة يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى محتويا على ثمان تراجم فقط. وبه يختتم « كتاب الإحاطة » في بداية اللوحة 425 إسكوريال ، ثم تبدأ ترجمة ابن الخطيب لنفسه في نفس اللوحة ، وتنتهى في اللوحة 499 إسكوريال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً
 « يقول مؤلف هذا الديوان تغمد الله خطله ، في ساعات اضاعها ،
 وشهوة من شهوات اللسان أطاعها ، وأوقات للاشتغال بما لا يعنيه ، استبدل
 بها الله لما باعها :

أما بعد حمد الله الذى يغفر الخطيئة ، ويحث من النفس اللجوج
 المطية ، فيحرك ركبها البطيئة ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، ميسر
 سبل الخير القاصدة^(١) الوطية ، والرضا عن آله وصحبه ، منتهى
 القصد^(٢) ومناخ الطيبة . فإني لما فرغت من تأليف هذا الكتاب ، الذى
 حمل عليه فضل النشاط ، مع الالتزام لمراعات السياسة السلطانية والارتباط ،
 والتفت إليه ، فراقني منه صوان دُرر ، ومطلع غُرر ، قد تخلدت مآثرهم
 بعد ذهاب أعيانهم ، وانتشرت مفاخرهم ، بعد انطواء زمانهم ، نافستهم
 في اقتحام تلك الأبواب ، ولباس تلك الأثواب ، وقنعت باجتماع الشمل
 بهم ، ولو في الكتاب . وحرصت على أن أنال منهم قُرْباً ، وأخذت من^(٣)
 أعقابهم أدباً وحباً ، وكمال قال ، ساقى القوم ، آخرهم شرباً . فأجريت
 نفسى مجراهم في التعريف ، وحدثت بها حذوهم ، في باب النسب
 والتضريف ، بقصد التشريف . والله لا يعدمنى وإياهم واقفاً يترحم ،
 وركاب الاستغفار بمنكبيه يزحم ، عندما ارتفعت وظائف الأعمال ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (البادرة) . وهي ساقطة في النسخ .

(٢) هكذا في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ (الفضل) .

(٣) واردة في الزيتونة . وساقطة في الإسكوريال والنسخ .

وانقطعت من التَّكْسِبَاتِ جبال الامال ، ولم يبق إلا رحمة الله ، التي
تنتاش النفوس وتخلُّصُها ، وتعينها بِمَيْسَمِ السَّعَادَةِ وتخصصها . جعلنا الله
من حَسُنْ ذكره ، ووقف على التماس ما لديه فكره ، بمنه .

المؤلف : محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي
ابن أحمد السلماني . قرطبي الأصل ، ثم طليطليه ، ثم لوشيه . ثم غرناطيه ،
يكنى أبا عبد الله ، ويلقب من الألقاب المشرقية بلسان الدين .

أوليتي : يُعرف بيتنا في القديم بينى وزير ، ثم حديثنا بلوشة ،
ببني الخطيب . انتقلوا مع أعلام الجالية القرطبية ، كيجي بن يحيى
الليثي وأمثاله ، عند وقعة الرِّبِضِ الشهيرة^(١) إلى طليطلة ، ثم تسربوا
محومين على وطنهم ، قبل استيلاء الطاغية عليها ، فاستقرَّ منهم بالموسطة
الأندلسية ، جملة من النبهاء ، تضمن منهم ذكر خلف^(٢) ، كعبدالرحمن
قاضي كورة باغة ، وسعيد المستوطن بلوشة ، الخطيب بها ، المقرون اسمه
بالتسويد عند أهلها ، جاريا مجرى التسميه بالمركب . تضمن ذلك
تاريخ الغافقى وغيره . وتناسل عقبهم بها ، وسكن بعضهم بمنتفريو^(٣) ،
مملكين إياها ، مختطين قبل التحصين والمنعة ، فنسيوا إليها . وكان
سعيد هذا ، من أهل العلم ، والخير والصلاح ، والدين والفضل ،

(١) وقعة الربض تطلق على الثورة التي قام بها أهل قرطبة بتحريض الفقهاء ضد الحكم
ابن هشام أمير الأندلس ، بقصد خلمه ، وذلك في رمضان سنة ٢٠٢ هـ (مارس ٨١٨ م) . وقد بدأت
في الربض الجنوبي لقرطبة ، في الناحية المسماة « شقندة » . ولكن الحكم استطاع سحق الثورة ومطاردة
الثوار وتمزيقهم ، وصلب الكثير منهم على شاطئ النهر وهدم دورهم ، وفر الكثير من أعيان
قرطبة . وتفرقوا في مختلف القواعد ، وسارت طائفة كبيرة منهم إلى المشرق .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (حلق) والأولى أرجح

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة ، وفي النسخ (منتفريو) . ونرجح أن ذلك
حريف ، وان الصواب هو ما أثبتناه ، وهو يدخل في عداد الأسماء الإسبانية Montefrio ، ومعناه
الجيل البارد .

[وزكاه الطعمة] ^(١) . وقفنى الشيخ المسنُّ الوزير أبو الحكم بن محمد المتفريدى رحمه الله ، وهوبقية هذا البيت وإخباريه ، على جدار برج ببعض رُبى أملاكنا بلوثة ، تطأه الطريق المارة من إغرناطة إلى إشبيلية ، وقال ، كان جدك يُربع ^(٢) هذا المكان فصولاً من العام ^(٣) ، ويَجْهر بقراءة القرآن . فيستوقف الرِّفق ^(٤) المدلجة ، الحنينُ إلى نَعْمته ، والخشوع لِصدقه ، فتُعرِّس رِحالها لصق جداره ، وتُريح ظهرها موهنا ، إلى أن يأتى على وِزده . وتوفى ، وقد أصيب بأهله وحرمته ، عندما تغلب العدو على بلده عنوة فى خبر طويل . وقفت على مكثوبات من المتوكل على الله ، محمد بن يوسف ابن هود ، أمير المسلمين بالأندلس ، القايم بها بدعوة الأئمة من ولد العباس ، رضى الله عنهم ، ومن ولده أبى بكر الواثق بالله ولى عهده ، فى غرض إعانتة ، والشفاعة إلى الملكة زوج سلطان قشتالة ، بما يدل على [نباهة قديم] ^(٥) ويُفيد إثارة عِبرة ، واستقالة عثرة .

وتخلّف ولده عبد الله ، جارياً مجراه فى التجلّة ، والتّمعش من حُرّ النّشب ، والتزنيّ بالانقباض ، والتحلّى بالنزاهة إلى أن توفى ، وتخلّف ولده سعيد جدنا الأقرب ، وكان صدراً خيراً ، مستولياً على خلال حميدة ، من خطّ وتلاوة وفقه ، وحساب ، وأدب ، نافس جيرته من بنى الطنجالى الهاشميين ، وتحول إلى غرناطة ، عندما شعر بعملهم على الثورة ، واستطلاعهم إلى النّزوة ، التى خضدت الشوكة ، واستأصلت منهم الشّافة ، وصاهر بها

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (زكاه النعمة) . وفى النفع (ذكاه

النفته) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والزيتونة . وفى النفع (يذبح) . وهو تحريف .

(٣) هكذا فى الإسكوريال والزيتونة . وفى النفع (العلم) وهو تحريف .

(٤) هكذا فى المخطوطين . وفى النفع (الرفاق) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال والنفع . وفى الزيتونة (عل نباهة قديمة)

الأعيان من بني أضحى بن عبد اللطيف الهمداني ، أشرف جُند حُنص ،
الداخِلين إلى الجزيرة ، في طليعة بُلج بن بشر القشيري ، ولحقه من
جِراء منافسيه ، لما جاهرُوا السلطان بالخلُعان ، اعتقال أَعْتبه السلطان
بعده وأحظاه على تَفئته ، وولاه الأعمال النَّبِيهة ، والخُطط الرَّفِيعَة . حدثني
من أثقه ، قال ، عزم السلطان ، أن يُقعد جدك أستاذًا لولده ، فأنفَت
من ذلك أمُّ الولد ، إشفافًا عليه من فظاظة كانت فيه . ثم صاهر القواد
من بني الجعدالة على أم أبي ، وتمتُّ إلى زوج السلطان ببُنوَّة الخؤولة ،
فنبه القدر ، وانفسحت الحُظوة ، [وانتاب البيت] ^(١) الرؤساء والقِرابَة .
وكان على قوَّة شِكيمته ، وصلابة مَكْسِرِه ، مؤثرًا للخمول ، مجبا في الخير .
حدثني أبي عن أمه ، قالت ، قلما تهنأنا نحن وأبوك طعاما [حافلا] ^(٢)
لإيثاره به من كان يَكْمِن ^(٣) بمسجد جواره ، من أهل الحاجة ، وأحلاف
الضرورة ، يهجم علينا منهم بكل وارث ^(٤) ، يجعل يده تُنى يده ،
ويُشركه في أكيلته ، ملتذًا بموقعها من فؤاده . توفي في ربيع الآخر من
عام ثلاث وثمانين وسبعمائة ، صهرته الشمس مُستسقيًا في بعض المُحول ،
وقد استغرق في ضراعته ، فدلَّت الحَتْف على نفسه . وتخلف والدي ،
نابتًا في الترف نَبَت العليق ، يكتفه رعي أيم ^(٥) ، تجرُّ ذيل النعمة ،

(١) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (وانتاب على البيت) .

(٢) الزيادة من النسخ .

(٣) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الزيتون (يكون) .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (مارش) ، وفي النسخ (وارد) وهو

تحريف . والوارش هو من يدخل لتناول الطعام دون دعوة .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ثم) وفي النسخ (أم) . والأيم هي

المرأة التي فقدت زوجها .

وتحنو منه على واحد تحذر عليه [الحولى من ولد الذر] ^(١) ، ففاته لترفه حظٌ كبير من الاجتهاد. وعلى ذلك فقراً على الخطيب أبي الحسن البلوطى ، والمقرئ أبي عبد الله بن مستقور ^(٢) ، وأبي إسحق بن زورال ، وخاتمة الجلة أبي جعفر بن الزبير ، وكان يفضلّه . وشارك أهل عصره فى الرواية المستدعاة عن أعلام المشرق ، كجار الله أنى اليمن وغيره . وانتقل إلى لوشة بلد سلفه ، مقياً للرسم ، مخصوصاً بلقب الوزارة ، مرتباً بعادة الترف ، إلى أن قصدها السلطان أبو الوليد ، متخطياً إلى الحضرة ، هاويا إلى ملك البيضة ، وأجزل نزله ، وعضد أمره ، وأدخله بلده ، لدواعى يطول استقصاؤها . ولما تم له الأمر ، صجبه إلى دار ملكه ، مستأثراً بشيخص عريض من دنياه . وكان من رجال الكمال ، طلق الوجه ، أنيق المجلس ، حلو النادرة ، مستولياً على كثير من الخصل ، متجنّداً مع الظرف ، تضمن كتاب التاج المحلى والإحاطة جزءاً ^(٣) رائعاً من شعره ، وفقد فى الكائنة العظمى بطريف ، يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبعماية ، ثابت الجأش ، غير جزوع ولا هيابة . حدث الخطيب بالمسجد الجامع من غرناطة ، الفقيه أبو عبد الله بن اللوشى ، قال ، كبا بأخيك الطرف يومئذ ، وقد غشى العدو ، وجنحت إلى إردافه ، فانحدر إليه والدك وصرفى ، وقال ، أنا أولى به ، فكان آخر العهد بهما . وخلفنى على الدرجة ، شهير الخطة ، مشمولاً بالقبول ، مكنوفاً

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال والزيتونة . وفى النسخ (النسم إذا سرى) .

(٢) وردت فى المخطوطين (مسمور) . وفى النسخ (سمون) . و نمتقد أن التصويب أرحح .

(٣) أضفناها ليستقيم السباق . ووردت فى الإسكوريال (هذه) وفى الزيتونة (هذا) .

بالعناية « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ». فقلدنى السلطان كتابة سره ، ولما يجتمع الشباب ، ويُستكمل السن ، معززة بالقيادة ، ورسوم الوزارة ، واستعملنى فى السفارة إلى الملوك ، واستنابنى بدار ملكه ، ورمى إلى يدى بخاتمه وسيفه ، واثمننى على صوان ذخيرته^(١) وبيت ماله ، وسجوف حرمه ، ومَعْقِل امتناعه ، ومن فصول منشوره : « وأطلقنا يده على كل ما جعل الله لنا النظر فيه ». ولما هلك ، قدس الله روحه ، ضاعف ولده ، مولاي رضى الله عنه ، حظوتى ، وأعلى مجلسى ، وقصر المشورة على نصحى ، إلى أن كانت عليه الكائنة [فاعتدى فى] ، أخود المتغلب على الأمر ، فسجل الاختصاص ، وعقد القلادة ، ثم قطع الإبقاء ، وعكس الاختصاص ، وحلَّ القلادة ، لَمَّا حملة أولو الشحناء ، من أعوان ثورته على القبض على فكان ذلك]^(٢) ، وقُبض على ، ونُكث ما أبرم من أمانى ، واعتُقلت بحال ترفيه . وبعد أن كُبِسَت المنازل والدُّور ، واستُكثِر من الحرس ، وخُتم على الأعلاق ، وأُبرِد إلى ما نأى ، فاستوصلت نعمة لم تكن بالأندلس من ذوات النظائر [ولاريات]^(٣) الأمثال ، فى تبحر الغلَّة ، وقراءة الحيوان ، وغِبْطَة العقار ، ونظافة الآلات ، ورفعة الثياب ، واستجدادة العُدَّة ، ووفور الكُتب ، إلى الآنية والخرثى ، والفرش ، والماعون ، والزجاج ، والمُحكَم ، والطَّيب ، والدُّخيرة ، والمضارب ، والأقبية . واكتُسحت السائمة ، وثيران الحرث ، وظهر الحُمولة ، وقوام الفلاحة ،

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (خزائنه) . وفى النسخ (حضرته) .

(٢) جمعنا بين الحاصرتين بين ما ورد فى المخطوطين ، وفى النسخ . وذلك بعد تصويب

العبارة الأولى (فاعتدى فى) وهى التى وردت محرفة فى المخطوطين (فاعتدى على) .

(٣) الزيادة من الفح .

وأذواد الخيل ، فأخذ الجميع البيع ، وتناهبتها الأسواق ، وصاحبها
 للبئس ، ورزأتها الخونة ، وشمل الخاصة والأقارب الطلب ، واستخلصت^(١)
 القرى والجنات ، وأعملت الحيل ، ودُست الإخافة ، وطوّقت الذنوب ،
 وأمد الله بالصبر ، وأنزل السكينة ، وانصرف اللسان إلى ذكر الله
 [تعالى]^(٢) ، وتعلقت الآمال به ، وطبقت [نكبة]^(٣) مُضحفة ،
 مطلوبها الذات ، وسبب إفاتها المال ، حسبما قلت عند إقالة العثرة ،
 والخلاص من المفوة :

تخلّصت منها نكبة مُضحفة لفقداني المنصور من آل عامر

ووصلت الشفاعة في مكتبة بخط ملك المغرب ، وجعل خلاصى
 شرطاً في العقدة ، ومسالمة الدولة ، فانتقلت صُحبة سلطاني المكفور
 الحق إلى المغرب . وبالغ ملكه في برى ، واغياً في حلة رعى ، منزلاً
 رجباً ، وعيشاً خفضاً ، وإقطاعاً جما ، وجراية ماوراها مرمى ، وجعلنى
 بمجلسه صدرأ . ثم أسعف قصى في تنهى^(٤) الخلوة بمدينة سلا ، منوه
 الصكوك ، مهناً القرار ، متفقداً باللهى والخلع ، مخول العقار ، موفور
 الحاشية ، مخلى بينى وبين إصلاح معادى ، إلى أن رد الله [تعالى] على
 السلطان أمير المسلمين أبى عبد الله بن أمير المسلمين أبى الحجاج ملكه ،
 وصير إليه حقه ، وصرف إليه كرسيه ، فطالبنى بوعد ضربته ، وعهد
 فى القدم عليه بولده أحكمته ، ولم يؤسعنى عُذراً ، ولا فسح فى الترك

(١) أى أضيفت إلى مستخلص السلطان أو الأملاك الملكية الخاصة .

(٢) الزيادة من النفع .

(٣) الزيادة من النفع .

(٤) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى النسخ (تهنى) .

مجالا . فقدمتُ عليه بولده ، في اليوم الأغرَّ المحجَّل ، وقد ساءه بإمساكه
رهينة ظنُّه ، ونغص مسرة الفتح بعده ، على حال من التقشُّف ، والرغبة
عما بيده ، وعزف عن الطمع في الكسب^(١) وزهد في الرُفد ، حسبما قلت ،
في بعض المقطوعات في مخاطبته ، شكر الله عني فضله :

قالوا لخدمته دعائك محمد فكرهتها^(٢) وزهدتُ في التنويه
فأجبتهم أنا والمُهيمن كساره في خدمة المولى محب فيه

عاهدت الله على ذلك ، وشرحت صدرى إلى الوفاء به ، وجنحت إلى
الانفصال لبيت الله الحرام نشيدة أملى ، ومرمى نبيي ، فعلق بي عُلق
الكرمة ، وصارفتي بدار العبرة ، وخرج لي عن الضرورة ، وأراني أن
مؤازرته أبرُّ القربة ، وراكني إلى عهدٍ بخطه ، فسح لعامين أمد الثوا ،
واقنتدى بشعيب صلوات الله عليه ، في خطب الزيادة ، وعلى تلك النسبة ،
وأشهد من حضر من العلية . ثم رمى إلى بعد ذلك مقاليد رأيه ، وحكم
عظي^(٣) في اختبارات عقله ، وغطى على جفائي بحلمه ، وحثا في
[وجوه]^(٤) شهواته بتراب زجرى ، ووقف القبول على وعظي ، واستنزل
هواي في التحول ، نابيا عن قصدي ، واعترف بقبول نصحي . فاستعنتُ
الله عليه ، وعاملت وجهه فيه ، من غير تلبسٍ بخديعة ، ولا تشبُّثٍ ، بولاية
مقتصرًا على الكفاية ، حذراً من التقد ، خامل المركب ، معتمدا على
المنسأة ، مُستمتعا بِخَلق النعل ، راضيا بغير النبيه من الثوب ، مُشفقا
من موافقة الغرور ، هاجراً للزخرف ، صادعا بالحق في أسواق الباطل ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ملكه) .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (فأنفتها) .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (عقل) .

(٤) واردة في النسخ وساقطة في المخطوطين .

كافاً عن السُّخال ، برائين السباع ، مفوّتا للأصول في سبيل الصدقة .
ثم صرفتُ الفكر إلى بناء الزاوية والمدرسة والتربة ، بكرُ الحَسَنات بهذه
الخِطَّة ، بل بالجزيرة فيما سلف من المدة ، فتأى بمنة الله من صلاح
السلطان ، وعتاف الحاشية ، ونشر الأمن ، وروم الثغور ، وتثمير الجبابة ،
وإنصاف الحُمة والمقاتلة ، ومقارعة الملوك المجاورة ، في إثثار المصلحة
الدينية ، والصدع فوق المنابر ، ضمانا عن السلطان بترياق سُمِّ الثورة ،
وإصلاح بواطن الخاصة والعامة ، ما الله المُجازى عليه ، والمُعوّض من
سَهْرٍ خلَعته على أعطافه ، وكدُّ أعملته من جرّاه ، وخطر اقتحمته من
أجله ، لا للثريد الأعفر ، ولا للجُرد تمرّح في الأرسان ، ولا للبدنر تثقل
الأكتاد ، فهو الذي لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى ، سبحانه إليه
الرُّجى ، والآخرة والأولى . ومع ذلك فقد عادت هَيْفٌ إلى أديانها ، من
الاستهداف للشُرور ، والاستعراض للمحذور ، والنظر الشّر ، المنبعث
من خَزَر العيون ، شِيمة من ابتلاه الله بسياسة الدَّهماء ، ورعاية^(١) سَخَطَةِ
أرزاق السماء ، وقتلة الأنبياء ، وعبدة الأهواء ، ممن لا يجعل الله إرادة
نافذة ، ولا مشيئة سابعة ، ولا يقبل معذرة ، ولا يُجبل في الطلب ،
ولا يتلبس مع الله بأدب . ربنا لا تُسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا .
والحال إلى هذا العهد [وهو أول عام أحد وسبعين وسبعمئة]^(٢) على
ما ذكرته ، أداله الله بحال السلامة ، وبفِيَاة العافية ، والتمتع بالعبادة .
وربُّك يعاقب ما يشاء ويختار . وقال الشاعر :

(١) هكذا وردت في الإيسكوريال . وفي الزيتونة (ورياسة) .

(٢) هكذا ورد هذا التاريخ في الإيسكوريال وورد في المع كالآتي (وهو منتصف عام
خسة وسبعين وسبعماية) . والظاهر أن المقرئ نقل من مخطوط للإحاطة كتب بعد أصل مخطوط
الإيسكوريال ببضعة أعوام .

وعلى أن أسمى وليس على إدراك النجاح
 والله فينا سرٌ غيبٌ نحن صائرون إليه^(١) ، ألحَفْنَا اللهُ بِلِبَاسِ التَّقْوَى ،
 وختم لنا بالسعادة ، وجعلنا في الآخرة من الفايزين . نَفَثْتُ عَنْ بَثٍّ ،
 وتَأَوَّهْتُ عَنْ حُمَى ، لِيُعْلَمَ بَعْدَ الْمُنْقَلَبِ قِصْدِي ، وَيُدُلُّ مُكْتَتَبِي عَلَى عِقْدِي .

ذكر بعض ما صدر لي من التشريعات الملوكية
 أيام تبابشي بهذه الغرور

من ذلك ظهيرٌ من مولاي السلطان أبي عبد الله ، عندما صار له أمرٌ
 والده المقدس أبي الحجاج ، رحمة الله عليه ، وقد ثبت في المحمدين ،
 في اسم السلطان أيده الله ، فلينظره هنالك من تشوفٍ لاحتفاله واحتفائه ،
 وظاهر برّه واعتنايه .

وكتب إلى مُخْبِرًا بما فتح الله عليه ، قبل الوصول إليه :
 « من أمير المسلمين عبد الله محمد بن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج
 ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر ، أيده الله أوامرهم ، ونصر
 أجنادهم المظفرة وعساكرهم ، وخذل مفاخرهم الكرعة ومآثرهم .
 « إلى ولينا في الله تعالى ، الذي نعلم ماله في الإخلاص لجانبنا من
 حُسن المذاهب ، ونعتدُّ به اعتدادا يتكفل بنجاح المقاصد والمآرب ،
 وخلصتنا الذي نثنى على مجده البعيد الغايات ، في الشاهد والغايب ،
 الفقيه ، الوزير الجليل ، الصّدر الأوحـد المثـيل ، العالم العلم الأوحـد ،
 الرّفيـع الشهير ، الحسيب الأصـيل ، الماجد الأثـيل الخطير ، الخطيب
 البليغ الكبير ، الأوحـد ، الحافل الفاضل الكامل . إمام البُلغاء ، وصدرُ
 الخطباء ، وعلمُ العلماء ، وكبير الرؤساء . الحبيب المخلص ، الأودُّ
 (١) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال والزيتونة (سايرون) والأول أرجح .

الأصفي ، أبي عبد الله بن الوزير الفقيه الجليل ، الأعز الأرفع ، الماجد
 الأسمى ، الصدر الحافل . الفاضل الكامل ، الأعلى الكبير ، الخطير
 الأثير ، الأرضي ، المعظم الموقر ، المبرور المقدس ، المرحوم الشهيد ،
 أبي محمد بن الخطيب ، وصل الله سعده ، وحرس مجده ، سلام عليكم ،
 ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله ، وليّ الحمد وأهله ، وناصر الحق ، ومطلع أنواره ،
 من آفاق رحمته وفضله ، وقاهر كل باغ ، وخاذله ومذله . والصلاة على
 سيدنا ومولانا محمد ، صفوة أنبيائه ، وخاتم رسله ، المبتعث بالهدى
 ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، نبي الرحمة ، الذي ببركة محبته
 نلنا الأمنية ، في جمع الدين ونظم شمله ، وبفضيلة جاهه ، عدنا إلى
 أرفع رتبة ملكنا ، وأعلى محله . والرضا عن آله وصحبه ، المقتدين هديه
 في أمرهم كله . فكتبناه إليكم ، كتب الله لكم ، عزا لا يبلى جديده ،
 وسعدا لا ينقطع مزیده . من حمرائنا بفرناطة ، حرسها الله ومهداها ،
 ولا متعرف بفضل الله سبحانه ، إلا ما عود من أطفاه الخفية ، وأسدى
 من صنائعه السنية ، وعنايته التي كفلت ببلوغ الأمنية . والحمد لله
 كثيرا ، كما ينبغي لجلاله ، ويليق بصفات كماله . وعندنا من إجلالكم
 ما يليق بكمالكم ، ومن المعرفة بمقداركم ما يُعرب عن حُسن اعتقادنا ،
 في كريم نجاركم ، ومن قدر أحسابكم ، ما يلزم بسببه تعظيم جنابكم .
 وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وحفيظ مجدكم ، فإننا بحسب الوُد الذي^(١)
 نصل لمعاليتكم ، والحب الذي نضاعفه فيكم ، خاطبناكم بهذا المكتوب ،
 بشرح ما من الله علينا ، من الفتح العظيم ، الذي أشرقت به أقطار هذه

(١) واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

البلاد ، وما من به من العودة ، إلى مُلكنا المتوارث عن كرام الأباء والأجداد ، وما أنعم به من قَهْر ذوى الشُّقاق والعناد . وذلك أنا أعزكم الله طال علينا المقام برُندة ، ولم نزل نوجه إلى أهل الحصون ، التى بَغَرنى مالقة وغيرهم ، نقصٌ عليهم ، ما ألزمهم الله من الوفاءِ ببيعتنا ، ونحذرهم عار^(١) النَّكث لطاعتنا ، إلى أن آن أوان الفرج ، ونفذ قضاء الله وقدره ، بالعودة إلى ما كنا تغلبنا^(٢) عليه . فاقضى نظرنا أن خرجنا إلى مالقة فى مائى فارس ، فما وصلنا وادها ، وعلم بنا أهلها ، إلا وخرج لنا جميعهم ، ملبين بالبيعة ، فرحين^(٣) بقدمنا . وفى الحين بادروا بقتال القصبية ، حتى استخلصت ، وأنزل من فيها بنواحيها . وليوم آخر ، وصلتنا بيعات أهل الجهات التى تواليها ، من أنتقيرة ، ولوشة ، وبلش وصالحه وقمارش والحمة ، وسائر الحصون الغربية . فما وصل الخبر إلى الغادر الخاسر ، خاف وذعر ، ورأى أن لا ملجأ له ، إلا أن يفر ، فجمع شردمته ، وألف حاشيته ، وخرج عن الحمراء ليلا ، فى ليلة الخميس الماضى ، قريبا من التاريخ ، هاربا إلى أرض الكفار . وفى صبيحة الليلة ، وجه إلينا أهل حضرتنا ، وتوجهت الأجناد إلى بيعتنا ، وانصرفنا إلى دار مُلكنا ، وحللتناها يوم السبت الماضى ، من غير حرب ولا قتال ، بل بفضل الله تعالى ، ذى العظمة والجلال . وعرفناكم بذلك ، لتأخذوا بحظكم من هذه المسرة الكبرى^(٤) ، إذ أنتم الحبيب الذى لا يشك فيه ، والخلاصة^(٥) الذى نعلم صدق خلوصه وتصافيه ، والله يصل سعودكم ،

(١) هكذا فى الزيتونة . وفى نفاضة الجراب (مخطوط الرباط) (عاقبة) . وفى الإسكوريال

(عادة) وهو تحريف .

(٢) هكذا فى الزيتونة ونفاضة الجراب (مخطوط الرباط) . وفى الإسكوريال (تغلب لنا) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (فرحين) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، والزيتونة . وفى نفاضة الجراب (العظم) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى نفاضة الجراب .

ويحفظ وجودكم ، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب في يوم
الأربعاء الرابع والعشرين لجمادى الثانية ، من عام ثلاثة وستين وسبعماية^(١) .
وعند استقرارى لديه ، وقُدومى عليه ، أصدر لى هذا الظهير الكريم ،
بما يظهر من فصوله :

« هذا ظهير كريم ، أقام مراسم الوفاء ، وأحيا معالم الحق الفسيحة
الأرجاء ، وقلص ظلال الجود المتكاثفة الأفياء ، وجلى بانوار الحق ،
ظلم الظلم والاعتداء ، وأدى الأمانة إلى أهلها ، إذ كانت متعينة الأداء .
أمر بتسوية إنعامه ، وإبرام أحكامه ، أمير المسلمين ، عبد الله محمد
ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد
ابن نصر ، أعلى الله مقامه ، وشكر إنعامه . لولى مقامه ، ومحل إجلاله
وإعظامه ، كبير دولته ، وقخر مملكته ، ومُشيد سلطانه ، وعين زمانه ،
ظهيره الذى ببركاته أنجحت مقاصده ، وحامل لواء وزارته ، الذى
يؤمن رأيه ، عذبت مصادره وموارده ، الفقيه الأجل ، الوزير المشيل ،
الماجد الأثيل ، الحبيب الأصيل ، العالم العلم ، الطاهر الظاهر ،
العظيم المفخر ، الكريم المآثر ، إمام البلاغة ، وفارس البراعة واليراعة ،
فخر الرياسة ، ومُدبر فللك السياسة ، الخطيب^(٢) الحافل ، الصدر الفاضل
الشمايل ، الحبيب^(٣) الخالص^(٤) ، الأود الأصفى ، أبى عبد الله محمد

(١) أورد ابن الخطيب هذه الرسالة مرة أخرى فى كتابة (نفاضة الجراب السفر الثالث .
مخطوط مكتبة الرباط العامة) وبها زيادات . ومعها ملحق طويل كتبه السلطان إلى ابن الخطيب
لتعريفه بمصير خصمه المتغلب على ملكه بعد فراره إلى ملكة قشتالة . ومصير أصحابه الذين كانوا معه
مخطوط نفاضة الجراب المذكور (لوحات ٩٩ - ١٠٣) . وقد نشرناها نحن فى كتابنا لسان الدين بن
الخطيب حياته وتراثه الفكرى (ص ٣٢٥ - ٣٢٧) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الحبيب) .

(٣) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (الحبيب) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الاسكوريال (الخلاصة) .

ابن الوزير الجليل الأوحدا الأعلى ، الصدر الكبير الخطير الشهير الأسير ، الحافل الفاضل ، الظاهر الطاهر ، السامي الأزقي ، المعظم الموقر ، الشهيد المقدس السعيد ، أبي محمد بن الخطيب ، وصل الله سعادته ، وحرس مجادته وحفظ رُتبته الرفيعة ، ومكانته ، وبلغه أمله الأرضي وإرادته . لما كان أبقاه الله مُدبر ملك المولى أبيه ، وظهيره الذي لم يزل يُدنيه ويصطفيه ، وعِماده الذي ألقى إليه مقاليد الملك ، حين علم أنه صدر الأولياء ، وواسطة السُّلك ، ووزيره الذي اعتمده بإدارة أمره ، وركن إلى مناصحته في سيره وجهره ، وقلده نجاد الوزارتين ، وحلَّاه بحُلي الرياستين ، فاكتفى منه عن الأثر بالعين ، ونشر له لواء الولايتين ، فتلقاه بيمينه ، وقام مضطلعا بأمره ، قيام الأسد دون عرينه . وحين انعقد هذا الأمر العلي ، قام بسياسة مُلكه أحسن قيام وأوفاه ، وأداره فأصاب في إدارته ، مرعى السُّداد الذي لم يوافقه إلا إياه . واستولى في هذه الميادين على غاية الكمال ، واضطلع بالرياسة والسياسة ، اضطلاع أفذاذ^(١) الرجال . ولم يزل يدفع عن حِمَاه ، ويذبُّ عن حوزته بما يحبه الله ويرضاه ، حتى انتظمت بالسُّعود أفلاكه المنيفة وأملاكه ، ودارت بالتأييد أفلاكه .

ولما كان الشقي الغادر ، الذي اغتصب الحق ، وطهر منه الطُّرق ، قد جار على جانب المُعتمد به في ماله ، وتعدى بالبغى على حاله ، ظلماً وعدواناً ، وجوراً وطغياناً ، لم يُقدِّم أيده الله عملاً ، عند العودة إلى ملكه المؤيد ، وسلطانه الأسعد ، وفخره المجدد المؤيد ، وأخذ الله تعالى له ، من الظالم أعظم الثَّار ، وأمدّه بإعلامه ، وإظهاره بأعظم الأنصار ، على أن صرّف عليه جميع أملاكه ، التي خلصت له بالشرع مُوجباتها ،

(١) وردت في الإسكوريال والزيتونة (أفراد) وهو تحريف اتقنى التصويب .

ووضّحت في سبيل الاستحقاق بيناتها ، مما كان الغادر قد غصّبه له والتهبه ،
 وقطع بالباطل عنه سببه ، ومكّنه أيده الله منها باحتيازها ، وتولى لنفسه
 إحرازها ، وعاد بهذا التسويغ الملكي ، يوم عودتها إليه خيرا من أمسه ،
 هنأه الله الانتفاع بها في العمر الطويل ، وحفظها عليه وعلى عقبه ،
 يتملكها الجيل منهم بعد الجيل . وهي كذا وكذا ، بداخل الحضرة
 وخارجها ، وكذا وكذا من البلاد . سوغ إليه أيده الله ذلك ، تسويغاً
 شرعياً ، ورفع به عنه فيه الأغراض ، رفعاً كلياً أبدياً ، وتبراً من حق
 يتعلق به ، أو شبهة تتطرق بسببه . فليتصرف أعزه الله في ذلك بما شاء
 من أنواع التصرفات ، على ما توجهه السنة الواضحة الآيات ، من غير
 حرجٍ عليه ، ولا تعقّب لما لديه . وشمل حكمُ هذا التسويغ الجسيم ،
 والإنعام العميم ، جميع ما يُستغل على الأرض والجنات والكروم ، والثمرات
 من العوايد المُستقبلة عليها ، والغلات ، شمولاً تاماً ، مُطلقاً عاماً ،
 وأن يكون هذا ثابتاً صحيحاً ، ومن الشك مُزيحاً ، وحكمه على الأيام ،
 واتصال الشهور والأعوام ، متصل اللوام . كتبنا خطأً يدنا شاهداً بامضايه ،
 وسجلنا الحكم باستقلاله واقتضايه ^(١) . فليعلم ذلك من يقف عليه ،
 ويعتبر ما لديه . وذلك في اليوم الثاني لرمضان المعظم من عام ثلاثة
 وستين وسبع مائة .. صح هذا .

ولما قضى الله بالانصراف ^(٢) إلى العدة الغربية ^(٣) ، صدرت عن
 سلطانها أمير المسلمين أبي سالم منشورات رفيعة منها ، وقد تشوّفت إلى

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (واكتنايه) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بالعود) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . والمقصود بها العدة المغربية .

مطالعة بلاده الغربية ، وجهاتها المراكشية ، بقصد^(١) لقاء أهل الصلاح والعبادة ، وزيارة ملاجد السادة ، ما نصه :

هذا ظهير كريم أشاد بالتثويه الفسيح المجال ، والإكرام السابغ الأذيال^(٢) ، وأعاد النعم بعد إبدائها عميمة النوال ، ووارفة الظلال ، وألقى في يد المعتمد به ، صحيفة الاعتناء حميدة المقال ، مقتضية ديوان الآمال ، ورفع له لواء الفخر العزيز المنال ، على النظراء والأمثال . حكم بإعماله ، وإمضاء أمره الكريم وامثاله ، عبد الله المستعين بالله إبراهيم ، ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل الله رب العالمين ، أبي الحسن ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف بن عبد الحق . أيد الله أمره ، وأعز نصره ، للشيخ الفقيه الأجل ، الأعز الأسنى ، الوزير الأتمجد الأنوه المحترم ، الملحوظ ، الأثير الأكمل ، السرى الحظى الذكى الأخلص ، أبي عبد الله ابن الشيخ ، الوزير ، الفقيه الأجل ، الأعز الأسنى الأتمجد ، الحسين الأصيل ، الأنوه الأنزه ، الأثير الأكمل ، المبرور المرحوم أبي محمد بن الخطيب . وصل الله حظوته ، ووالى عزته . جدد له الحظوة التى يضمنى لباسها ، وصحح بنظر البر والإكرام قيامها ، وشيد بمباني الحفاية التى مهد أساسها ولما وفد على بابة الكريم ، عابدا بجواره ، ومُلقياً فى ساحة العز المشيد عصا تسيار ، ومُجرباً فى ميدان الثنا جياذ أفكاره ، ومعتمدا على نظرنا الجميل فى بلوغ آماله ، وحصول أوطاره ، فسحنا له فى ميدان البر

(١) هكذا فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (نقصد) وهو تحريف .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الإبان) .

والترحيب فبلغ مداه ، وأنس في حضرتنا الكريمة ، أنوار العناية ، التي كانت هُداة ، وأحللناه من بسلطانا المحلّ الذي اشتمل به العزُّ وارْتداه ، وكَمَل له الأمل ووقاه . وأذنا له ، تَفَنُّبًا في إسداء النعم الثرة ، وتلقَى وفادته بوجوه القبول والمبرة ، في زيارة التربة المقدّسة بشالّة^(١) المعظمة ، حيث ضريح مولانا المقدس ، ومن معه من أسلافنا الكرام ، نور الله مشواهم ، وجعل في الجنة مأواهم : وهذا الغرض الجميل ، وإن عُدَّ من أنواع التكريم ، والإحسان العميم ، فهو السعى الذي تصرف إليه وجوه [القبول]^(٢) والرضا والاهتمام ، والرغبة التي^(٣) يُصَفَى لها موارد الإسعاف عذوبة الحمام ، والتقرب الذي تؤثّره [مهادر البرّ المُستدام]^(٤) ولفاعله مزية الاعتناء والتقديم ، وجزاء^(٥) القيام بخدمة سلفنا الكريم ، وقد أذنا له في مشاهدة تلك الجهات من حضرتنا العلية ، إلى مرآكش المحروسة ، للقاء الأعلام ، واجتلاء المعاهد الكرام ، والآثار الباقية على الأيام ، كيف أحبّ ، وعلى ما شاء من إراحة أو إمام ، مُضجِباً بمن يُنوّه به في طريقه من الخُدّام ، تنويها للكرامة وتعليداً ، وتجديدا للعناية وتأكيداً . فليعلم بذلك ، ماله في بابنا الكريم من الاعتناء ، وما اعتدنا لمجبي أسلافنا الكرام من الجزاء ، ويجرى في جميع مآربه وأحواله على النهج السواء ، مراعىً حال إيايه إلى مقرّه من حضرتنا العلية ، ومحلّه من بسلطانا الأشرف ،

(١) شالّة هي محلة أثرية رومانية تقع الآن في نهاية مدينة الرباط . وبها إلى جانب الآثار الرومانية بعد المنحدر ، في سفحها المستوى ، عدة من قبور أمراء بني مرين ، وفي وسطها قبر السلطان الكبير أبي الحسن المريني والد السلطان أبي سالم .

(٢) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٣) وردت في الإسكوريال (الذي) والتصويب من الزيتونة .

(٤) نقلنا هذه العبارة من الزيتونة ومكانها بيّان محروم في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حق) .

وَعَرَّضَهُ أَعْمَالَ الْقَائِمِينَ بِبِرِّهِ ، وَأَكْرَمَنَا بَيْنَ أَيْدِينَا ، فَيَجْنِي الْمَبَادِرَةَ إِلَى تَوْفِيَةِ آمَالِهِ ، وَثَمَرَةَ أَعْمَالِهِ ، وَيَقَابِلُ الْقَائِمِينَ بِمَبْرُتِهِ . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، وَكُتِبَ بِالْمَدِينَةِ الْبَيْضَاءِ ، مَهْدَاهَا اللَّهُ ، فِي الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ لِرَبِيعِ الثَّانِي عَامِ أَحَدٍ وَسِتِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، وَلِيُعْتَمَدَ لَوْزِيرِنَا الشَّيْخَ الْأَجْلَ الْحَظِي الْأَكْمَلَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ الْعَبَّاسِ ، أَكْرَمَهُ اللَّهُ ، عَلَى أَنْ يُدْخِلَهُ إِلَى الْمَسَاكِنِ الْعَلِيَّةِ بِقَصْبَةِ مَرَاكُشَ حَرَسَهَا اللَّهُ ، لِيَشَاهِدَ الْآثَارَ السُّلْطَانِيَّةَ ، الَّتِي انْتَضَمَتْ فِي سِلْكَنَا ، وَعَقَى عَلَيْهَا جَدِيدَ مَلِكِنَا . فَلْيُعْلَمَ ذَلِكَ . وَلْيُعْمَلْ بِهِ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ الْمَوْرُخِ بِهِ .

وَجَرُّ هَذَا الْإِنْعَامِ دُنْيَا عَرِيضَةً ، تَفْتَقَتْ فِيهَا الْمَوَاهِبُ ، وَوَضَّحَتْ مِنْ اشْتِهَارِهَا الْمَذَاهِبَ ، شَكَرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ ، وَوَالَى عَلَى تَرْبَتِهِ رَحْمَتَهُ .
وَصَدَرَ لِي عَنْ الْمُتَصَيِّرِ إِلَيْهِ أَمْرُهُ مَا نَصَّهُ ، وَهُوَ بَعْضُ مِنْ جُمْلَةٍ ، وَنَوْعٍ مِنْ أَجْنَاسٍ مُبِيرَةٍ :

هَذَا ظَهِيرُ كَرِيمِ نَظْمِ الْعِنَايَةِ وَوَصَلْهَا ، وَأَجْمَلُ الرِّعَايَةِ وَقَصَلْهَا ، وَأَحْرَزَ مَوَاهِبَ السَّعَادَةِ وَحَصَلْهَا ، أَمْرٌ بِإِثْرَامِهِ ، وَالْوَقُوفِ عِنْدَ أَحْكَامِهِ ، عَبْدَ اللَّهِ الْمُتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ مُحَمَّدَ ، أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ ، الْمَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، ابْنَ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، الْمَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي الْحَسَنِ ، ابْنَ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، الْمَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي سَعِيدَ ، ابْنَ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْمَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَبِي يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ الْحَقِّ ، أَيَّدَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ ، وَسَنَى لَهُ الْفَتْحَ الْمُبِينَ وَيَسَّرَهُ ، لِلشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْأَجْلَ ، الْأَسْنَى الْأَعَزَّ ، الْأَحْظَى الْأَرْفَعِ ، الْأَمْجَدِ الْأَسْنَى ، الْأَنْوَهَ الْأَرْزَقِي ، الْعَالِمَ الْعَلِمَ ، الرَّئِيسَ الْأَعْرَفَ ، الْمُتَفَنَّئْنَ الْأَبْرَعَ ، الْمُصَنِّفَ الْمَفِيدَ ، الصَّادِرَ الْأَحْقَلَ ، الْأَفْضَلَ

الأكمل ، أبي عبد الله ، ابن الشيخ الفقيه الوزير الأجل ، الأسنى الأغر ،
الأرفع الأبعد ، الوجيه الأنوه ، الأخفل ، الأفضل ، الحسيب الأصيل
الأكمل ، المبرور المرحوم أبي محمد بن الخطيب ، أيده الله بوجه
القبول والإقبال ، وأضفى عليه ملابس الإنعام والإفضال ، ورعى له
خِدمة السلف الرفيع الجلال ، وما تقرّر من مقاصده الحسنة في خدمة
أمرنا العال . وأمر في جملة ما سوغ من الآلاء الوارفة الظلال ، الفسيحة
المجال ، بأن يُجدّد له حكم ما بيده من الأوامر المتقدم تاريخها ،
المتضمنة تمشية [خمسمائة من الفضة العشرية] (١) في كل شهر ، عن
مرتّب له ولولده الذي لنظره ، من مَجَبَى مدينة سلا حرسها الله ، في كل
شهر ، من حيث جرت العادة أن يتمشى له ، ورُفِع الاعتراض بيباها فيما
يُجَلَّب من الأدم والأقوات على اختلافها ، من حيوان وسواه ، وفيما يستفيدة
خُدّامه بخارجها وأحوازها من عِنَبٍ وَقُطْنٍ وَكَتَّانٍ ، وفاكهة وخُضْرٍ وغير
ذلك ، فلا يُطلب في شيء من ذلك بمغرم ولا وظيف ، ولا يُتوجّه فيه إليه
بتكليف . يتصل له حكم ما ذُكر في كل عام ، بتجديداً تاماً ، واحتراماً
عاماً ، أعلن بتجديد الحُظوة واتصالها ، وإتمام النعمة وإكمالها ، من
تواريخ الأوامر المذكورة إلى الآن ، ومن الآن إلى ما يأتي على الدوام ،
واتصال الأيام ، وأن يُحْمَل جانبه فيمن يُشْرِكه أو يخدمه مَحْمَل الرعى ،
والمحاشاة من السُخْرَةِ ، متى عَرَضَتْهُ ، والوظائف إذا افترَضَتْ ، حتى يتصل
له تالد العناية بالطّارف ، وتتضاعف أسباب المِنَّة والعوارف ، بفضل الله ،
وتُحَرَّر له الأزواج التي يحرثها ، تَبَالَّغَتْ من كل وجيبة ، ويُحاش من

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . ووردت في النسخ كالألق (تمشية خمسمية
ديتار من الفضة العشرية) (نسخ الطيب ج ٣ ص ٢٧٧) . وهناك لس أو تحريف في هذه العبارة لأن
الدينار لا يكون إعادة إلا من الذهب .

كل مغرم أو ضريبة ، بالتحريير الثام ، بحول الله وعونه . ومن وقف على هذا الظهير الكريم ، فليعمل بمقتضاه ، وليمض ما أمضاه ، إن شاء الله . وكتب في العاشر لشهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعماية . وكتب في التاريخ .

وهذا ومثله ، لولا أنه أحفظ [ربما انتفع العقب بوضيها]^(١) ورى غرض الإغفال بسهمها ، لم يُعَن بها ، من يرى أن لا جثوى إلا في التقوى ، وأن يد الله من هذه الأسباب الضعيفة أقوى .

وأما ما رُفِع إلى من الموضوعات العلمية والوسائل^(٢) الأدبية ، والرسائل الإخوانية ، لما أقامني الملك صنماً يعبد ، وجبلاً^(٣) إليه يُستند ، صادرة عن الأعلام ، وحملة الأعلام ، ورؤساء النثر والنظام ، فجم يضيق عنه الإحصاء ، ويعجز عن ضم نشره الاستقصاء . فرمما تضمن هذا الكتاب - كتاب الإحاطة - هذا منه كثيراً ، منظوماً ونثيراً ، جرى في أثناء الأسماء ، وانتمى إلى الإجابة أكبر الانتماء . غفر الله لي ولقائله ، فما كان أولاني وإيابه ، بستر وزره ، وإغراء الإضراب بغروره ، فأهون بما لا ينفع ، وإن ارتفع الكلم الطيب لا يُدفع^(٤) ، اللهم تجاوز عنا بكرمك وفضلك .

المشيخة

قرأت كتاب الله عز وجل على المكتب ، نسيج وحده ، في تحمُّل المنزل حقَّ حملة ، تقوى وصلاحاً ، وخصوصية وإتقاناً ، ونغمة ، وعناية وحفظاً ، وتبحراً في هذا الفن ، واضطّاعاً بضرايبه ، واستيعاباً لسقطات الأعلام ، الأستاذ الصالح ، أبي عبد الله بن عبد الولي العواد ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنا انتفى رسمها) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الرسائل) .

(٣) وردت في الإسكوريال (جبلاً) . والتصويب من الزيتونة .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يرجع) .

كَتَبًا ثُمَّ حَفِظًا ، ثُمَّ تَجْوِيدًا إِلَى مَقْرَى أَبِي عَمْرٍو ، رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِمَا .
 ثُمَّ نَقَلَنِي إِلَى أَسْتَاذِ الْجَمَاعَةِ ، وَمَطِيئَةِ الْفُنُونِ ، وَمُفِيدِ الطَّلِبَةِ ، الشَّيْخِ
 الْخَطِيبِ أَبِي الْحَسَنِ الْقِيَجَاطِي ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ وَالْعَرَبِيَّةَ ، وَهُوَ
 أَوَّلُ مَنْ انْتَفَعْتُ بِهِ . وَقَرَأْتُ عَلَى الْحَسِيبِ الصَّدْرِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ جُزَى .
 وَلَازِمْتُ قِرَاءَةَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفِقْهِ ، وَالتَّفْسِيرِ ، عَلَى الشَّيْخِ الْأُسْتَاذِ الْخَطِيبِ
 أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَخَّارِ الْبَيْرِيِّ ، الْإِمَامِ الْمُجْتَمِعِ عَلَى إِمَامَتِهِ فِي فَنِّ الْعَرَبِيَّةِ ،
 الْمَفْتُوحِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ فِيهِ ، حَفِظًا ، وَاضْطِّلَاعًا ، وَنَقْلًا وَتَوْجِيهًا ، بِمَا لَا
 مَطْمَعُ فِيهِ لِسِوَادِ . وَقَرَأْتُ عَلَى قَاضِي الْجَمَاعَةِ الصَّدْرِ الْمُتَفَنَّزِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ بَكْرٍ ، رَحِمَهُ اللهُ . وَتَأَدَّبْتُ بِالشَّيْخِ الرَّئِيسِ صَاحِبِ الْقَلَمِ الْأَعْلَى ،
 الصَّالِحِ الْفَاضِلِ ، أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْجِيَّابِ . وَرَوَيْتُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ جَمَعَهُمْ
 الزَّمَانُ هَذَا الْقَطْرَ مِنْ أَهْلِ الرَّوَايَةِ ، كَالْمُحَدِّثِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَابِرٍ ،
 وَأَخِيهِ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَالْقَاضِي الشَّهِيرَ بَقِيَّةَ السَّلْفِ ، شَيْخَنَا أَبِي الْبَرَكَاتِ
 ابْنَ الْحَاجِّ ، وَالشَّيْخَ الْمُحَدِّثَ الصَّالِحَ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ سَلْمُونِ ، وَأَخِيهِ
 الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ سَلْمُونِ ، وَأَبِي عَمْرٍو بْنِ الْأُسْتَاذِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ،
 وَلَهُ رِوَايَةٌ عَالِيَةٌ . وَالْأُسْتَاذَ اللَّغْوِيَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَيْبِشٍ ، وَالْمُحَدِّثَ
 الْكَاتِبَ أَبِي الْحَسَنِ التَّلْمَسَانِي ، وَالشَّيْخَ الْحَاجَّ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْبِنَاءِ ،
 وَالْعَدْلَ أَبِي مُحَمَّدِ الزَّرْقُونِ ، يَحْمَلُ عَنِ الْإِمَامِ ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ ، وَالْقَائِدَ
 الْكَاتِبَ ابْنَ ذِي الْوَزَارَتَيْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكِيمِ ، وَالْقَاضِي الْمُحَدِّثَ
 الْأَدِيبَ ، جُمْلَةَ الظَّرْفِ ، أَبِي بَكْرِ بْنِ شُبَيْرِينَ ، وَالشَّيْخَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَالْخَطِيبَ أَبِي جَعْفَرِ الطَّنْجَالِي ، وَالْقَاضِيَّ أَبِي بَكْرِ بْنِ مَنْظُورِ ،
 وَالرَّوَايَةَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَزْبِ اللَّهِ ، كُلَّهُمْ مِنْ مَالِقَةَ . وَالْقَاضِيَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
 الْمَقْرِيَّ التَّلْمَسَانِي ، وَالشَّرِيفَ أَبِي عَلِيٍّ حَسَنِ بْنِ يَوْسُفَ ، وَالْخَطِيبَ الرَّئِيسَ

أبي عبد الله بن مرزوق كلهم من تِلْمَسَانَ - والمحدث الفاضل الحبيب أبو العباس بن يَرْبُوع السَّبْتِي ، والرئيس أبي محمد الحضرمي السَّبْتِي ، والشيخ المقرئ أبي محمد بن أيوب المَالْقِي آخر الرواة عن ابن أبي الأَحْوَص ، وأبي عثمان بن ليون من أَلْمَرِيَّة ، والقاضي أبي الحجاج المُتَشَافِرِي من أهل رُنْدَةَ ، وطائفة كبيرة من المعاصرين ، ومن أهل العُنُودَةِ الغربية والمشرق ، الكثير بالإجازة . وأخذتُ الطبَّ والتَّعاليم ، وصناعة التعديل عن الإمام أبي زكريا بن هُذَيْل ، ولازمته . هذا على سبيل الإلمام . ولو تفرَّغت لذكرهم ، لخرج هذا التَّقْيِيدُ عما وُضِعَ له .

التوالييف

من ذلك ، اللمحة البَنَرِيَّة في الدولة النَّصْرِيَّة . والحُلُلُ المَرْقُومَةُ . ومثلي الطَّرِيْقَةُ . والسُّحْرُ والشُّعْرُ . وريحانة^(١) الكُتَّاب في أسفار ثمانية . وكتاب المحبَّة في سِفرين . والصَّيْبُ والجِهام مجموع شعري . ومِغْيَارُ الاختِيَار . ومُفاضلة [بين]^(٢) مالقة وسلا . ورسالة الطَّاعون . والمسائل الطَّبِيَّة سفر . والرَّجَزُ في عمل التُّرْيَاق . واليُوسِفِي في الطبِّ في سِفرين . والتَّاجُ المَحَلِّي في سفر . ونُفَاضَةُ الجِرَابِ في أربعة أسفار . والبَيِّزْرَةُ في سفر . والبَيِّطْرَةُ في سفر ، جامع لما يُرجع إليها من محاسن الخَيْل وغير ذلك . ورسالة تَكْوِينِ الجَنِين . والوُصُولُ لِحِفْظِ الصِّحَّة في الفُصول . وِرَجَزُ الطَّبِّ . وِرَجَزُ الأَغْلِيَّة . وِرَجَزُ السِّيَاسَةِ . وكتاب الوِزَارَةِ ومَقَامَةِ السِّيَاسَةِ . وكتاب الإِحَاطَةِ هذا في خمسة عشر سفرًا . إلى ما صدر مني في هذا العهد القريب ، وهي الغَيْرَةُ على أهل الحَيْرَةِ . وحَمَلُ الجُمهور على

(١) وردت في الإسكوريال (وريحان) فاقضى التصويب .

(٢) ساقطة في المخطوطين . وأضيفت لتصويب .

السُّنن المشهور . والزُّبُدة المَمخُوضَة والرَّميعة . والرَّد على [أهل الإباحة]^(١) وسدُّ الذُّريعة في تفضيل الشُّريعة . وتقرير الشُّبه ، وتحرير المُشبه . واستنزال اللطف الموجود في سر^(٢) الوجود .

ومن التواليف الصادرة قديماً ، بستان الدول ، وهو موضوع غريب ما سُمِع بمثله ، قلَّ أن شدَّ عنه فنٌّ من الفنون ، يشتمل على شجراتٍ عشر ، أولها شجرة السلطان ، ثم شجرة الوزارة [ثم شجرة الكتابة ، ثم شجرة القضاء والصلاة ، ثم شجرة السُّلطة والحِسبة]^(٣) ، ثم شجرة العمل ، ثم شجرة الجهاد ، وهو فرعان ، أُسْطُولٌ وخِيُولٌ . ثم شجرة ما يضطر باب الملك إليه من الأطبَّاء والمنجمين [والبيازرة والبيطرة والفلاحين]^(٤) والندماء والشُّطرنجيين ، والشعراء والمُعَنِّين . ثم شجرة الرِّعايا . وتقسيم هذا كله غريب ، يرجع إلى شُعب وأصول ، وجرائم وعُمد ، وقشُر ولِحاء ، وغصون وأوراق ، وزهراء مثمرة وغير مثمرة ، مكتوب على كل جزء من هذه الأجزاء ، اسم الفن المراد به . وبرنامجة صورة بستان . كمل منه نحو ثلاثين جزءاً تقارب الأسفار ، ثم قَطع عنه الحادث على الدولة . وأبيات الأبيات . وفتات الخوان وأقْط الصَّوان في سفر ، يتضمن المقطوعات . وعاید الصلة في سفرين ، وصلت به « صلة » الأستاذ أبي جعفر بن الزبير . وتخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات . وجيش التوشيح . وطُرْفَة العصر في دولة بني نصر ، ثلاثة أسفار . إلى غير ذلك . حتى في الموسيقى وسواها . هنرٌ كُتِّف به الحجاب ، ولَعِبَ بالنفس

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (الإباحية) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (أمر) وترد الكلمة في عنوان هذه

الرسالة أحياناً (أسرار) وأحياناً (سير) .

(٣) الزيادة من نفع الطيب .

الاعجاب [وضاع الزمان] ولا تسل بين الرد والقبول ، والنق والإيجاب .
 والله درُّ القائل :

والكون أشراكُ نفوس الورى طوبى لنفسٍ حسرة فازتْ

إن لم تحز معرفة الله قد أورطها الشيء الذى حازتْ

وكلُّ مُيسرٌ لما خلق له ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
 [هذا ، وقد ذكرت مؤلفات ابن الخطيب ، التى أوردها فى ختام ترجمته
 لنفسه ، بصور مختلفة ، وفقاً لتواريخ كتابتها ، وقد أورد لنا المقرئ
 منها صورة رُتبت على غط آخر ، وبها زيادات لم ترد فى نسخة الإسكوريال
 مما يدل على أن نسخة الاحاطة التى وردت بها ، قد كتبت فى وقت لاحق .
 وقد رأينا أن ننقلها فيما يلى :

(التواليف) : التاج المحلى فى مساجلة القيدح المعلى . والكتيبة الكامنة
 فى أدباء المائة الثامنة . والإكليل الزاهر ، فيما فضل عند نظم التاج من
 الجواهر . ثم النفاية بعد الكفاية ، هذا فى نحو القلايد والمطمحين
 لأبى نصر الفتح بن محمد . وطرفة العصر فى دولة بنى نصر فى أسفار
 ثلاثة . وبستان الدول موضوع غريب ما سمع بمثله ... (إلخ الأوصاف التى
 وردت فى البيان السابق) . وديوان شعري فى سفرين ، سميت الصيب
 والجهم والماضى والكهام . والنثر فى غرض السلطانيات كثير . والكتاب
 المسمى باليوسفى فى صناعة الطب فى سفرين كبيرين ، كتاب ممتع .
 وعايد الصلة ، وصلت به صلة الأستاذ أبى جعفر بن الزبير فى سفرين .
 وكتاب الاحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة ، كتاب كبير فى أسفار تسعة ،
 هذا متصل بآخرها . وتخليص الذهب فى اختيار عيون الكتب الأدبيات
 الثلاثة . وجيش التوشيح فى سفرين . ومن بعد الانتقال إلى الأندلس ،

وما وقع من كِياد الدولة : نفاضة الجراب في عِلالة الاغتراب ، موضوع جليل في أربعة أسفار . وكتاب عَمَلُ من طبَّ لمن حبَّ . ومنزلته في الصناعة الطبية ، بمنزلة كتاب أبي عمرو بن الحاجب المختصر في الطريقة الفقهية ، لا نظير له . ومن الأراجيز ، المسماة برقم الحُلل في نظم الدول . والأرجوزة المسماة بالحُلل المرقومة في اللامع المنظومة ، ألفية من ألف بيت في أصول الفقه . والأرجوزة المسماة بالمعلومة ، معارضة للمقدمة المسماة بالمجهولة ، في العلاج من الرأس إلى القدم ، إذا أضيفت إلى رجز الرئيس أبي علي ، كملت بها الصناعة كمالاً لا يُشِينُهُ نقص . والأرجوزة المسماة بالمُعتمدة في الأغذية المفردة . والأرجوزة في السياسة المدنية . إلى ما يشذ عن الوصف ، كالرجز في عمل الترياق الفاروق . والكلام على الطاعون المعاصر . والاشارة . وقطع السلوك . ومثلى الطريقة في ذم الوثيقة . حتى في الموسيقى والبيطرة والبيزرة . هنرُبه كُتِّفَ الحجاب ، ولعب بالنفس الإعجاب ، ولله درُّ القائل : الشعر السابق ذكره^(١) .

الشعر

من ذلك قولي في الجناب الكريم النبوى ، شرفه الله ، وهو من أوليات

نظمي في ذلك الغرض :

هل كنت تعلم في هبوب الريح	نفساً يوجب لاعج التبريح
أهدتكَ من مشج الحجاز تحيةً	غاضت ^(٢) لها عُرُض الفِجاج الفِيح
بالله قُلْ لي كيف تيران الهوى	ما بين ريحٍ بالفلاة وشيح
وحصيبة المنقار تحسب أنها	نهلت بمورد دمعى المسفوح
باحت بما تُخفى وناحت في الدجا	فرايت في الآفاق دعوة نوح

(١) نفع الطيب ج ٤ ص ٢٤١ و ٢٤٢

(٢) هكذا وردت في الاسكوريال والزيتونة . وفي النفع (فاحت) .

ولطالما صَمَّتْ عن التصريح
 عن خافت بين الضلوع جَرِيح
 في طُرْتِيهَا^(٢) جَلِيَّة النَّجْرِيح
 جودٌ تكلُّ به مُثُونِ الرِّيح
 سال ولا وَجُدِي بها بِمَرِيح
 زُوَارَهَا والجسم رهن نُزُوح
 وأُحِثُّ فيها من جناح جُنُوحِي
 لولا وميضاً بارقٍ وَصَفِيح
 ورقٌ تُقَلِّبُهَا بنانُ شَحِيح
 وطَمَّتْ رَمِيْتُ عُبابِهَا بسُوح
 مَسَحَتْ بوجه للصباح صَبِيح
 وزجرتُ للآمال كلَّ سَنِيح
 والصُّبْح فيه تَحْطُصُّ لمَدِيح
 بعنان كل مَوْلِدٍ وَصَرِيح
 وأَمِينُهُ الأَرْضَى على ما يُوجِي
 ضَاعَتْ أَشْعَتُهَا بصفحة يُوح
 راقَتْ بها أوراق كل صَحِيح
 مثلوا بساحة بسابه المفتوح

نطقت بما يخفيه قلبي أدمعي
 عجباً لأجفاني حَمَلْنِ شَهَادَةَ
 ولَقَلَّمَا^(١) كُتِبَتْ رُؤَاة مدامعي
 اجاد الحِمَى بعدي وأَجْرَاعِ الحِمَى
 مِنْ المَنَازِلِ ما فَوَادِي بِعَدَا
 حَسْبِي وَلَوْعَا أَنْ أَزُورَ بِفِكْرِي
 فَأَبُتُّ فِيهَا مِنْ حَدِيثِ صَبَابَتِي
 وَدَجَنَةِ كَادَتْ تَضِلُّ بِنِي^(٣) الشَّرِي
 وَعَشْتُ كَوَاكِبَ جَوْهَا فَكَأَنَّهَا
 صَابَرْتُ مِنْهَا لُجَّةً مَهْمَا ارْتَمَتْ
 حَتَّى إِذَا الكَفُّ الخَصِيْبُ بِأُفْقِهَا
 شَمْتُ المَنَى وَحَمَدْتُ إِدْلاجِ السَّرَى
 فَكَأَنَّما لَيْلِي نَسِيْبُ قَصِيْدَتِي
 لَمَّا حَطَطْتُ لِخَيْرٍ مِنْ وَطِيءِ الثَّرَى
 رَحِمِي إِلَهَ العَرْشِ بَيْنَ عِبَادِهِ^(٤)
 وَالآيَةَ الكَبِيرَى الَّتِي أَنْوَارُهَا
 رَبُّ المَقَامِ الصَّدَقِ وَالْآيِ الَّتِي
 كَيْفَ الأَنَامِ إِذَا تَفَاقَمَ مُعْضَل

(١) وردت في الإسكوريال والزيتونه (ولقبيل ما) . والتصويب من النفع .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونه . وفي النفع (صفحتها) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بها) . وفي الزيتونة (تكل بها) .

(٤) هكذا وردت هذه الشطره في الزيتونة وفي النفع . ووردت في الإسكوريال كالآتي

(رحا إله العرش بين حياره) .

يُردون منه على مشابه راجِمٍ
 لهُقى على عُثر مضي أنضيتَه
 يا زاجر الوجناء يعتسف الفلا
 يصل السرى سبقاً إلى خير الورى
 لى فى حِمى ذاك الضريح لُبانة
 ومهبط الروح الأمين أمانة
 يا صفوة الله المكين مكانه
 أقرضتُ فيك الله صدق محبتى
 حاشا وكلاً أنت تخبب وسائلى
 إن هاق عنك قبيحٌ ما كسبت يدي
 واخجلتاً^(٣) من جلبة الفكر التى
 قصرت خطاها بعد ما ضمرتها
 مدحتك آيات الكتاب فما عسى
 وإذا كتاب الله أثنى مفصّحاً
 صلى الله عليك ما هبت صبأ
 واستأثر الرحمن جلّ جلاله

جمّ الهبات عن الذنوب صفوح
 فى ملعب للترهات فسويح
 والليل يعثر فى فضول مُسوح
 والركبُ بين مؤسّد وطريح
 إن أضححت لُبى أنا ابن ذريح
 اليُمن فيها والأمان لروحي
 يا خير مؤتمن وخير نصيح
 أكون تجرى فيك غير ربيع^(١)
 أو أن أرى مسعاى غير نجيح^(٢)
 يوماً فوجه العفو غير قبيح
 أغريتها بغرامى المشروح
 من كل موقور الجمام جمّوح
 يُثنى على عليك نظم مديح
 كان القصور قصار كل فصيح
 فهفت بغصن فى الرياض مروح
 عن خلقه بخفى سِرّ الروح^(٤)

(١) هكذا وردت فى الزيتونة والنفع . وفى الإسكوريال (نجيح) .

(٢) هذا البيت ساقط فى الإسكوريال والزيتونة ووارد فى النفع .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة والنفع (واخجلت) .

(٤) وردت هذه القصيدة فى نفع الطيب (ج ٤ ص ١٥٨ و ١٥٩) .

هذا وتنتهى هذه القصيدة فى الربيع الأول من لوحة الإسكوريال رقم ٤٣٥ . ومن بعد ذلك باقىها

بياض . وكذلك لوحتا ٤٣٦ و ٤٣٧ كلاتهما بياض، ثم تاتى بعد ذلك لوحة ٤٣٨ وبها قصيدة

(تألق نجديا) . وهى التى اعتمدنا على نفع الطيب فى نقل قسمها الأول العاقد فى لوحات الإسكوريال .

وهذه القصيدة لم ترد فى الزيتونة .

وأنشدت السلطان ملك العرب ، ليلة الميلاد الأعظم من عام ثلاثة وستين

وسبعمائة هذه القصيدة :

تَأَلَّقَ نَجْدِيًّا فَأَذْكَرَنِي نَجْدَا
وَمِيضُ رَأْيِ بَرْدِ الْغَمَامَةِ مَعْقِلَا
تَبَسُّمٌ فِي مَجْرِيَّةٍ قَدْ تَجَهَّمَتْ
وَرَاوَدَ مِنْهَا فَارِكًا قَدْ تَنَعَّمَتْ
فَخَلَّتْهَا الْحَمْرَاءُ مِنْ شَفَقِ الضُّحَى
لَكَ اللَّهُ مِنْ بَرَقِ كَأَنَّ وَمِيضَه
تَعْلَمُ مِنْ سَكَّانِهِ شَيْمِ النَّسْدَى
وَتَوَجَّجَ مِنْ نُورِهَا قِنَنَ الرُّبَا
لِسُرْعَانِ مَا كَانَتْ مَنَاسِفَ لِلصُّبَا
بِلَادِ عَهْدِنَا فِي قَرَارَتِهَا الصُّبَا
إِذَا مَا النَّسِيمِ اعْتَلَّ فِي عَرَصَاتِهَا
فَكَمْ فِي مِجَانِي وَرْدِهَا مِنْ عَدْلَاقَةِ
إِذَا اسْتَشْعَرَتْهَا النَّفْسُ عَاهَدَتْ الْجَوَى
وَمَنْ عَاشَقِي حُرًّا إِذَا مَا اسْتَمَالَسَهُ
وَمَنْ ذَابِلِي يَحْكِي الْمَجْبِينِ رَقَّةً
سَقَى اللَّهُ نَجْدَا مَا نَضَحَتْ بِدِكْرِهَا
وَأَنْسُ قَلْبِي فَهُوَ لِلْعَهْدِ حَسَافِظُ
صَبُورٌ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا ذُبَالَةُ
صَبُورٌ إِذَا الشُّوقُ اسْتَجَادَ كَتِيبَةَ
وَقَدْ كُنْتُ جَلِيدًا قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ النَّوَى

وَهَاجَ بِي الشُّوقُ الْمُبْرَحَ وَالْوَجْدَا
فَمَدَّ يَدَا بِالتَّبْرِ أَعْلَمْتَ الْبِرْدَا
فَمَا بَدَلْتَ وَصْلًا وَلَا ضَرَبْتَ وَعْدَا
فَأَهْوَى لَهَا نَضْلًا وَهَدَّهَا رَعْدَا
نَضَاهَا وَحَلَ الْمَزْنَ مِنْ جِيدِهَا عِقْدَا
يَدِ السَّاهِرِ الْمَقْرُورِ قَدْ قَدَحْتَ زَنْدَا
فَقَادِرِ أَجْرَاعِ الْحِمَى رَوْضَةَ تَنْدَى
وَوَخْتَمَ مِنْ أَزْهَارِهَا الْقَضْبَ الْمُلْدَا
فَقَدْ ضَحِكْتَ زَهْرًا وَقَدْ خَجَلْتَ وَرْدَا
يَقُلُ لِذَلِكَ الْعَهْدِ أَنْ يَأْلَفَ الْعَهْدَا
تَنَاولُ فِيهَا الْبَانَ وَالشَّيْخَ وَالرُّنْدَا
إِذَا مَا اسْتُثِيرَتْ أَرْضُهَا أَنْبَتَتْ وَجَدَا
إِذَا مَا التَّمَحَّحَتْهَا الْعَيْنُ عَافَدَتْ السُّهْدَا
حَدِيثِ الْهَوَى الْتُنْدِيَّ صَيَّرَهُ عَيْدَا
فَيْشْنِي إِذَا مَا هَبَّ عَرَفَ الصُّبَا قَدَا
عَلَى كَيْدِي إِلَّا وَجَدْتُ لَهَا بَرْدَا
وَقُلُّ عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ يَحْضِظُ الْعَهْدَا
إِذَا اسْتَقْبَلْتَ مَسْرَى الصُّبَا اشْتَعَلَتْ وَقْدَا
تَجُوسُ خِلَالَ الصَّبْرِ كَانَ لَهَا بِنْدَا
ذِسَاسِي وَإِنْ يَسْتَمَاصِلُ الْعَظْمَ وَالْجِلْدَا

أأجحد حقَّ الحبِّ والدمعِ شاهدُ
تناسثر في إثر الحمول فريده
جري يققًا في ملعب الجدِّ أشهبًا
ومرتحل أجريت دمعى خلفه
وقلت لقلبي طر إليه برقعتي
سرتُ ضواع العزم يوم فسراقه
وكحلتُ عيني من غبار طريقه
إلى الله كم أهدى بنجدٍ وحاجرٍ
وما هو إلا الشوق نار كمينه
وما بي إلا أن سرى الركب مؤهنا
وجاشت جنود الصبر والبين والأسى
ورمتُ نهوضا واعتزمتُ ودعًا
رقيقُ بدت للمشترين هيبوه
تخلف عني ركبٌ طيدة عانيا
مخلف سيرى قد أصيب جناحه
نشدتك ياركبَ الحجاز تضاعلت
وجمَّ لك المرعى وأذعنت الصوى
إذا أنت شافهت الديار بطيبة
وآنست نورًا من جناب محمد
فنب عن بعيد الدار في ذلك الحمى
وقل يا رسول الله عبدٌ ناقصرت

وقد وقع التَّسجيل من بعد ما أدى
فله عينًا من رأى الجواهر الفردًا
وأجهدَه ركض الأسي فجری وزدا
ليرجعه فاستنَّ في إثره قصدا
فكان حَمَامًا في المسير بها هدا
فلجَّ ولم يرقب ضواعا ولا ودا
فأعقبها دمعًا وأورثها سهدا
وأكنى بدعد في غراى أو سغدى
فأذهل نفسا لم تبين عنده قصدا
وأعمل في رَمَلِ الحمى النص والوخدا
لدى فكان الصبر أضعفها جندا
فصدتُ المقدور عن وجهتى صدًا
ولم تلتفت دعواه فاستوجب الردا
أما آن للعانى المعنى بأن يُفدى
وطرن فلم يسطع مراحا ولا مغدى
لك الأرض مهما استعرض السهب وامتدا
ولم تفتقد ظلًّا ظليلاً ولا وردا
وجئت بها القبر المقدس واللحدا
يُجلى القابوب الغاق والأعين الرمدا
واذر به دمعًا وعفر به خدًا
خطاه وأضحى من أجبتَه فردا

ولم يستطع من بعد ما بعد المدى
تداركه يا غوث العباد برحمة
أجار بك الله العباد من الردى
حمى دينك الدنيا وأقطعك الرضا
وطهر منك القلب لما استخضه
دعاه فما ولى هداؤه فما غوى
تقدمت مختاراً تأخرت مبعثاً
وعلة هذا الكون أنت وكل ما
وهل هو إلا مظهر أنت سيره
ففى عالم الأسرار ذاتك تجتلى
وفى عالم الحسن اغتديت مبعثاً
فما كنت لولا أن بُثت هداية
فما عسى يُثنى عليك مقصراً ولم
بماذا عسى يجزيك هاوٍ على شفا
عليك صلاة الله يا خير مرسل
عليك صلاة الله يا كاشف العمى
إلى كم أرانى فى البطالة كأنما
تقضى زمانى فى لعل وفى عسى

سوى لوعة تعناد أو مِدحة تُهدى
فجودك ما أجدى وكفك ما أندى
وبوأهم ظلاً من الأمن مُمتداً
وتوجك العليا وأبسك الحمدا
فجلله نورا وأوسعه رُشدا
سقاها فما يظما جلاه فما يصد (١)
فقد شملت علياؤك القبل والبعدا
أعاد وأنت القصد فيه وما أبدا
ليمتاز فى الخلق المكب من الأهدا
ملامح نور لاح للطور فانهدا
لتشقى من استشقى وتهدى من استهدا
من الله مثل الخلق رسماً ولا حدداً
يالُ فيك الله (٢) شكراً ولا حمداً
من النارق قد أسكنته (٣) بعدها الخُلدا
وأكرم هادٍ أوضح الحق والرُشدا (٤)
ومذهب ليل الشرك (٥) وهو قد اربداً
وعمرى قد ولى ووزرى قد عداً
فلا عزمة تُمضى ولا لوعة تُهدا

(١) من هنا تبدأ بقية القصيدة الواردة بالإسكوريال (لوحة 438) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النسخ (الذكر) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (أوردته) .

(٤) هذا البيت وارد فى الإسكوريال وساقط فى النسخ .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (الروح) والأولى أربح .

تراجع بعد العزم والتزم الغمدا
 أقود القلاص البدن والضامر النهدا
 مضمرة وسدت من كورها مهدا
 وتحدى بأشعار الركاب إذا تحدا
 تضيوع نداء ما رأينا له ندا
 وأحسب قريبا متهجة شككت البعدا
 قصور ببصرى ضاءت المهذب والوهدا
 ومن هو له إيوان كسرى قد أنهدا
 بيوتا لنار الفرس أعدمها الوقدا
 على الأرض من آفاقها القمر السعدا
 لقد أحرز الفخر المؤئل والمجدا
 يحالف من يتنابها العيشة الرغدا
 مآثرهم لا تعرف الحصر والعدا
 رضى الله ذاك النجل والأب والجدأ
 فكانوا الغيوث المستهلة والأسدا
 حوى الإرث عنهم والوصية والعهدا
 صدور العوالى والمطهمة الجردا
 وكم حكمة أخفى وكم نعمة أبدا
 أبا سالم ظل الإله بك امتندا
 كفاك بها أن تسحب الحلق السردا
 إذا استرشحت للنظم كانت صففا صلدا

حسام جبان كلما شيم نضله
 ألا ليت شعرى هل أرانى ناهدا
 رضيع لبان الصدق فوق شمله
 فتهدى بأشواق السراة إذا سرت
 إلى أن أخط الرحل في تريك الذى
 وأطفىء في تلك الموارد غلتي
 بموليدك^(١) اهتز الوجود فأشرقت
 ومن رعبه الأوثان خرت مهابة
 وغاض له الوادى وصبح عزه
 رعى الله منها ليلة أطلع الهدى
 وأقرض ملكا قام فينا بحقها
 وحيأ على شط الخليج محلة
 وجاد الغمام العد فيها خلايفا
 عليا وعثمان ويعقوب لا عدا
 حموا وهموا في حومة البأس والندى
 والله ما قد خلّفوا من خليفة
 إذا ما أراد الصعب أغرى بنيله
 فكم معتد أردى وكم تائه هدا
 أبا سالم دين الإله بك اغتلى
 فدم من دفاع الله تحت وقاية
 ودونكها منى نتيجة فكرة

(١) مكدانى الإسكوريال ، وفى النسخ (لمولك) .

ولو تركت منى الليالى صبابةً لأجهدتها ركضاً وأرهقتها شداً
ولكنه جهد المقل [على الثوى] ^(١) وقد أوضح الأعداء من بلغ الجهدا ^(٢)
ومن ذلك قصيدة أنشدتها مولاي السلطان الغنى بالله بمحضرى بالمشور
الحافل ، المتخذ بعد الرجوع إلى الأندلس ، فى بعض ليالى المولد الكريم ،
المنوّه بوليبتها ، وهى خاتمة النظم فى هذا الغرض المقتضى الإمام ، بمدح
السلطان ، صرف الله وجوهنا إليه :

ما على القاب من بعدكم من جناح أن يرى طائرا بغير جناح
وعلى الشوق أن يشب إذا هب بأنفاسكم نسيم الصباح
جيرة الحى والحديث شجون والليالى تلين بعد الجماح
أترون السلو خامر قلبى بعدلكم لا وفالق الإصباح
ولو أنى أعطى اقتراحى على الأيسام ما كان بعدكم باقتراح
ضايقتنى فيكم صروف الليالى واستدارت على دؤور الوشاح
وسقتنى كأس الفراق دهاقا فى اغتياق مواصل باضطباح
واستباححت من جدتى وقبائى حرما لم أخله بالمستباح
قصفت صعدة انتصارى وفلت غرب عزمى المعد يوم كفاج
لم تدع لى من السلاح سوى مغفر شيب أهوى به من سلاح
عاجلتنى به وفى الوقت فضل لاهتزازى إلى الهوى وارتياح
فكان الشباب طيف خيال أو وميض قما ^(٣) عقيب التماح
ليل أنس دجى ^(٤) وأقصره ليل جاذبت برده يمين صباح

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى النسخ (بلغته) .

(٢) أورد المقرئ هذه القصيدة فى نفع الطيب ج ٤ ص ١٥٩ - ١٦١ .

(٣) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الزيتونة .

(٤) هكذا فى الإسكوريال وفى الزيتونة (مضى) .

صاح والوجد مَشْرَبٌ والورى
يا ترى والنفوس أسرى الأماني
هل يباحُ الورود بعد ذِياد^(١)
وإذا أعوزَ الجسم التَّلاق
جاء عهد الهوى من السُّحب هام
كلما أخضَل الرُّبوع بكاء
عادنى من تذكُّر العيد عيدُ
سُفِحت فيه الدموع دَمًا
ورِكابُ سَرُوا وقد شَمَل الليل
وكانَ الظُّلام غَسكر زنج
حَمَلت منهم ظهور المطايا
ستروا الوجد وهو نارٌ وكان السُّتر يُجدى لولا هُبوب الرِّياح
خَلَّفوني من بعدهم يائس الطرف
وجدوها مثل القسيِّ ضَمورا
وطووا طوع باعث الوجد والشوق إلى الأبطحى غير البِطاح
مصطفى الكون من ظهور النَّبِيِّين هُداة الأنام سُبُل الفلاح
حُجَّة الله حكمةُ الله سرُّ
حاشِرُ الخلق عاقِبُ الرُّسل
صاحبُ المعجزات لا يتمارى
من جماد يقرأ وقمر يُشَقُّ
دعوة الأنبياء منتظر الكمان

صَفان من مُنتشرٍ وآخِر صاح
ما لها عن وثاقها من سَراح
أو يُتاح اللقَاء بعد انتِزاح
ناب عنه تعارف الأرواح
مستهلُّ الوميض ضافى المَناح
ضحكت فوقها تُغور الأفاق
كان منى للعين عيد الأضاح
فهي فوق الخدود ذات انسياح
بمَسح الدُّجى جميع النُّواح
ونجوم الدُّجى نُصول الرِّماح
أى جدُّ بَحَت وعَزَم صراح
ستروا الوجد وهو نارٌ وكان السُّتر يُجدى لولا هُبوب الرِّياح
ثَقيلَ الخطا مهيضُ الجِناح
قد بَرَّتْ منهم سِهام قِداح
وطووا طوع باعث الوجد والشوق إلى الأبطحى غير البِطاح
مصطفى الكون من ظهور النَّبِيِّين هُداة الأنام سُبُل الفلاح
الله فى كل غاية وافتتاح
والمُثبِت بالله بعدهم والمَاح
العقل فى أيها الحِسان إلى الصُّباح
والماء من بَنان الرِّياح
دعوى البشير باستفتاح

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ والزيتونة (ديار) .

مظهر الوحي مُطلع الحقُ معني الخلق فتحُ المهيمن الفتحاح
 أي غيِّث من رحمة الله هامِ وسراج يَهْدِيهِ وَضَّاح
 ما الذي يشرح امرؤ في رسول عاجل الله صدره بانْشِراح
 شَقَّه الروح ثم طَهَّر منه القلب من بعد بالبرود القراح
 مَدَحْتِكَ الرَّسُلُ يا خاتم الرُّسل فمن لي بعدها بامتِّداح
 ولعَجَز النفوس عن دَرَك الحقِّ وإيقافها وقوف افتِضاح
 صلوات الإله يا نُكْتَةَ الكَوْنِ على مَجْدِكَ اللَّبابِ القَرَّاح
 عدُّ القطر والرَّمال وما عاقبُ دهرٍ غَدُوهُ بِرَوَّاح
 وجزاك الإله أفضل ما يجزي كرام الأئمة النصَّاح
 أسْفَى كم أرى طريد ذنوب أوْبَقْتَنِي فليس لي من براح
 قد غزَّتني الخطوب غزو الأعدى وبرتني الموم برى القِداح
 سبق الحكم واستقلَّ وهل يمحي قضا قد خُطَّ في الألواح
 لا لنديا جنحت ألغُ فيها لا لدين خلصت لا لِصِلاح
 قاطعاً في الغرور بُرْهَة عُمرى خَسِرْت صَفَقْتِي وَخَاب قِداح
 طمع الشَّيب باللُّجام المُحَلَّى حين أبديت أن يُرَدَّ جِمَّاح
 فآبَتْ نفسى اللُّجوج وجدَّت في سمو إلى الهوى وطِمَّاح
 ياطبيب الذنوب تدبيرك الناجع في عِلَّتِي ضَمِين النَّجَّاح
 يا مُجَلِّي العَمى وكافى الدَّواهي ومداوى المرضى وآبى الجراح
 سُدَّ بابُ القبول دُونِي وما لي يا غِيَاثِي مِيوَاك من مِفْتَاح
 خصَّك الله بالكمال وزنَّد الكون لم تقترن بكفِّ اقتداح
 قبل أن يُوجد الوجود وأن يتَّحف بالنور ظُلْمَة الأشباح
 وأضاءت من بعد ميلادك الأرض وهزَّت له اهتزاز ارتيساح

فسرى الخصب في الجسوم الهزالي
 ولقد روعيت لديه حقوق
 معالي محمد بن أبي الحجاج
 ناصر الحق مُرسل النفع سُجبا
 ومُريد الجياد أرض الأعادي
 يتلاعبن بالظلال عرابيا
 يا سراج النّادي وحتف الأعادي
 جمع الله من حلي آل عباس
 بين رأيٍ مُوفّق واعترام
 وخفضت الجناح في الأرض حتى
 أنت مصباحها ونور دُجائها
 محص الله منك يا قوّة الملك
 بخطوب أرت حديث سليمان
 بيدي فاقد الحجا هلهل النسج
 نال منها عُقبى مُسيلمة الكذاب
 ثم ردّ الأُمور ردّا جميلا
 فأجره في الوري الجميل وعامل
 واشترى الحمد بالمواهب واعقد
 بركات السماء تبتدر الأرض
 وتنهأ بدنيا سعيدا
 وتمتع منه بهالة ملك
 منشور الرأي مجمع الحفل مثوى

وجرى الرّسل في الضروع الشّحاح
 أقطعتها العدى جناب أطراح
 ليثُ العدا وغيث السّماح
 بين سمر القنا وبيض الصّفاح
 وهي مُختالة لفرط المراح
 عُذيت في الفلا لبيان اللّقاح
 وعماد الملك الكريم المنّاح
 لعليّاك في سبيل امتداح
 مُستعين وصرارم سفّاح
 لم تدع فوق ظهرها من جناح
 دافع الله عنك من مصباح
 ويُنبوع العدل والإصلاح
 وجاءت بالحادث المُجتاح
 أخى جراءة وربّ اجترّاح
 إذ عاند الهوى وسجّاح
 لكن من بعد فرقة وانترّاح
 منه كنز الغنى ومثوى الرّياح
 عقدها في مطنّة الأريّاح
 إذا استودعت بدور السّماح
 جاء للمعلّوات وفق اقتراح
 أطلعت منك أي بدر لياح
 كل ذي ذمّر وسيد جعجّاح

ومُقام السَّلام في مدة السُّلم
 ملْتقى حكمة وملعب إلهام
 أين كسرى وأين إيوان كسرى
 أين نور الألدن عُنصر النار
 بنيةٌ كان فضلها لك مَدْخُورا
 حين طاب الزَّمان واعتدل الفُصل
 هاكها قد تتوجت بالمعاني
 حين غاض الشُّباب وارتجع الفكر
 جهْدُ قلبٍ لفقته بعد جهاد
 ومعاني البيان من عذارى
 والشيخ سوى الرجوع إلى الله
 ولزومُ الباب الذي يَجْبُرُ الكسْر
 وعلى ذلك فهي ساحرةُ الأحداق
 تنفتُ السُّحر في الجفون وتهدي
 دُمت في عزة ورفعةٍ قلبر
 ما تولت دُهم الدُّجنة غدوا

ومن غرض الأمداح قولى في امتداح سلطان المغرب أبى عنان ، لما
 ترجهتُ إليه رسولا ، مُحَمَّلا مصالِح البلاد والعباد ، واستدعى الشعر منى
 نقلت :

أئدى لداعى الفوز وجه مُنيب
 وأفاق من عذل ومن تأنيب
 كلفُ الجنان إذا جرى ذكر الحمى
 والبان حنُّ له حنين النيب

والنفس لا تنفك تكليف بالهوى
 وحل الصبا فطرحت في أعقابه
 أتري التَّغزُّل بعد أن ظعن الصبا
 أنى لمثلى بالهوى من بعد ما
 لبس البياض وحل زِرْوَة منبر
 قد كان يَسْتَرنى ظلامُ شَيْبَتِي
 وإذا الجديدان استجداً أبلياً
 سَلَنِي عن الدهر الخَوْن وأهله
 مُتَقَلِّب الحلات فاخبر تَقْلُهُ
 فكل الأمور إذا اعترتك لربها
 قد يُخْبَأُ المحبوب في مكروها
 واصبر على مَضَض اللبالي إنها
 واقنع بِحَظٍّ لم تنله بحيلة
 يقع الحريص على الردى ولكم غدا
 من رام نيل الشئ قبل أوانه
 فإذا جعلت الصبر مفزِع معضل
 وإذا استعنت على الزمان بفارس
 بخليفة الله الذى فى كَفِّهِ
 المُنتَقَى من طِينَةِ المَجْد الذى

والشيب يلخطها بعين رقيب
 ما كان من غَزَلٍ ومن تَشْيِيبِ
 شَأْنِي الغدَاة أو النَّسِيبِ نَسِيبِ (١)
 لِلِوَحْطِ فى الفَوْدَيْنِ أَى دَبِيبِ
 مَنَى ووالى الوَعْظِ فِعْلُ خَطِيبِ
 والآن يفضحنى صباحُ مَشِيبِ (٢)
 من لَبَسْتَهُ الأعمار كلُّ قَشِيبِ
 تَسَلُّ المَهْلَبَ عن حروب شَيْبِ
 مهما أعدت يداً إلى تَقْلِيبِ
 ما ضاق لطف الرَّبِّ عن مَرُوبِ
 مَنْ يُخْبَأُ المَكْرُوهُ فى المَحْبُوبِ
 لِحَوَامِلُ سَيَلِدُنْ كلُّ عَجِيبِ
 ما كلُّ رام سَهْمُهُ بِمُصِيبِ
 تَرَكَ التُّسْبُيبُ أنْفَعُ التُّسْبِيبِ
 رام انتقال بَلَمْلَمِ وَعَسِيبِ
 عاجلت عُلْتُهُ بِطَبِّ طَبِيبِ
 لَبِى نَدَاعِكَ مِنْهُ خَيْرٌ مُجِيبِ
 غَيْثٌ يَرُوضُ سَاحِ كلِّ جَدِيبِ
 ما كان يوماً صرفُهُ بِمَشُوبِ

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (نسيب) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (مشيب) .

يرى الصَّعَابُ ^(١) بِسَعْدِهِ ^(٢) فيقودها
ويرى الحقائق من وراء حجابها
من آل عبد الحق حيث توشَّحت
أَسْدُ الشَّرِّ سُرُجُ الِوَرَى فمقامهم
أما دعا الداعي وتَوَّبَ صارخا
شهبُ ثواقبُ والسياءُ ^(٣) عَجَاجَةٌ
ما شئت في آفاقها من راح
عجبت سيوفهم لشدة بأسهم
نُظِمُوا بِلَبَّاتِ الْعَلَا واستوسقوا
تَرَوِي الْعَوَالِي [في المعالي] ^(٤) عنهم
عن ^(٥) كل موثوق به إسناده
فأبو عنان عن عِلِّيِّ نَصَهُ ^(٦)
جاءوا كما اتسق الحساب أصالة
متجسداً من جوهر النور الذي
متألقاً من مطلع الحق الذي
قل للزمان وقد تبسم ضاحكا

ذُلًّا عَلَى حَسَبِ الْهَوَى المرغوب
لا فرق بين شهادة ومغيب
شُعْبُ الْعُلَى وَرَبَّتْ بِأَيِّ كَثِيبِ
لله بين محارب وحُروب
ثَابُوا وَأَمُوا حَوْمَةَ التُّوَيْبِ
مأثورها ^(٧) قد صحَّ بالتَّجْرِبِ
يبدو وكفُّ بالتَّجْبِيعِ خَضِيبِ
فتبسَّمت والجوُّ في تَقْطِيبِ
كالرَّمْحِ أَنْبُوبًا عَلَى أَنْبُوبِ
أثرَ النُّدَى المولود والمكسوب
بالقَطْعِ أَوْ بِالْوَضْعِ غير مَعِيبِ
للتَّغْلِ عَنْ عِثْمَانَ عَنْ يَعْقُوبِ
وغدوا فذلك ذلك المكتوب
لم تُرْمَ يَوْمًا شَعْسُهُ بِغُرُوبِ
هو نور أبصار وسرُّ قلوبِ
من بعد طول ^(٨) تَجْهَمٍ وَقُطُوبِ

- (١) وردت في الإسكوريال (الصفات) . والتصويب من النفع .
- (٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (بصمه) والأولى أرجح .
- (٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (في سماء) .
- (٤) وردت في الإسكوريال ((تأثيرها) . والتصويب من النفع .
- (٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (والمعالي) .
- (٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (من) .
- (٧) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (غضة) والأولى أرجح .
- (٨) هذه الكلمة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

هي دعوة الحق التي أوضاعها
 هي دعوة العدل الذي شمل الورى
 لو أن كِسْرَى الفرس أدرك فارساً
 لما حلت بأرضه مُتَمَلِّياً
 شَمَل الرُّضَا فَكَأَنَّ كُلَّ أَقَاحَةِ
 وَأَتَيْتُ فِي بَحْرِ الْقَرَى أُمَّ الْقَرَى
 فَرَأَيْتُ أَمْرَ اللَّهِ مِنْ ظِلِّ التُّقَى (١)
 وَرَأَيْتُ سَيْفَ اللَّهِ مَطْرُورَ الشُّبَا
 وَشَهِدْتُ نُورَ الْحَقِّ لَيْسَ بِأَقْلٍ
 وَوَرَدْتُ بَحْرَ الْعِلْمِ يَقْدِفُ مَوْجُهُ
 اللَّهُ مِنْ شَيْمٍ كَأَزْهَارِ الرَّبِيِّ
 وَجَمَالَ مَرَأَى فِي رِءَاءِ مَهَابَةِ
 يَا جَنَّةَ فَارَقْتُ مِنْ غُرْفَاتِهَا
 أَسْفَى عَلَى مَا ضَاعَ مِنْ حَطَى بِهَا
 إِنْ أَشْرَقَتْ شَمْسٌ شَرَقَتْ بِعَبْرَتِي
 حَتَّى لَقَدْ عَلِمْتُ سَاجِعَةَ الضُّحَى
 وَشَهَادَةَ الْإِخْلَاصِ تَوْجِبَ رَجْعَتِي
 يَا نَاصِرَ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَأَهْلِهِ
 حَقَّقْ ظُنُونِ بَنِيهِ فِيكَ فَإِنَّهُمْ

جَمَعْتَ مِنَ الْآثَارِ كُلِّ غَرِيبٍ
 فَالْشَّاءُ لَا تَخْشَى اعْتِدَاءَ الذُّيْبِ
 أَلْقَى إِلَيْهِ بِتَسَاجِهِ الْمَعْصُوبِ
 مَا شَيْتَ مِنْ بَرٍّ وَمِنْ تَرْحِيبِ
 تُؤْمَى بِشَغْرِ السَّلَامِ شَيْبِ
 حَتَّى حَطَّطْتُ بِمَرْفَأِ التَّقْرِيبِ
 وَالْعَدْلُ تَحْتَ سُرَادِقِ مَضْرُوبِ
 يَمْضَى الْقَضَاءُ بِحَدِّهِ الْمَرْهُوبِ
 وَالذُّيْنُ وَالذُّنْيَا عَلَى تَرْتِيبِ
 لِلنَّاسِ مِنْ دُرِّ الْهَلْدَى بِضُرُوبِ
 غَبَّ انْتِيَالِ الْعَارِضِ الْمَسْكُوبِ
 كَالسَيْفِ مَصْقُولِ الْفَيْرِنْدِ مَهِيبِ
 دَارَ الْقَرَارِ بِمَا اقْتَضَتْهُ ذُنُوبِ (٢)
 لَا تَنْقُضِي تَرْحَاتِهِ وَنَحِيبِ
 وَتَفِيضِ فِي وَقْتِ الْغُرُوبِ غُرُوبِ
 شَجْوَى وَجَانِحَةَ الْأُصَيْلِ شُحُوبِ (٣)
 لِنَعِيمِهَا مِنْ غَيْرِ مَسِّ لُغُوبِ
 إِنْضَاءِ مَسْغَبَةٍ وَقَلِّ خَطُوبِ
 يَنْعَلُّونَ بِوَعْدِكَ الْمَرْقُوبِ

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالاتي (فرأيت أمن
 الله في ظل التقي) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ذنوبي) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (شحوبي) .

ضاقَت ذاهبٌ نَصْرهم فتعلَّقوا بجانب عَزُّ من عُلَاك رَحِيب
وَدُجَا ظلام الكُفْر في آفاقهم أوليس صُبْحُك منهم بقريب
فانظر بعين العزِّ من ثغرِ غدا حَذِر العِدا يَرْنو بطرفِ مُريب
نادتْكَ أندلُسٌ ومجدُك ضامنٌ أن لا تَخِيب^(١) لَدَيْكَ في^(٢) مَطْلُوب
غَصَب العَدُو بلادها وحُسامك الماضي الشبا مُسْتَرْجِع المَنْصُوب
أرْها^(٣) السَّوَابِح في المجاز حَقِيقَة من كلِّ قعدة سِخْرِب وجَنِيب
يتأوَد الأَسْل^(٤) المثقَّف فوقها وتُجِيب صاهلَةً رِغَاءَ نَجِيب
والنَّصر يُضحك كل مَبِيسِم غرَّة والفتح^(٥) معقود بكل سَبِيب
والرُّوم فازم بكلِّ نَجْم ثاقبِ يُذْكَى بأزْبُعها شَواظ لَهيب
بذمائل السُّلب التي تركت بني زِيَان بين مُجَدَّل وسَلِيب
وأضِف إلى لام الوغى أَلِف القنا تَظْهَر لَدَيْكَ علامة التَّغْلِيب
إن كنت تَعْجَم بالعزائم عودها عودُ الصَّلِيب اليوم غير صَلِيب
ولك الكتَابِيبُ كالأخمايل أطلعت زهر الأَسْنَة فوق كل قَضِيب
فمُرْنِح العِطْفِين لامن نشوة ومورِدُ الخَدِين غيرُ مُريب
يبندو سَدَاد الرأى في راياتها وأمورها تجرى على تَجْرِيب
وترى الطُّيور عصاياها من فوقها لحطُول يوم في الضَّلَال عَصِيب
هذَّبَتْهَا بالعرض يذكر يومه عَرَض الوري للموعِد المَكْتُوب
وهي الكتَابِيب إن تُنوسى عرضها كانت مدوْنَة بلا تَهْذِيب

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يخيب) .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (ذو) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أرض) والأولى أرجح .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الأثل) والأولى أرجح .

(٥) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (اليمن) .

حتى إذا فرّض الجلاّد جلاّده^(١)
 قدّمت ساليبة العدو^(٢) وبعدها
 وإذا توسّط نضّل سيفك عندها
 وتبرأ الشيطان لما أن علا
 الأرض إرث والمطامع جمّة
 وخلايف التّقوى هم ورأثها
 لكأنّني بك قد تركت ربّوعها
 وأقمت فيها مأتماً لكنّه
 وتركت مُفلّتها بقلب واجب
 تهنّكي نواد بها وينقلن الخطا
 جعل الإله البيت منك مشابهة
 فإذا ذكرت كأنّ هبات الصّبا
 لولا ارتباط الكون بالمعنى الذي
 قلنا لعالمك الذي شرّفته
 ولأجل قطرك شمسها ونجومها
 تبدو بمطلع أفقها فضيئة
 مولاي أشواق إليك تهزّني
 بحلّي علاك أطلّتها وأطبّتها

ورأيت ربح النّصر ذات هبوب
 أخرى بعزّ النّصر ذات وجوب
 جزأي قياسك فزّت بالمطلوب
 حزّب الهدى من حزبه المغلوب
 كلّ يهش إلى التماس نصيب
 وإليها بالحظّ والتّصويب
 قفرا بكرّ الغزو والتّعقيب
 عرّس لنسر بالفلاة وذيب
 رهباً وخدّ بالأسي مندوب
 من شلو طاغية لشلو صليب^(٣)
 للعاكفين وأنت خير مُثيب
 قَصّت بمدرجها لطيمة طيب
 قَصّر الحجا عن سرّه المحجوب
 حسد البسيط مزية التركيب
 عدلت^(٤) عن التّشريق للتّغريب
 وتغيّب عنك وهي في تذهيب
 والنار تفضح عرف عود الطيب
 ولكم مطيل وهو غير^(٥) مُطيب

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (جداله) .

(٢) هذه الكلمة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (سليب) .

(٤) وردت في الإسكوريال (عدلت) والتصويب من النسخ .

(٥) وردت في الإسكوريال (خير) والتصويب من النسخ

طالبتُ أفكارى بفرضِ بديها
 مُتَبِّئِيْ أَنَا فِي حُلَا نَلِكِ الْعَلَا
 الطبعُ فحلُّ والقريحةُ حرَّةٌ
 لكننى سهلتها وأدلتها
 هابتُ مقامك فاطيبتُ صعابها
 إن كنت قد قاربتُ في تعديلها^(١)
 عُذرى لتقصيري وعجزى ناسخُ
 من لم يُدِنِ اللهُ فيك بقُربة
 والله ما أخفيتُ حبك خيفةً
 فوفت بشرط الفؤر والترتيب
 لكنَّ شعري فيك شعر حبيب
 فاقبله بين نجيبه ونجيب
 من كلِّ وخشي بكلِّ ربيب
 حتى غدتُ ذُللاً على التدریب
 لا بدُّ في التَّعْدِيلِ من تقريب
 ويجلُّ منك العفو عن تَثْرِيب
 هو من جناب الله غيرُ قريب
 إلا وأنفاسى على تَشْيِ بِي^(٢)

وقولى فى امتداح سُلطانى لما احتفل لإعذار ولده ، واستركب الفرسان
 لمُزَامِلَةِ الْمَدْفِ الْخَشْبِي الْمُنْتَخِذِ فِي الْجَوِ الْمَسْمِي بِالطُّبْلَةِ ، وأرسل جوارح
 الأكلب الضخام ، المُجْتَلِبَةِ مِنْ أَرْضِ أَلَانَ ، خلف فحول البقر الطاغية
 الشرس ، تمسكها من آذانها وأجنابها ، حتى تتمكن منها الرجال ، وغير ذلك
 من أوضاع الإعذار وجُزئياته . وهى آخر الشعر فى هذا الغرض ، لخجل
 السلطان من تنزلى إلى ذلك ، وترفيهي عنه تجلته ، أجله الله ، وكرمه لديه :
 شحطت وفود الليل بان به الوخط
 وعسكره الزنجى هم به القبط
 أتاه وليد الصبح من بعد كسبرة
 أيولد أجنى ناحل الجسم مُشْمَطُ
 كأنَّ النجوم الزهر أعشار سورة
 ومن خطرات الرجم أثناءها مطُ
 وقد وردت نهر المجرَّة سحرة
 غوائص فيه مثلما تفعل البَطُ
 وقد جعلت تُفلى بأنهلها الدجا^(٣)
 وترسل منها فى غدائرِدِ مِسْطُ

(١) وردت فى الإسكوريال (تعديلها) والتصويب من الفح .

(٢) هذا البيت الأخير واردة فى الإسكوريال . وساقط فى الفح .

(٣) هكذا الإسكوريال . وفى الفح (الغلا)

يحف^(١) عُبَاب الليل عنها جواهر
 فعادت^(٢) خيالاً مثلها غير أنه
 سَرَتْ سَلَخ شهرٍ في تَلَفَتْ مقلّة
 لي الله من نَفْس شُعاع ومُهَجّة
 ونُقطة قلب أصبحت مَنشأ الهوى
 فأقسم لولا زاجر الشيب والنهي
 ليربع لها الأخراس منى بطارق
 تناقله كوماء سامية الذرى
 ولولا النهى لم تَسْتَيْن^(٥) سبيل الهدى
 ولولا عَوادى الشيب لم يَبْرَح الهوى
 ولولا أمير المسلمين محمد
 ينوب عن الإضباح إن مَطَل الدجا
 تُقِرُّ له الأملاك بالشيم العُلا
 أرادوه فارتدوا وجاروه فانتنوا
 تشر^(٧) على المداح غرّ خِلاله
 تعلم منه الدهر حاله في الورى

فيكثر فيها النهب لِلحِين واللقط
 من البثّ والشكوى يَبِين له لَغَط
 على كِثْب^(٣) الأحلام تَسْمُو وتنحط^(٤)
 إذا قَدَحَتْ لم يَخْبُ من زَندها سَقَط
 وعن نُقطة مفروضة ينشأ الخطُ
 ونفس لغير الله ما خضعت قطُ
 مفارقه شَمَطُ وأسيافه شُمَط
 ويقذِفُه شهم من النيق مُنحط
 وكاد وِزان الحق يُدْرِكه الغمَطُ
 يهيجُه نوءٌ على الرَّمْل مُختَطُ
 هالَتْ بحار الرّوع واحتجب الشَطُ
 ويَضْمَنُ سُقيا السرح إن عَظُم القَحَطُ
 إذا بذل المعروف أو نُصِب القِسَطُ
 وسأموه في مَرَقِ الجلالة فانحط^(٦)
 وما رسموا فوق الطُروس وماخَط^(٨)
 فأونّة يَسْخُو وأونّة يَسْطُ^(٩)

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يشف) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (فسارت) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (كتب) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وتنحطو) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تسين) . والأول أرجح .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (فاعطو) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تسي) .

(٨) في النسخ (خطوا) .

(٩) في النسخ (يسطو) .

وتجمع بين القبض والبسط كفه
 خلايق قد طابت مذاقاً ونفحةً
 أسبط الأمام الغالبي محمد
 وقتك أواقى الله من كل غائل
 لقد زلزلت منك العزائم دولةً
 إيالةً غدرٍ ضعيف^(١) الله ركنها
 على قدرٍ جلى بك الله يؤسها
 وكانوا نعيم الجنّين تفيثوا
 فقد عوضوا بالأثل والخمط بعدها
 فمن طايح فوق العراء مُجدل
 أنمت على مهد الأمان عيونها
 وصمّ صدى الدنيا فلما رحمتها
 وألحف^(٢) منك الله أمة أحمد
 وأحكمت عقد السلم لم تأل بعده
 وأيقن مراتب وأصبح نافر
 والله ميناك الذى معجزاته
 وأنسّت غريب الدار مسقط رأسه
 تناسبت الأوضاع فيه^(٣) وأحكمت
 فجاء على وفق العلاء رائق الحلوى
 والله إعدار دعوت له السورى
 تقودهم الزلفى ويدعوهم الرضا

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الفح (ضبع) . (٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الفح (منها) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الفح (وأنحف) والأولى أرجح .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الفح (صمت) . (هـ) هكذا فى الإسكوريال . وفى الفح (فيك) .

وأغرّيتَ بالبهيمِ العلاجَ تحفياً
أنتِ صوراً معلولةً عن مزاجها
قضيتَ بها دينَ الزمانِ ولم يزل
وأرسلتِ يومَ السَّبِقِ كلَّ طيرةٍ
رنتَ عن كحيلٍ كالغزالِ إذا رنا
وقامتِ على منحوتةٍ من زبرجد
وكلُّ عتيقٍ من تماثيلِ رُومِةٍ
وطاعتهِ نحرُ السُّكَّاءِ أعانها
تلقَّفَ حَيَاتِ العَصَى إذا هوتَ
أزرتَ بها بحرَ الهوائِ سفينةً
وطاردتَ مِقْدَامَ الصُّوَارِ بجسارِجِ
وجيءَ بشبَلِ الملكِ يُنجدُ عزمه
سمحتَ به لم ترعِ فرطَ ضنَّانِةٍ
فأقدمَ مختاراً وحكِّمَ عاذراً
ولو غيرَ ذاتِ اللّهِرامتِ تَضَنَّتْ
وأسدُّ نزالِ من فؤابِةِ خَزْرَجِ
جلادهمَ مثنى إذا اشتجرَ الوغى
كتائبُ أمثالِ الكتابِ تتالياً
دليلهمُ القرآنُ يا حَبِذا الهُدَى
وبيضُ كأمثالِ البروقِ غمامها

فلم يُدخِرِ الشئُ الغريبَ ولا السَّمطُ
وأصلُ اختلافِ الصُّورةِ المزجُ والخَلطُ
ألدُّ كَنُوبِ الوعدِ يلوى ويشتطُّ
كما تُرسلُ^(١) المَلْمُومَةُ النَّارَ والنَّفطُ
وأوقَتَ بهادِ كالظَّلِيمِ إذا يُعطُ
تخطُّ على الصُّمِّ الصِّلابِ إذا تخطو
تأنقُ في استخطاطه القسُّ والقُمطُ
على الكونِ عِرْقٌ واشجٌ ولحاً سِبَطُ
فثغبانها لا يُستتمُّ^(٢) له سَرَطُ
على الجودِ لا الجودى كان لها حطُّ
يُصابُ به منه الصُّمَّاحُ أو الإبطُ
عليه الحفظُ الجَعْدُ والخلقُ السَّبَطُ
وفى مثلها من سُنَّةِ يُتركُ الفِرطُ
ولم يشتملِ مسكٌ عليه ولا ضَبَطُ
قتلى كالأفاعى الرُّقَطُ أو دونها الرُّقَطُ
بها ليلُ لارُومِ القديمِ ولا قِبَطُ
كانَ رعاه بالعضاة لها خَبَطُ
فمن بيضها شكلاً ومن سُمِّرها نَقَطُ
ورهُطهمُ الأنصارُ يا حَبِذا الرُّهَطُ
إذا وشحتِ سَحِبُ القِتَامِ دمٌ عَبَطُ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (قذف) . والأول أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يستقيم) .

وأعمال بر لا يليق بها الحبط
ولا غرو فالأقلام يصلحها القط
عزيزاً تُشيد المعلّوات وتختط
من الطيب ما تُهدى الألوّة والقسط
ضلالاً فلله الرضا وله السخط
ولا يوجد المشروط إن عديم الشرط

ومن أغراض النسيب قولى فى الأوليات والله ولى المغفرة :

قضيياً لعبوا بالرجاء وبالياس
طروباً بحمل المشرفية والكاس
جمال رواء فى تارج أنفاس
إذا ماسفحت الحبر فى صفح قرطاس
على أربع من حنين صبرى أدراسى
وأوجفت من شفر الدموع بأمراس^(٢)
ومن أمل لم أجن منه سوى ياس
فسعر أحشائى وصعد أنفاس
أقول القلب^(٣) ضاع ما بين جلايس
على سطوة السفاح من آل عباس
تعامت فلم تدر النعيم من الياس
ويعيث وسواس الحلى بوسواس
لمن تشكى بالداء والممرض الآس

ولكنه حُكم يُطاع وسنة
وربة نقص للكمال ماله
فهنيته صنعا ودمت مملكا
ودون الذى يُهدى ثناؤك فى الورى
رضيت ومن لم يرض بالله حاكماً
حياتك للإسلام شرط حياته

تعلقته من دوحة الجود والباس
[دروباً بتصرىف]^(١) اليراعة والقنا
يذكر فيه الصبح عند انصداعه
ويبدو لعينى شعره وجبينه
أجال من الشوق المبرح غارة
فظاهرت من سرد السقام ملامة
لك الله من ربى طواك على الظما
ومن قمر سعد عشوت لنوره
إذا ما شرعت اللحظ نحوى عابسا
أيا عبد شمس الحس هل لك قدرة
سجمت على هول الغرام بمهجة
توهج نار الخد نار جسونحى
يا قلب صبراً فى الغرام وحسبة

(١) هكذا فى الإسكوريال والزيتونة . وفى النسخ (ضروريا بفرب) .

(٢) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (أ فراس) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (لقلبى) .

على مِسْكَةٍ من مسكة العاسق القاسي
وهدد من آذانه ورق الآس
إذا التبس الحق المبين بالياس
على كل غُصْن في الحديقه مياس
تَضَعُضِع من هباتها جبل راس
ومَسْرَبِعُ آلامى ومعهَدَ إيناس
كنقبة مُرتاح ونهبة خلاس
فلفقت أذرائى حياء على الرأس
ورغى ذماى ما تماسك إحساس
وإن رَفَع اللهُ الجُناح عن الناس
فى صبرى وثيقة إفلاس
يرى أن ما بالموت فى الحب من باس
كما حَفَّ جِوَالُ الفراش بنبراس
وأعلق كفى من حِماه بأمراس
أبر بميثاق وأوفى بقسطاس

ومطلولة الأعطاف جرت ذبولها
يحدق من أجفانه نرجس الربى
لعمرك ما أرى^(١) وقد ثقف النهى
أتلک شمالاً أم شمول مسدارة
لقد ضَعَضَع حلمى ولم أر نَسْمَةً
رعى الله أجراء الحمى دار صبوتى
فما كان فيه الوصل للأغلالة
وقالوا أبعث العيش بعد فراقنا^(٢)
ثقوا بوفائى ما استقلت جوارحى
ولا تعلمونى إن نسيت عهدكم
فؤادى غنى بالوفاء وربما تُسجَلُ
لى الله من قلب خفوق معذب
تجول بنات الفكر حول خياله
أفوض للرحمن أمرى فى الهوى
وآمل لطف الله فيه فإنه
وقلت فى النسب كذلك :

أما وخیالاً فى المنام يسزور
لقد ضيقت ذرعاً بالشوق بعد بعدكم
أدافع فى شوقى ووجدى كتابياً
سرايا إذا ما الليل مسد رواقه
وإن كان عندى أن ذلك زور
على أننى للنائبات صبـور
تزلزل رضى عندها وثبير
على ساحة الصبر الجميل ثغير

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الريحوتية (ترى) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (افتراقنا) .

إذا سكن الليل البهيم تُشور
خيالكُم بالليل حين يسرور
ولم تذرِ عني أحرفٌ وسطور
عليه الأسى وانجاب وهو قصير
نجومٌ توالى حثهن بدور
بليلاً وأكواس السرور تَدور
موارد في آماقنا وبُحور
فغار عليها والزمان غَيور
ليخبرني بالظاعنين خبير
على صفح خدي فالنسيم سفير
لها لب لا ينقضي وسعير
وأصبحت الأيام وهي شهر
فهل هي إلا أنة وزفسير
فمثلي بموصول الملام جدير
وكم شرقُ بالماء وهو نَمير
وأصبحت مالى في هواك نصير
فكم من بُكاء كان عنه سُرور
تفبائها والهجر منك هجير
فمنها أمسامى روضة وغدير
وهونتُ فيك الخطب وهو عسير

برى جسدى فيكم غرامٌ ولوعةٌ
ولا أنيني ما اهتدى نحو مضجعي
ولو شيتُ في طيُّ الكتاب لزرتكم
تذكرت عهداً طال بعد انصرامه
وقد طلعتُ للراح في ظلماته
وتبنيتم الوصل في روضة الرضا
وعهداً بعين الدمع^(١) للدمع بعده
عهد مُنى غص الزمان بحسنها
فها أنا أستقرى الرياح إذا سرت
وإن خطٌ وجدى من دموى رسالة
يا رحلة الصيف التى بجوانحي
أحول منك الشهر حولاً على الورى
ويا قلب لا تطرح سلاحك رهبةً
جنيتُ النوى لا عن ملال ولا قلى
وجردتُ عنى لبسة الوصل طابعا
أحمد إن جل الذى بي من الجوى
فلست من اللطف الخفى بيانس
أتانى كتابٌ منك لا بل حديقة
وأرسلتُ دمع العين حين قرأته
تكلفتُ فيك الصبر والصبر مُعوزُ

(١) عين الدمع اسم لضاحية بفرناطة الإسلامية ، كانت أيام المسلمين تفص بالحدائق
والمتنزهات ، وكان موقعها قريبا من جبل الفخار ، ومكانها اليوم يقع في دائرة الضاحية الفرناطية

وَلَدْتُ إِلَى الآمَالِ وَهِيَ سَفَاهَةٌ
سَأَلْتَنِي إِلَى أَيِّدِي الزَّمَانَ مَقَادِقِي
وَأَنَّ الَّذِي بِالْبُعْدِ أَجْسَرِي قَضَاهُ
فَتَذَرَكُ آمَالَ وَتُقْضَى مَأْرَبِي

وقلت ، وهي من القصائد التي تشتمل على أغراض غريبة :

عسى خَطْرَةٌ بِالرُّكْبِ بِأَحَادِي الْعَيْسِ
لِنَظْفَرٍ مِنْ ذَاكَ الزَّلَالِ بَعْلَةٌ
حَبِسْتُ بِهَا رُكْبِي فَوَاقَا وَإِنَّمَا
وَقَدْ ^(١) رَسَخْتُ آيُ الْجَوِي فِي جَوَانِحِي
بِمِيدَانِ جَفْنِي لِلشَّهَادِ كَتَيْسِبَةٍ
وَمَا بِي إِلَّا نَفْحَةٌ حَاجِسِيَّةٌ
أَلَا نَفْسٌ يَارِيحُ مِنْ جَانِبِ اللَّوَى ^(٢)
وَيَا قَلْبَ لَا تُلْقِ السَّلَاحَ فَرُبَّمَا
وَقَدْ تُعْتَبِ الأَيَّامَ بَعْدَ عِتَابِهَا
وَلَا تَخْشَ لُجَّ الدَّمْعِ يَا خَطْرَةَ الْكُرَى
تَقُولُ سَلِيمِي مَا لَجَسْمِكَ شَاحِبًا
وَقَدْ كُنْتَ تَعَطُّو كَلِمَا هَبَّتِ الصُّبَا
وَمِنْ رَابِحِ الأَيَّامِ يَا ابْنَةَ ^(٤) عَامِرِ

على الهضبة السماء من قصر باديس
وننعم في تلك الظلال بتغريس
عقدت على قلبي بها عقد تحبيس
كما رسخ الإنجيل في قلب قيس
تغير على سرح الكرى في كرايس
سرت والدجى ما بين وهن وتغليس
ينفس من نار الجوى بعض تنفيس
تعذر في الدهر اضطراد المقاييس
وقد يعقب الله النعيم من البؤس
على ^(٣) الجفن بل قيسى على صرح بلقيس
مقالة تأنيب يُشَابِ بتأنيس
بريان في ماء الشبية مغموس
يجوب القلا فلت ^(٥) يدها بتفليس

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ والأزهار (لقد) .

(٢) هكذا في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ والأزهار (الحسى) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ والأزهار (الى) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الأزهار (يابنت) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ والأزهار (راحت) .

فلا تحسبى والصدوق خير سجية
 ظهور النوى إلا بطون النواميس
 ومنها :

وقفراء^(١) أما ركبها فمضلل
 خبطنا^(٢) بها من هضبة لقرارة
 وقد غمر الآل الرّحال كأنما
 إذا ما نهضنا من قميل غز الة
 أدونا بها كأساً دهاقاً من السرى
 وحانة خمّارٍ هدانا لقصدها
 تطلع ربانيتها من جسداه
 بكرنا^(٤) وقلنا إذ نزلنا بحانه^(٥)
 أيا عابد الناسوت إنا عصابة^(٦)
 وما قصدنا إلا المقام بحانة
 فأنزلنا قوراء في جنبساتها
 بكرنا بها طين الختام بسجدة
 وطاف^(٧) العذارى بالمدمام كأنها
 وصارفنا فيها نضاراً بمثله
 ومربّها من آنيس غير مأنوس
 ضلالاً أو ملنا من كيناس إلى خيس
 تخبط منه في ضباب الدماميس^(٣)
 نزلنا فعرّسنا بساحة عرييس
 أملنا بها عند الصباح من الروس
 شمّم الحُميا واصطكالك النواقيس
 يهينتم في جنح الظلام بتقدّيس
 عن الصافنات الجرد والضمّر العيس
 أتينا لتثليث بلى ولتسديس
 وكم ألبس الحق المبين بتلبيس
 محاريب شتى لاختلاف النواميس
 أردنا بها تجديد حسرة إيليس
 قطعاً تتهادى في رياش الطواويس
 كأننا ملنا الكأس ليلاً^(٨) من الكيس

- (١) هكذا في الإسكوريال والأزهار . وفي الإسكوريال (وخرقاء) .
 (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (سحبتا) . وفي الأزهار (سبعتا) .
 (٣) هذا البيت وارد في الإسكوريال والزيتونة . وساقط في النفع والأزهار .
 (٤) هكذا وردت في النفع والأزهار . ووردت في الإسكوريال والزيتونة (فكذنا) .
 (٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع والأزهار (بساحة) والأول أرجح .
 (٦) هكذا في الإسكوريال والأزهار . وفي النفع (صباية) وهو تحريف .
 (٧) هكذا في الإسكوريال . وفي الأزهار والنفع (ودنر) .
 (٨) هكذا وردت في الأزهار والنفع . وفي الإسكوريال (يومنا) .

وَقَمْنَا نُشَادِي عِنْدَمَا مَتَعَ الضُّحَى
فَقَالَ لِبِئْسَ الْمَسْلُومُونَ ضَيُوفُنَا
وَهَلْ فِي بَنِي مَثْوَاكَ إِلَّا مُبَرَّرٌ
يَحْدَقُ^(١) تَحْتَ النَّعْمِ مَقْلَةً ضَا حَكَ
إِذَا هَزَّ عَسَالَ الْبِرَاعَةِ فَاتِكَا
سَبِينَا عَقَارَ الرُّومِ فِي عَقْرِ حَانِهَا^(٢)
لِئِنْ أَنْكَرْتَ شَكْلِي فَفَضَّلِي وَاضْح
رَسَبْتَ بِأَقْصَى الْغَرْبِ ثَغْرَ مِظَنَّةٍ^(٣)
وَأَغْرَيْتَ سَوْسِي بِالْعُدَيْبِ وَهَاجِرٍ^(٤)
كَمَا نَهَضَتْ غَلَبَ الْأَسُودِ مِنَ الْحَيْسِ
أَمَا وَابِيكَ الْحَبْرُ مَا نَحْنُ بِالْبَيْسِ
بِحَلْبَةِ سُورَى أَوْ بِحَلْقَةِ تَدْرِيسِ
إِذَا التَّقَتِ الْأَبْطَالُ عَنْ مَقْلِ شَوْسِ
أَسَالَ نَجِيعَ الْحَبْرِ فَوْقَ الْقِرَاطَيْسِ
بِحَيْلَةٍ^(٥) تَمُويهِ وَخِدْعَةِ تَدْلَيْسِ
وَهَلْ جَائِزٌ فِي الْعَقْلِ لِنَكَارِ مَحْسُوسِ
وَكَمِ دُرَّةٌ عَلَيْهِاءُ فِي قَاعِ قَامُوسِ
عَلَى وَطَنِ دَانِي الْجَوَارِ مِنَ السُّوسِ

وقلت في أسلوب مهيار رحمه الله :

جُزُّ عَلَى جَرْعِ الْجِمَى لَا مَحَالَهُ
وَأَفْضُ فِي تِلَاحِ نَجْدٍ وَقَدْ جَمَّ بِهَا
وَأَدْرُ فِي قَرَارَةِ الْمَاءِ قَدْ دَارَتْ
رَبِمَا يَعْبِزُ الْقَوَى عَنِ الْأَمْرِ
فَلِإِذَا مَا اسْتَجَدَّتْ مِنْ خَيْرِ الْجِمَى
فَاعْقِلِ الْحَرْفَ فِي ظِلَالِ مِنَ الْبَيَانِ
وَادْخُلِ الْحَىَّ عِنْدَمَا رَوَّحَ الرَّاعِي
لَا تَجَاوِزْ أَطْنَابَ خَيْمَةِ ظَمِيًّا
وَتَعَرَّضْ لِرَايِدِ الرَّحَالِ
الْحِمَضِ وَادْكُرْ زَابِقَا لَهُ
عَلَى بَدْرِهَا مِنَ الرَّيِّحِ هَسَالِ
فَيُرِضِي الضَّعِيفَ فِيهَا احْتِيَالِ
يَقِينًا أَوْ التَّمَحَّتْ جِسَالِ
عَلَى الْوَحْشِ فِي الْهَجِيرِ مِمَالِ
وَضَمَّ الْمِسَا فِيهِ رِعَالِ
فَهَاتِيكَ الْقُلُوبَ حِيَالِ

(١) هكذا في الإسكوريال والزيتونة . وفي النفع والأزهار (يقلب) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (خانها) . وفي النفع (دارها) . وفي الأزهار (خاننا) .

(٣) هكذا في المخطوطين والأورفي بحلية .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي النفع (مضلة) . وفي الأزهار (مضنة) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع والأزهار (وبارق) .

ولتقلُّ إنَّ أُنْتَك تسَل عن حالِ
ليس إلا امتِعاضة لغريب
سأل الماء والمزادة ملأى
كيف لو جاء سائلاً منك رسلاً
قسماً أنه أخى ضنين وهب
بكت الورق شجوه حين ناجاها
نازح زار من تباله نجددا
أيها السابق العنيف ترى
يرد الحوض حوله كل أشقى
فكره إذا استحم غرار
فالسكان راحة والأمانى
لا تجلوا دم الغريب المعنى
وكسا من نمارق السندس المخضر ذهنًا بالحيا ورساله
يا يقوى من ذكر تلك المغانى
علق البث والصباية فيها
كان لا يرتضى الجياض لورد
همة تزحم السمك وقلب
كان أولى له الإباية والعز
والهوى مركب الهوان إذا
ما الذى يجلب العذول لسمعى
لا أبالى بما يقول فهلاً
أنا ما بي سوى لحاظ فتاة

تعوّضتها بحالك حاله
أثخنه جفونك القتاله
ثم ما نال غير نفس مساله
أو أتى يحتدى جواب رساله
البأس شأنه والبسماله
وأبدي له الأصيل اغتلاله
أين ما بينه وبين تباله
المهر يسقى يمينه وشماله
كل حوله يلقى عليه مساله
وقراه إذا ألم عجاله
لليالى شربة أكالته
وعلى الله فى الجزاء الجواله
ما لقلبي يهوى أنين ماله
وبلى البحر عندها والملاله
فهو اليوم قانع ببيلاله
أثر اللبث فى حضيض الإقاله
فيا بئس ما ارتضى لولى آله
هملج فى ملعب الصبا والجهاله
من حديث خبا إلى خبساله
أقصر العذل جاهداً لا أباه
ختلتنى وأذبرت مختاله

بَسَمْتَ أَقْحَوَانَةً وَتَثَنَّتْ بَانَةً
 وَرَمَتْنِي فَقَبْلَ لِعِرَافٍ نَجْدِ
 إِخْبِرِ الْخَائِبِ الْمَدُومِ نَشْكَو
 إِنْنِي قَدْ نَزَعْتَ عَن نَتْنِ الْغَيِّ
 ثُمَّ لَاحِظْتَنِي غَسْرَالَهُ
 إِنْ تَخَلَّصْتَ فَدُونِكَ مَالَهُ
 إِظْهَرِ الْعَيْسَ جُمْلَةً وَفَصَالَهُ
 وَيَا طَالَمَا انْتَحَلْتُ مُحَالَهُ

ومن الفخر والنأبين ، قلت مُتَشَبِّعًا ، علم الله بالألأ أملك ، وإنما هي
 أغراض الشعراء يُتَفَنَّنُ فيها ، والله وليُّ التجاوز عن التجاوز :

لَنَا فِي الْفَخْرِ سَيْمَةٌ مُطَلَّةٌ
 وَشَمْسُ الْحَقِّ مَنْظُورٌ سَنَاها
 بَنِي سَلْمَانَ سَلَّ عَنْهُمْ سَتْدَرِي
 يَمَانِيَّةٌ الْمُنَاسِبِ وَالْمَوَاضِي
 فَمَنْ نَارِ الْوَعْيِ فِي كُلِّ وَادٍ
 وَمَنْ وَضَلَ الْخَطَابَ بِكُلِّ نَادٍ
 تَهَشُّ لَنَا الْبِلُورُ بِكُلِّ خَدِيرٍ
 وَيُمرضنا الْعَفَافُ فَكَمْ عَلِيلٍ
 تَحْجُجُ بِيوتنا الْقُصَادُ دَأْبَا
 بِحَيْثُ الْبَيْضُ ضَامِنَةُ الْمَسَاعِي
 فَعِنْدَ السَّلْمِ مَحْرَمَةٌ عَكُوفٍ
 وَحَيْثُ الْجُرْدُ لِلْغَارَاتِ تَرْدِي
 وَلَمْ أَرِ مِثْلَنَا فِي الدَّهْرِ قَوْمًا
 وَتَضَطَّبْنَ الصَّوَاعِقُ فِي غُمُودٍ
 فَتُطْعِمُنَا الْمَجَالِي وَالرُّوَاسِي
 وَتَفْتَرِشُ الْبَطَاحُ لَنَا الْحَشَايَا
 تَقُومُ عَلَى دَعَاوِيهَا الْأَدْلَسَةَ
 عَلَى الشُّبْهِ الْمَخِيلَةَ الْمُخِلَةَ
 عَلَى الْأَجْيَالِ مِنْهُمْ كُلِّ جِلَّةٍ
 مَفَاخِرُهَا رَسُومٌ مُسْتَقْبَلَةٌ
 وَمَنْ نَارِ الْقَيْرِي فِي كُلِّ جِلَّةٍ
 وَمَنْ فَضَلَ الشُّنَاءَ بِكُلِّ مِلَّةٍ
 وَتَهَوَّانَا الشُّمُوسُ بِكُلِّ كَلَّةٍ
 وَمَا غَيْرَ الْهُوَى وَالْكَتْمِ عِلَّةٍ
 فَلَا تَنْفِكُ طَائِفَةٌ مُهَلَّةٌ
 وَحَيْثُ السُّمْرُ مَشِيرَةٌ مُغْلَّةٌ
 وَعِنْدَ الْحَرْبِ فَاتِكَةٌ مُجِلَّةٌ
 فَتَرْكُهَا جِوَابِرٌ مُشْمَعَلَةٌ
 رِيَاحُ الْجَوِّ تَلْحَفُ بِالْأَجَلَّةِ
 وَتَقْتَنِصُ الْبِوَارِقُ بِالْأَهْلَةَ
 وَتُسْقِينَا الْغُيُوثَ الْمُسْتَهْلَةَ
 وَلِلرَّايَاتِ أَرْوَقَةٌ مُظِلَّةٌ

وتعرف من أغرتنا الدياجي
 أبا عبد الله فدتك نفس
 دعوتك مستجداً عهد أنس
 وقد ظعن الصبا إلا أذكاري
 فساعتني عليه من اغتراب
 وما حلني بفخرك في صريح
 ودمت مُجمِعاً شمل المعالي

لعز الله خاضعةً أذلة
 على ما حُزت من فضل مدله
 أبلته الليالي المُستَمِلَّة
 وقد ذهب الهوى إلا تَعِلَّة
 له في مُهجتى ونخز الأخلَّة
 فكم تاج هناك وكم تجلَّة
 ومقتاد أمن الدنيا شمله

وقلت أرثي ثلاثة من الإخوان تقاربت وفياتهم ، جمع الله الشمل بهم في
 دار الرضوان والمغفرة بمنه :

أسايلكم هل من خبير سلوان
 وهل عندكم علم بصبري إنني
 يقولون خفض بعض مابك من جوى
 تضيق على الأرض وهي فسيحة
 وما يفتأ الشوق المقيم بأضلعي
 وليس مشيباً ماترون بمفرقي
 وأرق عيني الأسي يبعث الأسي
 لمن دمن يشكو العفاء رسومها
 وقفتُ بها أذرى النجيع كأنما
 ديار الألى كانوا إذا أفق دجا
 هوت من سمائي بعد ماكن زينة
 رماني بيعقوب الزمان وبعده
 وإن كان ما بين الخطوب تفاضل

ففي ليل همي ضاع أو سيل أجفاني
 فقدت جميل الصبر أوجع فقدان
 هان على المرتاح ما لقي العان
 كما خلق فوق الخضر معقد هيان
 إذا مرت عن طوق الصباية أفنان
 ولكن خطوب جمّة ذات ألوان
 مطوقة نامت على غضن البان
 كحظ زبور في مصاحف رهبان
 تُقرى وشك البين مني بقربان
 كواكب يجلو نورها ليل أشجان
 ولهفي عليها من ثلاثة شهبان
 رماني بديرهم يا لك سهمان
 فلاتنل فقدي بأحمد بن سليمان

وجُملة أنسى بين لَحْدٍ وأكفان
 بشارٍ ولا أنسيت بالثالث الشان
 كما انتشرت يوماً قلادة عقيان
 كما استبقت غر الجياد بميدان
 ولو أنه ردّ التحية أحيان
 وبينى العلى والنيل والخيّل لبان
 فيامن لِقَابِي منه بالسّاحط الدّان
 مودة خلّ سار عني وخيلان
 يوم أرداني لشمرت أردان
 جنى لبني الدنيا كما يفعل الجان
 أبي الدهر أن يلقى على الدهر ألفان
 فكم نسبة ما بين روحٍ وجثمان
 وما حال طرّف قد أصيب بإنسان
 جنائي وخلائي الزمان وخيلان
 مقدّمة لم يختلف عندها إثنان
 فإن قلتُ قضائي الخفوق تقاضان
 أهدرتّه في ترصّ على مسان
 ولا أنس إنسان مصابك أنسان
 ولا عيشي الهائي على النأي ألمان
 عليك وقلبٍ في الحناجر حيران
 فأورت لي فيها شقايق نومان
 ثقالا سقى منها المعاهد عهدان

كفاني أن أدرجتُ محض مسرتي
 ووالله ما أنساني الدهر أولاً
 تخونهم صرف الردى فتحرموا
 فمن سابقٍ وليّ على إثر سابق
 بنفسى من حييته فاستخفّ بي
 وعهدى به مهما دعوتُ وبينه
 دنا منزلاً مني وشطّ مسزاره
 ألا ليت عمري لم يفدني زمانه
 فلو شعرت نفسي فإني لشاعرٌ به
 هو الموت يختار الخيار وينتقى
 فلا تقن ما يفنى تعيش وادع الحشا
 صديق الفتي إن خفق الحق روحه
 وما حال زند لم يؤيد بساعد
 وهبني أمّنتُ الحادثات ولم يرع
 أليس إلى التحليل كلُّ مركّب
 يدبر لي الدهر المكيدة في المنا
 وليل بقبابي محطّة قلعة
 أيعقوب ما حزني عليك بمنقض
 ولا حالي الحالى على البعد غرتي
 فمن لي بدمع في المحاجر مهتد
 نسبتُ إلى ماء السماء مذامعي
 إذا ما جدت ريح الزفير سحابها

وقد دان قبل اليوم دمعى خالصا
 لقد كنت لى رُكناً شديدا وساعداً
 كسالكُحك الرِّيحان والروح والرحا
 وجادت على مَثَواك مُزنة رحمة
 وما كان إبراهيم إلا حديقة من
 أمين على السرِّ المصون محافظاً
 لئن بليت تلك المحاسن فى الثرى
 قِراد عليها من نعيم ونُضرة
 ذكرك والأيام سَلْمٌ وشملنا
 وللنرجس المَطْلُول تحديق أعين
 وللشمس ميلٌ للغروب مرئح
 بساط طواه الدهر إلا تذكراً
 وإن ذكر الإخوان من مثل أحمد
 ذخيرة أيامى ووُسطى قِلاذنى
 وثران ضللتُ الفضل يوم استفادة
 شهيدٌ ذرت عيني عليه نجيعها
 أخلاء كانوا فى الشَّدائد عُدَّة
 شلَّهم شوى الردى فتجمُّوا
 يحقُّ لهم أن يُعبطوا إد تنقلوا
 وما أكتب اللقاء وإن بعد المدا
 سكنتم فحرَّكم جحيم جَوانحى
 ويممتم دار النعيم وإتنى لأشقى

ولكن أمهلنى على الدمع إدمان
 مديدا ومذخوراً لسرى وإعلان
 فقد كنت رُوحى فى الحياة وريحان
 يحبيك منها كلُّ أوطف هتان
 الفضل تُوتى أكلها كلُّ إنسان
 على كتفه إن ضاق صدرٌ بكمآن
 فحزنى جديدٌ ما استمر الجديدان
 وخفى عليه من شباب وريعان
 جميعٌ وطرفُ الدهر ليس بيَقْظان
 وللآسة النحاي ريبذ آذان
 ترى رُجج الدنير فى كف ميزان
 كما تنقَعُ الرَّمضاء غلَّة ظنَّان
 ألا كلُّ مرعى تعدد غير سَعْدان
 ونُكَّة إخلاصى وحكمة ديوان
 هدانى إلى نهج السبيل وهادان
 كأنهم وارود ما بين أجفان
 إذا أثمرت هوجُ الخطوب بخطبان
 وحلُّوا جوار الله أكرم ضيفان
 إلى العالمِ الباقى والعالمِ القان
 ويا قُرب ما بين المُعجِّل والأوان
 وغيتم فأحضرتم لواعج أحزان
 فيا بُؤسى بسكَّان نعمان

ولو أنني أعطيتُ نفسي حَقَّها
ولا عاراً في وِرْدِ الجِمامِ فإنه
لَعَمْرُكَ ما يصفو الزمان لو اريد
وقس آتياً من أمره بالذي مضى
أما تَرَكَتُ كِسرى كسيراً صرُوفه
ومدُّ إلى سَيْفٍ أَكْفٍ اعتدابه
وهل دافعتُ خَطْباً توابعُ تُبَّع
وكان قياد الصَّعبِ صعباً مَمْنَعاً
جلت لبني العباس وجهَ عُبوسها
وكم أَخَلَفَتْ شَتَى المِنا من خليفَةٍ
وغادرت القصر المشيد بناؤه بسِنْدِاد
ولم تُبقِ يوماً للخُوزَنقِ رونقاً
وكم من أُنْبى سامة العُسر دهره
ومحتقرُ ماضى الدُّبابين في الوغى
وأى سرورٍ لم يعد بمساءةٍ
ومن باع ما يَبْقَى بفانٍ فإنما
خذوها على بُعْدِ النوى من مُسْهَدٍ
ووالله ما وقَّيتُ حقَّ مودةٍ
ومهما تساوى طَئيبٌ ومُقْصِرٌ
ولا كُومٌ لي في العجز عن نيلِ فايت

فما أنا للعهد الكريم بخِوان
سبيلُ الورى ما بين شيبٍ وشبان
وإن طال ما أحمى لظي الحرب صفان
فربُّ قياس كان إجلاء لبرهان
ولان على صولاته ملكُ اللان
فأخرجه بالرَّغم من غمِّدِ غمدان
وهل درأت كُرباً سياسةً ساسان
فألقي إلى الدنيا مقادة إذعان
وقبلُ أمدتُ سِرْبَ أبناءِ مروان
وأذوت رياح الدهر إذواء تيجان
وقفراً بَلَقَعاً بعد عُمران
ولا شَعَبت بالقتل من شُعبِ بوَّان
فأبَدَى له بعد الرضا وجهَ غضبان
سطا منه بالأنف الجِمي ذبابان
وأى كمالٍ لم يُعاقب بِنُقْصان
تعجَّل في دُنياه صَفْقَةَ خُسران
حليفِ أسيِّ ما في الجوانح لهفان
ولكنه وسعى ومبلغُ إمكانٍ
بحالِ فحكَمِ النطقِ والصَّمْتِ سيان
فإن الذي أَعْيَا البريةَ أَعْيَانِ

ومن الاسترجاع والاعتبار، والتحزن لورطة الغفلة، وما توفيتي إلا بالله،

قلت من الشعر المتقدم عن هذا الوقت :

جهاذ هوى لكن بغير ثواب
وعمر تولى في لعل وفي عسى
أما آن للمُنبت في سبل الهوى
تأملتها خلفى مراحل جُبتهما
جرى بي طرف الله وحتى شكا الوجا
وما حصلت نفسى عليها بكامل
نصيبى منها حَسرة كَوْنها مضت
وما راعى والدهر رب وقسائع
سوى شعرات لحن من فوق مفرقى
أبحن ذمارى وانتهبن شيبتى
وقد كنت يهدى المروض طيب
فمذ كتب الوخط الملم بعارضى
نسخت بما قد خطه مُسند الهوى
سلامى على تلك المعاهد^(١) إنها
ويا آله^(٢) العهد انعمى فلطالما
كأنى بذات الضال^(٣) من فتى
تقول اذكرى بعد ما بان حيرتى
وأصبحت من بعد الأوانس كالدمى

وشكوى جوى لكن بغير جواب
ودهر تقضى فى نوى وعتاب
بأن يهتدى يوما سبيل صواب
يناهز فيها الأربعين حساب
وأقفر من زاد النشاط جراب
ولا ظفرت كفى ببعض طلاب
بغير زكاة وهى مثل نصاب
سجال على أبنائه وغسلاب
قذفن لشیطان الصبا بشهاب
أهن نصول أم نصول خطاب
شمايلى ويمرح غصن البان بين ثياب
حروفا أتى منها بمحض عتاب
وكم سنة منسوخة بكتاب
مربع الألى^(٤) وعهد صحاب
سكبت^(٥) على مثواك ماء شباب
تذكر فيها اللهو بعد ذهاب
وصوح روضى واقشعر جناب
يهول حداة العيس جوب يباب

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (المربع) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (إلى) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (ويا بانه) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (بكت) . والتصويب من الزيتونة .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الدال) .

تغار الرياح السَّاجِيَاتِ^(١) بطارقي
فإن سَجَّعَ الرِّكْبَانَ فِي بِمَذْحَةِ
ألم تعلموا أن الوفاء سَجِيَّتِي
سقاك كدمي أو لحدودي وابلُ
ولا بَرِحَتْ نَهْوُ لِعَهْدِكَ الصَّبَا
سواي يردع الدهر أو يستفزّه
وغيري يُثْنِي الحوض ثَنِي عِنَانِهِ
تَمَلَّاتُ بِالدُّنْيَا الدُّنْيَةَ خَبِيرَةً^(٢)
وأيقنتُ أن الله يمنع جاهدا
فياذلُ أذنَ ضَمِّهَا أذنُ حَاجِبِ
وقد كان هنيئاً أن تعاني مطيئتي
وأضحى ومحراب اللُّجَا مُتَهَجِّدِي
وتضحكُ من بغداد بيضُ قِبابِهَا
ولكن قضاء يغلبُ العزمُ حِكْمُهُ
يقولون لي حتى م^(٤) تَنْدُبُ فَاَسَا
إذا أنا لم آسف على زمن مضي
فلا نَظَمْتُ دُرَّ القَرِيضِ قَرِيحَتِي

وقلت أبياتا تبرزُ بها يدُ من طاقِ خَشْبِي، لتمام ساعةٍ من الليل، في نهاية
الإحكام وحسن الشكل، يُنصب مكانها بين يدي السلطان ليلة اتخاذ المولد

(١) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (السافرات) .

(٢) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (اشتطت) .

(٣) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حيرة) والأول أرجح

(٤) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (علم) .

الكريم ، فكان منها عند تمام الساعة الرابعة قولى :

سَبَقَ القِضَاءُ وَأُبْرَمُ^(١) المَحْتومُ والغَيْبُ عَنَّا سِرُّهُ مَكْتومُ
حَالُ الزَّمَانِ إِذَا اعتَبِرْتَ غَرِيبَةً والحَالُ فِي التَّحْقِيقِ لَيْسَ تَدومُ
واللَّيْلُ سَبَلَكَ دُرَّةَ سَاعَاتِهِ إِنْ حَلَّ مَعْقِدُهُ هَوَى المَنْظومُ
أَكْرَمُ بِرَابِعَةٍ تَوَلَّتْ بَعْدَمَا ثَبَّتَتْ لَهَا فِي الصَّالِحَاتِ رَسومُ
ولقد سَهَرْتُ مَفْكَرًا وَالبَدْرُ فِي بَحْرِ السَّمَاءِ مَعَ النُّجُومِ يُعُومُ
فَحَسِبْتُ شَكْلَ البَدْرِ أبيضَ هَائِمًا فَوْقَ يُحَلِّقُ طَيْرُهُ وَيُحُومُ

ومنها :

حَجْرٌ رَمَاهُ المَنْجَنِيقُ فَشَانَهُ مَتَطَأُطِيءُ مِتْدَافِعُ مَلْمُومُ
وَمِنَ النُّجُومِ أَسَنَةٌ لَجِيوشِهَا مَن كَلَّ مُطَّلِعٌ عَلَيَّ هَجُومُ
رَجَعْتُ إِلَى حَرْبِي وَعَمْرِي مَعْقِلُ وَمُخَلَّصِي مَن نَابَهَا مَعْدومُ
بَدَرْتُ لَهَا شَرَفَاتِ أَسْنَانِي تَهِي وَقُوَايَ تَفْقَدُ رَجْعَةَ وَتَقُومُ
فَصَرَحْتُ يَا وَيْلَى أُصِيبَتْ غُرَّتِي مَاذَا عَسَى هَذَا البِنَاءُ يَسْذومُ
وَإِذَا رَمَى فَلَكُ البُرُوجِ مَدِينَةً بِالمَنْجَنِيقِ فَسُورُهَا المَهْدُومُ
مَا دُونَ وَجْهِ الحَقِّ إِنْ حَقَّقْتَهُ يَقْنَى وَيَبْقَى الوَاحِدَ القِيُومُ

المقطوعات المشتملة على الأغراض العديدة

منها فى غرض التورية :

ناديت دمعى إذ جدَّ الرُّحِيلُ مَرَّ والقَلْبُ مَن فَرَّقَ التَّوْدِيعَ قَد وَجِبَا
سَقَطَتْ يَا دَمْعُ مَن عَيْنِي غَدَاةَ نَأَى عَنِّي الحَبِيبِ وَلَمْ تَقْضِ الَّذِي وَجِبَا

وقلت فى التورية أيضاً :

كَتَبْتُ بِدَمْعِ عَيْنِي صَفْحَ خَلْدِي وَقَد مَنَعَ الكَرَى هَجْرَ الخَلِيلِ
وَرَأَيْتُ الحَاضِرِينَ فَقَلْتُ هَذَا كِتَابُ العَيْنِ يُنْسَبُ لِلخَلِيلِ

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الريبوتة (أبرز) .

وقلت في التورية أيضاً :

وقد رابها صبرى على موقف البين
فعارضت من دمعى بمختصر العين

ولما رأت عزمى حثيثاً على السرى
أنت بصباح^(١) الجوهري دموعها
وقلت في التورية أيضاً :

وروى عن أبي الزناد فؤادى
من دمرعى يهيم فى كل واد

مضجى فىك عن قتادة يروى
وكذا النوم شاعرٌ فىك أمسى

وقلت فى التورية أيضاً :

عبراتٌ قد أعربت عن ولوع
لم أجد ناصراً فليعت^(٢) دموع

حين ساروا عنى وقد خنقتنى
صحت من فيض العذيب فلما

وقلت فى التورية أيضاً :

فى عراضٍ من الخدود مُحول
ك المعافى من عبرتى ونحول

قال لى والدموع تنهل سُجبا
بك ما بى فقلتُ مولاي عافا

أنا جفنى القريح يروى عن الأعمش والجفن منك عن مكحول

وقلت فى التورية أيضاً :

فمدا بريدٌ فيه ألفُ بريد
أو لابس الصوف غيرُ مُريد
قابن السلوك بها على التجريد

مكناسة جُمعت بها زمر العدا
من واصل الجوع لا لرياضة
فإذا سلكت طريقها متصوفاً

وقلت فى التورية أيضاً ولها حكاية :

ورأى غلة الطعام قليلة
فهى اليوم دمنةٌ وكليلة

قلت لما استقل مولاي زرعى
دمنى لانتجاعى الحرث كلت

(١) وردت فى الإسكوريال والزيتونة (بكتاب) . والتصويب من النسخ .

(٢) فلع أى شق .

وقلت في التورية أيضاً ، وقد أهدى الوزير عمر بن عبد الله فرساً [به
جراد في عرقوبه]^(١) :

أشكوا إلى الله الصبر من أبناء يعقوب والوعد ما بين مرموق ومرقوب
زرعت عرقوب أرضي من شعيركم جاء الجراد فأفنى زرع عرقوب
وقلت أيضاً ، وقد جلس السلطان للسلام في يوم شديد البرد :

جلس المولى لتسليم الوري ولفضل البرد في الجو احتكام
فإذا ما سألوا عن يومنا قلت هذا اليوم برد وسلام

وقلت في التورية أيضاً في سنة قحط :

سألنا ربيع العام للعام رحمة ففمن ولم يسمح بذرة إنعام
وقلنا وقدرد الحياء وجوهنا^(٢) قليل الحياء والله أصبحت من عام

وقلت في التورية أيضاً وضمنته مثلاً :

لما رأوا كلفي به وردوا قدر الذي في فيه من حُب
قالوا الفتى حلوا فقلت نعم طلعت حلاوته على القلب

وقلت في ذلك والله ولي التجاوز :

أنا كافر وسواي فيه بعاذل لا يستبين الصدق في آيساته
ومصدق بصحيفة الخد الذي قد أعجب الكفار حسن نيته

وقلت في التورية أيضاً :

بأبي ظبي غزاني مستبيحا شرح صدرى
فأنا اليوم شهيد الحب من غزوة بدر

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الريتونة (به حلوا في أحد
عرقوبه) . والأولى على ضوء الشعر أرجح .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة الشطرة في الريتونة وفي الإسكوريال (فقلت وقدرد
الوجوه ولم ييل) . والأولى أرجح .

وقلت في التورية أيضاً على طريقة المشاركة :

أشكو لمبسمه الحزين وقد حمى عنى لِمَاهِ المَشْتَهَى ورحيقه
يا ريقه حيرتني ومطلتني ما أنت إلا باردٌ ياريقه

وقلت في التورية فيمن ركب البحر وماد :

ركب السفينة واستقلَّ بأفقها فكأنما ركب الهلال الفرقد
وشكوا إليه بمئده فأجبتهم لا غرو أن ماد القضيبي الأملد

وقلت في التورية أيضاً :

يا مالكي بخلالٍ نهدي إلى الفِكرِ خَيْرَه^(١)
أضرمتَ قلبي نارا يا مالك بن نويرة

وقلت في التورية على عرف العامة :

قلت وقد ألبس جسمي الضنا صِبْغَةَ سَقَمٍ أبدا لا تحول
يا من رآني أشفق لما حلَّ بي ويُلْبَسُ مَخِيوط^(٢) على ذى^(٣) النحول

وقلت في التورية ، وقد ذلك السلطان يديه بالحناء :

إن شمس الدين مخبر الملوك دُرَّةُ العِقْدِ ووُسْطَى السُّلُوكِ
ذلك الكفُّ بحناءٍ فقلنا أنت شمس الدين عند الدُّلُوكِ

وقلت من التورية في رثاء رجل اسمه الحسن :

أشكو إلى الله من بثني ومن شجني لم أجن من شجني سوى محن
أصابت الحسن العين التي رشقت وعادة العين لا تُصمى سوى الحسن

(١) وردت هذه الشطرة في الفح كالآتي (إلى القلب حيره) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مخط) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ذل) .

وقلت من التورية الغربية ، عندما خرج السلطان من المدينة البيضاء
[بفاس]^(١) طالبا حقه يريد الحمراء بغرناطة :

ولما حششتُ السَّيرُ واللهُ حاكمٌ لملكك في الدنيا بعزُّ وفي^(٢) الأخرى
حكى فرسُ الشطرنج طَرْفَكَ لا يرى يَنْقِلُ من بيضاءٍ إلَّا إلى حمراء^(٣)
وقلت في قرية شِخْتُ من بادية المنكب ، وتمكنت فيها التورية من وجهين :

بات رفيقى لهم شخت بشيبته عافها العيسان
وقلت ما هذه البوادي فقال لى شِخْتُ يا فلان

وقلت في قريب منه :

تعجَّلتُ وخطُ الشَّيبِ في زمن الصُّبا لخوضي غمار الهَمِّ في طلب المجد
فمهما رأيتم شيبَةً فوق مفسرقي فلا تنكروها إنها شيبَةُ الحَمْدِ
وقلت من التورية بالفقه ، وقد صدرت بها كتابا ، مجيباً به آخر تقدّمه :

يا من تقلد للعلاء سلوكا والفضل أضحي نهجه مَسْلوكا
كاتبَتَنى متفضلا فملكَتَنى لازلت منك مكاتبا مَمْلوكا

وقلت من أبيات في التورية :

وما كان إلا أن جنى الطرف نظرة غدا القلب رهناً في عقوبة ذنبه
وما الحق أن يأتى امرؤ بجريرة فيؤخذ في أوزارها جار جنبه
وقلت في التورية :

ما للسهي بادي النحول كأنه متسّر تبدو مخايل خوفه
قالوا عليك قلتُ هذا ممكن والله أعلم داؤه من جوفه

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنزود) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الحمراء) .

وقلت في التورية أيضاً :

أجاد يراعُ الحسن خطَّ عذاره وأودعه السرُّ المصون الذي تذرُّ
ولم يفتقر فيه لختم وطابع فمبسمه أغناه عن طابع السرِّ
وقلت في عين قرية البَدُول^(١) ، وفيه التورية :

قلت اعشقوا عين البلول التي في مثلها يُرفض قول العَدُول
فقلّ ما أبصرتم منظرًا أملح من منظر عَيْنِ البَدُول

وقلت أيضاً في التورية :

وظي لأوضاع الجمال مدرس عليم بأقسام المحاسن ماهر
أرى جيدَه نصَّ المحلِّ وقررت ثناياه ما ضمّت صِباح الجواهر
وقلت في التورية أيضاً ، وفي إشارة إلى رجل يقصد الولايم من أجل بطنه ،
وشلّة نهمه :

أذيمُ ذوى التطفيل مهما أتى وإن تكن أجملتهم فاعنه
يمشى على رجليه مع كونه من جنس من يمشى على بطنه
وقلت في التورية أيضاً ، والتورية طيبة ، وقد سهرتُ في طريق المنكب
برأس المزاد ، وقد صدعتني وعورته :

هند رأس المزاد عاذق السهد ولم تُغن حيلتي واجتهادي
حسبي الله كيف يبرأ سريعا سَهَرٌ عن صداع رأس الزاد

وقلت في التورية بكتاب مُسلم ، من كتب الحديث :

ذهب الألى كانوا نجوما للسورى فالكون مُظلم
وتذاكر الناس الحديث الحقُّ وافتقد المُعلم
أنا كاتب السلطان ما طالعت كتاب مُسلم

(١) قرية البلول، هي قرية أندلسية تقع على مسافة قريبة من جنوبي فرناطة، وبالإسبانية Padul

إلاً سخاما قادحاً في الدين والله المُسَلِّم

وقلت في التورية النجومية في المدح :

إن أبهم الخطب جلي في دُجنته رأياً يفرق بين الغي والرشد
 وإن غنا الدهر أبدى من أسرته وكفنه هذى حيران وري صد
 وإن نظرت إلى لألاء عُسرته يوم الهياج رأيت الشمس في الأسد
 وقلت من التورية في المدح :

تخونه صرفُ الزمان وهل ترى دواما لحالٍ أو بقاءً على أمر
 هو الدهر ذو وجهين يومٌ وليلةٌ ومن كان ذا وجهين مُعتب في عُذر
 وقلت وقد جمدت رجلاى لشدة البرد بتاجرة ، مورياً بعرف العامة ،
 إذ تقول لمن بولغ في نكاله ، عملت إطرافه :

لقد جمدت رجلاى تاجرة الردى فخففت من بأى لديها وإشراف
 وما أرتجى من بقعة قد هجوتها لقد ظفرت بي فهي تعمل أطراف
 وقلت في التورية لمن يدعى شمس الدين :

قل لشمس الدين وقبت الردى لم يدع سقمك عندي جلدًا
 رمدت عينك هذا عجيبٌ أوعين الشمس تشكو الرمدًا
 وقلت في التورية في رجل أقسم أنه ذو مالية وأمانة ، وطلب من السلطان
 خدمته :

حلقت لهم بأنك ذو يسار وذو ثقة وبر باليمين
 ليستندوا إليك بحفظ مال فتاكل باليسار وباليمين

ومن المقطوعات أيضاً :

في غرض المدح

طوى البُعد عن شوقٍ وحثَّ ركابه وأوشك في مغناك^(١) حطُّ رحاله
 ومما شجاه البعد عنك وشَفَّهُ تَبَدَّى نحول السَّقَم فوق هلاله
 وكتبتُ في جوابٍ للسلطان ، وقد رحلتُ لتفقد الثُّغور ، وكان من
 فصوله إلى تقرير التشوُّق إلى اللقاء :

تخالف جنس الشوق والحكم واحد وكلُّ محبٍّ في الكمال مُشتاق
 فمعنى اشتياق الأرض للغيث حاجةٌ ومعنى اشتياق الغيث للأرض إشفاق
 وخاطبتُ سلطان المغرب ابن السلطان أبي الحسن ، ولها حكاية . وأبو
 الحسن الصغير ، رجل كبير من فقهاها :

قل للذي ذكر الهدى وعهوده فبكى وأصبح مُشفقا من فقدها
 غَصَبَتْ حقوق الله جلَّ جلاله فقضى أبا الحسن الصغير برُدِّها
 وقلت في غرض المدح ، أشير إلى الكفتين ، والعدد المستخرج منهما للمجهول :
 لا عدل في الملك إلا وهو قد نصبه وصير الخلق في ميراثه عُصبة
 والكفتان ترى من كفه دُرَّة تستخرج العدد المجهول للطلبة
 وقلت وقد مررتُ بين يدي السلطان ، في يوم شديد الهاجرة ، وهو ينظر
 من طاق بقبة قصره ، وأنا أروم تفقد أملاكى بالفحص ، وأنكر ذلك في
 شدة الحر :

إذا كان فوق من نَدَاك غمامةٌ وحولى روحٌ من رضاك وريحان
 فإنَّ سموم القيِّظ عندي نسمة وإنَّ مشيم القفر عندي بُستان
 وقلت مشيرا إلى الحديث في البحر :
 رأيت بكفك اعتباراً بأساً ونداً ما أن يبارى^(٢)

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مغناه) .

(٢) هكذا ورد هذا البيت في الإسكوريال . وورد في الفصح والزيتونة كالآتي (رأت

بكفك اعتباراً بأس ونداً ما أن يبارى)

فَقَلْتُ وَقَدْ عَجِبْتُ مِنْهُ يَا بَحْرُ مَتَى تَعُودُ نَارًا^(١)
 وَقَلْتُ وَقَدْ جَعَلَ السُّلْطَانُ فِي رَأْسِهِ بَيْضَةَ السِّلَاحِ مَصْفُورَةً :

يَا إِمَامًا أَطَالَ رُبِّي عَسَلَاهُ وَهُمَا مَا بِالْفَخْرِ مَا أَوْلَاهُ
 أَنْتَ كَالرُّمْحِ فِي اعْتِدَالِ وَطُو لَ وَانْتِخَابِ الْحَدِيدِ فِي أَعْلَاهُ

وَقَلْتُ فِي غَرَضِ الْاِفْتِخَارِ :

مَا ضَرَّنِي أَنْ لَمْ أَجِءْ^(٢) مُتَقَدِّمًا بِالسَّبْقِ يُعْرَفُ آخِرَ الْمَضْمَارِ
 وَلِئِنْ غَدَا رَبَّعُ الْبِلَاغَةِ بَلَقَعَا فَلَرَبٌّ كَنْزٌ فِي أَسَاسِ جِسْدَارِ
 وَقَلْتُ وَفِيهِ الْإِشَارَةُ إِلَى الْكَاتِبِ ابْنِ الْكُوَابِ^(٣) :

بَأَوْتُ عَلَى زَمَنِ هَمَّةٍ فَأَعْتَبَنِي الزَّمَانُ الْعَاتِبِ
 وَشَرَّفَنِي اللَّهُ فِي مَوْطِنِي وَفِي بَيْتِهِ يَشْرَفُ الْكَاتِبِ

وَقَلْتُ وَهُوَ مِنَ التَّخْلِصِ الْمُخْتَرَعِ ، وَقَدْ جَرَى بَعْضُ مَا مَدَحَ بِهِ الْمُلُوكُ مِنْ
 بَنِي الْعَبَّاسِ :

أَقُولُ وَاللَّيْلُ أَعْيَانِي تَطَاوَلَهُ وَأَوْسَعُ الذَّمِّ وَالتَّعْنِيتِ أَسْوَدُهُ
 مَا كَانَ يَجْرَأُ لَيْلِي أَنْ يُطَاوِلَنِي شِعَارُكُمْ يَا بَنِي الْعَبَّاسِ أَيْدُهُ
 وَقَلْتُ وَهُوَ مِنْ بَدِيعِ التَّخْلِصِ :

أَقُولُ وَالصَّبْحُ لَا تَبْدُو مَخَايِلُهُ وَقَدْ تَعَجِبْتُ مِنْ سُهْدِي وَمِنْ أَرْقِي
 كَأَنَّمَا اللَّيْلُ زَنْجِي مَلَابِسُهُ قَدْ زَيْنَتْ بِأَلْوَانِ أَنْجَمِ الْأُفُقِ
 وَنَامَ سُكْرًا فَلَا شَيْءَ يُنَبِّهُهُ لَمَّا يَخْشَى حَرَاكَ حُمْرَةِ الشَّفَقِ

وَقَلْتُ مِنْ أَبْيَاتِ أَمْدَحِ السُّلْطَانَ أَبَا الْحِجَّاجِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

فِي مِضْرٍ قَلْبِي مِنْ خَزَائِنِ يَوْسُفَ حَبٌّ وَعَيْسُرٌ مَدَامَعِي تَمْتَارُهُ
 حَاطَتْ شِعْرِي بِاسْمِهِ فَكَانَهُ فِي كُلِّ قَطْرٍ جَسْلُهُ دِينَارُهُ

(١) هكذا وردت هذه الشطر في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ (يا بحر متى تدعو نوارا)

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . وفي الزيتونة (أحز) .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (ابن الكواكب) . وهو تحريف .

وخاطبت ولده رضى الله عنه ، معترفا بحبى فيه ، وكرد الخدمة :

قالوا لخدمته دعساك محمد فكرهتها وزهدت في التنويه

فأجبتهم أنا والمهيمن كساره في خدمة المولى مُحَبِّ فيه

وراجعته عن كتاب كتب لى بخطه ، من فصوله الإنحاء على رداة الحبر :

إذا ما تجلى النور في جنح ظلمة جلاها كما تجلو الدجا غرة الفجر

فلا تنكرن الحبر أن حال لوته فوجهك يجلو ظلمتنا الليل والحبر

ومن مدح البلاد وفيه بيان سبب حبها قولى في غرناطة :

أحبك يامغنى الجلال^(١) بواجب وأقطع في أوصافك الغر أوقات

تقسّم منك التراب قومي وجيرتى ففى المظهر أحياء وبالبطن أموات

وفى سببة المحروسة :

حييت يامختظ سبت بن نوح بكل مزن يغتدى أو يسروح

وحمل الرياحان ریح الصبا أمانة فيك إلى كل رُوح

ولينظر تمام هذه المقطوعة في اسم الخطيب أبى عبد الله بن مرزوق في حرف الميم^(٢) .

وقلت في بنيونش^(٣) من أحواز خارج سبته المذكورة :

لله بنيونش تحكى منازلها كواكب أشرقت في جنح ظلماء

صحّ النسيم فما يعتل من أحد إلا النسيم وما يرتساع من داء

ومن كرامتها أن الشمال إذا رامت زيارتها تمشى على الماء

وفى مصر وقد بينت مزية مُحَبِّها على من دونهم :

سلمت لمصر فى الهوى من بلد يُهديه هواؤه لى استنشاقه

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتون (الجمال) والنفع (الكال) .

(٢) وردت هذه القصيدة فى ترجمة الخطيب ابن مرزوق فى المجد الثالث من الإحاطة

(ص ١٢٨ - ١٣٠) . وأوردتها المقرئ فى النفع (ج ٣ ص ٢١١) .

(٣) بنيونش وترسم أحيانا بليونش ، هى ضاحة ثم سبته المعروفة حتى اليوم ، وهى

بالإسبانية « penones » أعنى (الصخور) .

من يُنكر دعوى فقل غني له
وفي غرناطة :

بلد تحف به الرياض كأنه
وكأننا واديه معصم فضة^(١)
وجه جميل والرياض عذاره
ومن الجسور المحكمات سيواره

وفي رياض الكدية ، التي لولدى أسعده الله ، ولا نظير لها في جلاله القدر:

حدث عن الكدية من شيبته
فالعقل بالمعتاد مُستأنس
والحق في أوصافها أنها
خرقياؤ حُسن وجدت صوفا

وفي جنة أخيه المعروفة بجنان الورد :

إذا أهدي الإنسان وردة جنة
وأمل أن يحيا لفصل يعيدها
تهل من بعد العُبوس مُحياه
فكيف بمن في جنة الورد مثواه

وفي جنة أخيهما بالزاوية :

إن كانت الجنة موجودة
بأبقة فاز بها المشتري
في الأرض قلنا جنة الزاوية
فأم من خلفها هاوية

ومن أغراض النسب قلت من قصيدة :

تذكرت عهدا كان أحلى من الكرى
فياليت شعري من أتاح لي الجوى
وأقصر من إلام طيف خياله
وعذب بالي هل أمر ببناله
وقلت وهو من التشبيه العقيم :

أعلى بمطامع من دونها
تزداد أشواق إذا يوم خلا
جوب النفوس مفاوز الأعمار
كتضاعف الأعداد بالأسعار

(١) هكذا وردت هذه الكلمة في الإسكوريال والزيتونة . ووردت في مخطوطي دار الكتب

وجابنجوس (غادة) . (راجع المجلد الأول من الإحاطة - الطبعة الثانية ص ١١٥) .

وقلت من أغراض المشاركة :

رموا بالسُّلو حليف الغرام
أعوذ بعزك ياسيدي
وقلت من أبيات :

عذبت قلبي بالهوى فقيامه
ولقد عهدت القلب منك مُوجداً
وقلت في ذى ذؤابة سوداء :

ياغزالا نَسرك القلب المُبلى
كيف يخشى القلب منى خفقانا
وقلت فى النسب :

من لى بذكرى كلما أوجبتُها
وسحاب دمع كلما استمطرته
وقلت فى النسب أيضا :

أضاف إلى الجنون^(٢) السود شعرا
فقلت أمير هذا الحسن تزكُو
وقلت فى المعنى أيضا :

من لى به أسمر حلو اللما
كالنحل فى رقّة خضر وفى
وقلت فى النسب أيضا :

أنكرته لما أطلّ عارضه
ألم تقل لى بأننى قمر
فقال لى حين رابه نظرى
فانظر إلى^(٤) وبر أرنب القمر

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (النار) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (دقوق) . و نعتقد أن الصواب أرجح . والذفوف أى السرعة

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (العيون) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (فى)

ومن أغراض التضمين قلت :

لا تُهيج بالذِّكر من خَلدي
نار شوق شقٍّ محتمله
ويقول الناس في مثل
لا تحرك من دنسا أجله

وقلت من التضمين :

يا من بأكناف فؤادي رُتِع
قد ضاق بي في حبِّك المتسع
ما فيك لي جدوى ولا أرعوى
شح مطاع وهوى متبسع

وقلت من التضمين :

قال جوادى عندما
إلى متى تهيمزنى
همزتُ همزاً أعجزد
ويلٌ لكل همزة

وقلت :

أصبح الخدُّ منك جنةً عدن
ظَلَلتُنَا^(١) من الجفون سيوف
مُجْتَلَى أعين وشم أنسوف
جنة الخلد تحت ظل السيوف

وقلت :

محاسنك اغتدت جنات عدن
فمهما حلَّها^(٢) إنسان عين
لمن يرتاد إحساناً وحُسناً
فلإنسان فيها ما تمئى

وقلت في طول الليل :

ساورتُ أسود من ظلام دُجأ
أنا لا أقول سطا الصباح به
من باته فإلى الجحيم دُفع
لكن طغى^(٣) نُعبانه قَرَبِع

وقلت :

رفعتُ قصة اشتياقي ليحيى
فورى الوجه رافضاً للفتوة

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (أص ، قسا) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (جلاها) .

(٣) هكذا الإسكوريال . وفي الزيتونة (سطا) .

قلت يحيى خذ الكتاب بقوة

ورى بالكتاب ضعف ابتسال^(١)

وقلت :

يوسف والشهود أبناء جنسه
لم أخف من عقابه أو حبسه
أنا راودت يوسفاً عن نفسه

ساربي للأمير يشكو اعتراضاً
قال ما تقول قلت بديهاً
حصحص الحق ياخوند فدعني

وقلت :

يا روضه المتناهي الربيع يا ثمره
مأمور حُسنك لما يقض ما أمره

يا كوكب الحُسن يا معناه يا قمره
أمرتنى بسلو عنك مُمتنع
وقلت في ذلك أيضاً :

من لم أزل فيه خليع الرُسن
أنبتَه اللهُ النُّبات الحسن

أفقد عيني لزيد الوسن
عذاره المسكى في خده

وهو ينفع من مرض الحصا :

وقلت في العين الذي بحصن نارجة ،

ماؤه بتنقية الماثانة خصصا
وتحدث بالماء الزلال مع الحصا

أنظر إليه شبيهه معجزة العصا
فإذا الطبيب سقاه أسرع نُجحه

وقلت في التضمين أيضاً :

ويجرى إذا ذكر جوى ويمين
وليس لمخضوب البنان يمين

يعاهدني دمعى على كتم سره
وذاك لأني من نجيعى خضبتُه

ومن الأوصاف وما يرجع إليها

قلت في الليل :

إلى أن تبدى الضوء وانقشع الحلك

تلوى ظلام الليل بالصبح ظالماً

(٤) مكنا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (انفعال) .

كما سرق العبد العَبُوسَ عمامةً

وقلت في المعنى :

أقول ووعد الصُّبْحُ يُمِطُّهُ الدُّجَا
كَأَنَّ الصَّبَاحَ الطَّلَقَ طِفْلًا مَجْرَدًا

وقلت فيه :

عَبَسَ اللَّيْلُ فَلَا صُبْحُ يَرَى
وَضَحِكُنَا وَحَلِينَا طَرَفَا

وقلت فيه :

أَيَا لَيْلٍ أَفْرَطْتَ فِي جَفْوَتِي
وَمَا لِي ذَنْبٌ وَلَكِنْ سَخَفْتِ

وقلت فيه :

أَرَقْتُ وَجَنَحَ اللَّيْلُ قَيْدَ خَطْوَةٍ
وَمَا بَلَيْتِ نَفْسٌ أَمَرَتْ تَنْظُرَ فِيهِ

وقلت فيه :

يَا لَيْلٍ طُلْتِ وَلَمْ تَجُدِي بِتَبَسَمِ
هَلَّا رَحِمْتَ تَغْرُبِي وَتَفْرُقِي

وقلت فيه :

حَارَ الظَّلَامُ عَلَيَّ دَوْرَةَ كَافِرٍ
وَلَوْ أَنَّي كَابَرْتُهُ لَمْ أَسْتَطِعْ

وقلت فيه :

بَلِيلٌ كَانُونَ عَرَفْتُ الْجَوِي
طَالَ بِهِ نَفْحُ نَسِيمِ الصَّبَا

فأخرجها من تحته حاكم الفلك

إلى أن تبدى للعيون مُحيًا
تلقفه الثُّعبان ثم تَبَنَّاه

وهوى النجم وغاب الفَرْقَدُ
أفلا يضحك هذا الأسود

وعودتني منك شرُّ الخِلالِ
بِقُرْطِ الثُّرَيَّا وتَاجِ المِلالِ

فلهفى على الجفن القريح المسهد
بأوحش من عبد عبوس مُقَيَّدُ

وأريتني خلقت العَبُوسَ النَادِمِ
لله ما أقساك يا ابن الخَادِمِ

فقصدت قصد عبادة وتلاوة
ما حال أبيض في بلاد قهاوة

لولا ضياء كف من ظلمه
فاشتعل الإصباح في فحمه

وقلت فيه :

وكانَ جنح الليل أسود سارقُ
مازال يضرب بالبوارق ظهره
سَرَقَ الصبّاح الطَّلَق ثوباً أبيضاً
حتى أقرَّ به فيها هو قد أضاً

وقلت فيه :

يا ليلة ساهرتُ طالِعَ أفقها
والصبح من ريح الشمال بزكمة
حتى تمايل غارباً أو غاطسا
ترَكته من بعد استكانٍ عاصفا

وقلت في ليلة انتخب لها الكثير من الفواكه :

أيا ليلة بالخضب لم تألُ شهرة
فأمن فيها اللوز من غمة النوى
كما اشتهرت في فضلها ليلة القدر
وأصبح فيها التين مُنْشَرَح الصدر

وقلت في وصف السماء :

تتعاور القطبان فها رُقعة
الزهرة الزهراء قُربانُ بها
وكلاهما فيها لعوبٌ حاذق
والبدرُ شاةٌ والنجوم بياذق

وقلت أصف فرساً أهديته :

إذا ما سرى ليلا فبالنجم يهتدى
يُصبح إذا أصغى بمسمع كاهن
ومهما انتمى يوما فللبرق ينتم
ويرنؤ إذا أوى بطرف مُنجم
فبوانه من مهجتي متبواً
فيا عجباً منى وفرط تشيى
أهيمٌ بوجدى فيه وهو ابن مُلجم

وقلت أصف سكينَ بشر للسلطان أبي سالم ملك المغرب :

أرى سيف إبراهيم بينى وبينه
أزبل حروف الخطِّ عند التباسها
مناسبةٌ عند اعتبار المناسب
وتبشّر حداء حروف الكتابيب

وقلت في سكين الأضاحي للسلطان أبي الحجاج :

لى الفضل أن شاهدتني واختبرتني
على كل مصقول الغرارين مُرّهف

كفاني فخراً أن تراني قايماً بسنة إبراهيم في كف يوسف
وقلت كذلك :

إن شهرت نضلي يدا يوسف ريعت لكفى مهجة الليث
ولحت مثل البرق في كفه لا ينكر البرق على الغيث
وقلت في برادة كان يشرب فيها السلطان :

علم الملك أعنى يوسف المولى الهماماً

الغمام لأرض مقي وأنا أسقى الغماما

وقلت في طيفور طعام أهديته :

تعلم طيفورى خلال سميه وإن كان منسوباً إلى غير بسطام
فجاء فقير الوقت لابس خرقه وليس براض غير ضحبة صوام
فديتك لا تردده عنك مخيباً ودرسه يامولاي قصة بلعام
وقلت في روض

كأنما الروض ملك يبنى به جلساه

يرضى النديم فمهما سقى الرياض كسياه

وقلت في مروحة سلطانية :

كأنى قرص الشمس عند طلوعها وقد قدمت من قبلها نسمة الفجر
وإلا كما هبت بمختم السوغي صبا النصر لكن من بنود نصر
وقلت في بحرى يلعب على الشريط ، منوع الحركات :

ويجرى تلاعب في شريط وحي الفحل متصل الصموت

تدلى وارتقى وسما وأهوى فأعجب في التماسك والثبوت

فقلنا إن يكن بشراً سويا ففيه غريزة من عنكبوت

وقلت في بيضة سلاح مصقولة ، اتخذت للسلطان :

خصمت الحشن وانفردت به فجل قدرى وقل أشباه

كأننى كوكب الصباح بدا على جبين الغنى بالله

وقلت في الدّواة والقلم :

مارأت عيني عجيباً
كيرا عي في السّداة
غايصاً يَسْتَخْرِجُ الدُّرُ
بيحسّر الظُّلمات

وقلت كذلك :

أفلامنا الواسِطِيَّة
ذوابل خَطِيَّة
مصروفة لجهاد
وحكمة وعطيَّة

وقلت في مَلْزَمِ الكُتُبِ :

يا حسنه من مَلْزَمِ آثاره
لنوى الوراقة أحسن الآثار
وكانما الكراس طَرَفُ أشهب
شدوا على شَفْتَيْهِ عود زيسار
وكانما قلم الكتاب بَصَفْحَه
مَكْوَى وذا النُّفْطِ نَفْطِ النار

وقلت في بَيْضَةِ السِّلاحِ أَيْضاً :

إذا أنت لاحظت السلاح وجدتنى
وَيُلبِسنى المولى الإمام محمد
أطاوله عِزًّا وَأَفْضُلَه قَدْرًا
وجدتني
فتُبصر منه الشمس تَوَجَّتْ البَدْرَا
وقلت في ذلك :

لحسن بنى نصر صنعت محمدا
فِيهِدِيكَ مَعْنَى العِزِّ فَاي (١) والنَّصْر
علوتُ على بحر السماء حَبَابَةً
ولاغرو أن يعلوا الحَبَابُ على البحر

وقلت في مرآة اتُّخِذتْ لِلسُّلْطَانِ أَيْضاً :

لمجسّد الملك الرِّفِيعِ محمد
تبدو مَظَاهِرِي لِأَمْسُورِ كَأَنَّي
أنشيت فاعجب من غَرَابَةِ شان
من باطن المولى السّدى أَنشَانِ
وقلت في وصف قَيْنَةٍ :

ومرْضِعَةٌ طِفْلا من العُودِ تُدْيِها
ولا دُرٌّ إِلَّا الدُّرُّ من أدب مَحْضِ
إذا لمسته بالبنان تخالها
طبيبياً من الحُذَّاقِ جَسٌّ على نبض

وقلت أيضاً في البدر (١) :

أقول والبدر يسمو في السماء صَعْدًا
أنظره في كفة الميزان صاعدة
وقلت متغزلاً والله وليُّ التَّجَاوِزِ :

قلم المحاسن خطُّ نورِ عِذاره
لا تتقوا عينا تُصِيبُ جماله
وقلت في معنى غريب :

ولربُّ رزقٍ (٢) غداً لقيت مواجها
جاورت والتفتوا إلى فخلتهم
وقلت في رُمانة :

رمانة راق منها منظرٌ عجيب
كأنما حبُّها دُرٌّ وظاهرها
وقلت مرتجلاً لمن طلب ذلك على ضفة الوادي الكبير :

وَمُنْتَقَشِ المِتنِ كالمَبْرَدِ
تدافع مُسترسلاً مايجأ
إذا هبَّ عَرَفُ النَّسيمِ النَّدى
كما اندفع الدرُّع من مزود

وقلت وقد استزاد الطلبة الحاضرون من ذلك :

وَطَمُوحِ العُبابِ ضافي المَقِيلِ
كسبيك اللجين ذهبه
حَسِرِ الرُّوحِ عن حُسامِ صَقِيلِ
الصَّناعِ سبحانه بشمس الأصيل

واستزادوا من ذلك فقلت :

ومدُّرَعِ ينساب في مَنبِتِ الخَوَوطِ
أقام شُعاعِ الشمسِ يشغل فوقه
تَعياً مَثَوِي ظلَّهُ كلَّ مَعْبُوطِ
فسال له ذوبُ اللجين في البوط

(١) وردت في الإسكوريال (البدر) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ورق) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (دواهم) .

ثم قلت في ذلك :

ثعبان نهر راعنا مسدده
فاهتزت الأغصان من فوقه
لما أتى ينساب من حجيره
وصاحت الاطيار في إثره

ثم قلت في ذلك :

أنظر إليه والأصيل مورس
وكانما هو زئبق مترجرج
والشمس تُرسل من عنان مسيرها
ألقت عليه الشمس من إكثيرها

ومن وصف المواضع قلت في تاجرة :

بتاجرة ريحٌ أزاحك بردها
رأت عَصَبِي غزلا وجسمي مرمة
إلاه متى استرحمته فهو يرحم
فها هي تُسدى كل يوم وتلحم

ومن ذلك أيضاً :

يا بقعةً بالحمد معروفة
تري عيون الماء عَمَشاً بهما
تحذرها^(١) الشمس فلا تشرق
وأعينُ النيران لا تنطق

ومن ذلك أيضاً :

جفالك الحيا من بقعة ظلتُ عندها
فلو سامتها الشمس أرعد قرصها
بلا جلدٍ ممالقيت ولا جلد
ولثت فلم تسطع حراكا من البرد
وقلت أصف جبل شلير^(٢) :

شلير لعمرى أسا الجوار
هو الشيخ أبردُ شيء يُرى
وسدٌ على رحيب الفضما
إذا لبس البرنس الأبيضما
وقلت أخطب بعض أصحابنا ممن يُخضب بياض شيبه من بعد الانقاء :
وكريمة شهد الخضاب شهادة
بفتوها عند الأداء مسزورة

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الريتون (تزورها) .

(٢) جبل شلير أو باللاتينية Solaris ، هو الجبل العظيم الذي دنرف على غرناطة من الشرق والجنوب وسمى أيضاً في الجغرافية العربية بجبل الثلج ، وهو تعريب لاسم الإسباني Sierra Nevada وقد سى كذلك لأن الثلوج تكلال آكامه صيفا وشتا .

مرض الفؤاد وحمً لأجلها فجعلت منها للعلاج مُزورهُ

وقلت وقد استزاد الحاضرون من هذا المعنى :

عهدي بهاتيك الكريمة مُهْرَقُ يقن تُسر^(١) به العيون وتُغْبِط
أغریت أجزاء المداد بظْلُها وكذا المداد على الطروس مُسَلِّط

وقلت في ذلك :

خُضْتُها بعد ما لاح المشيبُ وقد جَوَزت في العقل كَتَمَ الصبح بالغَبْش
فاض البياض على رغم السواد بها ويرشح الدمع تحت الكُحْل في العَمَش
وقلت عند الرجوع من الرُّحْلة :

رجعنا بفضل الله بعد استدارة كما راجع البركان مفروض نقطة
وقلت في الغرض المذكور :

البصر تنأى الشهب والشمس فِتْنَةٌ تَلَأَّ منا البرُّ والبحرُ ذو الموج^(٢)
رَحَلْنَا عن الأوج الرفيع نَحْلُها من أجل شتى ثم عُدْنَا إلى الأوج

وقلت أخاطب شيخنا أبا الحسن بن الجيَّاب :

بين السُّهام وبين كَتْبِكَ نسبةٌ مهما يُصاب من العدو المقتل
وإذا أردت لها زيادة نسبة هذى وهذى في الكِنانة تجعل

وقلت في البراغيث وفيها التَّجْنِيس :

بتنا نكابدهم القَحْط ليلتنا وأنجد السُّهد والكربُ البراغيثا
وكنا نحمل ما كنا نكابده من المشقة لوأن البر أغيثا

وقلت في ذلك :

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (تسعد) .

(٢) وردت في الإسكوريال (الملح) . والتصويب من الزيتونة .

وقالوا بدت منكم على الجلد حُمْرَةٌ
عدت نحونا ليلاً ومن بعد ذلك امتدت
وقلت في معنى غريب :

فقلنا براغيثُ لكم رقطسونا
كما رقصت في القلوب زرقطونا
وإن اللّحاظ هي السيوف حقيقة
لم يدع غمد السيوف جفنا
ومن استراب فحجبتى تكفيه
باطلا الأ تشبه اللحظ يغمد فيه
وقلت، فيما يظهر منها :

هممتُ لأن أقبلها بشبتي
وقالت لي رأيتك في حيساتي
فأبدت عند ذا سمة القنوط
جعلت بجسمي قطن الحنوط
ومن الدعابة والفكاهة، قولي أخاطب رجلاً منتفخاً بالجاه ، يعطي أمره
فوق حقها :

رفقاً بنفسك سيدي رفقاً
أما مزاجك فهو معتدل
فالفضل أن تبرأ وأن تبقى
لكن أظن خيالك استسقى

وقلت في الغرض المذكور :

رأيت بمخدوي انتفاخاً فرابنى
فقال وقماك الله فيه فلا
وباكرت دكان الطيب كما وجب
تخف عليه فهذا النفخ ليس له سبب
وقلت غلى طريقة المشاركة :

هم أن ينتف ذقنى قلت^(١) والانى بفضله
لم أكن أدخل إلا أهـ ردد جنة واصله
وقلت على طريقتهم أيضاً :

قلتُ لما سألوني بامتحاني واختباري
أنا من عارى كاس أنا من كاسي عارٍ

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

وقلت على طريقتهم أيضاً :

وقالت حلقتُ الكُؤسَ منى بنورة فقلت لها استنصرت من ليس ينصر
ألا فاخبري^(١) عنى فديتك واصدق بحلق ذاك الكُؤس إننى مُقصر

وقلت في بعض الأصحاب ، وقد أكثر من سرقة كتب البرق الشامى للعماد

الأصفهاني ، رحمه الله :

خليلى إن يُقض اجتماع بخالد فقولا له عنى ولن تعدوا الحقاً
سرتُ العماد الأصفهاني برقه وكيف ترى في شاعر يسرق البرقاً

وقلت ، وقد أرجف قوم من المرورين بظهور الخاتم :

وقالوا قد ظفرنا في الزمان بخاتم قد اجتمعت أوصافه الغرُّ في شخص
فقلت لهم إن صح ما قد ذكرتم فلا بد أن يُحتاج فيه إلى فص
وقلت ، ونستغفر الله من السفاهة :

قالت بعقلك فاحتفظ كى لا تُرى تبكى بضرٍ ليس يعرف كاشفا
واعسل فديت حساب سحرى وارعوى فدأنا الذى أخرجتُ على سرنا كاشفا
وقلت مطاوعا إخوان الدعابة :

قالت إذا استخبرتها عن زوجها هو يُقرن الأزواج في الفدان
قلت ابلى عنى السلام تحيةً عند المجى لزوجك القران
وقلت وهى نزعة بيطارية :

وذى زوجة تشكو فقلت له اسقها دواء من الحب الملىن للبطن
فقال أبت شرب الدواء بطبعها فقلت اسقها إن عافت الشرب بالقرن
وقلت أخطب بعض الطلبة ، وكُنْية أبيه أبو الربيع ، وآهته بأكل
الحشيش :

إننى ابن سليمان وفى الفكر فترة تُخبر أن العقل جدٌ مُغسب

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (فابلى) .

فقلت أظن السيد اعتم عمسة ولكنها في الأصل من كنية الأب
وقلت على طريقة المشاركة والله ولي المغفرة :

قال لي عندما أتى بجداول وشكوك على أصول الدين
ولساني يُبدل الدال تا عاجزا في الأمور عن تبين
التمس مخرجا يوافق قولي قلت أحسنت يا حلال التين

وقلت معارضا أبياتا مثلها لبعض المعاصرين :

بعثت له إذ اتبعنا عصيرا هجرنا في تفقده البيوتنا
لعلك يا حبيب القلب تأتي فتأكل عندنا عتبا وتُسوتنا

وقلت مخاطب من أدل عليه ، وما أولاني بذلك :

إذا قمت قلت بعقيب الكرى إلهي أنت إله الورى
تباركت أنشأتهم من تراب وأنشأتني بينهم من خرا

وقلت وهي نزعة مشرقية :

يا قايدى نحو الغرام بمقلة نفقت حلاوتها بكل فؤاد
ماذا جنيت على من مَضض الهوى الله يُنصف منك يا قواد

وقلت فيمن رعى محبوبه عارضه في حال السكر ، ولحية التيس دواء نافع

للبدن :

رعى عارضى ظبى شكى سقم بطنه وقال ولم تُرشد لحذق ولا كيمس
ألم تر أنى عسله البطن اشتكى وينفع من يشكو بها لحية التيس

وقلت :

حين لم أَرَجُ للخلاص سبيلا دأبه بالصدود في عشاقه
قبضت بالبنان فوق خناقه قبض الله لحيته لخالصه

وقلت في ذلك :

لم أجد فيه لين بث لقلبي
ثقل الله ظهره بعيسال
وقبولا لحجتي واعتذاري
سود الله وجهه بعذار

وقلت في ذلك :

ناديت مبتهلاً وقد جن اللجبي
يارب واجعل لوعتي في قلبه
لما برمت برده وبنجهه
يارب واجعل لمحتي في وجهه

وفي قريب من ذلك ، والله العفو الغفور :

لي حبيب لست أعصى أمره
يدعى أني ثقيل مبرم
لم أطق بعد وصال هجره
أثقل الله بعذلي ظهره

وقلت في مجتمع فضلاء :

أقول وقد جاء الغلام بثردة
بنيت على زرد ولقمني الفتى
بأمثالها يحيي السعيد وينعم
كذلك ماعون البناء يلتم

وقلت والله ولي التجاوز أداعب بعضهم :

شيخ رباط إن أتى شادين
أدلى وقد أبصره دلسوه
خلوته عند انسداد الظلام
وقال يا بشرى هذا غلام

وقلت مشيراً إلى بعض طبقات الغناء :

ضرط الفقيه فقلت ذاك غريبة
قرنا إلى وقال قد أطرفتمكم
ما كان ذلك منه بالمعلوم
من ضرطتي بغريبة المزموم

وقلت أصف رجلاً خبيثاً غفر الله لي وله :

وذى حيل يعي التقيّة أمرها
يدب شبول الليث والليث ساهر
مكايدة في لجة الليل تسبح
ويسرق ناب الكلب والكلب ينبح

وقلت في نزعات المشاركة :

أقول لعاذلي لما نهاني وقد
علمت بيانه مر التجني
وجد الملامة إذ جفاني
وفاتك أنه حنو اللسان

ومن أغراض الإشارات الصوفية وغيرها من الوعظ والجدد والحكم .
ولعل ذلك ماحياً لما تقدمه بفضل الله

قلت . وربما ثبتت في كتاب « المحبة » من تأليفى :

تعددت الألفاظ واتحد المعنى	وأصبح فرداً ما مررت به مثنا
وعادت لعين الجمع وهى كثيرة	محاكلاً فرق مجتلى وجهك الأسنى
تعبدت الأفكار آثارك العلا	وقيدت الأبصار روضتك الغنا
وقصرت الألفاظ عن نيل غاية	ببعض الذى أبدته ذاتك من معنى

وقلت :

لا يُنكر لى إن كنت قد أحببتكم	أو أنى استولى على هـواكم
طوعاً وكرها ما ترون فإننى	طفت الوجود فما وجدت سواكم

وقلت :

والكون أشراك نفوس الورى	طوبى لى نفس حرة فـازت
إن لم تحز معرفة الله قد	أورطها الشىء الذى حازت

وقلت أيضاً فى المشيب وما فى معناه :

أنى لمثل بالهوى من بعد ما	للونخط بالفودين أى ديب
لبس البياض وحل ذرورة منبر	منى ووالى الوعظ فعل خطيب

وقلت فى تعلل يناقض ذلك :

قلت للشيب لا يُربك جفائى	فى اختصارى لك البرور ومقتك
أنت بالعتب يامشيبى أولى	جيتنى فجأة وفى غير وقتك

وقلت :

طال حزنى لنشاط ذاهب	كنت أسمى دايماً من خانة
وشباب كان يندى نضرة	نزل الثلج على ربحانه

ونظرت يوما إلى ولدى فأعجبتني شيبته فقلت :

سرق الدهر شبابي من يدي فسوَّادى مُشعِر بالسكد
وحملتُ الأمر إذ أبصرته باع ما أفقدني من ولدى
وقلت وهو الحقُّ :

أنظر خِضاب الشيب قد نصلا ورائد العيش بعده انفصلا
ومطلبي^(١) والذي كلِّفت به قد رُمّت تحصيله فما حصلا
لا أمل مُسيفٌ ولا عمل نحن في ذا والموت قد وصلا

وقلت :

فَحَطْنَا ثم صاب الغيث رحمي فشكرا يا حِمام إذا الغطنا
ويا غيث الرضا عنا انسكابا فأنت على الخبِير به سقطنا
وقلت لما أخذت في طريقة أبي الفرج^(٢) :

قعدت لتذكير ولو كنت مُنصفا لذكرت نفسي فهي أخوج للذكرى
إذا لم يكن مني لنفسى زاجرا فياليت شعري كيف نفعل^(٣) في أخرى^(٤)
وقلت وأنا بسلا ، وقد أحسست غفلة ، والحال كله كذلك :

أيا أهل هذا القطر ساعده القطر دهيت^(٥) فدلوني لمن يُرفع الأمر
تشاغلنا بالدنيا ونممت مُفرطاً وفي شغلي أو نومتي سُرق العُمر

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (وبقلى) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالآتي (وقلت على طريقة أبي الفرج الحوني) .

(٣) هنا وهذه المقطوعة تم الجزء الثالث منه مخطوط الزيتونة . وبه كل كتاب الإحاطة وفقا لهذا المخطوط . وقد اختتمه الناسخ بالعبارة الآتية « انتهى كتاب الإحاطة بحمد الله وعونه . وصل الله على سيدنا ومولانا محمد الكريم ورسوله الرحيم ، وأخصه بأفضل التسليم . ورضى الله عن العلية خير أصحابه ، وعن الصفوة الصابئة أهل بيته ، وبه نتوسل أن يمن علينا بشفاعته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » (لوحة ٣٠١ ، ٣٠٢) « ووافق المراع منه يوم الثلاثاء الثامن والعشرون من جمادى الثانية عام ١٢٧٣ » .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بليت)

وقلت في مِنكَاة الرَّمْل وهو بديع :

مِنكَاة الرَّمْل فِيهَا عِبْرَةٌ وَنُهَى
لُبَابُ عُمَرِ الْفَتَى يَجْرِي بِجَرِّئِهَا
وشاهدٌ أَن كَلًّا مَنقُضٌ كَمَدَا
كَأَنَّمَا الْعُمُرُ لَمَّا أُطْلِقَتْ فُصِدَا

ولما ارتجلت ذلك ، استزاد الحاضرون فقلت :

تأمل الرَّمْل في المِنكَاة مُنطلقا
والله لو كان وادي الرَّمْل يُنجده
يَجْرِي وَقَدْرُهُ عَمْرًا مِنْكَ مُنْتَهِيَا
ما طال طابِلُهُ إِلَّا وَقَدْ ذَهَبَا
وقلت في قريب منه :

حَمَى الْفَلَكَ الدَّوَارَ جَفْنِي عَنِ الْكِرَى
أَرَاهُ رَحَى قَيْنٍ وَعَمْرَى صَفِيحَةَ
لَشْتَى هَمُومٍ مِنْهُ فِكْرَى يَجْنِيهَا
يَكْرَى عَلَيْهَا بِالْمَدَارِ فَيُقْنِيهَا
وقلت في الوصايا :

إِذَا مَا النَّفْسُ مَالَتْ نَحْوَ حُسْنٍ
فَإِنْ أَحْسَنْتَ بِالْمَيْلِ أَدْرَكَهَا
فقد خَطَرْتُ عَلَى خَطَرِ الْوَلُوعِ
فَمَا بَعْدَ الْمَيْلِ سِوَى الْوَقُوعِ
وقلت في المعنى :

إِذَا صَرَفْتِ نَحْوَ وَجْهِ حَسَنٍ طَرَفَكَ
فَلَا تُمِيلِ قَلْبَكَ مَا اسْتَطَعْتَ لَهُ
واستهداك للحين الطَّمَعِ
فالقَلْبُ كَالْحَائِطِ إِنْ مَالَ وَقَعَ
وقلت :

أَخِي لَا تَقُلْ كَذِبًا إِنْ نَطَقْتَ
وَخِيفَ إِنْ كَذَبْتَ طُرُوفًا فَتَضْحَكُ
فَللنَّاسِ فِي الصَّدَقِ فَضْلٌ وَضَحٌ
فَمَا كَذِبُ الْفَجْرِ إِلَّا افْتَضَحَ

وقلت مُنحيا على عالم الكَوْنِ والفساد :

والله لو كانت حياتي في يدي
في خفض عيش لا تكلف منة
مع جهل وعد الله أو لقياه
الإنسان مطعمه ولا سقياه
ما كان هذا العالمُ الجَمُّ الأذى
بما يؤمل عاقل بُقياه

وكتبت في بعض الحيطان لما اجتزت على مدينة سبته :
 أقمنا برهة ثم ارتحلنا كذلك الدهر حالٌ بعد حال
 وكل بدايةٍ فإلى انتهاءٍ وكل إقامةٍ فإلى ارتحال
 ومن سام الزمان بعامٍ أمرٍ فقد وقف الرجاء على المحال
 ولنختم غرض هذه المقطوعات بقولي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله :
 عَدُّ عن كيت وكيت ما عليها غير مئيت
 كيف ترجو حالة البقاء لِمْضَباحِ وزَيْت
 ومن الموشحات

التي انفرد باختراعها الأندلسيون ، وقد طُيس اليوم رسمها ، قولي :
 ربُّ ليلٍ ظفرتُ بالبدر ونجوم السما لم تدر
 حفظ الله ليلنا ورعا أي شمل من الهوى جمعا غفل الدهر والرقيب معا
 ليلتَ نهر السرِّ لم يعجر حَكَمَ اللهُ لي على الفجر
 علل النفس يا أبا الطرب بحديث أحلى من الضرب في هوى من وصاله أربُّ
 كلما مرَّ ذكر من أدري قلتُ يا بَرْدُه على صندري
 صاحٍ لا تهتم بأمر غدٍ وأجزَّ صرفها يداً بيد بين نهر وبلبلٍ غرد
 وغصون تميل من سُكر أعلنت الغمام بالشكر
 يا مرادى ومنتهى أملٍ هاتها عسجدية الحُلل حلت الشمس منزل الحَمَل
 ورَدُ الربيع في نشر والصبا عنبرية النش
 غرَّة الصبح هذه وضحت وقيان الغصون قد صدحت وكان الصبا إذا انفحت
 وسما طيبها عن الحضر مِدْحَةٌ في علا بني نصر
 هم ملوك الوري بلائنياً مهَّدوا الدين زينوا الدنيا وحمى الله منهم العُليا
 فالإمام المرفَّع الخطر والغمام المبارك القطر
 إنما يوسف إمام هدا جاز في المعلوات كلَّ مدا قلُّ الدهر بملكه سَعدا

إفتخر واجباً على الدهر كافتخار الربيع بالزهر
يا عماد العُلا والمجد أطلع العيد طالع السعد ووفى الفتح فيه بالوعد
وتجلت فيه على العُصر عُرر من طلايع النُصر
فتنهناً من حُسنه البهج بحياة النفوس والمهج واستمِعها ودع مقال شج
قسماً بالهوى لذي حجر ما ليليل المشوق من فجر
ومن ذلك قولي أيضاً :

زمن الأُنس كلما ولى رده مُعوز فاغتنم منك ريق العُمر وهو مُستوفى
أطرد الهمَّ بابنة العنب. وأحل غم الثرا. عن شُموس عكفن في حُجب. عن عيون الورى
هى كثر من خالص الذهب حل عند العرا
كم فقير أتى على وعيد فيه يُستنجز والوعيد الشديدمعروف للذى يكتنز
أضحك الفجر مبسم الشرق. فاستراب الظلام وانتضى الأفق صارم البرق. من
قرباب الغمام

وتحلَّت تراببُ الورق ذرُّ زهر الكمام
ولجيش الصباح فى الأفق راية تُركز وخيول السحاب بالبرق أبدا تنهجر
وقدود الغصون ترتاح للقاء النسيم وشميم الرياض نفّاح كثننا الكريم
ومُحياً الصباح يلتاح فى الجمال الوسيم
وخطيبُ الحمام فى الغُصن مُسهبٌ موجز ينكر النوم فهو بالعُتب مُفصحٌ مُلغز
للهى قُدوة من الناس. ذات نهج قويم لا ترى فى المدام من باس وارتشاف النديم
بحديث الغرام والكاس فى الزمان القديم
طُوروا صفح كل ديوان وبه طرُزما لا تُجزى فى شريعة الظرف غير ما جوزا
قف ركاب المدايح الغر. باهلاً ير الهدا يوسف الملك نخبة الأمر غيثُ أفق النداء
من لأسلافه بنى نصر فى جهاد العدا
وكتبت عن السلطان أبى الحجاج ابن السلطان أبى الوليد بن نصر،

رحمه الله ، إلى التربة المقدسة ، تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهي من أوليات ما صدر عني في هذه الأغراض :

إذا غاتني ظل الحمى ونعيمه	فحَسْبُ فؤادى أن يهب نسيمه
ويقنعني أنى به مُتكيف ^(١)	فزمزمه دمعى وجسمى حَظيمه
يعود فؤادى ذكر من سكن الغضا	فيُقعدُه فوق الغضا ويُقيمه
ولم أريوما ^(٢) كالنسيم إذا سرى	شفا سقم القلب المشوق سقيمه
نعلى بالتذكار نفسا مشوقة	يديرُ عليها كأسه ويُدِيمه
وما شفنى بالغور قد مرَّتم ^(٣)	ولاشاقنى من [حشٍّ وجدلة] ^(٤) ريمه
ولا سهرت عيني لبرق ثنسية	من الثغر يبلو موهنا فأشيمه
برانى شوقٌ للنبي محمد	يسوم فؤادى بَرَّحه ^(٥) ما يسومه
ألا يا رسول الله ناداك ضارعٌ	على البعد ^(٦) محفوظ الوداد سليمه
مشوق إذا ما الليل مدَّ رواقه	تحت ^(٧) به تحت الظلام همومه
إذا ما حديث عنك جاءت به الصبا	شجاه من الشوق الحديث قديمه
أيجهر بالتعجوى وأنت سميعها	ويشرح ما يخفى وأنت عَلِيمه
وتعوزه السقيا وأنت غياثه	وتتلفه البلوى ^(٨) وأنت رحيمه
بنورك تور الله قد أشرق الهدى	فأقماره وضَّساحة ونجومه

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (متكنف) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (شينا) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مريح) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وحش وجره) .

(٥) وردت في الإسكوريال بجره . والتصويب من النسخ .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (النأي) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تم) .

(٨) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الشكوى) .

لك أنهل فضل الله بالأرض ساكباً
ومن فوق أطباق السماء بك اقتدى
لك الخلق الأَرْضِي الذي جُلَّ ذكره
يجلُّ مدى عليك عن مدحِ مادحٍ
ولى يارسول الله فيك وراثَةٌ
وعندي إلى أنصار دينك نِسْبَةٌ
وكان بودى أن أزور مَبِوَأً
وقد يجهد الإنسان طَرْفَ اعترامه
وعُدري في تَسْوِيفِ عزمي ظاهر
عَدَّتْني بِأَقْصَى الغَرْبِ عن تُربِكَ العدا
أجاهد منهم في سبيلك أُمَّةً
فلولا اعتناءً منك يا ملجأَ الْوَرَى
فلا تَقْطَعِ الجَبَلَ الذي قد واصلته
وأنت لنا الغيث الذي نَسْتَدْرُهُ
ولمَّا نأتُ داري وأعوز مَطْمَعِي
بعثتُ بها جُهْدَ الْمُقِلِّ مَعُولاً
وكلتُ بها هَمِّي وصدقُ قريحتي
فلا تَنْسَى يا خير من وطىء الثرى
عليك صلاة الله ما ذرَّ شارِق

فأبواؤه ملتفةٌ وغيومه (١)
خليل الذي أوطا كها (١) وكليمه
ومجدك في الذِّكْرِ الحكيم (٢) عظيمه
فموسرُ دُرِّ القول فيك عديمه
ومجدك لا يُنسى الزَّمام كريمة
هي الفخر لا يخشى انتقالاً مُقِيمه
بك أفتخرت أطلاله ورسومه
ويعوزه من بعد ذلك مَرُومُه
إذا ضاق عُذْرُ العَزْمِ عمن يلومه
جلالِقةُ الشَّعْرِ الغريب ورُومُه
هي البحر يعيى أمرها من يرُومُه
ليربع حِمَاهِ واستبِيح حَرِيمه
فمجدك موفور النوال عَمِيمه
وأنت لنا الظلُّ الذي نَسْتَدِيمه
وأقلقني شوقُ يشبُّ جَحِيمه
على مجدك الأعلى الذي جلَّ خِيمه
فساعدها (٤) هاءُ الرُّوى وميمُه
فمثلك لا يُنسى لديه خديمه
وما راق من وجه الصُّباح وسيمُه

(١) هذا البيت وارد في النسخ وساقط في الإسكوريال .

(٢) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (أوطا كها) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (المطيم) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ساعدن) .

إلى رسول الحق ، إلى كافة الخلق ، وغمام الرحمة الصادق البرق ،
والحايز في ميدان اضطفاء الرحمن قصب السبق ، خاتم الأنبياء ، وإمام
ملائكة السماء ، ومن وُجبت له النبوة ، وآدم بين الطين والماء ، شفيع
أرباب الذنوب ، وطبيب أدواء القلوب ، ووسيلة الخلق إلى علام الغيوب ،
نبي الهدى الذي طهر قلبه . وغفر ذنبه ، وختم به الرسالة ربّه ، وجرى
في النفوس مجرى الأنفاس حبه ، المشفيع يوم العرض ، المحمود في ملائ
السموات والأرض ، صاحب اللوائ المنشور ، والمؤمن على سر الكتاب
المسطور ، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور ، المؤيد بكفاية الله
وعصمته ، [الموفور حظه من عنايته ونعمته] ^(١) . الظل الخفّاق على
أمتّه من لوحات الشمس بعض كماله ، ما عدمت إشراقا ، أو كانت للآباء
رحمة قلبه ، ذابت [نفوسهم] ^(٢) [إشفاقا ، فائدة الكون ومعناه ، وسر
الوجود الذي بهر الوجود سناه ، وصفيّ حضرة القدس الذي لا ينام قلبه
إذا نامت عيناه ، البشير الذي سبقت له البشري ، ورأى من آيات ربّه
الكبرى ، ونزل عليه ^(٣) سبحانه الذي أسرى . الأنوار من عنصر نوره
مستمدة . [والآثار من آثاره مستجدة] ^(٤) من طوى بساط الوحي لفقده ،
وسدّ باب النبوة والرسالة من بعده ، وأوتى جوامع الكلم ، فوقف البلغاء
حسرى دون حده ، الذي انتقل في الغرر الكريمة نوره ، وأضاءت لميلاده ^(٥)

(١) هذه العبارة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هذه الكلمة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (فيه) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كآلاتي (والآثار

تخلق وآثاره مستجدة) .

(٥) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (لنوره) والأولى أرجح

مصانع الشُّمِّ وقصوره ، وطفقت الملائكة تحييه ^(١) وفودها وتزوره .
 وأخبرت الكتب المنزلة على الأنبياء بأسمائه وصفاته . [فجاء بتصديق
 الخبر ظهوره] ^(٢) وأخذ عهد الإيمان على من اتصلت ببعثته منهم أيام
 حياته ^(٣) المُفزع الأَمَنع يوم الفزع الأكبر ، والسُّنْد ^(٤) المعتمد عليه
 في أهوال المَحْشَر ، ذو المعجزات ^(٥) التي أثبتتها المشاهدة والحِسُّ ،
 وأقربها الجن والإنس ، من جماد يتكلم ، وجذع لفراقه يتألم ، وقمر له
 ينشقُّ ، وشجر ^(٦) يشهد أن ما جاء به هو الحق ، وشمس بدعائه عن
 مسيرها تُحْبِس ، وماء من أصابعه الكريمة ينبجس ، وغمام باستسقائه يصب ،
 وركبة ^(٧) بصق في أجاجها ، فأصبح ماؤها وهو العذب المشروب ،
 المخصوص بمناقب الكمال ، وكمال المناقب ، المسمى بالحاشر والعاقب ،
 ذو المجد البعيد المراقى ^(٨) والمراقب ، أكرم من [رفعت إليه] ^(٩) وسيلة
 المُعْتَرَف والمتغرب ، سيّد الرسل ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ،
 الذى فاز بطاعته المحسنون ، واستنقذ بشفاعته المذنبون ، وسعد باتباعه
 الذى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، صلى الله عليه وسلم ، مالمع برق ،
 وهمع وذق ، وطلعت شمس ، ونسخ اليوم أمس . من عتيق شفاعته ،
 وعبد طاعته ، المعتصم بسببه ، المؤمن بالله ثم به ، المُسْتَشْفَى بذكره كلما

- (١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تجيئه) والأولى أرجح .
- (٢) هذه العبارة ساقطة في النسخ ، وواردة في الإسكوريال .
- (٣) هذه العبارة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .
- (٤) وردت في الإسكوريال (السيد) والنصوب . النسخ .
- (٥) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (المشاهد) والأولى أرجح .
- (٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (وحجر) .
- (٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وطوى) .
- (٨) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (المرأى) .
- (٩) هكذا . هذه العبارة في النسخ : وردت كاشفا في الإسكوريال (بهشت) .

تَأْتَمُّ . المفتوح بالصلاة عليه كلما تكلم - الدي . [إن ذكر] ^(١) تنثل
 طلوعه بين أصحابه وآله . وإد هبَّ النسيم العاطر ، وجد فيه طيبٌ
 خِلاله ، وإن سمع الأذان تُذَكَّرُ صوتُ يَلالِه ، وإن ذُكر القرآن ،
 استُشعر ^(٢) تردُّدُ جبريل بين معاهده وخِلاله . لائِمٌ تُربِه ، ومؤملٌ
 قُربِه ، ورهينٌ طاعته وحبُّه . المتوسل ^(٣) به إلى رضى الله ربِّه ، يوسف بن
 إسماعيل بن نصر . كَتَبَه إليك يارسول الله . والدمع ما حِم ، وخَيْلُ الوَجْدِ
 ذاتُ جماحٍ ، عن شوق يزداد كلما نقص الصبر . وانكسار لا يُتاح له
 إلا بَدَنُو مزارك الجَبْرِ [وكيف لا يُعِي مشوقك الأمر . وتوطأ على كبده
 الجَمْر] ^(٤) ، وقد مطلت الأيام بالقدوم على تُربتك المقدسة اللحد .
 ووُعِدت الآمال . ودانت بإخلاف الوعد . وانصرفت الرفاق والعين
 بإئِمْد ^(٥) صريحك ما اكتحلت ، والركائب إليك ما ارتحلت ، والعزائم
 قالت وما فَعَلت . والنواظر في تلك المشاهد الكريمة لم تُسرح ، وظهور ^(٦)
 الآمال عن ركوب ^(٧) العجز لم تُبرح . فيالها معاهد فاز من حيَّها ،
 ومشاهد ما أعطر رِيَّها . بلادٌ بيظت بها عليك التَّمَائم ، وأشرفت بنورك
 منها النُّجود والتَّهائم . ونزل في حجراتها عليك المُلك ، وانجلي بضياء
 فُرْقانك فيها الحَلَك ، مدارس الآيات والسُّور . ومطالع المعجزات السَّافرة
 والغرر ، حيث قضيت الفروض وحُتمت ، وافتتحت [سور الوحي] ^(٨)

(١) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٢) واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال

(٣) هكذا وردت في النفع . زي الإسكوريال (المتوصل) والأول أرجح

(٤) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بنور) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (وطبور) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (وكور) .

(٨) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في النفع (سورة الرحمن)

وَحُتِمَتْ ، وَابْتَدِيَتْ الْمَلَّةَ الْحَنِيفَةَ وَتُمِّمَتْ ، وَنُسِخَتْ الْآيَاتُ وَأُحْكِمَتْ .
أَمَّا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ هَادِيًا [وَأَطْلَعَكَ لِلخَلْقِ نُورًا بَادِيًا] ^(١) ، لَا يُطْفِئِي
غُلَّتِي إِلَّا شِرْبُ بُكَ ، وَلَا يُسْكِنُ لَوْعَتِي إِلَّا قُرْبُكَ ، فَمَا أَسْعَدَ مِنْ أَفْاضٍ مِنْ
حَرَمِ اللَّهِ إِلَى حَرَمِكَ ، وَأَصْبَحَ بَعْدَ آدَاءِ مَا فَرَضْتَ عَنْ اللَّهِ ضَيْفَ كَرَمِكَ ،
وَعَفَّرَ الْخَدَّ فِي مَعَاهِدِكَ وَمَعَاهِدِ أُسْرَتِكَ ، وَتَرَدَّدَ مَا بَيْنَ دَارِي بَعْثِكَ وَهَجْرَتِكَ .
وَإِنِّي لَمَّا عَاقَبْتَنِي عَنْ زِيَارَتِكَ الْعَوَاتِقَ ، وَإِنْ كَانَ شُغْلِي عَنْكَ بِكَ ، وَصَدَّتْنِي ^(٢)
الْأَعْدَاءُ فَيْكَ عَنْ وَصْلِ سَبِي بِسَبِيكَ ، وَأَصْبَحْتَ بَيْنَ بَحْرِ تَتَلَاظِمِ أَمْوَاجِهِ ،
وَعُدُوٌّ تَتَكَائِفُ أَفْوَاجُهُ ، وَيَحْجُبُ الشَّمْسُ عِنْدَ الظُّهْرِ عَجَاجَهُ ، فِي طَائِفَةِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ ، وَطَنُوا عَلَى الصَّبْرِ نَفُوسَهُمْ ، وَجَعَلُوا التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ
وَعَلَيْكَ لُبُوسَهُمْ ، وَرَفَعُوا إِلَى مَصَارِحِكَ رُؤُوسَهُمْ ، وَاسْتَعَذَّبُوا فِي مَرَضَاتِكَ
اللَّهُ وَمَرَضَاتِكَ ^(٣) بُوْسَهُمْ ^(٤) ، يَطِيرُونَ مِنْ هَيْعَةٍ إِلَى أُخْرَى ، وَيَلْتَفِتُونَ ^(٥)
وَالْمَخَافِ عَنْ يُمْنِي وَيُسْرِي ، وَيَقَارِعُونَ وَهُمْ الْفِتَّةُ الْقَلِيلَةُ ، جَمُوعًا
كَجَمُوعِ قَيْصَرَ وَكُسْرَى ، لَا يَبْلُغُونَ مِنْ عَدُوِّ ^(٦) وَهُمْ الدَّرُّ مِنْ انْتِشَارِهِ
عُشْرَ مِعْشَارِهِ ، قَدْ بَاعُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، لِأَنَّ تَكُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ
هِيَ الْعُلْيَا ، فَيَالَهُ مِنْ سِرْبٍ مَرْوَعٍ ، [وَصَرِيخٍ إِلَّا مِنْكَ مَمْنُوعٍ] ^(٧) وَدَعَاءٍ
إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكَ مَرْفُوعٍ . وَصَبِيَّةٌ حُمُرُ الْحَوَاصِلِ ، تَخْفِقُ فَوْقَ أَكَارِهَا أَجْنَحَةٌ
الْمَنَاصِلِ ، وَالصَّلِيبُ قَدْ تَمَطَّى بِمَدِّ ذِرَاعِيهِ ، وَرَفَعَتْ الْأَطْمَاعُ بِضَبْعِيهِ ،

(١) هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال وواردة في النسخ .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (وعدتني) والأولى أرجح .

(٣) ساقطة في الإسكوريال وواردة في النسخ .

(٤) وردت في الإسكوريال (نفوسهم) . والتصويب من النسخ .

(٥) هكذا وردت في النسخ وفي الإسكوريال (ينفلتون) .

(٦) هكذا في النسخ وفي الإسكوريال (عدد) .

(٧) هذه العبارة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

وقد حُجبت بالقتام السماء ، وتلاطمت أمواج الحديد والبأس الشديد ،
فالتقى الماء . ولم يبق إلا الذمء . وعلى ذلك فما ضَعُفت البصائر ،
ولا ساءت انظور . وما وُعد به الشهداء تعتقده القلوب ، حتى تكاد
تشاهده العيون ، إلى أن نَلْقَاكَ غداً إن شاء الله . وقد أبلىنا العُذر ، وأرغَمْنَا
الكفر ، وأعملنا في سبيل الله وسبيلك البيض والسمر . اسْتَنْبَتُ رُفْعِي
هذه لتطير إليك [من شوق] ^(١) بجناح خافق ، وتشعر نيتي التي تصحبها
برفيق موافق ، فتؤدى عن عبدك وتُبَلِّغ ، وتُعْفِرُ الخد في تُربك وتمرغ ،
وتطيب برياًها معاهدك الطاهرة وبيوتك ، وتقف وقوف الخشوع والخضوع
تجاه تابوتك ، تقول بلسان التملق عند التثبث بأسبابك والتعلق ،
منكسرة الطرف ، حذراً بهُرجها من عدم الصِّرف . ياغيث الأمة ، وغمام
الرحمة ، إرحم غرْبِي وانقطاعي ، وتغمد بطولك قِصر باعى ، وقو على
هيبتك خور طباعى . فكم جُزْتُ من لُج مهول ، وجبت من حَزون وسُهول ،
وقابل بالقبول نيابتي ، وعجل بالرضا إجابتي ، ومعلوم من كمال تلك
الشِّم ، وسخاء تلك الدِّيم ، أن لا يخيب قِصْدُ من حطَّ بفنايها ، ولا
يظمأ وارد أكب على إنايها . اللهم يامن جعلته أول الأنبياء بالمعنى وآخرهم
بالصورة ، وأعطيته لواء الحمد ، يسير آدم فمن دونه ، تحت ظلاله
المنشورة ، ومَلَكْتَ أُمَّتَهُ ما زوى له من زوايا البسيطة المعمورة ، وجعلتني
من أُمَّتِهِ المَجْبُولَةِ على حُبِّه المَقْطُورَةِ ^(٢) [وشوقتنى إلى معاهده المبرورة
ومشاهده المَزُورَةِ] ^(٣) ووكلت لساني بالصلاة عليه ، وقلبي بالحنين

(١) هذه العبارة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في النسخ ، ومكانها في الإسكوريال (الموملة لقربه) . والأولى أرجح لارتباطها

بالعبارات المسجمة التالية .

(٣) هذه الجملة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

إليه . ورغبتنى فى التماس ما لديه ، فلا تقطع عنه أسبابى ، ولا تحرمنى فى حبه أجر ثوابى ، وتداركنى بشفاعته يوم أخذ كتابى . هذه يارسول الله وسيلة من بعدت داره ، وشطّ وزاره ، ولم يجعل بيده اختياره . فإن لم تكن هذه للقبول أهلاً ، فأنت للإغضاء والسمح^(١) أهل . وإن كانت ألقاها وعرة ، فجنابك للقاصدين سهل . وإذا كان الحبُّ يُثوارث كما أخبرت ، والعروق تدسُّ حسبما إليه أشارت ، فلى بانتسابى إلى سعد عميد أنصارك مزية ، ووسيلة أثيرة حفية . فإن لم يكن لى عمل ترتضيه ، فلى نية . فلا تنسنى ومن هذه الجزيرة [التى افتتحت]^(٢) بسيف كلمتك ، على أيدى خيار أمّتك ، فإنما نحن بها وديعة تحت بعض أفضالك ، نعوذ بوجه ربك من إغفالك ، ونستنشق من ريح عنايتك نفحة ، وترتقب من محباً قبولك لمحة ، ندافعها عدوا طغى وبغى ، وبلغ من مضايقتنا ما ابتغى . فمواقف التّمحيص قد أعيت من كتب وأرخ ، والبحر قد أضمت [بواعث لحجه]^(٣) من استصرخ ، والطاغية فى العدوان مُستبصر ، والعدو محلّق ، والولى مقصر^(٤) . ويجاهك نستدفع^(٥) ما لا نطيق ، وبعنايتك نعالج سقيم الدين فيقيق ، [فلا تُفردنا ولا تهملنا ، وناد ربك فىنا ،

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (السباح) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النسخ (المفتحة) .

(٣) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى النسخ .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النسخ (تدفع) .

(٥) ووردت فى الإسكوريال (منصر) والتصويب من النسخ .

ربنا ولا تحملنا ، وطوائف أمتك حيث كانوا عناية منك بكفهم^(٢)]
 وربك يقول لك ، وقوله الحق ، وما كان الله ليعذبهم ، وأنت فيهم .
 والصلاة والسلام عليك . يا خير من طاف وسعى ، وأجاب داعياً إذا دعا ،
 وصلى الله على جميع أحزابك وآلك ، صلاة^(٣) تليق بجلالك ، وتحقُّ
 لكمالك ، وعلى ضَجِيعيك وصديقيك وحبيبيك ورفيقيك ، خليفتك في
 أمتك^(٤) ، وفاروقك المُستخلف بعده على ملَّتكَ^(٥) ، وصهركَ ذى النورين ،
 المخصوص ببرِّك ونِحْلَتِكَ ، وابن عمك ، سيفك المسلول على حلتك^(٥) ،
 بدر سمائك ووالد أهْلَتِكَ . [والسلام الكريم عليك وعليهم ، كثيراً
 أثيراً]^(٦) ورحمة الله تعالى وبركاته . وكتب بحضرة جزيرة الأندلس
 غرناطة ، صانها الله تعالى ووقاها ، ودفع عنها ببركتك كَيْدَ عداها .

(١) ما بيني الحاصرتين وارد في النسخ وساقط في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في النسخ . ومكانها في الإسكوريال (بما) .

(٣) هكذا وردت في النسخ وفي الإسكوريال (ملتك) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال في النسخ (جلتك) .

(٥) هذه الكلمة وارده في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هذه العبارة وارده في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

وكتبت عن ولده أمير المسلمين أبي عبد الله
إلى ضريح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وضمنت ذلك ما فتح الله عليه من الفتوحات

السَّنِيَّاتِ، إِلَيْهِ وَفِي أَوَائِلِ عَامٍ أَحَدٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ
دَعَاكَ بِأَقْصَى الْمَغْرِبِينَ غَرِيبٌ وَأَنْتَ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ قَرِيبٌ
مَدْلٌ بِأَسْبَابِ الرَّجَاءِ وَطَسْرَفُهُ غَضِيضٌ عَلَى حُكْمِ الْحَيَاءِ مَهِيْبٌ^(١)
يُكَلِّفُ قَرَصَ الْبَدْرِ حَمْلَ تَحِيَّةٍ إِذَا مَا هَوَى وَالشَّمْسُ حِينَ تَغِيْبُ
لِيَرْجِعَ مِنْ تِلْكَ الْمَعَالِمِ غَدْوَةٌ وَقَدْ ذَاعَ مِنْ وَرْدٍ^(٢) التَّحِيَّةُ طِيْبٌ
وَيَسْتَوْدِعُ الرِّيحَ الشِّمَالِ شِمَانِلَا مِنْ الْحُبِّ لَمْ يَعْلَمْ بِهِنَّ رَقِيبٌ
وَيَطْلُبُ فِي جَيْبِ الْجَيْبِ جَوَاهِرَا إِذَا مَا أَطَلَّتْ وَالصَّبَاحُ مُنِيبٌ^(٣)
[وَيَسْتَفْهَمُ الْكَفَّ الْخَضِيْبَ وَدَمَعَهُ غَرَامًا بِحَنَاءِ النَّجِيْعِ خَضِيْبٌ
وَيَتَّبِعُ آثَارَ الْمَطِيِّ تَشِيْعًا وَقَدْ زَمَزَمَ الْحَادِي وَحَنَّ نَجِيْبًا^(٤)
إِذَا أَثْرُ الْأَخْفَافِ^(٥) لَاحَتْ مَحَارِبَا يَخْرُ عَلَيْهِا رَاكِعًا وَيُنِيْبُ
وَيَلْقَى رِكَابَ الْحَجِّ وَهِيَ قَوَافِلُ طَلَّاحٌ وَقَدْ لَبَّى النَّدَاءَ لَبِيْبُ
فَلَا قَوْلَ إِلَّا أَنْتَ وَتَوَجَّعَ وَلَا حَوْلَ إِلَّا زَفْرَةٌ وَنَجِيْبُ
غَلِيْلٌ وَلَكِنْ مِنْ قَبُولِكَ مَنْهَلٌ عَلِيْلٌ وَلَكِنْ مِنْ رِضَاكَ طَبِيْبُ
أَلَا لَيْتَ شَعْرَى وَالْأَمَّ إِنِّي ضَلَّةٌ^(٦) وَقَدْ تُخَطِّئُ الْآمَالَ ثُمَّ تُصِيْبُ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (مريب) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (رد) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (جنيب) .

(٤) هذان البيتان واردان في الإسكوريال . وساقطان في النسخ .

(٥) هكذا وردت في النسخ وفي الإسكوريال (الأحياب) والأول أرجح .

(٦) وردت في الإسكوريال (ظلمة) . والتصويب من النسخ .

أَيْنَجِدُ نَجِدُ بَعْدَ شَطِّ^(١) مَزَارِهِ
 وَهَلْ يَنْقُضِي دَيْتِي فَيَسْمَحُ طَائِعاً^(٢)
 وَيَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ لِحَوْمِي مُورِدٌ
 وَلَكِنَّكَ الْمَوْلَى الْجَوَادُ وَجَارُهُ
 وَكَيْفَ يَضِيقُ الدَّرْعَ يَوْمَ مَبْقَاصِدِ^(٣)
 وَمَا هَاجَنِي إِلَّا تَأَلَّقْتُ بِسَارِقِ
 ذَكَرْتَ بِهِ رَكْبَ الْحِجَازِ وَجِيرَةَ
 فَبِتُّ وَجَفَنِي مِنْ لَأَلِيءِ دَمْعِهِ
 تَرِيحُنِي الذِّكْرَى وَيَهْفُونِي الْمَوَى
 وَأَحْضُرُ تَعْلِيلًا لَشَوْقِي بِالْمُنَى
 مُنَايَ^(٥) لَوْ أُعْطِيتِ الْأَمَانِي زَوْرَةَ
 ذِقْوُلُ حَبِيبٍ إِذْ يَقُولُ تَشَوُّقًا
 تَعَجِبْتِ مِنْ سَيْفِي [وَقَدْ سَابَقَ الْقَضَا]^(٦)
 وَأَعْجَبْتُ أَنْ لَا يُورِقَ الرَّمَحُ فِي يَدِي
 فَيَا سَرَّحَ ذَلِكَ الْحَيُّ لَوْ أَخْلَفَ الْحَيَا
 وَيَا هَاجِرَ الْجَوْ الْجَدِيدِ تَلْبِثًا
 وَيَا قَادِحَ الزَّنْدِ الشَّجَاعِ تَرْفُقًا
 وَيَكْتُبُ بَعْدَ الْبُعْدِ مِنْهُ كَتِيبِ
 وَأَدْعُو بِحِظِي مُسْمِعًا فَيَجِيبُ
 لَدَيْكَ وَهَلْ لِي فِي رِضَاكَ نَصِيبِ
 عَلَيَّ أَيَّ حَالٍ كَانَ لَيْسَ يَخِيبُ
 وَذَلِكَ الْجَنَابُ الْمُسْتَجَارُ حَبِيبِ
 يَلُوحُ بِفَقْدِ اللَّيْلِ مِنْهُ مَشِيبِ
 أَهَابَ بِهَا نَحْوَ الْحَبِيبِ مُهَيِّبِ
 غَنِيٌّ وَصَبْرِي^(٤) لِلشُّجُونِ سَلِيبِ
 كَمَا مَالُ غِصْنٍ فِي الرِّيَاضِ رَطِيبِ
 وَيَطْرُقُ وَجْدٌ غَالِبٌ فَأَغِيبِ
 يُبِثُّ غَرَامَ عِنْدَهَا وَوَجِيبِ
 عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو إِلَيَّ حَبِيبِ
 وَقَلْبِي فَلَمْ يَسْكُبْ مِنْهُ مَذِيبِ
 وَمَنْ فَوْقَهُ غَيْثُ الْمَشُوبِ سَكِيبِ
 لِأَغْنَاكَ مِنْ صُوبِ الدَّمْعِ صَبِيبِ
 فَعَهْدِي رَطْبُ الْجَانِبِينَ خَصِيبِ
 عَلَيْكَ فَشَوْقِي الْخَارِجِي شَبِيبِ

(١) مَكْذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (شَطَطٌ) .

(٢) مَكْذَا وَرَدَّتْ هَذِهِ الشُّطْرَةُ فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَوَرَدَتْ فِي النَّفْحِ كَالآتِي (وَتَقْضَى

دِيُونِي بَعْدَ مَا مَطَّلَ الْمَلَى) .

(٣) وَرَدَّتْ فِي الْإِسْكَورِيَالِ (بِمَاضِدٍ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ .

(٤) وَرَدَّتْ فِي الْإِسْكَورِيَالِ (وَسِيرِي) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ .

(٥) مَكْذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (مَرَامِي) .

(٦) هَكَذَا وَرَدَّتْ هَذِهِ الْمُبَارَاةُ فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (وَقَدْ جَاوَرَ النَّفْسِي) .

أيا خاتم الرسل المكين مكانه
فوادى على جمر البهاد قلوب
فوالله ما يزداد إلا تلهبا
فليلته ليل السلم ويومه
هو اى هدى فيك اهتديت بنوره
وحسبى على ائى لصحبك منتم
عدت عن مغانيك المشوقة للعدا
حراس على إطفاء نور قدحته
تمر الرياح الغفل فوق كلومهم
بنصرك^(٢) عنك الشغل من غير مئة
فإن صح منك الحظ طاعت^(٤) المني
ولولاك لم تُعجم من الروم عودها
وقد كانت الأحوال لولا مراغب
منابر عز أذن الفتح فوقها
نقود إلى هيجاتها كل صائل
ونجتاب من سرد اليقين مدارعا
إذا اضطرت^(٨) الخطى حول غديرها

حديث الغريب الدار فيك غريب
يماح عليه للدهوع قلب
أبصرت ماء ثار عنه هيب
إذا شد للشوق العصاب عصب
ومنتسبى للصحب منك نسيب
وللخزر جبين الكرام نسيب^(١)
عقارب لا يخفى لمن ديب
فمستلب من دونه^(٢) وسلب
فتعيق من أنفاسها وتطيب
وهل يتساوى مشهد ومغيب
ويبعد مرمى السهم وهو مصيب
فعود الصليب الأعجمي صلب
ضمنت ووعد بالظنون^(٥) تريب
وأفصح للعصب الطرب خطيب
كماربع^(٦) مكحول اللحاظ ريب
يكفتها من يجتنى ويثيب^(٧)
يروقك منها لجة وقصيب

(١) هذا البيت وارد في النسخ وساقط في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (دونها) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (لنصر) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (طارعت) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بالظهور) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ربح) .

(٧) هذا البيت وارد في النسخ وساقط في الإسكوريال .

(٨) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (اضطرب) .

فعدراً وإغصاءً ولا تنس صارخاً بعزك يرجو أن يجيبَ مُجيب
وجاهك بعد الله نرجو وإنه لحظٌّ مليٌّ بالوفاء رَغيب
عليك صلاة الله ما طيب الفضا عليك مُطيل بالشَّاء مُطيب
وما اهتزَّ قدُّ للغصون مُرنح وما افتَرَّ ثغر للبروق شنيب
إلى حجة الله تعالى^(١) ، المؤيد ببراھين أنواره ، وفائدة الكون ونكته
أدواره ، وصفوة نوع البشر ومنتهى أطواره . إلى المُجتبي وموجود
الوجود ، لم يُغن بمطلق الوجود^(٢) عليه ، والمُصطفى من ذرية آدم ،
قبل أن يكسو العظام أديمه ، المحتوم في القيد ، وظلمات العدم ، عند
صدق القيد تقديمه وتفضيله ، إلى ودعة النور المُنتقل في الجباه
الكريمة والغرر ، وغمام الرحمة الهامية الدرر . إلى مختار الله المخصوص
باجتباته ، وحبيبه الذي له المزية على أحبائه ، من ذرية أنبياء الله تعالى
آبائه . إلى الذي شَرَح صدره وغسله ، ثم بعثه واسطة بينه وبين العباد
وأرسله ، وأتم عليه إنعامه الذي أجزله ، وأنزل عليه من النور والهدى
ما أنزله . إلى بُشرى المسيح والذبيح ، ومن لهم التجر الربيع ، المنصور
بالرعب والريح ، المخصوص بالنسب الصريح . إلى الذي جعله في
المحول غماما ، وللأنبياء إماما ، وشق صدره لتلقى روح أمره غلاما ،
وأعلم به في التوراة والإنجيل إعلاما ، وعلم المؤمنين صلاةً عليه وسلاما .
إلى الشفيع الذي لا تُردُّ في العصاة شفاعته ، والوجيه الذي قرنت بطاعة
الله طاعته ، والرؤوف الرحم الذي خلصت إلى الله في أهل الجرائم ضراعتة .
صاحب الآيات التي لا يسع ردها . والمعجزات التي أرزى على الألف عدّها ،

(١) زائدة في النسخ .

(٢) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (الجود) والأولى أرجح .

من قمر شُقِّ ، وجذع حنّ له وحقّ . وبنانٍ يتفجر بالماء ، [فيقوم
 يرى]^(١) الظمأ [وطعام يُشبع الجَمع الكثير يسيره ، وغمام يظلل به
 مقامه ومسيره] ، خطيب المقام المحمود إذا كان العَرَض ، وأول من
 تَنَشَّقُ عنه الأرض [ووسيلة الله تعالى التي لولاها ما أقرض القَرَض]^(٢)
 ولا عُرف النَّفل والقَرَض ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم
 ابن عبد مناف ، المحمود الخلال ، من ذى الجلال ، الشاهدة بصدقه
 صحفُ الأنبياء وكتب الإرسال ، وآياته التي أثلجت^(٣) القلوب ، ببرد
 اليقين السُّلسال . صلى الله عليه وسلم ، ما ذرَّ شارق ، وأومض بارق ،
 وفرق بين اليوم الشامس والليل الدامس فارق ، صلاة تتأرجح عن شذا
 الدهر ، وتنبّج عن سناء^(٤) الكواكب الزهر ، وتتردد بين السرّ والجهر ،
 وتستغرق ساعات النهار^(٥) ، وأيام الشهر ، وتدوم بدوام الدهر ، من عبد
 هداه ، ومُستقرى مواقع نداءه ، وهزاحم أبناء^(٦) أنصاره في مُنتداه ،
 وبعض سهامه المُفوّقة إلى نحرور عُداه . مؤمل العتق من النار بشفاعته ،
 ومُحرز طاعة الجبار بطاعته ، الآمن باتصال رَغِيه من إهمال الله وإضاعته ،
 متخذ الصلاة عليه وسایل نجاهه ، وذخائر في الشدائد مُرتجاهه ، ومُتاجر
 بضائعها غير مُزجاه ، الذى ملأ بحبّه جوانح صدره ، وجعل فكره هالة
 لبذره ، وأوجب حقه^(٧) على قدر العبد لا على قدره ، محمد بن يوسف

(١) ما بين الخاصرتين ساقط في الإسكوريال ووارد في النفع .

(٢) هذه العبارات الواردة بين الخاصرتين كلها واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (انبلجت) والأول أرجح .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (سنى) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (اليوم) .

(٦) زائدة في النفع .

(٧) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (قدرة) . والأول أرجح .

ابن نصر الأنصاري الخزرجي ، تسبب سعد بن عبادة من أصحابه ،
 وبوارق سحابه ، وسيوف نصرته ، وأقطاب دار هجرته ، ظلله الله يوم
 الفزع الأكبر ، من رضاك عنه بظلال الأمان ، كما أنار قلبه من هدايتك
 بأنوار الهدى والإيمان ، وجعله من أهل السياحة في فضاء حبك والهيمنان .
 كتبه إليك يا رسول الله ، واليراعُ يقتضى مقام الهيبة صُفرةً لونه ،
 والمداد يكاد أن يحول سواد جونه ، ورقة الكتاب^(١) يخفق فؤادها حرصا
 على حفظ اسمك الكريم وصورته ، والدمع يقطر فتنقُط به الحروف ،
 وتفصل الأسطر ، وتوهم المثلول بمشواك المقدس ، لا يمر بالمخاطر سواه
 ولا يخطر ، عن قلبٍ بالبعد عنك قريح ، وجفنٌ بالبكاء جريح ، [وتأوه
 عن تبريح^(٢)] ، كلما هبت من أرضك نسيم ريح . وانكسارٌ ليس له
 إلا جبرك ، واغتراب لا يؤنس فيه إلا قُربك ، وإن لم يقض فقبرك .
 وكيف لا يُسلم في مثلها الأسي ، ويوجش الصباح والمساء ، ويُرْجف
 جبل الصبر بعد ما رسي ، لولا لعلٌ وعسى . فقد سارت الركببان إليك
 ولم يُقض مسير ، وحوّمت الأسراب عليك ، والجناح كسير ، ووعدت
 الآمال فأخلفت ، وحلفت العزائم فلم تف بما حلفت ، ولم تحصل
 النفس من تلك المعاهد ذات الشرف الأثيل ، إلا على التمثيل ، ولا من
 المعالم المتنادية^(٣) التنوير ، الأعلى التصوير ، ومهبط وحى الله ، ومُنزّل
 أسمايه ، ومتردّد ملايكة . مائه ، ومرافق^(٤) أوليائه ، وملاحد أصحاب^(٥) خيرة

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (الفؤاد) . والأولى أرجح .

(٢) هذه العبارة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الملتصبة) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مدافن) والأولى أرجح .

(٥) واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

أنبيائه ، رزقى الله الرضا بقضائه ، والصبر على جاحم البعد ورمضاته .
من حمراء غرناطة [حرسها الله تعالى] دار ملك الإسلام بالأندلس . قاصية
سُبُلِكَ ، ومُسْلِحَةٌ^(١) رَجَلِكَ ، يا رسول الله وخَيْلِكَ ، وَأَنَايَ^(٢) مطارح دعوتك
ومساحِبِ ذَيْلِكَ ، حيث مصافُّ الجهاد في سبيل الله وسبيلك ، قد ظلَّلها^(٣)
القتام ، وشهبان الأسننة أطلَّعها منه الإعتماد ، وأسواق بيع النفوس من الله ،
قد تعدَّد بها الأيامى والأيتام . حيث الجراح قد تحلَّت بعسجد نَجِيعها
النعور ، والشهداء تحفُّ بها الحُور ، والأُمم الغريبة قد قَطَعَتْها عن المدد
البحُور ، حيث المباسم المُفْتَرَّة ، تجلوها المصارع البرَّة ، فتحييها بالعرائ
ثغور الأزاهر ، وتندبها صوادح الأدواح برنات تلك المزاهر ، حيث
الإسلام من عدوه المكاييد بمنزلة قَطْرَةٌ^(٤) من عارض غَمَامٍ ، وحَصَاةٍ من
فَيْبِرٍ^(٥) أو شِمَامٍ ، وقد سُدَّت الطريق ، وأسلم [الفراق الفریق] ^(٦) ،
وأغصَّ الريق ، ويثس من الساحل الغريق . إلاَّ أن الإسلام هذه الجهة
التمسكة بحبل الله وحَبْلِكَ ، المهتدية بأدلة سُبُلِكَ ، سالمٌ والحمد لله من
الإنصِداع ، محروس بفضل الله من الابتِداع ، مقدود من جَدِيد المَلَّة ،
معدومٌ فيه وجود الطوائف المُضِلَّة ، إلاَّ ما يخصُّ الكفر من هذه العِلَّة ،
والاستظهار على جمع الكثرة من جموعه ، بجمع القِلَّة . ولهذا الأيام
يا رسول الله : أقام الله أودُه برًا بوجهك الوجيه ورَعِيًا ، وإنجازاً لوعدك

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مسجبة) . والأولى أرجح .

(٢) واردة في النسخ . ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٣) وردت في الإسكوريال (ظلله) والتصوب من النسخ

(٤) واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا في النسخ وفي الإسكوريال (نثير) .

(٦) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (للفريق الفريق) .

وسعيًا^(١) وهو الذي لا يخلف وعدًا ، ولا يخيب سعيًا ، وفتح لنا فتوحا
أشعرتنا برضاه عن وطننا الغريب ، وبشرتنا منه تعالى بتغمد^(٢) التقصير
ورفع التثريب ، ونصرنا ، وله المِنَّة ، على عبدة الصليب ، وجعل لألفنا
الرديني ولأمنا السردى ، حكم التغليب . وإذا كانت الموالى التى طوقت
الأعناق مننها ، وقررت العوايد الحسنة^(٣) سيرها وسننها ، تبادر إليها
نوابها الصرحاء ، وخدامها النصحاء بالبشائر ، والمسرات التى تُشاع فى العشائر ،
وتجلو لديها نتائج أيديها ، وغايات مباديها ، وتتاحفها وتهاديها ، بمجانى
جناتها وأزاهر غواديها ، وتطرف محاضرها بطرف بواديها ، فبابك يارسول
الله أولى بذلك وأحق ، ولك الحق الحق ، والحر منا عبدك المُسترق ، حسبما
سجّله الرّق . وفى رضاك من كل من يلتمس رضاه المُطمع ، ومثواك
المُجمع ، وملوك الإسلام فى الحقيقة عبيدُ سُدَّتِكَ^(٤) المؤمّلة ، وخول
مَثَابَتِكَ المُحسنة بالحسنات المُجمّلة ، وشُهبُ تَعَشُو إلى بدورك المُكَمّلة ،
ومحض سيفوك المقلّدة فى سبيل الله المُحمّلة ، وحرمة مهادك ، وسلاح
جهادك ، وبروق عهادك . وإن مكفول احترامك الذى لا يُخفر ، وربى
إنعامك الذى لا يكفر ، ومُلتجئ جاهك^(٥) ، الذى يُمحي ذنبه بشفاعتك
إن شاء الله ويغفر ، يُطالع روضة الجنة المفتحة أبوابها بمثواك ، ويفتاح
صوان القدس الذى أجنك وحوالك ، وينثر بضائع الصلاة عليك ، بين
يدى الضريح الذى يهواك^(٦) ، ويعرض جنى^(٧) ما غرست وبذرت ،

(١) واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى النفع .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النفع (يغفر) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (الحسان) .

(٤) فى الإسكوريال (سيرتك) والتصويب من النفع .

(٥) وردت فى الإسكوريال جهادك . والتصويب من النفع .

(٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (طواك) .

(٧) هكذا وردت فى النفع . وفى الإسكوريال (شى) . والأول أرجح .

ومِصْدَاقِ مَا بَشَّرَتْ بِهِ [لَمَّا بَشَّرَتْ]^(١) وَاذْذَرْتِ ، وَمَا انْتَهَى إِلَيْهِ طَلِيقُ
 جِهَادِكَ ، وَمَصِيبَ عِيَادِكَ ، لِتَقِيرَ عَيْنُ نَصْحِكَ ، الَّذِي أَنَامَ الْعُيُونُ السَّاهِرَةَ
 هُجُوعَهَا ، وَأَشْبَعَ الْبُطُونُ وَرَوَّاهَا ظَمَأَهَا مِنَ اللَّهِ وَجُوعَهَا . وَإِنْ كَانَتْ الْأُمُورُ
 بِمَرَأَى مِنْ عَيْنِ عِنَايَتِكَ ، وَغَيْبُهَا مُتَعَرِّفٌ بَيْنَ إِفْصَاحِكَ وَكِتَابَتِكَ . وَمُجْمَلُهُ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ [وَبَلَّغَ وَسَيَّلَتْنِي إِلَيْكَ]^(٢) هُوَ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ ،
 لَمَّا عَرَفَنِي لَطْفَهُ الْخَفِيِّ فِي التَّمْحِيصِ ، الْمُقْتَضِيَّ عَدَمَ الْمَحْيِصِ ، ثُمَّ فِي
 التَّخْصِيصِ ، الْمُغْنِيَّ بَعْيَانَهُ عَنِ التَّنْصِيصِ ، وَوَقَّفَ بِبِرْكَتِكَ السَّارِيَةَ رَحْمَاهَا
 فِي الْقُلُوبِ ، وَوَسَائِلَ مَحَبَّتِكَ الْعَائِدَةَ بِنَيْلِ الْمَطْلُوبِ ، إِلَى اسْتِفَادَةِ عِظَةِ
 وَاعْتِبَارِ ، وَاعْتِنَامِ إِقْبَالِ بَدِ إِذْذَارِ ، وَمَزِيدِ اسْتِبْصَارِ ، وَاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى
 وَانْتِصَارِ . فَسَكَّنَ هُبُوبَ الْكُفْرِ بَعْدَ إِغْصَارِ ، وَحَلَّ مُخْتَقَ الْإِسْلَامِ بَعْدَ
 حِصَارِ ، وَجَرَّتْ عَلَى سُنَنِ السُّنَّةِ ، بِحَسَبِ الْاسْتِطَاعَةِ وَالْمَنَّةِ الْيَسِيرَةِ ،
 وَجَبَّرَتْ بِجَاهِكَ الْقُلُوبَ الْكَسِيرَةَ ، وَسَهَّلَتْ^(٣) الْمَأْرَبَ الْعَسِيرَةَ ، وَرَفَعَ
 بِيَدِ الْعِزَّةِ الضَّيْمِ ، وَكَشَفَ بِنُورِ الْبَصِيرَةِ الْغَيْمَ ، وَظَهَرَ الْقَلِيلَ عَلَى
 الْكَثِيرِ ، وَبَاءَ الْكُفْرَ بِخُطَّةِ التَّعْشِيرِ ، وَاسْتَوَى^(٤) الدِّينَ الْحَنِيفَ عَلَى الْمَهَادِ
 الْوَيْثِرِ ، فَاهْتَبَلْنَا^(٥) ، يَا رَسُولَ اللَّهِ غُرَّةَ الْعَدُوِّ^(٦) وَانْتَهَزْنَاهَا ، وَشَمَمْنَا
 صَوَارِمَ [عِزُّ اللَّهِ]^(٧) وَهَزَرْنَاهَا ، وَأَزَحْنَا عِلَلَّ الْجِيُوشِ وَجَهَّزْنَاهَا ، فَكَانَ

(١) هذه العبارة وارادة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة وارادة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٣) وردت في الإسكوريال (وسهوت) . والتصويب من النفع .

(٤) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (واستولى) . والأولى أرجح .

(٥) هكذا وردت في النفع . ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت في النفع . ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النسخ (عرة العدو) . والأولى أرجح .

بما ساعد عليه القدر ، والحظ^(١) المُبتَدِر . والورْدُ الذي [حسن منه] (٢) الصدر ، أننا عاجلنا مدينة بُرْغَةَ (٣) ، وقد جرّعت الأختين مالقة ورندة ، من مداين دينك ، وخزائين^(٤) ميادينك ، أكواس الفراق ، وأذكرت (٥) مثل من بالعراق ، وسدّت طرق التّزاور على الطّراق ، وأسالت المسيل بالنّجيع المراق ، في مراصد^(٦) المراد والمراق ، ومنعت المراسلة مع هدى الحمام ، لا بل مع طيّف المنام عند الإلمام ، فيسرّ الله اقتحامها ، وألحمت بيض الشّفار في رؤوس^(٧) الكفار إلحاشها ، وأزال بشر السيوف من بين تلك الحروف أقحامها ، فانطلق المَسْرَى ، واستبشرت القواعد الحسرى ، وعَدِمَت بطريقها المُخيف مصارع [الصّرعى ، ومناقف] (٨) الأسرى ، والحمد لله على فتحة الأسنى ، ومنحه الأسرى ، ولا إله إلا هو مُنفلُ قيصر وكيسرى ، وفاتح مُغلقاتها المنيعة قسرا ، واستولى الإسلام منها على قرار جنّات ، وأمّ بنات ، وقاعدة حصون ، وشجرة عُصون ، وطهرت مساجدها المغتصبة المكروهة ، وقُجِعَ فيها^(٩) الفيل الأفيال وأبرهة ، وانطلقت بذكر الله الألسنة المُدرّهة ، وفاز بسبق ميدانها الجياد^(١٠) الفريهة . هذا وطاقية الروم على توفّر^(١١) جموعه ، وهول مرثيه ومسموعه ، قريب

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الخطب) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (حصل بعده) .

(٣) مدينة برغة هي بلدة أندلسية تقع شرق مدينة رندة ، ومكانها اليوم بلدة Burgo

الإسبانية . (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مزائين) .

(٥) هكذا وردت في النسخ ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت في النسخ . ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (زرق) .

(٨) هذه العبارة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٩) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بمفظها) .

(١٠) وردت في الإسكوريال محرقة (الجيد) . وفي النسخ (جيادك) .

(١١) وردت في الإسكوريال (أوفر) والتصويب من انسخ .

جواره ، بحيث يتصل خواره . ثم نازل (١) المسلمون بعدها شجا الإسلام ،
الذي أعيا النطاسي (٢) علاجة ، وكره (٣) هذا القطر الذي لا تطاول أعلامه
ولا يُصاول أغلجه ، وركاب الغارات التي تطوى المراحل إلى مكابدة
المسلمين طي البرود ، وجحر الحيات التي لا تخلع على اختلاف الفصول
جلود الزرود ، ومنغص الورود في العذب المورود (٤) ، ومقضى المضاجع
وحلم الهاجع ، ومجهز الخطب الفاجيء الفاجع ، ومستدرك فاتكه (٥)
الراجع ، قبل هبوب الطائر الساجع ، حصن أشير (٦) حماه الله دعاء لا
خبرا ، كما جعله للمتفكرين في قدرته معتبرا ، فأحاطوا به إحاطة الفلادة
بالجيد ، وأذلوا عزته بعزة ذي العرش المجيد ، وحفت به الرايات
[بسمها وسمك ، ويلوح في صفحاتها اسم الله تعالى واسمك] (٧) فلا ترى
إلا نفوسا تتزاحم على موارد الشهادة أسرابها ، وليوثا يصدق [طعانها في الله
وضرائبها] (٨) ، وأرسل الله عليها رجزا إسرائيليا من جراد السهام ،
تشد آيته عن الأفهام ، وسدد إلى الجبل النفوس القابلة للإلهام ، من بعد
الاستغلاق والاستبهاام ، وقد عبثت جوارح (٩) صخوره في قنايص الهام ،

(١) وردت في الإسكوريال (مازال) والتصويب من النفع .

(٢) مكانها بياض في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في النفع وفي الإسكوريال (وكر) .

(٤) وردت في الإسكوريال (البرود) والتصويب من النفع .

(٥) مكانها بياض في الإسكوريال .

(٦) حصن أشركان من حصون إشبيلية الأمامية في هذا العصر . وقد هاجمه وافتتحه السلطان

الغني بالله سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٧ م) .

(٧) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٨) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النفع (في الله تعالى ضربها) .

(٩) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (جوارح) ، والأولى أرجح .

وأعيا صَعْبُهُ على الجيش اللُّهَام ، فأخذ مسائِغَهُ النُّقْضَ والنَّقْبَ ، ورغا فوق أهْلَةَ الصَّقْبِ ، ونُصِبَتِ المَعَارِجُ والمَرَاقُ ، وفُرِعَتِ المَنَاكِبُ والتَّرَاقُ ، واغْتَنِمَ الصَّادِقُونَ من (١) الله الحِظَّ الباقِي ، وقال الشَّهِيدُ (٢) المَسَابِقُ: يَا قَوْزَ اسْتَبَاقِ ، ودُخِلَ البِلْدُ فَالتَحَمَ السَّيْفُ ، واستَلَبَ البِحْثُ والزَّيْفُ ، ثم اسْتُخْلِصَتِ القَصْبَةُ ، فَعَلَتِ أَعْلَامُكَ في أَبْرَاجِهَا المُشِيدَةَ ، وظَفِرَ نَاشِدُ دِينِكَ مِنْهَا بِالنَّشِيدَةِ ، وشَكَرَ اللهُ في قَصْدِهَا ، مَسَاعِي النِّصَائِحِ الرَّشِيدَةِ ، وَعَمِلَ مَا يَرْضِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ في سَدِّ ثَلَمِهَا ، وَصَوْنَ مُسْتَلَمِهَا ، وَمَدَاوِةَ أَلَمِهَا ، حِرْصاً عَلَى الاقْتِدَاءِ في مِثْلِهَا بِأَعْمَالِكَ ، والاهْتِدَاءِ بِمَشْكَاةِ كَمَالِكَ ، وَرُتَّبَ فِيهَا الحُمَاةُ تَشْجِي العَدُو ، وتَوَاصَلَ في [مَرَضَاةِ اللهِ تَعَالَى] (٣) وَمَرَضَاتِكَ الرُّوْحَ والغَدُو . ثم كَانَ الغَزْوُ إِلَى مَدِينَةِ أُطْرِبِرَةَ (٤) بِنْتِ حَاضِرَةِ الكُفْرِ إِشْبِيلِيَّةِ ، الَّتِي أَظَلَّتْهَا بِالجَنَاحِ السَّاتِرِ ، وَأَقَامَتْهَا (٥) في ضِمَانِ الأَمَانِ لِلْحِصَامِ البَاتِرِ ، وَقَدِ وَتَرَ الإِسْلَامَ في هَذِهِ المُوَمِّسَةِ البَائِسَةِ بِوَتْرِ الوَاتِرِ ، وَأَحْفَظَ مِنْهَا بِأَذَى الوَقَاحِ المُهَاتِرِ ، لَمَّا جَرَّتْهُ عَلَى أَسْرَاهِ مِنْ عَمَلِ الخَائِلِ الخَاتِرِ [حَسَبِ المَنْقُولِ لِابِلِ المَتَوَاتِرِ] (٦) ، فَطَوَى إِلَيْهَا المَسْلَمُونَ المَدَى النَازِحَ ، وَلَمْ تَشْكُ المَطْيَ الرُّوَاذِحَ ، وَصَدَقَ في الجَدِّ جَدُّهَا المَازِحَ ، وَخَفَقَتْ فَوْقَ أَوْكَارِهَا أَجْحَنَةُ الأَعْلَامِ ، وَعَشِيهَا أَفْوَاجُ [المَلَائِكَةِ المَوْسُومَةِ] (٧) وَظِلَالِ الغَمَامِ ، وَصَابَتِ مِنَ السَّهَامِ وَدَقَّ الهَامُ (٨)

(١) هَكَذَا فِي الإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النِّفْحِ (مَع) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي النِّفْحِ . وَفِي الإِسْكَورِيَالِ (الشَّاهِدُ) وَالأَوَّلَى أَرْجَحُ .

(٣) هَذَا العِبَارَةُ رَائِدَةٌ فِي النِّفْحِ .

(٤) أُطْرِبِرَةُ وَبِالإِسْبَانِيَةِ Utrera بِلْدَةٌ أُنْدَلُسِيَّةٌ مَتَوَسِّطَةٌ تَقَعُ جَنُوبَ شَرْقِ إِشْبِيلِيَّةِ . وَقَدِ غَزَاهَا السُّلْطَانُ العَنِي بَاقِيَةَ سَنَةِ ٧٦٨ هـ (١٣٦٧ م) .

(٥) هَكَذَا فِي الإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النِّفْحِ (وَأَتَامَتَهَا) .

(٦) وَارْدَةٌ فِي النِّفْحِ وَسَاقِطَةٌ فِي الإِسْكَورِيَالِ .

(٧) هَكَذَا وَرَدَتْ هَاتَانِ الكَلِمَتَانِ فِي النِّفْحِ . وَفِي الإِسْكَورِيَالِ (المَلِكَةُ المَوْسُومَةُ) .

(٨) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الإِسْكَورِيَالِ ، وَكُتِبَتْ فِي هَامِشِ المَخْطُوطِ (الرَّهَامِ) . وَوَرَدَتْ

وكاد يَكْفِي السماء^(١) على الأرض ، ارتجاج أطواها بكلمة الإسلام ،
وقد صُمَّ خَاطِبُ عروس الشهادة عن الملام ، وسمح بالعزير
الْحَصُونُ مُبَانِعِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ ، وتكَلَّمَ لسان الحديد الصَّامِتِ ، وَصَمَّتْ
إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ ، لسانُ الْكَلَامِ^(٢) ، ووفَّت الأوتار بالأوتار ، ووصل
بالخُطَى درعُ الأبيض البتار ، وسُلِّطَت النار على أربابها ، وأذن الله في تَبَارِ
تلك الأمة وتبأها ، فنزلوا على [حكم السيف]^(٣) آلافا ، بعد أن أتلَفُوا
بالسلاح إتلافا ، واستوعَبَتِ الْمُقَاتِلَةُ أَكْنافًا ، وقُرِنُوا في الجدل^(٤) أَكْنافًا
أَكْنافًا ، وحُمِلَتِ الْعَقَائِلُ وَالْخَرَائِدُ ، والوِلْدَانُ وَالْوَلَائِدُ ، إِرْكَابًا من فوق
الظهور وإزدافا ، وأقَلَّتْ منها أفلاك الحمول بدوراً تُضِيءُ من ليالي المحاق
أَسْدافًا ، وامتلأت الأيدي من المواهب والغنائم ، بما لا يُصَوِّرُهُ حِلْمُ النَّائِمِ ،
وتركت العوافى تتداعى إلى تلك الولايم ، وتفتن من مطاعمها في الملايم ،
وشنت الغارات على حِمْنِص^(٥) ، فجَلَّتْ خارجها مغاراً ، وكَسَتْ كِبَارِ
الرُّومِ بها صِغَارًا ، وأحجرت أبطالها إحجارًا ، واستاقت من النِّعَمِ ما لا يقبل
الْحَصْرُ اسْتِيبْحَارًا ، ولم يكن إلا أن عَدَلَ الْقَسَمِ ، واستقلَّ إِبَالِقْفُولِ
العزير [^(٦) الرِّسْمِ ، ووضَّح من التوفيق الوَسْمِ . فكانت الحركة إلى
جِيَّانِ ، قيعه الظل الأبرد ، ونسيجة المنوال المفرد ،] وكناس
الغيد الخرد [^(٧) وكُرْسَى الإِمَارَةِ ، وبِخْرِ الْعِمَارَةِ ، ومهوى هوى الغيث

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (السهام) . والأول أرجح .

(٢) وردت في الإسكوريال (الكمال) والتصويب من النفع .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في النفع . ومكانها في الإسكوريال (الحكم) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (الجدل) وهو تحريف

(٥) حصن يقصد بها هنا إشبيلية . وقد أطلق عليها هذا الاسم في الأدب والشعر الأندلسي

حيث شُهِبَتْ في مكانها وخطها بحمص الشام .

(٦ و ٧) ما بين القاصرتين وورد في النفع . وسقط في الإسكوريال .

المتون ، وحزب^(١) الثين والزيتون ، حيث خندق الجنة المعروف ، تدنو لأهل النار مجانيه ، وتشرق بشواطئ الأمار إشراق الأزهار زهر مبانيه ، والقلعة التي تختمت بنان شرفاتها بخواتم النجوم ، وهمت من دون سحابها البيض ، سحاب الغيث السجوم [والعقيلة التي أبدى الإسلام يوم طلاقها ، ومجوم فراقها ، سمة الوجوم ، لذلك الهجوم]^(٢) فرمتها البلاد المسلمة بأفلاذ أكبادها الواحدة ، وأجابت منادى دعوتك الصادقة الصادقة ، وحببت بالفادحة الفادحة ، فغصت الربى والوهاد ، بالتكبير والتهيل ، وتجاوبت الخيل بالصهيل ، وانهالت الجموع المجاهدة [في الله تعالى]^(٣) انهيال الكئيب المهيل . وفهمت نفوس العباد المجاهدة في الله حق الجهاد ، معاني التيسير من ربها والتسهيل ، وسفرت الرايات عن المرأى الجميل ، وأزبت المحلات المسلمة على التأميل . ولما صبحتها النواحي المقبلة الغرر ، والأعلام المكتتة الطرر ، برز حاميتها مضجرين ، وللجوزة المستباحة مستنصرين^(٤) ، فكاثروهم من سرعان الأبطال ، رجل الدبا ، ونبت الوهاد والربى ، فأقحموهم من وراء السور ، وأسرعت أقلام الرماح في بسط عددهم المكسور ، وتركت صرعاهم ولايم للنسور . ثم اقتحموا ربض المدينة الأعظم فافترعوه^(٥) ، وجدلوا من دافع عن أسواره وصرعوه ، وأكواس الحتوف جرعوه ، ولم يتصل^(٦) أولى الناس بأخراهم

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (حرب) .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في النفع وساقط في الإسكوريال .

(٣) وارده في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٤) وردت في الإسكوريال (متصرين) والتصويب من النفع .

(٥) وردت في الإسكوريال (ففرعوه) . والتصويب من النفع .

(٦) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال .

ويحمدوا^(١) بمخيم النصر العزيز سُراهم ، حتى خذل الكفار الصبر ، وأسلم
الجلد ، وأنزل على المسلمين النصر ، فدُخل البلد ، وطاح في السيل
الجارف الوالد منه والولد ، وأنهم^(٢) المطرف منه والمتلد ، فكان هولاً
بعيد الشناعة ، وبعثاً^(٣) كقيام الساعة ، أعجل المجانيق عن الركوع
والسجود ، والسلام عن طاولة^(٤) النُجود ، والأيدى عن ردم الخنادق
والأغوار ، والأكبش عن مناطق الأسوار ، والنُفوط عن إضعاق الفُجَّار ،
وعُمد الحديد ، ومعاول^(٥) البأس الشديد ، عن نَقَب الأبراج ونقض
الأحجار ، فهيلت الكُثبان ، [وأبيد الشَّيبُ والشُّبان]^(٦) وكسرت الصلبان ،
وفجَّع هدم^(٧) الكنائس الرهبان ، وأهبطت النواقيس من مراقبها العالية ،
وصُروحها المتعالية ، وخلعت ألسنتها الكاذبة ، ونُقل ما استطاعته الأيدى
المُجاذبة ، وعجزت عن الأسلاب ذوات الظهور ، وجلَّ الإسلام شعار
الغز والظهور ، بما خلَّت عن مثله سِوَالف الدهور^(٨) والأعوام والشهور ،
وأغرست الشهداء بالبحور ، ومنوا^(٩) النفوس المبيعة من الله بحلِّ الصدقات
الصَّادقة^(١٠) والمهور . ومن بعد ذلك هدم السور ، ومحيت من مختطه
المحكم السطور ، وكاد يسير ذلك الجبل الذي اقتعدته تلك المدينة ،

-
- (١) وردت في الإسكوريال (بجد) والتصويب من النفع .
 - (٢) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (والمهم) .
 - (٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (وبشا) .
 - (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (مطلونة) .
 - (٥) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (معاون) .
 - (٦) هذه العبارة واردة في النفع . وساقطة في الإسكوريال .
 - (٧) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (بهدي) .
 - (٨) هذه الكلمة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .
 - (٩) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (ومن) .
 - (١٠) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال وواردة في النفع .

ويدك ذلك الطُور . ومن بعد ما خُرب الوجار ، وعُقرت الأشجار ، عُفِر المنار ، وسلَّطت على بنات التراب الماءُ النار ، وارتحل عنها المسلمون وقد عمَّتها المصايب ، وأضْمَى لُبَّتْهَا السَّهْمُ الصَّايِب ، وظلَّهتا (١) القشاعم العصايب . فالذَّنَاب في الليل البهيم تَعَسَل ، والضُّبَاع من الحَدَب البيعد تَنَسَل ، وقد ضاقت الجدل عن المخانق ، وبيع العَرَض الثمين بالدائِق ، وسُبكت إِسورة الأَسوار ، وسوِّت الهضاب بالأغوار ، واكتُسحت الأحواز القاصية سرايا الغوار (٢) ، وحجبت بالدخان مطامع الأنوار ، وتخلَّفت قاعتها عِبْرَةً للمُعْتَبِرِينَ ، وعظَةٌ للناظرين ، وآية للمستبصرين ، ونادى لسان الحمية يا لثارات الإسكندرية ، فأسمع آذان المقيمين والمسافرين ، وأخقَّ اللهُ الحقَّ بكلماته ، وقطع دابر الكافرين .

ثم كانت الحركة إلى أختها الكبرى ، ولُدَّتْهَا الحزينة عليها العَبْرَى ، مدينة أبدة ، ذات العمران المُسْتَبَجِر ، والرَبِض الحزق المُصْحَر ، والمباني الشَّمُّ الأنوف ، [وعقائل المصانع الجُمَّة الحُلِي والشَّنُوف وألعاب الأنوف] (٣) وبلد التَّجْر ، والعسكر المَجْر ، وأفق الضلال الفاجر الكاذب على الله الكذب الفَجْر . فخذل الله حاميته (٤) التي يُعِي الحسبان عدُّها ، وسَجَرَ بحورها التي لا يُرام مدُّها ، وحقَّت عليها كلمة الله التي لا يُسْتَطَاع رُدُّها . فدُخِلت لأول وهلة ، واستُوعب جَمْعُها والمنَّة لله ، في نهلة ، [ولم يكُ للسيف من عطف عليها ولا مهلة] (٥) . ولما تناولها العفاء والتَّخريب ، واستباحها

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (وجلتها) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (المغوار) .

(٣) ما بين الخاصرتين ووردت في النسخ وساقط في الإسكوريال .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (حاميتها) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالاتي (ولم يكف

السيف من عليها ولا مهلة) وظاهر أن بها تحريفا .

الفتح القريب ، وأسند عن عواليها حديث النصر الحسن الغريب ،
وأُنْعِدت أبنائها من بعد القيام والانتصاب ، وأضُرعت مسايها لهُول
المصاب ، انصرف عنها المسلمون بالفتح الذي عَظُم صِيبُهُ ، والعزُّ الذي
سَمَّا طَرْفُهُ ، واشْرَابٌ لَيْتُهُ ، والعزم الذي حَمَدَ مَسْرَاهُ وَمَيْبَتُهُ ، والحمد لله
ناظِمُ الأَمْرِ ، وقد رَأبَ شَتَيْتُهُ ، وجابُرُ الكَسْرِ وقد أَفَاتَ الجَبْرُ مَفْيَتُهُ .
ثم كَانَ الغزْوُ إِلَى أمِّ البِلَادِ ، ومثْوَى الطَّارِفِ والتَّلَادِ ، قرطبة ، وما
قرطبة ، المدينة التي على عمل أهلها في القديم ، بهذا الإقليم ، كان العمل ،
والكرسى الذي بعصاه رُعي الهَمَلُ ، والمِصْرُ الذي له في خِطَّةِ المعمور
النَّاقَةُ والجَمَلُ ، والأفق الذي هو لشمس الخلافة العَبْشِمِيَّةِ الحَمَلُ ، فخيَمَ
الإسلام بعُقْرَتِهَا المُسْتَبَاحَةَ ، وأجاز نهرها المُعْيَى على السَّبَّاحَةِ ، وعمَّ دَوْحَهَا
الأشْبُ بوارا ؛ وأدار الكُماة (١) بُسورها سوارا ، وأخذوا (٢) بمخَنَّتِهَا
حِصَارَا ، وأعمل النَّضْلُ (٣) بِسَجَرِ نَضْلِهَا (٤) اجْتِنَاءَ ماشاءَ واهْتِصَارَا ،
وجَدَلُ من أبطالها من لم يرض انجِحَارَا ، فأعمل إلى المسلمين إصْحَارَا ، حتى
فَرَعَ بعضُ جهاتها غِلَاباً جِهَاراً ، ورُفِعَتِ الأَعْلَامُ إِعْلَاماً بعزِّ الإسلام (٥)
وإظهارا ، فلولا استهلال الغوادى ، وإن أتى الوادى ، لأفْضَتِ إلى فتح
الفتوح تلك المبادى ، ولقضى نَفْثَةُ العاكف والبادى ، فاقتضى الرأى
ولذنب الزمان في اغتصاب الكُفْرِ إِيَّاهَا متاب ، تُعمل ببشراه بفضل الله
أقتاد وأقتاب ، ولكلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، أن يُراضَ صعبها حتى يعود ذُلُولا ،

(١) وردت في الإسكوريال (المحلات) . والتصويب من النفع .

(٢) مكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (وأخذ) . والأولى أرجح .

(٣) مكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (النصر) والأولى أرجح .

(٤) كذا في النفع . وفي الإسكوريال (نصله) .

(٥) مكذا في النفع . وفي الإسكوريال (الله) .

وَتَعَفَىٰ مَعَاهِدَهَا الْآهَلَةَ فَتُتْرَكُ طُلُؤًا . فَإِذَا فَجَعَ اللَّهُ بِمَارِجِ النَّارِ طَوَائِفَهَا
 الْمَارِجَةَ ، وَأَبَادَ نَجَارِجَهَا الطَّائِرَةَ وَالذَّارِجَةَ ، خَطَبَ السَّيْفُ مِنْهَا أُمَّ مَخَارِجَةَ
 فَعِنْدَ ذَلِكَ أَطْلَقْنَا بِهَا أَلْسِنَةَ النَّارِ ، وَمَفَارِقَ الْمُضَابِ الشَّمِّ (١) قَدْ شَابَتْ ،
 وَالغَلَّاتِ الْمُسْتَعَلَّةِ (٢) قَدْ دَعَاها الْفَضْلُ فَمَا ارْتَابَتْ ، وَكَانَ صَحِيفَةً نَهْرَهَا لَمَّا
 أَضْرَمْتَ النَّارَ حَقَاقِي (٣) ظَهَرَهَا ذَابَتْ ، وَحَيْثُ فَرَّتْ أَمَامَ الْحَرِيقِ فَانْسَابَتْ ،
 وَتَخَلَّفَتْ لِنِغَمَائِمِ الدُّخَانِ عَمَائِمِ تَلْوِيهَا بِرُؤُوسِ الْجِبَالِ أَيْدِي الرِّيَاحِ ،
 وَتَنْشُرُهَا بَعْدَ الرُّكُودِ أَيْدِي الاجْتِيَاكِ . وَأَغْرَيْتِ بِأَقْطَارِهَا الشَّاسِعَةَ ، وَجِهَاتِهَا
 الْوَاسِعَةَ [جَنُودِ الْجُوعِ] (٤) وَتَوَعَّدْتَ بِالرُّجُوعِ ، فَسَلَبَ أَهْلَهَا لِتَوْعِيقِ
 الْمَهْجُومِ (٥) ، مَنزُورِ الْمَهْجُوعِ . فَأَعْلَامُهَا خَاشِعَةٌ خَاضِعَةٌ ، وَوَلِدَاتُهَا لَشْدَى
 الْبُؤْسِ رَاضِعَةٌ ، وَاللَّهُ ، سَبْحَانَهُ ، يُوفِدُ بِخَبْرِ فَتْحِهَا الْقَرِيبِ رِكَابَ الْبُشْرَى ،
 وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ قَبْلَنَا نَشْرًا ، [وَلِهَذَا الْعَهْدِ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَبَلَغَ
 وَسَيْلَتِي إِلَيْكَ ، بَلَغَ عَنِ هَذَا الْقَطْرِ الْمُرْتَدِي بِجَاهِكَ ، الَّذِي لَا يُذَلُّ مِنْ أَدْرَعِهِ .
 وَلَا يُضِلُّ بِالسَّبِيلِ الَّذِي يَشْرَعُهُ ، إِلَى أَنْ لَا طَفْنَا مَلِكَ الرُّومِ بِأَرْبَعَةٍ مِنَ الْبِلَادِ
 كَانَ الْكُفْرَ قَدْ اغْتَضَبَهَا ، وَرَفَعَ التَّمَائِيلَ بِيُوتِ اللَّهِ وَنَصَّبَهَا ، فَانْجَابَ عَنْهَا
 بِنُورِكَ الْحَلْكَ وَدَارَ بَادَاتِهَا إِلَى دَعْوَتِكَ الْفَلْكَ ، وَعَادَ إِلَى مَكَاتِبِهَا الْقُرْآنَ الَّذِي
 نَزَلَ بِهِ عَلَى قَلْبِكَ الْمَلِكِ] (٦) ثُمَّ تَنَوَّعَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِهَذَا الْعَهْدِ أَحْوَالُ الْعَدُوِّ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (بِالْمُهَشِمِ) وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ وَفِي النَّفْحِ (الْمَسْتَعَلَّاتِ) .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (حَقَاقِي) .

(٤) هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَارِدَةٌ فِي النَّفْحِ وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكَورِيَالِ .

(٥) هَكَذَا فِي النَّفْحِ . وَفِي الْإِسْكَورِيَالِ (الْجُوعِ) .

(٦) هَذِهِ الْفَقْرَةُ كُلُّهَا وَارِدَةٌ فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَسَاقِطَةٌ هُنَا فِي النَّفْحِ . ثُمَّ تَرَدَّدَ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ

فِي أَوَاخِرِ الرَّسَالَةِ حَسَبِ الْمَبِينِ بَعْدَ .

تنوعاً يوهم إفاقته من الغمرة ، وكادت فتنته تؤذن بخمود الجمرة ،
وتوقع الواقع ، وحذر ذلك السم الناقع ، وخيف الخرق الذي يحار فيه
الواقع ، فتعرفنا عوايد الله سبحانه ببركة هدايتك ، وموصول عنايتك ،
فأنزل النصر والسكينة ، ومكن العقائد المكيّنة ، فثابت العزائم وهبت ،
واضطردت عوايد الإقدام واستتبّت ، وما راع العدو إلا خيل الله تجوس
خلاله ، وشمس الحق تقلص (١) ظلاله ، وهذاك الذي أهديت يدحض
ضلاله .

ونازلنا حصني قنبيل والحوابر (٢) ، وهما معقلان متجاوران ، يتناجى
منهما الساكن سِرارا ، وقد اتخذنا بين النجوم قرارا ، وفصل بينهما حُسام
النهر يروق غرارا ، والتفّ معصمه في حلة الخصب (٣) وقد جعل الجسر
سواراً ، فخذل الصليب بذلك الثغر من تولاه ، وارتفعت أعلام الإسلام
بأعلاه ، وتبرجت عروس الفتح المبين (٤) بمجلاه ، والحمد لله على
ما أولاه . ثم تحركنا على تفيّة (٥) تعدى ثغر الموسطة على عدوه المساور
في المضاجع ، ومُضبحه بالفاجىء الفاجع ، فنازلنا حصن رُوطة ، الآخذ
بالكظم ، المعترض بالشجا اعتراض العظم ، وقد شحنه العدو مدداً بثيساً ،
ولم يأل اختياره رأياً ولا رئيساً (٦) ، فأعيا دأؤه ، واستقلّت بالمدافعة
أعداؤه . ولما أتلع إليه جيد المنجنيق ، وقد برك عليه برك (٧) الفنيق ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (توجب) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الجائر) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (المصب) .

(٤) هذه الكلمة زائدة في النسخ .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نفثة) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تليسا) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بروك) .

وشدَّ عصاب^(١) العزم الوثيق ، لجأ أهله إلى التماس العهود والمواثيق ، وقد غُصُوا بالريق ، وكاد يذهب بأبصارهم لمعان البريق ، فسكنناه من حامية المجاهدين بمن يحمي ذماره ، ويقرر اعتِماده ، واستولى أهل الثغور إلى هذا الحدِّ ، على معاقل كانت مُستغلقة ففتحوها ، وشرعوا أرسية الرماح إلى قلب قلوبها ففتحوها . ولم تكد الجيوش المجاهدة تنفض عن الأعراف مُتراكم الغبار ، وترخي عن [أباط خيلها]^(٢) شدَّ حزم الميَّار ، حتى عاودت النفوس شوقها ، واستتبعَت ذوقها ، وخطبت التي لافوقها ، وذهبت بها الآمال إلى الغاية القاصية ، والمدارك المتصاعبة . على الأفكار المتعاصية .

فقصدنا الجزيرة الخضراء ، باب هذا الوطن ، الذي منه طرُق وادعه ، ومطلع الحق الذي صدَّع الباطل صادعه ، وثنية الفتح الذي برق منها لامعه ، ومُسرَّب^(٣) الهجوم الذي لم تكن لتعثر على غيره مطامعه ، وفُرْضة المجاز التي لا تُنكر ، ومجمع البحرين في بعض ما يذكر ، حيث يتقارب الشيطان [وتنفطر ذوات الأشطان]^(٤) ، ويتوازي الخطآن ؛ ويكاد أن يلتقى حلقتا البطان . وقد كان الكفر قدر قدر هذه الفُرْضة التي طرق منها جماه ، ورماه الفتح الأول بما رماه ، وعلم أن لا تتصل أيدي المسلمين بإخوانهم إلا من تلقائها ، وأنه لا يعدم المكروه مع بقاياها ، فأجلب عليها برجله وخيله ، وسدَّ أفق البحر من أساطيله ، ومراكب أباطيله ، بقطع ليله . وتداعى المسلمون بالعدوتين إلى استنقاذها من لهواته ، أو إمساكها من دون مهواته . فعجز الحول ، ووقع بملكه إياها

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (عصام) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . ومكانها في الإسكوريال (أياطلها) وهو تحريف .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ومشرَف) .

(٤) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في النسخ .

القول ، واجتازها قهراً ، وقد صابرت الضيق ما يناهز ثلاثين شهراً ، وأطرق الإسلام بعدها إطراق الواجم ، واسودت الوجوه لخبرها الهاجم ، وبكثتها حتى دموع الغيث الساجم ، وانقطع المدد إلا من رحمة من يُنقّس الكروب ، ويُغري بالإدالة الشروق والغروب . ولما شككنا بشبا الله نحرها ، وأغصصنا بجيوش الماء وجيوش الأرض ، تكاثر نجوم السماء برها وبحرها ، ونازلناها نذيقها شديد النزال ، ونجحنا بصدق الوعيد في غير (١) سبيل الاعتزال ، رأينا بأوأ لا يُظاهر إلا بالله ولا يُطال ، ومنعة (٢) تتحاماها الأبطال ، وجنابا روضه الغيث الهطال . أما أسوارها (٣) ، فهي التي أخذت النجد والغور . واستعدت بجدال (٤) الجِلاَد عن البلاد ، فارتكبت اللُّور تحوز بحراً من الاعتماد (٥) ثانياً ، وتشكك أن يكون الإنس لها بانياً . وأما أبراجها فصفوف وصنوف ، تزين صفحات المساييف منها أنوف ، وآذان لها من دوافع الصخر شُوف . وأما خندقها فصخر مجلوب ، وسور مقلوب . وصدّقها المسلمون القتال بحسب محلّها من نفوسهم ، واقتران اغتصابها ببؤسهم ، وأفول شُوسهم . فرشقوها من النبال بظلال تحجب الشمس فلا يُشرق سناها ، وعرجوا في المراقى البعيدة يُفرعون مَبناها ، ونقبوها أنقاباً ، وحصَّبوها عقاباً . ودخلوا مدينة البنيّة (٦) بنتها غلاباً ،

(١) هذه الكلمة ساقطة في النسخ .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (منعة) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أسواقها) م والأولى أرجح .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نجلاء) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (العمارة) .

(٦) مدينة البنية وبالإسبانية La Pena (أى الصخرة) هي ثغر أندلسي صغير ، يقع على

شاطئ المحيط الأطلنطي على مقربة من شمال غربي ثغر طريف مقابل الجزيرة الخضراء ، في الناحية الأخرى من الثلث الإسباني .

وأخسبوا السيوف استلالا ، والأيدى اكتسابا ، واستوعب القتل مقاتلتها
السابعة الجئن ، البالغة المنن ، فأخذهم الهول المتفاقم ، وجدلوا كأنهم
الأراقم ، لم يفلت منهم عين تطرف ، ولا لسان يُلبى من يستطيع الخبر
أو يستشرف . ثم سمّت الهمم الأيمانية إلى المدينة الكبرى ، فداروا سوارها
على سُورها ، وتجاسروا على اقتحام أودية الفناء من فوق جُسورها ، ودقوا
إليها بالضروب من حيل الحروب بروجاً مُشيدة ، ومجانيق توثق حبالها
منها نشيدة ، وخفقت بنصر الله عذبات الأعلام ، وأهدت الملائكة مدد
الاسلام (١) ، فخذل الله كفارها ، وأكهم شفارها ، وقلم بيد قدرته
أظفارها ، فالتمسوا الأمان للخروج ، ونزلوا عن (٢) مراق العروج ، إلى
الأباطح والمروج ، من سمائها ذات البروج ، فكان بروزهم إلى العراء
من الأرض ، تذكراً بيوم العرض ، وقد جُلل المقاتلة الصفار [وتعلق
بالأمهات النشأ الصغار] (٣) . وبودرت المدينة بالتطهير ، ونطقت المآذن
العالية بالأذان الشهير ، والذكر الجهير ، وطُرحت كبار (٤) التماثيل
عن المسجد الكبير ، وأزرى بألسنة النواقيس لسان التهليل والتكبير ،
وأنزلت عن الصروح أجرامها ، يعي الهندام مرأها ، وألقى منبر الاسلام
بها مخفواً ، فأنست غربته ، وأعيد إليه قربه وقربته ، وتلا واعظ الجمع
المشهود ، قول مُنجز الوعود ، ومُورق العود « وما ظلمناهم ، ولكن
ظلموا أنفسهم » ، فما أغنت عنهم آلهتهم ، التي يدعون من دون الله من شيء ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (السلام) والأولى أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (على) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالاتي (وتعلق بالأمان

النساء والصغار) . وهو تحريف ظاهر .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (كفارها) وهو تحريف .

لما جاء أمرُ ربِّك ، وما زادوهم غيرَ تَتْبِيب . وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إنَّ أخذَه أليمٌ شديد . إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة . ذلك يومٌ مجموع له الناس ، وذلك يومٌ مشهود ، إلى آخرها ، فكاد (١) الدَّمع يُغرق الآماق ، والوجدُ يستأصل الأرزاق [وارتفعت الزعقات .. وَعَلَّتِ الشَّهَقَات] (٢) ، وجيء بأسرى المسلمين يرشون في القيود الثقال ، وينسبون من أجدات الاعتقال ، فكُتَّ عن سوقهم أساور الحديد ، وعن أعناقهم فلكات (٣) اليأس الشديد ، وظلُّوا بجناح اللطف العريض المديد ، وترنبت في المقاعد الحامية ، وأزهرت بذكر الله المآذن السامية ، فعادت المدينة لأحسن أحوالها ، وسكنت من بعد أهوالها ، وعادت الجالية إلى أموالها ، ورجع إلى القطر شبابه ، ورد على دار هجرة (٤) الإسلام بآبه ، واتصلت بأهل لا إله إلا الله أسبابه ، فهي اليوم في بلاد الإسلام ، قلادة النَّحْر ، وحاضرة البرِّ والبحر ، أبقى الله عليها ، وعلى ما وراءها من بيوت أمتك ، ودائع الله في ذمتك [ظلال عنايتك الواقية ، وأمتعها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها] (٥) ، بكلمة دينك الصالحة الباقية ، وسَدَل عليها أستار عِصْمَتِهِ الواقية . وعُدنا والصلاة عليك شعار البروز والقُفول ، وهجيراً الشروق والأفول . والجهد يارسول الله الشأن المتمد ، ما امتد بالأجل الأمد ، والمستعان الواحد الفرد الصمد (٦) .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (فكان) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالاتي (وارتفعت

الريجات وعلت السبات) وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (ملكات) . والأولى أرجح .

(٤) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في النسخ .

(٥) هذه العبارات واردة في الإسكوريال وساقطة في النسخ .

(٦) هنا ترد في النسخ العبارة التي سبق أن أغفلها إزاء مقابلها من مخطوط الإسكوريال .

وأولها (ولهذا المهدي يارسول الله ... الخ) (راجع ص ٥٥٣) .

فوجبت مطالعة مقرك النبوى بأحوال هذه الأمة المكفولة فى حجرك ،
المفضلة بإرادة تجرك ، المهتدية بأنوار فجرك . وهل هو إلا ثمرة سعيك ،
ونتائج رعيتك ، وبركة حُبك ورضاك ، الكفيل برضا ربك ، وغمام
رعدك ، وإنجاز وعدك ، وشعاع من نور سعدك ، وبذر يُجنى ريعه من
بعدك ، ونصر رايتهك ، وبرهان آيتك ، وأثر حمايتك ورعايتك .

واستنبت هذه الرسالة ماتحة بحر الندى (١) الممنوح ، ومفاتيح باب
الهدى بفتح الفتوح ، وفارعة المظاهر والصروح ، ومُلقيه الرُحل بمتنزل
الملائكة والروح ، لتمدُّ إلى قبلك يد استمناح ، وتطير إليك من الشوق
الحديث بجناح ، ثم تقف بموقف الانكسار ، وإن كان تجرُّها آمنة من
الخسار ، وتقدم بأنس القرية ، وتحجم بوخشة الغربية ، وتتأخر بالهيبة ،
وتجهش لطول الغيبة ، وتقول ارحم بعد داري ، وضعف اقتدارى ،
وانتزاح أوطانى ، وخلو أعطانى ، وقلة زادى ، وفراغ مزادى ، وتقبل
وسيلة (٢) اعترافى ، وتغمد هفوة اقترافى ، وعجل بالرضا انصراف متحملى
لانصرافى ، فكم جُيب من بحر زاخر ، وقفر بالركاب ساخر ، وحاشى لله
أن يخيب قاصدك ، أو تتخطانى مقاصدك . أو تطردنى موائدك ، أو تضيق
عنى عوايدك ، ثم تمدُّ مقتضية مزيد رحمتك ، مُستدعية دعاء من حضر
من أمتك . وأضحجتُها يا رسول الله ، عرَضاً من النواقيس التى كانت بهذه
البلاد المفتتحة ، تُعين (٣) الإقامة والأذان ، وتُسمع الأسماع الضلالة والآذان ،
نما قبل الحركة وسالم المعركة ، ومكَّن من نقله الأيدي المشتركة ،
واستحقَّ بالقدوم عليك ، والإسلام بين يديك ، السابقة فى الأزل البركة ،

(١) هكذا وردت فى النسخ . وفى الإسكوريال (الند) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (وسيرة) والتصويب من النسخ .

(٣) وردت فى الإسكوريال (تفرير) . والتصويب من النسخ .

وما سواها فكانت جبلا عَجَزَ عن حملها (١) الهِنْدَامُ ، فَنَسَخَ وجودها
الإعدام . وهي يا رسول الله جِنَى من جنانك ، وَرَطْبُ بن أفنانك ، وأثرُ
ظهور عليها (٢) من مَسْحَةِ حنانك . هذه هي الحال والانتحال (٣) ، والعائق
أن تشدَّ إليك الرِّحال ، ويُعمل الترحال ، إلى أن نلتقاك في نَرَصَات (٤)
القيامة شَفِيحاً ، ونُجِلُّ بجاهك إن شاء الله محلاً رفيعاً ، ونُقَدِّم في زُمْرة
الشُّهداء الدامية كُلُّومهم من أَجَلِك ، الناهلة غُلُّهم في سِجِّلِك ، ونبتهل
إلى الله الذي أَطْلَعَك في سماء الهداية سراجاً ، وأعلى لك في السَّبْع الطُّباق
مِعراجاً ، وأمَّ الأنبياء منك بالنبي الخاتم ، وقفى على آثار نجومها المشرقة
بقمرِكَ العاتم ، أن لا يَقْطع عن هذه الأمة الغريبة أسبابك ، ولا يسدَّ في
وجوهها أبوابك ، ويوقفها لاتباع هُداك ، ويُثبِّت أقدامها على جهاد عِداك .
وكيف تَعْدَم تَرْفِيها ، أو تخشى بَخْساً وأنت مُوفِيها ، أو يعذبها الله وأنت
فيها . وصلاة الله وسلامه تحطُّ بفنايك رِحال طيبها ، وتَهْدُر في ناديك
شَقاشِق خطيبها ، ما أذكر الصباح الطُّلُق هُداك ، والغمام السُّكِب نِداك ،
وما حنَّ مشتاقٌ يلثم ضريحك ، وفليت (٥) نَسَمَات الأسحار عما استرقت
من ريحك .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نقلها) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (علينا) .

(٣) هذة الكلمة زائدة في النسخ

(٤) هذه الكلمة زائدة في النسخ .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بليت) .

وصدر عني قبل هذه الرسالة عن السلطان رضى الله عنه

رسالة بهذه الفتوح إلى صاحب تونس نصها:

الخلافة التي ارتفع في (١) عقائد فضلها الأصيل القواعد الخلاف ،
 واستقلّت مباني فخرها الشائع ، وعزّها الذائع على ما أسسه الأسلاف ،
 ووجّب لحقّها الجازم ، وفرضها اللازم الاعتراف ، ووسّعت الآملين لها
 الجوانب الرحيبة والأكناف ، فامتزاجنا بعلائها المنيف. وولائها الشريف،
 كما امتزج الماء والسلاف ، وثناؤنا على مجدها الكريم ، وفضلها العميم،
 كما تآرّجت الرياض الأفواف، لما زارها الغمام الوكّاف، ودعاؤنا بطول بقائها،
 واتصال علائها ، يسمو به إلى قرع أبواب السموات العُلا (٢) الاستشرف ،
 وجرّصنا على توفية حقوقها العظيمة ، وفواضلها العييمة ، لا تحصره
 الحدود ، ولا تُدرّكه الأوصاف ، وإن عذر في التّقصير ، عن نيل ذلك
 المرام الكبير ، الحقّ والإنصاف . خلافةٌ وجهة تعظيمنا إذا توجّهت
 الوجوه ، ومن نؤثره إذا همّنا ما نرجوه ، ونفدّيه ونبدّيه ، إذا استُمْنِح
 المحبوب ، واستُدْفِع المَكروه ، السلطان (٢) الخليفة ، [الجليل الكبير
 الشهير ، الإمام المهّام ، الأعلى الأوحّد ، الأصعد ، الأسعد ، الأسمى ، الأعدل ،
 الأفضل ، الأسنى ، الأطهر ، الأظهر ، الأرضى ، الأحفل ، الأكمل ، أمير
 المؤمنين أبى إسحق ابن الخليفة الإمام البطل المهّام ، عين الأعيان ، وواحد
 الزمان ، الكبير الشهير ، الطّاهر ، الظّاهر ، الأوحّد الأعلى ، الحسيب ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال (في) . وفي التعريف بابن خلدون . وفي صبح الأُمّشي
 (عن) . وقد نشرت هذه الرسالة كلها في التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا (ص ١٥٥ -
 ٢٠٩) وفي صبح الأُمّشي للقلقشندي (ج ٦ ص ٥٢٦ - ٥٥٨) . وقمنا بمراجعة النص المخطوط عليها .
 (٢) هذه الكلمة زائدة في الصّبح . الإحاطة - ٣٦

الأصيل ، الأسمى ، العادل ، الحافل ، الفاضل ، المعظم ، الموقر ، الماجد ،
الكامل ، الأرضي ، المقدس ، أمير المؤمنين أبي يحيى أبي بكر ، ابن السلطان
الكبير ، الجليل ، الرفيع ، الماجد ، الظاهر ، الطاهر ، المعظم ، الموقر ،
الأسمى ، المقدس ، المرحوم أبي زكريا ، ابن الخليفة الإمام ، المجاهد
الهمام ، الكبير ، الشهير ، الخطير ، بطل الميدان ، مفخر الزمان ،
الطاهر الظاهر ، الأمضى ، المقدس ، الأرضي ، أمير المؤمنين أبي إسحق ،
ابن الخليفة الهمام الإمام ، ذى الشهرة الجامعة ، والمفاخر الواضحة ،
عَلَمُ الأَعْلَام ، فخر السيوف والأقلام ، المعظم المجد ، المقدس ، الأرضي ،
أمير المؤمنين ، المستنصر بالله ، أبي عبد الله ، ابن أبي زكريا ، بن عبد الواحد
ابن أبي حنص [١] أبواه الله ، ومقامه مقام إبراهيم ، رزقا وأمانا ،
لا يخصُّ جَلْبُ الثمرات إليه وقتاً ، ولا يعينُ زماناً ، وكان على من
يَتَخَطَّفُ الناس من حوله ، مؤيداً بالله مُعاناً ، مُعَظَّمُ قدره العالی على الأقدار ،
ومقابل داعى حقه بالابتدار ، المثنى على معاليه المُحَلِّدَةُ الآثار ، فى
أصونة النظام والنثار ، ثناء الروضة المِعْطَار على الأمطار ، الداعى إلى الله
بدوام^(٢) بقائه فى عزة^(٣) مُنْسدلة الأستار ، وعِصمة^(٤) ثابتة المركز ،
مستقيمة المدار ، وأن يختم له بعد بلوغ غايات الآجال ، ونهايات الأعمار ،
بالزلفى وعُقْبَى الدار .

(١) نقلنا هذه الفقرة الطويلة عن صبح الأعشى . وقد اختصرها مختصر مخطوط الإسكوريال
فيما يأتي (الخليفة الكذا أبي يحيى أبي بكر ابن السلطان أبي زكريا ابن الخليفة الكذا أبي يحيى ابن الخليفة
المستنصر بالله عبد الله ابن أبي زكريا بن عبد الواحد ابن أبي حمص) . وإيراد نص الرسالة كاملة ،
يقدم إلينا فكرة أوضح عن أساليب الكتابة السلطانية فى ذلك العصر .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى التعريف والصبح (بطول) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى التعريف الصبح (عصمة) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الصبح والتعريف (وعزة) .

سلام كريم ، كما حملت نسماتُ الأسحار ، أحاديث الأزهار ، وروث
ثغور الأفاحي والبهار ، عن مسلسلات الأنهار ، وتجلّى على منصّة الشهارة ،
وجهُ عروس النهار ، يخصّ خلافتكم الكريمة النجار ، العزيزة الجار ،
ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله الذي أخفى حكيمته البالغة عن أذهان
البشر ، فعجزت عن قياسها ، وجعل الأرواح كما ورد في الخبر تحن إلى
أجناسها ، مُنجدُ هذه الملة من أوليائه الجلّة ، بمن يروض الآمال بعد
شِماسها ، وييسر الأغراض قبل التماسها ، ويُعنى بتجديد المودات في ذاته ،
وابتغاء مرضاته ، على حين إخلاق لباسها ، الملك الحق ، واصل الأسباب
بحوله ، بعد انتكاث أمراسها ، ومُغنى النفوس بطوّله ، بعد إفلاسها .
حمداً يُليدُ أخلاف النعم بعد إبناسها ، وينشر ريم الآمال من أزماسها ،
ويقدس النفوس بصفات ملائكة السموات بعد إبلاسها .

والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، سراج الهداية ونيراسها ،
عند اقتناء الأنوار واقتباسها ، مُطهر الأرض من أوضارها وأذناسها ، ومصطفى
الله من بين ناسها ، وسيد الرسل الكرام ، ما بين شِيثها وإلياسها ، الآتي
مهيمناً على آثارها في حين فترتها ، ومن بعد نُصرتها واستيناسنها ، مُرغم
الضراغم في أخياسها ، بعد افترارها واقتراسها ، ومُعقر أجرام الأصنام
ومُضيت أجراسها . والرضا عن آله وأصحابه ، وعثرته وأحزابه ، حماة
شِرْعته البيضاء وحُرّاسها ، ومُلقحي غراسها ، ليوث الوغى عند احتدام
مراسها ، ورهبان الدجا تتكفل مناجاة السميع العليم في وخشة الليل البهيم
بايناسها ، وتفاوح نواسم الأسحار عند الاستغفار بطيب أنفاسها ، والدعاء
لخلافتكم العلية المُستنصرية بالصنایع^(١) التي تُشعشع أيدي العزة القساء

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الصحيح (السادة) .

من أكواسها ، ولا زالت العِصمة الإلهية كقيلة باحترامها واحتراسها . وأنبياء
الفتوح المؤيدة بالملائكة والروح . ريجان جُلاسها . وآيات المفاخر التي
ترك الأول للآخر ، مُكْتَتَبَةُ الأَسْطَار بِأَطْرَاسِهَا ، وميادين الوجود مجالا
لجِئاد جُودِهَا وبِأَسْهَا ، والعزُّ والعدل منسوبين لِفُسْطَاطِهَا وقِسْطَاسِهَا .
وصَفِيحَةُ النِصْرِ العَزِيزِ تُفِيضُ كَفْهَها المؤيدة بالله على رياسها ، عند احتياج
أَضْدَادِهَا وَشِرَّةِ (١) انْتِكَاسِهَا ، لانتهاج البلاد وانتهاجِهَا ، وهبوب رياح
رياحها وتمرد مرداسها .

فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من كتاب نصره أمداداً ، تدعن
أعناق الأنام ، لطاعة مُلْكِكُمْ المنصور الأعلام ، عند إحساسها ، وآتاكم
من آيات العِنايات آيةً تضرب الصخرة الصماء ممن عصاها بعصاها ،
فتبادر بانبيجاسها - من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وأيام الإسلام ، بعناية
الملك العلام ، تحتفل وفود الملائكة الكرام لولائمتها وأعراسها ، وطواعين
الطعان ، في عُدُوِّ الدِّينِ المُعَانِ ، تجدد عهدا بعام عمواسها [والحمد لله
حمدا معادا يُقَيِّدُ شِوَارِدِ النِّعَمِ] (٢) ويستدر مواهب الجود والكرم ، ويؤمن
من انتيكاب (٣) الجدود وانتيكاسها ، ولي الآمال وميكاسها . وخلافتكم هي
المثابة التي يُزهِمِي الوجود بمحاسن مجدها ، زهو الرياض بوزدها وآسيها ،
وتستمد أضواء الفضائل من مقباسها ، وتروى رواة الإفادة والإبادة [غريب
الوجادة] (٤) ، عن ضحَّاكها وعُبَّاسِهَا ، وإلى هذا أعلى الله معارج قدركم
وقد فعل ، وأنطق بحُجَجِ فخركم من احتفى وانتعل ، فإنه وصلنا كتابكم

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (وشرة) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والتعريف . ووردت في الصبح كالاتي

(والحمد لله حمدا يعيد شوارد النعم) . والأول أرجح .

(٣) هكذا في الإسكوريال والصبح . وفي التعريف والريحانة (انتكاث) .

(٤) هذه العبارة زائدة في الصبح والتعريف .

الذى حسبناه على صنائع الله لنا (١) تميمة . لا تَلْقَع بعدها عين ، وجعلناه
على حُلل مواهبه ، قِلَادَةٌ لا يُحْتَاج معها زِين ، ودعونا من جَيْب الكِنَانَةِ (٢)
آية بيضاء الكتابة ، لم يبق معها شك ولا مَيِّن ، وقرأنا منه وثيقة وُد ،
هُضَم فيها عن غريم الزمان دَيْن ، ورأينا منه إنشاء ، خدَم اليراع بين يديه
وَشَاء ، واختزم (٣) بهيمان عُقْدته مَشَاء ، وسئل عن معانيه الاختراع ، فقال
إنا أَنشَأْنَاهُنَّ إنشاءً ، فَأَهْلًا به من عربى أبى (٤) يصف السانح والبانة ،
ويبين فيُحْسِن الإبانة . أَدَى الأمانة ، وسئل عن حَيِّه فانتمى إلى كِنَانَةِ ،
وأفصح وهو لا يَنْبَس ، وتَهَلَّت قَسَماته . وليل (٥) جِرْد يَعْبَس ، وكان
خاتمة المُقفل على صوانه ، المُتَحَف بباكر الوَرْد في غير أوانه ، رَعْف من
مِسْكٍ عُنوانه . والله من قلم دَبَّج تلك الحُلل ، ونَمَعَ بمجاج الدَّوَاة المُسْتَمْدَة
من عين الحياة العُلل . فلقد تخارق في الجود ، مقتديا بالخلافة التي
خُلِّد فخرها في الوجود ، فجاد بسرَّ البيان ولُبابه ، وَسَمَح في سبيل الكرم حتى
بماء شبابه ، وَجَمَح لفرط بشاشته وفهامته . بعد شهادة السيف بشهامته ،
فمشى من الترحيب في الطُّرس الرَّحيب على أمِّ هامته .

وأَكْرَم به من حكيم أفصح بملغوز الإكسير . في اللَّفْظ اليَسِير ، وشرح
بلسان الخبير ، سرَّ صناعة التدبير ، كأنما خَدَم الملكة السَّاحرة بتلك
البلاد ، قبل اشتجار الجلاد ، فأثرته بالطَّارف ، من سحرها والتلاد ،
أو عثر بالمُعَلِّقة ، وتيك القديمة المطلقة ، بدفينة دار ، أو كَنَزٍ تحت

(١) هذه الكلمة زائدة في الصحيح .

(٢) هكذا في الإسكوريال والتعريف وفي الصحيح (الكناية) والأولى أرجح .

(٣) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصحيح (واخترع) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصحيح (أبى) .

(٥) وردت في الإسكوريال (لعل) والتصويب من الصحيح والتعريف .

جدار ، أو ظفر لباني الحنايا ، قبل أن تقطع به عن أمانيه المنايا ، ببديعة ،
أو خلف جرجير الروم ، قبل منازل القروم على وديعة ، أو أسهمة (١)
ابن أبي سرح في نشب للفتح وسرح ، أو ختم له روح بن حاتم ببلوغ
المطلب ، أو غلب الحظوظ بخدمة آل الأغلب ، أو خصه زيادة الله بمزيد ،
أو شارك الشيعة في أمر أبي زيد ، أو سار على منهاج في مناصحة بني منهاج ،
وفضح بتخليد أمداحهم ، كل ها ج .

واعجب له ، وقد عزز منه مثنى البيان بثالث . فجلب سحر الأسماع ،
واسترقاق الطباع بين مثنى للإبداع ومثالث . كيف اقتدر على هذا المحيد ،
وناصح مع التثليث مقام التوحيد . نستغفر الله ولي العون ، على الصمت
والصون ، فالقلم هو الموحد قبل الكون ، والمتصيف من صفات السادة ،
أولى العبادة ، بضمور الجسم وصفرة اللون . إنما هي كرامة فاروقية ،
وإثارة من حديث سارية وبقية ، سقر وجهها في الأعقاب ، بعد طول
الانتقاب ، وتداول الأحقاب ، ولسان مناب عن كريم جناب . وإصابة
السهم لسواه محسوبة ، وإلى الرأي الذي يسدده (٢) منسوبة ، ولا تنكر على
الغمام بارقة ، ولا على المتحققين بمقام التوحيد كرامة خارقة . فما شاءه
الفضل من غرائب بر وجد ، ومحاريب خلقت كريم ركع الشكر فيها
وسجد ، حديقة بيان استثارت نواسم الإبداع من مهبتها . واستزارت غمايم
الطباع ، من مصبتها ، فانت أكلها مرتين بإذن ربها . لا بل كتيبة عز
طاعنت بقنا الألفات سطورها ، فلا يرومها النقد ولا يطورها ، ونزعت عن
قسي النونات خطوطها ، واصطفت من بياض الطرس ، وسواد النفوس
بلقن تحوطها . فما كأس المدير على القدير . بين الحورنق والسدير ،

(١) هكذا في الإسكوريال والصحيح . وفي التعريف (أسلمه)

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الصحيح والتعريف (سده) .

تقامر بنرد الحُباب . عقول ذوى الألباب ، وتُغرق كِسرى فى العُباب ،
وتُهدى وهى الشَّمطاء . نشاط الشباب . وقد أسرج ابن سُريح وألجم ،
وأفصح التمريضُ بعد ما جُمجم . وأعرب النّابى لأعجم ، وقع مُعيداً
بالقضييب ، وشرّعت فى حساب العِقد بنان الكفّ الخَضيب ، وكان
الأنامل فوق مالث العُود ومثانيه ، وعند إغراء الثَّقيل بثانيه ، وإجابة
صدى الغناء بين مغانيه . المراودُ تشرع فى الوثنى ، أو العناكب تُسرع
فى المشى ، فما المُخبر^(١) بنيل الرغائب . أو قدوم الحبيب الغائب ،
لا بل إشارة البَشير ، بكمّ المُشير على العَشير ، بأجلب للسرور من زايره
المتلقّى بالبرور ، وأدعى للخبور من سفيره المُبهِج السُفور . فلم نر مثله
من كتيبة كِتَاب تُجنب الجُرد . تمرح فى الأرسان ، وتتشوف مجالى
ظهورها إلى عرايس الفُرسان ، وتهز معاطف الارتياح ، من صهيلها الصُراح
بالنغمات الحِسان . إذا أوجست^(٢) الصُريخ نازعتُ إثناء^(٣) الأعتة ،
وكاثرت بأسنة آذانها مُشرعة الأسنة ، فإن أدعى الظلّيم إثكالها فهو ظالم ،
أو نازعها الطّبي هواديهَا وأكفّالها ، فهو هاذٍ أو حالم . وإن سئل الأصمعى^(٤)
عن عُيوب الغُرر والأوضاح ، قال مشيراً إلى وجوهها الصُّباح ، « جلدة بين
العين والأنف سالم » من كل عَبل الشّوى . سابقٌ للنجم إذا ما هوى . ساهى
التلّيل ، عريضٌ ما تحت الشلّيل . ممسوحةٌ أعطافه بمنديل النسيم البليل .
من أحمر كالمُدام ، تُجلى على النّدام عقب الفِدام ، أتُحف لونه بالورّد ،

(١) هكذا فى الإسكوريال والتعريف . وفى الصبح (الحبر) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والتعريف . وفى الصبح (وجدت) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال والصبح . وفى التعريف (افتنا) .

(٤) واردة فى الإسكوريال والتعريف . وساقطة فى صبح الأعشى .

في زمن البرد ، وحِيَّ أفق مُحِيَّاه بكوكب السعد ، وتشوف الواصفون
إلى عد محاسنه ، فأغيت على العد . بحر يساجل البحر . عند المد ،
وربح تبارى الريح عند الشد ، بالذراع الأشد ، حكم له مدبر فلك
الكفل باعتدال فصل القد ، وميزه قدره المميز يوم الاستيقاق ، بقصب
السباق ، عند اعتبار الجد ، وولد مختط غرته أشكال الجمال ، على
الكمال ، بين البياض والحمره ، ونقاء الخد ، وحفظ رواية الخلق
الوجه عن جدّه الوجيه ، ولا تُنكر الرواية على الحافظ ابن الجد . وأشقر
أبي الخلق والوجه الطلق أن يُحقر كأنما صيغ من العسجد ، وطرف بالدر ،
وأنعل بالزبرجد . ووُسم في الحديث ، بسمة اليمن والبركة ، واختص
بفلج الخصام عند اشتجار المعركة ، وانفرد بمضاعف السهام ، المنكسرة
على الهام ، في الفرائض المشتركة ، واتصفت فلك كفله بحركتي الإرادة
والطبع من أصناف الحركة . أصغى إلى السماء بأذن الملهم ، وأغرى
لسان المهيل عند التباس معاني المهمز ، والتسهيل ببيان المبهم ،
وفتنت العيون ، من ذهب جسمه ، ولجّين نجمه بحبّ الدينير^(١) والدرهم ،
فإن انقض فرجم ، أو ربح لما هجم ، وإن اعترض فشفق لاح به للنجم
نجم . وأصفر قيد الأوابد الحرّة ، وأمسك المحاسن ، وأطلق الغرّة ،
وسئل من أنت في قواد الكتابيب ، وأولى الأخبار العجايب ، فقال أنا
المهلب بن أبي صفرة ، نرجس هذه الألوان ، في رياض الاكوان ، تحيا
به مُحِيَّاً^(٢) الحرب العوان . أغار بنخوة الصائل على مُعصفرات الأصايل ،
فارتداها ، وعمد إلى خيوط شعاع الشمس عند جانحة الأمس . فألحم

(١) مكذا في الإسكوريال . وفي الصيغ والتعريف (الدينار) .

(٢) مكذا في الإسكوريال . وفي الصيغ (وجوه) .

منها حُلَّتْه وأَسَدَاها . واستَعَدت عليه مُلْكُ المحاسن فما أَعَدَاها . فهو أَصِيلٌ
 تمسك بذيل الليل عُرْفَه وذيله ، وكوكب يطلعه من القشام ليله ، فيحسده
 فَرَقْدَ الأفق وسُهَيْله . وأشهب تغشى من لونه مَفَاضَة (١) ، وتسربل منه
 لامة فِضْفَاضَة ، قد احتفل زينُه ، لَمَّا رَقَمَ بالنِّبال لُجَيْنَه ، فهو الأَشِمَطُ
 الذى حَقَه لا يُغْمَطُ ، والدَّارِعُ (٢) المُسَارِعُ ، والأَعزَلُ الدُّارِعُ ، وراق
 المُضَابُ الفَارِعُ ، ومَكْتُوبُ الكَتِيبَةُ البارِعُ ، وأَكْرِمُ به من مُرْتاضٍ
 سالكٍ ، ومُجْتَهِدٌ على غايات السَّابِقِينَ الأوَّلِينَ (٣) متِهالكٍ . وأشهبُ يَرَوَى
 من الخليفة ، ذى الشَّيْمِ المُنِيفَة ، عن مالك . وحبارى كلما سابق وبارى ،
 استغار جناح الحُبَارَى ، فإذا أَعْمَلت هذه (٤) الحَسْبِيَة ، قيل من هنا جاءت
 النُّسْبَة طرد النُّمْرُ لما عَظُمَ أمرُه وأمر ، فَنُسِخَ وجوده بَعْدَه ، وابتزَّهُ
 الفَرَوَة ، مُلَطَّخَة (٥) بدمه . وكان مُضَاعَفُ الوَرْدِ ، نُثِرَ عليه من طَبِقِه ،
 أو الفَلَكُ ، لما ذهب الحَلَكُ ، مُزج فيه بياض صُبْحَه بِحُمْرَة شَفَقِه ،
 وقرطاسى حقه لا يُجْهَلُ ، متى ما تَرَقَى (٦) العين فيه تسهَّلُ ، إن نزع عنه
 جُلُّه ، فهو نجمٌ كُلُّه . انفرد بمادة الألوان ، قبل أن تشوبها يدُ الأَكْوَانِ ،
 وتمزجها أقلام المَلَوَانِ ، يتقدم منه الكَتِيبَةُ لواء ناصع ، أو أبيض ماصع .
 لَيْسَ وقار المَشِيبِ ، فى ريعان العُمُرِ القَشِيبِ ، وأنصنت الآذان من صَهَيْله
 المطيل المُطِيبِ ، لما ارتدى بالبياض إلى نَغْمَة الخطيب ، وإن تَعَتَّبَ

- (١) هكذا فى الإسكوريال والتريف . وفى الصبيح (مضاضة) .
 (٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والتريف . وفى الصبيح (الذراع) .
 (٣) واردة فى التريف والصبيح . وساقطة فى الإسكوريال .
 (٤) زائدة الصبيح .
 (٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الصبيح (ثم لطحه)
 (٦) وردت فى الإسكوريال (ترق) . والتصويب من النسخ والتريف

منه للتأخير المتعجب ، قلنا الواو لا تُرتب ، ما بين فحل وحرة . وبهرمانه
 ورة ، ^١ ويا لله من ابتسام غرة ، ووضوح يمن في طرة ، وبهجة للعين وقرة .
 ون ولع الناس بامتداح القديم ، وخصوا الحديث بفرى الأديم ، وأوجب
 المتعصب ، وإن أبي المنصب مزية ^(١) التقديم ، وطمح إلى رتبة المخدم
 طرق الخديم ، وقورن المثرى بالقديم ، وبُخس في سوق الكسد ^(٢) الكيل ،
 ودجا الليل ، وظهر في فلك الإنصاف الميل ، لما تذكرت الخيل ، فجيء
 بالوجيه والخطار ، والزائد وذى الخمار ، وداحس والسكب ، والأبجر
 وزاد الراكب ، والجُموح واليخوم ، والكميت ومكتوم ، والأعوج
 والحلوان ^(٣) ولاحق والغضبان ، وعفزر والزعفران ، والمجبر واللعب ،
 والأغر والغراب ، وشعلة والعقاب ، والفياض واليعسوب ، والمذهب
 واليغسوب ، والصموت والقطيب ، وهيدب والصبيب ، وأهلوب وهذاج ،
 والحرون وخرأج ، وعلوى والجناح ، والأخوى ومجاج ، والعصا والنعامة ،
 والبلقاء والحمامة ، وسكاب والجرادة ، وخصوصاء والعرادة . فكم بين
 الشاهد والغائب ، والمفروض والرغائب ، وفرق ما بين الأثر والعيان ،
 غنى عن البيان ، وشتان ما بين الصريح والمشتبه ، والله در القائل في
 مثلها « خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به » . والناسخ يختلف به الحكم ، وشر
 الدواب عند التفضيل بين هذه الدواب ، الصم البكم ، إلا ما ركبه نبي .
 وكان له يوم الافتخار برهان خبي ^(٤) ، ومفضل ما سمع على ما رأى غبي ،
 فلو أنصفت محاسنها التي وُصفت ، لأقضمت حب القلوب علفا ، وأوردت
 ماء الشبيبة ^(٥) نطفًا ، واتخذت لها من عذر الخدود الملاح عذر موشية ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح والتعريف (مرتبة) .

(٢) وردت في الإسكوريال والصبح (الحسد) . والتصويب من التعريف .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح والتعريف (وحلوان) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والصبح . وفي التعريف (خفي) .

(٥) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (الشيبة) والأول أرجح .

وعَلَّت بصفير ألحان القيان كلَّ عشية . وأنعلت بالأهلة ، وغُطيت
بالرياض بدل الأجلة

إلى الرقيق ، الخليق بالحسن الحقيق . تسوقه إلى مَثوى الرعاية
روقة الفتیان رعاته ، ويهدى عقيقتها من سبجِه أشكالاً تشهد للمخترع
سبحانه ، بإحكام مُخترعاته ، وقفت ناظر الاستحسان لا يريم ، لما بهره
منظرها الكريم ، وتخامل الظلِّيم ، وتضامل الرِّيم . وأخرس مُفوه (١)
اللسان ، وهو [بملكة التَّبَيان] (٢) الحفيظ العليم . وناب لسان الحال
عن لسان المقال . عند الاعتقال ، فقال يخاطب المقام ، الذي أطلعت
أزهارها غمامم جوده ، واقتضت اختيارها بركة وجوده ، لو علمنا أيها
الملك الأصيل . الذي كرم منه الإجمال والتفصيل ، أن الشناة يوازيها الكُننا
لك بكَيْلك . أو الشكر يعادها ويجازيها . لتعرضنا بالوشل إلى نيل نَيْلك ،
أوقلنا هي التي أشار إليها مُستصْرخ سلفك المستنصر بقوله : «أدرك بخيلك» (٣)

(١) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (مقوله) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في الصبح والتعريف (بملكات

البيان) .

(٣) يشير هنا ابن الخطيب إلى واقعة استصراخ الأمير أبي جميل زيان بن مردتش أمير بلنسية
عاصمة الشرق الأندلسي لما دهمه النصارى بمحصارها في رمضان سنة ٦٣٥ هـ (إبريل ١٢٣٨ م ، للأمير أبي زكريا)
ابن عبد الواحد الحفصي (وقد وهم ابن الخطيب في ذكره أن الصريح كان موجهاً إل ولده الخليفة
المستنصر) . أمير بملكة تونس ، وارساله لهذا الغرض كاتبه وسفيره الفقيه الشاعر ابن الأبار
القضاعي . وقد عبر عن صريح الأندلس ومجنتها بقصيدته الشهيرة التي أنشدها بيني يدي الأمير أبي زكريا
ومطلعها :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

وقد سارع الأمير أبو زكريا إلى إغاثة ملسمي بلنسية ، وأرسل إلى ذلك الغرض أسطولاً مشحوناً
بالسلاح والأطعمة والأموال ، وسار هذا الأسطول بالفعل إلى مياه بلنسية ولكنه لم يستطع الاتصال
بالمصورين . وسقطت بلنسية بعد ذلك في يد النصارى (الأرجونيين) في صفر سنة ٦٣٦ هـ (أكتوبر
سنة ١٢٣٨ م) .

حين شرق بدمعه^(١) الشرق ، وانهمز الجمع ، واستولى الفرق ،
واتسع فيه ، والحكم لله ، الخرق ، ورأى أن مقام التوحيد
بالمظاهرة على التثليث وحزبه الخبيث ، هو الأولى والأحق . والآن قد
أعنى الله بتلك النية ، عن إنجاد الطوال الردينية ، وبالذعاء من تلك
المثابة الدينية ، إلى رب البنية ، عن الأمداد السنية ، والأجواد تخوض
بحر الماء إلى بحر المنية ، وعن الجرد العربية في مقاود الليوث الأبية .
فجدد برسم هذه الهدية ، مراسم العهود الودية ، والذمم الموحدية لتكون
علامة على الأصل ، ومكثية لدعوى الوقف والفصل ، وإشعاراً بالألفة التي
لا تزال ألفها [بحول الله]^(٢) أليف الوصل ، ولأما حراما على النصل .
وحضر بين يدينا رسولكم فلان ، فقرر من فضلكم ، ما لا ينكره
من عرف علو مقداركم ، وأصالة داركم ، وفلك إبداركم ، وقطب مداركم ،
وأجبناه عنه بجهد ما كنا لنقنع من جناه المهتصر ، بالمقتضب المختصر ،
ولا لنقابل طول طوله بالقصر ، لولا طروء الحصر . وقد كان بين الأسلاف
رحمة الله عليهم ورضوانه ، وُدُّ أبرمت من أجل الله معاقده ، ووثرت
للخلوص الجلي النصوص ، مضاجعه القارة ومراقده ، وتعاهد بالجميل ،
توجع لفقده [فيما سلف]^(٣) فاقدته ، أبي الله ألا أن يكون لكم الفضل في
تجديده ، والعطف بتوكيده . ونحن الآن لا ندرى أى مكارمكم نذكر ،
أو أى فواضلكم نشرح أو نشكر ، أمفاتحتكم التي هي في الحقيقة عندنا
فتح ، أم هديتكم وفي وصفها للأقلام سبج ، ولعدو الإسلام بحكمتها كبح .
إنما نكل الشكر لمن يوفى جزاء الأعمال البرة ، ولا يُبخس مثقال الذرة ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (بدفه) وهو تحريف .

(٢) واردة في الإسكوريال . وساقطة في الصبح والتعريف .

(٣) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في الصبح والتعريف .

ولا أدنى من مثقال الذرة . ذى الرحمة الشرة . والألطف المتصلة المستمرة ،
لا إله إلا هو .

وإن تشوقتم إلى الأحوال الراهنة ، وأسباب الكفر الواهية [بقدره الله] (١)
الواهية، فنحن نُطرفكم بطرفها، ونطلعكم على سبيل الإجمال بطرفها . وهو أننا
لما أعادنا (٢) الله من التمحيص ، إلى مثابة التخصيص ، من بعد
المرام العويص ، كحلنا بتوفيق الله بصر البصيرة ، ووقفنا على
سبيله مساعى الحياة القصيرة ، ورأينا كما نُقل إلينا ، وكُرر على من
قَبَلنا وعلينا ، أن الدنيا ، وإن غرَّ الغرور ، وأنام على سُرر الغفلة السرور ،
فلم ينفع الخطور على أحداث الأحياب والمرور ، جسرٌ يُعبر ، ومتاع
لا يُغبط من حُبى به ، ولا يُجبر . إنما هو خبير به يُخبر ، [وأن الحسرة
بمقدار ما على تركه تُجبر] (٣) وأن الأعمار أحلام ، وأن الناس نيام ،
وربما رحل الراحل عن الخان ، وقد جلَّه بالأذى واللُخان ، أو ترك به
طيباً ، وثناءً يقوم بعده للآتى خطيباً ، فجعلنا العدل فى الأمور ملاكاً ،
والتفقد للثغور مساكاً ، وضجيج المهاد ، حديث الجهاد ، وأحكامه
مناط الاجتهاد ، وقوله : « يا أيها الذين آمنوا أهل أدلكم على تجارة تنجيكم »
دليل (٤) الاستشهاد ، وبادرنا رَمَق (٥) الحصون المضاعة ، وجنح التثقية
دامس ، [وعوراتها لا ترد يد لامس] (٦) ، وساكنها بائس ، والأعصم فى

(١) ساقطة فى الإسكوريال وواردة فى الصبح والتعريف .

(٢) هكذا فى الإسكوريال والتعريف . وفى الصبح (اعاد) .

(٣) هذه العبارة واردة فى الصبح والتعريف وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . ومكانها فى الصبح والتعريف (من حجج) .

(٥) وردت فى الإسكوريال والصبح (من) والتصويب من التعريف .

(٦) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال والتعريف وساقطة فى الصبح .

شعفتها من العِصمة آيس ، فزينا ببيض الشرفات ثناياها ، وأفعمنا بالعذب
 القرات ركايها ، وغشينا بالصفيح المضاعف أبوابها ، واحتسبنا عند موافق
 الأجور ثوابها ، وبيضنا بناصع الكلس أثوابها ، فهي اليوم توهم حس
 العيان ، أنها قطع من بيض العنان^(١) ، تكاد تناول قرص البدر بالبنان ،
 متكفلة للمؤمن ، من فزع الدنيا والآخرة بالأمان . وأقرضنا الله قرضا ،
 وأوسعنا مدونة الجيش عرضا ، وفرضنا أنصافه مع الأهله فرضا ، واستندنا
 من التوكل على الله الغنى الحميد إلى ظل لواء ، ونبذنا إلى الطاغية عهدة
 على سواء ، وقلنا رب أنت العزيز ، وكل جبار لعزك ذليل ، وحزبك
 هو الكثير ، وما سواه قليل ، أنت الكافي ، ووعدك الوعد الوافي ، فأفرض علينا
 مدارع الصابرين ، واكتبنا من الفائزين ، بحظوظ رضاك ، الظافرين ،
 وثبت أقدامنا ، وانصرتنا على القوم الكافرين .

فتحركنا أولى الحركات ، وفتاحة مصحف البركات . في خيف من
 الحشود ، واقتصار على من بحضرتنا من العساكر المظفرة والجنود ، إلى
 حصن أشرف^(٢) البازي المطل [وركاب العدو]^(٣) الضال المضل ،
 ومهدى نفثات الصل ، على امتناعه وارتفاعه ، وسمو يفاعه ، وما بذل
 العدو فيه من استعداده ، وتوفير أسلحته وأزواده ، وانتخاب أنجاده .
 فصلينا بنفسنا ناره ، وزاحمنا عليه الشهداء نصابر أواره . وتلقى بالجوارح
 العزيزة سهامه المسمومة ، وجلامده الملمومة وأحجاره ، حتى فرغنا بحول من
 لا حول ولا قوة إلا به ، أبراجه المنيعه وأسواره ، وكفقتنا عن البلاد والعباد

(١) وردت في الإسكوريال (القيان) . والتصويب من التعريف والصحيح .

(٢) هكذا في الإسكوريال وهو الرسم الصحيح لاسم هذا الحصن . وقد سبق التعريف به .

وفي الصحيح (أش) وهو تعريف .

(٣) هذه العبارة واردة في الصحيح والتعريف وساقطة في الإسكوريال .

أضراره ، بعد أن استَضَفْنَا إليه حصن (١) السهلة جاره ، ورحلنا عنه بعد أن شحناه رابطةً وحاميةً ، وأزواداً ناميةً ، وعمِلنا بيدنا في رَمِّ ما نلّم القتال ، وبقر من بطون مُسابقه الرجال ، واقتدينا بنبيينا صلوات الله وسلامه عليه في الخندق ، لما حمى ذلك المجال ، ووقع الارتجاز المنقول خبره والارتجال ، وما كان ليقرّ الإسلام مع تركه القرار ، وقد كُتِبَ الجوار ، وتداعى الدّعرة ، وتعاوى الشرار .

وقد كنا أَعْرَيْنَا الجهة الغربية من المسلمين بمدينة بُرْغَة (٢) التي سَدَّتْ بين القاعدتين رُنْدَة ومالقة الطريق ، وألْبَسَتْ ذُلَّ الفراق ذلك الفريق ، ومنَعَتْهُمَا أَنْ تُسَيِّغَا الرِّيقَ ، فلا سبيل إلى الإلمام لطيف المنام إلا في الأحلام ، ولإرسالة إلا في أجنحة هَدَى (٣) الحمام ، فيسر الله فتحها ، وعَجَلَ مَنَحَهَا ، بعد حرب انبثت فيها النحور ، وتزَيَّنَتْ الحور ، وتبع هذه الأم بناتٌ شهيرة ، وبُقِعَ للزرع والضرع خيرة ، فشفى الثغر من بؤسه ، وتهلّل وجه الإسلام بتلك الناحية بعد عبُوسه

ثم أَعْمَلْنَا الحركة إلى مدينة الجزيرة ، على بُعد المدا ، [وتَغْلُغُهَا فِي] (٤) بلاد العدا ، واقتحام هول الفلا وغول الردى ، مدينة تبنتها (٥) حُمص ، فأوسعت الدار ، وأغلت الشوار ، وراعت الاستكثار ، وبَسَطَتْ الأَعْتِمَارَ ، رَجَّحَ إلينا قصدها على البعد ، والطريق الجعد ، ما أشقت به المسلمين ، من استئصال طائفة من أسراهم ، مروا بها آمنين ، وبطائرها المَشْتُومِ

(١) هذه الكلمة واردة في الصبح والتعريف ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) سبق التعريف بهذه المدينة .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . والصبح . وفي التعريف (هـل) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (وتعلقها عل) .

والأول أرجح .

(٥) وردت في الإسكوريال والصبح (بنتها) . والتصويب من التعريف .

مُتَيْمِنِينَ ، قد أَنهَكهم الاعتقال ، والقيود الثَّقَال ، وأضرَّعهم الإِسَار ،
وَجَلَّلهم الانكسار . فجدَّلوهم في مَصْرَع واحد ، وتركوهم عبْرَةَ
للرَّائِي والمُشَاهِد ، وأهدوا بوقيعتهم إلى الإِسْلَام ، ثكل الواجد ، ووَثِرَةَ
الماجد ، فكَبَسناها كَبَسًا ، وفجَّأناها^(١) بِالْهَام من لا يُفْضِلُ ولا يَنْسِي ، فصَبَحَتْها
الخَيْل ، ثم تلاحق الرَّجُل لما جنَّ اللَّيْل ، وحقَّ بها الوَيْل ، فأَبِيحَ منها
الدَّمَار وأخذها الدَّمَار ، ومُحَقَّت من مصانعها البَيْض الأَهْلَة ، وخُصِفَتْ
الأَتَمَار ، وشُفِيَتْ من دماء أَهْلِهَا الضُّلُوع الجِرَار ، وسُلِّطَتْ على هياكلها
النَّار ، واستولى على الآلاف العديدة من سَبِيهَا الإِسَار ، وانتهى إلى إِشْبِيلِيَّة
الثُّكْلِي المَنَار ، فجلَّل وجود من بها من كبار النصرانية الصُّغَار ، واستولت
الأَيْدِي على مالا يسهه الوصف ولا تَقِلُّهُ الأَوْقَار . وعُدْنَا والأَرْض تَمُوج
سَبِيًّا ، لم تترك بَعِضَرَيْن سَبِيًّا ، ولا بوجرة ظبيا ، والعقائل حَسْرَى ،
والعيون يَبْهَرها الصُّنْع الأَسْرَى ، وصُبح السُّرَى قد حُمِد ، من بَعْدُ بَعْدُ^(٢)
العَسْرَى ، فسبحان الذي أَسْرَى ، ولسان الحمية ينادى في تلك الكنائس
المُخْزِيَّة والنَّوَادِي ، يا لثارات الأَسْرَى .

ولم يكن إلاَّ أَنْ نُفِلَّت الأَنْفَال ، ووُسِّمَتْ بالأَوْضَاخ^(٣) الأَغْفَال ، وتميَّزَتْ
المُوَادِي والأَكْفَال ، وكان إلى غزو مدينة جِيَّان الاحتفال ، قدنا إلْبها الجُرْد
تلاعب الظُّلَّال نشاطًا ، والأبطال تفتحم الأخطار رَضَى بما عند الله واغْتِبَاطًا
والمهتدة الدَّلِق^(٤) تسبق إلى الرُّقَاب استللا واختِراطًا ، والرُّدِينِيَّة السُّمَر
تستطر حِيَّاتُهَا^(٥) النفوس استراطًا . [واستكثرتنا من عُدَد القتال احتياطًا]^(٦)

(١) وردت في الإسكوريال (وفجأها) . والتصحيح من الصبح .

(٢) واردة في الصبح وساقطة في الإسكوريال .

(٣) وردت في الإسكوريال والصبح (بالإرضاخ) والتصويب من التمرير .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال وفي التمرير . وفي الصبح (الزرق) . والأولى أرجح .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح (حياة) . وهو تحريف .

(٦) هذه الجملة واردة في الإسكوريال والتعريف . وساقطة في الصبح .

وأزحنا العلل عمن أراد جهادا - منجيا غباره من دخان جهنم ورباطاً ،
 وناديننا الجهاد الجهاد ، يا أمة [الجهاد راية] (١) النبي الهاد . الجنة الجنة تحت
 ظلال السيوف الجداد . فهز النداء إلى الله تعالى كل عامر وغامر : واتتمر
 الجم من دعوة الحق إلى أمر أمر ، وأتى الناس من الفجوج العميقة رجالاً ،
 وعلى كل ضامر ، وكاثرت الرايات أزهار البطاح لونا وعدداً ، وسدت
 الحشود مسالك الطرق العريضة سداً ، ومدد بحرها الزاخر مداً ، فلا يجد
 لها الناظر ولا المناظر حداً . وهذه المدينة هي الأم الولود ، والجنة التي في
 النار لسكانها من الكفار الخلود ، وكرسى الملك ، ومُجَبَّته الوسطى ،
 من ذلك السلك (٢) ، باءت بالمزايا العديدة ، ونجحت ، وعند الوزان
 بغيرها من أمات البلاد رجحت ، غاب الأسود ، وجحر الحيات السود ،
 ومنصب التماثيل الهائلة ، ومعلق النواقيس الصائلة .

وأذنبنا إليها المراحل [وعينا لبحار] (٣) المحلات المستقلات منها
 الساحل . ولما أكثبنا جوارها ، وكدنا نلمح نارها ، تحركنا ووشاح
 الأفق المرقوم بزهر النجوم ، قد دار دايره ، والليل من خوف الصباح ،
 على سرحه (٤) المستباح ، قد شابت غدايرد . والنسر يرفرف باليمن طائرُد ،
 والسماك الرامح يشار بعز (٥) الإسلام ثائره ، والتعائم راعدة فرائض الجسد
 من خوف الأسد ، والقوس يرسل سهم السعادة . بوتر العادة إلى أهداف

(١) هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال . وواردة في الصبح والتعريف .

(٢) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (المالك) .

(٣) هكذا في الإسكوريال وفي التعريف وفي الصبح (وعينا لتجار) وهو تعريف .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والصبح . وفي التعريف (سلحه) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح (ثغر) والأولى أرجح .

النَّعْمُ الْمُعَادَةُ ، وَالْجَوَازُ عَابِرَةُ نَهْرِ الْمَجْرَةِ ، وَالزَّهْرَةُ تَغَارُ مِنَ الشَّعْرَى
الْعُبُورُ بِالضَّرَّةِ ، وَعَطَارِدُ يُسْدِي فِي حَبِلٍ (١) الْحُرُوبُ عَلَى الْبَلَدِ الْمَحْرُوبِ
وَيُلْجِمُ ، وَيُنَاطِرُ عَلَى أَشْكَالِهَا الْمُنْدَسِيَةِ فَيُفْجِمُ ، وَالْأَحْمَرُ يَبْهَرُ ، وَالْعَلَمُ
الْأَبْيَضُ يَفْرَى وَيَنْهَرُ ، وَالْمُشْتَرَى يُبْدَى فِي فَضْلِ الْجِهَادِ وَيُعِيدُ ، وَيَزَاحِمُ
فِي الْحَلَقَاتِ عَلَى مَا لِلسَّعَادَةِ مِنَ الصِّفَاتِ وَيَزِيدُ ، وَزُحْلٌ عَنِ الطَّالِحِ مُنْزَحِلٌ ،
وَعَنِ الْعَاشِرِ مَرْتَحِلٌ ، وَفِي زَلْقِ السَّقُوطِ وَحِلٍّ ، وَالْبَدْرِ يَطَارِحُ حَجَرَ
الْمُنْجِنِيقِ ، كَيْفَ يَهْوَى إِلَى النَّيْقِ ، وَمَطْلَعُ الشَّمْسِ يَرْقُبُ ، وَجِدَارُ الْأَفْقِ
يَكَادُ بِالْعَيُونِ عَنْهَا يُنْقَبُ .

ولما فشا سرُّ الصباحِ واهتزَّتْ أعطافُ الرِّايَاتِ لثَحِيَّاتِ مُبَشِّرَاتِ
الرِّيحِ ، أَطْلَلْنَا عَلَيْهَا إِطْلَالَ الْأَسْوَدِ عَلَى الْفَرَايسِ ، وَالْفُحُولِ عَلَى الْعَرَايسِ ،
فَنظَرْنَا مَنْظَرًا يَرُوعُ بِأَسَا وَمَنْعَةً ، وَيَرُوقُ وَضِعًا وَصَنْعَةً ، تَلْفَعَتْ مَعَاقِلُهُ
الشَّمُّ لِلسَّحَابِ بِيَرُودِ ، وَوَرَدَتْ مِنْ غَدِيرِ الْمُزْنِ فِي بُرُودِ ، وَأَسْرَعَتْ
لِاقْتِطَافِ (٢) أَزْهَارِ النُّجُومِ ، وَالذُّرَاعِ بَيْنَ النُّطَاقِ (٣) مَعَاصِمِ رُودِ ، وَبِلْدَانِ
يُعِينِ الْمَاسِحِ وَالذَّارِعِ ، وَيَنْتَظِمُ الْمَحَانِي وَالْأَجَارِعِ . فَقَلْنَا اللَّهُمَّ نَقْلُهُ أَيْدِي
عِبَادِكَ ، وَأَرِنَا فِيهِ آيَةً مِنْ آيَاتِ جِهَادِكَ ، فَتَزَلْنَا بِسَاحَتِهَا الْعَرِيضَةَ الْمُتُونِ ،
نَزُولِ الْغَيْثِ الْهَتُونِ ، وَتَيْمِنًا مِنْ فَحْصِنِهَا الْأَفْيَحِ بِسُورَةِ التِّينِ وَالزَّيْتُونِ ،
مُتَبَرِّئَةً مِنْ أَمَانِ الرَّخْمَنِ لِلْبَلَدِ الْمَفْتُونِ ، وَأَعْجَلْنَا النَّاسَ بِحِمِيَّةِ نَفُوسِهِمْ
النَّفِيسَةَ ، وَسَجِيَّةِ شَجَاعَتِهِمُ الْبَيْسَةَ ، عَنْ أَنْ تُبَوِّئَ (٤) لِلْقِتَالِ الْمَقَاعِدَ ،
وَتُدْنِي بِإِسْمَاعِ شَهِيرِ النَّفِيرِ مِنْهُمْ الْأَبَاعِدَ . وَقَبْلَ أَنْ يَلْتَقِيَ الْخَلِيمُ بِالْمَخْلُومِ ،
وَيَرْكِعَ الْمُنْجِنِيقُ رُكْعَتِي الْقُدُومِ ، فَدَافَعُوا مِنْ أَصْحَرَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْفَرَسَانِ ،

(١) وردت في الإسكوريال والصبح (جبل) . والتصويب من التعريف .

(٢) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (لاختطاف) والأولى أنسب .

(٣) هكذا في الصبح وفي التعريف . وفي الإسكوريال (النطاف) .

(٤) وردت في الإسكوريال (نبوه) . والتصويب من التعريف والصبح .

وسبق إلى حومة الميدان . حتى أخرجوه في البلد . وسلبوهم لباس الجلد .
 في موقف يُذهل الوالد عن الولد . صابت^(١) السهام فيه غماما ، وطارت
 كأسراب الحمام تهدي جماما . وأضحّت القنا قصداً . بعد أن كانت
 شهاباً رصداً . وماج بحر القتام بأمواج النصول . وأخذ الأرض الرّجفان
 لزلزال الصباح الموصول . فلا ترى إلا شهيدا تظلل مصرعه الحور ،
 وصريعا تقذف به إلى الساحل أمواج^(٢) تلك البحور . ونواشيب تبتأي بها
 الوجوه الوجيهة عند الله والنحور . فاليقضب فوده يُخصب . والأشمر
 غصنه سيثمر . والميفر حماء يخفر . وظهور القسي تُقصم ، وعصم الجند^(٣)
 الكوافر تُفصم . وورق اليلب في المنقلب يسقط . والبتر^(٤) تكتب . والسمر
 تنقط . فاقتم الرّبض الأعظم لحينه . وأظهر الله لعيون المبصرين
 والمستبصرين عزّة دينه . وتبراً الشيطان من خدينه . وبهت^(٥) الكفار
 وخذلوا ، وبكل مرصد جدلوا ، ثم دخل البلد بعدد غلابا ، وجلّ قتلأ
 واستلابا ، فلا تسل إلا الظبا والأسل . عن قيام ساعته . وهول يومها
 وشناعته ، وتخريب المبايت والمباني . وغنى الأيدي من خزائن تلك المغاني ،
 ونقل الوجود الأول إلى الوجود الثاني . وتخارق السيف فجاء بغير المعتاد .
 ونهلت القنا الردينية من الدماء . حتى كادت تورق كالأغصان المغترسة
 والأوتاد . وهمّت أفلاك القسيّ وسحت ، وأرنت حتى بُحت . ونفدت
 مواردها فشحت بما ألحت . وسدت المسالك جثث القتلى فمذمت العابر ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (صارت) .

(٢) هذه الكلمة وازدة في الصبح وساقطة في الإسكوريال والتعريف .

(٣) وردت في الإسكوريال (الجنن) والتصويب من الصبح والتعريف .

(٤) هكذا في الإسكوريال والصبح . وفي التعريف (البيض) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في الصبح (ونهب) وهو تحريف .

واستأصل الله من عدوه الشأفة وقطع الدأبر ، وأزلف الشهيد وأحسب
 الصابِر ، وسبقت رسل الفتح الذي لم يُسمع بمثله في الزمن الغابر ، تنقل
 البُشرى من أفواد المحابر ، إلى آذان المنابر .
 أقمنا بها أياماً نَعْقُرُ الأشجار ، ونستأصل بالتَّخريب الوجار ، ولسان
 الانتقام من عبدة الأصنام : ينادى بالثارات الإسكندرية تشفياً من الفُجَّار ،
 ورعيماً لحقِّ الجار . وقفلنا وأجنحة الرايات برياح العنانات (١) خافقة ،
 وأوافق التوفيق ، الناشئة من خطوط الطريق موافقة ، وأسواق العزِّ بالله نافقة ،
 وحملاء الرفق مصاحبة ، والحمد لله ، مرافقة ، وقد ضاقت ذروع الجبال
 عن أعناق الصُّهب السَّبال ، ورفعت على الأكفال رُدْفاء كرائم الأنفال ،
 وقُلقت بن النواقيس أجرام الجبال بالهندام والاحتيال ، وهلك بمهلك
 هذه الأم ، بنات كُنَّ يَرْتَضَعن ثُدْيَها الحوافل ، ويستوثرن حجرها الكافل ،
 شمل التخريب أسوارها ، وعجلت النار بوارها .

ثم تحركنا بعدها حركة الفتح ، وأرسلنا دلاء الأدلاء قبل المنح ،
 فبشَّرت بالمنح . وقصدنا لمدينة أبدة ، وهي ثانية الجناحين ، وكُبرى
 الأختين ، ومُساهمة جيان في حين الحين ، مدينة أخذت عرض الفضاء
 الأخرق ، وتمشَّت في أرباضها تمشَّى الكتابة الجامعة في المُهَرَّق ، المشتملة
 على المتاجر والمكاسب ، والوضع المناسب ، والفلح (٢) المُعْبَى رَيْعُهُ عمل
 الحاسب ، وكوارة (٣) الدير اللاسب ، [المتعددة اليعاسب] (٤) فإناخ
 العفاء بربوعها العامرة ، ودارت كؤوس عُقار الحُتوف ، ببنان السيوف ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في التعريف والصبح (العنايات) والأولى أرجح

(٢) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (الفلج) .

(٣) هكذا في التعريف والصبح . وفي الإسكوريال (كورة) . والأولى أرجح والكوارة

شيء يتخذ للنحل من القضبان .

(٤) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والتعريف . وساقطة في الصبح .

على متديريها المعاقرة ، وصبحتها طلائع الفاقرة ، وأغرّبت ببطون أسوارها
عُوجُ المعاول^(١) الباقرة ، ودخلت مدينتها عنوة السيف : في أسرع من
خطرة الطيف ، ولا تسل عن الكيف . فلم يبلغ العفاء من مدينة حافلة ،
وعقيلة في حُلل المحاسن راقلة ، ما بلغ من هذه البائسة ، التي سجّدت
لآلهة النيران أبراجها ، وتضاءل بالرغام معراجها ، وضفّت على أعطافها
ملابسُ الخِذلان ، وأقفر من كنائسها كناس الغزلان .

ثم تاهبنا لغزو أم القرى الكافرة ، وخزائن المزاين الواقعة ، وربة
الشهرة السافرة ، [والأنبياء المسافرة]^(٢) قرطبة ، وما أدراك ما هي ،
ذات الأرجاء الحالية الكاسية ، والأطواد الراسخة الرأسية ، والمباني المباهية
والزهراء الزاهية ، والمحاسن غير المتناهية ، حيث هالة بدر السماء ، قد
استدارت من السور المشيد البناء داراً^(٣) ، ونهر المجرة من نهرها الفياض ،
المسلول حسامه من غمود الغياض قد لصق بها جارا ، وفلك الدولاب المعتدل
الانقلاب ، قد استقام مدارا ، ورجع الحنين اشتياقاً إلى الحبيب الأول ،
وإدكارا ، حيث الطود كالتاج ، يزدان بلجين العذب المُجاج ، فيزري
بتاج كسرى ودارا ، حيث قسيّ الجسور المديرة ، كأنها عوج المطى
الغريرة ، تعبر النهر قطارا ، حيث آثار العامريّ المجاهد ، تعبق بين تلك
المعاهد شذاً معطاراً ، حيث كرائم السحاب تزور عرائس الرياض الحباب
فتحمل لها من الدر نثاراً ، حيث شمول الشمال تدار على الأذواح ، بالغدو
والرواح ، فترى الغصون سُكاري . وما هي بسُكاري ، حيث أيدي الافتتاح ،

(١) هكذا وردت في الصبح والتعريف . وفي الإسكوريال (المعاون) .

(٢) هذه العبارة واردة في التعريف وفي « ربحانة الكتاب » . - انقله في الإسكوريال .

(٣) هذه الكلمة ساقطة في الصبح .

تَفْتَضُّ من شَقَائِقِ البِطَاحِ أُبْكَاراً . حيث تُغور الأَقَاحِ البَاسِمِ ، تُقَبِّلُهَا
بِالسَّحَرِ زُورَ النِّوَاسِمِ ، فَتَخْفِقُ قُلُوبَ النُّجُومِ (١) الغِيَارِي . حيث المَصْبَلِي
لِلعَبِيقِ قَدِ رَحِبَ مَجَالاً ، وَطَالَ مَنَاراً . وَأَزْرَى بِبِلَاطِ الوَلِيدِ احْتِقَاراً .
حيث الظُّهُورِ المِثَارَةَ بِسِلَاحِ الفِلاَحِ ، تَجُبُّ عن مِثْلِ أُسْمَةِ المِهَارِي ،
والبِطُونِ كَأَنَّهَا لَتَدْمِثُ الغَمَائِمِ بَطُونِ العَدَارِي . والأَدْوَاحِ العَالِيَةِ تَخْتَرِقُ
أَعْلَامَهَا المَادِيَةَ بِالجِدَاوِلِ الخِيَارِي . فَمَا شِيتَ من جَوْ صَقِيلِ (٢) وَمُعْرَسِ
لِلحَسَنِ وَمَقِيلِ ، وَمَالِكِ لِلعَقْلِ وَعَقِيلِ . وَخَمَائِلِ كَمِ فِيهَا لِلبِلَابِلِ من قَالَ
وَقِيلِ ، وَخَفِيفِ يُجَاوِبُ بِثَقِيلِ . وَسَنَابِلِ تَحْكِي من فَوْقِ سُوقِهَا . وَقُضْبِ
بِسُوقِهَا المِمْزَاتِ فَوْقِ الأَلْفَاتِ ، وَالعَصَافِيرِ البَدِيعَةِ الصِّفَاتِ ، فَوْقِ القُضْبِ
المُؤْتَلِفَاتِ . تَمِيلُ لِهَيُوبِ (٣) الصَّبَا وَالجَنُوبِ ، مَالِئَةً (٤) الجِيُوبِ بِدُرَرِ
الجُيُوبِ ، وَبِطَاحٍ لَا تَعْرِفُ عَيْنَ المَحَلِّ ، فَتَطْلِبُهُ بِالدَّحَلِ ، وَلَا تَصْرِفُ فِي
خِدْمَةِ بَيْضِ قِبَابِ الأزْهَارِ ، عِنْدَ افْتِتَاحِ السَّوْسَنِ وَالبَهَارِ ، غَيْرِ العُبدَانِ
من سُوْدَانِ النُّحْلِ ، وَبِحَرِ الفِلاَحَةِ الِذِي لَا يُدْرِكُ سَاحِلُهُ ، وَلَا يَبْلُغُ
الطَّيَّةَ البَعِيدَةَ رَاحِلُهُ ، إِلَى الوَادِي ، وَسَمَرِ النُّوَادِي ، وَقَرَارِ دَمُوعِ الغَوَادِي
الْمُتَجَاسِرِ عَلى تَخْطِيهِ ، عِنْدَ تَمْطِيَةِ ، الجِسرِ العَادِي . وَالوَطَنِ الِذِي لَيْسَ
من عَمْرٍو وَلَا زَيْدِ . وَالفَرَا الِذِي فِي جَوْفِهِ كَلُّ صَيْدِ ، أَقْلٌ كَرَسِيهِ خِلَافَةَ
الإِسْلَامِ ، وَأَغَارِ (٥) بِالرِّصَافَةِ وَالجِسرِ دَارِ السَّلَامِ . وَمَاعَسَى أَنْ تُطْنِبَ فِي
وَصْفِهِ أَلْسِنَةُ الأَقْلَامِ . أَوْ تَعْبِرَ بِهِ عَن ذَلِكِ الكَمَالِ . فُنُونِ الكَلَامِ .

(١) مَكْنَا وَرَدَتْ فِي الصَّبِيحِ . وَفِي الإِسْكَوْرِيَالِ (النُّجْمِ) .

(٢) مَكْنَا وَرَدَتْ فِي الإِسْكَوْرِيَالِ وَالصَّبِيحِ . وَفِي التَّعْرِيفِ (بِقِيلِ) .

(٣) مَكْنَا فِي الإِسْكَوْرِيَالِ وَالتَّعْرِيفِ . وَفِي الصَّبِيحِ (هَيُوبِ) .

(٤) مَكْنَا فِي الإِسْكَوْرِيَالِ وَالتَّعْرِيفِ . وَفِي الصَّبِيحِ (مَائِلَةٌ)

(٥) مَكْنَا فِي الإِسْكَوْرِيَالِ وَالتَّعْرِيفِ . وَفِي الصَّبِيحِ (أَهَارِ) وَهِيَ تَحْرِيفُ

فَأَعْمَلْنَا إِلَيْهَا السَّرِيَّ وَالسَّيْرَ ، وَقُدْنَا إِلَيْهَا الْخَيْلَ وَقَدْ عَقَدَ اللَّهُ فِي نَوَاصِيهَا
الْخَيْرَ .

ولما وقفنا بظواهرها المُبَهَّتِ الْمُعْجَبِ ، واصْطَفَقْنَا بِخَارِجِهَا الْمُثَبِّتِ
الْمُنْجَبِ ، وَالْقُلُوبَ تَلْتَمِسُ الْإِعَانَةَ مِنْ مُنْعَمٍ مُجْزَلٍ ، وَتَسْتَنْزِلُ مَدَدَ (١)
الْمَلَائِكَةِ مِنْ مُنْجِدٍ مُنْزَلٍ ، وَالرِّكَائِبَ وَأَقْفَةَ مِنْ خَلْفِنَا بِمَعْزَلٍ ، تَقْنَشُدُ
فِي مَعَاهِدِ الْإِسْلَامِ ، « قَفَا نَبِّكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ » بَرَزَ مِنْ حَامِيَتِهَا
الْمُحَامِيَةُ ، وَوَقُودَ النَّارِ الْحَامِيَةَ ، وَبَقِيَةَ السِّيفِ الْوَافِرَةَ عَلَى الْحِصَادِ
النَّامِيَةَ ، قَطَعَ الْغَمَائِمَ الْهَامِيَةَ ، وَأَمْوَاجَ الْبُحُورِ الطَّامِيَةَ ، وَاسْتَجَنَّتْ بِظِلَالِ
أَبْطَالِ الْمَجَالِ ، أَعْدَادِ الرِّجَالِ النَّاشِئَةِ وَالرَّامِيَةَ . وَتَصَدَّى لِلنُّزَالِ ، مِنْ
صِنَادِيدِهَا الصُّهْبِ السِّيَالِ ، أَمْثَالِ الْهَضَابِ الرَّاسِيَةِ ، يَجْنُهَا جُنُنُ السَّوَابِغِ
الْكَاسِيَةِ ، وَقَوَائِمِهَا الْمُغَادِيَةَ لِلصُّلْبَانِ يَوْمَ بُوْسَهَا بِنَفْسِهَا الْمُوَاسِيَةَ ،
وَخَنَازِيرِهَا الَّتِي عَدَّتْهَا عَنْ قَبُولِ حُجَّجِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، سَتُورِ الظُّلْمِ الْغَاشِيَةِ ،
وَصُخُورِ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ . فَكَانَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ أَمَامَ جِسْرِهَا الَّذِي فَرَّقَ
الْبَحْرَ ، وَحُلِّيَ بِلُجَجِيْنِهِ وَوَلَّيَ زَيْنَهُ مِنْهَا النَّحْرَ ، حَرْبٌ لَمْ تَنْسِجِ الْأَزْمَانَ
عَلَى مَنْوَالِهَا ، وَلَا آتَتْ الْأَيَّامَ الْحُبَالِيَّ بِمِثْلِ أَجْنَةِ أَهْوَالِهَا ، مِنْ قَاسِهَا بِالْفُجَارِ
أَفْكَ وَفَجْرٍ ، أَوْ مِثْلِهَا بِجَفْرِ الْهَبَاءَةِ خَرَفَ وَهَجَرَ ، وَمَنْ شَبَّهَهَا بِحَرْبِ دَاحِسِ
وَالْغَبْرَاءِ ، فَمَا عَرَفَ الْخَيْرَ ، فَلَيْسَ مِنْ عَرَفَ وَخَيْرٍ . وَمَنْ نَظَرَهَا بِيَوْمِ شَيْبِ
جَبَلَةٍ ، فَهُوَ ذُو نَلَّةٍ . أَوْ عَادِلًا بِبَطْنِ عَاقِلٍ ، فَهُوَ غَيْرُ عَاقِلٍ . أَوْ اِحْتَجَّ بِيَوْمِ
ذِي قَارٍ ، فَهُوَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ ذُو افْتِقَارٍ . أَوْ نَاضِلٍ بِيَوْمِ الْكَدِيدِ ، فَسَهْمُهُ
غَيْرُ السَّلِيدِ . إِنَّمَا كَانَ مَقَامًا غَيْرَ مَعْتَادٍ ، وَمَرَعَى نَفُوسٍ لَمْ يَفْ بِوَصْفِهِ

(١) هذه الكلمة واردة في الصبح والتعريف . وساقطة في الإسكوريال .

لسان مرتاد ، وزلزال جبال أوتاد ، ومُتلف مَذخور لسلطان الشيطان وعناد ،
أعلم فيه البطل الباسل ، وتورد الأبيض الباتر ، وتأود الأسمر العاسل -
ودوم الجلمد المتكاسل ، وانبعث من حدب الحنية إلى هدف الرمية الناشر
التاسل ، ورويت لمرسلات السهام المراسل ، ثم أفضى أمر الرماح إلى
التشاجر والارتباك ، ونشبت الأسنة في الدروع نشب السمك في الشباك ،
ثم اختلط المرعى بالهمل ، وعزل الرديني عن العمل ، وعادت السيوف
من فوق المفارق تيجانا ، بعد أن شقت غئر السوايح خلجانا ، واتحدت
جداول الدروع فصارت بحرا ، وكان التعانق ، فلا ترى إلا نحرأ يلزم
نحرأ ، عناق وداع ، وموقف شمل ذى انصداع ، وإجابة مناد إلى فراق
الابد وداع . واستكشفت مآل الصبر الأنفس الشفافة ، وهبت بريح
النصر الطلائع المبشرة الهفافة . ثم أمد السيل ذلك العباب ، وصقل
الاستبصار الألباب ، واستخلص العزم صفوة اللباب ، وقال لسان النصر
ادخلوا عليهم الباب ، فأصبحت طوائف الكفار ، حصايد مناجل الشفار ،
فمفارقهم (٢) قد رخصت حرمتها بالإخفار (٣) ، ورؤوسهم محطوطة في غير
مقام (٤) الاستغفار ، وعلت الرايات من فوق تلك الأبراج المستطرفة
والأسوار ، ورفرف على المدينة جناح البوار ، لولا الانتهاء إلى الحد
والمقدار ، والوقوف عند اختفاء سر الأقدار (٥) .

ثم عبرنا نهرها ، وشددنا بيدي الله قهرها ، وضيقنا حصرها ،
[وأدرنا بلآلئ القباب البيض خصرها] (٦) ، وأقمنا بها أياما تحوم

(١) هكذا وردت في التعريف والصبح . وفي الإسكوريال (الصبر) والأول أرجح .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (فمفارقهم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (بالإعقار) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (عالم) والأول أرجح .

(٥) هكذا وردت في التعريف وفي الإسكوريال والصبح (المقدار) والأول أرجح .

(٦) هذه الجملة واردة في الإسكوريال والتعريف . وساقطة في الصبح .

عُقبان البتود على فريستها حياماً . وندى الأرواح^(١) ببوارها ، ونسلط
النيران على أقطارها : فلولا عائق المطر . لحصلنا من فتح ذلك الوطن
على الوطر . فرأينا أن نروضها بالاجتثاث والانتيساف : ونوالى على زروعها
وربوعها ، كرات رياح الاغتساف . حتى يتهيأ للإسلام لوك طعمتها ،
ويتهنأ بفضل الله : إرث نعيمتها . ثم كانت عن موقفها الإفاضة بعد
نحر النحور . وقذف جمار الدمار : على العدو المدحور . وتدافعت خلفنا
[السيفات المتسقات]^(٢) تدافع أمواج البحور . وبعد أن ألححنا على
جناتها المضجرة . وكرومها المستبجرة^(٣) : إلحاح الغريم : وعوضناها
المنظر الكريه [من المنظر الكريم]^(٤) . وطاف عليها طائف من ربك^(٥)
فأصيحت كالصريم ، وأغرينا حلاق النار بحمم الجحيم^(٦) ، وراكمنا
في أجواف أجوائها غمايم الدخان ، تذكر طيبة البيان بيوم الغيم ،
وأرسلنا رياح الغارات : لا تذر من شئ وأنت عليه ، إلا جعلته كالريم ،
واستقبلنا الوادى يهول مدأ . ويروع سيفه الصقيل حداً ، فيسره الله من
بعد الإعواز : وانطلقت على الفرصة : بتلك الفرصة : أيدي الانتهاز ،
وسألنا من ساعله أسد بن الفرات^(٧) : فأفتى برجحان الجواز ، فعم

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (الأرواح) . والأول أرجح .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والتعريف . ووردت في الصبح (انسابت

المستقات) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والتعريف وفي الصبح (المشجرة) .

(٤) هذه العبارة واردة في الصبح والتعريف وسقطت في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح (ربنا) .

(٦) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (الحجم) والأول أرجح .

(٧) هو القاضي أسد بن الفرات بن ستان فاتح صقيلة ، وأحد أكابر نهج المذابكية . ومؤلف

كتاب الأسيدي في الفقه المالكي (١٤٢ - ٨٢١٣) . وقد ترجم له ابن الخطيب في المجلد الأول من

الإحاطة فليراجع هنالك .

الاكتساح والاستيحاء جميع الأحوال ، فأدبيل المصون ، وانتهيت القرى
وهدمت الحصون ، واجتثت الأصول وحطمت الغصون ، ولم ترفع عنها
إلى يوم غارة تصافحها بالبؤس ، وتطلع عليها غررها الضاحكة . باليوم
العَبُوس . فهي الآن مجرى السوابق ومجر العوالي ، على التوالى ، والحسرات
تتجدد في أطلاها البوالى ، وكان بها قد صرعت ، وإلى الدعوة المحمدية
قد أسرعت ، بقُدرة من أنزل القرآن على الجبال ، فحشعت من خشية الله
وتصدعت ، وعزة من أذعنت الجبابرة لعزّه وخنعت . وعُدنا والبُنود
لا يعرف اللف نشرها ، والوجود المجاهدة لا يخالط التَّقَطُّب (١) بِشَرِّهَا ،
والأيدي بالعروة الوثقى مُعْتَلِقة ، والألسن بشكر نعم الله مُنْطَلِقة ، والسيوف
في مضاجع الغُمُود قَلِقة ، وسراييل الدروع خَلِقة ، والجياد من رُدِّها إلى
المرايط (٢) والأوارى رُدِّ العواري حَنِقة ، وبعبرات الغيظ المَكْظُوم مُخْتَنِقة ،
تنظر إلينا نَظَر العاتب ، وتعود من ميادين المَراح والاختياليات تحت حُلل
السُّلاح عَوْد الصُّبيان إلى المكاتب ، والطَّيْل بلسان العزِّ هادِر ، والعزم
إلى مُنادى العَوْد الحَمِيد مُبادِر ، ووجود نوع الرُّماح من بعد ذلك الكِفاح ،
نادر ، والقاسم ترتب بين يديه من السَّبى النوادر ، ووارِد مَناهِل (٣) الأَجور
غير المُحَلَّ ولا المهجور (٤) غير صادر ، ومُناظر الفضل الآتى عقب أخيه
المتأني على المطلوب المواتر مُصادر ، والله على تيسير الصعاب وتحويل
المينن الرُّغاب قادر ، لا إله إلا هو ، فما أَجْمَل لنا صنعه الخَفِي ، وأكرم
بنا لُطْفَه الخَفِي ، اللهم لا نحصى ثناءً عليك ، ولا نَلجأُ منك إلا إليك ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح (التقطيب) .

(٢) واردة في الصبح والتعريف . وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (منهل) .

(٤) وردت في الإسكوريال (المهور) والتصويب من الصبح والتعريف .

ولا نلتصم بخير الدنيا والآخرة ، إلاّ لَدَيْكَ . فأعد علينا عوائد نصرِكَ ،
يا مُبْدِي يا مُعِيد . وأعنا من وسائل شكرِكَ على ما ينشأ^(١) به المزيد يا حَيُّ
يا قَيُّوم ، يا فعَّال لما يريد .

وقارنت رسالتكم الميمونة لَدَيْنَا حذق^(٢) فتح ، بعد صيته ، مُشَرِّبٌ
لِنَيْتِهِ . وفخر من فوق النجوم العواتم مبيته . عَجَبْنَا من تَأْتِي أَمَلِهِ الشَّارِدُ ،
وَقُلْنَا البركة في قُدوم الوارد . وهو أَنَّ ملك النصارى لاطفنا بجُملة من
الحصُون ، كانت من مملكة^(٣) الإسلام قد غُصبت . والتماثيل فيها بيوت
الله قد نُصبت . أَدالها الله بمحاولتنا الطَّيِّب من الخَيْث . والتَّوْحِيد من
التَّثْلِيث . وعاد إليها الإسلام عودَة الأب الغائب . إلى البَنات الحَبَاب ،
يَهْلُ عن شئونها . ويمسح دموع الرِّقة عن جُفونها . وهي للروم خُطَّة خَسَف ،
قلَّ ما ارتكبوها فيما نعلم من اليهود . ونادرة من نوادر الوجود ، والى الله
علينا وعليكم عوارف الوجود . وجعلنا في محارِب الشكر من الرُّكع السجود .
عرفناكم بمجملات أمور تحتها تفسير ، ويؤمن من الله وتيسير . إذ
استيفاء الجزئيات عسير . لنسركم بما منح الله دينكم ، وتُتَوَّج بعزِّ المَلَّة
العنيفة جبينكم . ونخطب بعده دعاءكم وتأمينكم : فإنَّ دُعَاء المؤمن لأخيه
بظَّهر الغيب سلاحٌ ماضٍ ، وكفيل بالمواهب^(٤) المسئولة من المنعم الوهاب
مُتَقاضٍ^(٥) ، وأنتم أولى من ساهم في برِّ ، وعامل الله بخلوص سرِّ ، وأين
يذهب الفضل عن بيتكم وهو صفة حيِّكم . وتراتٍ ميِّتكم ، ولكم مزِيَّة
القَدَم ، ورسوخ القَدَم . والخلافة مقرُّها إيوانكم . وأصحاب الإمام مالك ،

(١) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (تذا) والأولى أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال والتعريف وفي الصبح (حذق)

(٣) هكذا في الصبح والتعريف . وفي الإسكوريال (ملكة) .

(٤) هكذا في التعريف . وفي الإسكوريال (للمواهب) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح (ميفاض)

رضي الله عنه ، مستقرها قَيْرَوَانِكُمْ (١) وهَجِير المناير ذكرُ إمامكم ، والتوحيد
أعلام إعلَامِكُمْ ، والوقائع الشهيرة في الكفر ، منسوبة إلى أيَّامِكُمْ ، والصحابة
الكرام فتحة أوطانِكُمْ ، وسُلالة الفاروق عليه السلام ، وشايح سُلطانِكُمْ ،
ونحن نستكثر من بركة خطابِكُمْ ، ووُضلة جنابِكُمْ ، ولولا الأعذار لو ألبينا
بالمُتزيِّدات تعريف أبوابِكُمْ . والله عزَّ وجلَّ ، يتولى عنا ، من شُكرِكُمْ
المحتوم ، ما قَصَّر فيه المكتوب منه عن المكتوم ، ويُبقيكم لإقامة الرُّسوم ،
ويحلُّ محبتِكُمْ من القلوب محلَّ الأرواح من الجُسوم ، وهو سبحانه يصل
سعدِكُمْ ، ويحرس مجدِكُمْ ، ويوالي نِعمه عندِكُمْ . والسلام الكريم ،
الطيب [الزاكي المبارك] (٢) البر ، العميم ، يخصكم كثيرا أثيرا ، ما أطلع
الصبح وجها منيرا ، بعد أن أرسل النَّسيم سفيرا ، [وكان الوميض الباسم] (٣)
لأَكواس الغمايم ، على أزهار الكائِم مديرا ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

وصدر غني في مخاطبة الشيخ الخطيب أبي عبد الله

ابن مرزوق جواباً عن كتابه :

ولما أن نأت عنكم ديارى وحال البُعد بينكم وبين
بعثت لكم سواداً في بياض لأنظركم بشيء مثل عين
بِمَ أفاتحك يا سيدى ، وأجلُّ عُددي [كيف أهدى] (٤) سلاماً فلا
أحذرُ ملاماً ، أو أنتخب لك كلاماً ، فلا أجد لتبعة التَّقصير في حَقِّك

(١) أعنى مدينة القيروان ، وقد اشتهرت بنبوغ عدد من أئمة الفقه المالكي وعلى رأسهم
سحنون بن سعيد وتلميذه أبو زيد القيرواني .

(٢) هذه العبارة واردة في التعريف وساقطة في الإسكوريال والصبح .

(٣) هذه العبارة واردة في الصبح والتعريف وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هذه العبارة واردة في النفع ، وساقطة في الإسكوريال .

الكبير إيلاماً . إن قلتُ تحية كِشْرَى في الثناء وتبع ، فكلمة في مريع العجمة ترزيع ، ولها المصيفُ فيه والمرّيع ، والجَمِيم والمنبَع ، فتروي متى شاعت وتشعب . وإن قلتُ إذا العارضُ خَطَرَ ، ومهما (١) هَمَى أو قَطَرَ ، سلام الله يا مَطَر ، فهو في الشريعة بَطَر ، ومَرَكِبُهُ (٢) خَطِر ، ولا يرعى به وطن ، ولا يقضى وَطَر . وإنما العِرْق الأَوْشَج ، ولا يستوى البان والبنفسج ، والعوسج والعرفج .

سلامٌ وتسليمٌ وروحٌ ورحمةٌ عليك وممدودٌ من الظلِّ سَجَسَجٌ
وما كان فضلكم (٣) ليمنعني الكفران أن أشكره ، ولا لينسيني الشيطان أن أذكره ، فاتخذ في البحر سبباً ، أو أسلك غير الوفاء مذهباً ، تأبى ذلك ، والمنة لله تعالى طباعٌ ، لها في مجال الرعى باع ، وتحقيق وإشباع ، وسوايم من الإنصاف لها مرعى في رياض الاعتراف ، فلا يطرُقها ارتياع ، ولا تخيفها سباع . وكيف تجحد تلك الحقوق ، وهي شمسٌ ظهيرة ، وأذانٌ عقيرة جَهيرة ، فوق مئذنة شهيرة . أدت الأكتادُ لها ديونٌ تستغرق الذم ، وتسترقُ حتى الرمم ، فإن قضيت في الحياة ، فهي الخُطة التي نرتضيها ، ولا نقنع من عامل الدهر المساعد ، إلا بأن يُنقذ مراسمها ويُمضيها ، وإن قطع الأجل ، فالغنى الحميد من خزائنه التي لا تبيد ، يقضيها ويرضى من يقضيها . وحيّاً الله أيها العَلَم السامى الجلال ، زمناً بمعرفتكَ المُبرّة على الآمال أبرّ وأتحف ، وإن أساء بفراقك وأجحف ، وأغرى بعد ما ألحف ، وأظفر باليتيمة المذخورة للشدايد والمزايين ، ثم أوحش منها أضونة هذه الخزائين ، فأب حنين الأمل بخفيه ، وأصبح

(١) هذه الكلمة واردة في النفع ، وساقطة في الاسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (ركبه)

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (فضلك)

المُغْرِبُ غَرِيباً يِقْلُبُ كَفَيْهِ . وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ هَذِهِ الْغَفَلَاتِ . وَنَسْتَهْدِيهِ
 دَلِيلًا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْفَلَوَاتِ . وَأَيُّ ذَنْبٍ فِي الْفِرَاقِ لِلزَّمَنِ أَوْ لِغِرَابِ الدَّمَنِ .
 أَوْ لِلرَّوَاحِلِ الْمُتَدَلِّجَةِ مَا بَيْنَ الشَّامِ إِلَى الْيَمَنِ . وَمَا مِنْهَا إِلَّا عَبْدٌ مَقْهُورٌ .
 وَفِي رِمَّةِ الْقَدْرِ مَبْهُورٌ ، عَقْدٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَشْهُورٌ . وَحِجَّةٌ لَهَا عَلَى النَّفْسِ
 اللَّوَامَةُ ظُهُورٌ . جَعَلْنَا اللَّهَ مِمَّنْ ذَكَرَ الْمُسَبَّبَ فِي الْأَسْبَابِ . وَتَذَكَّرَ وَمَا يَذْكُرُ
 إِلَّا أَوْلُو الْأَلْبَابِ ، قَبْلَ غَلْقِ الرَّهْنِ وَسُدِّ الْبَابِ . وَبِالْجَمَلَةِ فَالْفِرَاقُ ذَاتِي
 وَوَعْدِهِ مَا تَى . فَإِنْ لَمْ يَحْزَنْ فَكَيْفَ قَدْ ، مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنَ الْغَدِ . وَالْمَرْءُ فِي
 الْوُجُودِ غَرِيبٌ ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ ، وَمَا مِنْ مَقَامٍ إِلَّا لِزِيَالٍ مِنْ غَيْرِ احْتِيَالٍ ،
 وَالْأَعْمَارُ مَرَاخِلُ وَالْأَيَّامُ (١) أَمْيَالٌ .

نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال

جَعَلَ اللَّهُ الْأَدَبَ مَعَ الْحَقِّ شَانِنًا ، وَأَبْعَدَ عَنَا الْفَرْقَ (٢) الَّذِي شَانِنَا ،
 وَإِنِّي لِأَسْرُ لِسَيْدِي ، بِأَنَّ رَعَى اللَّهُ صَالِحَ سَلْفِهِ ، وَتَدَارَكَهُ بِالتَّلَافِي فِي
 تَلْفِيهِ ، وَخَلَّصَ سَعَادَتَهُ مِنْ كَلْفِيهِ ، وَأَحْلَهَ مِنَ الْأَمْنِ فِي كَنْفِيهِ ، وَعَلَى
 قَدْرِهَا تُصَابِ الْعَلْيَاءِ ، وَأَشَدُّ النَّاسِ بِلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الْأَوْلِيَاءِ . هَذَا وَالْخَيْرِ
 وَالشَّرِّ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْمُؤَسَّسَةَ عَلَى الْأَكْدَارِ . ظِلَّانَ مُضْمَحَلَّانَ . فَإِذَا (٣) ارْتَفَعَ
 مَا ضُرَّ أَوْ مَا نَفَعَ ، وَفَارَقَ الْمَكَانَ ، فَكَيْفَ مَا كَانَ . وَمِنْ كَلِمَاتِ الْمَمْلُوكِ
 الْبَعِيدَةِ عَنِ الشُّكُوكِ ، إِلَى أَنْ يَشَاءَ مَلِكُ الْمَمْلُوكِ :

خُذْ مِنْ زَمَانِكَ مَا تَيْسَّرُ وَاتْرِكْ بِجَهْدِكَ مَا تَعَسَّرُ
 وَلِرَبِّ مُجْمَلِ حَالَةٍ تُرَضِّي بِهِ مَا لَمْ يُفَسِّرُ
 وَالدهر ليس بدائم لا بد أن سييسوء إن سرَّ

(١) هذه الكلمة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الفراق) . والأولى ارجح .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (فقد) .

واكتم حديثك جاهداً شمتَ المُحدِّثَ أو تحسَّرَ
والناس آنية الزُّججا ج إذا عَثرت به تكسَّرَ
لا تُعلم التقوى فمن عديم التُّقى في الناس أَعسَرَ
وإذا امرؤٌ خَسِرَ الإلَه فليس خلقٌ منه أُنسَرَ

وإنَّ لله في رَعِيكَ لسراً ، ولُطفاً مستمرا مستقرا (١) ، إذ ألقاك، [بسر
الرَّوع] (٢) إلى الساحل ، وأخذ بيدك من وَرطة الواحل ، وحرك منك
عزيمة الرَّاحل ، إلى المَلِكِ الحَلاحل ، فإذا لك من إبراهيميك سَمِيًّا ،
وعرَّفك بعد الولي وسميا ، ونَقَلك من عنايةٍ إلى عناية ، وهو الذي يقول
وقوله الحقُّ ، ما ننسخ من آية ، الآية . وقد وصل كتاب سيدي يَحْمَد
والحمد لله العواقب ، ويَصِف المراقى التى حلَّها والمراقب ، وينشر المفاخر
الحَفْصِيَّة والمناقب ، ويذكر ما هبَّاه الله لديها من إقبال ، ورخاء بال ،
وخصيصيَّ اشتمال ونُشور (٣) آمال ، وأنه اغتبط وارتبط ، وألقى العصا
بعد ما خَبَط . ومثل تلك الخلافة العَلِيَّة من تزن الذوات ، المخصوصة
من الله بشريف (٤) الأدوات ، بميزان تَمَيِّيزها ، وتفرِّق بين شبه المعادن
وإبريزها ، وشبه الشيء مثل معروف . ولقد أخطأ من قال للناس ظروف ،
إنما هم شَجَرَات مَرَبِع (٥) في بُقعة ما حِلَّة ، وإبل مائة لا تجد فيها راحلة ،
وما هو إلاَّ اتفاق ، ونجح لِلْمَلِكِ وإخفاق (٦) ، وقلما كذب إجماع
وإصفاق ، والجليل الصالح لربِّ السِّياسة أمل مطلوب ، وحظُّ إليه

(١) واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في النفع .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (ونشوة) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بتشريف) .

(٥) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (ربع) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (إحقاق) .

مجلوب . وإن سُئِلَ أَطْرَفَ ، وَعَمَرَ الْوَقْتَ بِبِضَاعَةِ أَشْرَفَ . وَسَرَقَ الطَّبَاعَ
 وَمَدَّ فِي الْحَسَنَاتِ الْبَاعَ ، وَسَلَّى فِي الْخُطُوبِ ، وَأَضْحَكَ فِي الْيَوْمِ الْقَطُوبِ ،
 وَهَدَى إِلَى أَقْوَمِ الطَّرِيقِ ، وَأَعَانَ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، وَزَرَعَ لَهُ الْمَوَدَّةَ فِي
 قُلُوبِ الْخَلْقِ ، زَادَ اللَّهُ سَيِّدِي لَهَا قُرْبًا أَثِيرًا ، وَجَعَلَ فِيهِ لِلْجَمِيعِ خَيْرًا
 كَثِيرًا ، بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ . وَلِعَلَّمَنِي بِأَنَّهُ أَبْقَاهُ اللَّهُ يَقْبَلُ نُصْحِي ، وَلَا يَرْتَابُ
 فِي صَدَقِ صُبْحِي ، أَغْبَطَهُ بِمَثْوَاهِ ، وَأَنْشَدَهُ مَا حَضَرَ مِنَ الْبَدِيهِةِ فِي مَسَارَةِ
 هُدَاهِ وَنَجْوَاهِ :

بمقام إبراهيم عُدَّ واضرف له فكرا تورق عن بواعث تغتري (١)
 فجواره حُرْمٌ وَأَنْتَ حِمَامَةٌ ورقاء والأغصان عودُ المنبر
 فلقد أمنت من الزمان ورَّيبه وهو المروع للمسيء وللبري
 وَأَنْ تَشَوَّفَ سَيِّدِي لِلْحَالِ (٢) ، فَلَعَمْرُ وَلِيَّهِ ، لَوْ كَانَ الْمَطْلُوبُ دُنْيَا ،
 لَوَجِبَ وَقُوعُ الْاجْتِنَاءِ ، وَلَا غَتَّبَطَ بِمَا تَحْصُلُ فِي هَذِهِ الْجُزُورِ ، الْمَبِيعَةَ فِي
 حَانُوتِ الزُّورِ ، مِنَ السُّهَامِ الْوَافِرَةِ الْأَجْزَاءِ ، فَالسلطان رعاه الله ، يوجب
 مَا فَوْقَ مِزْيَةِ التَّعْلِيمِ ، وَالْوَلَدُ هِدَاهُمُ اللَّهُ ، قَدْ أَخَذُوا بِخَطِّ قَلِّ (٣) أَنْ يِنَالُوهُ
 بِغَيْرِ هَذَا الْإِقْلِيمِ ، وَالْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ ، تُعَامَلُ بِحَسَبِ مَا بَلَّتَهُ مِنْ نُصْحِ
 سَلِيمٍ ، وَتَرَكِ لِمَا بِالْأَيْدِي وَتَسْلِيمٍ ، وَتَدْبِيرٍ عَادَ عَلَى عُدُوِّهِمْ (٤) بِالْعَذَابِ
 الْأَلِيمِ ، إِلَّا مِنْ أَبَدِي السَّلَامَةِ ، وَهُوَ مِنْ أَبْطَانِ الْحَسَنِدِ بِحَالِ السَّلِيمِ ،
 وَلَا يُنْكَرُ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ وَلَا فِي الْقَدِيمِ . لَكِنَّ النَّفْسَ مَنْصَرِفَةً عَنْ هَذَا
 الْغَرَضِ ، وَنَافِضَةً يَدَهَا مِنَ الْعَرَضِ ، قَدْ فَوَّتَتْ الْحَاصِلَ ، وَوَصَلَتْ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (تَنْبَرِي) .

(٢) وَارِدَةٌ فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَسَاقِطَةٌ فِي النَّفْحِ .

(٣) وَرَدَّتْ فِي الْإِسْكَورِيَالِ (قَبِيل) وَالتَّصْوِيبِ مِنَ النَّفْحِ .

(٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (عَدَدَهَا) .

في الله القاضع ، وقطعت الواصل ، [وصَدَقْتَ لما نَصَحَ الفوَدُ النَّاصِلُ] (١)
وتأهبت للقاء الحِمام الواصل ، وقلت :

أنظر خضاب الشباب قد نَصَلَا وزائر الأُنس بعده انفَصَلَا
وطلبي والذي كَلِفْتُ به حاولتُ تحصيله فما حَصَلَا
لا أمل مُسَعِفٌ ولا عمل نحن في ذا الموت قد وَصَلَا

والوقت إلى الإمداد منكم بالدعاء في الأصايل والأسحار ، إلى مقيل
شديد الافتقار ، والله عز وجل يصل لسيدى رعى جوانبه ، ويتولى
تيسير آماله ، من فضله العيم ، ومآربه ، واقرا عليه من التحيات ،
المحملة من فوق رحال (٢) الأريحيات أزكاها ، ما أوجع البرق الغمام
فأبكاها ، وحسد الروض حمال التجوم الزواهر ، فقاسها بميسم (٣) لأزاهر
وحكاها ، واضطبن (٤) هرم الليل ، عند الميل ، عصا الجوزاء وتوكاها ،
ورحمة الله تعالى وبركاته ...

وخاطبت الفقيه الرئيس أبا زيد بن خلدون لما ارتحل من
بحر ألمرية ، واستقر ببسكرة عند الرئيس بها أبي العباس
ابن مزنى صحبة رسالة خطبها أخوه أبو زكريا ، وقد تقلد
كتابة الإنشاء لصاحب تلمسان ، ووصل الكتب عنه من إنشائه

بنفسى وما نفسى على بهينة فيُنزِلُنِي عنها المكاس بأثمان
حبيب نأى عنى وصم لأنتى وراش سهام البين عمدا فأصماني

(١) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٢) واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بميام) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (واضطير) والأول أرجح .

وقد كان همُّ الشَّيب لا كان كافياً
 شرعتُ له من دمع عيني مورداً
 وأزَعَيْتُهُ من حسن عهدى حميمه
 حَلَفْتُ على ما عنده لي من رضى
 وإني على ما نالني منه من قِلِّ
 سألت جنوني فيه تقريب عرشه
 إذا ما دعا داع من القوم باسمه
 وتالله (١) ما أصغيتُ فيه لعاذلٍ
 ولا استشعرتُ نفسى برحمة عابدٍ
 ولا شعرت من قبله بتشوقٍ
 أما الشوق فحدث عنه ولا حرج ، وأما الصبر فاسأل به أية درج ، بعد أن
 تجاوز المدى والمنعرج ، لكن الشدة تعشق الفرج ، والمؤمن ينشق من روح الله
 الأرج ، وإني بالصبر على أبرِّ الدبِّر ، لا بل الضرب الهبر ، ومطاوله
 اليوم والشهر ، نعت حكم القهر ، وهل للعَيْن أن تسلو سُلُو المَقْصِر
 عن إنسانها المُبْصِر ، أو تذهل زهول الزاهد عن سرِّها الرأى والمشاهد ،
 وفي الجسد بضعةٌ يصلح إذا صلحت ، فكيف حاله إذا رحلت عنه
 وتزحت ، وإذا كان الفراق هو الجِمام الأول ، فعلام المَعُول . أَعِيَتْ
 مُراوِضَةُ الفراق على الرِّاق ، وكادت لوعة الاشتياق أن تُفْضَى إلى السِّباق .
 تر كتموني بعد تشييعكم أوسع أمر الصبر عصيانا
 أقرع سنِّي ندما تارة واستميح الدمع أحياناً
 وربما تعللت بغشيان المعاهد الخالية ، وجددت رسوم الأسي بمباكرة
 الرسوم البالية ، أسلُّ نون النوى ، عن أهليه ، وميم الموقد المهجور عن
 (١) هكذا وردت في التعريف والنفح . وفي الإسكوريال (ووالله) .

مُضْطَلِّيه ، وثناء الأثافي المثلثة عن منازل الموحدين ، وأحار بين تلك الأطلال حيرة الملحدين ، لقد ضللت إذا وما أنا من المهتمدين . كَلِفْتُ لَعَمْرُ اللَّهِ ، بسالٍ عن جفوني المورقة ، ونائيم عن همومي المتجمعة (١) المتفرقة ، ظَنَنْ عن ملال ، لا مُتَبِرِّمًا مِنِّي بِشَرِّ خِلَالٍ ، وكَدَّر الوصل بعد صفائه ، وضرَّج النَّصل بعد عهد وفائه .

أقلُّ اشتياقا إليها القلب ربما (٢) رأيتك تصني الودِّ من ليس جازيا
فها أنا أبكى عليه بدم أساله ، [وأنهل فيه آسى له ، وأعلل بذكراه
قلبا صدعه] (٣) وأودعه من الوجد ما أودعه ، لما خدعه ، ثم قلاه وودعه ،
وأنشيق رياه أنف ارتياح قد جدعه ، واستعديه (٤) على ظلم ابتدعه .

خليلي هل أبصرتما أو سمعتما (٥) قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي
فلولا عسى الرجاء ولعله ، لا بل شفاة المحل الذي حلَّه [لمزجت الحنين
بالعتب] (٦) ، وبثت كتابه كمناء في شعاب الكتب ، تهب من الألفات
رماحا خزر (٧) الأسنه ، وتوثر من النونات أمثال القسي المرنة ، وتقود
[من مجموع الطرس والنفس] (٨) بلقا تردى في الأعنة . ولكنه آوى

(١) هكذا وردت في التعريف والنفح . وفي الإسكوريال (المجتمة) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والنفح . وفي التعريف (إنما) .

(٣) هكذا ورد ما بين الخاصرتين في الإسكوريال والنفح . وفي التعريف كالاتي (واندب
في ربيع الفراق آسى له ، وأشكو إليه حال قلب صدعه) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي النفح (واستعدي به) .

(٥) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال والنفح . وفي التعريف كالاتي (خليلي فيما
عشتما هل أبصرتما) .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والنفح . ووردت في التعريف كالاتي
(لنشرت ألوية العتب) .

(٧) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي النفح (حذر) .

(٨) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والتعريف . وفي النفح (من يياض الطرس
وسواد النفس) .

إلى الحرم الأمين ، وتفتياً ظلال الجوار ، المؤمن من معرة الغوار ، عن
الشمال واليمين ، حرم الخلال (١) المزنية ، والظلال اليزنية ، والمهم
السنية ، والشيم التي لا ترضى بالدون ولا بالدنية ، حيث الرغد المنوح ،
والطير الميامن يُزجر لها السنوح ، والثوى الذى إليه ، مهما تقارع الكرام
على الضيفان ، حول جواي الجفان الميّل (٢) والجنوح .

نسبٌ كأنّ عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح همودا
ومن حلّ بتلك المثابة ، فقد اطمأنّ جنبه ، وتعمد بالعفو ذنبه . والله در القائل
فوحقه لقد انتدبت لوصفه بالبخل لولا أنّ حمصاً داره
بلد منى أذكّره تهتج لوعتى وإذا قدحت الزند طار شراره
اللهم غفراً [لا كُفراً] (٣) وأين قرارة النخيل من مثوى الأقف
البخيل ، ومكذبة المخيل ، وأين ثانية هجر من متبولاً من ألد وفجر

من أنكر غيثاً منشؤه	في الأرض فليس بمخلفها (٤)
فبنان بنى مزنى مزن	تنهل بلطف مُصرفها
مزنٌ مد حلّ بيسكرة	يوما نطقت بمصحفها
شكرت حتى بعبارتها	وبمعناها وبأحرفها
ضحكت بأبي العباس من	الأيام ثانيا زخرفها
وتنكرت الدنيا حتى	عرفت منه بمعرفها

بل نقول يا محلّ الولد ، لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حلّ بهذا البلد ،
لقد حلّ بينك عرى الجلد ، وخذ الشوق بعدك يابن خلدون في الصميم

(١) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي التعريف (الخلال) .

(٢) واردة في التعريف والنسخ . وساقطة في الإسكوريال .

(٣) واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال والتعريف .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . وفي التعريف (ينوء بمخلفها) .

من الخلد . فحيا الله زمنا ففويت برئي قُرْبك زمانته ، واجتليتك في صدق
مجدك جمانته ، [ويا من لمشوق لم تقض من طول] (١) خلّتك لُبانته ،
وأهلا بروض أظلت أشات معارفك بانته ، فحمامه بعدك تنذب ،
فيساعدها الجندب ، ونواسمه ترق فتغاشي ، وحشياته تتخافت وتتلاشي ،
[ومزنه باك] (٢) وأذواحه [في ارباك ، وحمامه] (٣) في ماتم ذي
اشتباك ، كأن لم تكن لمر هالات لبابه ، ولم يكن أنسك شارع بابيه ،
إلى صفوة الظرف ولبابه ، ولم يسبح إنسان عينك في ماء شبابه . فلهفي
عليك من درة اختلستها يد النوى ، ومطل بردها الدهر ولوى ، ونعق
الغراب بينها في ربوع الجوى (٤) ، ونطق بالزجر (٥) ، فما نطق عن الهوى . وبأي
شيء يُعتاض منك أيتها الرياض ، بعد أن طما نهرك الفياض ، وفهقت
الحياض . ولا كان الشاني المشنوء ، والجرب المهنوء ، من قطع ليل
أغار على الصبح فاحتمل ، وشارك في الدّم الناقة والجمل ، واستأثر جنحه
ببدر النادى لما كمل . نشر الشراع فراح ، وأعمل (٦) الإسراع ، كأنما
هو تمساح النيل ، ضايق الأحباب في البرهة ، واختطف لهم من الشط نزهة
العين وعين النزهة . ولجج بها والعيون تنظر ، والغمر عن الاتباع يحظر ،
فلم يقدر إلا على الأسف . وأتماح (٧) الأثر المنتسف ، والرجوع على

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والنسخ . ومكانها في التعريف (وقضيت
في مرعى) .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والنسخ وساقطة في التعريف .

(٣) هذه الكلمات واردة في التعريف وساقطة في الإسكوريال والنسخ .

(٤) هكذا في النسخ . وفي التعريف والإسكوريال (الهدى) . والأولى أرجح ، حسبما يبدو
من الجملة التالية .

(٥) هكذا في التعريف والإسكوريال . وفي النسخ (وبالزخرف) .

(٦) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي التعريف (وواصل) .

(٧) هذه الكلمة واردة في التعريف وساقطة في الإسكوريال والنسخ .

العَيْبَةُ مِنَ الْخَيْبَةِ ، وَوَقَرِ الْجَسْرَةَ مِنَ الْحَسْرَةِ . إِنَّمَا نَشْكُو إِلَى اللَّهِ الْبُتَّ
وَالْحَزْنَ ، وَنَسْتَمَطِرُ مِنْ عِبْرَاتِنَا الْمُزْنَ ، وَبَسِيفِ الرَّجَاءِ نَصُولُ ، إِذَا
أَشْرَعْتَ لِلْيَأْسِ أَسِنَّةً (١) وَنَصُولُ :

مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِي عَلَى شَحَطٍ مِنْ دَارِهِ الْحَزْنَ مِنْ دَارِهِ صُورٍ
فَإِنْ كَانَ كَلِمُ الْفِرَاقِ رَغِيْبًا ، لَمَّا نَوَيْتُ مَغِيْبًا ، وَجَلَلْتَ الْوَقْتَ الْهِنِيَّ
تَشْغِيْبًا ، فَلَعَلَّ الْمَلْتَقَى يَكُونُ قَرِيْبًا ، وَحَدِيثُهُ يَرُودُ صَحِيْحًا غَرِيْبًا . إِيْبَهُ
[شُقَّةُ النَّفْسِ] (٢) كَيْفَ حَالُ تِلْكَ الشَّمَائِلِ الْمُزْهَرَةِ الْخَمَائِلِ ، وَالشُّيْمِ
الْهَامِيَةِ الدُّيْمِ ، هَلْ يَمُرُّ بِبَالِهَا مِنْ رَاعَتْ بِالْبَعْدِ بِأَلِهِ ؟ وَأَخْمَدْتَ بِعَاصِفِ
الْبَيْتِ ذُبَالَهُ ، أَوْ تَرْتَقِي لِشُؤْنِ شَأْنِهَا سَكْبًا لَا يَفْتَرُ ، وَشَوْقُ يَبْتُ حِبَالِ (٣)
الصَّبْرِ وَيَبْتُرُ ، وَضِنِّي تَقْصُرُ عَنْ حُلْهِ الْفَاقِعَةِ صَنْعَاءُ وَتَسْتُرُ ، وَالْأَمْرُ
أَعْظَمُ وَاللَّهُ يَسْتُرُ . وَمَا الَّذِي يُضْيِرُّكَ ، صَيْنَ مِنْ لَفْحِ السَّمُومِ تَضْيِرُّكَ ،
بَعْدَ أَنْ أَضْرَمْتَ وَأَشْعَلْتَ وَأَوْقَدْتَ وَجَعَلْتَ ، وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ ،
أَنْ تَتَرَفَّقَ بِذِمَائِهِ ، أَوْ تَرُدُّ بِنُغْبَةِ مَاءِ أَرْمَاقِ ظِمَائِهِ ، وَتَتَعَاهَدُ الْمَعَاهِدَ بِتَحِيَّةٍ
يُشْمُ عَلَيْهَا شِدَا أَنْفَاسِكَ ، أَوْ تَنْظُرُ إِلَيْنَا عَلَى الْبَعْدِ بِمَقْلَةٍ حَوْرَاءٍ مِنْ بِيَاضِ
قِرطَاسِكَ ، وَسَوَادِ أَنْفَاسِكَ ، فَرَبْمَاقِنِعَتِ الْأَنْفُسُ الْمَحْبَةَ بِخِيَالِ زُورٍ ، وَتَعَلَّلْتَ
بِنُوَالٍ مَنزُورٍ ، وَرَضِيْتَ لِمَا لَمْ تَصِدْ الْعَنْقَاءَ بِزَرْزُورٍ .

يَا مَنْ تَرَحَّلَ وَالرِّيَاحَ (٤) لِأَجْلِهِ يُشْتَاقُ إِنْ هَبَّتْ شِدَا رِيَّاهَا
تَحِيَّ النَّفُوسِ إِذَا بَعَثَتْ تَحِيَّةً فَإِذَا عَزَمْتَ اقْرَأْ « وَمِنْ أَحْيَادَا »
وَلَشَنْ أَحْيَيْتَ بِهَا فِيمَا سَلَفَ نَفُوسًا تَفْدِيكَ ، وَاللَّهُ إِلَى الْخَيْرِ يُهْدِيكَ ،

(١) هذه الكلمة واردة في التعريف . وساقطة في الإسكوريال

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . وفي التعريف مكانها (أيه سيدي) .

(٣) هذه في الإسكوريال والتعريف . وفي النسخ (جلال) والأولى أرجح .

(٤) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي النسخ (والنسيم) .

فنحن نقول معشر مُودِّيك^(١) ، ثمّ ولا تجعلها بيضة الدِّيك ، وعلماً
 فإنني لم أجترى على خطابك بالفقر الفقيرة ، وأدلتُ لدى حُجراتك برفع
 العقيرة ، عن نشاط بعثت مرسومه ، ولا اغتباط بالأدب تُفري بسياسته^(٢)
 سُوسه ، وانبساط أوحى إلى على الفترة ناموسه ، وإنما هو اتفاق جرتَه نفثة
 المصدور ، وهنأء الجرب المجدور [وخارق لا]^(٣) مُخارق ، فثمّ قياس
 فارق ، أو لحن غنى به بعد البعد^(٤) مخارق . والذي [هياً هذا القدر]^(٥)
 وسببه ، وسوغ^(٦) منه المكروه وحببه ، ما اقتضاه الصنو يحيى مد الله
 حياته ، وحرّس من الحوادث ذاته - من خطاب ارتشَف به لهذه القريحة
 بلائتها ، بعد أن رضى علالتها ، ورشَح إلى الصهر الحضرمي سلاتها ،
 فلم يسع إلا إسعافه ، بما أعافه ، فأمليت مُجيباً ، مالا يُعد في يوم الرهان
 نجيباً ، وأسمنت وجيباً ، لما ساجلت هذه الترهات سحراً عجيباً ، حتى
 إذا أَلَفَ القلم العريان سبحه ، وجمح برذون الغزارة فلم أطق كنبحه ،
 لم أفق من غمرة غلوه ، وموقف متلوه ، إلا وقد تحيز لِفثتك ، مغتراً بل
 معتراً ، واستقبلها ضاحكاً مُفتراً ، وهش لها برّاً ، وإن كان لونه^(٧) من
 الوجَل^(٨) مُضفراً . وليس بأول من هجر ، في التماس الوصل مِن هجر ،
 أو بعث التمر إلى هجر ، وأي نَسَب بيني اليوم وبين زُخرف الكلام ، وإجالة

(١) هكذا في الإسكوريال والتعريف وفي النفع (مرديك) .

(٢) هكذا في التعريف والنفع . وفي الإسكوريال (بيسته) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والنفع . وفي التعريف (وأن تمل به) .

(٤) هكذا في التعريف . وفي الإسكوريال والنفع (المبات) والأولى أريج .

(٥) هذه العبارة زائدة في التعريف .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال والنفع . وفي التعريف (سهل) .

(٧) هكذا في التعريف والنفع . وفي الإسكوريال (كونه) .

(٨) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي التعريف (الحجل) .

جِياد الأَقلام ، في محاوراة الأعلام ، بعد أن حال الجريض دون القريض ،
 وشُغل العريض عن التعريض ، واستولى (١) الكسل ، ونسلت (٢) الشررات
 الميض ، كأنها الأسل ، تروع برُقْط (٣) الحيات ، سرب انحياة ، وتطرق
 بذوات الغرر والشيات عند البيات . والشيب الموت العاجل ، وإذا ابيض
 زرع صببته المناجل ، والمعتبر الآجل . وإذا اشتغل الشيخ بغير معاده ،
 حُكِم في الظاهر بإبعاده ، وأسره في مملكة عايد ، فأغض أبقاك الله واسمح ،
 لمن قصر عن المطح ، وبالعين الكليله فالأمح ، واغتنم لباس ثوب الثواب ،
 واشف بعض الجوى بالجواب ، تولأك الله فيما استصفت وملكت ، ولا
 بُعدت ولا هلكت ، وكان لك آية سلكت ، ووسمك من السعادة بأوضح
 السمات ، وأتاح لقاءك من قبل الممات . والسلام الكريم يعتمد جلال (٤)
 ولدى ، وساكن خلدى ، بل أخى ، وإن اتقيت عتبه وسيدى ، ورحمة الله
 وبركاته . [من محبه المشتاق إليه محمد بن عبد الله بن الخطيب ، في
 الرابع عشر من شهر ربيع الثاني ، من عام سبعين وسبعمائه] (٥) .

وخاطبتُ الفقيه أبا زكريا بن خلدون ، لما ولى الكتابة عن السلطان
 أبي حمو موسى بن زيان ، واقترن بذلك نصرٌ وصنعٌ غبَطته به ، وقصدتُ
 بذلك تنفيقه وإنهاصه لديه :

تخص الحبيب ، الذى هو فى الاستظهار به أخٌ ، وفى الشفقة عليه
 ولد ، والولى الذى ما بعد قُرب مثله أمل ، ولا على بُعده جلد ، والفاضل

(١) هكذا فى الإسكوريال والنفع . وفى التعريف (وغلِب حتى) .

(٢) هكذا فى التعريف والنفع . وفى الإسكوريال (ونصلت) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال والتعريف . وفى النفع (بمرط) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال والنفع ، وفى التعريف (حلال) .

(٥) الفقرة التى بين الخاصرتين واردة فى التعريف ، وساقطة فى الإسكوريال والنفع .

الذى لا يخالف في فضله ساكن ولا بَلَد، أبقاه الله ، وفاز فوزه ، وعصمته لها من توفيق الله سبحانه (١) عَمَد ، ومورد سعادته ، المسوخ لعادته ، [لا غُور ولا ثَمَد] (٢) ومدى إمداده من خزائن إلهام الله وسداده ، ليس له أَمَد ، وحمى فرح قلبه ، بمواهب من ربه [أن يطرقه كمد] (٣) تحية محلّة من صميم قلبه بمحلّة ، المنشىء رواق الشفقة ، مرفوعاً يعمد المحبة والبيعة ، فوق ظمئه وخجله ، مؤثره ومجلّه ، المعتنى بدقّ أمره وجلّه ، ابن الخطيب . من الحضرة الجهادية غرناطة ، صان الله حلالها ، ووفى هجير هجر الغيوم ظلالها ، وعمر بأسود الله أغياها ، كما أغرى بمن كفر بالله صيالها . ولا زائد إلا ممن من الله تصوب ، وقوة يُستردُّ بها المغصوب ، ويُخفّض الصليب المنصوب . والحمد لله الذى بخمده يُنال المطلوب ، ويذكره تطمئن القلوب . ومودتكم المودة التى غدتها ثدى الخلوص بلبانها ، وأحلتها حلائل المحافظة بين أعينها وأجفانها ، ومهدت موات إخوانها الكبرى أساس بُنيانها ، واستحققت ميراثها مع استصحاب حال الحياة إن شاء الله ، واتصال أزمانها ، واقتضاء عهد الأيام بيمنها وأمانها . والله دَرُّ القائل :

فإن لم يكنها أو تكُنّه فإنّه أخوها غدته أمه (٤) بلبانها

وصل الله ذلك من أجله وفي ذاته ، وجعله وسيلة إلى مرضاته ، وقربة تنفع عند اعتبار ما روعى من سنن الجبار ومفترضاته . وقد وصل كتابكم

(١) هذه الكلمة زائدة في النسخ .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . وفي الإسكوريال (عمر لا ثَمَد) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . وفي الإسكوريال (لا يطوره كد) .

(٤) وردت في الإسكوريال (أمها) . والتصويب من النسخ .

الذي فاتح بالريحان والروح ، وحلّ من مرسوم الحياة^(١) محلّ البسمة من اللوح ، وأذن لتوافح الشناء بالبوح ، يشهد عدله بأن البيان يا آل خلدون ، سكن من متواكم دار خلود ، وقدح زندا غير صلود ، واستأثر من محابر كم السبالة ، وقضب أقلامكم الميادة الميالة ، بأب منجب وأم لود ، يقفو شانيه غير المشنو ، وفصيله غير الجرب ولا المهنو ، من الخطاب السلطاني ، سفينة منوح ، إن لم نقل سفينة نوح . ما شيت من آمال أزواج ، وزمر من الفضل وأفواج ، وأمواج كرم تطفو فوق أمواج ، وفنون بشار ، وأقطاع قبائل وعشائر . وضرب للمسرات أعيا السامر . فله هو^(٢) من قلم راعي نسب القنا ، فوصل الرحم ، وأنجد الوشيح الملتحم ، وساق بعصاه من البيان اللود المزدحم . وأخاف من شدّ هن الطاعة مع الاستطاعة ، فقال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، ولو لم يوجب الحق برقه ورعده ، ووعيده ووعده ، لأوجه بمنه وسعده . فلقد ظهرت مخايل نجه ، علاوة على نصحه ، ووَضحت محاسن صبحه ، في وحشة الموقف الصعب وقبحه ، وصل الله له عوايد منحه ، وجعله إقليدا كلما استقبل باب أمل وكله الله بفتحه . أما ما قرره ولاؤكم من حب زكا عن^(٣) حبة القلب حبه ، وأنبتته النبات الحسن ربه ، وساعده من الغمام سكبّه ، ومن النسيم اللدن مهبه ، فرسم ثبت عند المولى نظيره ، من غير معارض يضيره ، وربما أربي بتذييل مزيد ، وشهادة ثابت ويزيد . ولم لا يكون ذلك ، وللقلب على القلب شاهد ، وكونها أجنادا مجنّدة ، لا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الولا) .

(٢) زائدة في النسخ .

(٣) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (عل)

يحتاج تقريره إلى ما هِد ، أو جُهْد جاهد . وموَدَّة الأخوة سبيلها لا حِب ،
 ودليلها للدَّعوى (١) الصادقة مُصاحب ، إلى ما سبق من فضل ولقاء ، ومُصاقبة (٢)
 سِقَاء ، واعتقاد لا يُراع سربُه بذيب انتقاد ، واجتلاء شِهَاب وقَاد ،
 لا يُحوج إلى إيقاد . إنما عاق عن مواصلة ذلك نوى شَطَّ منها الشُّطن ،
 وتَشذِيب لم يَتَعَيَّن معه الوطن . فلما تَعَيَّن ، وكاد صبح الحق أن يَتَبَيَّن ،
 غاد الوَمِيض دَيْجُورا ، والثَماد (٣) بَحْرًا مَسْجُورا ، إلى أن أعلق الله منكم
 اليد بالسَّبب الوثيق ، وأحلَّكم بِمَنْجى نيق ، لا يخاف من مَنْجنيق ، وجعل
 يراعكم لسعادة مُوسى ، معجزة تأتي على الخبر بالعيان ، فتخرُّ لُغبانها سَحْرَةً
 البيان .

أيحي سقى حيث لَحَّت الحيا	فنعم الشُّعاب ونعم الرُّكون
وحياً يراعك من آيسَةٍ	فقد حرَّك القومَ بعد السُّكون
دعوتَ لخدمة موسى عَصاه	فجاءت تَلَقَّف ما يَأفكون
فأذعن من يدعى السُّخر رغماً	وأسلم من أجْلِها المُشركون
وساعدك السُّعد فيما أردت	فكان كما ينبغي أن يكون

فأنتم أولى الأصدقاء بصلة السَّبب ، ورغى الوسائل والقُرب . أبقاكم
 الله وأيدى الغِبْطة بكم عالية ، وأحوال تلك (٤) الجهات [بَدْر ككم المهمات] (٥)
 حالية ، وديم المسرات من [أنعامكم المُدِرَّات] (٦) على معهود المبررات ،
 المُتوالية . وأما ما تَشوِّفتم إليه من حال وليكم ، فأملٌ مُتقلِّص الظل

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (للدعوة) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نظافة)

(٣) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (والمراد) والأولى أنسب للمعنى

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (تلکم) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . ووردت بحرف في الإسكوريال كالأولى (بدمكم المات)

(٦) هكذا وردت في النسخ ، وفي الإسكوريال (أنعامكم المبررات) وهو تحريف

وارتقاب لهجوم جيش الأجل المطل ، ومقام على مساورة الصل ، وعمل
يُكذِّب الدعوى ، وطُمانينة تنتظر الغارة الشَّعواء . ويدُ بالمتنخور تفتح ،
وأخرى تجهد وتمنح ، ومرض يزور فيثقل ، وضعف عن الواجب يعقل .
إلا أن اللطائف تستروح ، والقلب من باب الرجاء لا يبرح . وربما ظفير
اليانس (١) ، ولم تضطرد المقياس ، تداركنا الله بعفوه ، وأوردنا من منهل
للرضا والقبول على صفوه ، وأذن لهذا الخرق في رفوه . وأما ما طلبتم من
انتساخ ديوان ، وإعمال بنان في الإتحاف ببيان ، فتلك عهدٌ لدى مهجورة ،
ومعاهد لا متعتهدة ولا مزورة ، شغل عن ذلك خوُص يعلو لجبهه ، وجرص
يقضى من لفظ المانح عجبه ، وهولُ جهاد تساوى جمادياه ورجبه ، ولولا
التماس أجر ، وتعلُّل بربح تجر ، لقلت أهلاً بذات النخيين . فلمن
شكت ، وبذلت المصون بسبب ما أمسكت ، فقلد ضحككت في الباطن
ضعف ما بكت . ونستغفر الله من سوء انتحال ، وإيثار المزاج بكل حال .
وما الذي ينتظر مثلي ممن عرف المآخذ والمتارك ، وجرّب لما بلي المبارك ،
وخبر مساعة الدنيا الفارك . هذا أيها الحبيب ما وسّعه الوقت الضيق ، وقد
ذهب الشباب الريق . فليسمع (٢) فيه معهود كمالك ، جعل الله مطاوعة
أمالك ، مطاوعة يمينك لشمالك ، ووطاً لك موطاً العز ، بباب كل مالك ،
وقرن النجح بأعمالك [وحفظك في نفسك وأهلك ومالك] (٣) والسلام .
من فلان .

* *

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (البانس) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في النسخ (فليسمع) والأول أرجح .

(٣) هذه الجملة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

وكتبت إلى الأولاد وهم بالمنكب
صُحبة السلطان ، رضى الله عنه :

يا ساكنى مرفى الشَّوَانِي	شوقى من بعدكم شَوَانِي
ولا هجِ الشُّوقِ قد هَوَانِي	من بعدكم فاقْتَضَى هَوَانِي
كَأَنَّهُ مَالِكاً عِنَانِي	أَنموذَجَ من أبى عِنَانِي
لقد كَفَّانِي لقد كَفَّانِي	بَاقِ ذَمًّا ذَاهِبَ كَفَّانِي
مَنُوا عَلَى الخَوْفِ بِالْأَمَانِي	فَأَنْتُمْ جُمْلَةُ الْأَمَانِي

إلى أى كاهن أتنافر ، وفي أى ملعب أتجاول وأتظافر ، وبين يَدَيَّ
أى حاكم أتظالم فلا أتغافر ، مع هذا الجَبَل ، الذى هو فى الشكل جَمَل ،
حَفَّ به من الثَّعب هَمَل ، سَنامه التامك أجرد ، وذَنبُه الشَّابل كأنه جملٌ
يُطرد ، وعُنقه إلى مورد البحر يتعرج ويتعرد ، وكانما البنية بأعلاه ،
خِطْرٌ فائِنة ، أو برق غمامة هائِنة ، استأثر غير ما مرة بأنسى ، وصارت
عينه الحمية مغرب شمسي ، حتى كأن هذا الشكل من خِطْرٍ وبَعير ، وإن
كان مجاز مُستعير ، يتضمن شكوى البين ، ويُفَرِّق بين المُحبين .

ما فرَّق الأَحباب	بعد الله إلا الإِبِل
والناس يلمون غُرَاب	البين لما جَهَل
وما على ظَهْر غرابٍ	البين تُنْضِي الرُّحْل
ولا إذا صاح غرابٌ	فى الدِّيار ارتحل
وما غراب البين	إلا ناقةٌ أو جمل

فأقسم لولا أن الله ذَكَرَ الإِبِل فى الكتاب الذى أنزل ، وأعظَم الغاية
بها وأجْزَل ، لسَلَّتُ عليه سلاح الدُّعاء ، وأغرِيت هجره نفوس الرِّعاء .
وقلت أرائى الله إكسارك من بَعير فوق سَعير ، ولا سمحت لك عقبه إلا ندر
والسَعير بئرٌ ولا سَعير :

دعوت عليك لما عيّل صبري وقلبي قائل يا رب لا .. لا
 نستغفر الله ، وأى ذنب لدى ذنب شائل ، وليث مايل بازاء لج هايل ،
 يتعاوره الوعد والوعيد ، فلا يُبدي ولا يُعيد ، وتمر الجهة والعيد ، فلا
 يستدبر ولا يتعيد . إنما الذنب لدهر يرى المجتمع فيغار ، ويشن منه على
 الشمل المغار ، ونفوس على هذا الغرض تُسانده وتعينه لبيطش ساعده ،
 وتقاربه فيما يُريد فلا تباعده :

ولقد علمت فلا تكن متجنيا إن الفراق هو الجسم الأول
 حسب الأجابة أن يفرق بينهم صرف الزمان فما لنا نستعجل
 لكن المحب جنيب ، ولغرض المحبوب سليب .

ويحسن قبح الفعل إن جاء منكم كما طاب عرف العود وهو دخان
 وقد قنعت برسالة تبلغ الأنة ، وتدخل بعد ذلك الصراط الجنة ،
 وتغير لسانها عن شوق من دون عقله ، وتنظر عنى ، من بياض طرسها ،
 وسواد نفسها بمقلة . وإن كان الجواب ، فهو الأجر والثواب ، ولم أر
 مثل شوق من نار تُحمد بطرس يلقى على أوارها ، فيأمن عادية جوارها .
 لكنها نار الخليل ، ربما تمسكت من المعجزة بأثر ، وعثرت على آثاره
 مع من عثر . جمع الله من الشمل بكم ما انتثر ، وأنسى بالعين الأثر ،
 وحرس على الكل من مسوق وسابق ، وموحش ورايق ، سر القلوب ،
 ومناخ الجوى المجلوب ، ومثار الأمل المطلوب . ولا زالت العصمة
 تنسدل فوق مشواه قبابها ، والسعود تحمل في أمره العلى منانها . فالمحجوب
 إليه حبيب وان أساء ، وأوحش الصباح والمساء

إن كان ماسعنى مما يسركم فعذبوا فقد استعذبت تعذبي
 والسلام عليكم ماحن مشوق ، وتاود لليراع في رياض الرقاع قضيب

مَشُوق ، ورحمة الله وبركاته .

وأجاب عن ذلك الفقيه أبو عبد الله بن زَمْرَك ، كاتب الدولة ،
والوَلَدَان عبد الله وعلى ، بما يستحسن في غرض الرسالة وأبياتها .

فراجعت الثلاثة بما نصه :

أَكْرَمُ بِهَا مِنْ بِنَاءِ بَانَ	أَرْسَخَ فِي الْفَخْرِ مِنْ أَبَانَ
أَجِينَا لِدِيهَا الرُّضَا جِنَانِ	مِنَ الْمَعَالِي جَنَى جِنَانِي
أَوْ جِنَى لِلْأَكْفَى دَانِ	مَا لِلْمِبَارِ بِهِ يَسْدَانِ
أَقْسَمُ بِالذِّكْرِ وَالْمِثَانِ	مَالِكٍ فِيمَا سَمِعْتُ ثَانِ
مُدَامَةَ بَرَّةِ الْأَوَانِ	تَشَطُّ لِلْقَوْلِ كُلِّ وَانِ
تَقُولُ أَوْضَاعُهَا لِلْفَوَانِ	بِالْعِلْمِ عَنِ زِينَةِ الْغَوَانِ
يَارِبُّ بَارِكْ لِمَنْ بَانَ	فِي الْفِكْرِ وَالْقَلْبِ وَالْبِنَانِ

هكذا هكذا ، وبعين الحسود القذا ، تُسْتَشَارُ الدُّررُ الْكَامِنَةُ ، وَتُهَاجِرُ
الْقَرَارِيحُ النَّائِمَةُ ، فِي حِجْرِ الْعَقْلَةِ الْأَمْنَةِ ، وَتُقْتَضَى الدِّيُونُ مِنَ الطَّبَاعِ الضَّامِنَةِ .

أُعِيدُهَا بِالْخَمْسِ مِنْ وَلايِدِ	قَدْ قُلِدْتُ بِنُحْبِ الْقَلَايِدِ
أُعِيدُهَا بِالْخَمْسِ مِنْ حَبَابِ	يُغْذِيهِنَّ بِالْمَرَاضِعِ الْأَطْيَابِ
أُعِيدُهَا بِالْخَمْسِ مِنْ وَجُوهِ	يَصُوبُونَهَا اللَّهُ مِنَ الْمَكْرُوهِ

وَيَا مَاتِحَ قَلْبِ الْقُلُوبِ أَرْوَيْتَ ، وَصَدَقَ مَا نَوَيْتَ ، الْبَيْرُ بِبَيْرُكَ ،
ذُو حَفْرَتٍ وَذُو طَوَيْتٍ ، وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ، وَلَوْ عَلِمْنَا السَّرَايِرَ ، لِأَعْدَدْنَا
لِهَذَا الْمَكِيلِ الْغَرَايِرَ ، وَلَوْ تَحَقَّقْنَا إِجَابَةَ السُّؤَالِ ، وَالنَّسِيحَ عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ ،
لَفَسَّخْنَا الظُّرُوفَ لِهَذَا النَّوَالِ . سَاجَلْنَا الْغِيُوثَ فَشَحَّخْنَا ، وَبَارَزْنَا اللَّيُوثَ
فَافْتَضَّحْنَا ، وَصَلِينَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى السَّلَامَةِ تَمَا قَدَّحْنَا ، لَا بَلَّ التَّمَسُّنَا

نفيه ، فأقطعنا تنوراً ، واقتبسنا جذوةً فأقبسنا نوراً ، وما كان عطاء ربك

محظوراً .

مَلِكُ الثَّلَاثِ الْإِنْسَاتِ جِنَانِي وَحَلَلَنْ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
هَدَى الْمَلَالُ وَتَلِكُ بِنْتُ الْمُشْتَرَى حُسْنًا وَهَدَى أُخْتُ غَصْنِ الْبَانِ (١)

متى كان أفق المنكب ، مطلقاً لهذا الكوكب ، وأجمت ذلك الساحل
المائل ، مرتبياً لهذا الذم الحلاجل ، ومورد الجمل البادي العر ، مغاصاً لمثل
هذا الدر ، إلا أن يكون كنز هذا المرام ، المستدعي للكلف والغرام ،
من مستودعات تلك الأهواء والأهرام ، دفنه الملك الغصاب ، بعد أن
قدست الأنصاب ، وأخفى الأثر فلا يُصاب ، أو تكون الأنوار هنالك
تنجسم ، والحظوظ تُعين وتقسّم ، والحقائق تحدّ وتُرسّم ، أو تتوالد
بتلك المغارات ، يُوسنانيا ورُوسم . أنا ما ظننت بأن تُثور من أجم الأقالم
أسود ، وتعبث بالسويداوات من نتائج البراع والدواة لحاظ سود . من قال
في الإنسان عالماً صغيراً ، فقد ظلمه ، كيف والله بالقلم علمه ، ورفع في
العوالم علمه ، لقد درت حلمات تلك الأقالم من رسل غزير ، وما كان
فحل تلك الأقالم زير ، ولا سلطان تلك الطباع المديدة الباع ليستظهر
بوزير . إنما هي مشاكي كمال أوقدها الله وأسرجها ، وملكات في القوة
رجحها مرجح القوة فأبرزها ، إلى العقل وأخرجها . وأخر بها أن تحط
بندى المدارك الإلهية رحالها ، وتترك إلى الواجب الحق مُحالها : فتتجاوز
أوحالها ، مستنيرة بما أوحى لها . إليه بنية ، أقسم بربّ النية ، وقاسم

(١) هذان البيتان مطلع قصيدة تنسب إلى الخليفة هرون الرشيد ، قالها في ثلاث من جواره .
وقد علق عليها فيما بعد الخليفة الأندلسي الأمير سليمان المستعين ، الذي تولى خلافة قرطبة من سنة ٤٠٣ هـ
إلى سنة ٤٠٧ هـ ، بقصيدة . طبعها :

الْحُظُوةُ السَّنِيَّةُ ، لَقَدْ فَزَتْ مِنْ نَجَابَتِكُمْ ، عِنْدَ اِتِّمَاحِ إِجَابَتِكُمْ بِالْأُمْنِيَّةِ ،
فَمَا أَبَالِي بَعْدَهَا بِالْمَنِيَّةِ . وَقَاهُ اللهُ عَيْنَ الْكَمَالِ مِنْ كَمَالِ ، وَصَانَ سُرُوجَهُ
مِنْ إِهْمَالِ ، وَاکْتَنَفَهُ بِالْمَزِيدِ مِنْ غَيْرِ يَمِينٍ وَشَمَالِ ، كَمَا سَوَّغَ الْفَقِيرُ
مِثْلِي إِلَى فَقْرِهِمَا زَكَاةَ جَمَالٍ لَا زَكَاةَ جِمْالٍ . وَلِعُمْرِي ، وَمَا عُمْرِي عَلَى بَيْتِي ،
وَلَا الْحِلْفِ فِي مَقْطَعِ الْحَقِّ بِمَتَعَيْنٍ ، لَقَدْ أَحَقَّبْتُ مِنْهَا إِلَى ثَلَاثِ كِتَابِي ،
قَادَهَا النَّصْرَ جَنَائِبَ ، أَلِفَاتُهَا الْعُصْبَى ، وَنُونَاتُهَا الْقَيْسِيُّ ، وَغَايَاتُهَا الْمَرَامُ
الْقَيْسِيُّ ، وَرَقُومُهَا الْحَلْقُ ، وَجِيَادُهَا قَدْ فَشَا فِيهَا الْبَلَقُ ، بِحَيْثُ لَا اسْتِظْهَارَ
لِلشَيْخِ إِلَّا بِشَعْبِ سِدْرٍ ، وَلَا إِفْتِرَاسٍ إِلَّا لِمَرْقَةِ قِدْرِ ، وَدُرَيْدُ هَذَا الْفَنِّ
يُحْمَلُ فِي خِلْرِ .

سَلَّتْ عَلَى سِيوفِهَا أَجْفَانُهُ فَلَقِيْتَهُنَّ مِنَ الْمَشِيبِ بِمَغْفَرٍ
فَلَوْلَا تَقَدُّمُ الْعَهْدِ بِالسَّلْمِ ، لَخِيفَ مِنْ كَلِمَتِهَا وَقُوعِ الْكَلْمِ . أَمَا
إِحْدَاثُهَا ذَاتَ الْقِتَامِ ، وَالذَّبْحُ بِالْإِعْتِمِ ، الْمُسْتَمْدُ سِوَادُهَا الْأَعْظَمُ مِنْ مِسْكِ
الْخِتَامِ ، فَعَلَّلَتْ فَرِيضَةَ نِظَامِهَا بِالزِّيَادَةِ ، وَعَلَّتْ يَدَهَا بِمَنْشُورِ السِّيَادَةِ ،
وَرَسَمَ شَنْشَنَتِهَا الْمَعْرُوفَةَ لِأَخْزَمِ ، وَجَادَهَا مِنَ الطَّبِيعِ السَّمَاكِ وَالْمَرْزَمِ ،
وَضَفَرَ أَشْجَاعَهَا الْمَضْفُورَةَ لَزُومٍ مَا لَا يَلْزَمُ .

خَدِمَ الْبِرَاعَ بِهَا فَذَبَّجَهَا وَسَأَلْتُ مَجْتَهِدًا عَنِ الْغُرُضِ
فَعَلِمْتُ أَنَّ الصَّلْحَ مَقْصِدُهُ لِنَزُولِ بَعْضِ عِدَاوَةِ الرَّبِضِ
وَأَمَا أُخْتُهَا التَّالِيَةُ ، وَلَدَّتْهَا الْحَافِلَةُ الْحَالِيَةُ ، فَتَنَوَّوْمُ مَكْسَالٍ ، رِيْقُهَا
بِرُودُ سِلْسَالِ ، وَمِنْ دُونِهَا مَوَارِدُ وَنُسَالِ ، وَذِيْبُ عَسَالِ ، وَإِنْ عُلِّلَتْ بِنَقْصِ
فِي النَّظْمِ ، وَقَدْ أَخَذَتْ مِنَ الْبِدَائِعِ بِالْكَظْمِ ، وَامْتَكَنَتْهُ الْمَعَانِي امْتِكَاكَ الْعَظْمِ .
وَأَمَا الثَّلَاثَةُ فَكَاعِبٌ حَسَنُهَا بِالْعُقُولِ مُتَلَاعِبِ ، بِنْتِ لَبُونِ ، لَا لُتْهُمَةَ حَرْبِ
زَبُونِ ، - يَا هَا اللهُ وَيَا هَا ، فَمَا أَعْطَرَ رِيَّاهَا .

تَشِيمُ أرواح نجد من ثيابهم عند القُدم لِقُرْب العَهْد بالدار
ولو قَصُرَتْ لتُعْمَد تقصيرُها ، وكثُرَ بالحق نصيرُها ، فكيف وقد
أحادت ، وصابت غمامتها وجادت . وقد شَكَرَتْ على الجملة والتفصيل ،
وعرَفَتْ منة البازل وجُهد الفَصِيل ، وطالعت مسایل البيان والتحصيل ،
وقابلت مَفْضُض الضُّحَا بمُذْهَبِ الأَصِيل . وأثرت يدي وكانت إلى تلك
الفقر فقيرة ، ونبّهت في عيني الدنيا وكانت حَقِيرَة ، ورجحت أن لا تعلم
هذه الأسواق مُدِيرًا ، ولا تَفْقِد هذه الآفاق روضةً وغديرًا . وسألت لجمالكم
المحُوطة للشَّمَل ، الملحوظة بعين السُّرِّ والحَمَل . عزا أثيرا ، وخيرا
كثيرا ، وأمنا تحمدون منه فراشا وثيرا (١) . وعُذْرًا أيها الأحباب ، والصفو
اللُّباب ، عن كَذْح سِنٍّ وكَبْرَة وَقَلُّ استرجاع وعِبرَة ، استرقته ولج
الشَّعْبُ ذو النظام ، والخلق فراش يُكْبُون مني على حطام ، ورُسُل الفرنج
قد غشي المنازل مُنْثَالها ، ونَبَحْتها بالعشي مُنْثَالها ، والمراجعات تشكو
اللَّبِث ، والجُباة تستشعر المكيدة والخَبِث .

ولو كان هماً واحداً لبكيتُهُ ولكنه هم وثانٍ وثالث
والله عز وجل يمتع بأنسكم من عديم الاستمتاع بسواه ، وقصر عليه
مُتَشَعِّب هواه ، ويبقى بركة المولى الذي هو قطب مدار هذه الأقمار ،
والأهلة لا بل مركز فلک الملة ، وسِجِلُّ حقوقها المستقلة ، والسلام عليكم
ما حنّت النيب إلى الفِصال ، وتعلّلت أنفُسُ المُحِبِّين بذكران سِنَة
الوِصال ، وكرت البُكر على الآصال ، ورحمة الله وبركاته .

* * *

وكتبت إلى بعض الفضلاء ، وقد بلغني مرضه أيام كا اللحاق
بالمغرب :

(١) وردت في الإسكوريال (أثيرا) والتصويب أرجح .

وردت علي من فِثتى التى إليها فى مَعْرَكِ الدهر أتحيز ، وبفضل
فضلها فى الأقدار المشتركة أتميز سحابة سرت وساءت ، وبلغت من
القَصْدِين ما شاءت ، أطلع بها صنيعه وُدّه من شكواه على كل عابث فى
السويداء ، موجب اقتحام البيداء ، مُضْرَمِ نار الشَّفَقَةِ فى فُوَاد ، لم يبق
من صبره إلا القليل ، ولا من إفصاح لسانه إلا الأنين والأليل ، ونوى
مُدَّتْ لغير ضرورة يرضاها الخليل ، فلا تَسَلْ عن صَنِين تطرقت اليدُ
إلى رأس ماله ، أو عابدٍ موزعٌ مُتَقَبِّلُ أعماله ، وأملٍ ضُويقٍ فى فذلِكة
آماله . لكنى رجحت دليل المفهوم على دليل المنطوق ، وعارضت القواعد
المُوحِشَةَ بالفروق ، ورأيت الخطَّ يُبْهَرُ والحمد لله ويروق ، واللفظ الحسن
ومَض فى جِبرده للمعنى الأصيل بروق . فقلت ارتفع الوَصْب ، ورد من
الصُّحَّةِ المُتَعَصِّب ، وكَلَّةِ الحِسِّ والحركة هو العَصْب . وإذا أشرق
سراج الإدراك ، حَمَل على سلامة سَلِيطه ، والروح خَلِيطِ البدن ، والمرءُ
يَخْلِيطه ، وعلى ذلك فبَلِيدُ احتياطى لا يُقْنعه إلا الشَّرْح ، فيه يسكن
الظَّمَأُ البَرِّح . وعذراً عن التكليف ، فهو محل الاستقصاء والاستيفار ،
والإطناب والإكثار . وزند القلق فى مثلها أوزى ، والشَّفِيق بسوء الظن
مُغْرَى . والسلام .

* * *

وخاطبت بعضهم : كتبت إلى سيدى ، والخجل قد صبغ وجه يراعى ،
وعقْم ميلاد إنشائى واختراعى ، لمكارمه التى أعيت منة ذراعى ، وعجر
فى خَوْض بحرهما سفينى وشراعى ، فلو كان فضله فنا محصورا ، لكنى
على الشكر معاناً منصورا ، أو على غرضٍ مقصورا ، لزارت أسداً هُصورا ،

ولم يكن فكرى عن عقايل البيان حضوراً ، لكنه نجدُ تالُق بكل ثنية ،
ومكارمُ رمت عن كل حنية ، ومجد سبق إلى كل أمنية ، وأيادٍ ببلوغ
غايات الكمال معنية . فحسبى الإلقاء باليد لغلبة تلك الأيادى ، وإسلام
قيادى إلى ذلك المجد السىادى ، وإعفاء يراعى ومدادى ، فإذا كانت
الغاية لا تُدرك ، فالأولى أن يلقى الكد ويترك ، ولا يُعرج على الأدعاء ،
ويُصرف القول من باب الخبر إلى باب الدعاء . وقد وصل كتاب سيدى
مُختصر الحجم ، جامعاً بين النجم والنجم ، قريبُ عهد من يمينه بمجاورة
المطر السجم ، فقلت اللهم كلف سيدى وأجزه ، ومدّ يده بالضر فاخزه .
ولله درُّ المثل ، أشبه امرؤ بعض بره كمالاً ، واختصار ، وريحان أنوفٍ
وإثمَد أبصار . أعلق بالآرعى الذى لا يُقر بعد الدار من شيمته ، ولا يُقدح
اختلاف العروض والأقطار فى ديمته . إنما نفسه الكريمة والله يقيها ، وإلى
معارض السعادة يُرقيها ، قانون يلحق أدنى الفضائل بأقصاها ، وكتابٌ
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . وإنى وإن عجزت عما خصنى من
عمومها ، وأحسنى من جموحها ، لمخلد ذكرٍ يبقى وتذهبُ اللها ، ويُعلى
مباني المجد ، تُجاوز ذواها السها ، ويذيع بمخايل الملك فما دونها ، مما دح
يهوى المسك أن يكونها ، ويقطفُ له الروض المجود غصونها ، وتكحل به
الحور العينُ عيونها ، وتؤدى منه الأيام المتهربة ديونها . وإن تشوف سيدى ،
بعد حمده وشكره ، واستنفاد الوُسع فى إطالة حمده ، وإطابة ذكره ، إلى
الحال ، ففلانُ حفظه الله يشرح منها المُجمل ، ويبين من عواملها المَلغى
والمُعَمَل . وإما اعتناء سيدى بالوَلد المُكفّن بحرمة ، فليس ببذع فى
فى بُعد صيته ، وعلو همته ، على من تمسك بأذمته ، وفضله أكبر من أن

يُقَيِّدُ بِقِصَّةٍ ، وَبَدْرُ كَمَالِهِ أَجْلٌ مِنْ أَنْ يُعَدَّلَ بِوَسْطِ أَوْ حِصَّةٍ . وَاللَّهُ تَعَالَى
يَحْفَظُ مِنْهُ فِي الْوَلَاءِ وَلِيَّ الْقَبِيلَةِ ، وَوَلِيَّ الْمَكَارِمِ بِالْكَسْبِ وَالْجِبَلَةِ ، وَيَجْعَلُ
جَيْشَ ثَنَائِهِ لَا يُؤْتِي مِنَ الْقِلَّةِ ، بِفَضْلِهِ وَكِرَمِهِ ، وَالسَّلَامَ الْكَرِيمَ عَلَيْهِ ،
وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ . وَكَتَبَ فِي كَذَا .

وَمِنْ تَشَوُّفٍ إِلَى الْإِكْتِثَارِ مِنْ هَذَا الْفَنِّ ، فَعَلِيهِ بِكِتَابِنَا الْمُسَمَّى « بَرِيحَانَةُ
الْكِتَابِ وَنُجْمَةُ الْمُتَنَابِ » (١) .

(١) هَذَا هُوَ أَهَمُّ كِتَابِ ابْنِ الْخَطِيبِ بَعْدَ الْإِحَاطَةِ ، مِنْ حَيْثُ الْقِيمِ الْأَدْبِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ . وَهُوَ
يَحْتَوِي عَلَى عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الرِّسَائِلِ الْمُنَوَّعَةِ ، مَا بَيْنَ تَارِيخِيَّةِ تَبَوُّدَلْتِ بَيْنَ مَلُوكِ غَرْنَاطَةَ وَالْمَغْرِبِ ،
وَتَنَاوَلَتْ وَصْفَ الْوَقَائِعِ وَالْمَعْرَكَاتِ الْحَرْبِيَّةِ ، وَأَدْبِيَّةِ ذَاتِ طَائِعٍ شَخْصِيٍّ . وَتَعْتَبَرُ « الرِّيحَانَةُ »
مَعْرُضاً لِلنَّسَابِ الْكِتَابِيَّةِ وَالْيَانِيَّةِ ، الْمُلُوكِيَّةِ وَالدِّبْلُومَاسِيَّةِ ، وَالظَّهَائِرِ الرَّسْمِيَّةِ الدِّسْتُورِيَّةِ وَالْإِدَارِيَّةِ ،
وَالْأَمَلِ مَنْوُطِ بَعُونِ اللَّهِ ، أَنْ يَشْرَحَ فِي نَشْرِهَا قَرِيباً .

رسالة السياسة

[قال ابن الخطيب]^(١) ، ولنختم هذا الغرض ببعض ما صدر عنى
فى السياسة [وكان إملاؤها فى ليلة واحدة]^(٢) .

حدث^(٣) من امتاز باعتبار الأخبار ، وحاز درجة الأشتهار ، بنقل
حوادث الليل والنهار ، وولج بين الكمايم والأزهار ، وتلطف لخنجل الورد
من تبسم البهار^(٤) .

قال ، سهر الرشيد ليلة ، وقد مال فى هجر النبيذ ميلةً ، وجهد
ندماؤه فى جلب راحته ، وإلمام النوم بساحه ، فشحت عهادهم^(٥) ،
ولم يُغن اجتهدهم . فقال ، اذهبوا إلى طرق سماها ورسماها ، وأمها
قسماها ، فمن عثرتم عليه من طارق ليل ، أو غشاء سئل ، أو صاحب ذئب ،
فبلغوه ، والأمنة سوغوه ، واستدعوه ، ولا تدعوه . فطاروا عجالا ، وتفرقوا
رُكبانا ورجالا ، فلم يكن إلا ارتداد طرف ، أو فواق حرف ، وأتوا بالغنمة
التي اكتسحوها ، والبضاعة التي ربحوها ، يتوسطهم الأشعث الأغر ،
واللج^(٦) الذي لا يُعبر ، شيخ طويل القامة ، ظاهر الاستقامة ، سبلته
مشمطة ، وعلى أنفه من القُبح مطة ، وعليه ثوب مرقوع ، لطير
الخرق عليه وقوع ، يهينم بذكر مسموع ، ويُنبي عن وقت مجموع .

(١) هذه العبارة من عندنا .

(٢) هذه العبارة واردة فى « ريحانة الكتاب » ، وقد وردت به رسالة السياسة فى لوحات

٢٤٢ - ٢٤٧ من مخطوط الإسكوريال رقم ١٨٢٠ الغزيرى . ورقم ١٨٢٥ ديرنبور .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الريحانة والنفح (حديث) .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال والريحانة . وفى النفح (النهار) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال والنفح . وفى الريحانة (عهدهم) .

(٦) هكذا فى الريحانة والنفح . وفى الإسكوريال (الحج) .

فلما مثل سلم ، وما نبس (١) بعدها ولا تكلم . فأشار إليه فقعد ، بعد أن انشمر وابتعد ، وجلس ، فما استرقَّ النظر ولا اختلس ، إنما حركة فكره ، معقودة بزمَامِ ذِكْرِهِ ، ولحظات اعتباره ، في تفاصيل أخباره . فابتدَره الرشيد سائلاً ، وانحرف إليه مائلاً ، وقال ممن الرجل ، فقال فارسي الأصل ، أعجمي الجنس ، عربي الفصل . قال بلدك ، وأهلك وولدك . قال ، أما الولدُ ، فولد الديوان ، وأما البلد ، فمدينة الإيوان . قال النحلة وما أعملت إليه الرحلة ، قال [أما الرحلة فالاعتبار ، وأما النحلة فالأمور الكبار] (٢) قال ، فنك ، الذي اشتمل عليه ذلك ، فقال ، الحكمة فني الذي جعلته أثيراً ، وأضجعت منه فراشا وثيراً ، وسبحان الذي يقول : ومن يوت الحكمة ، فقد أوتى خيراً كثيراً ، وماسوى ذلك فتبيع (٣) ، ولي فيه مُصْطَافٍ وتربيع (٣) . قال فتعاضد جند الرشيد وتوفر ، وكأنما غشي وجهه قطعة من الصبح إذا أسفر ، وقال ، مارأيت كالثليلة أجمع لأمل شارد ، وأنعم بموانسة وارد . يا هذا أتى سائلك ، ولن تخيب بعد وسائلك ، فاخبرني بما عندك في هذا الأمر الذي بُلينا بحمل أعبائه ، ومُنينا بمراوضة آبائه . فقال هذا الأمر قلادة ثقيله ، ومن خُطَّة العجز مُستقبيلة ، ومُفتقرة (٤) لسعة الذرع ، وربط السياسة المدنية بالشرع ، يُفسدها الحلم في غير محلّه ، [ويكون ذريعةً إلى حله] (٥) ويصلحها مقابلة الشكل بشكله :

(١) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (تنفس) .

(٢) هكذا وردت هذه الجملة في الإسكوريال والنفع . ووردت في الريحانة كالاتي (أما النحلة

فالأمر الكبار وأما الرحلة فالاعتبار) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفع (فبيع - ومرتبع) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (مفتقرة) .

(٥) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والنفع ، وناقلة في الريحانة .

ومن لم يكن سبعا أكلا تداعت سباع إلى أكله
 فقال الملك ، أَجَمَلَتَ ففَصَّل ، وِبَرِيَتَ ففَنَصَّل ، [وَكَلِمَتَ فَأَوْصِل] (١)
 وانثُر الحَبَّ لِمَنْ يُحَوِّصِل ، واقِيمِ السِّيَاسَةَ فَنُونًا ، واجعِلْ لِكُلِّ لِقَبِ
 قَانُونًا ، وابدأ بِالرَّعِيَّةِ ، وشروطها المَرَعِيَّةُ . فقال : رَعِيَّتُكَ ودائعُ اللَّهِ
 قِبَلِكَ ، ومرآةُ العَدْلِ الَّذِي عَلَيْهِ جِئَلُكَ ، ولا تَصِلْ إِلَى ضَبْطِهِمْ [إلا
 بِإِعَانَتِهِ] (٢) الَّتِي وَهَبَ لَكَ . وَأَفْضَلُ مَا اسْتَدْعَيْتَ بِهِ عَوْنُكَ فِيهِمْ ، وكفايته
 الَّتِي تَكْفِيهِمْ ، تَقْوِيمُ نَفْسِكَ عِنْدَ قَصْدِ تَقْوِيمِهِمْ ، ورضاكُ بِالسَّهْرِ
 لَتَنْوِيمِهِمْ ، [وَحِرَاسَةُ كَهْلِهِمْ وَرَضِيْعِهِمْ ، وَالتَّرْفُّعُ عَنِ تَضْيِيعِهِمْ] (٣) ،
 وَأَخِذْ كُلَّ طَبَقَةٍ بِمَا عَلَيْهَا ، وَمَالِهَا ، أَخِذًا يَحُوطُ مَالِهَا ، وَيَحْفَظُ عَلَيْهَا كَمَا لَهَا ،
 وَيُقْصِرُ عَنِ غَيْرِ الْوَاجِبِ آمَالِهَا ، حَتَّى تَسْتَشْعِرَ عَلَيْهَا رَأْفَتَكَ وَحَنَانَكَ ،
 وَتَعْرِفَ أَوْسَاطُهَا فِي [النُّصْبِ امْتِنَانِكَ] (٤) وَتَحْذَرُ سِفْلَتُهَا سِنَانَكَ ، وَحَظْرَ
 عُلَى كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْهَا ، أَنْ تَتَعَدَّى طَوْرَهَا ، أَوْ تَخَالَفَ دَوْرَهَا ، أَوْ تَجَاوِزَ
 بِأَمْرِ طَاعَتِكَ قَوْرَهَا . وَسُدِّ فِيهَا سُبُلُ الذَّرِيعَةِ ، واقصرْ جَمِيعَهَا عَلَى خِدْمَةِ
 الْمَلِكِ بِمَوْجِبِ الشَّرِيعَةِ ، وامنعْ أَغْنِيَاءَهَا (٥) مِنَ الْبَطْرِ (٦) وَالْبِطَالَةِ ،
 وَالنَّظَرَ فِي شُبُهَاتِ الدِّينِ بِالْتَّمَشْدُقِ وَالْإِطَالَةِ ، وَلِيَقْلُ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَ السَّلَفِ (٧)
 كَلَامِهَا ، وَتَرْفُضَ مَا يَنْبِزُ بِهِ أَعْلَامُهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُسْقِطُ الْحَقُوقَ ، وَيَرْتَّبُ
 الْعُقُوقَ . وَامْنَعَهُمْ مِنْ فُحْشِ الْحِرْصِ وَالشَّرْهِ ، وَتَعَاهَدَهُمْ بِالْمَوَاعِظِ الَّتِي

(١) ما بين الخاصرتين ساقط في الإسكوريال ، ووارد في الريحانة والنفع .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال والنفع . وساقط في الريحانة .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال والنفع . وساقط في الريحانة .

(٤) وردت في الإسكوريال (النصف امتنانك) . والتصويب من الريحانة والنفع .

(٥) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (أعيانها) .

(٦) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال والنفع . وساقطة في الريحانة .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع والريحانة (الناس) والأولى ارجح .

تَجَلُّو البصائر من الموه ، واحملهم من الاجتهاد في العِمارة على أَحْسَن المذاهب ، وانهههم عن التحاسد على المواهب ، ورُضهم على الإنفاق بقَدْر الحال ، والتعزُّى عن الفائق ، فردّه من المحال . وحذّر (١) البُخل على أهل اليسار ، والسَّخاء على أولى الإغصار . وخُذهم من الشريعة بالواضح الظاهر ، وامنعهم من تأويلها مَنع القاهر . ولا تُطلق لهم التَّجمُّع على من أنكروا أمره في نواديهم ، وكُفَّ عنهم أكُفَّ تعلُّيمهم . ولا تُبج لهم تغيير ما كرهوه بأيديهم . ولتكن غايتهم فيما توجَّهت إليه إبايتهم ، ونكَّصت عن الموافقة عليه رأيتهم ، لإنهاؤه إلى من وكلَّته بمصالحهم من ثقاتك ، المحافظين على أوقاتك . وقدم منهم من أمَّنت عليهم مكرهه ، وحَمِدت على الإنصاف شكره ، ومن كثر حياؤه مع التَّائب ، وقابل الهفوة باستقالة (٢) المُنيب ، ومن لا يتخطى عندك محلّه الذى حلّه ، فربما عمَد إلى السُّبم فحلّه . وحسَّن النية لهم بجهد الاستطاعة ، واغتفر المكاره في جنب حُسن الطاعة . وإن ثار جرادهم (٣) واختلف في طاعتك مرادهم ، فتحصَّن لثورتهم ، واثبت لقرورتهم [فإذا سألوا وسلوا ، وتفرقوا وانسلوا ، فاحتقر كثرتهم ، ولا تُقلِّ عشرتهم] (٤) واجعلهم لما بين أيديهم وما خلفهم نكالا ، ولا تترك لهم على حِلْمك اتكالا .

ثم قال : والوزير الصالح أفضل عُدِّك ، وأوصَل مَدِّك [فهو الذى] (٥) بصوتك عن الابتدال ، ومباشرة الأتدال ، ويثب لك على الفرصة ، وينوب

(١) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الريحانة (حطر) .
 (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ والريحانة (باستنابة) .
 (٣) هكذا في الإسكوريال والريحانة . وفي النسخ (جوادهم) وهو تحريف .
 (٤) - بين الحاضر بين وارد في الريحانة والنسخ . وساقط في الإسكوريال .
 (٥) هكذا وردت هذه العبارة في الريحانة والنسخ . وفي الإسكوريال (فعدت الرى) وهو تحريف .

في تجرُّع الغُصَّة ، واستجلاء القِصَّة ، ويستحضر ما نَسِيته من أموركَ ،
ويُغلب فيه الرأى بموافقة مأمورك ، ولا يَسَعُه ما تُمكنك المسامحة فيه ،
حتى يَسْتَوْفِيه . واحذر مُصادمة تياره ، والتجوز في اختياره ، وقدم استخارة
الله في إشاره ، وارسل عيون الملاحظة في آثاره ، وليكن معروف الإخلاص
لدولتك ، مَعْقُود الرِّضاء والغضب برضاك وصولتك ، زاهداً عما في يديك ،
مؤثراً كل ما يُزِلُّف لديك ، بعيد الهمة ، راعياً للأذمة ، كامل الآلة ، محيطاً
بالإيالة ، رخب الصدر ، رفيع القدر ، معروف البيت ، نبيه الحى
والبيت ، مؤثراً للعدل والإصلاح ، كريباً بحمل السلاح ، ذا خبرة بدخُل
المملكة وخرَجها ، وظَهرها وسرَجها ، صحيح العقد ، متحرِّراً من النقد ،
جاداً عند هوك ، متيقظاً في حال سهوك ، يَلين عند غضبك ، ويَصِل
الإشهاب^(١) بمقتضيبك ، قلقاً من شكره دونك وحمده ، ناسباً لك الأصابة^(٢)
بعنده . وإن أعيأ عليك وجود أكثر هذه الخلال ، وسبق إلى نقيضها
شيء من الاختلال ، فاطلب منه سُكون النفس وهدوئها ، وأن لا يرى منك
رُتبة إلا رأى قدره دونها : وتقوى الله تفضُّل شرف الانتساب ، وهى
للفضائل فذلَّة الحساب . وساو في حفظ غيبه بين قُرْبِه ونأيه ، واجعل
حظَّه من نعمتك موازياً لحظُّك من حُسن رأيه ، واجتنب منهم من يرى
في نفسه إلى المُلْك سبيلاً ، أو يقود من عيصه للاستظهار عليك قبيلاً ،
أو من كاتر مالك ماله ، أو من تقدم لعدوك^(٣) استعماله ، أو من سمَّت
لسواك آماله ، أو من يعظُم^(٤) عليه إعراض وجهك ، وبهمه نادرة^(٥)

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (الأسباب) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفع (الإصابة) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (لعدوانك) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (يعرض) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفع (نادر) .

نَهْجِكَ (١) ، أو من يُدَاخِلُ غيرَ أَحْبَابِكَ ، أو من يَنَافِسُ أَحَدًا بِبَابِكَ .
 (وَأَمَّا الْجِنْدُ) فَاصْرِفِ التَّقْوِيمَ (٢) مِنْهُمْ لِلْمُقَاتِلَةِ وَالْمَكَايِدَةِ الْمُخَاتِلَةِ ،
 وَاسْتَوْفِ عَلَيْهِمْ شُرَاطِطَ الْخِدْمَةِ ، وَخُذْهُمْ بِالثَّبَاتِ لِلصُّدْمَةِ ، وَوَفِّ مَا أَوْجِبْتَ
 لَهُمْ مِنَ الْجِرَايَةِ وَالنُّعْمَةِ ، وَتَعَاهِدْهُمْ عِنْدَ الْغِنَاءِ بِالْعَلْفِ وَالطُّعْمَةِ ، وَلَا تُكْرِمْ
 مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ أَكْرَمَهُ غَنَاؤُهُ ، وَطَابَ فِي الذَّبِّ عَنْ مَلَّتِكَ ثَنَاؤُهُ ، وَدَلَّ عَلَيْهِمُ
 النَّبَاهُءَ مِنْ خِيَارِهِمْ ، وَاجْتَهِدْ فِي صَرْفِهِمْ عَنِ الْاِفْتِنَانِ بِأَهْلِيهِمْ وَدِيَارِهِمْ ،
 وَلَا تَوَطِّئْهُمْ الدُّعَى مَهَادًا ، وَقَدِّمْهُمْ عَلَى حِفْظِكَ (٣) وَبُعُوثِكَ مَتَى (٤) أَرَدْتَ
 جِهَادًا ، وَلَا تُلِنْ لَهُمْ فِي الْإِعْمَالِضِ عَنْ حُسْنِ طَاعَتِكَ قِيَادًا ، وَعَوِّدْهُمْ حُسْنَ
 الْمَوَاسَاةِ بِأَنْفُسِهِمْ اعْتِيَادًا ، وَلَا تَسْمَحْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي إِغْفَالِ شَيْءٍ مِنْ
 سِلَاحِ اسْتِظْهَارِهِ ، أَوْ عُدَّةِ اسْتِهَارِهِ ، وَلِيَكُنْ مَا فَضَّلَ عَنْ شَبْعِهِمْ وَرِيئِهِمْ
 مَصْرُوفًا إِلَى سِلَاحِهِمْ ، وَزِيئِهِمْ ، وَالتَّزْيِيدِ فِي مَرَآكِبِهِمْ وَغِلْمَانِهِمْ ، مِنْ غَيْرِ
 اعْتِبَارِ لِأَثْمَانِهِمْ . وَامْنَعَهُمْ مِنَ الْمُسْتَعْلَاتِ (٥) وَالْمَتَاجِرِ ، وَمَا يُتَكَسَّبُ مِنْهُ
 غَيْرَ الْمَشَاجِرِ ، وَلِيَكُنْ مِنَ الْغَزْوِ (٦) اِكْتِسَابُهُمْ ، وَعَلَى الْمَغَانِمِ حَسَابُهُمْ ،
 كَالْجَوَارِحِ الَّتِي تُفْسَدُ بِاعْتِيَادِهَا ، أَنْ تُطْعَمَ مِنْ غَيْرِ اضْطِيَادِهَا . وَاعْلَمْ أَنَّهَا
 لَا تَبْدُلُ نَفُوسَهَا مِنْ عَالِمِ الْإِنْسَانِ ، إِلَّا لِمَنْ يَمْلِكُ قَلْبُهَا بِالْإِحْسَانِ ، وَفَضَلَ
 اللُّسَانَ ، وَيَمْلِكُ حَرَكَاتَهَا بِالتَّقْوِيمِ ، وَرَتْبَهَا بِالْمِيزَانِ الْقَوِيمِ (٧) ، وَمَنْ
 تَثَقَّ بِإِشْفَاقِهَا (٨) عَلَى أَوْلَادِهَا ، وَتَشْتَرِي رِضَا اللَّهِ بِصَبْرِهَا عَلَى طَاعَتِهِ وَجَلَادِهَا .

(١) هَكَذَا فِي الرَّيْحَانَةِ وَالنَّفْحِ . وَفِي الْإِسْكَورِيَالِ (نَجْهَكَ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالرَّيْحَانَةِ . وَفِي النَّفْحِ (التَّقْدِيمِ) .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي الرَّيْحَانَةِ وَالنَّفْحِ (حَصَصَكَ) . وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .

(٤) هَكَذَا فِي الرَّيْحَانَةِ . وَفِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالنَّفْحِ (مَهْمَى) وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .

(٥) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالنَّفْحِ (الْمَشْغَلَاتِ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الرَّيْحَانَةِ .

(٦) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالرَّيْحَانَةِ (الْفَرَارِ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ .

(٧) هَدَدَ الْكَلِمَةَ . وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالنَّفْحِ . وَاسْمُهَا فِي الرَّيْحَانَةِ .

(٨) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الرَّيْحَانَةِ . وَفِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالنَّفْحِ (إِشْفَاقَهُ) وَالْأَوَّلَى أَسْبَبُ .

فإذا استشعرت لها هذه الخلال ، تقدمت إلى مواقف التلّف ، مطيعةً
دواعي الكلف ، واثقةً منك بحسن الخلف . واستبقت إلى تمييزهم استباقاً ،
وطبقتهم طباقاً ، أعلاها من تأملت منه في المحاربة عنك إحتظاراً ، وأبعدهم
في مرّضاتك مطازاً ، واضبطهم لما تحت يدك من رجالك حزمًا ووقاراً ،
واستهانةً بالعظيم واحتقاراً ، وأحسنهم لمن تقلّده أمرًا من الرعية جواراً ،
إذا أجذت اختياراً ، وأشدّهم على مُماطلة من مارسه من الخوارج عليك
اضطباراً . ومن بلى في الذبّ عنك إخلاءً وإمراراً ، ولحقه الضر في معارك (١)
الدفاع عنك مراراً . وبعده من كانت محبته لك أكثر (٢) من نجدته ،
وموقع رأيه أصدق (٣) من موقع صعدته . وبعده من حسن انقياده لأمرائك
وإحماده (٤) لأرائك ، ومن جعل نفسه من الأمر حيث جعلته ، وكان صبره
على ما عراه أكثر من اعتداده (٥) بما فعله . [واحذر منهم من كان عند
نفسه أكبر من موقعه في الانتفاع ، ولم يستح من التزيّد بأضعاف ما بذله
من الدّفاع ، وشكى البخس] (٦) فيما تعدّر عليه من فوائده ، وقاس بين
عوايد (٧) عدوك وعوايدك ، وتوعّد بانتقاله عنك وارتيحاله ، وأظهر
الكراهية لحاله .

(وأما العُمال) فإنهم يبيّنون (٨) عن مذهبيك ، وحالمهم في الغالب

-
- (١) هكذا وردت في الإسكوريال والريحانة . وفي النفع (معارض) .
 - (٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفع (أزيد) .
 - (٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفع (أنفع) .
 - (٤) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (واعتماده) .
 - (٥) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (صبره) .
 - (٦) ما بين الخاصرتين كله محو في الإسكوريال . وقد اعتمدنا في نقله على الريحانة والنفع .
 - (٧) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال .
 - (٨) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفع (يبيسو) .

شديدة الشبه بك ، فعرفهم في أمانتك السعادة . وألزمهم في رعيتك العادة ، وأنزلهم من كرامتك بحسب منازلهم في الاتصاف بالعدل والإنصاف ، وأجلهم من الحفاية ، بنسبة مراتبهم من الأمانة والكفاية ، وقفهم عند تقليد الأرجاء ، مواقف الخوف والرجاء ، وقرر في نفوسهم أن أعظم ما به إليك تقربوا ، وفيه تدربوا ، وفي سبيله أعجموا وأغربوا ، إقامة حق ، ودخض باطل ، حتى لا يشكو غريم مظلٍ ماطل ، وهو أثرٌ لديك من كل رباب هاظل . وكفهم من الرزق الموافق عن (١) التصدي للذئب المرافق . واضطنح منهم من تيسرت كلفته ، وقويت للرعايا ألفته ، ومن زاد على تأميلة صبره ، وأزبى على خبره خبره ، وكانت رغبته في حُسن الذكر ، تشفُّ على غيرها من بنات الفكر . واجتنب منهم من غلب عليه التخرق (٢) في الإنفاق ، وعدم الإشفاق ، والتنافس في الاكتساب ، وسهل عليه سوء الحساب ، وكانت ذريته المصانعة بالنفاية ، دون التقهَّى (٣) والكفاية ، ومن كان منشؤه خاملاً ، ولأعباء الدناءة حاملاً ، وانبغ (٤) من يكون الاعتذار في أعماله ، أوضح من الاعتذار في أقواله ، ولا يفتننك من قلدته اجتلاب الحظُّ المطمع (٥) ، [والتنفق بالسعى المسمع] (٦) ومخالفة السنن المرعية [وإتباعه رضاك بسخط الرعية] (٧) ، فإنه قد عَشَّك من حيث بلِّك ورشَّك ، وجعل مَنْ

(١) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الريحانة (عند) .

(٢) واردة في الإسكوريال والنسخ . ومكانها بياض في الريحانة .

(٣) واردة في الريحانة والنسخ . ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في النسخ . وفي الريحانة (وانح) . ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال والريحانة . وفي النسخ (المقنع) .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في الريحانة والنسخ . ووردت محرقة وناقصة بالإسكوريال

كالات (التذباقة عن المسمع) .

(٧) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والنسخ . وساقطة في الريحانة .

يمينك في شمالك، حاضر مالك. ولا تَصْمَنَ عاملاً مال عمله ، وحل بينه فيه وبين أمليه ، فإنك تُميت رُسومك بمجياه ، وتُخرجه من خدمتك فيه إلا أن تملكه إياه . ولا تجمع له في الأعمال ، فيُسْقِط استظهارك ببلد على بلد ، والاحتجاج (١) على والد بوكد ، واخرض على أن تكون في الولاية غريباً ، ومُنْقَلَه (٢) منك قريباً ، ورهينة لا يزال معها مريباً ، ولا تتبل (٣) مصالحتُه على شيءٍ اختانَه (٤) ، ولو برغبة فتانه ، فتقبل المصانعة في أمانتك ، وتكون مشاركاً في خيانتك ، ولا [تُطِل مدَّة] (٥) العمل ، وتعاهد كشف الأمور ممن يرعى العمل ، ويبلغ الأمل .

(وأما الولد) فاحسن آدابهم ، واجعل الخير دأبهم ، وخيف عليهم من إشفافك وحنانك ، أكثر من غلظة جنانك ، واكتم عنهم ميثلك ، وأفض عليهم جودك ونيلك ، ولا تستغرق بالكلف بهم يومك ولا ليلك ، وأثبهم على حسن الجواب [وسبق إليهم] (٦) خوف (٧) الجزاء على رجاء الثواب ، وعلمهم الصبر على الضرائر ، والمهلة عند استخفاف الجرائر ، [وخذ لهم] (٨) بحسن السرائر ، وحبب إليهم مراسم الأمور الصعبة المراس ، وحصن الاصطناع والاعتراض (٩) ، والاستكثار من

-
- (١) هكذا وردت في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (احتجاج) .
 - (٢) هكذا وردت في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (وبشمله) .
 - (٣) كذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (تعمل) والأولى أنسب .
 - (٤) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (اختاله) والأولى أرجح .
 - (٥) هكذا وردت هذه العبارة في الريحانة والنفح . في الإسكوريال (تصل سدة) .
 - (٦) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (وسولم) .
 - (٧) واردة في الريحانة والنفح . ومكانها بياض في الإسكوريال .
 - (٨) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (وخذهم) .
 - (٩) هكذا في الإسكوريال والريحانة . وفي النفح (والاحتراس) .

أولى المراتب والعلوم ، والسياسات^(١) والعلوم ، والمقام المعلوم ، وكره إليهم مجالسة المُلَّهين ومصاحبة السَّاهين^(٢) ، وجاهد أهواءهم عن عقولهم ، واحذر الكذب على مَقُولهم ، ورشَّحهم إذا أنست منهم رشداً أو هدياً ، وأرضعهم من المؤازرة^(٣) والمشاورة ثدياً ، لتعمرهم على الاعتياد ، وتحملهم على الأزياد ، ورُضَّهم رياضة الجياد ، واحذر عليهم الشهوات فهي داؤهم ، وأعداؤك في الحقيقة وأعداؤهم . وتدارك الخلق الذميمة كلما نجمت ، [واقذعها إذا نجمت]^(٤) ، قبل أن يظهر تضعيفها ، ويقوى ضعيفها ، فإن أعجزتك في صغرهم الحيل ، عظم الميل .

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولن تلين إذا قومتها الخشب وإذا قدروا على التدبير ، وتشوفوا للمحل الكبير ، فلا^(٥) توطنهم في مكانك [جهد إمكانك]^(٦) ، وفرقهم [في بلدانك]^(٧) ، تفريق عبْدانك . واستعملهم في بعوث جهادك ، والنيابة عنك في سبيل اجتهادك ، فإن حضرتك تشغلهم بالتحاسد ، والتبأري والتفاسد . وانظر إليهم بأعين الثقات ، فإن عين الثقة ، تبصر ما لا تبصر عين المحبة والمقة^(٨) .

(وأما الخدم) فإنهم^(٩) بمنزلة الجوارح التي تُفَرَّق بها وتجمع ، وتُبصر وتسمع ، فرُضَّهم بالصدق والأمانة ، وصنَّهم صنون الجفانة ،

(١) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (والسياسة) .

(٢) واردة في الريحانة والنفع . ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٣) واردة في الريحانة والنفع . وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (واقرعها كلما هجمت) .

(٥) هكذا في المخطوطين . وفي النفع (إياك أن) .

(٦) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والنفع . وساقطة في الريحانة .

(٧) هكذا في الريحانة والنفع . وفي الإسكوريال (بجلد انك) وهو تحريف .

(٨) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (الميقة) .

(٩) هكذا في النفع . ووردت في المخطوطين (فهم) والأولى أفصح .

وخذهم بحسن الانقياد ، إلى ما آثرته ، والتقليل مما استكثرتة . واحذر منهم من قويت شهواته ، وضاقت عن هواه لهواته ، فإن الشهوات تنازعتك في استيرقاقه ، وتشاركك في استحقاقه . وخيرهم من ستر ذلك عليك (١) بلطف (٢) الحيلة (٣) ، وآداب للفساد مخيلة . وأشرب قلوبهم أن الحق في كل ما حاولته واستنزلته ، وأن الباطل في كل ما جانبته واعتزلته ، وأن من تصفح منهم أمورك فقد أذنب ، وبيّن الأدب وتجنب . وأعط من أكذفته ، وأضقت منهم ملكه وشدته ، روحة يشتغل فيها بما يغنيه ، على حسب (٤) صهوبة (٥) ما يعانیه ، تُغبطهم فيها بمسارحهم ، وتُجم كليله جوارحهم . ولتكن عطايك فيهم بالمقدار الذي لا يُبتر أعلامهم ، ولا يُؤسف (٦) [الأصغر فيفسد] (٧) أعلامهم ، ولا ترم محسنهم بالغاية من إحسانك ، واترك لمزيدهم فضلة من رفدك ولسانك . وحذر عليهم مخالفتك ولو في صلاحك بحد سلاحك . وامنعهم من التواثب والتشاجر ، ولا تحمد لهم شيم التقاطع والتهاجر ، واستخلص منهم لسرك (٨) من قلت في الإفشاء ذنوبه ، وكان أصبرهم على ما ينوبه ، ولودائعك من كانت رغبته في وظيفة لسانك ، أكثر من رغبته في إحسانك ، وضبطه لما تقلده من وديعتك ، أحب إليه من حُسن صنيعتك . وللسفارة عنك من خلا الصدق في فمه ، وآثره ولو بإخطار دمه ، واستوفى لك وعليك

-
- (١) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة (عنك) . وفي النفع (عنه) .
 - (٢) هكذا في الريحانة والنفع . وفي الإسكوريال (بحسن) .
 - (٣) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (حيلة) .
 - (٤) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال وواردة في الريحانة والنفع .
 - (٥) ساقطة في الريحانة . وواردة في الإسكوريال والنفع .
 - (٦) هكذا وردت في الريحانة والنفع . وفي الإسكوريال (يؤنب) .
 - (٧) واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .
 - (٨) هكذا في الريحانة والنفع . وفي الإسكوريال (لحديثك) .

فَهُمْ مَا تَحْمَلُهُ ، وَعُنَى بِلَفْظِهِ حَتَّى لَا يَهْمَلُهُ ، [وَلَمَنْ تُودِعُهُ أَعْدَاءُ] (١) دولتك ، من كان مقصور الأمل ، قليل القول صادق العمل ، ومن كانت قسوته زائدة على رَحْمَتِهِ ، وَعَظْمُهُ فِي مَرْضَاتِكَ آثَرُ مِنْ شَحْمَتِهِ ، ورأيه في الحذر سَدِيدٌ ، وتحرزهُ من الحِيلِ شديد . ولخدمتك في ليلك ونهارك من لَأْنَتِ طِبَاعِهِ ، وامتدُّ في حَسَنِ السَّجِيَةِ بِاعِهِ ، وآمَنُ كَيْدُهُ وَغَدْرُهُ ، وسَلِمَ مِنَ الحِقْدِ صَدْرُهُ ، ورَأَى المَطَامِعَ فَمَا طَمَعُ ، واستَثْقَلَ إِعَادَةَ مَاسِعٍ ، وكان بَرِيًّا مِنَ المَلَالِ ، والبِشْرُ عَلَيْهِ أَغْلَبُ الخِلَالِ . ولا تُؤْنِسُهُمْ مِنْكَ بِقَبِيحِ فِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ ، وَلَا تُؤْسِسُهُمْ مِنْ طَوْلٍ . ومَكَّنْ فِي نَفْسِهِمْ أَنَّ أَقْوَى شُفَعَائِهِمْ ، وَأَقْرَبَ إِلَى الإِجَابَةِ مِنْ دُعَائِهِمْ ، إِصَابَةُ الغَرَضِ فِيمَا بِهِ وَكُلُّوا ، وَعَلَيْهِ شُكِّلُوا ، فَإِنَّكَ لَا تَعْدَمُ بِهِمْ انْتِفَاعًا ، وَلَا يَعْذَمُونَ لَدَيْكَ ارْتِفَاعًا .

(وَأَمَّا الحُرْمُ) فَهَمَّ مَغَارِسُ الوَلَدِ ، وَرِيَّاحِينَ (٢) الخَلْدُ ، وَرَاحَةُ القَلْبِ الَّذِي أَجْهَدْتَهُ الأَفْكَارَ ، وَالنَّفْسَ الَّتِي تَقَسَّمَهَا الإِحْمَادُ إِلَى المَسَاعِي وَالإِنْكَارِ ، فَاطْلُبْ مِنْهُمْ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ مِنْ حَسَنِ الشُّيْمِ ، المَتَرَفُّعَةَ عَنِ القِيمِ ، مَا لَا يَسُوؤُكَ فِي خَلْدِكَ ، أَنْ يَكُونَ فِي وَكَلْدِكَ ، وَاحْذَرِ أَنْ تَجْعَلَ لِفِكْرِ بَشَرٍ دُونَ بَصَرِ (٣) إِلَيْهِمْ سَبِيلًا ، وَانصِبْ دُونَ ذَلِكَ عَذَابًا وَبَيْلًا ، وَارْعَهُنَّ مِنَ النِّسَاءِ العُجْزِ مَنْ فَاقَتْ (٤) فِي الدِّيَانَةِ وَالْأَمَانَةِ سَبِيلَهُ ، وَقَوِيَتْ غَيْرَتُهُ وَنُبْلَهُ ، وَخُذْنَهُنَّ بِسَلَامَةِ النِّيَّاتِ ، وَالشُّيْمِ السَّنِيَّاتِ ، وَحَسَنِ الاسْتِرْسَالِ ، وَالخُلُقِ

(١) هذه العبارة واردة في الريحانة والنفح ، ومكانها يياض بالإسكوريال .

(٢) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (وريا من) وهو تحريف .

(٣) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (نظره) .

(٤) هكذا في الريحانة ، وفي الإسكوريال (كانت) والنفح (بانة) والذول أرجح .

السُّلْسَال . وحظَّر (١) عليهن التَّغَامِز والتَّغَايِر ، والتَّنَافُس والتَّخَايِر ، وآيِسَ
 بَيْنَهُن فِي الْأَعْرَاضِ ، والتَّصَامَمِ عَنِ الْأَعْرَاضِ ، والمُحَابَاةَ بِالْإِعْرَاضِ .
 وَأَقْدَلُ مِنْ مَخَالَطَتِهِنَّ (٢) ، فَهُوَ أَبْقَى لِهَمَّتِكَ ، وَأَسْبَلُ لِحُرْمَتِكَ ، ولِتَكُنْ
 عَشْرَتِكَ لَمَنْ عِنْدَ الْكِلَالِ وَالْمَلَالِ ، وَضَيْقِ الْإِحْتِمَالِ ، بِكَشْرَةِ الْأَعْمَالِ ،
 وَعِنْدَ الْغَضَبِ وَالنُّومِ ، وَالْفِرَاغِ مِنْ نَصَبِ الْيَوْمِ . وَاجْعَلْ مَبِيَّتَكَ بَيْنَهُنَّ
 تَنْمٌ بِرَكَاتِكَ ، وَقَسْتَرٌ حِرْكَاتِكَ ، وَأَفْضَلُ مِنْ وَلَدَتْ مِنْهُنَّ إِلَى مَسْكِنِ (٣)
 يُخْتَبِرُ فِيهِ اسْتِقْلَالُهَا ، وَيُعْتَبِرُ بِالتَّفَرُّدِ خِلَالِهَا . وَلَا تَطْلُقْ لِحَرْمَةِ شِفَاعَةِ
 وَلَا تَدْبِيرًا ، وَلَا تَنْطُ بِهَا (٤) مِنَ الْأَمْرِ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا ، وَاحْلُدْ أَنْ يَظْهَرَ
 عَلَى خَدَمِهِنَّ فِي خُرُوجِهِنَّ عَنِ الْقُصُورِ وَبِرُوزِهِنَّ مِنْ أَحْجَمَةِ الْأَسَدِ الْهَيَّصُورِ
 زَيْ مُفَارِعِ (٥) ، وَلَا طَيْبٌ لِلْأَنْوْفِ مُسَارِعِ ، وَأَنْخِصْ بِذَلِكَ مِنْ طَعْنِ (٦)
 فِي السُّنِّ ، وَيَيْئِسْ (٧) مِنَ الْإِنْسِ وَالْحِجْنِ ، وَمَنْ تَوَقَّرَ النُّزُوعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ
 قَبْلَهُ ، وَقَصَّرَ عَنِ جَمَالِ الصُّورَةِ وَوَسِمِ بِالْبَيْلَةِ .

ثُمَّ لَمَّا بَلَغَ إِلَى هَذَا الْحَدِّ ، حَمِي وَطَيْسَ اسْتِجْفَارَهُ (٨) ، وَخَتَمَ حِزْبَهُ
 بِاسْتِجْفَارِهِ ، [ثُمَّ صَمِتَ مَلِيًّا] (٩) وَاسْتِعَادَ كَلَامًا أَوْلِيَا . ثُمَّ قَالَ :
 وَاعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، سَدَّدَ اللَّهُ سَهْمَكَ لِأَعْرَاضِ خِلَافَتِهِ ، وَعَصَمَكَ مِنَ
 الزَّمَانِ وَأَقْتِهِ ، أَنْكَ فِي مَجْلِسِ الْفَصْلِ ، وَمُبَاشَرَةِ الْفَرَعِ مِنْ مُلْكِكَ وَالْأَصْلِ ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (وحذر) .

(٢) وردت في المخطوطين (مخالتهن) . والتصويب من النفح .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (منزل) والمؤدى واحد .

(٤) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (بهم) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة (فارح) والنفح (بارح) .

(٦) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (صفر) والأول أرجح .

(٧) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (وليس) .

(٨) وردت في المخطوطين (استجفاره) والتصويب من النفح .

(٩) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والنفح . وساقطة في الريحانة .

في طائفة من عزِّ الله ، تَذُبُّ عنك حُماتها ، وتدافع عن حوزتك كماها ،
 فاحذر أن يَعدَلَ بك غضبك ، عن عدل تُزرى منه ببضاعة ، أو يهجم بك
 رِضاكَ على إضاعة . ولتكن قدرتك وقفاً على الاتصاف بالعدل والإنصاف ،
 واحكم بالسوية ، واجنح بتدبيرك إلى حسن الروية . وخِفْ أن تقعد بك
 أناتك عن حزم تعين ، أو تستفزك العجلة في أمر لم يتبين . وأطع الجحَّة
 ما توجَّهت عليك^(١) ، ولا تحفَل بها إذا كانت إليك ، فانقيادك إليها
 أحسن من ظفرك ، والحق أجدى من نفرك . ولا تردنَّ النصيحة في وجه ،
 ولا تقابل عليها بنجته ، فتُمنعها إذا استدعتها ، وتُحجب عنك إذا
 استوعبتها ، ولا تستدعها من غير أهلها ، فيُشغبك أولو الأغراض بجهلها .
 واحرص^(٢) على أن لا ينقضى مجلسُ جلستك ، أو زمنُ اختلاسته ، إلا وقد
 أحرزت فضيلة زائدة ، أو وثقت منه في معادك بفائدة ، ولا يزهدنك في
 المال كثرته ، فتقلُّ في نفسك أثرته . وقسَّ الشاهد بالغائب ، واذكر
 وقوع ما لا يُحتسب من النوائب ، فالمال المصون أَمَنُ^(٣) الحصون .
 ومن قلَّ ماله قَصُرَت آماله ، وتهاونَ بيمينه شماله ، والمَلِكُ إذا فقد
 خزينته ، أنحى^(٤) على أهل الجدة التي تزينه ، وعاد^(٥) على رعيته بالإجحاف ،
 وعلى جبايته بالإلحاف ، وساء مُعتادُ عيشه ، وصغرُ في عيون جيشه ، ومنوا
 عليه بنصره ، وأنفوا من الاقتصار على قصره . وفي المال قُوَّةٌ سهاوية ،
 تُصرف الناس لصاحبه ، وتربُط آمال أهل السلاح به . والمال نعمةُ الله
 تعالى ، فلا تجعله ذريعةً إلى خلافه ، فتجمع بالشهوات بين إنلافك وإنلافه .

(١) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (إليك) .

(٢) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الريحانة (واعمل) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الريحانة (أعظم) .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (أنحى) .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في الريحانة .

واستأنس بحسن جوارها ، واضرف في حقوق الله بعض أطوارها ، فإن فضل المال عن الأجل فأجل ، ولم يضر ما تلف (١) منه بين يدي الله عز وجل . وما يُنْفَق في سبيل الشريعة ، وسد الذريعة ، مأمول خليفه ، وما سواه فمُسْتَيْقِنٌ (٢) تلفه . واستخلص لحضور (٣) نواديك الغاصه ، ومجالسك العامة والخاصة ، من يليق بولوج عتبتها ، والعروج لرتبها . أما العامية (٤) فمن عظم عند الناس قدره ، وانشرح بالعلم صدره ، أو ظهر يساره ، وكان لله إيجابته وإنكساره ، ومن كان للفتيا منتصبيا ، وبتاج المشورة معتصبا . وأما الخاصية (٥) فمن رقت طباعه ، وامتد فيما يليق بتلك المجالس بأعه ، ومن تبهر في سير الحكماء ، وأخلاق الكرماء ، ومن له فضل سافر ، وطبع (٦) للدنية منافر ، ولديه من كل ما تستتر به الملوك عن العوام حظ وافر . وصفت ألبابهم بمحصول خيرك ، وسكن قلوبهم بيمن طيرك ، وأغنيهم ما قدرت عن غيرك .

واعلم بأن مواقع العلماء من ملكك ، مواقع المشاعل المتألفة ، والمصاييح المتعلقة ، وعلى قدر تعاهدها (٧) تبذل من الضياء ، وتجلو بنورها صور الأشياء ، وفرعها (٨) لتحجيب ما يزين مدتك ، ويحسن من

(١) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (خاب) .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النفح (فتمين) .

(٣) واردة في المخطوطين . وساقطة في النفح .

(٤) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (العامة) .

(٥) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (الخاصة) .

(٦) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (رفيع) وهو تعريف .

(٧) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (تمهدك) .

(٨) مكانها بياض في الإسكوريال .

بَعْدَ السَّبِيلِ جَدَّتْكَ . وبعناية الأواخر، ذُكِرَتْ (١) الأوائِل (٢) ، وإِذَا مُحِيَتْ (٣) المفاخر
خَرِبَتْ الدُّوَل . واعلم أن بقاء الذِّكْر مشروط بعمارة البُلدان ، وتخليد
الأثار الباقية (٤) في القاصي منها والدان . فاحرص على ما يُوضَّح في الدهر
سبِّلك ، ويحوز (٥) المزية لك على من قبلك ، وإن خير الملوك من ينطق
بالحجبة ، وهو قادرٌ على القهر ، ويبتذل الإنصاف في السر والجهر ، مع
التمكُّن من المال والظَّهر . ويسار الرعية جمالٌ للملك وشرف ، وفاقتهم
من ذلك طرف ، فغلب أئنتق (٦) الحالين بمحلِّك ، وأولاهما بظنِّك
وجلِّك . واعلم أن كرامة الجور (٧) دائرة ، وكرامة العدل مُكاثرة ،
والغلبة بالخير سيادة ، وبالشَّرُّ هَوَاةٌ (٨) .

واعلم أن حُسن القيام بالشرعية ، يحسِّم عنك نكايه الخوارج ،
ويسمو بك إلى المعارج ، فإنها تقصد أنواع الخدع ، وتورى بتغيير
البِدَع . واطلق على عدوك أيدي الأقوياء من الأكفء ، وألسنة اللِّفيف
من الضُّعفاء ، واستشعر عند نكته شعار الوفاء ، ولتكن ثقتك بالله أكثر
من [ثقتك بقوة] (٩) تجدها ، وكئيبة تُنجدها . فإن الإخلاص يمنحك
قوى لا تُكتسب ، ويُهديك (١٠) مع الأوقات نصرأ لا يُحتسب . والتمس

(١) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (عنيت) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفع (الأول) . والأولى أرجح .

(٣) مكانها بياض في الإسكوريال .

(٤) ساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفع (بحر) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة (أيس) والنفع (أليق) .

(٧) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (الخوف) .

(٨) هكذا وردت في الريحانة والنفع . وفي الإسكوريال (ريادة) .

(٩) هكذا وردت هذه العبارة في النفع . ومكانها في المخطوطين (ثقة) .

(١٠) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع والريحانة (ومهلك) .

سَلِمَ (١) من سالمك ، بِنَفْسٍ ما في يدك . وفضل حاصل (٢) يومك على مُنْتَظَرِ غَدِكَ ، فَإِنِ أَبِي وَصَحْتَ مَحَبَّتِكَ ، وقامت عليه للناس حُجَّتُكَ ، فللنفوس على الباغين (٣) مَيْلٌ ، ولها من جانبه نَيْلٌ ، واستمد (٤) كل يوم سيرة من يُناويك ، واجتهد أن لا يُباريك (٥) في خير ولا يُساويك ، وأكذب بالخير ما يُشنعُه من مساويك ، ولا تقبل من الإطراء إلا ما كان فيك ، فضلٌ عن إطالته ، وجدُّ يُزرى ببطالته (٦) . ولا تَلُقْ المذنب بحميتك وسبِّك ، واذكر عند حَمِيَّةِ (٧) الغضب ذنوبك إلى ربِّك . ولا تنس أن ذنوب (٨) المذنب أجلسك مجلس الفصل ، وجعل من (٩) قَبْضَتِكَ ريش النصل . وتشاغل في هُدنة الأيام بالاستعداد ، واعلم أن التراخي مُنْذِرٌ بالاشتداد . ولا تُهمل عَرْضَ ديوانك ، واختبار أعوانك ، وتحصين معاقلك وقلاعك . وعُمُّ إِيالتك بحسن اضبطْلاعك . ولا تُشغل زمن الهدنة ببلداتك ، فتجني في الشدة على ذاتك . ولا تُطلق في دولتك ألسنة الكهانة والإرجاف ، ومطاردة الآمال العجاف ، فإنه يبعث سوء القول ، ويفتح باب الغول . وحذّر على المدرِّسين والمعلِّمين (١٠) ، والعلماء والمتكلمين ، حمل الأحداث (١١) على الشكوك الخالجة ، والزلات (١٢) الوالجة ، فإنه يُفسد

- (١) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (مسألة) .
- (٢) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (فاضل) والأولى أريج .
- (٣) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (الباغي) .
- (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (استهد) . وساقطة في الريحانة .
- (٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (يوازيك) .
- (٦) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (على بطالة) .
- (٧) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (حركة) .
- (٨) محوطة في الإسكوريال .
- (٩) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح والريحانة (في) .
- (١٠) هكذا في الإسكوريال والريحانة . وفي النفح (المتعلمين) .
- (١١) وردت في الإسكوريال (الأمداد) . والتصويب من الريحانة والنفح .
- (١٢) هكذا في الريحانة وفي النفح . وفي الإسكوريال (المزيات) .

طباعهم ، ويُغرى سباعهم ، ويمدُّ في مخالفة الملة باعهم . وسدُّ سبيل
الشفاعات ، فإنها تُفسد عليك حُسن الاختيار ، ونفوس الخيار . وابدل
في الأسرى^(١) من حسن مُلكتك ، ما يُرضى^(٢) من ملكك رقابها ،
وقلِّدك ثوابها وعقابها . وتلقِّ بدء نهارك بذكر الله في ترفُّعك وابتدالك ،
واختم اليوم بمثل ذلك . واعلم أنك مع كثرة حُجَّابك ، وكثافة حِجابك ،
بمنزلة الظاهر للعيون ، المُطالب بالديون ، لشدة البحث عن أمورك ،
وتعرُّف السرِّ الخفيِّ بين أمرك ومأمورك ، فاعمل في سرِّك ما لا تستقبِّح
أن يكون ظاهراً ، ولا تأنف أن تكون به مُجاهراً ، واحكم بريك في الله
ونحَّتكَ ، وخِف من فوقك يخفُّك من تحَّتكَ .

واعلم أن عدوك من أتباعك من تناسيت حُسن قرضه ، أو زادت
مؤونته على نصيبه منك وفرضه . فاضمت للحُجج ، وتوقُّ اللُّجج ،
واسترب بالأمل ، ولا يحملنك انتظام الأمور على الاستهانة بالعمل .
ولا تحقرن صغير الفساد ، فيأخذ في الاستئساد . واحبس الألسنة عن
التحالي باغتيابك ، والتشبُّث بأذيال ثيابك ، فإن سوء الطاعة ، ينتقل
من الأعين الباصرة ، [إلى الألسن القاصرة]^(٣) ، ثم إلى الأيدي المتناصرة .
ولا تثق بنفسك في قتال عدوِّ ناوأك ، حتى تظفر بعدوِّ غضبك وهواك .
وليكن خوفك من سوء تدبيرك ، أكثر من عدوك الساعي في تَتبِيرك .
وإذا استنزلت ناجماً ، أو أمنت نائراً هاجماً ، فلا تقلِّد البَلد الذي فيه

(١) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (الأسمى) وهو تحريف .

(٢) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (يونس) والأول أرجح .

(٣) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والنفح . وساقته في الريحانة .

نَجْم ، وهَمَّا عارضه فيه وانسجم ، يعظُم عليك القَدْح (١) في اختيارك ،
والغَضُّ من إيثارك ، واختَرز من كيدِه في حَوَزك (٢) ومأمك ، فإنك
أكبرُ هَمِّه ، وليس بأكبر هَمِّك . وجَمَلُ المملكة بتأمين الفلوات ،
وتسهيل الأقوات ، وتجويد (٣) ما يتعامل به من الصُّرف في البياعات (٤)
وإجراء العوائد مع الأيام والساعات ، ولا تُبَخِس عيار قِيم البضاعات ،
ولتكن يدك عن أموال الناس مخجورة ، وفي احترامها إلا عن الثلاثة
مأجورة : مالٌ من عدا طورُه وطورُ أهله ، وتجاوز (٥) في الملابس
والزينة ، وفُضُول المدينة ، يروم معارضتك بحمَله ، ومن باطن أعداك ،
وأمن اعتداك ، ومن أساء جوار رعيتك بإخساره ، وبذل الإذابة فيهم
بيمينه ويساره . وأضر ما مُنيت به التَّعادى بين عُبدانك ، أوفى بلد من
بُلدانك ، فسدَّ فيه الباب ، واسأل عن الأسباب ، وانقلهم بوساطة أولى
الألباب ، إلى حالة الأخباب . ولا تطوِّق الأعلام أطواق المَنون ، بهواجس
الظُنون ، فهو أمر لا يقف عند حد ، ولا ينتهى إلى عد . واجعل ولَدَكَ في
اجتِراسك ، [وصِدْق مَراسك] (٦) ، حتى لا يطمع في اقتِراسك .

ثم لما رأى الليل قد كاد ينتصف ، وعموده يريد أن ينقصف ،
ومجال الوضايا أكثر مما يصف ، قال : يا أمير المؤمنين ، بحرُ السياسة
زاخر ، وعمر التمتع (٧) بناديك العزيز مُستأخر ، فإن أذنت في فن من

-
- (١) هكذا وردت في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (القوم) .
(٢) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (فوزك) .
(٣) هكذا في الإسكوريال والريحانة . وفي النفح (وتحديد) .
(٤) في لوحة الإسكوريال (٤٩٨) من هنا لعدة أسطر قد محيت من أواخر الأسطر كلمات عديدة .
واعتمدنا في ضبط هذا الجزء على الريحانة والنفح .
(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (وتخارق) .
(٦) هذه العبارة واردة في المخطوطين . وساقطة في النفح .
(٧) هكذا في المخطوطين . وفي النفح (المتمتع) .

فنون الأُنس يَجْذِبُ بالمقاد ، إلى راحة الرُقَاد ، وَيَعْتَقُ النفس بقدره
 ذى الجلال ، من مَلَكَةِ الكَلال . فقال ، أما والله (١) لقد اسْتَبَحَسْنَا ما سَرَدْتَ ،
 فشأنك وما أردت . فاستدعى عوداً فأصلحها حتى أَحْمَدَه ، وأبعد في اختياره
 أمده . ثم حرك فمه (٢) ، وأطال الحُسْنُ ثَمَّهُ ، ثم تغنى بصوت يستدعى
 الأنصتات ، وَيَضُدُّع الحَصاة ، ويستغز الحليم عن وقاره ، ويستوقف
 الطَّيْر ، ورزقُ بَنِيهِ في مِنقاره ، وقال :

صاح ما أطر القبول بنمه	أتراها أطالت البث ثمه
هي دار الهوى منى النفس فيها	أبد الدهر والأمان جمه
إن يكن ما تارَّج الجوؤها	واستفاد الشدا وإلا فممه
من بطرقى بنظرة ولأنفى	في رباها وفي ثراها بشمه
ذكر العهد فانتفضت كاتى	طرقتنى من الملائك لمه
وطن قد نضيت فيه شبابا (٣)	لم تدنس منه البرود مذمه
بنت عنه والنفس من أجل من	خلفته في جلاله مُعتممه
كان حُلماً فويح من أمل الدهر	وأعماه جهله وأصمه
تأمل العيش بعد أن أخلق الجسم	وبنيانه عسير المرمه
وغدت وفرة الشيبية بالشيب	على رغم أنفها مُعتممه
فلقد فاز مالك جعل الله	إلى الله قَصده ومأممه
من بيت من غرور دنيا بهم	يلدغ القلب أكثر الله هممه

ثم أحال اللحن إلى لون التنويم ، فأخذ كل في النعاس والتَّهويم ،
 وأطال الجس (٤) في الثَّقيل ، عاكفاً عكوف الضَّاحي في المَقيل ،

(١) زائدة في النفع .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة (به) . وفي النفع (به) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (شيبان) .

(٤) هكذا في الريحانة والنفع . وفي الإسكوريال محرقة (الجس) .

[فخاطعيون القوم^(١) بخيوط النوم ، وعمربهم المراقد، كأنما أدار عليهم
الفراقد^(٢)] (٣) ثم انصرف ، فما علم به أحد ولا عَرَفَ . ولما أفاق
الرشيد جدّ في طلبه ، فلم يُعلم بمُنقلبه ، فأسف للفراق ، وأمر بتخليد
حِكْمه في بطون الأوراق . فهي إلى اليوم تُروى^(٤) وتُنقل ، وتُجلى القلوب
بها وتُصقل . والحمد لله رب العالمين .

* * *

هذا ما حضرني من المنشور والمنظوم ، وحظّه عندي [في الإفادة]^(٥)
حظّ ضعيف ، وغرضه كما شاء الله سَخيف ، لكن الله بعباده لطيف ،
سبحانه لا إله إلا هو .

مولدى : في الخامس والعشرين لرجب عام ثلاثة عشر وسبعمائة ،
وكم^(٦) بالحىّ مَن ذكرته ، ألحق بالميت ، وبالقبر قد استبدل من البيت ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

* * *

قلت : هنا انتهى هذا التأليف المسمى « بالإحاطة في تاريخ غرناطة »
بالاختصار ، وتحصل منه ما أردناه من هذا المقدار ، ووهبناه للناظر فيه
هبةً ليست بهبة اعتصار ، بل هي لتحصيله ذات انتصار . ولما لم يمكنه
أن يُعرّف بمحنته ووفاته ، رأيتُ أنا بعده أن أعرف بذلك في مُختصرى
هذا على مهّبه ، وعادته ، فأقول^(٧) :

-
- (١) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال .
(٢) هكذا في النسخ وفي الإسكوريال (المراقد) مرة أخرى .
(٣) ما بين الخاصرتين ساقط في الريحانة ومكانه فقط (فخاطعيون) .
(٤) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (تتلى) .
(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النسخ (من الإجابة) .
(٦) وردت بالإسكوريال (وكان) والتصويب أرجح .
(٧) من الواضح أن ذلك من كلام مختصر « الإحاطة » وناسخها أبو جعفر البقي .

محنته ووفاته

رأيت تعليقا بخط بعض العدول المعاصرين ، الأذكياء المحاضرين ،
الأدباء المجيدين ، الظرفاء المقيدين ، وهو صاحبنا أبو عبد الله (١)
الواد آشي حفظه الله ، طُرْفَة زمان ، وحَفَظَة أوان ، وهو ما نصه من تاريخ
ابن خلدون .. قال :

(الخبير عن مقتل ابن الخطيب) (٢)

ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد ، دار ملكه ،
فاتح ست وسبعين ، واستقل بسلطانه ، والوزير محمد بن عثمان مستبد
عليه ، وسليمان بن داود [من أعراب كبير بني عسكر] (٣) رديف له .
وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الأحمر ، عندما بويج بطنجة ،
على نكبة ابن الخطيب وإسلامه إليه ، لما نُمى عنه أنه كان يُغري
السلطان عبد العزيز لمُلك الأندلس . فلما زحف السلطان أبو العباس
من طنجة ، ولقى الوزير أبا بكر بن غازي بساحة البلد الجديد ، فهزمه
السلطان ، ولاذ منه بالحِصار ، آوى معه ابن الخطيب إلى البلد الجديد
خوفاً على نفسه ، فلما استولى السلطان على البلد ، أقام أياما ، ثم أغراه
سليمان بن داود بالقبض عليه ، فقبضوا عليه ، وأودعوه بالسجن ،
وطيروا بالخبير إلى السلطان ابن الأحمر . وكان سليمان بن داود شديد
العداوة لابن الخطيب ، لما كان سليمان قد تابع السلطان ابن الأحمر على

(١) بياض بالإسكوريال . وهو أبو عبد الله محمد بن الحداد الشهير بالوادي آشي من أواخر
أدباء غرناطة وكان ممن نزع الى تلسان مع رط من العلماء الذين أيقنوا باقتراب
وقوع النكبة وسقوط غرناطة في أيدي النصارى (راجع كتاب نهاية الأندلس ص ٤٩١)

(٢) نقلنا هذا العنوان من كتاب العبر .

(٣) هذه الزيادة واردة في الإسكوريال . وساقطة في العبر .

مشيخة الغزاة بالأندلس ، حتى أعاده الله إلى ملكه . فلما استقر له سلطانه ، أجاز إليه سليمان سفيرا ، عن عمر بن عبد الله ، ومقتضياً عهده من السلطان . فصده ابن الخطيب عن ذلك ، بأن تلك الرياسة إنما هي لأعياص الملك من آل عبد الحق ، لأنهم يعسوب زناته ، فرجع آيسا ، وحقد ذلك لابن الخطيب . ثم جاور الأندلس بمحل إمارته من جبل الفتح ، فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات ينفس كل منهما لصاحبه ، بما يحفظه لما كمن في صدورهما . وحين بلغ الخبر بالقبض على ابن الخطيب إلى السلطان ، بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب ، وهو أبو عبد الله بن زمرك ، فقدم على السلطان أبي العباس ، وأحضر ابن الخطيب بالمشور في مجلس الخاصة وأهل الشورى ، وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه ، فعظم عليه النكر فيها ، فوبخ ونكّل وامتنحن بالعذاب بمشهد ذلك الملا . ثم تل إلى محبسه ، واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه ، وأفتى بعض الفقهاء فيه . ودس سليمان بن داود إليه لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله ، فطرقوا السجن ليلا ، ومعهم زعانفة جائءوا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الأحمر ، وقتلوه خنقا في محبسه ، وأخرجوا شلوه من الغد ، فدفن في مقبرة باب المحروق . ثم أصبح من الغد على شافة قبره طريحا ، وقد جمعت له أعواد ، وأضرمت عليه ناراً ، فاحترق شعره ، واسود بشره ، وأعيد إلى حفرته . وكان في ذلك انتهاء محنته . وعجب الناس من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته ، وعظم النكير فيها عليه ، وعلى قومه ، وأهل دولته . والله فعال لما يريد . وكان عفى الله عنه . أيام امتحانه بالسجن ، يتوقع مصيبة الموت ، فيتجيش دواتفه بالشعر يبكي نفسه . ومما قال في ذلك :

بُعَدْنَا وَإِنْ جَاوَرْتَنَا الْبُيُوتِ وَجِئْنَا بِوَعظٍ وَنَحْنُ صُمُوتُ
 وَأَنْفَاسُنَا سَكَنَتْ دَفْعَةً كَجَهْرِ الصَّلَاةِ تَلَاهِ الْقُنُوتِ
 وَكُنَّا عِظَامًا فَصَرْنَا عِظَامًا وَكُنَّا نَقُوتُ فِيهَا نَحْنُ قُوتُ
 وَكُنَّا شُمُوسَ سَمَاءِ الْعِلا غَرُبْنَ فَنَاحَتْ عَلَيْهَا الْبُيُوتُ
 فَكَمْ جَدَلْتُ ذَا الْحُسَامِ الطُّبَا وَذُو الْبِخْتِ كَمْ جَدَلْتَهُ الْبِخُوتُ
 وَكَمْ سَبَقَ لِلْقَبْرِ فِي خِرْقَةٍ فَتَى مُلِثَتْ مِنْ كُسَاهِ التَّخُوتِ
 فَقُلْ لِلْعَدَا ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيبِ وَفَاتِ وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَفُوتُ
 فَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْكُمْ لَهُ فَقُلْ يَفْرَحُ الْيَوْمَ مِنْ لَا يَمُوتُ (١)

* * *

انتهى من السفر الأخير منه ، حيث عرف بنفسه وبشيوخه ،
 رحمة الله على الجميع .

قلت ، وهنا انتهى ما قصدناه ، وتم بحول الله ما أردناه واستوفينا
 واستلحمناه ، وذلك بغرناطة أقامها الله وصانها ، وعمر بالعلماء الأعلام ،
 وصالحى الإسلام ، عُمرانها وبتاريخ أوائل شهر ربيع الآخر من عام خمسة
 وتسعين وثمان مائة . والحمد لله . وسلام على عباده الذين اصطفى .

* * *

الحمد لله .. من كتاب « نفاضة الجراب » لابن الخطيب المذكور رحمه الله ،
 الذى ألفه بالعدوة بعد صرّفه عن الأندلس ، واستقراره بالعدوة بآخرة من
 عمره ، وقرب وفاته (٢) . ولذلك سماه « نفاضة الجراب » قال فى أثنائه ما نصه :

(١) ورد هذا الفصل فى كتاب العبرج ٧ ص ٣٤١ و ٣٤٢ .

(٢) هذا القول فيما يتعلق بتأليف كتاب « نفاضة الجراب » غير صحيح . فإن الكتاب الذى
 ألفه ابن الخطيب فى أواخر حياته بالعدوة (المغرب) هو كتاب « إعمال الأعلام » الذى ألفه للوزير
 أبى بكر بن غازى القائم بالدولة عقب وفاة السلطان عبد العزيز المربى (سنة ٧٧٤ هـ) . وإنما وضع
 ابن الخطيب كتاب نفاضة الجراب أثناء إقامته اولى بالمغرب ، وقت استقراره بمدينة سلا حيث أنجز
 قسمه الأول بين سنتى ٧٦١ و ٧٦٣ هـ ، ثم كتب قسمه الثانى بعد عودته إلى الأندلس ما بين سنتى ٧٦٣ ،
 و ٧٦٤ هـ . وقد تحدثنا فيما تقدم فى مقدمة المجلد الأول من كتاب الإحاطة عن هذا الكتاب وعمّا يوجد
 من مخطوطاته . فليراجع هنالك .

وإلى هذا العهد صدر عنى من النظم والنثر بحال القلعة ، ومكان
الغمره ، رسايل إخوانية ، ومقطوعات أدبية ، نُثبتها إحماضا وإراحة ، لتعيد
مطالع هذا جماما ، أو تهدي إليه أنسا . والحمد لله على البأساء والنعماء

جَزَتْنِي غَرْنَاظَةٌ بَعْدَ مَا جَلَوْتُ مُحَاسِنَهَا بِالْجَلَا
وَلَمْ تُبَقْ جَاهَا وَلَا حَرَمَةٌ وَلَمْ تَبَقْ مَالًا وَلَا مَنْزِلًا
كَأَنِّي انْفَرَدْتُ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ وَجَرَدْتُ سَيْفِي فِي كَرْبِلَا
وَلَمْ أَجْنِ ذَنْبًا سِوَى أَنْبِي صَدَعْتُ بِأَمْدَاحِهَا فِي الْمَلَا
وَأَنِّي صَنَعْتُ فِيهَا الْغَرِيبَ فَصَرْتُ الْغَرِيبَ أَجُوبُ الْفَلَا
يَمِينًا لَقَدْ أَنْكَرْتُ مَا جَرَى نَفُوسَ الْوَرَى وَأَبْتَهُ الْعُلَا
وَمَا خَصَّنِي زَمَنِي بِالْعُقُوقِ فَسَكُم مِنْ فِئَاضِلِ مُبْتَلَا
أَنَّ ظَهَرَ نِعْمَةِ الْإِلَهِ عَلَيَّ فَأَلْبَسْتُ مِنْهَا حُلَا
أَنَّ قَرَّبْتَنِي الْمُلُوكَ الْكِرَامَ يُقَلِّدُ آخِرُهَا الْأَوَّلَا
وَأَنَّ مَكَّنْتَنِي مِنْ أَمْرِهَا فَشِمْتُ السُّيُوفَ وَصُنْتُ الطَّلَا
وَقَابَلْتُ بِالشُّكْرِ مِنْهَا الصَّنِيعَ وَحَاشَى لِمِثْلِي أَنْ يَغْفَلَا
فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَوْلَا أَنْوَفَا لَجَرَدْتُ مِنْ مِقُولِي مِنْصَلَا
يَقْدُ الدَّرُوعَ وَيُخْلِى الدَّمُوعَ وَيُلْقَى عَلَيَّ مِنْ عَدَا اللَّهِ رَكَلَا
فَيَتْرَكَ فِي النَّاسِ أَمْثَالَهُ تَجِدُّ عَلَيَّ رِغْمَ أَنْفِ الْبِلَا
وَلَا خَلَقَ أَجْهَلُ عَمَّنْ يَظُنُّ بِمَقْدَارِ مِثْلِي أَنْ يُجَسَّهَلَا
مَا رَكِبَتْ الدُّجَسَا إِذْ سَمَا يَقَلِّدُ لِلنَّجْمِ نَصْرَا كَلَا
وَكَانَ لِسَانِي سَيْفًا صَقِيلًا وَكَانَتْ يِرَاعِي قَنَا ذُبَلَا
وَلَكِنْ [لَيْتَهُ بِصَبْرٍ] جَمِيلُ قِضْمَاءِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ مُجْمَلَا
وَحَاسِبْتُ نَفْسِي فِي مَا أَمْرُ فَالْفَيْتَهُ الْبَعْضُ فِي مَا خَلَا

وَأَسْكَنْتَ نَارِي لِمَا دَعَا وَأَسْكَنْتَ يَا مَبِي لِمَا غَلَا
 سَلامَ عَلَيْهَا وَإِنْ أَخْفَرْتَ ذِمَامِي وَوَجَّزْتَ بِالْقَلَا
 وَأَلْبَسْتَهَا الْأَمْنَ سِتْرًا خَصِيفًا وَإِنْ هَتَكَتَ سِتْرِي الْمُسْبِلَا
 وَمِثْلِي يَبْقَى عَلَى عَهْدِهِ إِذَا أَعْرَضَ الْخِلُّ أَوْ أَقْبَلَا

[هذا وقد وردت القصيدة الآتية بعد القصيدة الأولى في النصف الأعلى
 من اللوحة الختامية لمخطوط الإسكوريال (لوحة ٥٠١) دون تقديم ولا تعريف .
 وهي آخر ما ورد في المخطوط] (١)

مِنْ حَاكِمِ بِي عَلَى الْفِرَاقِ حُكْمَ زِيَادٍ عَلَى الْعِرَاقِ
 بِيَدِي وَقَدْ خُتِمَتْ يَدَاهُ بِالْجُورِ فِي أَنْفَسِ رِقَاقِ
 وَعَاجِلِ النَّظْمِ بَانْتِثَارِ وَصَيْرِ الشَّمْلِ لِأَثْرِاقِ
 فَمَنْ أَكْفٌ عَلَى خُودِودِ وَمِنْ دَمُوعِ عَلَى تَرِاقِ
 وَأَيِّ حَالٍ إِلَى دَوَامِ وَمَا سِوَى اللَّهِ غَيْرُ بَاقِ
 يَا سَابِقَ الرُّكْبِ إِنْ نَفْسِي مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ فِي سِيَاقِ
 رَفَقًا عَلَى مُهْجَتِي فَإِنِّي قَدْ بَلَغْتُ رُوحِي التَّرِاقِ

(١) راجعنا السفر الثالث والأخير من كتاب « نفاضة الجراب » وهو المحفوظ بمكتبة الرباط العامة برقم 256 ك ، فلم نجد أثراً لهاتين القصيدتين اللتين هما بلا ريب من نظم ابن الخطيب ، حسبما ورد في الفقرة التي يقول الناسخ أنه نقلهما من « نفاضة الجراب » . والواقع أن ابن الخطيب قد ذكر في خاتمة هذا السفر الثالث من كتاب « النفاضة » . أنه يقف عند هذا الحد إلى أن تم الرحلة الحجازية التي كان ينوي القيام بها منذ أعوام طويلة ، وعندئذ يضيف إلى « نفاضة الجراب » قسماً جديداً يتحدث فيه عن مشاهداته . ولكن القدر لم يسمح بتحقيق هذه الأمنية . ونعتقد أن هذا الشعر قد نظم على الأغلب في وقت متأخر ، حينما لجأ ابن الخطيب إلى المغرب للمرة الثانية ، فأرأ عن وطنه ، ومغاضباً لسلطانه ، ومحتماً إلى كنف السلطان عبد العزيز المريني . وحين تفاقمت الحوادث بعد وفاة هذا السلطان ، وشعر ابن الخطيب بدنو آخره . وهذا ما تدل به إشارات ودلائل كثيرة ، مما ورد في هذا النظم ، من عتب على ما لقيه ابن الخطيب من نكران الصنعة والعقوق بالرغم مما أداه لوطنه من جلائل الخدمات ، وما يقاسيه من آلام البين والجداد ، وتفرق الشمل ، وهو يلتجئ في النهاية إلى رحمة الله ، التي لا يجد معولاً سواها .

ويارسول النسيم بُلِّغْ
 وسبق إلى سمعي حديثاً
 جرّني البين كأس حُزْنِ
 فلا أُنس سوى أدكارى
 ففى غنوى بها اصطباحى
 يا شقّة القلب ليت شعرى
 أو يقلع الدهر من عتاب
 طال على الظلام لما
 فيكذب الليل فى ارتحال
 ضابقتى الدهر فىك حتى
 فلم يكن فيه من سلام
 قد عجز النطق عن شجونى
 أقسمت حقاً بخير هاد
 لو خيّرت فى الوجود نفسى
 إن بطش الدهر بى وأبدي
 فكم هلال رأيت بـدراً
 يا من على فضله اعتمادى
 إن لم تجد منك لى برحمتى
 بحسيرة الحى ما ألاق
 من أرضهم طيب المساق
 بَعْدَهُمْ مُرَّةَ الْمَذَاقِ
 ولا جليس اشْتِياقِ
 وفى رواحى بها اغْتِياقِ
 هل يصح شملٌ فى اتِّساقِ
 أو يُطلق الشوق من وثاقِ
 ضنّ مُحِيَّاسِكَ بِالتَّلَاقِ
 وَيَمْتَطِلُ الْفَجْرَ بِانْتِشَاقِ
 فى مَوْفِ الْبَيْنِ وَالْفِرَاقِ
 ولا كلام ولا اعتناقِ
 قد بلغ الماء للنُّطَاقِ
 سَرَى إِلَى اللَّهِ بِالْبُرَاقِ
 ما اختبرتُ بها سوى التَّلَاقِ
 سَجِيَّةَ الْغَدْرِ وَالنُّفَاقِ
 أفلت من ظلمة المحاق
 يا مَنْ بِأَسْبَابِهِ اعْتِلاَقِ
 ما لى فى الخلق من خِلاَقِ

تم بحمد الله

فهارس المجلد الرابع

من كتاب الإحاطة

صفحة

- ١- فهرست التراجم ٦٤٢
- ٢- فهرست الرسائل والقطع النثرية ٦٤٨
- ٣- فهرست الشعر والشعراء... .. ٦٥٠
- ٤- فهرست الكتب والرسائل التي ورد ذكرها خلال الكتاب... .. ٦٥٦
- ٥- فهرست القبائل والطوائف والدول ٦٦٠
- ٦- فهرست البلدان والأماكن ٦٦١
- ٧- فهرست الأعلام ٦٦٦
- ٨- فهرست التصحيحات ٦٨٢

فهرست التراجم

صفحة

٣	مقدمة
١١	عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم ... بن محمد الحضرمي
١٨	عبد المهيم بن محمد الأشجعي البلذوي
٢٠	عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملوذي
٢٦	عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الأسدي العراقي
٢٨	عبد القادر بن عبد الله بن عبد الملك بن سوار الحاربي
٢٩	عبد الأعلى بن معلا ..
٣٠	عبد المنعم بن علي بن عبد المنعم ... بن سدرای بن طفيل
٣١	عبد الحق بن إبراهيم بن محمد ... بن سبعين العكي
٣٨	عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر ... بن أذفونش
٤٢	عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي
٥١	عثمن بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن
		علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبد الله ... بن حسن بن
٥٦	علي بن أبي طالب
٥٨	علي بن يوسف بن تاشفين بن توحرت
٦٠	عتيق بن زكريا بن مول التجيبي
٦١	عمر بن يحيى بن محلي البطوي
٦٤	عامر بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق ..
٦٧	علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق
٧٠	علي بن مسعود بن علي بن أحمد ... بن مسعود الحاربي
٧٣	علي بن لب بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي
٧٤	علي بن يوسف بن محمد بن كاشة
٧٧	عثمن بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق بن يحيو

- ٨٠ عتيق بن أحمد بن محمد بن يحيى الغساني
- ٨٢ علي بن محمد بن توبة
- علي بن عمر بن محمد بن مشرف بن محمد بن أضحى ... بن عبد شمس
- ٨٣ ابن الغريب الهمداني
- ٨٦ عثمان بن يحيى بن محمد بن منظور القيسي
- ٨٨ علي بن أحمد بن الحسن المذحجي
- ٨٨ علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي التباهي المالقي
- ١٠٠ علي بن أحمد بن خلف بن محمد بن الباذش الأنصاري
- ١٠١ علي بن محمد بن دري
- ١٠٤ علي بن عمر بن إبراهيم بن عبد الله الكنانى القيحايطي
- ١٠٧ عمر بن عبد المجيد بن عمر الأزدي
- ١٠٩ عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموي
- ١١١ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب
- ١١٦ علي بن إبراهيم بن علي الأنصاري المالقي
- ١٢٠ علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي
- ١٢٢ علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي
- ١٢٥ علي بن محمد بن سليمان ... بن حسن الأنصاري (ابن الجياب)
- علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد ... بن عبد الله
- ١٥٢ ابن سعد بن عمار بن ياسر
- ١٥٨ علي بن عبد الرحمن بن موسى بن جودى القيسي
- ١٦٠ عمر بن خلاف بن سليمان بن سلمة
- ١٦١ علي بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمر الغساني
- ١٦٣ علي بن محمد بن علي بن هيثم الرعيني
- ١٦٧ علي بن محمد بن علي بن البنا
- ١٦٩ علي بن محمد بن علي العبدى

صفحة

- ١٧٣ هلى بن عبد العزيز بن الإمام الأنصارى
- ١٧٤ هلى بن إبراهيم بن على بن إبراهيم الجذامى
- ١٧٥ على بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك الفزارى
- ١٧٦ على بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصارى
- ١٧٧ على بن أحمد بن محمد بن أحمد بن على بن أحمد الحشنى
- ١٨١ على بن أحمد بن محمد بن يوسف بن مروان بن عمر الغسانى
- ١٨٣ على بن صالح بن أبى الليث الأسعد بن الفرج بن يوسف
- ١٨٤ على بن أبى جلا المكناسى
- ١٨٥ على بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن على بن سمحون الهلالى
- ١٨٦ على بن محمد بن عبد الحق الزروبلى
- ١٨٧ على بن محمد بن على بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن يحيى الغافى
- ١٩٠ على بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصارى
- ١٩٢ عمر بن على بن عفرون الكلبى
- ١٩٤ هلى بن يحيى الفزارى
- ١٩٦ عتيق بن معاذ بن عتيق بن مقدم بن سعيد بن يوسف بن مقدم الحميرى
- ١٩٧ على بن على بن عتيق بن عبد العزيز الهاشمى
- ٢٠١ هلى بن أحمد بن محمد بن عثمان الأشعرى
- ٢٠٥ على بن عبد الله النيمرى الششرى
- ٢١٦ عامر بن محمد بن على الهنتانى
- ٢٢٠ عاشر بن محمد بن عاشر بن خلف بن رجا بن حكم الأنصارى
- ٢٢١ عياض بن محمد بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبى
- ٢٢٢ عياض بن موسى بن عياض بن موسى بن عياض اليحصبى
- ٢٣٠ عقيل بن عطية بن أبى أحمد جعفر بن محمد بن عطية القضاعى
- ٢٣١ عاصم بن زيد بن يحيى بن محمد التيمى ثم العبادى الجاهلى
- ٢٣٥ عيسى بن محمد بن أبى عبد الله بن أبى زمنين المرى

٢٣٥ عيسى بن محمد بن عيسى بن عمر بن سعادة الأموى
٢٣٦ غالب بن أبى بكر الحضرمى
	غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن خفاف بن أسلم
٢٣٧ ابن مكتوم المحاربى ، أبو بكر
٢٣٩ غالب بن حسن بن غالب بن سيدبونه الخزاعى
٢٤٠ غالب بن على بن محمد التميمى الشقورى
٢٤١ فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر
٢٤٦ فرج بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر
٢٤٧ فرج بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر
٢٤٨ الفتح بن على بن أحمد بن عبيد الله الكاتب المشهور
٢٥٣ فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبى
٢٥٦ فضل بن محمد بن على بن فضيلة العافرى
٢٥٨ فلوج العليج
٢٥٩ قاسم بن عبد الله بن محمد الشاط الأنصارى
٢٦٢ قاسم بن عبد الكريم بن جابر الأنصارى
٢٦٣ قاسم بن يحيى بن محمد الزروالى
٢٦٥ قرشى بن حارث بن بشير بن معاوية بن عبد الرحمن الهمدانى
٢٦٧ قاسم بن أحمد بن محمد بن عمران الحضرمى
٢٦٨ قاسم بن نخضر بن محمد العامرى
٢٧٠ سوار بن حملون بن عبده بن زهير بن ديسم
٢٧٣ سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر
٢٧٤ سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان
٢٧٥ سعيد بن سليمان بن جودى السعدى
٢٧٧ سهل بن محمد بن سهل بن إبراهيم بن مالك الأزدى
	سليمن بن موسى بن سالم بن حسان بن أحمد بن عبد السلام الحميرى
٢٩٥ الكلاعى (أبو الربيع بن سالم)

صفحة

٣٠٩	سلمون بن علي بن عبد الله بن سلمون الكنتاني
٣١٠	سعيد بن محمد بن إبراهيم بن عاصم بن سعيد الغساني
٣١٣	سهل بن طلحة
٣١٤	سالم بن صالح بن علي بن صالح بن محمد الهمداني
٣١٥	هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله
٣١٧	هاشم بن أبي رجاء الإلبيري
٣١٨	يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر
٣٣٩	يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع
٣٤٠	يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد ... بن عرفة النخعي
٣٤٤	يحيى بن علي بن غانية الصحرأوى ، الأمير أبو زكريا
٣٤٧	يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت الصنهاجي ثم اللمتوني
٣٥٣	يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر
٣٥٤	يوسف بن عبد المؤمن بن علي
٣٥٥	يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو
٣٥٧	يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن بكر بن حمامة ... بن كرناطة بن مرين
٣٦١	يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى بن شريفين
٣٦٣	يحيى بن طلحة بن محلى ، الوزير أبو زكريا
٣٦٤	يحيى بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحكيم النخعي
٣٦٥	يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق
٣٧١	يوسف بن هلال
٣٧٢	يحيى بن عبيد الله بن يحيى بن كثير بن وسلاسن المصمودي
٣٧٤	يحيى بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري
٣٧٥	يوسف بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري
٣٧٦	يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح الجذاري المنتشافري
٣٨٩	يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي

٤٠٠	يحيى بن عبد الكريم الشنتوفى
٤٠٤	يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن محمد بن قاسم الفهرى
٤٠٦	يحيى بن محمد بن يوسف الأنصارى
٤١٤	يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التطيلي الهذلى
٤١٦	يحيى بن بى
٤١٧	يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجير الفهرى
٤٢٠	يوسف بن محمد اليحصبي اللوشى
٤٢١	يوسف بن على الطرطوشى
٤٢٤	يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن على الأنصارى
		يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن محمد بن خير بن
٤٢٥	أسامة الأنصارى النجارى
٤٢٦	يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى
* * *		
٤٣١	بيان تكميلي عن مخطوط الإسكوريال
٤٣٨	ترجمة ابن الخطيب مكتوبة بقلمه
٤٣٩	أوليته ومراحل حياته الأولى
٤٤٧	ذكر بعض ما صدر له من التشریفات الملوکیة
٤٥٥	ذكر مشيخته
٤٥٧	ذكر تواليفه
٤٦٢	الشعر (وتراجع أماكن قصائده ومقطوعاته فى فهرس الشعر)
٥٢٦	رسائل مختلفة بقلمه (وتراجع فى فهرس الرسائل والقطع الثرية)
٦١٤	رسالة السياسة
٦٣٥	مصرع ابن الخطيب

فهرست الرسائل والقطع النثرية

صفحة

- ٣٦ وصية عبد الحق بن سبعين العكي لتلاميذه وأتباعه
مرسوم بقلم عمر بن محمد بن مسلمة التجيبي ، المتوكل بن الأفتس ، بتعين
- ٤٥ ابن خيرة واليا لأشبونة
رسالة سلطان الأندلس يوسف أبي الحجاج في تهنته عثمان بن عبد الرحمن
- ٥٣ ابن يغمراسن سلطان تلمسان وتجديد الحلف معه بقلم ابن الخطيب
رسالة ابن الخطيب من سلا إلى علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو
- ٦٨ ابن عبد الحق
رسالة أبي الحسن النباهي الماتقي في وصف نخلة بإزاء باب الحمراء ...
- ٩٥ رسالة تجمع بين النظم والنثر لعل بن محمد بن هيصم الرعيني ...
- ١٦٣ رسالة الشيخ الصوفي أبي علي بن تادرت إلى الشيخ أبي الحسن الششتري
- ٢١٢ رسالة أبي الحسن الششتري في الرد على أبي علي بن تادرت ...
- ٢١٤ خطبة للإمام أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ...
- ٢٢٦ ما كتب نثراً على قبر الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر
- ٢٤٤ نص مرسوم للفتح بن علي بن أحمد (الفتح بن خاقان) عن بعض الأمراء
بتعيين صاحب الشرطة ...
- ٢٥١ رسالة لسهل بن محمد بن سهل بن مالك الأزدي يخاطب بها بني الوليد
- ٢٨٢ ابن رشد تعزية في وفاة أبيهم
الجانب النثري من رسالة ابي عبد الله بن الجنان في تعزية بني سهل بن مالك
- ٢٩٠ الأزدي
خطاب سعيد بن محمد بن سعيد الغساني إلى ابن الخطيب يشفع في ولده
- ٣١٢ وقد وجد عليه
رسالة السلطان يوسف أبي الحجاج إلى السلطان أبي عنان في العزاء والهناء
- ٣٢٤ مكتوبة بقلم بن الخطيب

- ٣٣٣ ماكتب نثراً على قبر السلطان يوسف أبي الحجاج... ..
نص الظهير الصادر بتعيين شيخ الغزاة يحيى بن عمر بن رحو من إملاء
- ٣٦٨ ابن الخطيب
- ٣٧٧ رسالة ابن الخطيب إلى يوسف بن موسى المتشافري يشيد به وبصفاته
- ٣٧٨ رد يوسف بن موسى المتشافري على ابن الخطيب
رسالة بقلم يحيى بن عبد الكريم الشتوفى عن أمير المسلمين أبي يوسف
- ٤٠١ يعقوب عند نزوله غازياً بظاهر شريش... ..
- ٤٢٩ رسالة ليحيى بن إبراهيم البرغواطى
ظهير صادر من السلطان محمد الغنى بالله إلى وزيره ابن الخطيب يحسبه
- ٤٤٧ بما فتح الله عليه من استرداد ملكه
ظهير آخر صادر منه إلى ابن الخطيب بتجديد رياسته وتلقيه بنى
- ٤٤٩ الوزارتين ورد أملاكه إليه
- ٤٥١ ظهير من السلطان أبي سالم إلى ابن الخطيب يبيح له زيارة العمالات المغربية
ظهير صادر من السلطان محمد بن عبد الله بن أبي الحسن إلى ابن الخطيب
- ٤٥٣ بتثبيت مرتباته وامتيازاته
- ٥٢٧ رسالة بقلم ابن الخطيب إلى التربة النبوية المقدسة عن السلطان أبي الحجاج
- ٥٣٧ رسالة أخرى بقلمه إلى التربة النبوية المقدسة عن السلطان الغنى بالله
- ٥٦١ رسالة بقلمه بفتوح السلطان الغنى بالله إلى صاحب تونس... ..
- ٥٩٣ رسالة من ابن الخطيب إلى ابن خلدون
- ٦٠٠ رسالة من ابن الخطيب إلى أبي زكريا يحيى بن خلدون
- ٦٠٥ رسالة منه إلى أولاده بالمنكب

فهرست الشعر والشعراء (١)

صفحة	صفحة
١١٤	ابن الابار القفصاعى ابو عبد الله
١١٥	أما بأشلاء الملا والمكارم ٣٠٤
١١٥	ابن ادعى . على بن عمر بن محمد الهمداني
٢٥٠	ومستشفع عندي بخير الوري ٨٤
	أتتني أيا نصير نتيجة خاطر ٨٤
	يا عليا بمضمرات القلوب ٨٥
	ابن الامام الانصارى على بن عبد العزيز
	يا ليت شعري والأمانى كلها... .. ١٧٣
	تسمو بالمعارف والمعالى ١٧٣
	ابن الباشى على بن أحمد بن خلف
	أصبحت تقعد بالموى وتقوم ١٠١
	ابن البناء على بن محمد بن على
	هو الملا جرى باليمن طائرته ١٦٧
	يا ممدن الفضل موروثا ومكتسبا ١٦٨
	هاكها ضمرا مطايا حسانا ١٦٩
	ابن جودى القيسى على بن عبد الرحمن
	خليل من نعمان بالله عرجا ١٥٩
	أدر كأس المدام فقد تنفى... .. ١٥٩
	سقى الله دهرا ضم شمل موده ١٥٩
	ابن حزم على بن احمد بن سعيد
	هل الدهر إلا ما عرفنا وأدركنا ١١٤
	الشمس في جو العلوم منيرة ١١٤
وذى عدل فيمن سباني حسنه ١١٤	
لين أصبحت مرتحلا بشخصى ١١٥	
يقول أخى شجاك رحيل جسم ١١٥	
ابن خاقان اللتج بن على	
أكمة علياء وهضبة سؤدد ٢٥٠	
ابن الخطيب السلماي لسان الدين	
يا جملة الفضل والوفى ٦٨	
أدونا وضوء الأفق قد صدح الفضا .. ١٣٨	
ما للبراع خواضع الأعناق ١٤٧	
يا حسنها من أربع وديار ٢١٧	
وحل فيها عابد الرحمن ٢٢٩	
ألا حدثاني فهى أم الغرائب ٢٣١	
يحبيك بالريحان والروح من قبر ٢٣٥	
العمر يوم والمنى أحلام ٢٣٦	
حتى إذا الله إليه قيضه ٢٥٧	
تبوأ هذا الأمر عبد الحق ٢٦٠	
حمدت على فرط المشقة رحلة ٢٧٨	
تخلصت منها نكبة مصحفية ٤٤٣	
قالوا لخدمته دعالك محمد ٤٤٣	
والكون إثراك نفوس الورى ٥٢٠	
هل كنت تعلم فى هبوب الريح ٤٦٠	
تألق نجديا فأذكرنى نجدا ٤٦٣	
ما على القلب من بعدكم من جناح ٤٦٧	
أبدى لداعى الفوز وجه منيب ٤٧١	
شحطت وفود الليل بأن به الوخط ٤٧٧	
تعلقته من دوحة الجود والبأس ٤٨٣	

(١) نورد هنا أسماء الشعراء مرتبة على حروف المعجم ، ونشير إلى شعرهم بإيراد الشطرة الأولى من البيت الأول من كل قصيدة أو مقطوعة من المنظوم .

صفحة

- بنفسى وما نفسى على بيته ٥٩٢
- ابن دراج القسطل ابو عمر
لملك يا شمس عند الأصيل ٥٧
- ابن زكريا الانصارى على بن عبد الله
صعدت نارقواذى آدمى ١٧٧
ولى همة من دونها كل همة ١٧٧
- ابن سبعين الكلى عبد الحق بن ابراهيم
كم ذا تموه بالشعيرين والملم ٣٧
- ابن سوار المطاوي عبد القادر بن عبد الله
لا تياسن من رجا كهف الملوك ٢٩
- ابن العريفى يحيى بن محمد الانصارى
أشكو الغليل بحيث المشرب الخضر ٤٠٧
ركبت خيلها جيوش الضلال ٤٠٩
يا أيها الملك الذى يتقنع ٤١٠
- ابن عبيد بن ابراهيم ابو عمر احمد بن محمد
وله يوم بلى وقعة لم ٤١
- ابن عبدون ابو محمد عبد المجيد
الدهر يفجع بعد المين بالأثر ٤٧
فأين العجب يا أذقونش هلا ٣٥١
- ابن عتيق الهاشمى على بن علي
كتابك ذا من هوته المفاخر ٢٠٠
- ابن غفرون الكلبى عمر بن علي
حب الملوك من آل نصر دينى ١٩٣
- ابن لب التلقبى فوج بن قاسم
خنوا الهوى من قلبى اليوم ما أبقا ٢٥٤
ألزمت يا شهر الصيام وحيلا ٢٥٥

صفحة

- أما وخيال فى المنام يزور ٤٨٤
عسى خطرة بالركب يا حادى الميس ٤٨٦
لنا فى الفخر سيمة مطلة ٤٩٠
أسايلكم هل من خير سلوان ٤٩١
جهاد هوى لكن بغير ثواب ٤٩٥
سبق القضاء وأبرم المحتوم ٤٩٧

ومن القطوعات

- ناديت دمعى إذ جد الرحيل ٤٩٧
كتبت بدمع عيني صفح خلى ٤٩٧
ولما رأت عزمى حثيثاً على السرى ٤٩٨
مضجى فيك عن فتادة يروى ٤٩٨
حين ساروا عني وقد خنتنى ٤٩٨
قال لى والدموع تسيل سحبا ٤٩٨
مكناسة جمعت بها زمر العدا ٤٩٨
قلت لما استقل مولاي زرعى ٤٩٨
أشكو إلى الله الصبر من أبناء يعقوب ٤٩٩
جلس المولى لتسليم الورى ٤٩٩
سألنا ربيع العام لعام رحمة ٤٩٩
لما رأوا كلفى به ورددوا ٤٩٩
أنا كافر وسواى فيه بماذل ٤٩٩
أشكو لمبسه الحزين وقد حمى ٥٠٠
ركب السفينة واستقل بأفقها ٥٠٠
يامالكى بخلال تهدى ٥٠٠
قلت وقد ألبس جسمى الفستا ٥٠٠
أشكو إلى الله من بئى ومن شجنى ٥٠٠

بقية القطوعات

من ص ٥٠١ إلى ص ٥١٠

- إذا فاتنى ظل الحمى وتعيه ٥٢٧
دعاك بأقصى المغربين غريب ٥٣٤
خذ من رمانك ما تيسر ٥٩٠
أنظر خضاب الشيب قد فصلا ٥٩٣

صفحة

ابو الحسن الششتري على بن عبد الله
لقد هت عجبا بالتجرد والفقير ... ٢٠٧
من لامي او انه قد ابمرا ... ٢٠٨
أرى طالبا منا الزيادة لا الحسى ... ٢٠٨

ابو الحسن النباهي على بن عبد الله

بنفسى من غزلان غزوى وغزالة .. ٩٠
وقائلة لما رأت شيب لمتى ... ٩١
فديتك لا يهدى إليك أجل من ... ٩١
أبدى لنا من ضروب الحسن أفنانا ... ٩١
لك الله قلبى فى هواك رهين ... ٩٢

ابو الربيع بن سالم سليمان بن موسى

أحن إلى نجد ومن حل فى نجد ... ٢٩٧
توالت ليالى للنواية جون .. ٢٩٨
أمولى الموالى ليس غيرك لى مولى ... ٢٩٩

ابو عبد الله بن ابي الحصال

عتاب وما يهنى العتاب على الزمن ... ١٠٣

ابو عبد الله بن جزى

ألم تر أن انجد أنوت معاذه ... ١٤٩

ابو عبد الله الجليانى

كل علم يكون للمرء شغلا .. ٣٨٦

ابو عبد الله بن الجنان

دعوتى وتسكاب الدعوى السوايك . ٢٨٦

ابو فارس عزوز . عبد العزيز الملزوزى

سره يعقوب بن عبد الحق .. ٣٥٩

ابو محمد بن برطلة

أسلمى للبلاد وحيدا ... ١٩٨

صفحة

ابن مسعود الالبيرى ابواسحق

بعل بن ثوية فاز قدحى ... ٨٢
قالوا ألا تستجيد بيتنا ... ٣١٧

ابن مكتوم الطاربي غالب بن عبد الرحمن

كن بنى صايد مستأنساً ... ٢٣٨
كيف السلولى حبيب هاجر ... ٢٣٨

ابن منظور القيسى شمن بن يحيى

قد جمع الحكم وفصل الخطاب ... ٨٧

ابن هيقم الرعيشى على بن محمد

وادع مثنوى المقام معترما ... ١٦٤
عجبا للزمان عق وعاقا ... ١٦٥

ابو بكر بن سواد

ملك الملوك وما تركت لعامل ... ٢٥٣

ابو الحجاج الساحل يوسف بن ابراهيم

حاشاك أن تمرض حاشاكا ... ٤٠٥

ابو الحسن بن الجباب على بن محمد بن سليمان

جرىنا على الزلات غير مفكر ... ١٢٨

هات اسقى صرفا بغير مزاج ... ١٢٨

لمن المطايا فى المراب سواجبا ... ١٣٠

زارت تيجر ونحوه أذيالها .. ١٣٣

هو البين حتما لالعل ولاعى ... ١٣٥

سقانى فأهلا بالسقاية والعناق ... ١٣٧

ألا حيدا ذلك العتاب الذى مضى .. ١٣٨

أهزلا وقد جدت بك اللمة الشملاء ... ١٤٠

أقسم بالقيسين والتابعتين .. ١٤٢

ومن المقطوعات الأمتاز

ص ١٤٣ - ١٤٧

عبد المهين بن محمد الأشجعي البلخي	
أما على ذي شرك ١٩	
عبد المهين بن محمد بن عبد المهين الحضرمي	
ترامى سحيرا والنسيم عليل ١٤	
سقى ثرى سبتة بين البلاد ١٧	
عثمن بن سعيد بن عثمان الأموي	
يا راكبا يبغى الجنب الأشرقا ٨١	
عثمن بن سعيد بن عثمان الأموي	
قد قلت إذ ذكروا حال الزمان وما ١١٠	
عقيل بن عطية القضاعي	
ملوك دون بابكم وقوف ٢٣٠	
علي بن إبراهيم الانصاري المالقي	
رحمك رحماك في قلب يقلبه ١١٨	
لمحمد البرقاء حسن باهر ١١٩	
أنسيانا فديتك يا حياق ١١٩	
علي بن أحمد بن عثمان الأشعري	
في كل واحدة منهن أسرار ٢٠٤	
علي بن أحمد بن عمر الفسائي	
قل الله نستفتح من أسبائه الحسنى ١٨٣	
علي بن أحمد بن محمد الحشمي	
أرى لك في الهوى نظرا مرييا ١٧٨	
الآن تطلب ودها ووصالها ١٧٨	
علي بن أحمد بن يوسف الفسائي	
أيها كريم الم تضح ١٦٢	
علي بن عمر الكنانى القيحاوي	
روض الأشيب تفتت أزهاره ١٠٥	

أبو المغنبي - عاصم بن زيد	
خضمت أم بناتي للمدا ٢٣٣	
ماذا نسائل عن مواقع معشر ٢٣٤	
سعيد بن سليمان بن جردى السحدي	
قد طلبنا بثأرنا فقتلنا ٢٧٥	
سعيد بن محمد ابن إبراهيم الفسائي	
لما نأوا في الظاعنين وساروا ٣١١	
سليمن بن الحكم بن سليمان بن الناصر	
عجبا يهاب الليث حد سناني ٢٧٢	
سهل بن طلحة	
ياحبذا دار لزئيب بالوى ٢١٤	
سهل بن محمد بن سهل بن مالك	
نهارك في بحر السفاهة تسبح ٢٧٩	
يلقاك من كل من يلقاك ترحيب ٢٧٩	
لما حطمت بسبحة قتب النوى ٢٨١	
تبسم واستأثرت منه بقبلة ٢٨١	
سوار بن حملون بن عبده	
صرم الغواني ياهتيد مودتي ٢٧٢	
عبد الرحمن بن محمد بن مغاور	
أيها الواقف اعتبارا بقبرى ٢٠٣	
عبد العزيز بن عبد الله الاسدي المراقبي	
صرفت لخير صدر في الزمان ٢٦	
عبد العزيز بن عبد الواحد الملزوزي	
اليوم يوم نزهة وعقار ٢٢	
أعلمت بمدك زفراتي وأنبى ٢٢	
ياظلية الوعاء قد برح الحفا ٢٣	
سهم المنية أين منه فرار ٢٥	

صفحة

- قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاف
فصل الجمال على الكمال بخذه ... ٢٦٠
وغزال أنس سل من الحياظه ... ٢٦١
قاسم بن عبد الكريم بن جابر الأنصاري
إن أطلع الشرق شمس دنيا ... ٢٦٢
قاسم بن محمد بن الجند العمري
أرى أوجه الأيام قد أشرقت بشرا ... ٢٦٦
من أين أتيت يا نسيم ... ٢٦٦
قرشي بن حارث بن اسد الهمداني
هجرت القوافي والنظا الأوانسا ... ٢٦٥
يعحي بن احمد هذيل التجيبي
ألا استودع الرحمن بدرا مكلاما ... ٣٩٢
وصالك هذا أم تحية بارق ... ٣٩٢
بدا بدر تم فوقه الليل عسما ... ٣٩٢
رويت ولوعى من ضلوعى مسلسلا ... ٣٩٢
نام طفل النبي في حجر النعاشي ... ٣٩٣
أرجو أمانا منك والحظ غادر ... ٣٩٤
بيحى البنود الحمر والأسد الورد ... ٣٩٦
وظنوا بأن الرعد والصق في السما ... ٣٩٦
أعاشر قوما تهر نفوسهم ... ٣٩٧
أيا صديقا جعلته سندا ... ٣٩٨
طرقنا ديور القوم وهنا وتغليا ... ٣٩٩
هنت لنا من وحش جرة ظبية ... ٤٠٠
يعحي بن بقي
بأبي غزال غازلته مقلتي ... ٤١٨
يعحي بن طلحة بن محل
أنا ابن طلحة ولا أبال ... ٣٦٤
يعحي بن عبد الجليل ... بن مجير النهري
له خطت الخيل المتاق كأنها ... ٤٢٠
أعلمتني ألقى عصا التسيار ... ٤٢٠

صفحة

- حمام حمام فوق أيك الأسي تشدر ... ١٠٧
علي بن محمد بن عبد الحق العقيل
يا مهدي الدر الثمين منظما .. ١٢٣
حليث المغاني بعدهن شجون ... ١٢٣
علي بن محمد بن علي المبدري
أسافرة النقاب سحرت لما ... ١٧١
مالي إذا غيم تهي لفرقتكم ... ١٧١
ألا إن باب الله ليس بمنلق ... ١٧٢
علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد
كأنما النهر صفحة كتبت ... ١٥٤
يا أيها الملك الذي هيائه ... ١٥٤
الناصر الملك الذي عزماته ... ١٥٦
من آل أيوب الذين هم هم ... ١٥٦
علي بن يحيى الزاوي
ليابك أم الأملون ويمموا ... ١٩٤
وما كنت عن ذكر الأوجه ساليا ... ١٩٥
عمر بن خلاف بن سليمان بن مسلمة
خلها إليك أبا إسحق تذكرة ... ١٦٠
أبا جعفر وافتك في صفحة الطرس ... ١٦١
عمر بن محمد بن مسلمة التجيبي ابن الإفطس
فا يالم لا أنم الله يالم ... ٤٣
بعثت إليك جناحا قطر ... ٤٤
أقبل أبا طالب إلينا ... ٤٤
عياض بن موسى اليحصبي
يا من تحمل عنى غير مكرث .. ٢٢٥
يا راحلين وبالفؤاد تحملوا ... ٢٢٥
انظر إلى الزرع وخاماته ... ٢٢٦
غالب بن عطية أبو بكر
جفوت أنا ما كنت إلف وصلهم ... ٣٧٦

يوسف بن محمد اليحصبي اللوشي

شرد النوم عن جفونك وانظر ... ٤٢١ ...

ليس المرء اختيار في الذي ٤٢١ ...

يوسف بن موسى بن سليمان التشارقي

حباك قزادي نبل بشرى وأحياكا ... ٣٧٩ ...

لما تنهى الصب في ثويقه ... ٣٨١ ...

هواكم بقلبي لأحكامه نسخ ... ٣٨٤ ...

إليك نحن النجب والنجباء ... ٣٨٥ ...

يا من بدنيا ظل في ليج ... ٣٨٦ ...

ورد المشيب مبيضا بوروده ... ٣٨٦ ...

لوعة الحب في قزادي تماصت ... ٣٨٦ ...

بعض اصحاب عياشي

أيا مكرها هني وآت مجفوة ... ٢٢٩ ...

ما نقش نظما على قبر السلطان أبي الحجاج ... ٢٤٤ ...

شاعر مجهول

هيك كما تلعي وزيراً ... ٣١٦ ...

يعقوب عبد الله بن أبي عزة اللخمي

الآن عاد إلى الإمامة نورها ... ٣٤٢ ...

وسرب ضمهم دست سثير ... ٣٤٣ ...

يعقوب بن عبد الكريم الششتوفى

مالي والصبر عنى دونكم حجبا ... ٤٠٣ ...

يوسف بن إبراهيم النهري

أجزت لهم أبقاهم الله كلما ... ٤٠٦ ...

يعقوب بن محمد بن عبد السلام التطيلي

أذوب حياه إن تذكرت زلتى ... ٤١٥ ...

كلام ابن رشد لا يبين رشاده ... ٤١٦ ...

يعقوب بن محمد بن عبد العزيز البرشاني

إذا كان أنسى في لزوى وحلقى ... ٤٢٦ ...

يوسف بن رموان بن يوسف بن رموان

إلهى خدى في التراب تذلا ... ٤٢٥ ...

يوسف بن علي الطرطوشى

رضاكم أن منتهم خير مرهوب .. ٤٢٣ ...

فهرست الكتب والرسائل التي ورد ذكرها خلال الكتاب

انتشاق التسمات التجدية واتساق النزعات الجدية؛

٣٨٨

أنس الجليس ؛ ٨٦ .

أنوار البروق في تمقب مسائل القواعد والقروى ،

٢٦١

أنوار التحقيق والهداية ؛ ١٩٩

الأنوار الجلية في أخبار النولة المرابطية ،

لابن الصيرفي ؛ ٤٠٦

الآيات الينيات ؛ ٢٦٢

الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة لشرح الإسلام

في الواجب والحلال والحرام وسائر

الأحكام ؛ ١١٣

الإيضاح للفارسي ؛ ١٠١ ، ١٢٠ ، ١٢١ .

ب - ت

بد العارف (كتاب البد) ؛ ٣٤ ، ٣٥

بستان الدول ؛ ٤٥٩

بنية الباحث في معرفة مقامات الوارث ؛ ٨٧

التاج المحل في مساجلة القدر الممل ؛ ١٢٢ ،

٤٥٩ ، ١٢٦

تافه من جم ونقطة من يم ؛ ١٤٧

تبيين مسالك العلماء في مدارك الأسماء ؛ ١٧٦

تجريد رؤوس مسائل البيان وتيسير بلوغ

مطالعتها ؛ ٣٨٨

تحرير الجواب في توفير الثواب ؛ ٢٦١

تحريم سماع البراعة المسماة بالشبابة ؛ ٢٤٠

تحفة الوداد ونجمة الرواد ؛ ٢٩٧

تحقيق القصد السنّي في معرفة الصمد العلي ؛ ١٧٥

تذكرة الفارسي ؛ ١٢١

التذكرة في الطب ، لأبي زكريا بن هليل ؛ ٣٨٩

الأجوبة المهيبة على الأسئلة المتخيرة ، ٢٢٨

الأجوبة الينية ، ٣٥٤

الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٥٥ ،

٤٢١ - ٤٣٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٦٣٢

الإحكام لأصول الأحكام ؛ ١١٣

الإختبار والاعتبار في الطب ؛ ٣٨٩

الأربعون عن أربعين شيخاً لأربعين من الصحابة ،

٢٩٦

الأربعون السبعية ؛ ٢٩٦

أرجح الأرجاء في مزج الحرف والرجاء ؛ ٣٨٩

الأرجوزة الملوثة ؛ ٤٦٠

الأرجوزة المتمدة في الأغذية المفردة ؛ ٤٦٠

إرشاد لأبي المال ؛ ١٢١

أزهار الرياض في أخبار عياض ؛ ٤

الاستشفاء بالعدة والاستشمام بالعدة في تخميس

البردة ؛ ٣٨٨

إظهار تعديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل ،

١١٣

اعتلاق المسائل بأفضل الوسائل ؛ ٣٨٨

الإعلام بأخبار البخاري الإمام ؛ ٢٩٧

الإعلام بمجلود قواعد الإسلام ؛ ٢٢٨

الإعلام في استيحاء الرواية عن الأئمة الأعلام ؛ ١٧٦

اقتباس السراج في شرح مسلم بن الحجاج ؛ ١٨٢

الإكليل الزاهر ؛ ١١ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ،

١٩٢ ، ٢٦١ ، ٣١١ ، ٤٢٢ ، ٤٥٩

إكمال العلم في شرح مسلم ؛ ٢٢٨

الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع ؛ ٢٢٨

الامتثال لمثال المنهج في ابتداع الحكم وختراع

الأمثال ؛ ٢٩٧

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام
مذهب مالك ؛ ٢٢٨
- الترصيع في شرح مسائل التفرغ ؛ ١٨٢
- التعريف بلبن خلعون ورحلته غرباً وشرقاً ؛ ٤٤
- تفرغ ابن الجلاب ؛ ١٨٢
- التقريب إلى المطلق والمدخل إليه بالألفاظ العامة،
١١٣
- تقصي الأنبياء وسياسة الرؤساء ، لابن الصيرفي ؛
٤٠٦
- التكملة لكتاب الصلة ؛ ١٨٧
- التلقيحات للسهروردي ؛ ١٢١
- تنبيه المتعلمين على المقدمات والقصول في شرح
المهمات والأصول ؛ ١٧٦
- تهافت التفاهت ، لابن رشد ؛ ٤٠٥
- التهليل ؛ ١٨٧
- توجع الرائي في تنوع المرائي ؛ ٣٨٨
- ج - ز
- الجامع البسيط وبغية الطالب النشيط ؛ ٢٠٧
- جلوة الاقتباس ؛ ٤
- جنى الرطب في سنى الخطب ؛ ٢٩٧
- جهد التصحيح في معارضة المرعي في خطبة الفصيح، ٢٩٧
- حقائق بركات المنام في مرأى المصطفى خير الأنام ٣٨٨
- الحلل المرقومة في اللمع المنظومة ؛ ٤٦٠
- الحقبي في أغاليط القرطبي ؛ ١٠٩
- حلية الأمان في المراقبات الموالي ؛ ٢٩٧
- الديباج المذهب ؛ ٤٣٢
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ؛ ٢٢١، ٤٤
- الرايد لما تضمنته حديث أم زرع من الفوايد ؛
٢٨٨
- رجز الأغذية ؛ ٤٥٧
- رجز في مشيخة الراوية إلى عمر الطنجي ؛ ٣٨٨
- رجز السياسة ؛ ٤٥٧
- رجز الطب ؛ ٤٥٧
- الرجز في عمل الترياق ؛ ٤٦٠
- رسالة أبي زيد القيرواني ؛ ١٨٧
- رسالة السياسة ؛ ٦١٤ ، ٥
- رسائل الأبرار ودخائر أهل الخطة والإينار في
انتخاب الأدعية المستخرجة من الأغبيار
والآثار ؛ ١٧٦
- الرسالة العلمية ؛ ٢٠٧
- رقم الحلل في نظم النول ؛ ٣٥٧ ، ٣٦٠
- ريحانة الكتاب ؛ ٨٤٤ ، ٤٣١ ، ٤٢٣ ،
٦١١ ، ٤٥٧
- زواهر الأنوار ويواهر قوى البصائر والاستبصار
في شمائل النبي المختار ؛ ١٧٥
- س - غ
- السبعيات من حلهث الصدق ؛ ٢٩٦
- السحر والشعر ؛ ٤٥٧
- السلك المحل في أخبار ابن جلا ؛ ١٨٥
- السليمانيات والمريبات لابن هذيل ؛ ٣٩٠ ، ٣٩١
- السنن المشهور ؛ ٤٥٨
- الشافى في اختصار التيسير الكافي ؛ ٢٦٨
- شرح معاني التحية ؛ ١٨٤
- شرف المسند الصحيح لمسلم بن الحجاج ؛ ١٦٢
- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، ٢٠٠ ، ٢٢٨
- صبح الأعشى ؛ ٤
- الصحف المنتشرة في القطع المعشرة ؛ ٢٩٧
- صحيح مسلم ؛ ١٨٢
- صلة الصلة ؛ ٢٥٦
- الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد ، ١٥٣ ، ١٥٤
- طرفة العصر في دولة بني نصر ؛ ٤٤ ، ٢٢٣
- عايد الصلة ؛ ١١ ، ١٠٤٤ ، ١٢٥ ، ١٧٤ ،
١٧٧ ، ٢٣٦ ، ٢٦٣ ، ٤٠١ ، ٤٢٢٠ .
- العروة الوثقى ببيان السنن وإحصاء العلوم، ٢٠٧
- عنوان الدرارية فيمن عرف في المائة السابعة بمدينة
بجاية ؛ ٣٢ ، ٢٠٥ .
- المعارف والمعارف ؛ ٢٠٦

- كتاب الغنية ؛ ٢٢٨
 كتاب المرزومة ؛ ١٥٣
 كتاب المستصفي في أصول الفقه ؛ ٢٦٨
 كتاب المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة ،
 ٢٢٨
 كتاب المقتضب ، ١٠١
 كراسة الإمام فخر الدين الرازي ؛ ٣٩٠
 كفاية المحتاج ، ٤٣٢
 الكل والإحاطة ؛ ٣٥
 كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ٦
- ل - م
- لمح البيج ونفح الأريج في ترجيز ما لأبي مدين
 من حكمة وإشارات صوفية ؛ ٣٨٩
 السمحة البدرية ؛ ٤٥٧
 اللمع الجلية في كيفية التحدث في علم العربية ؛ ٨٧
 مجاز فنيا للحن للاحن المتحن ؛ ٢٩٧
 مختصر الإحاطة ؛ ٤٣١
 مدارك الحقائق في أصول الفقه ؛ ١٧٥
 المدونة ؛ ١٨٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣
 المراتب الإيمانية والإسلامية والإحسانية ؛ ٢٠٧
 مراتب العلوم وكيفية طلبها ؛ ١١٣
 المرقصات والمطربات ؛ ١٥٣
 مسألة الأهل المشترط فيهم التزاور ؛ ٢٢٨
 المستدرك ؛ ٣٦٩
 المسلسلات والإنشادات لأبي الربيع بن سالم ؛
 ٢٩٧
 مشارق الأنوار على صحيح الآثار ؛ ٢٢٨
 المشرق في حل المشرق ؛ ١٥٧
 مصباح الظلام ؛ ٢٩٦
 مصحف عثمان ؛ ٣٤٥
 مطمح الأنفس ؛ ٢٢٠
 المظفرى لابن الأقطس ؛ ٤٣

- عواطف الإعتاب في لطائف أسباب المتاب ؛
 ٢٨٨
 حور الأمانى المسفرات في نظم المكفرات ؛ ٢٨٨
 غنية الرايهي في علم الفرائض ؛ ٢٦١
 غنية الكاتب وبغية الطالب ؛ ٢٢٨

ف - ك

- فصل المقال في الموازنة بين الأعمال ؛ ٢٣١
 الفصل في الملل والأهواء والنحل ؛ ١١٣
 الفنون الستة في أخبار سبعة ؛ ٢٢٨
 قبول الرأي الرشيد في تخميس التوريات المنسوبة
 لابن رشيد ؛ ٣٨٨
 القفل والمفتاح في علاج الجسوم والأرواح ، ٢٣٦
 قلايد العقيان ؛ ٤٣ ، ٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
 ٢٥١
 قوت النفوس ؛ ٨٥
 الكافي لابن النحاس ؛ ١٠١
 كتاب ابن الحاجب ؛ ٢٦٨
 كتاب الأريمين ، لابن الخطيب ؛ ١٢١
 كتاب الاستدكار لأبي عمر بن عبد البر ، ١٧٤
 كتاب الأصول ؛ ١٠١
 كتاب الاكتفا في مغازي رسول الله ؛ ٢٩٧
 كتاب تخصيص القرب وتحصيل الأرب ، ٢٨٨
 كتاب الجمل ؛ ١٠١ ، ١٠٨
 كتاب خطب عياض ؛ ٢٢٨
 كتاب الدرر ؛ ٣٥
 كتاب السباعيات ؛ ١٧٦
 كتاب سيويه ؛ ١٢٠ ، ١٤١ ، ٢٦٨
 كتاب الشاطبية ؛ ٢٦٨
 كتاب الصفر ؛ ٣٥
 كتاب الصلة ؛ ٢٤٩
 كتاب العزلة ؛ ١٨٤

نيل الابتهاج ؛ ٤٣٢

ن - ي

نتائج الأفكار في إيضاح ما يتعلق بمسألة الأقوال

من الغوامض والأسرار ؛ ١٧٥

نزهة الأبيصار في نسب الأنصار ؛ ٨١

نزهة الأصفياء وسلوة الأولياء في فضل الصلاة

حل خاتم الرسل وصفوة الأنبياء ؛ ١٧٥

نسبة الذنب إلى الذاكِر ؛ ٤٢٧

نصيحة الحب الصميم وزكاة المتورر والمنظوم ؛

٢٩٧

نظم الحل في أرجوزة أبي علي ؛ ٨١

نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك ؛ ٢١

نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ؛ ٤٤ ، ٦ ، ٨

النفحة المسكية في الرحلة الملكية ؛ ١٥٨

نهج السالك للتفقه في ملهيب مالك ؛ ١٨٢

النورية في ترتيب السلوك ؛ ٣٥

اليوسن في الطب ؛ ٤٥٧

المعجم في شيوخ أبي سكرة ؛ ٢٢٨

المعجم في مشيخة أبي القاسم بن حبيش ؛ ٢٩٧

المعجم ممن وافقت كنيته زوجه من الصحابة ؛

٢٩٧

معيار الاختيار ؛ ٤٥٧

مغازي الثلاثة الخلفاء ؛ ٢٩٧

مفاضلة بين مائة وسلا ؛ ٤٥٧

مفاوضة القلب العليل ومنايذة الأمل الطويل بطريفة

أبي العلاء المرمرى في ملقى السبيل ، ٢٩٧

المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان ؛ ٢٢٨

المقاليد الوجدية في أسرار شارات الصوفية ؛

٢٠٧

المقامات الحريرية ؛ ٢٣١

ملاذ المستميد وعياذ المستمين ؛ ٣٨٨

منازل السابرين إلى الحق ؛ ٤٢٦

منهج السداد في شرح الإرشاد ؛ ١٧٥

الموطأ ؛ ١٨٢ ، ٣٠٢ ، ٣٧٢

ميدان السابقين وعليه الصادقين والمصدقين ، ٢٩٧

فهرست القبائل والطوائف والدول

- دولة الموصلين ؛ ٣٥٨
الروم ؛ ٣٤ ، ٦٠ ، ٧٤ ، ٣٢٢ ، ٣٤٩ ،
٤٠٧ ، ٣٥٨
زناقة ؛ ٣٥٧
الشوذية ؛ ٣٢
الصفوية ؛ ٢١٥ ، ٢٥٦
المعجم ؛ ٣٩ ، ٢٧٠
المرب ؛ ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ،
٢٣٩ ، ٢٧٧
عرب رياح ؛ ٣٥٨
الفرس ؛ ٤٨
الكتبانية ؛ ٤١
لمتونة ؛ ٣٤٧
المتونيون ؛ ٤٧
المرابطون ؛ ٣٤٧ ، ٣٥١
المسالمة ؛ ٢٧٠
المسلمون ؛ ٣٤ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٧٤ ،
٧٩ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٤٤ ،
٥٥٦ ، ٥٥٠ ، ٣٥١ ، ٥٣٥٠
مسوفة ؛ ٣٤٤ ، ٣٧٤
المصامدة ؛ ٢١٦ ، ٣٤٨
الملثمون ؛ ٨٦
ملكة غرناطة ؛ ٥
مملكة قشتالة ؛ ٥
الموحلون ؛ ١٧٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧-
المولتون ؛ ٣٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥
النصارى ؛ ٣٤ ، ٧٧ ، ٣٤٤ ، ٣٤٤ ،
٣٧١
اليمانيون ؛ ٣٣٩
- الإسلام ؛ ١١١ ، ٢٥٠ ، ٣٦٩ ، ٥٨٣ ، ٥٧٥ ،
الأشمريّة ؛ ٢٥٨
J. ذبيان ؛ ٤٨
الإيالة النصرية ؛ ٢٦٤ ، ٣١ ، ١٢٦ ، ١٩٢ ،
٣٢٠ ، ٣٤١ .
البرابرة ، البربر ؛ ٥٦ ، ٢٧٣ ، ٣٤٨ .
برغواطة ؛ ٣٤٨
بنو إشقيلولة ؛ ٦٢ ، ٣٥٩
بنو الأفلس ؛ ٤٧
بنو أمية ؛ ٣٩ ، ١١١ ، ٢٣١ ، ٢٧٧ ،
٣٢٩ ، ٣١٧
بنو حمامة ؛ ٣٦١
بنو رحو ؛ ٣٦٨
بنو زيان ؛ ٥٢ ، ٣٥٦
بنو ساسان ؛ ٤٨
بنو عمرو ؛ ٢١٩
بنو قحطبة ؛ ٢٧٠
بنو محلى ؛ ٣٥٩ .
بنو مرين ؛ ٦ ، ٥٥ ، ٧٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٨
بنو مسيرة ؛ ٢٧٠
بنو منظور ؛ ٨٦
بنو نصر ؛ ٥٥ ، ٦٢ ، ٣٦٥
بنو هاشم ؛ ٥٦
تيج ؛ ٣٢٧
الترك ؛ ٤٨
الجزر ؛ ٤٨
خولان ؛ ٤٨
الدولة الزيانية ؛ ٥٣
الدولة المرينية ؛ ١١

فهرست البلدان والأماكن

٢٩ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦١ ،
 ٤٦٤ ، ٦٧٠ ، ٧٥٤ ، ٧٨٠ ، ٨٠٠ ، ٨٣٠ ،
 ٩٦٠ ، ١١٠٠ ، ١٢١٠ ، ١٢٥٠ ، ١٦٣٠ ، ١٨٩٠ ،
 ٢٠٠ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢-٢٢٣ ،
 ٢٢٣ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ،
 ٢٥٠ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٧٠ ،
 ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ ،
 ٣٠٩ ، ٣١٧ - ٣١٩ ، ٣٢١ ،
 ٣٢٢ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ -
 ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٦ ،
 ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ - ٣٦٥ ،
 ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٨٩ ، ٤٠٦ ،

٤٢٤ ، ٤٢٦

أندوجر ؛ ٣٤٥ ، ٣٤٦

أنفا ؛ ١١٧ ، ٤٢٦

ب-ث

باب إلبيرة ، ٣١ ، ١٠١ ، ٢٣٧ ، ٤٠١ ،
 باب إيلان ؛ ٢٣٠ ،
 باب الحمراء ؛ ٩٥ ،
 باب السادة ؛ ١٦٧ ،
 الباب الشرق ؛ ٢٧١ ،
 باب القصير ؛ ١٨٨ ،
 باجة ؛ ٩٠ ، ٣٥٥ ،
 باغة ؛ ٢٢١ ، ٢٣٢ ،
 بجاية ؛ ١١٠ ، ٢٣٢ ،
 بجاية ؛ ٣١ ، ٦٦ ، ١٢٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ،
 ٢٤٠ ، ٢٧٨ ، ٢٤٢ ، ٤٠٤ ،
 البحر الرومي ؛ ٢١٦ ،
 بحر سبتة ؛ ١٨٨ ،

أبلة ؛ ٣٩ ، ٤٠ ، ١٩١ ، ٥٤٩ ، ٥٧٨ ،
 أرجان ؛ ١٥٧ ،
 أرجبة ؛ ٣٤١ ، ٤٢٤ ،
 أرجلونة (أرشدونة) ؛ ٣٩ ،
 أرملة ؛ ٦٤ ،
 أريبتيرة ؛ ١٦٢ ،
 إستجة ؛ ٤١ ، ١١٠ ، ٣٥٨ ،
 الإسكندرية ؛ ٣٠٢ ، ٥٧٨ ،
 الإسكوريال ؛ ٦ ،
 إشبيلية ؛ ٤٧ ، ١٠٨ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،
 ١٨٩ ، ٢٢١ ، ٢٨١ ، ٣٠٤ ،
 ٣٣٠ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٤ ،
 ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٤٣٨ ، ٥٤٥ ،
 أشبونة ؛ ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ،
 أشقظمر ؛ ٣٥٧ ، ٣٥٩ ،
 أطرية ؛ ٥٤٥ ،
 أغمات وريكة ؛ ٢٤٩ ،
 إفراغة ؛ ٣٤٤ ، ٣٤٦ ،
 إفريقية ؛ ٢١٩ ، ٢٣٩ ، ٢٢٢ ، ٣٥٥ ،
 إقليم البلاط ؛ ٢٧٠ ،
 ألبنية ؛ ٥٥٤ ،
 إلبيرة ؛ ٣٠ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٧ ، ١٠٩ ،
 ٢٣١ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ،
 ٧٧ ، ٣٤٠ ، ٣٧٢ ،
 المرية ؛ ٥٧ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ ،
 ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٨٥ ، ٣٤١ ،
 ٣٤٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٤٥٧ ،
 ٥٩١ ،
 الأندلس ؛ ٦ ، ١٨ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٨٠ ،

الشرع ١١٠ ، ٣١٦

ثمر أظبية ٧٩

الشرع الغربي ، ٤١

ج - خ

جامع ألمرية ٢٦٩

جامع بلنسية ٢٩٥

جامع الزيتونة ٨ ، ٤

جامع سبتة ٢٢٣

جامع غرناطة ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٤

١٩٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٣٠٠ ، ٣٧٣

جامع قرطبة ٢٤٥

جامع القرويين ٢٨٠

جامع مالقة ٣٨٦

جامع وادي آش ٣٧٤

جبال المصاندة ٣٤٨

جبل بيشتر ٣٩ ، ٤٠

جبل درن ٢٠٦

جبل شلير ٥٠٤

جبل الفتح ٣٣١ ، ٣٦٣ ، ٣٧٣

جبل الفخار ٢٧١

جزيرة الأندلس ٧٧ ، ٢٥٠ ، ٣٥٤

الجزيرة الخضراء ٢١ ، ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٢

١٠٨ ، ٢٤٣ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٤

٣٣٢ ، ٣٤٢ ، ٣٥٠ ، ٤٠١

جزيرة طريف ٦٤ ، ٦٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٢

٥٧٣

جليقية ٣٣٩

جيان ١٠٧ ، ٢٧١ ، ٣٤٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٢

٥٧٤

الحجاز ٦٩ ، ٢٦٨ ، ٢٢٨

الحجر الأسود ٧٧

الحرم الشريف ٢٣ ، ١٩٩

البراجلة ٢٧٠

براجلة غرناطة ١٩٣

برجيلة قيس ٤٠

برجلوة (برثلونة) ٣٢٢

برغة ٥٧٣

بسطة ٣٩ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢

٢٧٠ ، ٢٦٢

بسكرة، ٥٩١

البصرة ١٥٧

بطليوس ٤٢ ، ٤٧

بغداد ١٥٧

بلاد البربر ٢٧٤

بلاد الروم ٣٥٦ ، ٣٧٠

البلاد المشرقية ٣٦

بلقوذ ١٩

بلش ١٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٢٦٤ ، ٣٤١

بلفسية ١٨٤ ، ٢٢١ ، ٢٥٩ ، ٢٩٧ ، ٢٩٧

٣٠٣ ، ٣٤٤ ، ٣٧٢ ، ٤١٦

بنيونش ٥٠٤

بونة ٢٣٩

بياسة ٣٩ ، ٢٢١

البيت الحرام ٢٠٣

بيت المقدس ١٥٦

تطيلة ٤١٥

تلمسان ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٧٩

٣٥٦ ، ٣٣٠ - ٣٢٨ ، ٣١١ ، ٣٠٠

٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٤٥٧ ، ٤٥٧

٥٩١

تلمسان الجديدة ٣٥٦

تونس ١٨ ، ٦٦ ، ١٢٧ ، ١٥٨ ، ١٥٨

٣٣٠ ، ٣٦١

تيزي ٣٤١

رابطة العقاب ؛ ٣٧ ، ٢٠٧
الرباط ؛ ٦
ريفس اليازير ؛ ٢٣٩ ، ٢٥٧
الرصافة ؛ ٩٦
رندة ؛ ٣٨ ، ٧٦ ، ٩٠ ، ١٠٨ ، ٢٧٦ ،
٤٥٧ ، ٥٧٣
رومية ؛ ٣٤
روه ؛ ٢٩ ، ٢٧١
زقاق الشترى ؛ ٢٠٥
زنيقة ، قرية ، ٢٣٩

س - ط

سبتة ؛ ١٢ ، ١٨ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٧ ،
٥٦ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ١٦٣ ، ١٨٩ ،
٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٥٩ ،
٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ - ٢٦٩ ،
٢٨١ ، ٣٤١ ، ٣٥٠ ، ٥٠٤
سجلماسة ؛ ٣٤٩ ، ٣٦٣
سرقسطة ؛ ١١٠ ، ٢٥٨
سلا ؛ ٢٣ ، ٦٨ ، ١١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٤٣ ،
٣٥٧ ، ٣٤١
السودان ؛ ٣٤٩
شاطية ؛ ٢٢١ ، ٣٠٣
شالة ؛ ٤٥٢
الشام ؛ ٩٧
الشرق ؛ ٣٢٢
الشرق الأقصى ؛ ٢١٢
شرق الأندلس ؛ ١٨٤ ، ٢٣٩ ، ٢٥٦ ،
٣٧٢ ، ٣٤٤
شريش ؛ ٤٠٠
ششتر ؛ ٢٠٥
شششتر ؛ ٢٨٦
شلب ؛ ٤١٨
شلوبانية ؛ ٦٣

حصن ابن الشرف ؛ ٣١٧
حصن البنت ؛ ٣١٦
حصن أشتر ؛ ٥٧٤
حصن أندرش ؛ ٧٩ ، ٣٦٦
حصن أوطة ؛ ٣٨
حصن بليج ؛ ٣٥٢
حصن بلي ؛ ٣٩ ، ٤٠
حصن ببي بشير ؛ ٢٥٨
حصن الحواير ؛ ٥٥٢
حصن روطة ؛ ٥٥٢
حصن السهلة ؛ ٥٧٣
حصن شلوبانية ؛ ٦٢ ، ٢٤٤
حصن غرناطة ؛ ٢٧١ ، ٢٤٠
حصن قنليل ؛ ٥٥٢
حصن لبيط ؛ ٣٥٢
حصن مرجانة ؛ ٣٤٩
حصن منتشافر ؛ ٤٠
حصن مطرنيش ؛ ٣٧١
حصن ملناس ؛ ٩٨
حصن ويرة ؛ ٧٩
حلب ؛ ١٥٥ ، ١٥٦
حماء ؛ ١٥٦
الحمراء ؛ ٩٩ ، ٢٧٠ ، ٤٠٦ ، ٥٦٥
حمص ؛ ١٥٦
خزانة الرباط العامة ؛ ٨
خزانة الرباط الملكية ؛ ٨

د - ز

دار الكتب الوطنية التونسية ؛ ٤
دانية ؛ ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٨٤
درعة ؛ ٣٤٨
دمشق ؛ ١٥٧
دياط ؛ ٢١٥
الديار المصرية ؛ ١٥٤

٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ - ٣٦٤ ،
 ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ، ٤٠٠ ،
 ٤٠٠ ، ٤٠٦ ، ٤١٦

ف - ك

فارس ، ٦ ، ٢٩ ، ٦١ ، ١٢٤ ، ١٨٦ ،
 ١٨٧ ، ١٩١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
 ٢٤١ ، ٣١١ ، ٣٢١ ، ٣٤٤ ،
 ٣٦٥ ، ٣٧١

فحص البلوط ، ٤٢

الفرنثيرة ، ٣٥٩

فندق لبيب ، ٢٥٣

القاهرة ، ٦ ، ١٥٦ ، ٢٤٠

قبر النبي (صلعم) ، ٢٠٣

قبرة ، ٣٩ ، ٤١

قربانة ، ٢٧٠

قرطبة ، ٤١ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١٠٨ ، ١١٠

١١٦ ، ١٨٤ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٥٨ ،

٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٣١٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ،

٣٤٤ - ٣٤٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ -

٣٥٨ ، ٣٧٣ ، ٥٧٩

قسنطينة ، ٢٣٩

قشتالة ، ٦٥ ، ٣٣٠

قصبية غرناطة ، ٨٦ ، ٣٤٧

قصبية المنكب ، ٣٧١

قصر ياديس ، ٣٤٧

قصر قرطبة ، ٢٧٤ ، ٣٤٥

القصر الصغير ، ٢٤٣

قصر قصبية غرناطة ، ٣٥٢

قصر مراكش ، ١٦٧

قلمة محصب ، ١٥٣ ، ٢٤٨ ، ٣٣٢

فنداش ، ٣٩ ، ٨٧

شذرين ، ٤٢ ، ٣٤٦ ، ٣٥٥

الصخرة ، ٣٧٢

الصخرة ، ٣٧٢

طرجيلة ، ٢٨

طرش ، ٢٦

طرطوشة ، ١٨٤ ، ٢٣١ ، ٣٤٦

طليرة ، ٥٨

طليلة ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ٢٧٤ ، ٣٤٠

٣٧٢ ، ٣٥٠

الطينة ، ٢١٦

ع - غ

الحنوة المغربية ، ٤٥٠ ، ٤٥٧

الحنوة ، الحنوة المغربية ، ٢٠ ، ٢٨ ، ٣١ ،

٣٣ ، ٣٩ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ،

٧٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٦٢ ، ١٧٧ ،

٢٤١ ، ٣١١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ،

٣٧٠ ، ٤١٨ ، ٤٣٣

العراق ، ٩٧

غرب الأندلس ، ٤٣

غرناطة ، ١٢ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٤٠ ،

٤٦ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ،

٨٦ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ،

١٠٥ ، ١١٧ ، ١١٥ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ١٠٥ ،

١٤٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ،

١٦٩ ، ١٧٣ - ١٧٦ ، ١٨١ ،

١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ،

١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٩ ،

٢٢١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ،

٢٤٠ ، ٢٥٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ،

٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ،

٢٧٢ ، ٢٨٦ ، ٣١٠ ، ٣١٣ ،

٣١٥ ، ٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ ،

المغرب : ٦٠ ، ٢٢ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ،
 ٦٥ ، ٧٧ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ١١٧ ،
 ١٢٧ ، ١٥٧ ، ١٨٧ ، ١٩٩ ،
 ٢٠٠ ، ٢١٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،
 ٢٦٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ،
 ٢٢٩ ، ٢٢٩ ، ٢٤٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٨

المغرب : لأقصى ، ٢١٢ ، ٢٤٧ ،

مقبرة باب إلييرة : ١٠١ ، ١٠٢ ، ٤٢٣ ،

مكتبة دير الإسكوريال : ٤ ، ٤ ، ٨ ،

المكتبة الزيدانية : ٤٣١ ،

مكناسة الحوف : ٤٢ ،

مكة : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ١٨١ ،

ملابس : ٨٧ ، ١٧٧ ،

منتشاهر : ٢٧٠ ،

مستفريد : ١٩٣ ،

منتيشة : ٢٧٠ ،

المنكب : ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٨١ ، ١٨٥ ،

٦٠٣

مورتلة : ٣٧١ ،

موقفة أنيشة : ٣٠٣ ،

نجد : ٢٩٧ ،

النيل : ١٥٥ ، ٣٢٧ ، ٥٩٥ ،

٣٦٦ ، ٣٧٤ ، ٤١٦ ،

أ - ح

مدان : ٨٣ ،

وادي آش : ٥٢ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٧٩ ،

١٤٠ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ،

١٨١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٣٦٣ ،

٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٤١٦ ،

وادي سيو : ٧٨ ،

وادي لسة : ٢٣٩ ،

ورقة : ٧٨ ،

يشيش : ١٧٧ ،

القيروان : ١١٠ ، ٢٢٢ ، ٣٣٠ ،

٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٥٨٦ ،

كورة إلييرة : ٩٦ ، ٢٧١ ، ٣٧١ ،

كورة تاكرونا : ٣٨ ،

كورة جيان : ٤٥ ،

كورة جند دمشق : ٢٣١ ،

كورة ريه : ٢٨ - ٤٥ ،

ل - م - ن

ليلة : ١١١ ، ١١٦ ، ٣٤٥ ،

لوشة : ٢٣٦ ،

ماردة : ٢٣٢ ،

مالقة : ١٢ ، ١٣ ، ١٩ ، ٧٩ ، ٧٠ ،

٨٦ - ٨٨ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٧ ،

١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٩ ،

١٩٠ ، ١٩٤ - ١٩٦ ، ٢٣١ ،

٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٣٢٠ ، ٤٣٥ ،

٤٢٦ ، ٤٥٦ ، ٥٧٣ ،

مدرسة غرباطة (المدرسة النصرية) : ٢٥٤٤ ، ٣٨٩ ،

مدريد : ٦ ،

المدينة المنورة : ٣٤ ،

مراكش : ١٨ ، ١٩ ، ٧٣ ، ٧٤ ،

١٦٦ ، ١٩٠ ، ٢١٩ ، ٢٣٠ ،

٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣ ،

٣٦٢ ، ٤٢٠ ، ٤٥٢ ،

مريلة : ٢٧٦ ،

مرسى المنكب : ٣٧١ ،

مرسية : ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٥ ،

مسجد الحمراء الأظيم : ٤٠٤ ،

مسجد قصبة مالقة : ١٧٨ ،

المشرق : ٣٤ ، ٩٠ ، ١٠٨ ، ١١٠ ،

١٢٧ ، ١٨٨ ، ٢٠٠ ، ٢٣٠ ، ٢٦٣ ،

٢٦٨ ، ٢٧٨ ، ٣٣٥ ، ٤١٤ ، ٤٥٧ ،

مصر : ١١٠ ، ١٥٥ ، ٣٣٩ ، ٥٠٤ ،

فهرست الأعلام

- ابن تيمية ؛ ١٣
 ابن جابر الودى آشى ، أبو عبد الله محمد ؛
 ١٨٨ ، ١٩٧ ، ٢٥٤ ، ٣٥٤ ، ٤٥٦
 ابن جبير ، محمد بن أحمد ؛ ١٨٨
 ابن جزى ، أبو بكر ؛ ١٥٢
 ابن جزى ، أبو عبد الله ، ٢٩
 ابن جزى ، أبو القاسم ؛ ٤٥٦
 ابن جمهور ، أبو بكر محمد ؛ ١٩٠ ،
 ٢٩٦ ، ٤٢٠
 ابن جميل ، ٢٦٣
 ابن الجنان ، أبو عبد الله ، ٢٧٨ ، ٢٨٦ ،
 ٢٩٦
 ابن الحاج ، أبو البركات ؛ ٢٦٠ ، ٢٦١ ،
 ٢٦٩ ، ٣٢١ ، ٣٤٢ ، ٣٧٤ ، ٤٢٢
 ابن الحاج ، محمد بن أحمد التجيبى ؛ ٢٢٤
 ابن حبيش ، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد ؛
 ١٠٨ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ١٨٩ ، ٢٢٢١
 ٢٧٨ ، ٢٩٦ ، ٣٠١
 ابن حرا ؛ ٤٩
 ابن حرم القرطبي ، أبو محمد حل بن أحمد بن
 سعيد ؛ ٤٤ ، ١٨ ، ١١١ ، ٢٢١ ،
 ٤١٨
 ابن حفصون ، عمر ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١
 ابن الحكيم ، أبو بكر ؛ ٩٠ ، ١٥٢ ،
 ١٥٣ ، ١٥٨ ، ٢٠٠
 ابن الحكيم ، أبو عبد الله ، ٦٢ ، ٢٤٨ ،
 ٢٦٠ ، ٣٦٤ ، ٤٢٢ ، ٤٥٦
 ابن حداد ؛ ٥٩ ، ١٩٦
- ابن إبراهيم بن أدهم ؛ ٢٠٤
 ابن الأبار القضاى ، أبو عبد الله ، ١٩٠ ،
 ٢٩٦ ، ٣٠٣
 ابن أبى ، ٨٤
 ابن أبى الأصمخ ؛ ١٥٥
 ابن أبى الخصال ، أبو عبد الله ، ١٠٣ ،
 ٢٣٨ ، ٢٤٩
 ابن أبى ربيعة ؛ ١٠٩
 ابن أبى زنتين ، أبو بكر ؛ ١٩١
 ابن أبى زنتين ، أبو عبد الله ؛ ١٠١ ،
 ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٩٠
 ابن أبى زنتين ، عيسى بن محمد ؛ ٢٣٥
 ابن أبى السناد الباهل ، عبد الواحد بن محمد ؛
 ٨٦ ، ١٢٧ ، ٣٤١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧
 ابن أبى عامر ، المنصور ؛ ٢٢٢
 ابن أضحى ، على بن عمر بن مشرف ؛ ٨٣ ،
 ١٠١
 ابن الأفتس ، عبد الله بن مسلمة ؛ ٤٢
 ابن الأفتس ، المتوكل عمر بن محمد بن مسلمة ؛
 ٤٢ ، ٤٧
 ابن الباذش الانصارى ، أبو الحسن على ؛ ٢٤ ،
 ١٠٠ ، ١٧٥ ، ٢٢٤
 ابن برطال ، أبو عبد الله ، ١٣ ، ٣٢٠ ،
 ٣٨٧
 ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الله ؛
 ١٠٨ ، ١١٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٣٧٣
 ابن بقتة ؛ ٨٤
 ابن بيش العبلى ، أبو عبد الله ؛ ١٧٩ ،
 ٤٥٦

ابن حنين ، أبو عبد الله ، ٢٢٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦
 ابن حوط الله ، أبو سليمان ، ١٨٨ ، ١٩٥
 ابن حوط الله ، أبو عمر ، ٢٧٥
 ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف ،
 ٤٠ ، ٤٢ ، ١١١ ، ١١٥ ، ٢٣٥ ، ٣١٦
 ابن خروف ، أبو الحسن ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٨٨
 ابن خضر ، ٢٦٩
 ابن الخطيب السلماني ، لسان الدين ، ٣ ، ٥ ،
 ٩٨٤ ، ١٢٦ ، ١٦٣ ، ٢٩٥ ،
 ٤٠١ ، ٤٥٤ ، ٤٥٩ ، ٥٩٨ ، ٦١٢
 ابن خلاص اليانشتي ، ١٨٩
 ابن خلدون ، ٥٩١ ، ٥٩٢
 ابن خميس ، ٣١٥
 ابن خيرة ، أبو عبد الله ، ٤٥
 ابن الدراج ، محمد بن عمر الأنصاري ،
 ١٣ ، ١٩٩
 ابن دراج القسطل ، أبو عمر ، ٥٧
 ابن درهم ، قاسم بن يحيى الزروالي ، ٩٠ ، ٢٦٣
 ابن دقيق العيد ، تقي الدين ، ١٩٩ ، ٤٥٦
 ابن ذرارة المرادي ، ٢٢٠
 ابن رزمير ، ٣٤٤ ، ٤٠٦
 ابن رشد ، أبو الوليد ، ١٧٤ ، ٢٢٤ ،
 ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٤١٥ ، ٤١٦
 ابن رشيد الفهري ، أبو عبد الله محمد ، ١٣ ،
 ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٣٤١ ، ٣٨٧ ، ٤٠٤
 ابن رضوان التجاري ، أبو القاسم ، ٩٣
 ابن زرقون ، أبو عبد الله ، ١٧٤ ، ١٨٨ ،
 ١٩٠ ، ٢٩٦ ، ٣٠٢ ، ٣١٥ ، ٣٧٣
 ابن سبعين المكي ، عبد الحق بن إبراهيم ،
 ٣١٤ ، ٣٤٤ ، ٣٥٦ ، ٢١٤

ابن سبيح ، ٣١١
 ابن سرة الأنصاري الشاطبي ، ٢٠٦
 ابن سعادة الشاطبي ، ١٩٠
 ابن سيد القزاز ، ٢٧٨
 ابن سيد الناس اليمري ، محمد بن محمد ، ١٣
 ابن سينا ، ٢١١ ، ٤٦٠
 ابن الشاط ، أبو القاسم ، ١٣ ، ١٢٧ ،
 ١٩٦ ، ٣٤١ ، ٣٨٧ ، ٣٩٠
 ابن شيرين ، أبو بكر محمد بن عبد الرحمن ،
 ٢٠ ، ١٩٣ ، ٢٢٤ ، ٢٦٠ ، ٣٧٤ ، ٤٥٦
 ابن صاف ، ١٠٨
 ابن الصفار ، ٢٢٤
 ابن الصيرفي ، يحيى بن محمد الأنصاري ، ٣٤٥
 ابن طارق ، ١٨٢
 ابن عبد الحق التلمساني ، ١٨٩
 ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد ، ٤١
 ابن عبد الكريم ، ١٨٨
 ابن عبد الملك المراكشي ، ٣ ، ٤٣ ، ١٩١ ،
 ٢٧٧ ، ٢٨٦ ، ٤١٧
 ابن عبلون ، أبو محمد عبد المجيد ، ٤٤ ، ٤٧ ،
 ٢٥٠ ، ٣٥١
 ابن عبلون المكناسي ، ٢٨
 ابن عبيدس ، ١٨٨
 ابن عذارى المراكشي ، ٥٨ ، ٥٩
 ابن عروس ، أبو عبد الله محمد ، ١٠٨ ،
 ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٧٨ ، ٤١٦
 ابن عساكر ، ١٣
 ابن عسكر ، أبو عبد الله ، ١٠٩
 ابن علي الكتافي ، ١٨٨
 ابن عميرة ، أبو المطرف ، ٢٦٠
 ابن عياش المالقي ، أحمد بن عيسى ، ٣٠٩ ،
 ٣١٠ ، ٣٢٠

ابن عيسى بن البياض ، ٢٥٠
ابن غالب ، أبو عبد الله ، ١٩٥ ، ١٩٠ ،
٢٩٦
ابن غلبون بن الحصار ، ٢٢٢
ابن الفواز ، أبو العباس ، ١٣ ، ١٢٧ ،
٢٦٠ ، ٢٩٦ ، ٣١٠
ابن الفارض ، ٤٢٦
ابن الفخار الأركشي ، أبو عبد الله ، ٨٦ ،
١٠٨ ، ١١٧ ، ١٧٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،
١٩٦ ، ٢٢٤ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦ ، ٣١٥ ، ٣٧٤ ،
٣٩٠
ابن الفخار البيري ، أبو عبد الله ، ٥٥٦
ابن الفياض ، ٤٠
ابن قسي ، ٢١١ ، ٣٤٥
ابن القصيرة الإشبيلي ، أبو عبد الله ، ٢٤٨
ابن قطال ، علي بن عبد الله الأنصاري ،
١٩٠
ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عمر ، ٣٩
ابن كوثر ، أبو الحسن ، ١٠٨ ، ١٩٠ ،
٢٧٨ ، ٢٩٦
ابن مالك ، أبو مروان ، ٢٥٨
ابن مجير ، ٤٠٩
ابن المحروق ، أبو عبد الله ، ٧٨ ، ١٩٣ ،
٣٦٦
ابن مراسم العنقي ، أبو الحسن أحمد ، ١١٠
ابن مردنيش ، أنظر محمد بن سمد
ابن مرزوق ، أبو عبد الله ، ٥٨٦
ابن مسعدة ، أبو جعفر ، ١٩ ، ١٠٥ ،
٢٧٧ ، ٤٢٠
ابن مكحول ، أحمد بن محمد ، ٢٢٣
ابن المواق ، ٢٩٦
ابن النيه ، ٣٩٢
ابن نجم الموصلی ، ١٥٧

ابن وضاح ، ٤١٨
ابن يربوع السبي ، ٤٢١ ، ٤٥٧
أبو اسحق بن أقي العاصي ، ١٩٧ ، ٢٥٤ ،
٣٧٤
أبو اسحق بن دهاق ، ٣٣
أبو اسحق بن عبد البر ، ٣١٩
أبو اسحق بن عبد الرحيم العنسي ، ١٨٢
أبو اسحق بن عبد الرفيح ، ٣٨٧
أبو اسحق بن قرقول ، ١٠٨
أبو اسحق بن مسعود الإلييري ، ٨٣ ، ٣١٧
أبو اسحق الأوسي القرطبي ، ٣٧٥
أبو اسحق التلمساني ، ١٩٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ،
٣٤١
أبو اسحق الشقروني ، ١٨٨
أبو اسحق النافقي ، ١٩٩ ، ٢٦٣ ، ٣٤١ ،
٣٨٧
أبو اسحق النافقي المديوني ، ١٢
أبو أيوب بن أمية ، ٤٤
أبو بحر بن الأسدي ، ٢٢٠
أبو بكر ، الخليفة ، ٢٧
أبو بكر بن أبي جعفر بن عمر ، ٢٩٦
أبو بكر بن أبي جمرة ، ٢٩٦ ، ٣٠٢
أبو بكر بن أبي ركب ، ١٨٨
أبو بكر بن اسحق التجيبي ، ٣١٠
أبو بكر بن اسماعيل ، زين الدين ، ٤٢٤
أبو بكر بن يبيش الشلطي ، ٢٢١
أبو بكر بن الجند ، محمد بن عبد الله ، ١٠٨ ،
١٩٠ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٣١٥ ،
٣٧٣ ، ٥٦٦
أبو بكر بن الخداد ، ٢٢١
أبو بكر بن خليل السكوي ، ١٣٠ ، ١١٠
أبو بكر بن سوار ، ٣٥٢

أبو بكر بن الصايغ ، ابن ياجة ؛ ١٥٩ ،
 ٢٤٩ ، ١٨٨ .
 أبو بكر بن عبد الكرم السفاقي ؛ ٣١٠
 أبو بكر بن عبد النور ؛ ١٨٢
 أبو بكر بن عبيدة الإشبيلي ؛ ١٢ ، ١٦٩ ،
 ٣١٠ .
 أبو بكر بن العربي ؛ ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٤٠٦ .
 أبو بكر بن عمر ؛ ٣٤٨
 أبو بكر بن غالب بن عطية ؛ ٨٤
 أبو بكر بن فارس ؛ ٢٦٠
 أبو بكر بن الفخار ؛ ٣٩٠
 أبو بكر بن الفصيح ؛ ١٨٨
 أبو بكر بن محرز ؛ ١٣ ، ١٢١
 أبو بكر بن محرم ؛ ٢٥٧
 أبو بكر بن مشليون ؛ ٢٥٩
 أبو بكر بن مغاور ؛ ٢٩٦
 أبو بكر بن منظور ؛ ٤٥٦
 أبو بكر بن يغمور ؛ ٣٠٢
 أبو بكر الشامي ؛ ١٢١
 أبو بكر الطنجالي ؛ ٨٩ ، ٢٩٦
 أبو بكر القرشي ؛ ١٥٢
 أبو بكر القلوسي ؛ ١٢
 ابن بكر بن المرابط ؛ ٢٥٧
 أبو بكر بن يوسف الكوي ؛ ٣٥٥
 أبو ثابت ، الأمير ، ٦٦
 أبو جعفر بن أبي جميل ؛ ١٩٧
 أبو جعفر بن جحدر ؛ ٢٢٠
 أبو جعفر بن حسان ؛ ١٨٥
 أبو جعفر بن حكيم ؛ ١٠٨ ، ٢٧٨ ،
 ٣١٥ ، ٢٩٦
 أبو جعفر بن خلف ؛ ٢٧٨
 أبو جعفر بن خميس ؛ ٣٤١

أبو جعفر بن الدلال ؛ ١٨٢
 أبو جعفر بن الزبير ؛ ١٢ ، ٤٩ ، ١٠٥
 ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٧٨ ، ١٨٩ ، ١٩٨
 ٢٣١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٣١٠
 ٣١٤ ، ٣٤١ ، ٣٨٦ ، ٤٠٤
 أبو جعفر بن الزيات ؛ ١٣ ، ١٠٩ ، ١٨٩
 ١٩٦ ، ٢٦٤ ، ٣٨٧ ، ٤٠٧
 أبو جعفر بن سعدون ؛ ٢٥٠
 أبو جعفر بن عبد الوهاب ؛ ٣٨٧
 أبو جعفر بن عزرة ؛ ١٠٨
 أبو جعفر بن علي ؛ ٢٩٦
 أبو جعفر بن فركون ؛ ٢٦٩ ، ٣٠٩
 أبو جعفر بن مضاه ؛ ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٣٥٥
 أبو جعفر بن مكنون ؛ ٣٦٩
 أبو جعفر بن يحيى ؛ ١١٠
 أبو جعفر الحزيرى الضرير ؛ ١٩٦
 أبو جعفر الشاطبي ؛ ١٩٧
 أبو جعفر الطباع ؛ ١٠٥ ، ٦٢٠ ، ٢٧٧ ، ٣٧٥ ،
 ٤٠٥
 أبو جعفر الطنجالي ؛ ٢٩٦ ، ٤٥٦
 أبو جميل الشيرازي ، محمد بن محمد ؛ ٢٦٨
 أبو حاتم المزني ؛ ١٢
 أبو حامد الغزالي ؛ ٤١٥
 أبو الحجاج بن أبي محمد بن أيوب ؛ ٢٩٦
 أبو الحجاج بن حكيم ؛ ٦٩ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦
 أبو الحجاج بن خلتون ؛ ٢٣٦
 أبو الحجاج بن الشيخ ؛ ١٩٠ ، ٢٩٦ ، ٣١٥
 أبو الحجاج الساحلي ؛ ٤١٥
 أبو الحجاج الكوراني ، جمال الدين ؛ ٢٠٣
 أبو الحجاج المنتشافري ، يوسف ؛ ٩٠ ،
 ٢٧٦ ، ٤٥٧
 أبو الحسن بن أبي ربيع ؛ ٢٥٩
 أبو الحسن بن أبي محمد الشريتي ؛ ٣٥٥
 أبو الحسن بن أم العماد ؛ ٣٤٦

أبو بكر بن الصايغ ، ابن ياجة ؛ ١٥٩ ،
 ٢٤٩ ، ١٨٨ .
 أبو بكر بن عبد الكرم السفاقي ؛ ٣١٠
 أبو بكر بن عبد النور ؛ ١٨٢
 أبو بكر بن عبيدة الإشبيلي ؛ ١٢ ، ١٦٩ ،
 ٣١٠ .
 أبو بكر بن العربي ؛ ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٤٠٦ .
 أبو بكر بن عمر ؛ ٣٤٨
 أبو بكر بن غالب بن عطية ؛ ٨٤
 أبو بكر بن فارس ؛ ٢٦٠
 أبو بكر بن الفخار ؛ ٣٩٠
 أبو بكر بن الفصيح ؛ ١٨٨
 أبو بكر بن محرز ؛ ١٣ ، ١٢١
 أبو بكر بن محرم ؛ ٢٥٧
 أبو بكر بن مشليون ؛ ٢٥٩
 أبو بكر بن مغاور ؛ ٢٩٦
 أبو بكر بن منظور ؛ ٤٥٦
 أبو بكر بن يغمور ؛ ٣٠٢
 أبو بكر الشامي ؛ ١٢١
 أبو بكر الطنجالي ؛ ٨٩ ، ٢٩٦
 أبو بكر القرشي ؛ ١٥٢
 أبو بكر القلوسي ؛ ١٢
 ابن بكر بن المرابط ؛ ٢٥٧
 أبو بكر بن يوسف الكوي ؛ ٣٥٥
 أبو ثابت ، الأمير ، ٦٦
 أبو جعفر بن أبي جميل ؛ ١٩٧
 أبو جعفر بن جحدر ؛ ٢٢٠
 أبو جعفر بن حسان ؛ ١٨٥
 أبو جعفر بن حكيم ؛ ١٠٨ ، ٢٧٨ ،
 ٣١٥ ، ٢٩٦
 أبو جعفر بن خلف ؛ ٢٧٨
 أبو جعفر بن خميس ؛ ٣٤١

أبو الحسن بن الحزار ١٥٥
 أبو الحسن بن الجباب ٤ ، ٧١ ، ١١٧ ،
 ٢٠٠ ، ٣٦٠ ، ٣٢٠ ، ٣٧٤ ، ٤٥٦ ،
 ٥١٥
 أبو الحسن بن الحسن البصرى ٢٠٢ ،
 ٤٢٠٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٤٣٥ ،
 أبو الحسن بن راشد ٣٩٠
 أبو الحسن بن سراج ٢٢٥ ، ٢٥٠
 أبو الحسن بن السراج ١٢٠
 أبو الحسن بن سعيد ٧١
 أبو الحسن بن السقاح الرقعى ٣١٠
 أبو الحسن بن سليم ١٨٧
 أبو الحسن بن سهل ٢٩٥
 أبو الحسن بن شعيب ١٩٧
 أبو الحسن بن الضايح ١٠٥ ، ١٢٠
 أبو الحسن بن عبد الباقي الصواف ٣١٠
 أبو الحسن بن عبد الله الحضرمى ٢٣٨
 أبو الحسين بن عبد الله العطار ٣٠٠
 أبو الحسن بن عبد الوهاب بن وردان ٣٠٠
 أبو الحسن بن صفور ١٢٠ ، ١٥٣
 أبو الحسن بن عطية اليرودى ٣١٠
 أبو الحسن بن عطية بن غازى ١٨٨
 أبو الحسن بن عمر ٢٦
 أبو الحسن بن فرحون ١٩٧
 أبو الحسن بن فرحون البلقينى ٢٦٩
 أبو الحسن بن الفضل ٤٢٠
 أبو الحسن بن فضيلة ١٣ ، ١٩٨ ، ٢٤٠ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٤٠٤
 أبو الحسن بن القطلان ١٨٩
 أبو الحسن بن مستقور ، عل بن محمد الطائى ،
 ٣٤١
 أبو الحسن بن مصامد ٣٤١
 أبو الحسن بن مضاه ٣١٠

أبو الحسن بن منظور ٣٤١
 أبو الحسن بن نافع ١٠٥
 أبو الحسن بن واجب ٢٢٠
 أبو الحسن الأبدى ١٠٥
 أبو الحسن البصرى ٢٥٩
 أبو الحسن البلوطى ٤٠٥
 أبو الحسن البلوى ١٩٧
 أبو الحسن التلمسانى ٤٥٦
 أبو الحسن الخزرجى ١٩٩
 أبو الحسن الدياج ٤٢١
 أبو الحسن الرعيعى ١٩١ ، ٢٧٨ ، ٢٨٥ ،
 ٢٩٦
 أبو الحسن المهروردى ، ضياء الدين ٢٠٣
 أبو الحسن شريح ١٧٥
 أبو الحسن الششترى ، عل بن عبد الله النيمرى ،
 ٣٥ ، ٢٠٥ ، ٢١٤
 أبو الحسن الطرطاي ٢٥٩
 أبو الحسن العرابى ١٩٨
 أبو الحسن العنسى ٢٧٨
 أبو الحسن القانى ١١٠
 أبو الحسن القراقى ٣١٠
 أبو الحسن القيجاطلى ٢٥٤ ، ٤٥٦
 أبو الحسن المربى ، السلطان ١٨ ، ٢١٦ ،
 ٢١٩ ، ٢٤١ ، ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٣٦٣ ،
 ٤٥١
 أبو الحسن التباهى ، عل بن عبد الله ٨٨ ،
 ٩٩
 أبو الحسين بن شالة ، عل بن أحمد الإشبيل ٣٨٨
 أبو الحسين بن الطراوة ١٢٠
 أبو حفص بن يوسف بن عبد المؤمن ٣٥٥
 أبو الحكم بن المرحل ٣٠٩
 أبو الحكم بن منظور ١٣
 أبو حمو ، موسى بن زيان ، السلطان ٥٩٨

أبو الطاهر بن عوف ؛ ٢٩٦ ، ٣٠٢
 أبو الطيب الرندي ، صالح بن شريف ؛ ١٩١
 أبو الطيب بن زرقون ؛ ٢٥٠
 أبو الطيب المتنبي ؛ ٣٥١
 أبو الظفر الميورقي ؛ ٣٤١
 أبو عامر بن سرور ؛ ٢٥٠
 أبو العباس بن الرومية ؛ ١٨٨
 أبو العباس بن الطاهري ؛ ١٩٩
 أبو العباس بن العريف ؛ ٢٠٢
 أبو العباس بن علي المازري ؛ ١٨٩
 أبو العباس بن فرعون ؛ ٢٢١
 أبو العباس بن مضاه ؛ ٢٧٨ ، ٢٩٦
 أبو العباس بن هرقل ؛ ٢٩٦
 أبو العباس بن اليتيم ؛ ١٠٨
 أبو العباس الجراوي الأعمى ؛ ٤١٨
 أبو العباس الخروبي ؛ ١٨٢
 أبو العباس الغبريني ؛ ٢٠٥
 أبو العباس القوراني ؛ ١٨٨
 أبو العباس النهاوندي ؛ ٢٠٣
 أبو عبد الله بن إبراهيم البكري العباسي ؛ ١٨٩
 أبو عبد الله بن أبي بكر البري ؛ ٢٧٨
 أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع ؛ ٣١٠
 أبو عبد الله بن أبي الفتح القهري ؛ ٧٠
 أبو عبد الله بن أحمد المديني ؛ ١٨٢
 أبو عبد الله بن بكر ؛ ٢٥٤
 أبو عبد الله بن تير ؛ ١١٥
 أبو عبد الله بن جعفر اليحصبي ؛ ٤٠٤
 أبو عبد الله بن جوير ؛ ١٢١
 أبو عبد الله بن حزب الله ؛ ٤٥٦
 أبو عبد الله بن حفص ؛ ١٩٠
 أبو عبد الله بن حميد ؛ ١٠٨ ، ١٥٠ ،
 ٢٢١ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦ ، ٣٠١
 أبو عبد الله بن خفيف الشيرازي ؛ ٢٠٣
 أبو عبد الله بن خلصة ؛ ٢٥٠

أبو خالد بن رفاعة ؛ ١٧٤ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ،
 ٢٧٨ ، ٢٩٦
 أبو خالد بن مستقور ؛ ٢٥٠
 أبو خالد بن يزيد ؛ ٨٥
 أبو الخطاب بن خليل ؛ ١٢١
 أبو داود المقرئ ؛ ٤١٦
 أبو الربيع ، سلطان المغرب ؛ ١٨٧
 أبو الربيع بن سالم ، سليمان بن موسى ؛ ٤٠ ،
 ٢٩٥ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣٧٥
 أبو زكريا الأصبهاني ؛ ٢٩٦
 أبو زكريا البرشاني ؛ ٣٤١
 أبو زكريا الحفصي ، الخليفة ؛ ٥٦٠
 أبو زكريا القصري ؛ ٣٥٠
 أبو زكريا بن خلدون ؛ ٥٩١ ، ٥٩٨
 أبو زكريا بن العباس ؛ ٢٩٦
 أبو زكريا بن عبد الله بن محمد ؛ ٣١٠
 أبو زكريا بن عمر ؛ ١٢٢
 أبو زيان ، الأمير ؛ ٢٨
 أبو زيد الفزازي ؛ ١٦٣ ، ٢٧٤
 أبو زيد السبيلي ؛ ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٧٤ ، ٣١٠
 أبو سالم ، إبراهيم بن أبي الحسن ، السلطان ؛
 ٢١٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١
 أبو سال بن أبي يحيى ؛ ١٨٧
 أبو سعيد ، السلطان ؛ ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٤٥١
 أبو سعيد بن الأعرابي ؛ ٢٠٢
 أبو سعيد بن جامع ؛ ١٩١
 أبو سعيد الطراز ؛ ١٨٢
 أبو الشمل جماعة بن مهيب ؛ ١٣
 أبو طالب بن غانم ؛ ٤٢
 أبو الطاهر الخشوعي ، بركات بن إبراهيم ؛
 ١٠٨ ، ٢٧٨
 أبو الطاهر السلق ، أحمد بن محمد ؛ ١٠٨ ،
 ١٧٤ ، ٢٢٣
 أبو الطاهر بن صفوان ؛ ٤٢٧

- أبو عبد الله بن ربيع الأشعري ١٩٦
 أبو عبد الله بن ربيعة ٣١٠
 أبو عبد الله بن رزق ١٠٨
 أبو عبد الله بن الرقام ٣٩٠
 أبو عبد الله بن سعد ٤١٨
 أبو عبد الله بن صالح الكتاني ١٢٥ ، ١٩٨
 أبو عبد الله الأزدي ١٢١
 أبو عبد الله الأركشي ٣٩٠
 أبو عبد الله البيهقي ٣٧٤ ، ٢٦٢ ، ٧٥٤
 أبو عبد الله التوزيري ٢٠٥
 أبو عبد الله الجلياني ٣٨٦
 أبو عبد الله الجهمري ٣٠٢ ، ٢٩٦
 أبو عبد الله الحميدي ١٠٩ ، ١١٢ ، ٢٣١
 أبو عبد الله الحميري الإمتحي ١٠٨
 أبو عبد الله الخولاني ٣٠٢
 أبو عبد الله الرقوطي المرسى ٢٣٦
 أبو عبد الله بن شبيب ٣١٠ ، ٣٤١
 أبو عبد الله بن الضايغ ٢٦٩ ، ٣٤١
 أبو عبد الله بن عباس ٤٥
 أبو عبد الله بن عبد الحميد ٣١٠
 أبو عبد الله بن عبد الرحيم القاضي ١٠١ ،
 ٢٣٨
 أبو عبد الله بن عبد السلام ٩٠
 أبو عبد الله بن عبد الولي العواد ٤٥٥
 أبو عبد الله بن عبيد الأوسي ١٠٩
 أبو عبد الله بن عزمون ٣٨٧
 أبو عبد الله بن عيسى ٢٤٣
 أبو عبد الله بن الليثي ٣١٠
 أبو عبد الله بن محمد الطرطاي ٢٥٩
 أبو عبد الله بن مدرك ١٠٨
 أبو عبد الله بن مساعد النساني ١٠٤ ، ١٠٥
 أبو عبد الله بن مستور ١٠٥
 أبو عبد الله بن مسدي ٢٠٢
 أبو عبد الله بن النجار ٣١٠
 أبو عبد الله بن نصر ١٦٣
 أبو عبد الله بن النعمان ٤٢٤
 أبو عبد الله بن نوح ٢٩٦
 أبو عبد الله بن هرون ٩٠
 أبو عبد الله بن يحيى الزواوي ٤٠٤
 أبو عبد الله بن يعقوب المرسى ٢٦٨
 أبو عبد الله الشامي ١١٢
 أبو عبد الله الطنجالي ١٣ ، ١٠٩ ، ١٨٩
 ١٩٦ ، ٣٤١ ، ٣٨٧
 أبو عبد الله النعماني ٣٨٧
 أبو عبد الله القرشي ٣٧٤
 أبو عبد الله القرطبي ٣١ ، ٣٨٧
 أبو عبد الله القطان ٩٠
 أبو عبد الله المازري ١٧٥
 أبو عبد الله المقرئ ١١٨ ، ٣٦٢ ، ٤٥٦
 أبو عبد الله المقاي ١٠٢
 أبو عبد الله المومنانى ٣٤١
 أبو عثمان بن عيسى ٨٧
 أبو عثمان بن أيون ٢٠٥ ، ٤٥٧
 أبو علي بن أبي الأحوص ٩٠ ، ١٠٥ ،
 ١٧٤
 أبو علي بن تاددرت ٢١٢
 أبو علي بن الحسن ٨٦
 أبو علي بن طاهر بن أبي الشرف ٣١٠
 أبو علي بن غفرون ١٩٧
 أبو علي بن الناظر ٢٧٨ ، ٢٩٦
 أبو علي الشلوين ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٥٠ ،
 ٤٢٠
 أبو علي الشمشري ٢٠٣
 أبو علي الصدقي ١٠٠
 أبو علي النساني ٢٣٨
 أبو علي القرشي ٣٧٤

أبو القاسم بن الطليسان ١٨٢
 أبو القاسم بن عمران ٩٠
 أبو القاسم بن ميسر ١١٠
 أبو القاسم بن نبيل ٢٧٨
 أبو القاسم بن النحاس ٢٢٠
 أبو القاسم بن ورد ١١٢ ، ١٧٥
 أبو القاسم بن يحيى بن ربيع ٢٥٧
 أبو القاسم الأيسر الجذامى ، زين الدين ؟
 ٣١٠
 أبو القاسم البلقي ٣٤١
 أبو القاسم التاكرونى ٣٨٦
 أبو القاسم التجيبى ٣٨٧
 أبو القاسم الحسى الشريف ٢٦٠ ، ٢٦١ ،
 ٣٧٤ ، ٣٢١
 أبو القاسم الزجاجى ١٢٠
 أبو القاسم الزياتى ٢٨
 أبو القاسم السهلى ١٨٩
 أبو القاسم الشراط ١٠٨
 أبو القاسم العزقى ١٩١
 أبو القاسم محمد البنا ٩٠
 أبو القاسم الملاحمى ١٠٠
 أبو القاسم نمم الخلف بن يحيى الأنصارى ؟
 ١٠٠
 أبو الكرم الحميرى ٣١٠
 أبو مالك ، عبد الواحد بن يوسف ، الأمير ؟
 ٢٥٠ ، ٢١
 أبو المتوكل الهيمى ٤٢٠
 أبو محمد بن أبى الدين ٢٥٩
 أبو محمد بن إشقيطولة ٢٤٢
 أبو محمد بن أيوب ٩٠ ، ١١٧ ، ٤٥٧
 أبو محمد بن الخطيب ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٤
 أبو محمد رديم ٢٠٣
 أبو محمد بن سمد المسرانى ٣١٠

أبو حل المشدالى ، ناصر الدين ١٢٨ ،
 ٣٤٢ ، ٣٨٧ ، ٤٠٤
 أبو عمرو بن أبى جعفر بن الزبير ٤٥٦
 أبو عمرو بن عبد البر ٢٢٨
 أبو عمرو الإصطخرى ٢٠٣
 أبو عمران الجورمانى ١٨٧
 أبو عمران القاسى ٣٤٧
 أبو عمرو بن الحاجب ٤٦٠
 أبو عمرو بن الرندى ١٠٥
 أبو عمرو بن سالم ٢٩٦
 أبو عمرو بن منظور ٩٠ ، ١١٧
 أبو عمرو السفاقي ٣٧٥
 أبو عمرو الطلمنكى ٢٠٢
 أبو عثمان فارس ، السلطان ٥٤ ، ٦٦ ،
 ٣٢٤ ، ٣٣٠ ، ٤٧١
 أبو فارس عبد العزيز الهوارى ١٢٨ ،
 ١٩٩ ، ٣١٠
 أبو فارس عزوز الملزوزى ٢٠ ، ٢٣ ،
 ٢٦ ، ٣٥٩
 أبو الفخر بن يركات بن عساكر ٣٠٠
 أبو الفدا بن المعلم ٣١٠
 أبو الفضل بن خطيب المرى ٤٢٤
 أبو الفضل السلمى المرسى ، شرف الدين ؟
 ١٩٩
 أبو القاسم بن أحمد بن حسان ٤٢
 أبو القاسم بن البراء ٢٥٩
 أبو القاسم بن بى ١٩٠ ، ٢٢٣
 أبو القاسم بن البنا ٤٥٦
 أبو القاسم بن جابر ١٩٧ ، ٣٩٠
 أبو القاسم بن الجنيد ٢٠٣
 أبو القاسم بن الحاج ٢٦٩
 أبو القاسم بن ربيع ٣٧٥
 أبو القاسم بن سلمون ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٤٥٦
 أبو القاسم بن الطيب ١٩٩

أبو محمد بن سلمون ؟ ٤٥٦
 أبو محمد بن سالك ؟ ١٧٥ ، ٣١٠
 أبو محمد بن سمحون ؟ ٨٤
 أبو محمد بن السيد ؟ ١٢٠
 أبو محمد بن سيدبونه ؟ ٢٩٦
 أبو محمد بن عبد الله ؟ ٢٢١ ، ٢٩٦ ، ٣١١
 أبو محمد بن عيسى التادلي ؟ ١٨٨
 أبو محمد بن المؤذن ؟ ٣٤١
 أبو محمد بن هرون القرطبي ؟ ١٠٩ ، ١٢٨ ، ٣١٥
 أبو محمد الأنباري ؟ ٦٠
 أبو محمد الحجري ؟ ١٨٨
 أبو محمد الحضرمي ؟ ١١٨
 أبو محمد الخلاسي ؟ ١٩٨
 أبو محمد الديماطي ، شرف الدين ؟ ١٩٨ ، ٣١٠
 أبو محمد الزرقون ؟ ٤٥٦
 أبو محمد الشاذلي ؟ ٢٩٦
 أبو محمد عبد الله المرادي ؟ ١٢
 أبو محمد التبعدي ؟ ٤٠٥
 أبو الخشبي ؟ ناصر بن زيد بن يحيى التميمي ؟
 ٢٣١ - ٢٣٣
 أبو مروان بن سراج ؟ ١٠٢
 أبو مروان بن مسرة ؟ ١٣٥
 أبو مسلم الضرير المقرئ ؟ ١٠٢
 أبو النعمان الحافظ ؟ ٣٧٥
 أبو النعمان رضوان ؟ ٣١٩
 أبو الوايد اسماعيل ، السلطان ؟ ٧٠ ، ٧١ ، ٧٨
 أبو الوليد بن حجاج ؟ ٢٥٠
 أبو الوليد بن نصر ؟ ٢٤٥
 أبو الوليد الحضرمي القرطبي ؟ ١٢
 أبو الوليد المطار ؟ ٣٧٥
 أبو الوليد الوقتي ؟ ١١٢

أبو يحيى أبو بكر بن أبي زكريا ؟ ٢٢٠ ، ٥٦٠
 أبو يحيى بن عبد الحق ؟ ٣٦٤
 أبو يحيى بن الفرس ؟ ٣٧٥
 أبو يزيد خالد بن خالد ؟ ١٧٦
 أبو يس القرقني ؟ ٢٢٤
 أبو يعقوب المحاسبي ؟ ٢٥٩
 أبو يعقوب بن إبراهيم بن عتاب ؟ ١٩٠ ، ٢٧٨
 أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، الخليفة ؟
 ٢٠ ، ٢١ ، ٤٠٠
 أبو يوسف بن عبد الحق ؟ السلطان ؟ ٢١ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٥ ، ٤٥٣ ، ٤٥١ ، ٤٠٠
 أبو يوسف الجزولي ؟ ١٨٤
 أحمد بابا التنبكي : ؟ ٤٣٣
 أحمد بن اسمعيل بن علي بن الحباب ؟ ٤٠٥
 أحمد بن حكيم بن القيسي الحصار ؟ ٣٠١
 أحمد بن حميد القرطبي ؟ ١٨٩
 أحمد بن عبد الرحمن المكناسي ؟ ٣١١
 أحمد بن عبد الله بن أحمد البقني الأنصاري ؟
 ٤٣٣
 أحمد الرباعي ، أبو العباس ؟ ٩٠
 أحمد بن عروس العقيل ؟ ٣٧٥
 أحمد بن علي الأنصاري الكحيل ؟ ١٢٧
 أحمد بن علي البيهقي ، أبو العباس ؟ ٣٠٠
 أحمد بن عيسى الرازي ؟ ٢٣١ ، ٢٧١
 أحمد بن فتح الدهان ؟ ١١٠
 أحمد بن محمد بن أحمد الخشبي ؟ ١٧٧
 أحمد بن محمد بن الجسور ؟ ١١٣
 أحمد بن محمد بن خيس الجزيري ؟ ٣٨٧
 أحمد بن محمد بن شهيد ؟ ٢٥٧
 أحمد بن محمد بن علي الكتافي ؟ ٤٥٥

- جابر بن محمد بن حيان القيسي ؛ ٣١٠
 جابر بن يحيى التغلبي ؛ ١٠١
 جرور بن بنت التيمان ؛ ٣٤٠
 جعد بن عبد الغافر ؛ ٣٩ ، ٢٧١
 جعفر بن عمر بن حفصون ؛ ٣٨ ، ٤٢
 جعفر بن يحيى ؛ ٤٩
 جمال الدين بن مطروح ؛ ١٥٥
 جمال الدين بن يغمور ؛ ١٥٥
 حاتم بن عبد الله البزاز ؛ ١١٠
 حبيب المعجمي ؛ ٢٠٣
 حجاج بن يوسف بن عمران ؛ ٣٥٥
 الحسن بن طاهر بن أبي الشرف الحسني ؛ ١٢٨ ،
 ١٩٩ ، ٣٤٠
 الحسن بن علي ؛ ٤٨
 الحسن بن علي بن طريف ؛ ٢٢٤
 حسن بن عمر بن علي الكندي ؛ ٤٠٤
 الحسن بن محمد الصدوق بن سكرة ؛ ٢٢٤
 الحسن بن محمود الجرجاني ؛ ٢٠٢
 الحسن بن مستنور ؛ ١٩٦
 الحسن بن هاني ؛ ٣٩٨
 حسن بن يوسف ؛ ٤٥٦
 الحسين بن عبد العزيز ؛ ٣٠
 الحسين بن عتيق ؛ ١٣
 الحسين بن محمد النساني ؛ ٢٢٤
 حفص بن المرة ؛ ٣٩ ، ٢٧٢
 الحكم بن هشام ؛ ٣٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥
 الحكم المستنصر ؛ ٤٢
 الحلاج ؛ ٢١٠
 حمو بن عبد الله ؛ ٦٦
 خالد بن يوسف الشاذلي ؛ ٣٠٠
 خلف بن إبراهيم بن خاقان ؛ ١١٠
 خالد بن إبراهيم بن الحسن ؛ ٢٢٥

- أحمد بن محمد اللورقي ؛ أبو العباس ؛ ٢٨٧
 أحمد المنصور ، السلطان ؛ ٤٣١
 أحمد بن هود ؛ ٨٦
 أحمد بن يحيى الحميري ؛ ٢٧٢
 إدريس بن جامع ؛ ٢٥٥
 أدفونش بن فردلند ؛ ٣٥٠ ، ٣٥١
 أصامة بن سليمان ؛ ٨٤ ، ٢٩٦
 إسحق بن عبيدس ؛ ١٠٥
 إسحق بن غانية ؛ ٢٥٧
 أسد بن القرات ؛ ٥٨٣
 إسماعيل بن يوسف بن نصر ؛ ٣٧١
 إسماعيل الهروي ؛ ٤٢٦
 أصبغ بن عبد الله ؛ ٢٧٥
 الأصمعي ؛ ٥٦٥
 أفلاطون ؛ ٢١٠
 ألقمش بن هرائده ؛ ٣٣٠
 أم الخير بنت شرف الدين الصوفي ؛ ٤٠٥
 أمراء الطوائف ؛ ٣٤٩
 أمية بن عبد الرحمن بن هشام ؛ ٣١٧
 الأمين العباسي ، الخليفة ؛ ٤٩
 أنس الدين بن قطب الدين القسطلاني ؛ ١٩٩
 أيوب بن حفصون ؛ ٣٠٧
 ب — خ
 باديس بن حبوس ؛ ٨٢ ، ١١٥
 البخاري ، الإمام ؛ ٣٤٦
 بدر الدين الطوسي ؛ ٢٠٣
 بشر بن صفوان الكلبي ؛ ٣٣٩
 بكر بن سليمان بن القصيرة ؛ ٢٥٠
 التاج بن شقير ؛ ١٥٧
 تاشفين بن علي بن يوسف ؛ ٣٤٤ ، ٤٠١ ،
 ٤٦٠
 تميم بن يوسف بن تاشفين ؛ ١٧٣
 ثوية بن سلامة ؛ ٣٣٩
 علي بن محمد التميمي ؛ ٤١٦

سفيان بن العاصي الأسدي ؛ ٢٢٤ ، ٣٠٢
 سقراط ؛ ٢١٠
 سقوت البرغواطى ؛ ٣٥٠
 سلمون بن علي بن سلمون الكنانى ؛ ٣٠٩
 سليمان بن جعفر بن حفصون ؛ ٤٢
 سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر ؛ ٥٦ ،
 ٢٧٣

سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ؛
 ٢٧٥ ، ٢٧٤ ، ٢٣٢ ، ٥
 سليمان بن محمد بن خلف ؛ ٨٤
 سهل بن طلحة ؛ ٣٠٣
 سهل بن محمد بن سهل بن مالك ؛ ١٥٤ ، ٢٧٧
 سوار بن حملون بن عبده ، ٥ ، ٤٠ ،
 ٢٥٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢

سير بن أبي بكر ؛ ٤٥
 سيف بن ذي يزن ؛ ٣٢٧
 سيف الدين بن سابق ؛ ١٥٥
 الشريف بن سليمان الأربلى ؛ ١٥٧
 شريح بن محمد الرعيى الإشبلى ؛ ٢٢٤
 شفيق البلخلى ؛ ٢٠٣
 شهاب الدين الأبرقوسى ؛ ٣١٠
 شهاب الدين السهروردى ؛ ٢٠٣ ، ٢٠٦
 شيخ الفزاة ؛ ٦٧ ، ٧٧
 صالح بن عباس بن أبي الفوارس الصدق ؛ ٤٠٥
 صفوان بن إدريس ؛ ٢٩٧
 الصميل بن حاتم ؛ ٣٣٩
 طارق بن زياد ؛ ٣٧٢
 طاهر بن عبد المنعم ؛ ١١٠
 طاهر بن يوسف الأنصارى ؛ ١٦١

ع - غ

عاشر بن محمد بن عاشر الأنصارى ؛ ٢١٩
 عامر بن الطفيل ؛ ٩٩
 عامر بن إدريس بن عبد الحق ؛ ٦٤ ، ٢٢١

خلف بن خلف الأنصارى ؛ ٢٢٤
 خلف بن يحيى ؛ ١١٠
 خلف بن يوسف بن فرتون ؛ ٢٢٤
 الخنساء ؛ ٢٩١
 خيران العامرى ؛ ٥٧

د - ز

دارا ؛ ٤٨ ، ٥٧٩
 داود الصائى ؛ ٢٠٣
 داود بن علي الظاهرى ؛ ١١٢
 ذنوقة ، (نوثيو دى لارا) ؛ ٥٢ ، ٣٥٦ ،
 ٣٥٨
 راشد بن أبي راشد الوليدى ؛ ١٨٧
 رحو بن عبد الله بن عبد الحق ؛ ٣٦٤ ، ٣٦٧
 رسم ؛ ٤٨
 الرشيد ، هرون ؛ ٢٧٢ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ،
 ٦٢٢

رصى الدين الطبرى ؛ ١٩٨
 الزبير بن العوام ؛ ٤٨
 زهير الحجارى ؛ ١٥٥
 زيد بن يحيى ؛ ٢٣٠
 زيدان ، مولاى ، السلطان ؛ ٤٣١
 زينب بنت إسحق التفزاوية ؛ ٣٤٨

س - ط

سارة بنت يحيى ؛ ١٨٧
 سالم بن صالح بن محمد الهمداني ؛ ٣١٤
 سالم بن محمد الخراسانى ؛ ٢٠٢
 سراج بن عبد الله بن سراج ؛ ٢٢٤
 سرى السقطى ؛ ٢٠٣
 سعد بن إبراهيم بن عيسى الحميرى ؛ ٣٨٧
 سعيد بن خلف الكنانى ؛ ٢٣٨
 سعيد بن سليمان بن جودى السمدى ؛ ٢٧٥
 سعيد بن محمد بن إبراهيم النساني ؛ ٣١٠

عبد العزيز بن محمد الهمداني ؛ ٢١٦
 عبد العظيم بن عبد الله المنزلي ؛ ٢٠٠
 عبد الغفار بن محمد الكلاعي ؛ ٤٠٤
 عبد القادر بن عبد الله بن سوار المخاربي ؛ ٢٨
 عبد الله بن أبي قاسم الأنصاري ؛ ٣٤٠
 عبد الله بن أحمد بن جمهور القيسي ؛ ٣٠١
 عبد الله بن أحمد بن زيد الغرناطي ؛ ٢٨٧
 عبد الله بن بكر الأشعري ؛ ٩٠
 عبد الله بن حزب الله ؛ ٢٩٦
 عبد الله بن طلحة بن عطية ؛ ٢٣٨
 عبد الله بن عبد الحق ؛ ٣٥٨
 عبد الله بن علي النساني السعدي ؛ ١٢٧
 عبد الله بن محمد بن السيد البطيوسي ؛ ٢٢٤
 عبد الله بن محمد ، أمير الأندلس ؛ ٢٧٧
 عبد الله بن محمد الحشني ؛ ٢٢٤
 عبد الله بن محمد بن يوسف بن منظور ؛ ٢٨٧
 عبد الله بن هود ؛ ٣٤
 عبد الله بن ياسين ؛ ٣٤٨
 عبيد الله بن يحيى ؛ ٢٧٢
 عبد الله البلنسي ؛ ٢٧٤
 عبد الله المرادي ، أبو محمد ؛ ١٢
 عبد الملك بن حبيب ؛ ٣٠
 عبد الملك بن مقفوز ، أبو الحسين ؛ ٢٩٦
 عبد المنعم بن سالك ، أبو محمد ؛ ٣٤١
 عبد المنعم بن عبد الرحيم بن الفرس ؛ ١٠٨ ،
 ١٨١ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢٧٨
 عبد المنعم بن علي بن سدراي ؛ ٣٠
 عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي ؛
 ٣٧٣ ، ٣٠١
 عبد المهيم بن محمد الأشجعي البلنودي ؛ ١٨
 عبد المهيم بن محمد الحضرمي ؛ ٣ ، ١١٦٤ ،
 ٢٨٧ ، ٤٥٧
 عبد المهيم بن المكتاسي البلنودي ؛ ٢٠
 عبد المازن الديبلي ، شرف الدين ؛ ١٩٨٠ ، ٣١٠

عامر بن محمد بن علي الهمداني ؛ ٢١٦
 عائشة بنت يحيى بن خليل ؛ ٢٦٩
 عبد الأعلى بن معلان ؛ ٢٩
 عبد الباق بن برال ؛ ٢٠٢
 عبد الحق بن حكيم ، أبو القاسم ؛ ١٨٩
 عبد الحق بن الخراط ؛ ٢٧٧
 عبد الحق بن عبد الملك بن بونه ؛ ١٠٨ ،
 ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٣٠١ ، ٣٧٥
 عبد الحق بن محمد بن بكر بن حمامة ؛ ٣٥٧ ،
 ٣٥٨
 عبد الحق بن يحيى ؛ ٧٧
 عبد الحق بن يعقوب ؛ ٧٧
 عبد الحلیم المريني ، الأمير ؛ ٣٦٢ ، ٣٦٣
 عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع ؛ ٢٧٣
 عبد الرحمن بن أسباط ؛ ٣٤٩
 عبد الرحمن بن حسن القروي ؛ ٢٨
 عبد الرحمن بن ربيع الأشعري ؛ ٢٩٦ ، ٣٠٢
 عبد الرحمن بن سلامة القضاعي ؛ ٢٧٨
 عبد الرحمن بن طلحة ؛ ٢٧٨
 عبد الرحمن بن عثمان القشيري ؛ ١١٠
 عبد الرحمن بن غالب ؛ ٢٣٨
 عبد الرحمن بن محمد بن بقر ؛ ٢٢٤
 عبد الرحمن بن محمد السبتي ؛ ٢٢٤
 عبد الرحمن بن محمد بن مغاور ؛ ٣٠٣
 عبد الرحمن بن معاوية الداخل ؛ ٩٦ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٣ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠
 عبد الرحمن بن موسى بن يعمراسن ؛ ٣٢٨
 عبد الرحمن بن هشام ؛ ٢٣٥
 عبد الرحمن بن يشتم ؛ ١٩٧
 عبد الرحمن الناصر لدين الله ؛ ٤١
 عبد الرحمن بن الملجوم ؛ ١٨٨
 عبد الصمد النصرى ، نور الدين ؛ ٢٠٣
 عبد العزيز بن زيدان ؛ ١٨٨
 عبد العزيز بن عبد الله الأسدي المراقي ؛ ٢٦

عبد المولى بن عبد المولى الخولاني ؟ ١٢٧
 عبد الواحد بن منظور الجذامي ؟ ٢٨٨
 عتيق بن أحمد بن محمد الفسافي ؟ ٨٠
 عتيق بن زكريا بن مول ؟ ٦٠
 عتيق بن عبد الرحمن بن أبي الفتح الفهري ؟ ٤٠٤
 عتيق بن معاذ بن عتيق الخنسي : ١٩٥
 عثمان بن أحمد بن يوسف الخنسي ؟ ٣٠١
 عثمان بن إدريس بن عبد الحق ؟ ٧٩٤ ، ٣٦٥
 عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي ؟ ١٠٩
 عثمان بن عبد الرحمن ؟ ٥٥ ، ٥٦
 عثمان بن عبد الرحمن بن يغمراسن ؟ ٥١٠
 عثمان بن يحيى ؟ ٥٢
 عثمان بن يحيى بن منظور القيسي ؟ ٨٦
 عثمان بن يحيى بن يغمراسن ؟ ٥٦ ، ٣٣٠
 عقبة بن نافع ؟ ٣٣٩
 عقيل بن عطية القضاعي ؟ ٢٣٠
 علي بن إبراهيم الأنصاري المالقي ؟ ١١٦
 علي بن إبراهيم الجذامي ؟ ١٧٤
 علي بن إبراهيم الضحاك الفزاري ؟ ١٧٥
 علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن الهلال ؟ ١٨٥
 علي بن أبي جلا المكتاسي ؟ ١٨٤
 علي بن أبي طالب ؟ ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٤٦
 علي بن أحمد بن الحسن المدحجي ؟ ٨٨
 علي بن أحمد بن عثمان الأشعري ؟ ٢٠١
 علي بن أمباس ، أبو الحسن ؟ ٤٥٣
 علي بن أحمد بن عمر الفسافي ؟ ١٦١ ، ١٨١
 علي بن أحمد بن محمد الحشني ؟ ١٢٧
 علي بن بدر الدين بن موسى بن رجو ؟ ٦٧
 علي بن جمره بن القاسم الجهني ؟ ١٩٧
 علي بن حمود الحشني ؟ ٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٢٧٤
 علي بن صالح بن أبي اللبث بن عز الناس ؟ ١٨٣
 علي بن عبد الرحمن التجيبي (ابن الأخضر) ؟
 ٢٢٤

علي بن عبد الرحمن بن جودي القيسي ؟ ١٥٨
 علي بن عبد العزيز بن الإمام الأنصاري ؟ ١٧٣
 علي بن عبد الله ؟ ١٧٦ ، ١٩٠
 علي بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري ؟
 ١٧٥
 علي بن عبد الله بن يوسف الأنصاري ؟ ٣
 علي بن علي بن عتيق الهاشمي ؟ ١٩٧
 علي بن عمر بن إبراهيم القيجاطي ؟ ١٠٤
 علي بن لب بن سعيد العنسي ؟ ٧١
 علي بن محمد بن بونه ؟ ٨١
 علي بن محمد بن دري ؟ ١٠١ ، ١٠٢
 علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي ؟ ١٨٦
 علي بن محمد بن عبد الحق الصباغ المقيلي ؟ ١٢٢
 علي بن محمد بن علي العبدري ؟ ١٦٩
 علي بن محمد بن مستقور الطائي ؟ ١٢٧
 علي بن محمد بن هيثم الرعيبي ؟ ١٦٣
 علي بن محمد بن يحيى النافق ؟ ١٨٣
 علي بن مسعود المحاربي ؟ ٧٠
 علي بن يحيى الفزاري ؟ ١٩٢
 علي بن يوسف بن تاشفين ؟ ٥ ، ٥٨ ،
 ١٧٣ ، ٣٤٤
 علي بن يوسف بن كاشة ؟ ٧٤
 عمر بن أبي بكر الوادي آشي ؟ ٤٠٥
 عمر بن أبي يحيى ؟ ٣٣٠
 عمر بن حفصون ؟ ٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٧
 عمر بن الخطاب ؟ ٤٨ ، ٩٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧
 عمر بن خلاف بن سليمان ؟ ١٦٠
 عمر بن علي بن غفرون الكلي ؟ ٣ ، ١٩٢
 عمر بن محمد الهاشمي القرشي ؟ ٢٠٢
 عمر بن يحيى البطوي ؟ ٦١ ، ٦٢
 عمرو بن بحر الحافظ ؟ ٩٨
 عمرو بن العاص ؟ ٤٨

قاسم بن خضر العامري ؛ ٢٦٨
القاسم بن دحمان ؛ ١٠٨
قاسم بن عبد الكرم الأنصاري ؛
قاسم بن عبد الله بن محمد الشاط ؛ ٢٥٨
قاسم بن محمد بن الجند العمري ؛ ٢٦٢
قرشي بن حارث الهمداني ؛ ٢٦٥
قطب الدين القسطلاني ؛ ٤٢٤ ، ٤٢٤
قيس بن يوسف ؛ ٣١٩
قيصر ؛ ٣٢٤ ، ٥٠٣
قيصر ملك الروم ؛ ٣٤٦
كسرى ؛ ٣٢٧ ، ٥٣٠
كزال الدين بن العليم ؛ ١٥٥ ، ١٥٦

ل - م - ن

الليث بن سعد ؛ ٣٧٢
مالك بن أنس ، الإمام ؛ ٢٣٢ ، ٥٨٥
مالك بن المرحل ، أبو الحكم ، ١٣ ،
٢٥ ، ١٢٧ ، ١٩٩
المتوكل بن هود ، أبو عبد الله ؛ ١٦٣
محمد بن إبراهيم بن الحسن الشافعي ؛ ٤٠٤
محمد بن إبراهيم بن سعد الدين بن جماعة الكتافي ؛
٤٠٥
محمد بن أبي بكر بن خليل ، رضى الدين ، ١٩٩
محمد بن أحمد بن أمين الفارسي ٣٨٧
محمد بن أحمد الحسني السبي ٣٢٠
محمد بن أحمد النساني ، أبو القاسم ؛ ٩٠
محمد بن اسماعيل بن نصر ؛ ٣٧٠
محمد بن تومرت ، المهدي ؛ ٥٨
محمد بن الحاج اللمتوني ؛ ٣٤٤
محمد بن الحسن القرشي البوني ؛ ٣١٠
محمد بن خليفة ؛ ١١٠
محمد بن سعد بن مردنيش ؛ ١٨٤ ، ٢٥١ ،
٣٧١ ، ٣٧٢
٧ محمد بن . مدن العيني انصيري ؛ ٤٠٦

عمرون بن موسى بن عياض ؛ ٢٢٢
عون الدين المعجمي ؛ ١٥٦
عياض بن محمد بن موسى اليحصبي ، أبو الفضل ؛
٤ ، ١٠١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ،
٢٤٩
عيسى بن أحمد الرازي ؛ ٣٣٨
عيسى بن محمد الأموي ؛ ٢٣٥
غالب بن أبي بكر الحضرمي (ابن الأشقر) ؛
٢٣٦
غالب بن حسن الجهماري ؛ ١٩٧
غالب بن حسن الخزاعي ؛ ٢٣٩
غالب بن حسن بن سيد بونف ؛ ٢٥٧
غالب بن عبد الرحمن الحاربي ؛ ٢٣٧
غالب بن عطية الحاربي ؛ ٢٢٤ ، ٣٧٥
غالب بن علي الشقوزي ؛ ٢٤٠
غانية ؛ ٣٤٤
الغزيري ، ميخائيل ؛ ٣

ف - ق - ك

الفتح بن علي بن أحمد (ابن خاقان) ؛ ٢٤٨
الفخر الفارسي ؛ ٣١
فخر الدين التودري الميكالي ؛ ١٩٩
فرج بن اسمعيل بن نصر ؛ ٣٣٤
فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر ؛ ٢٤١
فرج بن قاسم بن لب التعلبي ؛ ٢٥٣
فرج بن محمد بن يوسف بن نصر ؛ ٢٤٦
فرج بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر ؛
٢٤٦
الفضل بن عياض ؛ ٢٠٢
فضل بن محمد بن فضيلة المافري ؛ ١٢٧ ،
٢٥٦
الفضل بن يحيى البرمكي ؛ ٤٩
فلوج العليج ؛ ٢٥٨
قاسم بن أحمد بن عمران الحضرمي ؛ ٢٦٧

- محمد بن الشيخ ؛ ٤٢٧
محمد بن الطيب أبو عبد الله ؛ ٣٠١
محمد بن عبد الرحمن الرندي الطنجي ؛ ٣٨٧
محمد بن عبد الحق ؛ ٣٥٨
محمد بن عبد الخالق (ابن الصايغ) ؛ ٢٦٨
محمد بن عبد الرحيم الطيب ؛ ١٢
محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ؛ ٣١٦
محمد بن عبد الله بن مسلمة المظفر ، ابن الأنطاس ؛ ٤٣
محمد بن عبد الله المماقري ؛ ٢٢٤
محمد بن عتيق بن رشيق ؛ ٤٠٥
محمد بن علي بن أبي خالد العبدي ؛ ٢٥٩
محمد بن علي الأزدي ؛ ٢٢٤
محمد بن علي بن حنين ؛ ٢٢٤
محمد بن علي بن عمر المازري ؛ ٢٢٤
محمد بن علي بن مسرة ؛ ١٨٢
محمد بن علي الشاطبي (ابن الصقيل) ؛ ٢٢٤
محمد بن علي المقتات ؛ ٢١٢
محمد بن عمر بن رشيد ؛ ١٢٧
محمد بن عمر بن الدراج ؛ ١٢
محمد بن عياش الخزرجي ؛ ١٢٧
محمد بن عياض بن محمد بن عياض ؛ ١٨٧
محمد بن غالب بن سعيد الجبال ؛ ١٩٩
محمد بن الوليد الطرطوشي ؛ ٢٢٤
محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري ؛ ١٢٧
محمد بن يحيى الصيرفي ، أبو بكر ؛ ٣٤٩
محمد بن يوسف بن تاشفين ؛ ٣٤٤
محمد بن يوسف بن فرج بن نصر (النفي بالله) ،
٥٣٨ ، ٥٣٤ ، ٣٦٧ ، ٧٩٤٥
محمد بن يوسف بن هود ؛ ٢٥٧
يحيى الدين بن ندا بن واقد ؛ ١٥٥
يحيى الدين بن عبد المنعم ؛ ١٩٩
المرتضى ، الخليفة الأموي ؛ ١١٥ ، ٣١٥
مريم بنت عمران ؛ ٩٧
المستنصر بالله الحفصي ؛ ٥٦٠ ، ٥٦٩
- معاوية بن أبي سفيان ؛ ٣٣٩
المعتد بن عباد ؛ ٤٥
معن بن مؤمن ؛ ٤٠٥
المقري ، أبو العباس ؛ ٤٥٩
المنذر بن محمد ، أمير الأندلس ؛ ٢٣٦
المهلب بن أبي صفرة ؛ ٥٦٦
المهلهل ؛ ٤٨
موسى بن رحو ؛ ٧٨
موسى بن زيد الراعي ؛ ٢٠٤
موقعة طريف ؛ ٣٢٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢
موقعة العقاب ؛ ١٩١
النجم بن اسرائيل الدمشقي ؛ ٢٠٦
نجيم الدين الأصبهاني ؛ ٢٠٣
نجيب الدين بن مرغوش الشيرازي ؛ ٢٠٣
- هـ - و - ح
- هاتم بن عبد العزيز ؛ ٣٠
هشام بن حسان ؛ ٢٠٢
هشام بن الحكم ؛ ٥٦
هشام بن محمد بن عبد الله بن الناصر ؛ ٣١٥
وقيعة ذنونة ؛ أنظر ذنونه
وقيعة الطاعون ؛ ١٨ ، ٢٦٧
الوليد بن يزيد ؛ ٤٩
يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى ؛ ٣ ،
٤٢٦ ، ٤٢٧
يحيى بن أحمد بن هذيل ، أبو زكريا ؛ ٤ ،
٢٦٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٣٨٩ ، ٤٥٧
يحيى بن يحيى ؛ ٤١٦
يحيى الحفيد ؛ ٣٤٤
يحيى بن رحو بن تاشفين ؛ ٣٦١
يحيى بن الصائغ ، أبو الحسن ؛ ١٩٠
يحيى بن سقالة ؛ ٣٨
يحيى بن طلحة بن محلى ؛ ٣٦٣
يحيى بن عبد الجليل بن مجير الفهرى ؛ ٤١٧
يحيى بن عبد الرحمن الحاج ؛ ٣٠٢

يحيى بن عبد الرحمن الإصبهاني ؟ ٣٧٣
 يحيى بن عبد الرحمن بن الحكم ؟ ٣٦٤
 يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري ؟ ٣٧٣
 يحيى بن عبد الكرم الشنتوني ؟ ٤٠٠
 يحيى بن عبد الله بن زكريا الأنصاري ؟ ٣٧٤
 يحيى بن عبد الله بن عزة اللخمي ؟ ٣٤٠
 يحيى بن عمر بن رحو ؟ ٣٦٥
 يحيى بن غانية الصحرأوى ؟ ٣٥٨ ، ٥
 ٣٤٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٣
 يحيى بن محمد بن عبد السلام التطيلي ؟ ٤١٤ ، ٣
 يحيى بن محمد بن بلايكان الممتوني ؟ ٣٤٨
 يحيى بن محمد بن خلف البوريني ؟ ١٨٨
 يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري ابن الصيرفي ،
 ٤٠٦ ، ٣
 يحيى بن يحيى القرطبي ؟ ٣٠٢
 يدير بن ورقا ؟ ٣٤٤
 يزيد بن رفاعة ؟ ١٠٨
 يشكر بن موسى القزالي ؟ ١٨٨
 يعقوب بن عبد الحق ؟ ٣٥٨
 يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق ؟ ٣٦٥
 يعقوب المنصور ؛ الخليفة الموحدى ؟ ٣٥٥ ،
 ٤١٩ ، ٤١٨
 يوسف بن إبراهيم بن يوسف الفهري ؟ ٤٠٤

يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر ؟
 أبو الحجاج ، السلطان ؛ ٣١٨ ، ٥
 ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٥٢٥
 يوسف بن تاشقين بن إبراهيم الصنهاجي ؟ ٤
 ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥١
 يوسف بن الحسن بن أبي الأحوص القرشي ؟
 ١٩٧ ، ٣٧٥
 يوسف بن رضوان بن يوسف الأنصاري
 التجارى ؟ ٤٢٥
 يوسف بن عبد الرحمن الفهري ؟ ٣٣٩ ، ٣٤٠
 يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، الخليفة الموحدى ؛
 ٤١٨ ، ٣٥٤ ، ٥
 يوسف بن علي الطرطوشي ؟ ٤٢١
 يوسف بن محمد العلوي المالقي (ابن الشيخ) ؟
 ٣٧٣
 يوسف بن محمد الكلابي ؟ ٣٠٢
 يوسف بن محمد اليحصبي الوشي ؟ ٤٢٠
 يوسف بن محمد بن يوسف بن نصر ؟ ٣٥٣
 يوسف بن هلال ؟ ٣٧١
 يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن مجبو ؟
 ٤١٠ ، ٥
 يونس بن محمد بن مغيث ؟ ٢٢٤

يحيى بن عبد الرحمن الإصبهاني ؟ ٣٧٣
 يحيى بن عبد الرحمن بن الحكم ؟ ٣٦٤
 يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري ؟ ٣٧٣
 يحيى بن عبد الكرم الشنتوني ؟ ٤٠٠
 يحيى بن عبد الله بن زكريا الأنصاري ؟ ٣٧٤
 يحيى بن عبد الله بن عزة اللخمي ؟ ٣٤٠
 يحيى بن عمر بن رحو ؟ ٣٦٥
 يحيى بن غانية الصحرأوى ؟ ٣٥٨ ، ٥
 ٣٤٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٣
 يحيى بن محمد بن عبد السلام التطيلي ؟ ٤١٤ ، ٣
 يحيى بن محمد بن بلايكان الممتوني ؟ ٣٤٨
 يحيى بن محمد بن خلف البوريني ؟ ١٨٨
 يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري ابن الصيرفي ،
 ٤٠٦ ، ٣
 يحيى بن يحيى القرطبي ؟ ٣٠٢
 يدير بن ورقا ؟ ٣٤٤
 يزيد بن رفاعة ؟ ١٠٨
 يشكر بن موسى القزالي ؟ ١٨٨
 يعقوب بن عبد الحق ؟ ٣٥٨
 يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق ؟ ٣٦٥
 يعقوب المنصور ؛ الخليفة الموحدى ؟ ٣٥٥ ،
 ٤١٩ ، ٤١٨
 يوسف بن إبراهيم بن يوسف الفهري ؟ ٤٠٤

فهرست التصحيحات

رأينا ، وقد تم بحمد الله طبع كتاب « الإحاطة » بمجلداته الأربعة ، أن نقدم ثبوتاً بالأخطاء التي أمكن الوقوف عليها في سياق نصوصها ، ولكن ليس بطريق الحصر ، لأنه توجد بالشكل من الفتح والضم والكسر وغيرها ، أخطاء أخرى ، لم نر إثباتها لأنها منسورة الاستدراك والضبط . وفيما يلي بيان هذه الأخطاء وتصحيحاتها :

المجلد الاول

ص	سطر	الخطأ	الصواب	ص	سطر	الخطأ	الصواب
٨٠	٣	هضبة	قلمة	٣٣٦	٤	وطرفة	وطرفة
	٤	بكر	فكر	٣٤٠	٥	الزمية	الزمية
	٤	ومصباح	وما صباح	٣٣٩	٢س	النسب	النسب
	٥	فارق سهدا	وأورق شذا	٣٤٤	١س	وأبرته	وأبرته
	٥	موارد	شوارد	٣٦٤	٩	وتقييدا	وتقييدا
	١٠	قائدة	بادية	٣٦٦	٨	فمادب	فمادب
	١٦	علمه مائة	أعلمه المائة	٣٦٧	٨	النفري	النفري
٨٤	١٠	سجومه	وسجومه	٣٧٣	٦س	ابن رشد	ابن رشد
٩٨	٤	قسصلية	قسطيلية	٣٧٥	٦	القاضي	القاضي
١٠٢	٩	فنجود	فتجوه	٣٨٣	٨،٧،٤،٦	هراندة - المنشة	هراندة - المنشة
١٤٣	٤	شخذه	شخذه	٣٨٤	١	المنشة	المنشة
١٤٧	١١	ويتملط	ويتملفظ	٣٩٩	١س	منتقع	منتقع
١٥٣	١	وفصاحة	وفصاحة	٤٠٣	٢	ثعبان	ثعبان
١٦١	١	قليل	قليل	٤٣٢	٧	همة	همة
١٨٤	١٠	ابن حمزة	ابن حمزة	٤٤٣	٨	الأشقر	الأشقر
١٩٣	٩	عبد الوالي	عبد الولي	٤٧٥	٤	مالك	مالك
١٩٥	١٠	الخلاسي	الخلاسي	٥١٤	٦س	والحرم	والحرم
٢٠١	١١	ابن العمار	ابن الغماز	٥٢١	٦س	وجنوب	وجنوب
٢٠٧	٢س (١)	أولينه	أوليته	٥٢١	٥	المنشة - هراندة	المنشة - هراندة
٣٠٤	٢	المتبحر	المتبحر	٥٢١	٥	المنشة - هراندة	المنشة - هراندة
٣٢٣	٢س	طرقها	طوقها	٥٦٢	٦	عجم	عجم

المجلد الثاني

صواب	الخطأ	سطر	ص	الصواب	الخطأ	سطر	ص
أبت	أبت	١٠	٢٧٧	الفدوى	الفدوى	٧	٢١
مخبر	مخبر	٨ س	٢٨٥	الهنشة	الهنشة	٨ س	٢٢
المشوق	وعيت	٩ س	٢٨٦	هرانده	هرانده		
وقفه	المشون	٣	٤٠٣	جدها	جدها	٢ س	٥٦
يكون	وقفه	٧	٤٢٣	افتتحها	افتتحها	٨	٦٠
المكتب	يكون	٨	٤٢٥	وأوحى	وأوحى	٢ س	٦٢
وقواصل	المكتب	٨ س	٤٣٤	وانبثت	وانبثت	٨	٧٥
العيبة	وقواصل	٧ س	٤٣٨	فصل	فصل	٨	٧٧
مكدا	العيبة	٣ س	٤٦٢	ققلت	ققلب	٧ س	١٢٥
لبلغ	مكدا	٥ س	٤٧٦	رئيس	رئيس	٣ س	١٤٣
اليد	لبلغ	٣	٤٩٢	شيبى	شيبى	٨ س	١٥٤
وياليت	اليد	١١	٥٠٧	هذين البيتين	هذان البيتان	٧	١٦٣
	وياليت	٨	٥٣٤	منه	منه	١٠	١٧٧
				تجليه	تجليه	٨ س	٢٠٩
والنفت	والنفت	٤ س	٥٣٥	الزيات	الزياتى	٥ س	٢٧٤
تدنيه	والنفت			نصار	نصار	٧ س	٣٠٧
رأيت	تدنيه	٩	٥٦٥	عرف	عرف	٢ س	٣٣٥
	رأيت	٨	٥٦٧	رسمت	رسمت	٤	٣٥٩

المجلد الثالث

صواب	الخطأ	سطر	ص	الصواب	الخطأ	سطر	ص
معروفة	معروفة	٩	١٠١	ياريح	ياريح	٤ س	١٢
أهله	أهل	٣	١٢٣	الغافق	الغافق	٧	٩٧
فأزرى	فأزرى	٢ س	١٣١	عن	من	١٠	٩٧
نظمه	نظمه	٣	١٤٧	الغرام	الغرام	٣	٩٩

تابع المجلد الثالث

ص	سطر	الخطأ	الصواب	ص	سطر	الخطأ	الصواب
١٥٥	٨	لفتون	لفتون	٤٥٧	٥	أصرب	أصرب
٢٢٩	٤	المحبب	المحبب	٤٦٠	٣	اختيار	اختيار
٢٥٥	٤	طعانه	سلطانه	٥٠٠	٤	زيارته	زيارته
٢٥٥	٦	سلطانه	سلوانه	٥٠٢	٧	يساق	يساق
٢٥٢	٧	الخطايا	الخطايا	٥٢٦	٣	يعشرك	يعشرك
٢٥٥	٥	صضرا	صفرا	٥٢٧	٤	بشار	بشار
٢٥٨	٦	المستشرقون	المستشرقون	٥٣١	٩	وجوهم	وجوهم
٢٦٨	٢	الأقدار	الأقدار	٥٥٦	٤	بسي	بسي
٤٢٤	٩	أودى	أودى				

المجلد الرابع

ص	سطر	الخطأ	الصواب	ص	سطر	الخطأ	الصواب
٣٢	٥	حججا	حججا	٢١٤	٩	المنعوت	المنعوت
٣٣	٩	الحق	الحق	٢١٥	١٠	تريه	تريه
٣٦	٦	اسم	باسم	٢٢٧	٣	تسير	تسير
٥٩	٧	ترمرت	تومرت	٢٥٤	٢	الخط	الخط
٦٨	٢	سطر مكرر		٢٥٤	١	جمعت	جمعت
٧٩	٢	استولى	استولى	٢٥٥	٨	تفانوا	تفانوا
٨٤	٥	أحم	أجم	٢٧٠	٩	الفتنة	الفتنة
١١١	٥	الرجاجة	الرجاجة	٢٧٧	٤	امراة	امراة
١١٥	٥	وجه	وجه	٣٠١	١٠	موقفين	موقفين
١٣٧	٣	وكتب	وكتبت	٣٠٧	١٠	يواقم	يواقم
١٤٢	٤	در	ذر	٣٣٦	٣	شقى	شقى
١٤٩	٢	بن	من	٣٣٨	٦	من	من
١٦٠	٥	وقد ثبت	وقد ثبت	٣٤٤	١٠	السلطان	السلطان
١٦١	٥	سها والدنو	سها والدنو	٣٦١	٧	للملوك	للملوك
١٦٢	٣	وينهاهم	وينهاهم	٣٦٧	٢	استحقه	استحقه
١٧٤	٨	رواة	رواه	٣٨٧	٢	خط	خط
١٧٦	١	والفضول	والفضول	٣٨٨	١	شالة	شالة
١٧٧	٤	وانخبير	وانخبير	٣٩٧	٤	علينا	علينا
١٨٦	٣	الزويل	الزويل	٤٠١	١	ويجمل	ويجمل
١٩٢	٦	استزلم	استزلم	٤٠٩	٩	النيجان	النيجان
٢٠٥	٤	الخرقة	الخرقة	٤٢٥	١	ومن شره	ومن شره

تابع المجلد الرابع

الصراب	الخطأ	سطر	ص	الصراب	الخطأ	سطر	ص
وكان	وكان	٧ س	٥٦٩	فهو	فو	٦	٤٣٠
ومكذبة	ومكذبة	٨	٥٧٢	وكان	وكمال	٤ س	٤٣٨
فرائض	فرائض	٢ س	٥٧٧	تيران	تيران	٣ س	٤٦٢
وأحسب	وأسب	١	٥٨٠	الخصيب	الخصيب	٨ س	٤٦٣
الأزاهر	لأزاهر	١٠	٥٩٢	بؤسها	يوسها	٧	٤٨١
إنهاضه	إنهاضه	٣ س	٦٠٠	محلقة	محلقة	٣	٤٨٨
والحمد	والحمد	١٠	٦٠١	الظهر	الظهر	٩	٥٠١
يعمد	يعمد	٥	٦٠١	يا محتظ	يا محتظ	٩ س	٥٠٦
السامر	السامر	٨	٦٠٢	أكسيراها	أكسيراها	٦	٥١٦
وحوض	وحوض	٨	٦٠٤	بشبي	بشبي	٨	٥١٨
فلهن	فلهن	١٥	٦٠٤	ظفرنا	ظفرنا		٥١٩
كان	كا	٢ س	٦١٠	اتصلت	أنصلت	٣	٥٣٠
فلما	فما	١	٦١٥	تكفيم	نكفيم	١	٥٣٥
يكون	تكون	٤	٦٢٢	ومسيرة	ومسير	٢	٥٤٠
وأفضل	وأفضل	٦	٦٢٦	وغشيها	وعيشها	٢	٥٤٧
بايع	تايع	١ س	٦٣٥	قيمة	قيمة	٣ س	٥٤٨
سبي	حي	١	٦٣٦	المستجير	المستجير	٧ س	٥٥١
قضاء	قضاء	٢ س	٦٣٨				

ككل طبع المجلد الرابع والأخير من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » وبذلك
تم طبع الكتاب كله ، وذلك بمطابع « الشركة المصرية للطباعة والنشر »
بمدينة القاهرة المعزية ، وذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر شوال المعظم
سنة ١٣٩٨ هـ ، الموافق لليوم الثامن والعشرين
من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٨ م .

الشركة المصرية للطباعة والنشر

رقم الايداع ٣٣٠١ / ١٩٧٨

HISTORY AND BIOGRAPHICAL DICTIONARY OF GRNDADA

entitled

AL - IHATA FI AKHBAR GHARNATA

BY

VIZIER LISAN - ud - DIN IBN ul - KHATIB

Edited with an Introduction and Notes

BY

MOHAMED ABDULLA ENAN

Author of : Moorish Empire in Spain. Age of the Almoravides and Almohades
End of the Moorish Empire in Spain. Monumentos Moros en Espana y PortugaI
Life and Work of Ibn Khaldun. Life and Work of Ibn - ul - Khatib ;ete

Vol. IV

Publisher : Al-Khanghi Bookshop, Cairo

Al-Tibaa Almisriyah Co. Press

Cairo - 1978